



جامعة العلوم الإسلامية والتعليم

المِشْكَاة

لِلْعِلْمِ وَالْإِسْلَامِ وَالْجَمَاعَةِ
مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ وَمُحْكَمَةٌ

المجلد التاسع، العدد (3) جمادى الأول 1444هـ/كانون الأول 2022م

E-ISSN 2790-251X
ISSN 2311-097X



المِشْكَاة

المِشْكَاة

المِشْكَاة



The World Islamic Sciences and
Education University (W.I.S.E)

Al-Mishkat for Humanities & Social Studies

An International Research and Refereed Journal

The views and ideas expressed in the articles published in this journal are of their own authors and do not reflect the views of the editorial board or the World Islamic science and Education University or the policies of the Ministry of Higher Education and Scientific Research.

Volume9, Number 3 jumad 1 / 1444, December 2022

E-ISSN 2790-251X
ISSN 2311-097X



جامعة القادسية الشامية العالمية

المشكاة

لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ
مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ عَالَمِيَّةٌ مُحْكَمَةٌ

المجلد التاسع، العدد (٣)، جمادى الأولى ١٤٤٤هـ / كانون الأول ٢٠٢٢م

ISSN: 2311-0538

E- ISSN: 2789-6579



جامعة العلوم الإسلامية العالمية

المشكاة

لِلْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ
مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ عَالَمِيَّةٌ مُحْكَمَةٌ

تصدر عن عمادة البحث العلمي في جامعة العلوم الإسلامية العالمية
عمّان/ المملكة الأردنية الهاشمية

المجلد التاسع، العدد (٣)، جمادى الأولى ١٤٤٤هـ/كانون الأول ٢٠٢٢م

ما ورد في هذه المجلة يعبر عن آراء الباحثين ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير
أو جامعة العلوم الإسلامية العالمية أو سياسة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



تُوجّه جميع المراسلات إلى العنوان الآتي:

رئيس هيئة تحرير مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

عمادة البحث العلمي - جامعة العلوم الإسلامية العالمية

المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف (+٩٦٢ ٦ ٥٦٠٠٢٣٠)

البريد الإلكتروني: al_mishkat.journal@wise.edu.jo

موقع الجامعة الإلكتروني: www.wise.edu.jo

المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة علمية عالمية محكمة
المجلد التاسع، العدد (٣)، جمادى الأولى ١٤٤٤هـ/كانون الأول ٢٠٢٢م

رئيس هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور أحمد غالب الغرشة

هيئة تحرير المجلة

الأستاذ الدكتور حمدي القبيلات جامعة العلوم الإسلامية العالمية
الأستاذة الدكتورة عليا العويدي جامعة العلوم الإسلامية العالمية
الأستاذ الدكتور عبد الله العنبر الجامعة الأردنية
الأستاذ الدكتور رضا المواضية جامعة الزرقاء
الأستاذ الدكتور محمد الشورة جامعة العلوم الإسلامية العالمية
الأستاذ الدكتور عمر المومني جامعة العلوم الإسلامية العالمية
الدكتور عدنان عبيدات جامعة العلوم الإسلامية العالمية
الدكتور محمد النويهي جامعة العلوم الإسلامية العالمية
الدكتورة ابتهاج أحمد جامعة العلوم الإسلامية العالمية
الدكتورة إشراق العموش جامعة العلوم الإسلامية العالمية

الهيئة الاستشارية

الأستاذ الدكتور فواز عبد الحق رئيس الجامعة الهاشمية
الأستاذ الدكتور عبد السلام المسدي وزير التعليم العالي/تونس
الأستاذ الدكتور محمد يوسف القرشي جامعة تكريت-العراق
الأستاذ الدكتور سليمان القادري جامعة آل البيت
الأستاذ الدكتور حسن الملخ الجامعة القاسمية
الأستاذ الدكتور عبد القادر رياضي جامعة اليرموك
الأستاذ الدكتور ناصر الخوالدة الجامعة الأردنية

المحرر اللغوي/ اللغة العربية: د. أحمد العنيزات

المحرر اللغوي/ اللغة الإنجليزية: د. سناء جرار

أمين سر مجلة المشكاة وإخراج العدد

شيماء عبد الكريم الخصاونة

فَالْعِلْمُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ



مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة علمية عالمية محكمة

قواعد النشر:

- يُشترط فيما يقدم للمجلة أن يكون أصيلاً وليس مقدماً لمجلة أو أية جهة ناشرة أو أكاديمية. ويتعهد الباحث بذلك خطياً عند تقديم البحث للنشر.
- إذا كان البحث مدعوماً من جهة ما، فعلى الباحث بيان ذلك وتقديم وثيقة محررة من الجهة الداعمة موجهة إلى رئيس تحرير المجلة تفيد عدم مانعتها نشر البحث.
- يمكن أن يكون البحث مُستلماً من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه مع إعلام المجلة بذلك.
- لا يجوز نشر البحث في أي مجلة أخرى.
- يُصبح البحث بعد قبوله حقاً محفوظاً للمجلة ولا يجوز النقل دون الإشارة إليها.
- يتولى تقييم البحث محرران ويجوز أن يرسل إلى محكم ثالث حسب تقدير هيئة التحرير.
- تحتفظ هيئة التحرير بحقوقها في عدم نشر أي بحث وتُعدُّ قراراتها نهائية.
- البحوث التي لا تُقبل لا ترد لأصحابها.

- يترتب على الباحث، في حالة سحبه لبحثه أو إبداء رغبته في عدم متابعة إجراءات التحكيم، دفع النفقات المالية التي تحملتها الجامعة.

- يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يقترحها المحكمون خلال شهر من تاريخ تسلمه القرار.

- يخضع ترتيب البحوث في المجلة لمعايير فنية تحددها هيئة التحرير.

- البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو الجامعة.

تعليمات النشر:

- أن يُكتب ملخص للبحث باللغة العربية وآخر بالإنجليزية بما لا يزيد على (١٥٠) كلمة لكلٍّ منهما، وعلى ورقتين منفصلتين، بحيث يكتب في أعلى الصفحة عنوان البحث، واسم الباحث (الباحثين) من ثلاثة مقاطع مع العنوان (البريدي والإلكتروني) والرتبة العلمية، وتُكتب الكلمات الدالة (Keywords) في أسفل صفحة الملخص بما لا يزيد على خمس كلمات، بحيث تعبر عن المحتوى الدقيق للبحث.

- يُشار إلى المصادر والمراجع في متن المخطوط بأرقام متسلسلة توضع بين قوسين إلى الأعلى هكذا: (١)، (٢)، (٣)، ويكون ثبتها في أسفل صفحات البحث، وتكون أرقام التوثيق متسلسلة موضوعة بين قوسين في أسفل كل صفحة، فإذا كانت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى مثلاً قد انتهت عند الرقم (٦) فإن الصفحة التالية ستبدأ بالرقم (١)، ولا يُعاد إيراد المصادر والمراجع عند نهاية البحث، ويكون ذكرها للمرة الأولى على النحو الآتي:

الكتب المطبوعة:

اسم شهرة الكاتب متبوعاً باسمه الأول والثاني وملحقاً به تاريخ وفاته بالتاريخ الهجري والميلادي، واسم الكتاب مكتوباً بالبنط الغامق، واسم المحقق أو المترجم، والطبعة، والناشر، ومكان النشر، وسنته، ورقم المجلد - إن تعددت المجلدات - والصفحة. مثال:

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٩م): الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط ٢، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥م، ج ٣، ص ٤٠. ويُشار إلى المصدر عند وروده مرة ثانية على النحو الآتي: الجاحظ، الحيوان، ج، ص.

الكتب المخطوطة:

اسم شهرة الكاتب متبوعاً باسمه الأول والثاني وملحقاً به تاريخ وفاته بالتاريخ الهجري والميلادي، واسم المخطوط مكتوباً بالبنط الغامق، ومكان المخطوط، ورقمه، ورقم اللوحة أو الصفحة. مثال:

الكناني، شافع بن علي (ت ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م): الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور. مخطوط مكتبة البودليان بأكسفورد، مجموعة مارش رقم (٤٢٤)، ورقة ٥٠.

الدوريات:

اسم كاتب المقالة، عنوان المقالة موضوعاً بين علامتي تنصيص " "، واسم الدورية مكتوباً بالبنط الغامق، رقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة، مثال: جرار، صلاح: "عناية السيوطي بالتراث الأندلسي - مدخل"، مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ١٧٩-٢١٦.

وقائع المؤتمرات وكتب التكريم والكتب التذكارية:

- ذكر اسم الكاتب، واسم المقالة موضوعاً بين علامتي تنصيص " "، واسم الكتاب كاملاً بالبنط الغامق، واسم المحرّر أو المحرّرين إن كانوا غير واحد، ورقم الطبعة، واسم المطبعة والجهة الناشرة، ومكان النشر، وتاريخه، ورقم الصفحة. مثال: الحيارى، مصطفى: "توطين القبائل العربية في بلاد جند قنسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري"، في محراب المعرفة: دراسات مهداة إلى إحسان عباس، تحرير: إبراهيم السعافين، ط ١، دار صادر ودار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٤١٧.

- تُكتب الأعلام الأجنبية حين ورودها في البحوث باللغة العربية وتكتب بعدها مباشرة بالإنجليزية محصورة بين قوسين ().

- يُراعى النظام المتبع في دائرة المعارف الإسلامية عند كتابة الأسماء والمصطلحات العربية بالحروف اللاتينية.

- تُرسم الآيات القرآنية بالرسم العثماني بين قوسين مزهرين ﴿ ﴾ مع الإشارة إلى السورة ورقم الآية، وتثبت الأحاديث النبوية بين قوسين مزدوجين « » بعد تخريجها من مظانها.

- تكون المراسلات على النحو الآتي:

رئيس هيئة تحرير مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

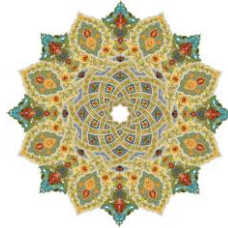
عمادة البحث العلمي / جامعة العلوم الإسلامية العالمية

المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف (٩٦٢ ٦ ٥٦٠٠٢٣٠ +)

البريد الإلكتروني: al_mishkat.journal@wise.edu.jo

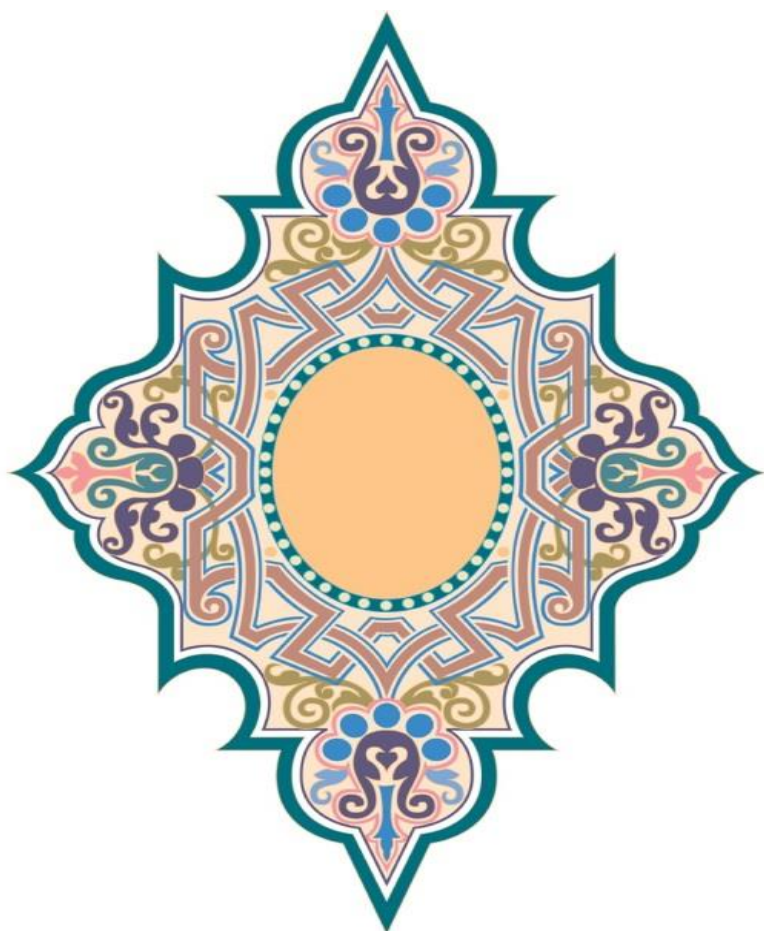
موقع الجامعة الإلكتروني: www.wise.edu.jo



محتويات العدد (باللغة العربية)
المجلد التاسع، العدد (٣)، جمادى الأولى ١٤٤٤هـ/كانون الأول ٢٠٢٢م

الباحث/ الباحثون	عنوان البحث	الصفحات
د. عمر أحمد الريباحات	شعرية الخطاب في تلقي رؤيا الاغتراب في ديوان المهاجر للشاعر سرحان النمري	٣٧-١٣
د. عبدالله سالم الزعبي د. فاطمة أحمد أبو حمده	فاعلية برنامج تدريبي مستند إلى منحنى التدريس التكاملي في تحسين ممارسات التدريس المتمركز على الطالب والدافعية للإنجاز لدى معلمات الصفوف الثلاثة الأولى	٦٢-٣٩
د. عبدالله حسن أحمد الذنيبات د. عبد الرؤوف أحمد بني عيسى	الحذف الانفعالي في النحو العربي ديمقراطية التعليم وتعليم الديمقراطية مقوماتها ومؤشرات في النظام التعليمي الأردني	٩٢-٦٣ ١٢٠-٩٣
د. عمر محمد أبو نواس	ظاهرة اللمح في العربية وأثرها في التعليل اللغوي	١٤٩-١٢١
أ.د. عبد الفتاح الرشدان د. رنا عبد العزيز الخماش د. محمد محمود العمرو	دور منظمات المجتمع المدني وتأثيرها في الحياة العامة في الأردن ٢٠٢٠-٢٠١١ إنشائية اللون في ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعري أنموذجا	١٨٨-١٥١ ٢١٠-١٨٩
بلسم عبد الرحيم فلاحات د. سالم صالح ابنيان أ.د. أحمد حسن العياصرة	درجة فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها	٢٣٤-٢١١
د. إيناس محمد إبراهيم السفسافة أ.د. محمد إبراهيم السفسافة	الأثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا وعلاقتها بالتكيف المختصر لدى طلبة المدارس ذوي الإعاقة في مدينة عمان	٢٦١-٢٣٥
د. عبد الفتاح داود عبد الفتاح كاك	تشكيل الصورة الحسية في الشعر الفلسطيني المقاوم بعد عام ٢٠٠٨م دراسة وصفية تحليلية	٣٠٦-٢٦٣
رولا خالد أبو الراغب أ.د. محمد فايز الطراونة	الأيكولوجية الثقافية للصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة دراسة سسيولوجية- أنثريولوجية	٣٣٨-٣٠٧
د. عيسى أحمد عيسى الشلبي د. بشير تركي كريشان د. محمد صالح جرار	ظهور الارهابيين في سوريا الأسباب والآثار	٣٥٨-٣٣٩
د. محمد حسن حمادات	تصور مقترح للتغلب على التحديات التي تواجه الإنتاج العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس في كليات الشمال التابعة لجامعة	٣٩٣-٣٥٩

البلقاء التطبيقية		
٤٢٦-٣٩٥	المرض في الشعر الجاهلي	د. شمس الاسلام حاليو
٤٥٠-٤٢٧	مضامين القصة القصيرة وقضاياها لدى خليل قنديل	د. عواد أحمد الدندن
٤٩٢-٤٥١	الألفاظ الرباعية بين أصالة البنية وتداعيات التطور دراسة صرفية دلالية	د. عثمان سالم بخيت قواقزة
٥٠٨-٤٩٣	ثورة الغضب والمعارضة الرمزية ضد الانصياع الاعمى والوحشية في قصة شيرلي جاكسون اليانصيب	د. ليلى فاروق عابدين



شعرية الخطاب في تلقي رؤيا الاغتراب في ديوان المهاجر للشاعر سرحان النمري

د. عمر أحمد الربيعات*

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢١ / ٣ / ١٠ م تاريخ قبول البحث: ٢٠٢١ / ٥ / ٣ م

ملخص

يناقش هذا البحث آليات شعرية الخطاب في تلقي رؤيا الاغتراب في ديوان المهاجر للشاعر الأردني المغترب سرحان النمري، وهي آليات كاشفة عن الدلالات النصية في الديوان، حيث عمد الباحث إلى تأويل النص (الديوان) من خلال الاعتماد على آليات التلقي التأويلية المعتمدة على شعرية الخطاب (شعرية العنوان، الجمل المفتاحية للقصيدة، الانزياح، التناص، شعرية السرد، رؤيا الاغتراب) جاعلا من هذه الآليات أدوات لكشف الرؤيا العامة التي تنتظم الديوان، من العنوان إلى آخر مقطع نصي فيه، إذ تشكل الديوان من قصيدة تسجيلية واحدة، حملت عنوان المهاجر، وشكلت رؤيا الاغتراب بؤرة النص ومبتغاه، حيث تدور صوره وبنيتة اللغوية والموضوعية ضمن هذه الرؤيا.

وقد حاول الباحث مناقشة هذه الرؤيا، وتأويل دلالاتها، وتبثير مقصدية الشاعر في إطارها من خلال تلك الآليات الشعرية التأويلية المفضية إلى تلك البؤرة الدلالية.

كلمات مفتاحية: التلقي، الانزياح، الرؤيا، الاغتراب، البنية النصية.

*أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها- كلية الآداب جامعة العلوم الإسلامية.

Discourse Poetry of Receiving the Vision of Alienation in Al-Muhajir Diwan by the Poet Sarhan Al-Nimri

Dr. Omar Ahmed Rbeihat

Abstract

This paper discusses the mechanisms of discourse poetry of receiving a vision of alienation in *Al-Muhajir* Diwan by the expatriate poet Sarhan Al-Nimri. These mechanisms are to reveal the textual connotations in the diwan, where the researcher intends to interpret the text (the diwan) based on the interpretive receptivity mechanisms relied on discourse poetry (i.e., poetry of title, key sentences of the poem, displacements, intertextuality, poetry of narration, vision of alienation). These mechanisms were made as tools to unveil the general vision that organizes the diwan, from the heading to the last paragraph of the text. Therefore, the diwan is composed of one textual poem, entitled by the immigrant, and the vision of alienation formed the core of the text and its objective, where its images and its linguistic and thematic structure revolve around this vision. The researcher attempted to discuss this vision, interpret its connotations, and focus on the poet's intent in its context through those interpretive poetic mechanisms that lead to that semantic focus.

Key words: Receptivity, Displacement, Vision, Alienation, Textual structure.

تقديم:

لا يجد متلقي النص الشعري لدى الشاعر سرحان النمري^(١) كد عناء في كشف عمق التجربة الشعرية منذ التلقي الانطباعي لتلك النصوص، وتزداد وثوقية التماسك النصي في ذاته عندما يسر غور هذه التجربة تحقيقاً وتحليلاً على مدى سنوات الإبداع التي شكلت رؤيا عميقة لدى الشاعر في نظره للكون والحياة، وكيثونة ثقافية أثرت النص (الديوان) بأدوات وتقنيات إبداعية في بناء نصه الشعري، المنزاح نحو نظرة إنسانية كونية تحاكي واقع العالم المأزوم، وأمنيات إنسانه في التحرر من قيود الغربة والتقييد النفسي الذي مارسه عليه مادية الحياة بالضغط عليه بعيداً عن الأحاسيس والعواطف الإنسانية البشرية العامة.

تتغيا هذه الدراسة نظرة نقدية كاشفة لديوان سرحان النمري (المهاجر)، مقدمة مادة نقدية لتلقي هذا النص الشعري، الذي يعد ذروة سنام التجربة الإبداعية لدى الشاعر سرحان النمري، من خلال الوقوف على الأبنية الشعرية والرؤيا الموضوعاتية لهذا الديوان، وبالتالي على شعرية الخطاب في تلقي النص، والتي يمكن أن يلج من خلالها قارئ الديوان إلى الرؤيا المفضية له، والبناء الفني الذي أسس عليه.

عمد الباحث في تقسيم هذه الدراسة على بعض أدوات الخطاب في تلقي الرؤيا الشعرية التي بني عليها الديوان، وهي أدوات حدائية من أدوات نظرية التلقي والتأويل، إذ حفل الديوان بهذه العناصر البنائية المكونة للنص، والوظائف التي تقوم بها هذه العناصر في تلقيه وفهم دلالاته، وارتباطها جميعاً في شعاع واحد يعمل على تسليط الضوء على التجربة الشعرية للشاعر، وجلاء الرؤيا التي يكتنزها النص الشعري، وقد تم تقسيم البحث إلى الشعريات الآتية: (شعرية العنوان، الجمل الشعرية الأولى (الاستهلال الشعري)، الانزياح، شعرية السرد، التناص، رؤيا الاغتراب) في محاولة لربط هذه الشعريات في الرؤيا العامة للديوان (رؤيا الاغتراب) التي تنظم هذه الآليات البنائية التي تشكل منها المبنى الشعري. منطلقاً من أن الشعرية تتمثل في دراسة الصيغ والبنى المكونة للنص الشعري، التي تحمل في طياتها الخروج على معيارية الخطاب اللغوي إلى الخطاب المنزاح جمالياً وإبداعياً، وإن كان مفهوم الشعرية ما زال حتى اليوم لم يخضع لقوانين نقدية ثابتة متفق عليها لدى النقاد، إلا أنها لم تخرج عن مفهوم الإبداع والخلق اللغوي لدى الأديب.

شعرية العنوان:

ونلج في تحليلنا هذه الآلية البنائية من مقولة (رولان بارت) بأن "العنوان يفتح شبهة القراءة"^(٢)، لما يحمله من أبعاد دلالية مرتبطة برسالة النص من ناحية، وما يحدثه من صدمة للمتلقي من ناحية أخرى، إذ إن " دلالة العمل هي نتاج تأويل عنوانه"^(٣) فهو أول نص يواجهه القارئ، وبالتالي لا بد من دخول آمن للمبنى النصي الشعري الذي يليه، وهذا يتناسب مع مقولة " أن عنوانا ما سيؤثر في تأويل النص الذي يليه"^(٤) كما أن العنوان " يحدد اتجاه القراءة ويرسم احتمالات المعنى ويختصر حكمة القصيدة"^(٥) وكلما كان العنوان داهشاً للمتلقي، كان أكثر امتاعاً وجذباً للدخول في مكامن تلقيه وتأويله، والعنونة ليست فعلاً ساذجاً أو أمراً اعتباطياً خارجاً عن الرؤيا أو المقصدية التي يريد الشاعر، ولا تتم عملية وضعه على نحو ما دون النظر إلى فعل القراءة وما تحمله من وظيفة بنائية للنص، فوضع العنوان على نحو ما " يحدد يوجي ويمنح النص الأكبر قيمته"^(٦) فهو جزء أساسي ومكونٌ بنائيٌ في جسم النص (الديوان) لا يمكن إغفاله أو تجاهله.

وعلى هذا التأسيس فإن عنوان ديوان المهاجر لسرحان النمري يشي بأبعاد دلالية كاشفة لحفريات النص الذي بني على مساحة البياض في مائة وثمان وعشرين صفحة، إذ يعد الديوان من القصائد التسجيلية، التي تتوشح بعنوان واحد ينتظم مفاصل القصيدة جميعها، وتدور كل أفلاكها في مركزه، إذ يسجل الشاعر مجموعة من الأحداث التي صادفته في رحلة الاغتراب منذ أن قرر الهجرة إلى منتهى نتائج هذا القرار.

وإن من يطالع هذه القصيدة الإنسانية التسجيلية، يدرك مدى ارتباط عنوانها بمرافق النص وأعضائه، إذ شكل معها جسماً أدبياً متكامل الدلالة من ناحية، وبؤرة بنائية لانسجام النص واتساقه من ناحية أخرى، لا بل يختزل التجربة الشعرية التي يعبرها سرحان النمري عن هجرة الروح والجسد، " كما يمكن اعتباره نصاً منجزاً يختزل الخطاب، مشحوناً بالإيحاء المشكل لبنيته الكلية، بل يمكن اعتباره خطاباً مجسداً لوحدة النص، ومؤطراً للرؤيا، وراسماً لمشروع فكري مقصود"^(٧) تتجلى فيه معاني الغربة عن وطنه مكانياً، وتجربة الاغتراب النفسية التي عايشها وعانها في رحلة البعد والنأي عن الوطن على مدى ثلاثين عاماً قضاها في المعاناة الروحية، حيث الاغتراب الروحي في عصر أصبحت المادة فيه هي عصب روحه وحياته لشاعر يحمل في طيات نفسه أبعاداً إنسانية عميقة من جهة، تمثلت في بساطة العيش وسهولة الحياة وصدق المشاعر بعيداً عن الزيف المادي التقني والتعقيد الآلي الذي يجتاح مساحات العصر، مما يجعل الشاعر يعيش غربة حقيقية مع عصره،

ومن جهة أخرى، فإن العنوان يتماهي معه في الانفصال الدائم والهجرة المتكررة ومفارقته لوطنه وسكنه، وتبدي كواشف الذات (المهاجر) المغترب من خلال معرفتنا لرحلة الشاعر تطوفاً شرقاً وغرباً لتحط به رياح الحنين إلى وطنه الذي عشقه، وتاقت نفسه إلى الاستقرار فيه، ومن هنا فإن العنوان الذي تمثل في كلمة واحدة (المهاجر) على صفحة الغلاف، حمل بعداً دلالياً مفتوحاً واسعاً وإيحاء متعدد الاحتمالات لهذه الرحلة، لا بل حمل "استراتيجية إغرائية قادرة على شدّ انتباه القارئ وحمله على المتابعة، رغبة في التواصل والاستكشاف (لذة الكشف)" ^(٨) إذ حملت كلمة المهاجر المفردة المعنونة بها الديوان معاني متعددة ربما لا تجتمع في غيرها من المفردات القريبة في التعبير منها، فلو أخذنا كلمة (المغترب) مثلاً عنواناً للديوان، فإنها أقل إيحاء، إذ ربما تكون الغربة نفسية حتى والشاعر في وطنه، أو غربة ثقافية، أو حضارية دون أن تحمل معاني الهجرة المكانيّة؛ أي البعد عن الوطن، وكذا الأمر لألفاظ من مثل المعاناة والتعب والنأي والبعد، التي تتحقق جميعها في لفظة المهاجر التي نهضت بعنوان الديوان، ومن هنا تأتي أهمية العنوان التي "يعاني الشاعر في خلقها أضعاف ما يعانيه في قول القصيدة ذاتها" ^(٩) كونه العتبة الأولى التي يواجهها المتلقي.

والحقيقة أن عنوان (المهاجر) قد شكل معادلاً موضوعياً لذات الشاعر، إذ اختزل فيه تلك السنوات التي قضها بعيداً عن وطنه، جاءلاً من العنوان الصفحة الأولى لقراءة خيبات الأمل التي واجهته ومعبراً في ذات الوقت عن اعتصارات الذات وآلامها ومكنونات نفسه، فما المهاجر الذي عنون فيه الديوان إلا ذات الشاعر، وإن لم يصرح الشاعر به، تاركاً للمتلقي إدراك هذا التوازي الدلالي بين العنوان وذاته، حيث توسل الشاعر الأسلوب السردى من خلال راوٍ كلي العلم، يسرد على لسانه رحلة المهاجر منذ أن حمل أمتعته وحقائب سفره في رحلة الاغتراب، وهنا يبرز دور المؤول في اكتناؤه دلالاته وسبر غور الرؤيا التي حملها، ونحن نعلم أنه "ليس في وسع النص أو العنوان معاً أن يخلقا نصاً دون المتلقي، الذي يخلق القصيدة بفعل تأويلاته" ^(١٠) فهو القادر على الكشف والتحليل وفك مغاليق شيفراته البنائية والدلالية، من العنوان إلى متنونه الداخلية، وصولاً إلى البنية الكلية، وبالتالي إعطاء النص قيمته الأدبية والفنية.

ومن هنا فإن عنوان ديوان المهاجر قد شكل بؤرة التلقي ومدار السرد الذي انتظم مفاصل الديوان جميعها، وإن من يطالعه، يدرك إمكانية الشاعر وقدرته في تبئير هذه الرؤيا والدوران حولها من المقطع الأول إلى أن يلفظ الديوان آخر صوره وإيحاءاته الدلالية، حيث تحضر معاني الهجرة والاغتراب وما عاناه المهاجر في رحلة

هجرته في مفصل القصيدة جميعها، منذ أن اتخذ قرار الهجرة في استهلاله الشعري ومشاهد الوداع، إلى صور المعاناة والتعب والذل الذي واجهه، وهي صور متلاحقة في المبني الشعري للديوان.

شعرية الاستهلال الشعري:

وهي آلية خطابية شعرية لا تقل أهمية في القصائد التسجيلية عن شعرية العنوان، فهي مفتتح البناء النصي والتأويل لما بعد العنوان، ومن هنا تأخذ أهميتها في المبني النصي وتشكله، حيث "يعمد الشاعر عادة إلى استجماع بعض تصورات ورؤاه في جمل محددة من النص، تضيء في أنحاء متعددة التجربة، وتمثل أمارات تشير إلى موقف المبدع من الأشياء، وتحمل مواقف مهمة من الرؤيا التي يريد التعبير عنها"^(١١) وفي ديوان المهاجر ينفتح ستار النص على تلك الجمل الاستهلالية الشعرية والألفاظ التي تكتنز بدلالات مفتاحية كاشفة عن رحلة المهاجر، وهي نص مواز للعنوان في هذا الديوان، وربما تصلح أن تكون حاشية من حواشي العنوان التي يقدم بها الشاعر نصه الشعري، فهي أداة أخرى للتلقي لا يمكن إغفالها أو تحاشيها، تلقي بظلالها على الرؤية التأويلية، "وقد تختزل تلك الجمل تصورات كلية واسعة، تركز الضوء على نقاط مفصلية، ومنعطفات حادة في وعي المبدع وتجربته، وعندئذ يبني توقعاته استنادا إليها، بوصفها أدوات وأساليب تحمل الرؤيا التي يعيها القراء"^(١٢) وبالتالي تسهل على القارئ إدراك مقصدية المبدع من نصه، وبناء رأي تأويلي ناهض برؤيا المبدع التي انطلق منها في استهلال نصه.

يقول سرحان النمري في أول جملة مفتاحية من الديوان تلت العنوان مباشرة:

رجلٌ يحملُ أمتعته

وحقائب سفرٍ

كالطيف يحاصره الخوف من القادم

والساعة تندو من آخرها

والقمرُ الأفلُ يبكي دمعا في الخفية.^(١٣)

يدرك المتلقي لهذا الاستهلال الشعري ارتباطه بالعنوان من ناحيتين، الأولى صورة الرجل الذي يحمل أمتعته وحقائب سفره، وهي أدوات الهجرة لأي مهاجر، فيها زوادة أيامه الأولى، وما يستر عورة عريه بداية غربته من هجرته، وربما يتبادر إلى ذهن المتلقي أن هذه الهجرة طوعية، إلا أن الصورة الأخرى وما يتبعها من تفاصيل لحياة المهاجر وحالاته، يكشف عن رحلة قسرية، ويتبدى ذلك من خلال هاجس الخوف الذي يحاصره من المصير المجهول، ومن الأمور اللافتة في هذا المقطع تنكير الشاعر لماديات السفر (رجل، أمتعة، حقائب، سفر) وهي ألفاظ يجهل مصيرها المستقبلي، حيث إنها ذاهبة إلى المجهول، بينما نجده يعرف ألفاظ الشعور المحتوم الذي سيواجهه في طريق اغترابه (الطيف، الخوف، القمر، الساعة) وهي ألفاظ استقبال متناغمة مع الحال الشعورية للشاعر، بمعنى أن الشاعر قد استشعر طيف الغربة والخوف والقمر الأقل والساعة الأخيرة من السفر، فأصبحت الماديات ليس ذات قيمة أمام مشاعر الاستقبال التي ستواجهه.

وإذا ما نظرنا في ألفاظ المقطع الشعري، فإنها تكشف هذا الشعور (فالطيف، والخوف، والقمر الأقل، والبكاء، والخفية) ألفاظ تحمل دلالة واضحة لضبابية الرؤيا المستقبلية التي يتوقعها الشاعر، وهي دلالة كاشفة للتغيب والاعتراب، وهو شعور إنساني عام يعيشه أي مهاجر، حيث يقف بين خيارات الحيرة والتوجس في آخر ساعة من قرار الرحيل، حين استنطق المكان بكل تجلياته ومكوناته حزناً وتأنياً وحسرة على الهجرة والفراق، يقول:

قراؤُ الهجرة مغمور

عتبات الدار تؤنّبهُ

وصريز الباب أنين

.. ..

ليثم صورته الشخصية في ماء الجدول

وعلى حقائق الأبواب المرسومة

مثل شقوق في الأرض العطشى

تاهت في الصدمة رائحة العنمة^(١٤)

يمعن الشاعر في هذا المقطع الشعري في تأكيد رؤيا التغيب، إذ تظهر دلالات الغياب والهباء وانمحاء الذات، وهذا سبيل المهاجر، فصورته في ماء الجدول صورة متشظية مكسرة، حيث ماء الجدول الجاري، الذي يعكسها على هذا النحو البصري خلافاً لانعكاس الصورة في الماء الراكد، الذي يظهرها بكامل استوائها حاملة لأبعاد الجسد بكل وضوح، كما أنها صورة تحمل معاني التبدد والضياح، فلا دوام للذاكرة فيها، إذ ينطفئ بريقها حال اختفاء صاحبها، مما يدعو إلى الخوف والتوجس من النسيان، ناهيك عن أنها ستغيب في شقوق الأرض العطشى، وهي صورة أخرى تشي بدلالات التغيب والاختفاء واندثار معالم وجوده في المكان، حيث معاني العتاب والتأنيب على قرار الهجرة، ناهيك عن أنات المودعين المودعين على فراقه، إذ أعطى المكان هذا الدور نيابة عن أهله، إمعانا وتأكيداً لصورة الغيبة التي تنتظره، ولا يخفى ما تحمل هذه الجمل الاستهلالية من بوح الذاكرة لذلك القرار من ناحية أخرى، وهي جمل حملت الصورة الأولى من سيرة المهاجر في الديوان.

وإذا ما أنعمنا النظر في هذه الصور المفتاحية للنص أدركنا ارتباطها العضوي بالعنونة المجتزأة في لفظ واحد (المهاجر) وكأن العنوان سوار يحيط بمعصم النص، ويخلص كل تجلياته.

شعرية الانزياح:

وسينحصر الحديث على هذه الآلية التأويلية (الانزياح) دون الأدوات الأسلوبية الأخرى كون المقام لا يسعف لمناقشة موضوعات الأسلوبية جميعها، إذ يحتاج ذلك إلى بحث منفصل ومفصل، يعالج تجليات الأسلوبية في هذا الديوان، والانزياح ملمح أسلوبى حديث، يتمثل بالعلاقات الإسنادية للأفعال والضمائر وغيرها من مكونات الجملة البلاغية، بحيث تخرج دلالات الألفاظ عن معانها المعجمية أو معيارية التعبير اللغوي، الذي عده (جون كوهن) شرطاً من شروط الشعرية^(٥) باعتباره خرقاً في بنية النظام اللغوي المتعارف عليه، من خلال العلاقات الاستبدالية للألفاظ في الجملة الشعرية، وخروجاً على المألوف للاستعمال اللغوي العام المتعارف عليه، بحيث تخرج الألفاظ والمفردات اللغوية عن الصيغ المعجمية.

وما أن تستفتح ديوان المهاجر، حتى يواجهك في صفحته الأولى سيل من الانزياحات الدلالية، التي تظهر حالة الشاعر النفسية والواقع المأزوم الذي يعيش، إذ "يستمد المبدع قوته الإبداعية من حقيقة تكوينه ومن واقع ظروفه، فيجهد ذاته في الغوص إلى جوهر الحقائق التي غالباً ما تكون معتميات على غير المبدع، فالإبداع

يستحضر ما في الوجود كما هو مستقر في وجدان المبدع" ^(١٦) والواضح أن الشاعر منزاح في هذا الديوان إلى الحنين لوطنه، وهو يعاني قساوة غربته، يقول:

والقمرُ الأقلُ يبكي دمعا في الخفية

والأنظارُ تودعه

قرازلُ الهجرة مخمور

عتباتُ الدارِ تؤنبه

وصيرُ البابِ أنين

.....

وعلى حقائق الأبوابِ المرسومة

مثل شقوق في الأرض العطشى

تاهت في الصدمة رائحة العتمة. ^(١٧)

لقد أسند الشاعر في هذا المقطع الشعري الذي افتتح به ديوانه مجموعة من الأسماء والصفات إلى أفعال لا تتوافق في دلالتها مع معيارية الاستعمال العام للغة، وإن كانت "اللغة المعيارية هي التي تشكل الخلفية التي تعكس الانزياح الجمالي المتعمد للغة الشعرية، فوجود اللغة الشعرية- إذن- مرتين بوجود هذه اللغة المعيارية" ^(١٨) وهذا ما أحدث مفارقة في التلقي، أو خيبة التوقع الدلالي لدى المتلقي، قاصدا "صرف نظره بعيدا عن الدلالات المرجعية للكلمات" ^(١٩) بحيث تلبس الألفاظ والكلمات معاني جديدة بعيدة عن الاستعمال التراثي اللغوي لها، وفي هذا كسر لأفق التوقع لدى المتلقي، إذ إن إسناد البكاء للقمر الأقل قد أحدث غرابية في الاستعمال، ذلك أنه لا يتوافق مع معيارية الإسناد للقمر، مما أحدث خيبة في التوقع لدى المتلقي، فالمتوقع مثلاً (القمر الأقل مضيء أو معتم أو بدر) أما أن يسند له البكاء، ففي الأمر غرابية وضبابية، وعتمة في فهم مقصدية الاستعمال، وتزول هذه الغرابية أو الضبابية عندما ندرك أن القمر الأقل هو المعادل الموضوعي للمهاجر الباكي على فراق وطنه وأهله وناسه، وربما تزول مظاهر الدهشة من خلال الانزياحات الأخرى المسندة إلى أفعال بعيدة في التوظيف، بإسنادها إلى مكونات المكان الذي عاش فيه المهاجر، والتي شكلت معادلا

موضوعيا للمودعين، الذين لا يقل بكاؤهم عن بكاء المهاجر (عتبات الدار تؤنبه، وصريير الباب أنين) وهنا نلاحظ إسناد الأفعال الإنسانية إلى الجماد في فعلي التأنيب والأنين، مما أحدث مفارقة دلالية أخرى، ليأتي فعل التأويل في إزالة الدهشة، والحقيقة أن هذين الفعلين ما هما إلا مشاعر المودعين، التي حملت معاني البقاء والثبات في المكان لعتبات الدار وصريير الباب، والحركة والرحيل للمهاجر المتمثل بـ (القمر) الذي لا ثبات لحركته ولا دوام لبقائه، فهو أقل على الدوام.

أما النوع الثاني من الانزياحات ففي العلاقات الإسنادية بين الصفات والأسماء، وهو توظيف شائع في التراكيب الانزياحية الإسنادية، إذ أسند الشاعر في المقطع السابق مجموعة من الصفات إلى أسماء انزاح بها عن دلالة استعمالها المعياري، حيث أسند كل من (المخمورة، والرائحة) إلى غير المألوف في الاستعمال العام للفظتين (قرار الهجرة، والعتمة) على التوالي، فكيف يكون القرار مخمورًا؟ وللعتمة رائحة؟! إن استعمالات كهذه فيما يسمى تراسل الحواس يشي بنوع من التعمية وغرابة التوظيف، وإن زوال هذه الحالة الضبابية من عسر الفهم مقترون بالحالة الشعورية التي تجتاح المهاجر، وهذا ما باحت به تجربة سرحان النمري في هذا المقطع الشعري، إذ القرار صادر في حالة من التيه وعدم التركيز الذي يجعل الحواس متناوبة في تمثل تلك الحالة من البصرية إلى اللمسية إلى الشمية، وهي حالة انعكست على الاستخدام اللغوي الشعري، الذي أبان مدى الحيرة وضبابية القرار وانعدام التركيز لدى المهاجر.

وفي معرض حديثه عما يواجهه في غربته من صعب ومتاعب، نجده يصور حالة الألم النفسي التي يعانيها، مساوياً بين حبات الغيث والدمع الحارق المتحدر على وجنتيه، يقول:

يتساوى في مقلتيه الدمعُ

وحبات الغيثِ

وتنزُل دافئةً تجرُّ خديهِ

ويتابع درِّبًا موحشةً

موجوعًا

حيرانًا كالأعشى يتلمسُ خطوتهُ (٢٠)

تكمّن المفارقة الدلالية في هذا المقطع في أمرين: الأول في تساوي الدمع مع حبات الغيث، وهما مادتان مائتان؛ إلا أن الأولى مقترنة في أغلب الأحيان بالحزن والقهر والانكسار، والآخر بالخير والعطاء والنماء، وهذا ربط في علاقات جديدة بين أشياء ليس بينها رابط، فكأن الشاعر إذا أراد معنى يضع كلاماً يوجي إلى معنى آخر^(٢١) وقد تمثل ذلك في المقطع السابق، إذ أراد أن يصور حالة تحصيل الرزق وهو الخير المقرون بالذل وانكسار النفس والحزن والدموع، والثاني في استخدامه عبارة (وتنزل دافئة تجرح خديه) إذ أسند فعل إحداث الجرح إلى الدمع، وهو فعل ليس من صفات الدمع، وإنما أراد من ذلك، الانزياح بالمعنى إلى وصف شدة الألم الذي تحدثه حالة البكاء والذل الذي يواجهه، ونحن نعلم أن المبدع يسعى دائماً إلى "استثمار الطاقات التعبيرية الكامنة في طبيعة اللغة العادية، التي لا تستثمر لغير الأغراض الجمالية الفنية"^(٢٢) ليعبر من خلالها عن الحالة النفسية الراهنة وتصوير واقعه المجرى على السير في دربه رغم الوجد والإحساس بالغربة والضيق.

وفي موضع آخر يصور الشاعر ما آلت إليه ذاته من خيبات في تجربته، وتحطم لآماله التي كان يرنو إليها، ولحساباته التي أفاق عليها بالخسران، يقول:

حين أفقت من الصدمة موجوعاً

وصمتك الخيبة بالخسة

وحسابات الربح

فكان الخسران هو الأكبر^(٢٣)

لم يقف الشاعر على صورة الخيبة في هذا المقطع الشعري حسب؛ بل انزاح بهذه الصورة إلى أبعد من المعنى الظاهر لها، إذ أعطاها صفة إنسانية، وأصبغ عليها ميزة إحيائية (وصمتك الخيبة بالخسة) والخيبة صفة تحمل معنى عدم تحقق أمر ما، فكيف بها تصم الشاعر بالخسة؟ وتخرج عن مدلولها المألوف باللغة العادية! لا يمكن أن نجد سبيلاً لتأويل هذا الانزياح إلا باعتبار الخيبة شعوراً ملازماً للشاعر، أشعره بخسة ذاته وخسرانه لكل رهان من هجرته، فخرج بهذه الصورة المزاحة في دلالتها الأشد قوة للتعبير عن حالته الشعورية التي يمر بها، فجاء الانزياح "لإخراج اللغة من المعاني المعجمية الضيقة، ومن لغة الخطاب العادية، إلى لغة تتحول عنها

لتصبح أكثر عمقاً وإيحاءً^(٢٤) في التعبير عن مكونات الذات المبدعة، التي تطوع اللغة من المعجمية المألوفة إلى لغة مزاحة خارجة عن النظام اللغوي المعتاد.

وأخر هذه الانزياحات التي سنختتم بها هذه الآلية الشعرية، تلك الصورة البيانية من التشبيه التمثيلي لحالة التيه والاعتراب الذي يعيشه الشاعر، إذ إن تتبع انزياحات الديوان بحاجة إلى دراسة مستفيضة متخصصة، - وهو جدير بذلك- كما أن مساحة السواد الممنوحة لهذه الدراسة لا تسمح بمعالجة الانزياحات الأسلوبية في الديوان جميعها، لذا اكتفى الباحث بما يتناسب مع الرؤيا العامة لتلك الانزياحات، يقول:

وعلى حدقات الأبواب المرسومة

مثل شقوق الأرض العطشى

تاهت في الصدمة رائحة العتمة^(٢٥)

إن هذا المعطى التأويلي التالي لهذا المقطع القصير نسبياً، والمكتنز بدلالات معنوية عميقة، يكشف مدى الحالة الشعرية التي يعيشها المهاجر من ناحية، والمهاجر عنهم من ناحية أخرى.

وإذا ما أردنا الولوج لتأويل هذه الصورة، لا بد بداية من تفكيك فسيفساء هذا المقطع، لنصل إلى دلالة المفارقة الحاصلة في القراءة الأولى للمقطع الشعري، فالمكون اللغوي للمقطع الشعري متباعد الحقل الدلالية اللغوية (حدقات، شقوق الأرض العطشى، الصدمة، رائحة العتمة) فالحدقات من حقل إنساني، والأبواب حقل حضاري، وشقوق الأرض من حقل الطبيعة، والعطشى والرائحة والعتمة من حقل إنساني حسي، كما أن المكونات الثلاثة الأخيرة من حقل حسية مختلفة، فالعطش إحساس شعوري، والرائحة شمعية، والعتمة بصرية.

إن اجتماع هذه المكونات في الصورة الشعرية دليل على القدرة المعجمية القوية للشاعر من ناحية، والقدرة الفنية في جمعها في معطى لغوي دلالي من ناحية أخرى، ونحن ندرك أن الانزياح "إما خروج عن الاستعمال المألوف للغة وإما خروج عن النظام اللغوي ذاته"^(٢٦) ولكن كيف نجمع مثل هذه المكونات المتباعدة في الحقل اللغوية والدلالات في صورة فنية واحدة؟ وإذا ما أنعمنا النظر في هذه المكونات ضمن رؤيا الذهول من قرار المهاجر، والتغيب الحاصل لعقلانية القرار، فإن غرابة التشكيل اللغوي تتبدد لصالح الرؤيا. إذ تنماهى

الجمال التصويرية جميعها في هذه الرؤيا، فحدقات الباب (فتحاته) مرسومة لا على الحقيقة، وهي متسعة إذ يوازنها في التعبير شقوق الأرض العطشى المتسعة أيضًا، إذ إن فعل العطش يحدث فيها هذا الاتساع البائن، وإذا ما ربطنا ذلك بتوهان الصدمة التي تتزامن مع قرار الهجرة من ناحية، ومع ما يحدثه من اتساع في عيون متلقي قرار الهجرة، فإن مكونات الصورة تصبح مألوفة عادية، وإن سماع قرار الهجرة الذي أصاب المخبرين بالدهشة والصدمة وسع حدقات عيونهم لتصبح كالأبواب أو كشقوق الأرض العطشى الواسعة في لحظة تاهت فيها الحواس عن محسوساتها الطبيعية كما ذكرنا سابقًا.

شعرية الرؤية السردية:

ونقصد هنا بشعرية السرد، تداخل الأجناس الأدبية في النص الأدبي الواحد، إذ يصبح الشعري سرديًا، والسردي شعريًا - وهكذا - ومن المعلوم أن النصف الثاني من القرن العشرين "قد شهد انفتاحًا على الفنون الإبداعية، وكان الشعر واحدًا من الأجناس الأدبية التي واكبت هذا الانفتاح، وصار بإمكان المبدعين اقتحام عالم السير الذاتية الشعرية^(٢٧) ومن ثم أصبحت القصيدة عبارة عن تجربة حياتية يروي فيها الشاعر معاناته وأحداث حياتية عاشها وعانها وأحس بها، فتظهر "الذات الشعرية الساردة بضميرها الأول متمركزة حول محورها الأنوي، ومعبرة عن حوادثها وحكاياتها عبر أمكنة وأزمنة وتسميات لها حضورها خارج ميدان المتخيل الشعري، وقد يتقنع الضمير الأول بضمائر أخرى حسب المتطلبات والشروط التي تحكم كل قصيدة سير ذاتية"^(٢٨) وعلى هذا التأسيس، فإن أول ملمح يمكن أن نلاحظه من ملامح التلقي لديوان المهاجر، هذه السردية الواضحة في هذا الديوان الذي يقوم في مبناه الفني والمضموني على السرد وأدواته وآلياته المعهودة، حيث يعد الديوان سيرة سردية منتظمة منذ انفتاح ستارة القص على حكاية المهاجر، الذي يحمل حقائب سفره وأمتعته، إلى قرار الهجرة وانفعالات المودعين وهواجس المهاجر المستقبلية، وما يواجهه في رحلة الهجرة، إلى منتهى الخطاب الحكائي الذي يختتم به ديوانه، ولا غرابة في هذا المنحى الفني الذي تناول فيه سرحان النمري بناء ديوانه، إذ جعله نصًا واحدًا متتابع الصور والمشاهد والأحداث والحكايا والمقاطع والدفقات الشعرية تحت عنوان واحد، حيث مثلت كل صورة شريحة أو مرآة من مرايا الحياة وهجرة الإنسان في فضاء وجوده.

وإذا ما أنعمنا النظر في نص المهاجر، كون الديوان قد بني في نص واحد، فإننا أمام أول آلية سردية متمثلة في الراوي كـلي العلم (الراوي العليم) كما يصفه (جان بويون)، والذي تمثل في الذات الشاعرة الساردة لما واجهته

من أحداث، إذ يفتح ستار السرد الشعري على صورة المهاجر الذي يحمل أمتعته وحقائب سفره في الصفحة الأولى من الديوان، وهي الصورة التي تم مناقشتها آنفاً، لتتوالى بعد ذلك أحداث الهجرة وسيرة المهاجر.

والراوي هنا هو الراوي الضمني أيضاً الموازي للمؤلف، الذي ناب عن الشاعر في البناء السردى الشعري، لتتوالى المشاهد والوقفات الوصفية والأحداث والحوارات على مدى مساحة السواد في القصيدة، فهو المتحكم في جميع الخطابات الداخلية في النص، وهو المحرك للسرد الشعري، والمتحكم في الدفقات الشعورية، فهو من يستنطق الأشياء ويتحكم في مشاعرها، ويتنقل في سرد رحلته بين أنواع الرواة، فمرة يكون كلي العلم، ومرة مشاهداً، وأخرى مشاركاً، وهكذا، فهو تنقل مقصود ما بين ضمائر الغيبة والحضور، يقول في أحد مقاطع القصيدة:

كَانَ الشَّاهِدُ يَتَمَنَّى

فِي خَارِطَةِ النُّشُوءِ

وَيَسْجُلُ فِي دَفْتَرِهِ أَدْعِيَةً لَوَعُودِ

غَيْبِهَا الْجَفْنُ الْغَافِي^(٢٩)

وقد تمثل الراوي في هذا المقطع براو مشاهد، وشاهد على الأمان والطموحات التي كان بينها ذلك المهاجر على دفتر رحلته، إلا أنها أمان مغيبة لم تتحقق إلا في مخيلته، ويتحول أحياناً إلى راوٍ راصد، يرصد الأحداث ويصفها، ويطل على الماضي في مقاربات نصية للحالة الشعورية التي يعيشها، يقول:

كَانَتْ سَالُومِي عَاهِرَةً الْقَصْرِ

تَرِيدُ الرَّأْسَ وَتَطْلُبُهُ مِنْ سَيِّدِهَا الْقَيْصَرِ

فِي حَاضِرَةٍ لَا يَعْرِفُهَا الْمَنْطِقُ^(٣٠)

وفي هذا الرصد يتماهي مع واقعه المأزوم، الواقع بين حالة المتريصين المتأمرين المتمثل في شخصية (سالومي) وحالة الغربة والضعف التي يعيشها المتمثلة في رأس (يحيى المعمدان) إمعاناً في الغربة الروحية، ونجده في كثير

من الأحيان يصف حالة المهاجرويحاوره (راؤ مشارك) فيدخل إلى مكنونات ذاته، يقول في أحد مفاصل القصيدة:

كُنْتُ تَغْنِي أَنْشُودَةَ بَحَارٍ أَحْيَانًا

وَكثيرًا مَا كُنْتُ تَدَاعِبُ أَوْتَارًا أَوْ نايًا...^(٣١)

وقد جنح في مستوى الخطاب في هذا المقطع إلى ضمير المخاطب (كنت) والحقيقة أن المخاطب ما هو إلا ذات الشاعر الحاملة بتحقيق أحلامها وآمالها من تلك الغربة.

وهكذا نلاحظ من هذه الأمثلة أن مستوى السرد يقع في البؤرة الصفيرية التي يتحكم فيها ذلك الراوي، الذي يتجول في هذه الدرجة الخطابية من راوٍ كلي العلم، يسيطر على مجريات الأحداث، ويوجه الخطاب كيفما يشاء، إلى راوٍ مخبر عن نفسه (راوٍ من الداخل) إلى راوٍ مشاهد، يشاهد الأشياء ويصفها ويتحدث عنها، وهكذا تتعدد مستويات السرد في النص الشعري الواحد، مضمناً هذه المستويات أحداثاً وصوراً وصفية للمكان بدءاً ببيتته الذي غادره، وصولاً إلى مكان هجرته في أمريكا، ومن يطالع هذا الديوان، يجد هذه المستويات جلية في ثنايا النص الشعري.

شعرية التناسخ:

وهو مصطلح فضفاض، يحمل في حبوته التنظيرية المحتوى اللغوي والثقافي للشاعر، في فسيفساء لغوية كما حددته (جوليا كريستيفا) في تنظيرها للمكون النصي، فهو يحمل المنطوق اللغوي للنص، والتجليات الثقافية فيه، إذ إنه منبثق عن "كل نص يقع في مفتوق طرق نصوص عدة، فيكون في آن واحدة قراءة لها واحتذاءً وتكتيفاً ونقلًا وتعميقاً"^(٣٢) للنص من ناحية، ولتجربة الشاعر من ناحية أخرى، بحيث يصبح النص ثرياً مغدقاً بالدلالات والإيحاءات "بكونه مرتبطاً بتداخلات من النصوص مما يجعله مشحوناً بتاريخ تضاعفي من السياقات الماضية والإيحاءات اللاحقة"^(٣٣) وإذا ما أجلنا النظر في ديوان المهاجروجدنا أنه يكتنز بمجموعة من المصادر النصية المتنوعة، إذ نجد حضوراً واضحاً للتناسخ مع التراث والأسطورة والدين، حيث تحضر قصص القرآن، والتاريخ العربي الإسلامي، والشخصيات الدينية المسيحية، واللغة التوراتية، والرموز الأسطورية، والحقيقة أن الشاعر في هذه التناسخات "يعرض الوقائع التناسخية أو الشخصيات الحاضرة في

النص بشكل تكون فيه جزءاً من النص، أو محوراً مساعداً فيه، تخدم القضية التي يطرحها^(٣٤) وتعزز الرؤيا التي ينطلق منها، ويدل هذا التنوع في مصادر التراث دلالة واضحة على ثقافة عالية، امتلك ناصيتها صاحب الديوان، فوظفها توظيفاً ناضجاً في ديوانه، ولا يسعف الباحث هذا المقام في تتبع هذه التناسبات والرموز جميعها، وإنما سيتناول أمثلة دالة على التناسبات الثقافية التي ميزت الشاعر في هذا الديوان، وهي تناسبات تتوافق مع الرؤية العامة للديوان، إذا تحضر (قصة سيدنا آدم وخروجه من الجنة، والعنقاء، وسالومي، وصكوك الغفران، وسد مأرب، وبلقيس، وقصة السبي، وعشتار، وأدوناي) وغيرها من التناسبات التي شكلت جزءاً هاماً في مبنى الديوان، يقول في أحد هذه التناسبات:

أَكَلِ التَّفَاحَةَ فِي سَاعَةِ يَأْسٍ

فَانْفَتَحَتْ أَبْوَابُ الْعَفَةِ وَالتَّارِيخِ

وَأَرْكَانِ النَّخْوَةِ

وَاحْتَدَّتْ فَرَمَتْ بَبَقَايَاهُ

لِإَرْضٍ تَبْعُدُ أَجْيَالًا عَنْ جَنَّتِهِ

وَهَوَى فِي الْغُرْبَةِ مَرْتَعَشًا

كَالْقَشَةِ يَحْمِلُهَا عَصْفُورٌ^(٣٥)

وعند استنطاق هذا التناص يظهر لنا قدرة الشاعر على توظيف الرمز (سيدنا آدم عليه السلام وخروجه من الجنة) وتطويعه لرؤيته، وهذا ما ظهر في المقطع السابق، إذ جعل خروج سيدنا آدم عليه السلام من الجنة معادلاً لخروجه من وطنه، فكلاهما اغتربا في لحظة غفوة لدى سيدنا آدم، ولحظة يأس لدى الشاعر، وابتعدا عن جنتيهما في مدن الغربة والنأي، ليعيشا حياة المعاناة والمكابدة في الأرض الغريبة، وهنا يربط الشاعر بين قرار سيدنا آدم -عليه السلام- في مخالفته لأمر الله عز وجل حين أكل من الشجرة المحرمة، وهو القرار الذي أبعده عن موطنه الأصلي (الجنة) لينزل إلى الأرض عقاباً له، حيث الكد والعناء، وقرار الشاعر في الهجرة عن وطنه، ليعيش حياة المعاناة والتعب في دروب غربته، وبهذا يقرن الشاعر بين خطيئة سيدنا آدم التي تشابهت مع خطيئته في البعد عن وطنه.

ويمعن الشاعر في تعميق حالة المعاناة والاعتراب من خلال توظيفه للغة التوراتية، التي يطلب فيها الصفح والمغفرة عن خطيئته في اتخاذ قرار الهجرة، حيث يقول:

أدوناي، أدوناي

اغفر لي ذنباً أو صلي حد الرحمة

.....

.....

وتهجرت بعيداً عن دنياي

أدوناي

أدوناي^(٣٦)

وأدوناي هو الرب أو السيد، والاسم المعظم لله عز وجل في الموروث التوراتي،^(٣٧) حيث يلفظ تنزيهاً للفظ الرب (يهوه) الذي يحرم التلفظ به استناداً إلى التعاليم التوراتية "لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً"^(٣٨)، يستحضره النمري في طلب المغفرة عن ذنب هجرته عن وطنه، جاعلاً من ذلك ذنباً عظيماً، يستحق طلب الرحمة والمغفرة، وإقامة الحد عليه لاتخاذ مثل هذا القرار. وهنا يبرز عظم الفاجعة التي يعيشها الشاعر، وأن هذا التوظيف لم يكن اعتباطياً، أو استعراضاً ثقافياً، وإنما لتصوير حالة الذنب والندم التي يعيشها الشاعر، ومن هنا استحضر اسم الله الأعظم التوراتي (أدوناي) طالبا منه المغفرة، وبِعَظْمِ الذنب في ذات الشاعر استحضر عظمتة، جاعلاً من الموروث الثقافي التوراتي متكاً له في بث شكواه، وربما استحضر الشاعر هذا الاسم الذي يعني (السيد) إمعاناً في شعور السيادة والعبودية التي تسود العالم من قبل السيد الأمريكي التابع للسيد اليهودي طالبا الصفح والمسامحة والرضى في عالم أصبح فيه الأمريكي كالرب (أدوناي) ومن هنا جاء التوظيف المختزل في ذاكرة الشاعر، وتسرب إلى عالم القصيدة من خلال اللغة أو الصور أو الأسلوب^(٣٩) وهي لغة موحية من خلال امتصاص الرمز التراثي، والتعبير من خلالها عن الحالة الشعورية التي يعيشها الشاعر.

والملاحظ أن النمري يخضع رموزه جميعها إلى رؤيا الغربة والهجرة، غربة الروح والفكرة في مجتمع مادي ليس لمبادئ الإنسانية ووحدة البشرية فيه أي قيمة أو وجود، ومن هنا وظف رمزيحي المعمدان، الغريب في عصره من خلال قصة مقتلته بتحريض من سالومي راقصة القصر^(٤٠)، يقول:

كأنت سالومي عاهرة القصر

تريد الرأس وتطلبه من سيدها القيصر

في حاضرة لا يعرفها المنطق

وغموض الهيبة حقد

وكراهية الغرباء

جئت غريباً

وسمؤك غريباً

ودخلت السرداب غريباً^(٤١)

ويدرك المتلقي ما في المقطع السابق من تركيز لغوي على معاني الغربة التي يعيشها الشاعر في بعده عن موطنه من ناحية، إذ هو في مجتمع يكره الغرباء ويحقد عليهم، هذا إذا ما عرفنا أن الشاعر-مغترب في أمريكا منذ عقود- واغتراب الروح من ناحية أخرى، إذ يعاني في مجتمع مادي ينافي في قيمه الروحية شرقية الشاعر وسمو قيمه وعاداته وأعرافه الإنسانية، ومن هنا وظف الشاعر قصة مقتل يحيى المعمدان، وهو الذي عانى غربة القيم والأخلاق في عصره أمام مادية الحياة وفقد الإنسانية لقيمها الروحية، إذ بات غريباً في مجتمع السادة والعبيد، بعيداً عن منطق الأشياء، وما يحيى المعمدان إلا الشاعر الذي يعيش هذا الواقع المحكوم بقيم الشهوة والمادية، وانعدام العدالة فيه.

رؤيا الاغتراب:

وهو الخطاب الذي يحمل رؤيا الديوان ، حيث تنتظم فيه مفاصل الديوان جميعها، ضمن رؤيا واحدة، توحد الرؤى التأويلية للديوان وتتموضع في بؤرتها المفوضية إلى الاغتراب، ففكرة الاغتراب هي الهاجس الذي

يسيطر على التجربة الشعرية فيه، يلح الشاعر عليها، وتظهر بين الحين والآخر على صفحاته، وقد تولد هذا الشعور من "عجزه عن التكيف الاجتماعي، وذلك للنشأة الاجتماعية التي تربى عليها، وشخصيته الواقعة تحت تأثيرات مادية أو معنوية أو طارئة، كانت سببا في الاغتراب"^(٤٢) وفي الحالة التي وصل إليها، والمعلوم أن المبدع يواجه مثل هذه الحالات النفسية غير مواجهة الإنسان العادي، إذ يستطيع تفريغ شحناته النفسية من خلال إبداعه "فاغتراب الموهوبين يمكن أن ينبع الشعر والرسم والفن والإنجازات الثقافية الراقية"^(٤٣) ومن هنا جاء بوح سرحان النمري عن تجربة الاغتراب التي عايشها، واللافت في هذا المنحنى أن الشاعر يتدرج في إيراد رحلة اغترابه منذ المفتاح الأول للديوان إلى أن يصل إلى النتيجة والمنتى إليها لهذه الرحلة، يقول:

غريبًا في المنفى

وغريبًا عن ذاتك في أرض الغرباء

وقلبك مزروعًا في التوهان

على الأرض السَّمرَاء.^(٤٤)

هذا نص صريح لاغتراب الشاعر عن وطنه في منفاه الاختياري، اغتراب المكان من ناحية، واغتراب الذات في أرض الغرباء من ناحية أخرى، إذ يتنازع الشاعر غربتان: غربة الوطن (الجغرافيا والتاريخ) وغربة الذات وهي الأشد قسوة وقوة على نفسه "فكلمة الاغتراب تستخدم لوصف الطابع الذاتي لتجربة مدمرة للذات"^(٤٥) حيث انفصام النفس عن ذاتها العربية الشرقية في مجتمع مادي، تحكمه الآلة والمنفعة، إلى أن أفضى هذا الاغتراب إلى (التوهان) في أرض يلفها لون القتامة وانسداد الرؤية، ومن الملاحظ أن هذا المقطع قد تضمن ثلاثة ألفاظ كشفت عن مكونات النفس الشاعرة (المنفى، الذات، التوهان) التي ارتبطت جميعها في شرنقة واحدة، هي الاغتراب في متواليات رياضية منطوقة، تسلم إلى نتيجة واحدة، إذ المنفى يسلم إلى غربة الذات، وغربة الذات تسلم إلى التوهان.

(المنفى. غربة الذات. التوهان)

إذا كان النص السابق صريحًا في إيراد معنى الاغتراب فإن الشاعر في مقطع آخر يظهر معنى الإذلال الذي تواجهه هذه النفس جراء هذا الاغتراب، وما تعتصره من ضياع وانكسار منذ أن حط في أرض الغربة، "حيث

يصبح من السلبية والفتور بمكان يوصله إلى حالة من العجز عن ترك أي أثر إيجابي، فقد وصل إلى مرحلة من اليأس أفقده الدافع إلى العمل والإبداع" ^(٤٦) ويظهر هذا المنحى النفسي جليا في كثير من مقاطع القصيدة، إذ يعامل المغترب كالأنعام التي تؤسم بوسم خاص حتى تعرف وتميز عن غيرها، فلا تختلط مع أنعام الآخرين، لا بل حتى يعرف المغترب فيكون تحت الأنظار والملاحظة والملاحقة، يقول :

مددتُ يديَّ كشاةٍ

وسمّوك بوشم الغربة

فتنازلت عن الزيتون

وحقل الدحنون

وطيب الزعتر

بعث الماضي

ورفات جنودك

والثأر من النكسات

وماء الوجه تبخر ^(٤٧)

تبدأ حكاية الانكسار والذل والمعاناة منذ أن سمحت لهم بوشم يدك، إذ هو إقرار بالتنازل عن كل شيء خلفك، (الوطن والماضي والتاريخ والثأر والحق) وبالتالي الانهزام والانكسار وفقدان الحياء -المتمثل بماء الوجه- والقيم التاريخية التي عشت عليها مقابل عرض مادي تستجديه وتطلبه ممن سمحت له أن يكون سيدا عليك، وتبدي هذه الرؤيا من خلال المقطع الذي يلي هذا المقطع الشعري مباشرة، وهي نتيجة حتمية لمن ارتضى الغربة.

ثم يسير الشاعر في وصف معاناته في الغربة بين كد وعمل وخوف وتوجس من القادم، يقول:

عملٌ .. عملٌ .. كدٌ .. كدٌ

والخوف من المجهول رقيق

والرعبُ من الجوعِ

ويهبُطُ من أطرافِ المنحدراتِ المنهوكَةِ

مملوكًا

سيدهُ الساحرُ يحملُ سوطًا

وكتابتًا دُونَ كُلِّ فصولِ الركعاتِ^(٤٨)

يفتح الشاعر المقطع الشعري بلفظين يدلان على مدى المعاناة والتعب (عمل، كدّ) مكرراً كل لفظ منهما بعد فراغ بصري بنقاط وهو حذف معلن إمعاناً بتصوير مدى المعاناة وشظف العيش الذي يواجهه في العمل من أجل لقمة العيش، في مشهد من الرعب والخوف على رزقه، حيث تحول إلى مملوك مستعبد من أجل ذلك في مجتمع خال من مبادئ الإنسانية والرحمة، في مجتمع يدعي المساواة والعدالة شعاعاً لا غير "فاللالمساواة بين الناس هي سبب اغترابهم الذاتي عند مصادرة كل حرية طبيعية بلا رحمة، وعند سيطرة المادية والثروة على حياة الناس"^(٤٩) يصبح الخوف هاجساً مسيطراً على ذاته، يقتات من جسده، وينهك أحاسيسه، ويبلد مشاعره، ليصبح كالمملوك الذي ينتظر أوامر سيده.

ويداوم النمري على تصويره هذه المعاناة، وما تحمله من معاني الإذلال والامتهان لإنسانية الإنسان في أكثر من مقطع شعري، في هذا النص التسجيلي، يخلص فيه النمري إلى نتيجة الخواء والفراغ الذاتي من هذه الهجرة في آخر سطر من الديوان، وكأنني به يعرض حياة الغربة والمغتربين عن أوطانهم، وهم يعتصرون المأوى، وقد أفضت حياتهم إلى الهباء والخواء الروحي من ناحية، والثقافي والحضاري من ناحية أخرى، حيث يقول:

مكتوبٌ فوقَ شواهدِ أجدادي

أن دمارَ بلادِي رهْنُ الجهلِ

ومفسدةُ الحراسِ وطروائِثُها أحصنةُ

الفتنِ

مكتوبٌ من يهجُرُ بيتًا أو وطنًا

يقضي في البعد بلا ثمن^(٥٠)

ولا يخفى ما في المقطع الشعري من إدانته للواقع العربي الذي يقبع في غياهب الجهل على مستويات السلطة والشعب والمؤامرات، وأن من هجر وطنه طالباً التغيير، لم يجد سوى البعد والنأي دون أن يحقق شيئاً أو يجني ثمناً.

الخاتمة:

فقد خلص الباحث إلى أن ديوان المهاجر لسرحان النمري، قد حمل رؤيا الاغتراب وتجربة المعاناة والنأي، منذ العنوان المفضي إلى تلك التجربة الاغترابية، كما ظهر ذلك جلياً في مفاصل البحث جميعها، حيث انتظمت هذه الرؤيا في خيط واحد، يشي بمعاني النأي والبعد والحزن والكد والمعاناة، فالعنوان الذي تصدر صفحات الديوان (المهاجر) شكل بؤرة الرؤيا، حيث إن كلمة المهاجر تحمل هذه الرؤيا التي بنيت على الاغتراب والنأي والبعد والهجرة، أما مفردات الاستهلال الشعري فقد توافقت وتوازت مع العنوان من ناحية، ومع رؤيا الهجرة من ناحية، إذ انفتح ستار الاستفتاح على مفردات الهجرة وقرار الاغتراب، أما مبحث الانزياح فقد تميزت ألفاظه بدلالات الاغتراب ومعاني التعب والمعاناة التي تنزاح للرؤيا العامة للديوان، كما أن التناصبات التي وظفها النمري في ديوان مفضية جميعاً إلى هذه الرؤيا، من تناص مع سيدنا آدم ويحيى المعمدان وأدوناي وهي رموز وظفها الشاعر في هذا المنحى من الرؤيا لتتعاضد مع باقي مفاصل النص في تشكيل تلك الرؤيا، أما مبحث الرؤيا السردية، فقد انتظم هذا المبحث مفاصل الديوان الذي تشكل من عنوان واحد وقصيدة تسجيلية، دون الشاعر فيها أحداث اغترابه ومعاناته فيه، وعليه فإن كل آية من آيات تلقي الخطاب الشعري تسلم إلى الأخرى رؤيا الاغتراب والهجرة، وتعزز أدوات التلقي لفهم دلالات الغيبة والاعتراب ضمن الرؤيا العامة للديوان، كما تُظهر اللغة الشعرية التي استخدمها الشاعر الثقافة العالية التي يتمتع بها، وهي ثقافة متعددة المشارب، أظهرت مدى اطلاعه على أدوات الثقافة الشعرية من (أساطير وتراث ومفردات شعبية ورموز دينية وتراثية)، كما برزت قدرته الشعرية في توظيفه للأجناس الأدبية كالسيرة الذاتية التي حملت بعداً تسجيلياً شعرياً من خلال الأدوات السردية، ومن هنا يدعو الباحث إلى تسليط الضوء على شعر الشاعر سرحان النمري، الذي لم يحض بالدراسة والبحث، طارحاً عنوانات متعددة للدراسة في شعره من مثل (جماليات المكان/ الصورة الشعرية/ صورة الإنسان/ الانزياح....) وشعره جدير بذلك من وجه نظر الباحث.

والله ولي التوفيق.

الهوامش:

- ١) الشاعر سرحان النمري: شاعر عربي من الأردن ، ولد في قرية صمد عام ١٩٤٤ نشر أعماله الشعرية في مقتبل تجربته في الصحف والمجلات، تغرب باحثاً عن لقمة العيش وكان في العشرين من عمره ، وقد قضى في رحلة الغربة عن وطنه خمسة وعشرين عاماً في الخليج العربي، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وما زال مقيماً فيها، صدر له ستة دواوين شعرية (حديث اللوز والدفلى، بقايا زمن مضى، وجع الهديل، البعيد المشتى، دلني على وجعي، دموع مالحة، المهاجر) وله ديوان تحت الطبع بعنوان بكائيات.
- ٢) ينظر ابن حميد، رضا: الخطاب الشعري الحديث من اللغوي إلى التشكيل البصري، مجلة فصول، مج ١٥، عدد ٢، ١٩٩٧، ص ١٠٠.
- ٣) الجزار، محمد فكري: العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ١٩.
- ٤) خطابي، محمد: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١، ص ٦٠.
- ٥) الجزار، محمد فكري: العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ١٩.
- ٦) ابن حميد، رضا: ص ١٠٠.
- ٧) خوالدة، فتحي: تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكبا، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦، ص ١٢٤.
- ٨) قطوس، بسام: سيمياء العنوان، دار المكتبة الوطنية، عمان، ط ١، ٢٠٠١، ص ٦٠.
- ٩) رحاحلة، أحمد زهير: توظيف الموروث الجاهلي في الشعر العربي المعاصر، دار البيروني للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨، ص ١٦٣.
- ١٠) انظر شولز، روبرت: اللغة والخطاب الأدبي، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٤، ص ٩٣. وأنظر أيضاً، عمر الربيعات، تحليل الخطاب الشعري بين آليات اتساقه اللغوي وانسجام الدلالة في قصيدة أغنية لشهر أيار لأحمد عبد المعطي حجازي، مجلة المشكاة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، الأردن، مج ٥، عدد ٢، ٢٠١٤، ص ٤٠٨.
- ١١) الرواشدة، سامح: في الأفق الأدوني، دراسة في تحليل الخطاب الشعري، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧، ص ١٣٣.
- ١٢) رواشدة، سامح: نفسه، ص ١٣٣.
- ١٣) النمري، سرحان: ديوان المهاجر، ص ٢٠.
- ١٤) النمري: الديوان، ٢١-٢٢.

- (١٥) انظر جون كوهن: بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد العمري ومحمد الولي، المعرفة الأدبية، دار طوبقال، ط١، ١٩٨٦، ص(٤٦-٤٨)
- (١٦) الجسماني، عبد العلي: سيكولوجية الإبداع في الحياة، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ١٩٩٥، ص٢٢
- (١٧) النمري: الديوان، ص٢٢
- (١٨) موكاروفسكي، جان: اللغة المعيارية واللغة الشعرية، ترجمة ألفت كمال، مجلة فصول، مج٥ عدد١، ١٩٨٥، ص٤٠
- (١٩) صالح، لعلحي: الظواهر الأسلوبية في شعر نزار قباني، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير، بسكرة، الجزائر، عدد٨، ٢٠١١، ص٦
- (٢٠) النمري: الديوان، ص٢٦
- (٢١) بوزيان، أحمد: شعرية الانزياح في التراث العربي بين حضور المعنى وغياب المصطلح، مجلة البيان، عدد٤٩٠ يونيو، الكويت، ٢٠١١، ص١٨
- (٢٢) الغانمي، سعيد: المعنى والكلمات، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٩، ص٨٤
- (٢٣) النمري: الديوان، ص٦١-٦٢
- (٢٤) أبو العدوس، يوسف: الأسلوبية، الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، عمان، ط٢، ٢٠١٠، ص١٨٠
- (٢٥) النمري: الديوان، ص٢٢
- (٢٦) عياشي، منذر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط١، ٢٠٠٢، ص٧٧
- (٢٧) عاشور، راوية سمير: الذاتية الشعرية والنثرية، تجربة راشد عيسى أنموذجاً، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الشرق الأوسط، عمان، ٢٠١٤، ص١٩
- (٢٨) عاشور، راوية سمير: الذاتية الشعرية والنثرية، تجربة راشد عيسى أنموذجاً، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الشرق الأوسط، عمان، ٢٠١٤، ص٢٠
- (٢٩) النمري: الديوان، ص٤٠-٤١
- (٣٠) النمري: الديوان، ص٥٥
- (٣١) النمري: الديوان، ص١١٦
- (٣٢) تودوروف، تزفيتان: في أصول الخطاب النقدي الجديد، ترجمة أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧، ص١٠٥
- (٣٣) الغدامي، عبدالله: الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنماذج معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٤، ١٩٩٨، ص٩٢

- (٣٤) الجبر، خالد: تحولات التناس في شعر محمود درويش: ترائي سورة يوسف نموذجاً، منشورات جامعة البتراء الخاصة، عمان، ٢٠٠٤، ص ٣٨
- (٣٥) النمري: الديوان، ص ٤٧-٤٨
- (٣٦) النمري: الديوان، ص ١١٧
- (٣٧) ينظر، قوجمان، حسيقيل: قاموس قوجمان، (عبري-عربي) طبعة ٢٠٠٣، ص ٢٢
- (٣٨) الكتاب المقدس، سفر الخروج (٧: ٢٠) وسفر التثنية (١١: ٥)
- (٣٩) الزعبي، أحمد: التناس نظرياً وتطبيقياً، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠، ص ٥٠
- (٤٠) سالومي: هي ابنة هيروديا زوجة فيلبس أخي الملك هيرودس انتيباس، تركته وأصبحت عشيقاً لأخيه الملك، وعندما أنكر يحيى المعمدان هذا الفعل، حقدت عليه واحتالت لقتله مع ابنتها سالومي، وقد تم لهما ذلك، ينظر قصة مقتل سيدنا يحيى، إنجيل مرقس، الإصحاح السادس، العهد الجديد، ٦٥-٦٦ وينظر أيضاً التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميديا، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٩١٨-١٩١٩
- (٤١) النمري: الديوان، ص ٥٥
- (٤٢) عباس، فيصل: الاغتراب، الإنسان المعاصر وشفاء الوعي، دار المنهل اللبناني، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٣٣٢
- (٤٣) مفلح، شريف: السالب والموجب في مسألة اغتراب المثقف العربي، مجلة المعرفة، العدد ٣٩٧، أكتوبر، ١٩٩٦، ص ٩٦
- (٤٤) النمري: الديوان، ص ٦٤
- (٤٥) شاخ، ريتشارد: الاغتراب، ترجمة كمال يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠، ص ٦٠
- (٤٦) عبدالله، محمد قاسم، سيكولوجية الاغتراب والبحث عن الذات عند الإنسان العربي، دراسات عربية، عدد ٩-١٠، ١٩٩٦، ص ٩٨
- (٤٧) النمري: الديوان، ص ٥٩-٦٠
- (٤٨) نفسه، ص ٥٨
- (٤٩) شديفات، فتحي ارشيد: ظاهرة الاغتراب في شعر الصعاليك واللصوص، دار الخليج، عمان، ٢٠١٥، ص ٣٣ وانظر أيضاً محمود رجب، الاغتراب سيرة مصطلح، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٧٧
- (٥٠) النمري: الديوان، ص ١٢٦

فاعلية برنامج تدريبي مستند إلى منحنى التدريس التكاملي في تحسين
ممارسات التدريس المتمركز على الطالب والدافعية للإنجاز لدى معلمات
الصفوف الثلاثة الأولى

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢٠ / ١٢ / ٢٠ م تاريخ قبول البحث: ٢٠٢١ / ٤ / ٣ م

د. عبدالله سالم الزعبي* د. فاطمة أحمد أبو حمدة**

المُلخَص

هدفت هذه الدراسة إلى تقصي فاعلية برنامج تدريبي مستند إلى منحنى التدريس التكاملي في تحسين ممارسات التدريس المتمركز على الطالب والدافعية للإنجاز لدى معلمات الصفوف الثلاثة الأولى. واتبعت الدراسة المنهج ما قبل التجريبي، ولتحقيق أهداف الدراسة جرى تطوير برنامج تدريبي مستند إلى منحنى التدريس التكاملي، وطورت بطاقة ملاحظة على وفق استبانة مسح الممارسات الصفية المعد من المختبر التعليمي الإقليمي لأواسط قارة أمريكا لعام ١٩٩٤، لقياس ممارسات التدريس المتمركز على الطالب لدى أفراد الدراسة، وتألفت بطاقة الملاحظة من (٢٥) ممارسة تدريسية، وجرى أيضًا استخدام مقياس الدافعية للإنجاز الذي طوره كل من عثمان وصبيحي وشاهين (٢٠١٤)، والذي تكون من (٢٤) فقرة. وطُبقت الدراسة على عينة مكونة من (١٥) معلمة في مدارس لؤلؤة طارق الخاصة في العاصمة الأردنية عمان. وتوصلت الدراسة إلى وجود أثر دال إحصائيًا لاستخدام البرنامج التدريبي المستند إلى منحنى التدريس التكاملي في تحسين ممارسات التدريس المتمركز على الطالب والدافعية للإنجاز لدى أفراد الدراسة. وبناءً على النتائج أوصت الدراسة بإعداد مناهج الصفوف الثلاثة الأولى وكتبها على وفق المنحنى التكاملي.

الكلمات المفتاحية: برنامج تدريبي، منحنى التدريس التكاملي، ممارسات التدريس المتمركز على الطالب، دافعية الإنجاز.

* أستاذ مشارك، كلية العلوم التربوية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

** أستاذ مساعد، كلية العلوم التربوية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية

The Effectiveness of a Training Program based on an Integrative Instruction Approach in Improving Learner-Centered Teaching Practice (LCTP) and Motivation for Achievement among Female Teachers in the First Three Grades

Abstract

This research aims at inquiring the effectiveness of a training program based on integrative instruction approach in improving Learner-Centered Teaching Practice (LCTP) and motivation for achievement among female teachers in first three grades in Jordan. The research used the pre-experimental design. To achieve the purposes of the study, an observational checklist was developed according to a survey of classroom practices survey prepared by the Mid-continent Regional Educational Laboratory (McREL) in 1994, to measure student-centered teaching practices among study members, and it consisted of (25) practices. The motivation for achievement scale was also used, which developed by Othman, Sobhi, and Shaheen (2014), and it consisted of (24) items. The study was applied to a sample of (15) female teachers in the "Lo'loit Tariq" Private Schools in the Jordanian capital, Amman. The study found that there is a statistically significant effect of using the training program based on the approach of integrative instruction in improving student-centered teaching practices and motivation for achievement among the study members. Based on the results, the study recommends building the curricula of the first three grades according to the integrative approach.

Keywords: Training Program, Integrative Instruction Approach, Learner-Centered Teaching Practice (LCTP), Motivation for Achievement

خلفية الدراسة ومشكلتها:

مقدمة:

إنَّ إصلاح التعليم وتطويره يبدأ بالمعلم وينتهي به، وخصوصاً إذا ما جرى الحديث عن معلمي المرحلة الأساسية الدنيا، والتي تشمل الصفوف الثلاثة الأولى، والمتفق على تسميتهم بمعلمي الصف، وذلك نظراً لحساسية هذه المرحلة وأهميتها في الإعداد التربوي والتعليمي المنشود للطلبة، فهي تشكل قاعدة السلم التعليمي وأساسه، فإن جرى بناؤها بشكل سليم وقوي، كان لها الأثر الإيجابي في المراحل التعليمية اللاحقة، والعكس صحيح.

وأدرك المعنيون في الأنظمة التعليمية أهمية المعلم ودوره، فاهتموا بتلبية جميع الإمكانيات لإعداده وتأهيله تربوياً ومهنياً ومسلِكياً قبل الخدمة وأثناءها، من منطلق أن المعلم ونوعيته هي الأساس لتحقيق الأهداف المنشودة، فكان لا بد من الاهتمام بمهنة التدريس على وفق القواعد والأصول البيداغوجية^(١). وبخاصة فئة معلمي الصف، نظراً لكونهم مسؤولين عن تعليم الطلبة جميع المواد الدراسية، خلافاً للمعلمين في المراحل الدراسية الأخرى^(٢). ويؤكد القاعدون^(٣) أهمية إعداد معلمي الصفوف الثلاثة الأولى وتأهيلهم، بسبب الخصائص النمائية للطلبة في هذه المرحلة، وأثرها في تقدمهم العلمي، فضلاً عن تأسيس المهارات الأساسية لديهم، وتكوين الميول والاتجاهات السليمة نحو التعليم.

وأشارت دراسات متعددة إلى أن برامج إعداد المعلمين وتأهيلهم في الدول العربية، غالباً ما تركز على الإعداد المعرفي، وتشكيل قاعدة تخصصية لديهم، وذلك على حساب جوانب أخرى كالمهارات التدريسية، والاتجاهات نحو المهنة، والدافعية نحو الإنجاز^{(٤)(٥)(٦)}. مما يستدعي الاهتمام بتلك الجوانب لدى المعلمين في أثناء الخدمة. ومن هنا لا بد من توفير التدريب المستمر للمعلمين على أبرز وأحدث الاتجاهات العالمية في التدريس. ولتحقيق التنمية المهنية للمعلمين تسعى الأنظمة التربوية إلى تدريب العاملين فيها على كل ما هو جديد في المناهج والتدريس، وما تعززه البحوث التربوية المختصة في الفروع المعرفية، وما تقدمه الحركات الإصلاحية من رؤى تربوية، وذلك حتى يحافظ المعلمون على مستوى متجدد من المعلومات التخصصية، والمهارات البيداغوجية، والتقنيات التعليمية.

ومن الاتجاهات التي ركزت عليها الحركات الإصلاحية في المناهج والتدريس ما يعرف بالمنحنى التكاملي، الذي يستند بشكل رئيس إلى تقديم المعرفة بشكل متكامل، من غير تجزئة للمعرفة، وإزالة الحدود بين فروع المعرفة الواحدة. ويستند المنحنى التكاملي إلى نظريات تربوية متعددة من أبرزها نظرية الجشطالت، التي ترى أن الفرد يدرك الكل قبل الجزء، وأن طبيعة الموقف التعليمي تتحدد بالعلاقات التي تقوم بين الأجزاء. ويستند هذا المنحنى

أيضاً إلى نظرية المنظم المتقدم لأوزبيل، الذي يرى أن تنظيم المادة له طبيعة هرمية تكون فيها المفاهيم الأكثر شمولاً في القمة، والأكثر تخصصاً في القاعدة^(٩)، ويرى الصاعدي^(٩) "أن المنحنى التكاملي يستند إلى أفكار العالم ديوي الذي يرى أن التكامل سمة من سمات الحياة".

إن الدول المتقدمة تعمل جاهدة لإصلاح المناهج وطرائق تدريسها، وذلك لتطوير مناهج تتناسب والقرن الحادي والعشرين، فهي تعمل على مراجعة معايير المناهج بشكل مستمر لضمان جودة المخرجات. وبمراجعة أبرز تلك الحركات الإصلاحية لوحظ أنها تطالب، وبشكل رئيس، إلى التكامل بين فروع المعرفة، ومثال ذلك حركة العلم والتكنولوجيا والمجتمع (Science, Technology and Society, STS)، التي تركز على مفهوم التكامل ما بين تلك المجالات الثلاثة. وقامت الرابطة الوطنية لمعلمي العلوم عام (٢٠١٣)، في ضوء الإطار العام لمناهج التربية العلمية، بوضع الجيل الجديد لمعايير العلوم NGSS^(١٠)، ومن هذه المعايير ما يعرف بالمفاهيم المتداخلة (Crosscutting Concepts, CCCs)^(١١)، التي تركز على علاقات التكامل بين الفروع المعرفية في العلوم، وعلى المفاهيم الشاملة نوعاً لا كمّاً. وفي ولاية نيوجرسي، مثلاً، وضعت مؤخراً ثلاثة أهداف لضمان حداثة المعايير هي: تلبية التوجهات العالمية، وتوظيف أدوات القرن الحادي والعشرين الرقمية وشبكات المعلومات، وتحديد نقاط التلاقح المهمة بين التخصصات المختلفة، التي لها تطبيقات واقعية في عالم اليوم^(١٢).

وعرف أبو حرب^(١٣) المنحنى التكاملي بأنه "تقديم المعرفة ووضعها في سياق منظم، وبصورة مفاهيم وخبرات مرتبطة، لتغطي موضوعات مختلفة، من غير أن يكون هناك تقسيم أو تجزئة للمعرفة، وهو المنحنى الذي يعمل على إزالة الحواجز أمام الطلبة، مما يساعدهم على اكتساب الخبرات الأساسية بصورة موحدة يمكن توظيفها في الحياة اليومية". وعرفه كامرون^(١٤) بأنه دمج موضوعات من فروع معرفية مختلفة بالتركيز على دمج موضوع معين تشترك به الفروع المعرفية.

ويرى الشريفي والطنناوي^(١٥) أن "المنحنى التكاملي يهدف إلى حث الطالب بأن يصل إلى الشمولية في فهم المعرفة العلمية، بإبراز وحدة العلم، مما يكسبه القدرة على الربط بين ما هو مكتوب وما هو واقع في الحياة اليومية، ويساعده على تنمية مهارات التفكير المتعددة، ويراعي مطالب النمو لديه، ويشبع رغباته واحتياجاته، ويتيح له اكتساب المفاهيم بصورة أعمق، ويجعل نواتج التعلم أكثر ثباتاً ودواماً وأقل عرضة للنسيان، ويساعد بالنتيجة على تكامل شخصية الطالب". ويؤكد هيكي^(١٦) أن استخدام المنحنى التكاملي في التدريس يمكن المعلمين من توجيه الطلبة لتطوير الحلول لبعض المشكلات، وتشجيعهم على التعلم التعاوني، وتعزيز التفكير الناقد، وتنمية مهارات التواصل لديهم.

إن التكامل في التدريس يمكن أن يكون في محورين هما: التكامل الأفقي، ويجري بإيجاد الروابط والعلاقات بين المواد الدراسية في المستوى أو الصف الدراسي الواحد، والتكامل العمودي الذي يجري بتوسع المعرفة في الفرع المعرفي الواحد خلال مستويات التعليم المتتابعة^(١٧). ويرتكز التكامل حسب الخروصي^(١٨) على أربعة محاور هي:

- ١- تصميم منهاج متكامل يتضمن حل للمشكلات الحياتية التي تواجه الطالب في الواقع المعاش.
- ٢- تدريس المعرفة بوصفها وحدة واحدة من غير الفصل بين المواضيع الحياتية.
- ٣- الاهتمام بالخبرات التعليمية اللازمة لحل مشكلة ما من غير الاهتمام بالجانب التحصيلي.
- ٤- التركيز على الخبرات والمشاريع والأنشطة التي تعزز أفكار التكامل ومبادئه.

ويرى الطيبي^(١٩) أن المنحنى التكاملي يعد منهجاً واستراتيجية في التدريس، ويصلح بشكل كبير في مرحلة التعليم الأساسي، وخصوصاً في الصفوف الثلاثة الأولى، وذلك من منطلق أن طبيعة المواد الدراسية في تلك المرحلة تسمح بإيجاد التكامل بينها، كونها تتناول مواضيع ذات علاقة بحياة الطالب، يمكن أن تكون محوراً للتكامل، فضلاً عن كون تلك المواد يجري تدريسها عادة من معلم واحد. ولتحقيق ذلك فإن المعلم عليه أن يمتلك مهارات خاصة في التدريس تتجاوز الإلمام بتخصصه، إذ إن الممارسات التدريسية للمعلم تعد محوراً رئيساً لنجاح أي توجهات منهجية، وخصوصاً في مناهج الصفوف الأولى؛ لذلك فلا بد من الوقوف على أداء المعلم وممارساته، وتحليل هذا الأداء وتقويمه بمعايير مقننة ومدرسة. وبين شوارتز^(٢٠) أن نجاح التعليم بشكل عام يعتمد على ممارسات المعلم، وذلك بتشخيصه الدائم لكل ما يؤديه، وتحديد التطور المهني الذي يحتاجه لتحسين تلك الممارسات.

وعرف أبو الهيجاء^(٢١) الممارسات التدريسية بأنها "الممارسات الفعلية التي يظهرها المعلم على شكل سلوك يمكن ملاحظته، وهي على نوعين: أولاًهما: ممارسات ينفذها المعلم خارج الغرفة الصفية من تخطيط، وإعداد الوسائل التعليمية والبرامج الحاسوبية، وإعداد السجلات وغيرها. وثانيهما، ممارسات تنفذ داخل الغرفة الصفية كالتمهيد للدرس، وجذب انتباه الطلبة، وتنفيذ النتائج التعليمية، واستخدام الوسائل والتقنيات التعليمية، والتعزيز، وإدارة الصف، والتقويم، وغيرها". وذكر يانغ^(٢٢) أن الممارسات تتمثل في ثلاثة جوانب هي: شخصية المعلم، والممارسات التدريسية الصفية، والممارسات الإدارية للمعلم.

ويرى بدوي^(٢٣) أن هناك أربعة أسس لتحديد الممارسات التدريسية تتمثل فيما يأتي:

- الأساس الفلسفي: ويتمثل في الغايات والنتائج التي تتفق وفلسفة المجتمع.

-الأساس الأمبريقي: ويتمثل بنتائج البحوث النفسية والاجتماعية، التي يجري اشتقاق الكفايات التعليمية من نتائجها.

-الأساس التخصصي: ويتصل بالمواد الدراسية، والبناء المعرفي لها.

-الأساس التدريسي: ويتعلق بما يفعله المعلمون في التدريس مثل: إدارة جلسات التعلم والصف، وتنفيذ الأنشطة والخبرات، والتقويم، والتعزيز، وما إلى ذلك.

ومن أجل تحقيق التدريس الفعال، لا بد من الاهتمام بتلك الأسس والجوانب في برامج إعداد المعلمين وتأهيلهم، وبخاصة إعداد معلم الصف؛ لأهمية وحساسية هذه المرحلة، كما ذكر آنفاً. وأشار بوفام^(٢٤) بهذا الصدد إلى أن تدريس المنهاج إذا كان فعالاً فإنه سينعكس إيجاباً على إتقان الطلبة للمعارف والمهارات وتحصيلهم الأكاديمي.

إن حركة إصلاح التدريس القائم على المعايير في الولايات المتحدة الأمريكية تركز بشكل رئيس على الطالب؛ إذ تحدد المعايير ما يحتاج الطالب لمعرفته، وفهمه، والقدرة على عمله، وهي تركز على مبدأ أن كل الطلبة قادرون على التعلم، وتحقيق توقعات عالية. وتؤكد المعايير وضع إرشادات تساعد الطلبة على تعلم المعلومات والمهارات، فضلاً عن رفضها للعنصرية والتحيز، ودعمها للمساواة في التعليم^(٢٥).

وتعد ممارسات التدريس المتمركزة على الطالب (LCTP) قائمة على مضامين فلسفية تتمثل في بناء الطالب للمعرفة بنفسه، وألا تعطى له في صورة قوالب جاهزة عليه حفظها وفهمها، وأن يكون التدريس قائماً على الفهم ذي المعنى، وليس الفهم الأصم للمعرفة كما وصفه أوزبل. ويتطلب ذلك من المعلم أن يعي دوره في تهيئة الفرص والخبرات لمساعدة الطلبة على التفكير، وليس تزويدهم بالكم الكبير من المعرفة المتضمنة في الكتب المدرسية، ومساعدتهم على توظيف تلك المعرفة، وفهم الجانب الوظيفي لها، كتوظيفها في حل المشكلات واتخاذ القرارات^{(٢٦)(٢٧)(٢٨)}.

وترى وايمر^(٢٩) أن الممارسات التدريسية المتمركزة على الطالب مرتبط بنظريات يمكن إيجازها بالآتي:

-نظرية العزو والكفاءة الذاتية: وضع هايدر هذه النظرية عام (١٩٥٨)، وهي ترتبط بشكل رئيس بمعتقدات الطلبة حول قدراتهم، أي فيما إذا كان بمقدورهم تعلم شيء أم لا، وأكد باندورا (Bandura, 1997)، الرائد في هذا المجال، أن ما يعتقده الطلبة حول ما يمكنهم وما لا يمكنهم إنجازه يؤثر في جميع القرارات الأكاديمية التي يتخذونها.

-التعليم الراديكالي أو النقدي: وضع فريري أسس هذا التعليم عام (١٩٧٠) في كتابه "علم أصول التدريس للمضطهدين"، الذي أراد فيه نقل موضع سلطة التعلم من المعلم إلى الطلبة. وتبديل علاقة السلطة، حسب فريري، ليس داخل الصف فقط، وإنما على صعيد النسيج الاجتماعي أيضاً، حتى يكون التعليم أداة لإحداث التغير الاجتماعي.

-نظرية التعليم النسوي: تتشابه هذه النظرية مع نظرية التعليم الراديكالي بدعوتها إلى تغيير ديناميكيات السلطة داخل قاعة التدريس.

-النظرية البنائية: تؤكد هذه النظرية على أن الطلبة يبنون معرفتهم الخاصة على نحو فعال ونشط، بدلاً من دورهم السلبي في تلقها.

-نظرية التعلم التحويلي: تعتمد هذه النظرية على افتراضات النظرية البنائية، إذ ترى أن الطلبة يبنون معاني خاصة بهم عن طريق عمليات الفحص، وطرح الأسئلة، والتحقق من الافتراضات، وإجراء المعالجات، وهو ما يطلق عليه التأمل النقدي.

وهناك عوامل متعددة تؤثر في الممارسات التدريسية للمعلم وجودتها، ولعل من أبرزها دافعية المعلم نحو الإنجاز، إذ تعد من الأمور المحفزة للمعلم لبذل أفضل ما لديه من مهارات وجهود تدريسية فعالة، فإذا كان المعلم غير راضٍ عن مكانته في المدرسة، أو شعوره بضعف الثقة في نفسه، أو عدم رضاه عن الحوافز والمكافآت المقدمة إليه، فإن ذلك يقلل من دافعيته نحو التدريس، وبالنسبة لتدني مستوى الجودة لديه. لذا يجب تقديم وسائل وطرق تهدف إلى إعداد المعلم على أعلى مستوى بتوفير جميع السبل التي تعمل على زيادة دافعيته نحو الإنجاز^(٣٠). ويعرف جاميدا وتنجالا^(٣١) الدافعية نحو الإنجاز بأنها "الميل والرغبة المستمرة في تعلم كل جديد، والتفوق والإنجاز، والتغلب على المصاعب التي تواجه الفرد".

وهناك عوامل متعددة قد تكون مسؤولة عن تدني دافعية المعلم للإنجاز، منها: قلة فرص التقدم الوظيفي، والعبء التدريسي، وبيئة العمل والمناخ النفسي السائد فيها، وقلة الحوافز والمكافآت، والحالة المزاجية للمعلم، والخبرات السابقة، والتنشئة الاجتماعية، فضلاً عن السمات الشخصية والنفسية للمعلم^{(٣٢) (٣٣) (٣٤)}. وبالنسبة يجب مراعاة هذا العامل المهم في برامج إعداد المعلمين وتأهيلهم، بوصفه مدخلاً رئيساً لتحسين التدريس وتجويده، ولتحقيق ذلك يرى مانسفلد وأوستنزا وبيلتمان^(٣٥) أنه لا بد من مراعاة الأبعاد الآتية لتحسين الدافعية للإنجاز:

-استثارة السلوك: وذلك لخلق حالة متوسطة من الدافعية لدى المعلمين؛ كون المستوى المنخفض من الدافعية يؤدي إلى اللامبالاة لدى المعلمين، في حين يقود المستوى المرتفع من الدافعية إلى زيادة القلق والتوتر لديهم.

-التوجيه: وتتأتى هذه الحالة بجعل المعلم يقارن ما بين الوضع الحالي له، والوضع المأمول، وذلك لتوليد أهداف يطمح المعلم إلى تحقيقها.

-الاستمرارية: تهدف الاستمرارية إلى ديمومة تلك الحالة الداخلية لدى المعلم للتقدم والبحث عن كل ما هو جديد واكتسابه.

إن تدريب المعلمين في ضوء كل ما هو جديد في المناهج والتدريس أمر لا مفر منه، ولا يحقق التدريب أهدافه بفاعلية إلا إذا جرى بصورة مخطط لها ومدرسة، إذ يبدأ ذلك بتحديد الاحتياجات التدريبية، وينتهي بالتحقق من فاعلية التدريب، لذلك جاءت هذه الدراسة كمحاولة لتقصي فاعلية برنامج تدريبي مستند إلى منحنى التدريس التكاملي في تحسين ممارسات التدريس المتمركز على الطالب والدافعية للإنجاز لدى معلمات الصفوف الثلاثة الأولى.

مشكلة الدراسة:

تأتي مشكلة الدراسة من الممارسات الاعتيادية التي يستخدمها معلمو الصف لتدريس طلابهم؛ إذ تركز على الجانب المعرفي بالطريقة السلوكية، التي تفتت المعرفة إلى أجزاء منفصلة بعضها عن بعض، وعدم مراعاة تكاملها، وهذا ما أكدته بعض الدراسات السابقة^{(٣٦) (٣٧) (٣٨)}. زد على ذلك أن المعلمين، وبخاصة معلمو الصفوف الأولى، نادراً ما تركز ممارساتهم التدريسية على الطلبة؛ إذ إنها غالباً ما تركز على المادة الدراسية وعلى المعلم نفسه، ومما يؤكد ذلك نتائج بعض الدراسات^{(٣٩) (٤٠) (٤١)}. فضلاً عن تدني دافعتهم لتحسين تلك الممارسات وتجويدها، بسبب الأعباء الإدارية التي يكلف بها المعلم، والعبء التدريسي الكبير، وقلة الحوافز والمكافآت الممنوحة له، وما يؤكد ذلك ما أشارت إليه بعض الدراسات السابقة^{(٣٣) (٤٢) (٤٣)}. لذلك ظهرت الحاجة لإجراء الدراسة الحالية، والتي تتحدد مشكلتها في الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: "ما فاعلية برنامج تدريبي مستند إلى منحنى التدريس التكاملي في تحسين ممارسات التدريس المتمركز على الطالب والدافعية للإنجاز لدى معلمات الصفوف الثلاثة الأولى؟"، وينبثق عن هذا السؤال السؤالان الفرعيان الآتيان:

١.١- ما فاعلية برنامج تدريبي مستند إلى منحنى التدريس التكاملي في تحسين ممارسات التدريس المتمركز على الطالب لدى معلمات الصفوف الثلاثة الأولى؟

٢.٢- ما فاعلية برنامج تدريبي مستند إلى منحنى التدريس التكاملي في تحسين الدافعية للإنجاز لدى معلمات الصفوف الثلاثة الأولى؟

فرضيات الدراسة:

في ضوء أسئلة الدراسة تصاغ الفرضيات الآتية:

١- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) بين متوسطي درجات أفراد الدراسة على بطاقة ملاحظة الممارسات التدريسية القبلية والبعديّة تعزى إلى البرنامج التدريبي المستند إلى منحنى التدريس التكاملي.

٢- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) بين متوسطي درجات أفراد الدراسة على مقياس الدافعية للإنجاز القبلي والبعدي تعزى إلى البرنامج التدريبي المستند إلى منحنى التدريس التكاملي.

أهمية الدراسة:

لِلدراسة الحالية أهمية نظرية وأهمية عملية، وتتجلى الأهمية النظرية في تقديم برنامج تدريبي مستند إلى منحنى التدريس التكاملي، وبيان فاعليته في تحسين ممارسات التدريس المتمركز على الطالب والدافعية للإنجاز لدى معلمات الصفوف الثلاثة الأولى، وتقدم الدراسة أدبًا نظريًا يفيد منه الباحثون والدارسون.

أما الأهمية العملية فتكمن في أنه يمكن تطبيق نتائج هذا البحث ليستفيد منه المؤلفون وواضعو المناهج والمشرّفون التربويون والمعلمون، والإفادة منه ميدانيًا، بإمكانية إفادة معلمي الصف من كيفية التدريس وفق على هذا المنحنى، والأصوات المطورة في هذه الدراسة. وتقدم هذه الدراسة أيضًا تغذية راجعة لمعلمات الصف اللاتي اجتزن البرنامج التدريبي بخصوص مدى الإفادة من ذلك البرنامج على المستوى الشخصي، والمستوى التدريسي.

حدود الدراسة ومحدداتها:

تمثل حدود الدراسة ومحدداتها بالآتي:

- الحدود البشرية: معلمات الصفوف الثلاثة الأولى في السلم التعليمي.

- الحدود المكانية: مدرسة لؤلؤة طارق الخاصة في العاصمة الأردنية عمان.

- الحدود الزمانية: الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي ٢٠١٩/٢٠٢٠.

-الحدود الموضوعية: البرنامج التدريبي المستند إلى منحنى التدريس التكاملي.

-يمكن تعميم نتائج الدراسة في ضوء صدق أداتي الدراسة وثباتهما، وموضوعية المستجيبين عنهما.

-تحدد نتائج الدراسة في ضوء التعريفات الإجرائية لمتغيرات الدراسة المستقلة والتابعة.

مصطلحات الدراسة وتعريفاتها الإجرائية:

اشتملت هذه الدراسة على عدد من المصطلحات التي جرى تعريفها على النحو الآتي:

-منحنى التدريس التكاملي: عرفته الجمهوري (٤٤) بأنه "محاولة الربط بين الموضوعات الدراسية المختلفة، التي تقدم للطلبة بشكل مترابط، وتنظم بحيث تتخطى الحواجز بين المواد الدراسية المختلفة". وفي الدراسة الحالية يعرف إجرائيًا بخبرات التعليم التكاملية الأفقية والرأسية التي تقدمها معلمات الصف في الصفوف الثلاثة الأولى لطلبتهم.

-البرنامج التدريبي: هو الفعاليات التدريبية المستندة إلى منحنى التدريس التكاملي، التي تخضع لها المعلمات، وجرى تطبيقها على وفق جلسات تدريبية تشمل الجانبين النظري والتطبيقي.

-ممارسات التدريس المتمركز على الطالب: عرفها ماك كومبس وويسلر^(٤٥) بأنها "سلوكيات التدريس المستندة إلى أسس التعليم المتمركز على الطالب كمراعاة عوامل التفكير، والدافعية، والعوامل الشخصية والاجتماعية للطلاب، والعلاقات الإيجابية مع الطلبة، وتكييف التدريس على وفق حاجات الطالب وقدراته، وتشجيع التعلم الاجتماعي، وتشجيع تحمل المسؤولية". وتعرف إجرائيًا في هذه الدراسة بأنها كل عمل مقصود ومخطط له تؤديه معلمات الصف لجعل التدريس متمركزًا حول الطلبة من جهة، ولتحقيق النتائج التعليمية من جهة أخرى، وتقاس بالدرجة التي يحصل عليها أفراد الدراسة على بطاقة الملاحظة المعدّة خصيصًا لهذه الغاية، التي جرى تطويرها وفق استبانة مسح الممارسات الصفية المعد من المختبر التعليمي الإقليمي لأواسط قارة أمريكا لعام ١٩٩٤ Mid-continent Regional Educational Laboratory (McREL)^(٤٦).

-الدافعية للإنجاز: عرفها خليفه^(٤٧) بأنها "رغبة الفرد للتغلب على العقبات لأداء المهام الموكلة إليه بشكل جيد وبسرعة كلما أمكن ذلك". وتعرف إجرائيًا بأنها رغبة معلمات الصف بالقيام بالأعمال المنوطة بهن بأفضل مستوى من الأداء، وتقاس بالدرجة المتحققة على مقياس الدافعية للإنجاز الذي طوره كل من عثمان وصبي وشاهين^(٤٨).

الدراسات السابقة:

اطَّلَعَ الباحثان على مجموعة من الدراسات السابقة التي بحثت في متغيرات الدراسة الحالية، وجرى عرضها بحسب متغيرات الدراسة وحدائتها.

أجرى النصور^(٤٩) دراسة هدفت إلى استقصاء أثر برنامج تدريبي قائم على استخدام منحنى التدريس التكاملي في تطوير المهارات التدريسية لدى معلمي العلوم واتجاهاتهم نحوه. وتكونت عينة الدراسة من (٦٠) معلماً في مديرية تربية وتعليم لواء ماركا. ولتحقيق ذلك استخدم الباحث تصميم المجموعة الواحدة، واستخدم لجمع البيانات مقياس المهارات التدريسية واستبانة للاتجاهات. وأظهرت نتائج الدراسة أن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$) بين متوسطي الدرجات في التطبيقين القبلي والبعدي على المهارات التدريسية والاتجاهات لصالح التطبيق البعدي.

وأجرت الغامدي^(٥٠) دراسة هدفت إلى تقصي فعالية المنحنى التكاملي بين العلوم والرياضيات ومهارات الحياة في التحصيل لدى طلبة الصف الخامس الأساسي في السعودية. وتكون أفراد الدراسة من (٧٧) طالبة جرى تقسيمهن على مجموعتي الدراسة التجريبية والضابطة. وكشفت النتائج عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$) بين متوسطي درجات أفراد الدراسة في التحصيل لصالح المجموعة التجريبية. وهدفت دراسة الرفاعي^(٥١) إلى الكشف عن فعالية استخدام التعليم التكاملي بين المواد الدراسية في تدريس المرحلة الابتدائية من وجهة نظر المعلمات في السعودية. وتكونت عينة البحث من (٢٠٧) معلمات في مدارس مدينة مكة المكرمة. وأشارت نتائج الدراسة إلى أن تصورات المعلمات نحو استخدام التدريس التكاملي في الصفوف الابتدائية كانت مرتفعة، وبينت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.01$) لتصورات المعلمات تعزى لمتغيري الخبرة والمستوى التعليمي.

وأجرت الياس وحمراء^(٥١) دراسة هدفت إلى تعرف مدى تطبيق مناهج الصف الرابع الأساسي للتعليم التكاملي في مدارس محافظة اللاذقية. وتكونت عينة الدراسة من (٣٥٧) طالباً وطالبة، و(١١٣) معلماً ومعلمة، و(٢٣) موجهاً وموجهة. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وجرى استخدام الاستبانة وبطاقة الملاحظة لجمع البيانات. وأظهرت نتائج الدراسة أن مناهج الصف الرابع الأساسي تطبق على وفق المنحنى التكاملي بمدى أقل من المتوسط بحسب آراء عينة الدراسة.

أما دراسة الشهراني^(٥٢) فقد هدفت إلى تعرف أثر برنامج تدريبي مقترح لتنمية مهارات الأداء التدريسي لمعلمي الفيزياء بالمرحلة الثانوية في ضوء متطلبات التكامل بين العلوم والرياضيات التقنية. وتكون أفراد الدراسة من

(٣١) معلماً في منطقة عسير في السعودية. ولتحقيق هدف الدراسة استخدم المنهج ما قبل التجريبي، وجرى استخدام بطاقة الملاحظة لجمع البيانات. وأسفرت نتائج الدراسة عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$) بين متوسطي درجات أفراد الدراسة في متطلبات التكامل بين العلوم والرياضيات التقنية لصالح التطبيق البعدي.

وأجرى وانغ ومور وروهيرج وبارك^(٥٣) دراسة هدفت إلى تقصي فعالية التنمية المهنية على تصورات المعلمين حول المنحنى التكاملي STEM، والعلاقة بين تلك التصورات والممارسات التدريسية لديهم. وطبقت الدراسة على ثلاثة معلمين من المرحلة المتوسطة باستخدام دراسة الحالة، ولتحقيق هدف الدراسة جرى استخدام المنهج النوعي. وكشفت نتائج الدراسة عن أن طريقة حل المشكلات هي أبرز الطرق لتكامل ودمج تخصصات العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات، وبينت النتائج أن مجال التكنولوجيا كان الأكثر صعوبة للدمج.

وهدف دراسة إبراهيم والنداف^(٥٤) إلى تقصي فعالية المنحنى التكاملي بين العلوم التطبيقية والنصوص القرآنية في تنمية القدرة على حل المشكلات وفهم المفاهيم العلمية لدى طلبة كلية العلوم التربوية الجامعية في الأردن. وتكون أفراد الدراسة من (٦٠) طالبا وطالبة من تخصص معلم الصف من كلية العلوم التربوية الجامعية. ولتحقيق هدف الدراسة جرى استخدام المنهج شبه التجريبي بمجموعتين تجريبية وضابطة. وكشفت النتائج عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$) بين متوسطي درجات أفراد الدراسة في حل المشكلات وفهم المفاهيم العلمية لصالح المجموعة التجريبية.

ومن الدراسات التي أجريت حول ممارسات التدريس المتمركز حول الطلبة، دراسة أرسيفن وشاهين كيلك^(٣٩) التي هدفت إلى تعرف درجة تبني المعلمين لمنحنى التدريس المتمركز على الطالب في تركيا. وطبقت الدراسة بالأسلوب المسحي على عينة قوامها (٦٨٥) معلماً ومعلمة. وبينت نتائج الدراسة أن الممارسات التدريسية للمعلمين ما زالت تركز على المعلم في التخطيط والتنفيذ والتقييم.

وهدف دراسة علاء الدين^(٥٥) إلى تعرف مدى شيوع ممارسة التعليم المتمركز على الطالب بين أعضاء الهيئة التدريسية العاملين في الجامعات الأردنية. وتألفت عينة الدراسة من (٢٤٠) عضواً من أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة اليرموك والهاشمية والأردنية. وكشفت نتائج الدراسة أن ما نسبته (٢٢,٥%) من عينة الدراسة يمارسون أساليب التدريس المتمركز على الطلبة، وأن ما نسبته (٣٥%) أشاروا إلى أنهم لا يمارسون هذا الأسلوب أبداً.

وأجرى ثانه ^(٥٦) دراسة هدفت إلى تعرف درجة تنفيذ منحنى التعليم المتمركز على الطالب في مؤسسات التعليم العليا في فيتنام. وكشفت نتائج الدراسة إلى ضعف المؤسسات التعليمية في فيتنام في مراعاة منحنى التعليم المتمركز على الطالب، وأن الممارسات السائدة تستند إلى المنحنى التقليدي بالتركيز على المعرفة والمدرس.

ومن الدراسات التي أجريت بهدف التعرف إلى الدافعية لدى المعلمين، دراسة أبو عيشة ^(٥٧) التي هدفت إلى الكشف عن درجة الدافعية لدى المعلمين العاملين في وزارة التربية والتعليم. وتكونت عينة الدراسة من (٤٩٧) معلمًا ومعلمة. وأظهرت نتائج الدراسة أن درجة الدافعية لدى المعلمين جاءت متوسطة، وبننت النتائج أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$) في درجة الدافعية تعزى لمتغيرات الجنس، والخبرة، والمؤهل التعليمي.

أما دراسة أنش وليمار ^(٥٨) فقد هدفت إلى التحقق من مستويات دافعية العمل لدى معلمي المدارس الأساسية في إستنبول. وتكونت عينة الدراسة من (٣٧١) معلمًا ومديرًا. وكشفت نتائج الدراسة أن دافعية العمل لدى معلمي المدارس الأساسية جاءت منخفضة.

أما دراسة القطيش والشرفات ^(٥٩) فقد هدفت إلى تعرف مستوى دافعية الإنجاز لدى معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في مدارس البادية الشمالية الشرقية. وتكونت عينة الدراسة من (١٧٨) معلمًا ومعلمة. وبننت نتائج الدراسة أن مستوى دافعية الإنجاز للمعلمين جاءت متوسطة، وأظهرت النتائج أنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$) في درجة دافعية الإنجاز تعزى لمتغيري الجنس، والخبرة.

وباستعراض الدراسات السابقة يظهر أنها أكدت الأثر الإيجابي لمنحنى التدريس التكاملي في عملية التعلم والتعليم بشكل عام، وتنمية الممارسات التدريسية بشكل خاص. ويتبين من مراجعة الدراسات السابقة قلة الدراسات العربية التي اهتمت بممارسات التدريس المتمركز على الطالب، واستفيد من الدراسات السابقة في تحديد حجم عينة الدراسة، والمنهجية المناسبة لهذا النوع من الدراسات، وفي تطوير أدوات الدراسة، ومعرفة الوسائل الإحصائية المناسبة، التي يمكن بها الحصول على النتائج. وانمازت الدراسة الحالية بإجرائها على معلمي الصف للصفوف الثلاثة الأولى، إذ لوحظ ندرة تناول هذه الفئة في الدراسات السابقة بالتصاميم التجريبية. وانمازت هذه الدراسة أيضًا بتناولها لمتغيرين تابعين (ممارسات التدريس المتمركز على الطالب، ودافعية الإنجاز)، إذ لم تبثهما الدراسات السابقة معًا، بالرغم من العلاقة الوثيقة بينهما.

الطريقة والإجراءات

منهج الدراسة:

استخدمت الدراسة المنهج ما قبل التجريبي ذا المجموعة الواحدة، وذلك لمناسبة هذا المنهج لتحقيق أهداف الدراسة.

أفراد الدراسة:

اختير أفراد الدراسة من مدارس لؤلؤة طارق الخاصة بالطريقة القصصية، لتعاون إدارة المدرسة، وتسهيل عملية تطبيق التجربة. وجرى اختيار (٩) معلمات بالطريقة العشوائية البسيطة من معلمات الصفوف الثلاثة الأولى، البالغ عددهن (١٨) معلمة، واختيرت العينة بواقع (٣) معلمات لكل صف من الصفوف الثلاثة الأولى، وجرى استثناء معلمات اللغة الإنجليزية من عملية الاختيار العشوائي كونهن متخصصات بهذه اللغة، وليس من ضمن تخصص معلم الصف.

أداتا الدراسة:

تتطلب الدراسة الحالية إعداد أداتين هما:

١- بطاقة ملاحظة ممارسات التدريس المتمركز على الطالب

أعدت هذه بطاقة على شكل استبانة مسح الممارسات الصفية المعدة من المختبر التعليمي الإقليمي لأواسط قارة أمريكا لعام ١٩٩٤ (McREL) Mid-continent Regional Educational Laboratory، الذي يتألف من (٣٥) فقرة على وفق مقياس ليكرت الرباعي، وتتراوح الدرجة الكلية من (٢٥-١٠٠). ويستخدم المقياس كأداة للتقييم، وهو ما جرى استخدامه في الدراسة الحالية، وكأداة للتقرير الذاتي (علاء الدين، ٢٠١٠). وجرى في الدراسة الحالية استخدام فقرات المقياس نفسها، ولكن كبطاقة ملاحظة تتضمن (٢٥) ممارسة تدريسية، وجرى اعتماد مدى الدرجات (١-٢٥)؛ إذ أعطيت درجة واحدة لكل ممارسة. ويركز المقياس بصورة عامة على: مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة، والتنوع في طرائق التدريس والتعزيز، وبناء العلاقات الإيجابية داخل الغرفة الصفية، ومراعاة أنماط التعلم لدى الطلبة، وتشجيع الطلبة على الاعتماد على أنفسهم في التعلم، وتزويدهم بالتغذية الراجعة بشكل مستمر عن تعلمهم، والتكيف مع حاجات الطلبة، وتشجيع التحدي والمسؤولية الفردية، وتشجيعهم على التفكير، والربط بين خبراتهم ومواضيع التعلم، وغيرها.

ويتوافر للمقياس دلالات صدق وثبات، إذ بلغت قيمة مؤشر كرونباخ ألفا (٠,٩٢). وطور علاء الدين (٢٠١٠) المقياس للبيئة الأردنية، واستخرج له دلالات صدق ظاهري، وثبات بلغ (٠,٧٦) باستخدام معادلة بيرسون.

وللتحقق من دلالات الصدق لبطاقة الملاحظة المطورة على وفق المقياس المعدّ من (McREL)، جرى عرضها على مجموعة من المحكمين المختصين، وأقر المحكمون الأداة كما هي، وبذلك أخذت الأداة صورتها النهائية. أما بالنسبة لثبات بطاقة الملاحظة، فقد جرى ملاحظة عينة استطلاعية من خارج أفراد الدراسة، واستخدم أسلوب التحليل وإعادة التحليل بمدة أمدها أسبوعان بين التطبيقين، وجرى تحليلها من معلمة أخرى، ومقارنة كلا التحليلين، وبحسب معادلة هولستي (Holsti) بلغ معامل الثبات الكلي (٠,٧٨)، مما يؤكد ثبات هذه الأداة.

٢- مقياس دافعية الإنجاز:

جرى استخدام مقياس دافعية الإنجاز الذي طوره كل من (صبيحي، وشاهين، وفوزي، ٢٠١٤)^(٤٨)، ويتألف المقياس من (٢٤) فقرة على وفق مقياس ليكرت الثلاثي، موزعة على أربعة مجالات هي: المثابرة، وتحديد الهدف، ومستوى الطموح، والكفاءة المدركة. وتتراوح الدرجة الكلية للمقياس ما بين (٢٤-٧٢) درجة، واعتمدت الدرجة الكلية كما هي في الدراسة الحالية.

ويتوافر للمقياس دلالات صدق ظاهري وعاملي، ويتوافر له أيضاً دلالات ثبات بعدة طرق هي: إعادة التطبيق وبلغ (٠,٧٢)، ومعامل كرونباخ ألفا وبلغ (٠,٧٢)، والتجزئة النصفية وبلغ (٠,٦٥).

ولتأكيد صدق المقياس جرى عرضه على المحكمين أنفسهم، وأقر المحكمون الأداة كما هي، وبذلك أخذت الأداة صورتها النهائية. وللتحقق من ثباته طُبّق المقياس وأُعيد تطبيقه على عينة استطلاعية، وبفاصل زمني أمده أسبوعان بين التطبيقين، وحسب معامل ارتباط بيرسون، بلغت قيمته (٠,٧٦)، وهو معامل ثبات مقبول لأغراض الدراسة الحالية.

البرنامج التدريبي

لتحقيق هدف الدراسة جرى بناء برنامج تدريبي لمعلمات الصفوف الثلاثة الأولى مستند إلى منحنى التدريس التكاملي، ومرت عملية بناء البرنامج بالخطوات الآتية:

- تحديد فلسفة البرنامج: وهي مشتقة من فلسفة التدريس التكاملي.

-تحديد أهداف البرنامج: وتمثلت بشكل رئيس في التعرف إلى فلسفة المنحنى التكاملي في التدريس، وكيفية توظيف المنحنى التكاملي بين المواد الدراسية في الصف الواحد (التكامل الأفقي)، وكيفية توظيف المنحنى التكاملي ضمن المادة الدراسية الواحدة عبر الصفوف الدراسية (التكامل الرأسي)، والتعرف إلى أبرز طرائق واستراتيجيات التدريس التي تتفق ومنحنى التدريس التكاملي كاستراتيجية حل المشكلات.

-محتوى البرنامج: جرى إعداد البرنامج بعد مراجعة الأدب النظري المتصل بموضوع المنحنى التكاملي في التدريس، وجرى مراعاة أبعاد متعددة في بناء المحتوى، مثل: الفئة المستهدفة من البرنامج، وهدف الدراسة الحالية، وتوزيع المحتوى على أيام التدريب.

-طرق التدريب: جرى الاعتماد بشكل رئيس على الربط ما بين الموضوعات النظرية المتمثلة بقضايا المنحنى التكاملي، وبين التطبيق العملي على كيفية توظيف المنحنى التكاملي بموضوعات مختارة من مناهج المرحلة الأساسية الدنيا. وجرى أيضاً توظيف طرائق المناقشة والحوار، والعصف الذهني، والتعلم التعاوني. وجرى إعداد درس على وفق المنحنى التكاملي بشكل أنموذج ليكون دليلاً استرشادياً للمعلمات، وجرى الاستفادة في تطوير الدرس من سلسلة ماجروهيل الأمريكية McGraw Hill، من كتاب Real- World Problem Solving، وجرى التركيز على كيفية التكامل ما بين الفروع المعرفية، وربط المعرفة بتطبيقاتها الحياتية.

-الوسائل والأدوات المستخدمة: زيادة على الكتب المدرسية للصفوف الثلاثة الأولى، جرى استخدام أوراق العمل، واللوح الذكي، وبعض الوسائل التعليمية المتاحة.

-الفئة المستهدفة: معلمات الصفوف الثلاثة الأولى باستثناء معلمات اللغة الإنجليزية.

-المدة الزمنية: استغرق تنفيذ البرنامج التدريبي مدة زمنية أمدها ستة أسابيع، وبواقع ثلاث جلسات تدريبية في الأسبوع، وذلك في الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي ٢٠١٩/٢٠٢٠.

-صدق البرنامج: جرى تحكيم البرنامج التدريبي بعرضه على مجموعة من المتخصصين بالمناهج والتدريس، وأُخذ بجميع الملاحظات الطفيفة التي أقروها.

متغيرات الدراسة

تناولت الدراسة المتغيرات الأتية:

- ١_ المتغير المستقل: البرنامج التدريبي المستند إلى منحنى التدريس التكاملي.
- ٢_ المتغيرات التابعة: وشملت ممارسات التدريس المتمركز على الطالب، والدافعية للإنجاز.

تصميم الدراسة

أخذت الدراسة التصميم الآتي:

EG: $O_1 O_2 \times O_1 O_2$

إذ إن:

EG: المجموعة التجريبية

 O_1 : بطاقة ملاحظة ممارسات التدريس المتمركز على الطالب (القبلي والبعدي) O_2 : مقياس دافعية الإنجاز (القبلي والبعدي) $\times$: المتغير التجريبي (البرنامج التدريبي).

المعالجة الإحصائية

للإجابة عن أسئلة الدراسة استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، واختبار (ت) لعينتين مترابطتين. ولمعرفة مناسبة الإحصاء البارامتري (اختبار t لعينتين مترابطتين)، أو اختبارات الإحصاء اللابارامتري، وكون عدد أفراد الدراسة قليلاً، استخدم اختبار كلومونجوروف سميرونوف Klomongorov-Smirnov، والجدول (١) يوضح ذلك.

الجدول (١): اختبار Klomongorov-Smirnov لدرجات أفراد الدراسة في بطاقة ملاحظة الممارسات التدريسية ومقياس الدافعية للإنجاز		
نوع التطبيق	قيمة Klomongorov-Smirnov	مستوى الدلالة
التطبيق القبلي لبطاقة ملاحظة ممارسات التدريس	٠,٧٩	٠,٣٠
التطبيق البعدي لبطاقة ملاحظة ممارسات التدريس	١,١٣	٠,١٨
التطبيق القبلي لمقياس الدافعية للإنجاز	٠,٦٨	٠,٦١
التطبيق البعدي الدافعية للإنجاز	١,٠٧	٠,٢٤

يتضح من الجدول (١) أن قيمة مستوى الدلالة في جميع أنواع التطبيق جاءت أكبر من قيمة مستوى الدلالة (0.05)، مما يدل أن درجات المعلمات في أدوات الدراسة تتبع التوزيع الطبيعي، ويمكن استخدام الإحصاء البارامتري.

نتائج الدراسة ومناقشتها

تعرض نتائج الدراسة وتناقش بحسب سؤالي الدراسة، كما يأتي:

- ١- نص السؤال الأول على: "ما فاعلية برنامج تدريبي مستند إلى منحنى التدريس التكاملي في تحسين ممارسات التدريس المتمركز على الطالب لدى معلمات الصفوف الثلاثة الأولى؟"

للإجابة عن هذا السؤال، استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية القبلية والبعدي لدى أفراد الدراسة على بطاقة الملاحظة، ولتحقق من الدلالات الإحصائية للفروق بين المتوسطات الحسابية لدى أفراد الدراسة، استخدم اختبار (ت) لعينتين مترابطتين، كما هو مبين في الجدول (٢).

الجدول (٢): نتائج اختبار الفرق بين متوسطي درجات أفراد الدراسة في التطبيقين القبلي والبعدي على بطاقة ملاحظة الممارسات التدريسية							
مصدر التباين (التطبيق)	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	المتوسط الحسابي للفروق	الانحراف المعياري للفروق	قيمة t	الدلالة
قبلي	٩,٤٣	٢,٣٠	٨	١١,٧٠	١,٩٠	١٠,٢٢٤	٠,٠٠٠
بعدي	١٧,٨٧	٢,٩٤					
* دال إحصائياً عند $\alpha=0.05$							

يبين الجدول (٢) وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين متوسطي درجات أفراد الدراسة في التطبيقين القبلي والبعدي لممارسات التدريس المتمركز على الطالب، إذ بلغت قيمة (t) (١٠,٢٢٤)، وهي قيمة دالة عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$)، وكان الفرق لصالح التطبيق البعدي، فقد بلغ المتوسط الحسابي في التطبيق القبلي (٩,٤٣)، في حين بلغ في التطبيق البعدي (١٧,٨٧). وقد بلغت قيمة حجم الأثر باستخدام مربع إيتا (٠,١٩)، وهي قيمة دالة، وتبين أن الفروق تعزى إلى البرنامج التدريبي.

ويمكن تفسير هذه النتيجة بالاستناد إلى فلسفة المنحنى التكاملي في التدريس؛ إذ تستند إلى نظريات تعلم من أبرزها أعمال الجشطالت والبنائية، والنظريات المستندة إلى بحوث الدماغ، التي تركز بشكل رئيس على العلاقات التي تربط بين الطالب والمحتوى، وبين الطالب والمعلم، وبين الطلبة أنفسهم، فضلاً عن العلاقات التي تربط بين الفروع المعرفية. وعليه يمكن القول إن فلسفة المنحنى التكاملي تركز بشكل كبير على دور الطالب في عملية التعلم والتعليم، وبما أن البرنامج التدريبي يستند إلى هذه الفلسفة، فإنه يمكن أن يكون قد أسهم بتحسين ممارسات التدريس المتمركزة على الطالب لدى المتدربين.

ويمكن تفسير هذه النتيجة بتركيز البرنامج التدريبي على ربط الفروع المعرفية بالقضايا والمواضيع الحياتية؛ إذ إن هذا الربط يعد من الأسس التي ارتكز عليها بناء البرنامج على وفق المنحنى التكاملي، ولعل ذلك أسهم بتفهم وأدراك المعلم لأهمية ربط المعرفة بالواقع المعاش للطالب، الأمر الذي يعد من أسس التدريس المتمركز على الطالب.

ولعل البرنامج التدريبي أبرز وحدة العلم وحث المعلمات على التفكير في المعرفة والاستزادة من العلم، وأتاح لهن اكتساب المعرفة بشكل أعمق، ولربما ذلك انعكس بشكل إيجابي على ممارساتهن التدريسية بشكل عام، والممارسات المرتكزة على الطالب بشكل خاص.

ويمكن القول أيضًا إنَّ البرنامج التدريبي المستند إلى منحنى التدريس التكاملي أسهم بتنمية تفهم المعلمات لطبيعة الطلبة واحتياجاتهم، وكيفية الاستناد إلى معرفتهم وخبراتهم السابقة في التدريس؛ إذ إنَّ المنحنى التكاملي، كما ذكر عطا الله والقهوجي^(٥٨)، يهدف إلى إيجاد طلبة قادرين على استخدام خبراتهم السابقة لبناء التعلم، فهم يدركون الأشياء بكليتها بشكل شمولي. ولعل ذلك أثر إيجابًا على ممارسات المعلمات التدريسية المرتكزة على الطالب.

وتدعم هذه النتيجة، ما أقره الأدب النظري والدراسات السابقة بشأن فاعلية البرامج التدريبية المستندة إلى المنحنى التكاملي في تحسين الممارسات التدريسية لدى المعلمين، ومن تلك الدراسات دراسة النصور^(٤٩) التي بينت أثر برنامج تدريبي قائم على منحنى التكامل في تطوير المهارات التدريسية لدى المعلمين، ودراسة الشهراني^(٥١) التي أكدت فاعلية برنامج مستند إلى متطلبات التكامل بين العلوم والرياضيات في تنمية مهارات الأداء التدريسي للمعلمين.

٢- نص السؤال الثاني على: "ما فاعلية برنامج تدريبي مستند إلى منحنى التدريس التكاملي في تحسين الدافعية للإنجاز لدى معلمات الصفوف الثلاثة الأولى؟"

للإجابة عن هذا السؤال، استخرجت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية القبلية والبعديّة لدى أفراد الدراسة على مقياس دافعية الإنجاز، وللتحقق من الدلالات الإحصائية للفروق بين المتوسطات الحسابية لدى أفراد الدراسة، استخدم اختبار (ت) لعينتين مترابطتين، كما هو مبين في الجدول (٣).

الجدول (٣): نتائج اختبار t للفرق بين متوسطي درجات أفراد الدراسة في التطبيقين القبلي والبعدي على مقياس دافعية الإنجاز								
مصدر التباين (التطبيق)	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	المتوسط الحسابي للفروق	الانحراف المعياري للفروق	قيمة t	الدلالة	مربع إيتا (η^2)
قبلي	٣٩,٧١	٣,٨٨	٨	٢٧,٠٦	٢,٤٣	٢٥,٢٠	0.000	٠,١٦
بعدي	٥٨,٤٢	٤,٣٦						
* دال إحصائيًا عند $\alpha=0.05$								

يبين الجدول (٣) وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين متوسطي درجات أفراد الدراسة في التطبيقين القبلي والبعدي على مقياس الدافعية للإنجاز، إذ بلغت قيمة (t) (25.20)، وهي قيمة دالة عند مستوى الدلالة $(\alpha=0.05)$. وكان الفرق لصالح التطبيق البعدي، إذ بلغ المتوسط الحسابي في التطبيق القبلي (39.71)، في حين بلغ في التطبيق البعدي (58.42). وقد بلغت قيمة حجم الأثر باستخدام مربع إيتا (0.16)، وهي قيمة دالة، وتبين أن الفروق تعزى إلى البرنامج التدريبي.

وقد يعزى ذلك إلى أن البرنامج التدريبي أسهم بتمكين المعلمات من المواد الدراسية وطرق تدريسهن على أفضل وجه، الأمر الذي جعل للبرنامج التدريبي أثراً نفسياً على المعلمات؛ إذ ربما أسهم بتغيير معتقداتهن نحو عملية التدريس، ولعل كل ذلك أثربشكل إيجابي في دافعيتهن للإنجاز.

ويمكن تفسير هذه النتيجة بالقول إن تطبيق البرنامج التدريبي جعل المعلمات يستشعرن اهتمام إدارة المدرسة بهن، وتقديرها لمكانتهن في المدرسة، وذلك كون إدارة المدرسة قدمت لهن التدريب والتأهيل في أثناء الخدمة، ولعل هذا الشعور أسهم بشكل إيجابي في تنمية دافعية الإنجاز لديهن، ومما يؤكد ذلك ما أشار إليه يوشوري^(٣٠) بأن رضى المعلم عن مكانته في المدرسة من الأمور المحفزة له لبذل أفضل ما لديه.

ومن أسباب تحسن الدافعية للإنجاز أن البرنامج أوجد جوّاً من المنافسة الإيجابية بين المتدربات، وخصوصاً في الجانب العملي التطبيقي، إذ كانت كل معلمة ترغب في أن تصمم ما هو مطلوب منها بشكل أفضل من زميلاتها، وهذا التنافس يحد ذاته يعمل على تحسين الدافعية. أو قد يكون السبب في طريقة عرض المادة، التي اتصفت بالجدّة، ومواكبة أحدث ما طرأ على طرائق التدريس من تغيير، وهذا التجديد يحد ذاته يشكل حافزاً للاهتمام بالمواد الدراسية وطرائق تدريسها حسب ما أشار إليه باندورا^(٣١)، وتنمية النظرة الإيجابية نحوها، وتحسين دافعية الإنجاز.

التوصيات والمقترحات

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية يمكن التوصية بما يأتي:

-تدريب معلمي الصفوف الأولى، وتشجيعهم بالمكافآت والتحفيز، على استخدام المنحنى التكاملي في التدريس، لما له من أثر إيجابي في تحسين الممارسات التدريسية، وبخاصة المتمركزة على الطالب، وتحسين دافعيتهم للإنجاز.

-بناء مناهج الصفوف الثلاثة الأولى وكتبها على وفق المنحنى التكاملي، لمساعدة المعلمين على استخدام هذا المنحنى في التدريس.

-تضمين البرنامج التدريبي المستند إلى منحنى التدريس التكاملي في برامج إعداد معلم الصف.
-إجراء المزيد من الدراسات حول ممارسات التدريس المتمركز على الطالب، وحول استخدام المنحنى التكاملي في الصفوف الدنيا، التي لوحظ قلتها في الدراسات العربية.

المراجع:

١. بركات، زياد (٢٠٠٥). الدورات التدريبية أثناء الخدمة وعلاقة ذلك بفعالية المعلم واتجاهاته نحو مهنة التدريس. مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد ٤٥، ٢١١-٢٥٦.
2. Hopkins, A. (2007). *Elementary preservice teachers' science self-efficacy: Impact of an earth and atmospheric science content course on students teachers' practice*. Retrieved Nov 11, 2019 from: <https://docs.lib.purdue.edu/dissertations/AAI3278675/>
٣. القاعود، إبراهيم (١٩٩٥). مشكلات طلبة التربية الابتدائية في جامعة اليرموك. مجلة اتحاد الجامعات العربية، ١٤ (٣)، ١٣٢-١٥٠.
٤. سليمان، جمال (٢٠٠٣). التربية العملية ومشكلاتها من وجهة نظر طلبة دبلوم التأهيل التربوي: دراسات مقارنة في جامعات دمشق والبعث وتشرين. المجلة العربية للتربية، ٢٣ (١)، ١٢٣-١٥٠.
٥. الجسار، سلوى والتمار، جاسم (٢٠٠٤). تقويم برامج التربية العملية في كليات التربية بجامعة الكويت من وجهة نظر الطالب المعلم. مجلة العلوم التربوية، العدد ٥، ٦٥-١٠٣.
٦. الجعافرة، خضراء والقطاونة، سامي (٢٠١١). واقع التربية العملية في جامعة مؤتة من وجهة نظر طلبة معلم الصف المتوقع تخرجهم. مجلة جامعة دمشق، ٢٧ (٤)، ٤٧٥-٥١٢.
٧. الزعبي، عبدالله (٢٠١٥). مُعيقات التدريب الميداني من وجهة نظر طلبة معلم الصف المتدربين في جامعة العلوم الإسلامية العالمية. مجلة المنارة، ٢٢ (٤)، ٩-٣٢.
٨. قطامي، يوسف (٢٠٠٥). نظريات التعلم والتعليم. عمان: دار الفكر.
٩. الصاعدي، بئينه (٢٠١٣). فاعلية استخدام وحدة قائمة على المنهج التكاملي في تنمية مهارات اللغة الإنجليزية لطالبات الصف الثالث الثانوي أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، السعودية.
10. Vasaly, H., Feser, J., Lettrich, M., Correa, K. and 10. Denniston, K. (2014). Vision and Change in the Biology Community: Snapshots of Change. CBE - Life Sciences Education, 13(1), 16-20.
11. Bybee, R. (2012). The next generation of science standards: Implications for biology education. The American Biology Teacher, 74(8), 542-549.
12. Jacobs, H. (2010). Curriculum Essential Education 21 for a Changing World. Alexandria, Virginia USA: ASCD.

١٣. أبو حرب، يحيى (٢٠٠٧). المنهج التكاملي. مجلة رسالة التربية، العدد ١٦، ١٧، ٨.
14. Cameron, L. (2005). Teaching languages to young learners. (7th Ed.). United Kingdom: Cambridge University Press.
١٥. الشريفي، فوزي والطنطاوي، عفت (٢٠٠١). مداخل عالمية في تطوير المناهج التعليمية على ضوء تحديات القرن الحادي والعشرين. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
16. Hickey, R. (2014). Project-based learning: where to start?. Techniques. Connecting Education & Careers. 89 (2), 8—9.
١٧. سعد، علي والحصري، علي والخطيب، سليمان والمحمد، محمد وغالول، فؤاد وبدور، مجيدة (٢٠٠٦). مدخل المعايير الوطنية لمناهج التعليم العام ما قبل الجامعي. مجلة المعلم العربي، ٥٩ (١)، ٢٢-٣٢.
١٨. الخروصي، عبدالله (٢٠١٤). التكامل في التعليم المدرسي: المنهج، تكوين المعلم، التقويم التربوي، إنجازات الطلبة. عمان: دار المسيرة.
١٩. الطيطي، محمد (٢٠٠٧). تطوير أنموذج تكاملي لكتاب التربية الاجتماعية والوطنية للصف الرابع الأساسي واختبار فاعليته في تحصيل تلاميذ ذلك الصف في الأردن. جرش للبحوث والدراسات، ١١ (١)، ٧٥-٩٩.
20. Schwartz, M. (2017). Best practice in experimental learning. Research report, learning & teaching office. Retrieved Nov 10, 2019 from: <https://www.ryerson.ca/content/dam/lt/resources/handouts/ExperientialLearningReport.pdf>
٢١. أبو الهيجاء، فؤاد (٢٠٠٧). التربية الميدانية، دليل عمل المشرفين والطلاب المعلمين. عمان: دار المناهج.
22. Ying, L. (2011). The Valuation of Knowledge and Normative Reflection in Teacher Qualification: A Comparison of Teacher Educators, Novice and Experienced Teachers. Journal of Teacher Education, 24(1), 17-20.
23. Badawi, M. (2009). Using Blended Learning for Enhancing EFL Prospective Teachers' Pedagogical Knowledge and Performance. Paper presented at Learning & Language—The Spirit of the Age Conference. Cairo. Egypt. Mar (14-15). Retrieved Nov 12, 2019 from: <https://files.eric.ed.gov/fulltext/ED504993.pdf>
24. Popham, J. (2001). Teaching to the test?. Educational Leadership, 58(6), 16-20.
25. Ellis, J. (2003). The Influence of the National Science Education Standards on the Science Curriculum, University of Kansas, National Academy of Sciences. Retrieved Nov 11, 2019 from: <https://www.nap.edu/read/10618/chapter/10>
26. Honey, M., Pearson, G. and Schweingruber, A. (2014). STEM integration in K-12 education: Status, prospects, and an agenda for research. Washington, DC: National Academies Press.
27. Schunk, H. (2012). Learning Theories, an Educational Perspective. (6th Ed.). Boston, MA: Pearson Education Inc.
٢٨. زيتون، عايش (٢٠٠٧). النظرية البنائية واستراتيجيات تدريس العلوم. عمان: دار الشروق.
٢٩. وايمر، مارلين (٢٠١٣). التدريس المتمركز حول المتعلم: خمسة تغييرات أساسية في عملية التدريس. ترجمة رشا الداخني، مؤسسة هنداي.

30. Ushuri, H. (2016). Determinants of Teachers' Work Motivation in Government Secondary Schools of Bole Sub-City, Addis Ababa. Unpublished Master's Thesis, Addis Ababa University, Ethiopia.
31. Gemed, F. T., and Tynjälä, P. (2015). Exploring Teachers' Motivation for Teaching and Professional Development in Ethiopia: Voices from the Field. *Journal of Studies of Education*, 5 (2), 169-186.
٣٢. بومجان، نادية (٢٠١٦). بناء برنامج إرشادي معرفي سلوكي لتخفيف الضغط النفسي لدى الأستاذة الجامعية المتزوجة. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.
٣٣. محمد، أميرة وحجازي، عائشة (٢٠١٧). دافعية المعلم وعلاقتها بسمات الشخصية. *مجلة الإرشاد النفسي*، العدد ٤٩، ١٢٢-٩٨.
34. Alam, T. and Farid, S. (2011). Factors Affecting Teachers Motivation. *International Journal of Business and Social Science*, 2 (1), 298-304.
35. Mansfield, C., Wosnitza, M. and Beltman, S. (2012). Goals for Teaching: Towards a Framework for Examining Motivation of Graduating Teachers. *Australian Journal of Educational and Developmental Psychology*, 12, 21-34.
٣٦. العبيدي، رابعة (٢٠١٧). الممارسات التدريسية الصفية لدى معلمي اللغة الإنجليزية في المرحلة الأساسية في مديرية المزار الجنوبي وتأثيرها بمتغيري الجنس والخبرة. *مجلة العلوم التربوية والنفسية*، ١ (٦)، ١٦-١.
٣٧. الرفاعي، أروى (٢٠١٦). فاعلية التعليم التكاملي في المرحلة الابتدائية من وجهة نظر المعلمات في مدارس مدينة مكة المكرمة. *مجلة الفتح*، العدد ٦٧، ١٥٤-١٧٤.
38. Almoaiqel, S. (2014). *Perceptions of Saudi school teachers about teaching Arabic language arts using an integrated approach: An exploratory study*. Ph.D., the Pennsylvania State University, USA.
39. Sahin, S., Arseven, Z. and Kiliç, A. (2016). Causes of Student Absenteeism and School Dropouts. *International Journal of Instruction*, 9 (1), 195-210.
40. Alaeidin, J., Abu Al-Ruz, J. and Abu Alia, M. (2007). Learner-Centered Practices (LCP) and Students' Intrinsic Motivation: The Case of the Hashemite University, Jordan. *Dirasat, Educational Sciences*, 34, (1), 177-202.
41. Pierce, W., Kalkman, L. and Dean, C. (2002). *Validating the learner-centered model with undergraduates in teacher education*. Paper Presented at the American Educational Research Association Convention, New Orleans, LA. Retrieved Nov 11, 2019 from: <http://www.cedu.niu.edu/epf/edpsych/faculty/pierce/aera2004paper.htm>
٤٢. أبو عيشة، أماني (٢٠١٩). درجة الدافعية لدى المعلمين العاملين في وزارة التربية والتعليم: محافظة العاصمة. *دراسات، العلوم التربوية*، ٤٦ (٢)، ٣٨٩-٤٠٩.
43. Ateş, K. and Yilmaz, P. (2018). Investigation of the Work Motivation Levels of Primary School Teachers. *Journal of Education and Training Studies*, 6 (3), 184-196.
٤٤. الجهوري، زينه (٢٠٠٢). فاعلية الطريقة التكاملية في تحقيق الأهداف المرجوة لتدريس المطالعة والنصوص لدى طالبات الصف الأول ثانوي بسلطنة عمان. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، عمان.
45. McCombs, L. and Whisler, J. (1997). *The Learner centered Classroom and School: Strategies for Increasing Student Motivation and Achievement*. San Francisco: Jossey - Bass Publishers.

46. McCombs, L. (1994). Description of Learner-Centered Battery. Aurora, Colo.: Mid-continent Regional Educational Laboratory, 1994. Retrieved Nov 1, 2019 from: https://scholar.google.com/scholar?q=related:dyldCSrRHdWj/scholar.google.com/&scioq=&hl=en&as_sdt=0.5

٤٧. خليفة، عبد اللطيف (٢٠٠٠). الدافعية للإنجاز. القاهرة: دارغريب.

٤٨. صبيحي، سيد وشاهين، محمد وفوزي، إيمان (٢٠١٤). مقياس دافعية الإنجاز. مجلة القراءة والمعرفة، العدد ١٥١، ٤٩-٧٤.

٤٩. النسور، زياد (٢٠١٨). أثر البرنامج التدريبي القائم على المنحنى التدريسي التكاملي SEED في تطوير المهارات التدريسية لدى معلمي العلوم في المدارس الأردنية واتجاهاتهم نحوه دراسات، العلوم التربوية، ٤٥ (٤)، ١٣٠-١٤٤.

50. Alghamdi, A. (2017). The Effects of an Integrated Curriculum on Student Achievement in Saudi Arabia. Journal of Mathematics Science and Technology Education, 2017 13(9):6079-6100.

٥١. الياس، أسماء وحمرأ، روز (٢٠١٤). مدى تطبيق مناهج الصف الرابع الأساسي لمُدخل حل المشكلات والبيئي من مداخل التعليم التكاملي: دراسة ميدانية في محافظة اللاذقية. مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، ٣٦ (٦)، ٢٣٥-٢٥٧.

٥٢. الشهراني، فهد (٢٠١٣). برنامج تدريبي مقترح لتنمية مهارات الأداء التدريسي لمعلمي الفيزياء بالمرحلة الثانوية في ضوء متطلبات التكامل في العلوم والرياضيات والتقنية. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك خالد، السعودية.

53. Wang, H., Moore, J., Roehrig, H. and Park, S. (2011). STEM Integration: Teacher Perceptions and Practice. Journal of Pre-College Engineering Education Research, 1 (2). <https://doi.org/10.5703/1288284314636>

٥٤. إبراهيم، بسام والنداف، ماهر (٢٠٠٩). فعالية استخدام المنحنى التكاملي بين العلوم الطبيعية والنصوص القرآنية في تنمية القدرة على حل المشكلات وفهم المفاهيم العلمية لدى طلبة كلية العلوم التربوية الجامعية في الأردن. مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد ٥٢، ٥-٤٣.

٥٥. علاء الدين، جهاد (٢٠١٠). مدى شيوع ممارسات التعليم المتمركز على المتعلم بين أعضاء الهيئة التدريسية العاملين في الجامعات الأردنية. المجلة التربوية، العدد ٩٥، ١-٣٢.

56. Thanh, P. (2010). Implementing a student- centered learning approach at Vietnamese higher education institutions: barriers under layers of casual layered analysis. Journal of future studies, 15 (1), 21-38.

٥٧. القطيش، محمد والشرفات، أحمد (٢٠١٧). مستوى دافعية الإنجاز لدى معلمي الصفوف الثلاثة الأولى في مدارس البادية الشمالية الشرقية. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، ٢١، ٢١١-٢٢٥.

58. Kavecı N. and Atalay, O. (2015). An experimental study on effectiveness of Integrated Curriculum Model (ICM) in Social Studies education for gifted and talented learners. Gifted and Talented Education, 10 (8), 1049- 1062.

59. Bandura, A. (1997). Self-Efficacy: The Exercise of Control. New York: Freeman

الحذف الانفعالي في النحو العربي

د. عبدالله حسن أحمد الذنبيات*

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢١/٤/١٧ م

تاريخ قبول البحث: ٢٠٢١/٧/١١ م

الملخص

يتناول هذا البحث الحديث عن بعض مظاهر الحذف في النحو العربي، غير أن هذا الحذف يأخذ صفة مختلفة تميزه عن مظاهر الحذف المتعددة، فلا يتحدث البحث عن جوانب الحذف الواجبة أو الجائزة، إنما يبحث في طبيعة هذا الحذف من جهة أنه خاضع لسياق انفعالي يؤثر في طبيعة التركيب اللغوي.

من هنا فقد جاء هذا البحث بهدف تبين مقصودنا بالحذف الانفعالي من جهة، وأبرز مظاهر هذا الحذف في العربية، وكيف عبر النحاة واللغويون عن تلك المظاهر، باعتبار فكرة الانفعال التي أشاروا إليها دون الوقوف عندها وبيان دورها في طبيعة هذا الحذف، وبناء عليه فقد جاء هذا البحث ليسلط الضوء على دور السياق الانفعالي في الوصول بالتركيب إلى الحذف الخاضع لذلك السياق.

وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج كان من أبرزها أن الحذف الانفعالي لم يكن مجرد فكرة أحادية أتت اعتباطاً على لسان فرد من أفراد اللغة فحسب، بل هي فكرة خاضعة لمواقف انفعالية يومية يمر بها أبناء اللغة؛ لذا هم بحاجة إلى التقليل من كمية الكلام المنطوق في سبيل الوصول إلى الغاية الاتصالية الخاضعة لذلك الحذف.

الكلمات المفتاحية: الحذف/ النحو العربي/ التركيب/ الانفعال.

*أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

Emotional Deletion in Arabic Syntax

This study addressed some manifestations of emotional deletion in Arabic syntax, where such a deletion takes a different form in comparison with the other manifestations of deletion. The study doesn't address the compulsory or permitted aspects of deletion, but the nature of deletion in terms of being subjected to an emotional side that affects the nature of linguistic structure.

Therefore, the study aimed at demonstrating the meaning of emotional deletion as well as the features of deletion in Arabic language and the way through which grammarians expressed those manifestations, considering the notion of emotion that they addressed without asserting its role in the nature of such a deletion. Thus, the research highlights the role of emotional context in reaching the related deletion.

The study population revealed that emotional deletion is not just an arbitrary idea suggested by a certain individual, but rather an idea that is subjected to daily emotional situations expressed by language speakers. Therefore, they need to reduce the amount of pronounced speech in order to reach the communicative purpose that is subjected to deletion.

Keywords: deletion, emotion, structure, context, speech, pronounced.

المقدمة:

تترابط مكونات اللغة العربية ببعضها تبعاً لعناصر التركيب والمعنى والدلالة، بل تمتد تلك العلاقات التي تربط أجزاء المنطوق ببعضها حتى تصل إلى جوانب البيان والتصوير الفني، فليس من السهولة بمكان فصل أجزاء الكلام اللغوي عن بعضه، ولو أن هذا الفصل واقع في إطار الدرس التعليمي فحسب، أما من جهة التطبيق العملي فإنه ليس من الممكن فصل التركيب عن المعنى أو السياق الذي وُجد فيه، أو حتى عن مظاهر البيان المرتبطة به.

وتزخر اللغة العربية بأساليب لغوية نحوية تمتلك شكلاً تركيبياً مخصصاً، كما تحمل دلالة مخصصة، وكثيراً ما تتداخل هذه الأساليب النحوية واللغوية ببعضها اعتماداً على واقع الاستعمال اللغوي، وتبعاً للموقف الانفعالي والسياق اللغوي الذي يقع فيه ذلك الاتصال اللغوي.

ومن هنا فإن هذا البحث يفترض أن هناك علاقة بين بعض مظاهر الحذف في النحو العربي والسياق الانفعالي الذي يقع فيه، فإن الانفعال الذي يقع في نفس المتكلم يدفعه إلى هذا الحذف، إحساساً منه بضرورة تقليل الوحدات الكلامية ما أمكن للوصول إلى الغاية الدلالية بوقت أسرع، ولتنبيه المخاطب على ما يقع في نفس هذا المتكلم من الانفعال والتأثر.

وتظهر أهمية هذا البحث في أنه يتناول أحد الأساليب اللغوية بصورة مختلفة في بعض مظاهرها، وربط ذلك الحذف الذي وقع من أبناء اللغة بالموقف الانفعالي الذي أثر في المتكلم فدفعه ليحذف بعض عناصر التركيب لمواكبة الانفعالات النفسية التي تعتمل في داخله، وليصل إلى الدلالة المرجوة بأقل قدر من الكلمات.

ويحاول هذا البحث أن يجيب عن مجموعة من الأسئلة وهي:

. ما مفهوم الحذف الانفعالي؟

. ما مظاهر الحذف الانفعالي؟

. كيف تُفسّر المواقف اللغوية المختلفة تبعاً لهذا النمط من الحذف؟

ويهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم الحذف الانفعالي، وربطه بالموقف اللغوي الذي يقع فيه، فضلاً عن أنه يهدف إلى بيان أهم الأشكال التركيبية التي يرتبط بها هذا النوع من الحذف، ودور تلك الأشكال في التعبير عن الموقف الانفعالي، ويهدف—أيضاً—إلى توضيح الكيفية التي يقع فيها ذلك الحذف أثناء الموقف اللغوي.

وقد صُلِّحَ لهذا البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على استقراء الظاهرة اللغوية، وبيان أبرز مكوناتها، محاولاً الوصول إلى نتائجها الصحيحة.

أما بالنسبة للدراسات السابقة، فليس هناك دراسة مستقلة تحدثت عن الحذف الانفعالي بهذا المصطلح تحديداً، بل إنني لم أجد باحثاً ذكر هذا المصطلح، أما إذا نظرنا إلى الدراسات التي تحدثت عن الحذف بصورة عامة، فهي كثيرة جداً إلى الحد الذي لا يمكن إحصاؤه، فموضوع الحذف يتداخل ضمن ميادين لغوية وأدبية وبلاغية ونقدية كثيرة جداً، إذ ثمة حضور لأسلوب الحذف في شق الدراسات التي تناولت الحديث عن:

- تركيب الجملة العربية.

- الأساليب النحوية.

- الأسلوبية.

- البلاغة / علم المعاني.

- البنيوية.

وغيرها من الموضوعات و الدراسات؛ فموضوع الحذف موضوع مطروق عند الباحثين، ولكن فكرة الحذف لم يبلغني أن باحثاً تناولها بهذا الشكل الذي يربط بين الحذف والحالة الانفعالية التي يكون عليها المتكلم، ولا بد من الإشارة هنا إلى بعض الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الحذف من وجهة نظر نحوية:

دراسة حمودة طاهر سليمان، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإبراهيمية، ١٩٩٨ م.

وتلتقي الدراسة السابقة مع الدراسة الحالية بأنهما تتناولان موضوع الحذف من وجهة نظر لغوية، غير أن الدراسة السابقة تناولت فكرة الحذف من جانب ظاهراتي لا من خلال العناصر الانفعالية التي ترتبط به، وهو ما تميزت به الدراسة الحالية.

دراسة رفيدة إبراهيم، جماليات الحذف من منظور الدراسات الأسلوبية، جامعة الأزهر، كلية الدعوة الإسلامية.

وعلى الرغم من أن هذه الدراسة تناولت موضوع الحذف، إلا أنها تعتمد على الجانب الجمالي الأسلوبي، فهي أقرب إلى الدراسة الفنية من الدراسة اللغوية الدلالية، وهو ما لم يتطرق له هذا البحث، فهو يركز على الجوانب الانفعالية المرتبطة بالدلالة عند حديثه عن الحذف، ولا يتطرق للجوانب الجمالية الفنية.

ودراسة الزيني محمد راضي، الوظائف الدلالية للحذف الجوازي دراسة تطبيقية على الأساليب النحوية، مجلة كلية الآداب، جامعة بور سعيد، العدد: ٧، ٢٠١٦م.

وتلتقي هذه الدراسة مع الدراسة الحالية بكونهما يتناولان الحذف، غير أن الدراسة السابقة اهتمت بالوظيفة الدلالية للحذف الجوازي، في حين أن الدراسة الحالية تركز على الجانب الانفعالي للحذف بصرف النظر عنه أكان جوازيًا أم وجوبيًا.

ودراسة يحيى عابنة، التركيب الانفعالي بين القواعد النحوية والقيود الدلالية، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد: ١٦، العدد: ١، ٢٠١٩م.

وتعد دراسة يحيى عابنة أقرب الدراسات السابقة لفكرة هذا البحث، إذ أشار عابنة إلى وجود المظاهر الانفعالية في التركيب اللغوي تبعاً لعناصر الدلالة التي تتعلق بهذا الحذف.

وبناء على ما سبق فإن البحث يستفيد من الدراسات السابقة في عدد من الجوانب التي تتعلق بالحذف بصفة عامة، ومن بعض الجوانب الدلالية التي اعتنت بالحذف ضمن هذه الدراسات السابقة وبما يخدم فكرة هذا البحث.

وقد انقسم البحث إلى مبحثين هما:

الأول: مفهوم الحذف الانفعالي، تناولت فيه الحديث عن هذا المصطلح وطبيعته ومعناه، والمقصود منه في هذا البحث.

الثاني: مظاهر الحذف الانفعالي في النحو العربي، وذلك ضمن القسَم، وحذف المبتدأ، وحذف الفاعل، وحذف عامل المفعول المطلق، والإغراء، والتحذير، والاختصاص، وحذف عامل الحال، والنداء، والمنصوب على المدح والذم.

أولاً: مفهوم الحذف الانفعالي:

تزخر المصنفات اللغوية والأدبية بالحديث عن الحذف منذ بدايات التأليف في تراثنا العربي، فالحذف في منظور اللغويين والنحاة مختلف عنه في منظور البلاغيين والأدباء، مختلف عنه في منظور الأسلوبيين المحديثين

المعاصرين، ففي حين ركز النحاة واللغويون حديثهم عن الحذف ضمن جوانب التركيب النحوي، فوجدناهم يتحدثون عن الحذف الواجب والحذف الجائز، وذلك كله ضمن إطار التركيب النحوي الإسنادي، فلا يتحدثون مثلاً عن سبب حذف المفعول به؛ لأنه فضلة، ولا يتحدثون عن سبب حذف المتعلقات المختلفة، لأنها ليست من عناصر الإسناد؛ لذا نجدهم يتحدثون عن حذف المبتدأ وحذف الخبر^(١)، وحذف الفعل^(٢)، وحذف الفاعل^(٣)، وهو كله من قبيل الإسناد لا من قبيل شيء آخر.

ومن مظاهر الحذف التي تحدث عنها النحاة ما ذكروا أنها من قبيل الإيجاز في الكلام، فحذف بعضه وبقي بعضه الآخر، نحو قولنا: هذه صلاة الظهر، والمعنى: هذا وقت صلاة الظهر، وقول الناس: اجتمع القيظ، والمعنى: اجتمع الناس في القيظ، فهذا كله من قبيل الإيجاز في اللغة^(٤).

أما البلاغيون فقد نظروا إلى الحذف على أنه ملمح من ملامح البلاغة العربية، وجمال المعاني، إذ إنهم يبنّوا فوائد ذلك الحذف، والغاية التي يروجوها المتكلم من حذف بعض مكونات الكلام، ولم يقصروا الحذف على الإسناد فحسب كما فعل النحاة، بل إن مكونات الكلام جميعها خاضعة للحذف، وبلاغة ذلك الحذف قد تتعدى بلاغة الذكر، وهذا ما صرح به الجرجاني في حديثه عن الحذف: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين"^(٥).

فنص الجرجاني السابق لم يحدد مواضع ذلك الحذف من جهة كونها واجبة أو جائزة، ولم يحدد ما يُحذف من الكلام وما لا يُحذف، فهذا كله من اختصاص النحاة الذين يبنّوا كل ذلك، والتفريق هنا بين ما وصلنا عن النحاة من حديث عن الحذف وما تحدث به البلاغيون والنقاد لا يعني فصل الفريقين عن بعضهما فصلاً عضوياً صارماً، بل هو فصل شكلي لغاية فهم طبيعة موقف كل منهما، أما في الواقع فما تحدث به النحاة عن الحذف يكمل ما تحدث به البلاغيون، والعكس صحيح، فهما مكملان لبعضهما وليس منفصلين انفصلاً تاماً صارماً.

وما يؤكد طبيعة ما ذهب إليه البلاغيون والنقاد قديماً وحديثاً في نظرهم للحذف بعيداً عن فكرة الإسناد التي ألح عليها النحاة ما جاء في مصنفاتهم من بيان مواضع الحذف، ودلالة تلك المواضع، كحذف المضاف إليه، وإقامة المضاف مقامه، أو إسناد الفعل إلى غير ما هو له، أو حذف حرف الجر قبل المجرور^(٦)، وهذه الجوانب أشار إليها النحاة ولكن ليس بالكيفية التي تحدث بها البلاغيون والنقاد.

وما لاحظته البلاغيون والنقاد من كون الحذف في مثل الحالات السابقة يغير في مظاهر إعراب الكلمة، نحو: وأسأل القرية، فإنها صارت مفعولاً به، والحقيقة أنها مجرورة بتقدير المضاف، أي: أسأل أهل القرية، وبالتالي فقد انتقل الحذف للدلالة المجازية؛ لأن القرية انتصبت هاهنا مجازاً لا حقيقة^(٧).

ويمتلك الحذف قوة إبداعية تمنح المؤلف أو الكاتب أو حتى الشاعر شخصيته التي ينفرد بها عن غيره، إذ يمثل الحذف انتهاكاً للغة المعيارية التي يعرفها أبناء تلك اللغة، وخروجاً على المؤلف من كلامهم، الأمر الذي يدفعهم إلى البحث في غاية هذا الحذف، وسببه، والفائدة التي تترتب عليه، كل ذلك ناشئ من طبيعة التركيب اللغوي المرتبط بالحذف، والذي يمثل خروجاً على المؤلف من الكلام، وهو ما يمنح الحذف قوته ودلالته الخاصة التي يتميز بها في سياقات اللغة المتنوعة^(٨).

فهذا هو الشق الأول من عنوان هذا البحث، وهو "الحذف"، أما الشق الثاني فيتمثل بلفظ "الانفعالي"، والانفعال في اللغة التأثير، أو هو قبول الأثر، وهو مشتق من الفعل، فكل فعل له أثر في متلقيه، وبالتالي يدفعه إلى الانفعال^(٩)، والانفعال مرتبط بمزاج الشخص، فإن لكل شخص ردة فعل مرتبطة بالفعل الذي تلقاه، فأفضى ذلك إلى تغيير مزاجه^(١٠).

ومن هنا فقد أطلق العوام لفظ "عصبي" على الإنسان متقلب المزاج، سهل الانفعال^(١١)، فارتبط الانفعال بالعصبية وفقدان السيطرة على الأعصاب.

والانفعال شعور داخلي مرتبط بالتأثر بالمواقف المختلفة، سواء أكان ذلك من قبيل العصبية أم الحزن، أم الاكتراث بما يدور حول الإنسان، وفقدان تلك الانفعالات يعني أن الإنسان صار بليداً لا مبالياً تبعاً لتلك المشاعر النفسية التي تدور في نفس ذلك الشخص^(١٢).

وبناء على ما تقدم فإن شقّي هذا المصطلح "الحذف الانفعالي" مرتبط من الجهة الأولى باجتزاء بعض مكونات الكلام وإسقاطها، في حين أن الشق الثاني مرتبط بالتأثر واتخاذ شعور نفسي تبعاً لموقف مقامي ما، فالإنسان ينفعل حينما يواجه موقفاً معيناً في حياته اليومية.

وهكذا يمكننا أن نجمع هذين المعنيين ضمن المصطلح الذي يدور حوله هذا البحث، وهو إسقاط بعض مكونات الكلام تبعاً لأثر نفسي وقع في نفس المتكلم فدفعه إلى ذلك الحذف وإسقاط ذلك الجزء من الكلام، وهو ما أطلقنا عليه مصطلح "الحذف الانفعالي".

فعند تأمل مواضع الحذف الأسلوبية أو التركيبية التي أشار إليها النحاة نجد أنها في كثير من مظاهرها ترتبط بحالة انفعالية دفعت المتكلم للوقوع في هذا الحذف، وجعلته يلغي بعض مكونات الكلام، حتى لو كانت

تلك المكونات من قبيل العُمَد، فالمهم عنده أن يواكب تلك المشاعر النفسية التي دفعته للانفعال والتفاعل مع ذلك الموقف الذي يواجهه ويودّ التعبير عنه، فكان الحذف من بين أهم الوسائل اللغوية التي أعانته على التنويه لما يجول في نفسه من الانفعالات الداخلية، وفيما يلي سيذكر البحث مجموعة من مظاهر الحذف الانفعالي في النحو العربي.

ثانياً: مظاهر الحذف الانفعالي:

وبعد أن تبين في الجزء السابق المقصود من الحذف الانفعالي، وأنه مرتبط بحذف جزء من الكلام نتيجة لتأثر انفعالي يحيط بالمتكلم، فيدفعه ذلك المقام إلى حذف بعض أجزاء الكلام استجابة لتلك المؤثرات التي تحيط بذلك المتكلم، فثمة مجموعة من المظاهر التي يمكن رصدها للحذف الانفعالي في النحو العربي، تبرز جُلّها ضمن إطار تركيبى ونتيجة لاستجابة لغوية لبعض السياقات الموقفية التي تحيط بالمتكلم.

١. القسم:

القسم هو اليمين الذي يحلفه الحالف لإثبات شيء ما، أو نفيه، وهو أسلوب لغوي يتكون من مجموعة من المكونات هي جملة القسم، وحرف القسم، والمقسم به (الصحيح أن أسلوب القسم يتكون من جزأين: جملة القسم وجواب القسم، أما جملة القسم فتتضمن حرف القسم ولفظ المقسم به)، وجواب القسم، فإذا اجتمعت هذه العناصر في الكلام كان ذلك قسمًا، ويأتي القسم لغاية التأكيد في الكلام^(١٣).

وللقسم في العربية مجموعة من الدوال الحرفية التي يُطلق عليها اسم "حروف القسم" وهي أربعة: الباء والتاء والواو واللام، وهي حروف متعلقة بأفعال محذوفة، إذ إن التقدير في قولنا: والله، أي: أقسم والله، أو أقسم بالله (هذا التقدير إذا كان حرف القسم الباء وليس الواو)، وتختص بعض هذه الحروف كالتاء بلفظ الجلالة وحده، في حين أن بقيتها تدخل على لفظ الجلالة وعلى غيره من المقسم به^(١٤)، وسُمع عن العرب دخول التاء على "رب" فقالوا: تَرَبَّ الكعبة، ولكن ذلك المسموع القليل الذي لا يقاس عليه^(١٥).

وما ينصب عليه الاهتمام ضمن هذا الإطار هو ذلك العنصر المحذوف في الكلام، وهو الفعل الذي أخبر عنه النحاة، وهو قولهم: التقدير "أقسم بالله، أو أقسم والله، وهكذا، فهذا الفعل المحذوف هو الذي يهمننا في هذا البحث.

فالفعل في أسلوب القسم مضمر وقد يصحّ إظهاره مع الباء، إذ يصلح أن يقول القائل: أقسم بالله، فيظهر هذا الفعل، ولكنه لا يصح أن يقال: أقسم والله، فالفعل في هذه الحالة واجب الإضمار، ولا يصح إظهاره البتة، وبالتالي يجوز في الباب ما لا يجوز في غيرها من حروف القسم^(١٦).

وهذا الحذف الذي أصاب الفعل الذي يسبق حرف القسم حذف واجب، فإن إظهار الفعل في نحو "أقسم بالله" يخرج عن جملة القسم المعهودة التي يتحدث عنها النحاة ضمن أسلوب القسم؛ لأن جملة القسم يتوجب فيها حذف الفعل، ويبقى حرف القسم مع المقسم به متعلقان بالفعل المحذوف^(١٧).

فالفعل المحذوف هاهنا محذوف وجوباً، ولا يصلح إظهاره مع القسم، ومن جهة ثانية فليس المحذوف المقدر فعلاً دائماً، فقد يُحذف الخبر من الجملة الاسمية المشتملة على القسم، وقد يُحذف المبتدأ، وهوما ذكره النحاة في حالات وجوب حذف المبتدأ والخبر، إذ يُحذف المبتدأ وجوباً في نحو قول القائل: في ذمتي لأفعلن، أي بتقدير: قسمي، فيكون المبتدأ محذوفاً وجوباً^(١٨).

فقد وقع الحذف في هذا التركيب على المبتدأ لا على الفعل، فالتقدير في قولهم: في ذمتي لأفعلن، أي: قسمي، أو أمري، والحذف واقع على المبتدأ لا على فعل القسم الذي أشرنا إليه من قبل^(١٩).

كما يمكن أن يقع الحذف ضمن أسلوب القسم على الخبر، نحو ما جاء في قول العرب: لعمرئك، وقول القائل: لعمر الله، فإن هذه اللفظة لا تكون إلا مرفوعة، وبالتالي لا يصلح فيها إلا الابتداء، ويكون الخبر محذوفاً، والتقدير فيه "قسم"، أي: لعمر الله قسم، والخبر محذوف هاهنا وجوباً، ولا يصلح إظهاره^(٢٠).

واستناداً إلى ما سبق فإن أسلوب القسم في العربية لا بد أن يشتمل على حذف أحد عمَد الكلام، إما الفعل، أو المبتدأ، أو الخبر، ولا يقع الحذف في العمَد إلا لغاية يقصدها المتكلم، وتناسب مع ما في ذهن المتلقي.

وكي نفهم طبيعة هذا الحذف الواقع على أحد أركان التركيب اللغوي ضمن أسلوب القسم علينا أن نربط هذا الحذف بالقسم نفسه، فما الذي يدفع الحالف كي يحذف شيئاً من الكلام؟

يلجأ الإنسان للقسم أو الحلف من أجل تأكيد وقوع شيء ما، أو نفيه كما مر من قبل، وهذا يستوجب من هذا الحالف أن يكون قاصداً من هذا التوكيد إقناع المتلقي – السامع – بما يقوله، من هنا لجأ إلى بعض مكونات الكلام وأساليبه فرأى أن القسم قادر على أن يقنع هذا المتلقي، فلو تأملنا هذا الموقف والمقام الذي فيه ذلك الحالف، لوجدناه في حالة من الانفعال، كيف لا يكون منفعلاً وهو يسعى سعياً حثيثاً لإقناع الطرف المقابل بصحة ما يقوله، فألجأه ذلك إلى القسم، وإن سطوة الانفعال التي تمكّنت من نفس هذا المتكلم جعلته يُسرّع في إيصال القسم إلى ذهن ذلك المتلقي، فلم يربداً من حذف أحد أجزاء التركيب – الفعل أو المبتدأ أو الخبر – حتى يتخفف من بعض الألفاظ التي تأخذ منه مزيداً من الوقت في موقف انفعالي لا يحتمل التأخير، فإنه يود إقناع ذلك المتلقي بصحة ما يقوله بسرعة مناسبة، وبعبداً عن التأخير، فما كان منه إلا أن حذف

بعض مكونات الكلام ليصل بالألفاظ في أسرع وقت ممكن إلى ذهن المتلقي، فيدفعه ذلك إلى الاقتناع بما يقوله.

وهكذا، فإن الموقف الانفعالي الذي يقع فيه الحالف عندما يستخدم أسلوب القسم في العربية يستدعي منه أن يوظف كل طاقات اللغة لأجل إقناع المتلقي، ومن ذلك حذف بعض مكونات الكلام التي قد تعيق سرعة وصول القسم إلى سمع المتلقي؛ لذا تخفف الحالف من هذه الألفاظ، وحذفها حذفاً وجوبياً كي لا تعيق سيرورة انفعالاته التي تواكب القسم في ذلك الموقف الانفعالي، وهو ما أدخل هذا اللون من الحذف ضمن إطار الحذف الانفعالي. (ولكن ألا ترى معي أن المتكلم إذا قال: أقسم بالله لأفعلن كذا، فذكر فعل القسم ولم يحذفه يكون في حالة انفعالية تأثرية أيضاً الغاية منها تغليظ القسم، فلم يلجأ إلى الحذف لأن غاية تغليظ القسم وتوكيده غلبت فلم يناسها الحذف!!!)

٢. في حذف المبتدأ:

ليس كل مظاهر حذف المبتدأ الواجبة من قبيل الحذف الانفعالي، بل لا بد من توافر شرط الانفعال في الكلام حتى يتم الحكم على ذلك المظهر بأنه من قبيل الحذف الانفعالي، فهناك من أشكال حذف المبتدأ ما ليس ناشئاً من الانفعال، كقطع الصفة عن موصوفها لبيان الترحم أو المدح أو الذم^(٢١) (ولماذا لا تكون هذه الدوافع البلاغية ناجمة عن الانفعال والتأثر، فالمترحم والمداح والذام يصدر عن انفعال وتأثر فتراه يقطع النعت عن التبعية لمنعوته ليلفت الانتباه إلى هذه المعاني البلاغية!!! ثم إنك تناقض نفسك عندما جعلت الاختصاص من باب الحذف الانفعالي وأفردت له حديثاً لاحقاً في بحثك، علماً بأن الاختصاص مبني على المدح أو الذم!!!)، فهنا ليس ما يدفع للانفعال؛ ولذا لا يدخل هذا المظهر ضمن مظاهر الحذف الانفعالي.

ويُحذف المبتدأ وجوباً إذا كان الخبر مصدراً مرفوعاً نكرة، دالاً على معنى عام، كقول القائل: صبرٌ جميلٌ، فالتقدير هنا: الأمر صبرٌ جميلٌ، أو قولهم: حنانيك، فالمقصود هنا الرحمة بعد الرحمة^(٢٢).

وقد ورد هذا الاستعمال في كتاب الله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام إذ يقول: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]

فالتقدير هنا في هذه الآية الكريمة "الأمر أو صبري صبرٌ جميلٌ"، وذلك في الموقف الذي وقع له بعد فقدان ولده يوسف عليه السلام.

ومثل هذه الحالة التركيبية يصلح فيها الرفع والنصب، فيقول القائل: صبراً جميلاً، وهو يقصد بذلك الأمر، فكأنه يأمر المقابل له بالصبر الجميل، والنصب في هذه الحالة أكثر وأجود في كلام العرب، غير أن الآية

الكريمة على لسان يعقوب كان الرفع فيها أجود؛ لأن يعقوب يخبر عن حاله الذي وصل إليه بعد أن فقد يوسف عليه السلام فهو لا يطلب من أحد أن يصبر أو يتصبر، فكان الرفع في هذه الحالة أولى وأوجه^(٢٣).

فالمصدر المرفوع في بداية الكلام إنما هو مرفوع على الخبر، والمبتدأ محذوف، يفسره سياق الكلام، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى أيضاً: ﴿لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران ١٩٦-١٩٧]، فإن المعنى: تقلبهم متاعٌ قليلٌ، فالمصدر هاهنا مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف^(٢٤).

فلو نظرنا في سياق الكلام في هذه الآية الكريمة، فإن السياق يحمل نمطاً من الانفعال نتيجة ما يلحظه الناظر من تقلب أهل الكفر في حياتهم الدنيا، وكيف أنهم يتمتعون فيها، ثم جاء التعقيب منه سبحانه بحذف المبتدأ: متاعٌ قليلٌ، أي إن تقلبهم متاعٌ قليل، وهو حذف للمبتدأ لما اتصل بموقف انفعالي نتيجة ما يحس به الإنسان من تمتع أهل الكفر بحياتهم الدنيا، فجاء الرد الإلهي بصورة عاجلة كي يكون ذلك إيناساً للمؤمن فلا يغتر بما عليه حال هؤلاء الكافرين^(٢٥). (ولكن المتكلم هنا هو الله جل وعلا، وهل من المناسب أن يقال في حقه: إنه مربحالة انفعالية تأثرية، حاشاه سبحانه!!!)

ففي هذه الحالات التي يأتي فيها الخبر مصدراً عاماً يلتزم حذف المبتدأ، ويدل عليه سياق الكلام، وهو جائز فيه النصب بمعنى أن يكون على معنى الأمر، ولكن السياق يحكم في بعض الأحيان بعدم جواز النصب كما هو الحال بالنسبة لآية سورة يوسف^(٢٦).

وعند النظر في هذه المواضع والنماذج التي جاء فيها الخبر مصدراً، ودل المعنى على المبتدأ المحذوف نستطيع أن نلاحظ أن هناك سياقاً انفعالياً مقامياً، فإن من يقول: صبرٌ جميلٌ، يكون في حال يتطلب منه الصبر والتصبر، فهو منفعل لما يجري له من الأحداث، كما حدث مع سيدنا يعقوب عليه السلام حين فقد يوسف عليه السلام فهذا الموقف الذي هو في غاية الشدة والحزن يدفع المتكلم إلى التخفيف من أعباء التركيب، وحذف بعض مكوناته حتى يتناسب ذلك مع موقفه الانفعالي، ويتناسب مع حزنه الشديد، فهو ليس في حال يسمح له بالإكثار من المفردات والألفاظ، بل يود أن يصل بأقل قدر من الكلمات إلى المعنى المطلوب، وكذلك الحال بالنسبة لسائر النماذج التي جاءت وفقاً لهذا النمط من الحذف في العربية.

٣. بناء الفعل للمجهول:

تعرف العربية أسلوباً تركيبياً متمثلاً بحذف الفاعل من الكلام، وإقامة المفعول به مقامه، فيأخذ هذا النائب عن الفاعل أحكام الفاعل كلها كما هو معروف في العربية، وتظهر بعض العلامات اللفظية في الكلام

دليلاً على أن الفاعل قد حُذِفَ من الكلام، وأن المرفوع الذي يلي الفعل إنما هو المفعول به أصلاً، وهذه العلامات الشكلية تتمثل بضم أول الفعل وكسر ما قبل الآخر إذا كان فعلاً ماضياً، وفتحته إذا كان مضارعاً، هذا في الغالب الأعم مع تغييرات أخرى تطرأ على الفعل إذا كان مبدوءاً بهمزة وصل، أو كان فعلاً أجوف، إلى غير ذلك من التغييرات الشكلية التي تدل المتلقي أن هذا الفعل مبني للمجهول^(٢٧).

وعند النظر في طبيعة تركيب الجملة الفعلية التي بني فيها الفعل للمجهول نجد أنها قد اشتملت على حذف أحد أركان الجملة التي لا يمكن إقامة الجملة الفعلية دونه، وهو الفاعل، فقد حُذِفَ الفاعل من هذه الجملة، ويشير النحاة إلى أن هذا الحذف يأتي لغرض ما يقصده المتلقي، فهو ليس مجرد حذف فحسب، بل هناك غايات دلالية أو انفعالية – من وجهة نظر البحث – هي التي دفعت المتكلم لحذف الفاعل.

يشير ابن مالك إلى أن الفاعل قد يُحذف من الكلام ويُقام نائبه عنه لكون الفاعل معروفاً لدى المتكلم والمتلقي، أو مجهولاً، أو عظيماً، أو حقيراً، وهذه بعض الحالات التي يُحذف فيها الفاعل من الكلام^(٢٨).

ترتبط الغايات السابقة التي ذكرها ابن مالك لحذف الفاعل من الكلام بالجانب الدلالي للبحث، وهو ما يتصل بفكرة الانفعال التي يناقشها البحث، ولكن هناك غايات أخرى لحذف الفاعل من الكلام تختص بالجانب الانفعالي، ومنها أن يُحذف الفاعل للخوف منه، أو للخوف عليه، فيكون ذلك دافعاً لحذف الفاعل من الكلام^(٢٩).

فإن الحذف بداعي الخوف من الفاعل أو الخوف عليه هو الذي يدفع المتكلم في بعض الأحيان إلى حذفه من الكلام، فيقول القائل مثلاً: سُرِقَ الكتابُ، وهو يعرف في نفسه من سرقة، ولكنه يخاف عليه من أن يقع به مكروه ما، أو أن يوقع المتكلم بنسفه مكروهاً إذا ذكر هذا الفاعل، فيحذفه من الكلام، وكذلك الحال بالنسبة لقولنا: كُسِرَ البابُ، وهكذا، فإن دافع الخوف من الفاعل أو الخوف عليه هو الذي يجعلنا نحذفه من التركيب^(٣٠).

عند النظر في الحالة التي يُحذف فيها الفاعل للخوف عليه أو الخوف منه نجد أن هناك سبباً انفعالياً هو الذي دفع بالمتكلم ليحذف هذا الفاعل، وهو الخوف، إذ لم يكن هناك دافع تركيبى يكمن وراء هذا الحذف، غير أن سياق الكلام الذي ارتبط بالخوف هو الذي جعل المتكلم يحذف جزءاً من الكلام – بل ركناً – اعتماداً على ما وقع في نفسه من الخوف المرتبط بتركيب تلك الجملة الفعلية، وهو ما يؤيد فكرة الحذف الانفعالي التي يقول بها هذا البحث.

٤ . حذف عامل المفعول المطلق:

تشتمل بعض صور حذف عامل المفعول المطلق على ارتباط بفكرة الحذف الانفعالي، اعتماداً على السياق العام الذي يجري فيه الكلام، الأمر الذي يدفع المتكلم لحذف عامل المفعول المطلق على الرغم من كونه ركناً أساسياً في الجملة، غير أن الانفعال هو ما دفعه لهذا الحذف.

ويُحذف عامل المفعول المطلق لأسباب وغايات منها تركيبية ومنها دلالية، فقد يُحذف وجوباً إذا كان بدلاً من فعل مهماً، أو بدلاً من فعل مستعمل في الطلب، أو في الخبر الإنشائي أو غير الإنشائي، أو في توبيخ مع استفهام، نحو: أتوانياً وقد جد الناس^(٣١).

وفي هذه الحالات التي يُحذف فيها عامل المفعول المطلق فإن المصدر المنتصب ينوب عن هذا المحذوف، مثل: صبراً آل ياسر، وأتوانياً وقد جد الناس، وهكذا^(٣٢).

يمكن أن نلاحظ أن للانفعال دوراً واضحاً في طبيعة الحذف الذي طرأ على تركيب جملة المفعول المطلق، فإن فكرة التوبيخ التي ارتبطت بقولنا: أتوانياً وقد جد الناس، تمثل مشهداً انفعالياً يقع فيه المتكلم أثناء مخاطبته للمخاطب – المتواني – إذ لا يرى المتكلم بداً من اختصار الكلام حتى يبلغ غايته الدلالية التي يريد بها من المتلقي الذي يقع عليه التوبيخ، فيجعل من حذف عامل المفعول المطلق سبيلاً للوصول إلى تلك الغاية بأقصر ما يمكن من مكونات الجملة الفعلية، ويدع التركيب مرتكزاً على العنصر الأساسي فحسب، وهو المفعول المطلق الذي يمثل نقطة الارتكاز في الدلالة، بمعنى أن الموقف الانفعالي، وسيقاق الحال التي كان عليها ذلك المتكلم هو ما دفعه لحذف عامل المفعول المطلق.

٥ . الإغراء والتحذير:

يظهر الحذف الانفعالي في هذا النمط من التراكيب اللغوية في العربية، إنه تركيب الإغراء والتحذير، إذ يحاول المتكلم التخفيف من أكبر قدر ممكن من مكونات التركيب الكلامي للوصول بالمتلقي للفائدة الدلالية المرجوة، واختصار الوقت أمام هذا المتلقي حتى يتمكن من ردة فعل مناسبة تتواءم مع ما يُحذّر منه أو يُغري به.

ويشير مصطلح الإغراء في النحو العربي إلى ذلك الاسم المنصوب في بداية الكلام، والقصد منه إغراء المتلقي بلزوم شيء ما، واللبصوق به، فكأن المتكلم يغري ذلك المتلقي بشيء جميل أو بشيء ذي فائدة، فيطلب منه لزومه ولكن بصيغة النصب فحسب دون التصريح بالفعل^(٣٣).

وأشار بعض الدارسين إلى أن النحاة حملوا باب الإغراء والتحذير على المفعولية مع عدم وضوح علامة المفعولية من الناحية الجوهرية، لذلك دفعهم وجود الفتحة إلى تأويل ركني الجملة الفعلية؛ ليتمكنوا من رد هذه التراكيب إلى أقرب الأبواب النحوية إعراباً^(٣٤).

ويأتي الإغراء في اللغة العربية ضمن صورتين قياسيتين هما: الأولى: تكرار الشيء المغرى به، نحو: العهد العهد، الثانية: الفصل بينهما بالواو، نحو: العلم والاجتهاد، ففي هاتين الحالتين لا يجوز إظهار الفعل الذي يقدره النحاة بـ "الزم"، أي: الزم العهد، والزم العلم والاجتهاد، فالعامل في الاسم الذي يشكل هيئة الإغراء في التركيب اللغوي هو الفعل المحذوف^(٣٥).

أما التحذير فهو لا يختلف كثيراً من الناحية التركيبية عن الإغراء، فقد اعتاد النحاة على الحديث عن هذين الأسلوبين في موضع واحد من مصنفاتهم، والمقصود بالتحذير نهى المتلقي عن فعل شيء ما أو حتى الاقتراب منه، فالتحذير خطاب المتكلم للمتلقي ليحذره من أمر ما كقوله مثلاً: النار النار، أو الجدار الجدار، والتقدير في هذه الحالة التركيبية احذر النار واحذر الجدار، فهو في طبيعته الدلالية يشبه النهي وفقاً لتعبير سيويه^(٣٦).

ويأتي أسلوب التحذير في العربية وفقاً لثلاثة أنماط تركيبية يلتزم فيها حذف العامل مع الاسم المنصوب، وذلك كي يبقى التحذير مرتبطاً بشكله التركيبي ومعناه الافتراضي الذي وضعه النحاة له، وهذه الحالات هي: مع "إيا" نحو: إياك الجدل، ومع التكرار مثل: النار النار، أو مع العطف، نحو: النار والأذى، ففي هذه الحالات جميعاً يلزم حذف العامل في الاسم المنصوب على التحذير، ولا يجوز إظهاره؛ لأن في إظهاره إخراجاً لأسلوب التحذير عن دائرته الأسلوبية الدلالية التي وضعها النحاة، وتغييراً في نمطية هذا الأسلوب بما يبعده عن حقيقة دوره ودلالته^(٣٧).

والمهم في هذا الحديث عن الإغراء والتحذير ذلك التقدير الذي وضعه النحاة لتبرير انتصاب الاسم في بداية الكلام، إذ لا بد للاسم المنصوب من ناصب يحدث النصب فيه، ومن هنا كان تبريرهم بوجود فعل محذوف عمل النصب في هذا الاسم، وهو ما أدخل هذا النمط التركيبي في دائرة الإغراء والتحذير، ولكن النحاة بينوا أن هذا العامل لا بد من حذفه، ولا يصلح إظهاره حتى يستقيم المعنى والدلالة على الإغراء والتحذير.

ولو دقق النظر في فكرة الإغراء مثلاً نجد أن المتكلم حينما رأى شيئاً ما، أو أحس بقيمته العظيمة وأراد أن ينبه المتلقي لتلك القيمة، ولذلك الإحساس فإنه تعرض لقدر من التأثير بسبب تلك القيمة، كما لو قال: العلم العلم، يقصد لزوم العلم، فإنه قد تأثر وانفعل بهذا الموقف، فلم يُرد أن يُكثر من المكونات التركيبية حتى يصل بالمعنى للمتلقي، بل اختصر تلك المكونات، فحذف الفعل والفاعل، وأبقى على العنصر التركيبي المهم الذي

يفترض في ذهنه أن المتلقي يعي قيمته الكبيرة، فجعله منصوباً حتى يفهم أنه يُغريه به، فذلك الانفعال الذي سيطر على نفس المتكلم حينما أراد أن يغري المخاطب بأمر ما هو الذي دفعه لحذف بعض مكونات الكلام اختصاراً للوقت، وتناسباً مع التأثير الذي تركه ذلك الموقف والسياق في نفسه، وإسراعاً في توجيه المتلقي نحو ما يود المتكلم إغراؤه به.

ولا يختلف المعنى في التحذير عنه في الإغراء، فحينما أراد المتكلم أن يحذر المتلقي من أمر ما، أو خطب يحق به، فإنه لا يمتلك من الزمن وقتاً كافياً حتى يأتي بالفعل والفاعل ثم يأتي بالمفعول به الذي يشكل النقطة المركزية في التحذير، والمتكلم في هذه الحالة يتعرض لقدر كبير من الانفعال بسبب خطورة ما يود تحذير المتلقي منه؛ لذا فإنه تخفف من كمية الألفاظ التي لا يرى فيها فائدة كبيرة في الكلام، فحذفها كي يصل إلى مغزى كلامه، ومؤدى خطابه للمتكلم فيحرفه عن ذلك الخطر المحدق به، وما ذلك الحذف إلا بسبب الانفعال والتأثير الذي خضع له المتكلم ضمن إطار الإغراء والتحذير.

٦. الاختصاص:

يقترّب الحذف ضمن أسلوب الاختصاص من الحذف ضمن أسلوب الإغراء والتحذير، اعتماداً على كون هذه الأساليب تعتمد على حذف الفعل والفاعل – العامل – وبقاء المفعول المنصوب في الكلام، اعتماداً على سياق الحال، وموقف معين يؤثر في المتكلم فدفعه إلى حذف بعض مكونات الكلام.

ويعرف الاختصاص عند النحاة بأنه "تخصيص حكم علق بضمير بما تأخر عنه من اسم ظاهر معرف. والباعث عليه فخر أو تواضع أو زيادة بيان" (٣٨).

من خلال التعريف السابق للاختصاص عند النحاة نلاحظ أن هناك ما يبعث على الاختصاص في الكلام، إنه الفخر أو التواضع أو زيادة البيان، فهذه الأمور التي تدفع المتلقي كي يأتي بأسلوب الاختصاص في الكلام، قاصداً الوصول إلى مبتغاه في إيصال المعنى إلى المتلقي عبر أسلوب مؤثر فيه، وعبر طريقة مميزة تلفت انتباه هذا المتلقي لما يقوله هذا المتكلم.

ويكون القصد من أسلوب الاختصاص امتداح الشيء المخصوص نحو قولنا: نحن العربُ كرماءُ، فإنه على سبيل المدح، وربما كان القصد من الاختصاص الذم، وربما قُصد التخصيص، وفي جميع الأحوال يأتي الاسم منصوباً بفعل محذوف وجوباً عند النحاة تقديره: "أعني"، وهذا الفعل هو العامل في الاسم المنصوب (٣٩).

وقد يرتبط أسلوب الاختصاص في العربية ببعض الألفاظ دون غيرها، بل إنه يكاد لا يغادرها في معناه ضمن إطاره المحدد له، ومن بين هذه الألفاظ كلمة: آل فلان، وأهل البيت، ومعشركذا – بالإضافة – فإن

هذه الألفاظ غالباً ما تحمل معنى الاختصاص، فتأتي منصوبة بفعل محذوف، وهو الذي عمل في الاسم المخصوص^(٤٠).

ويأتي هذا الأسلوب اللغوي في العربية ضمن شكلين هما، الأول: نحو ما جاء في قول العرب: اللهم اغفر لنا أيها العصابة، أي: أعني العصابة، ولكن هذا الشكل الاستعمالي لم يعد موجوداً في الاستعمال اللغوي العربي، أما الشكل الثاني فهو كقول القائل: نحنُ العربُ كرماءً، وهذا هو النمط التركيبي المتبقي للاختصاص، والمعنى: نحنُ أعني العربُ ...، فكان العامل محذوفاً، غير أن عمله ما يزال باقياً في الاسم المنصوب في الكلام^(٤١).

وعند النظر في أسلوب الاختصاص في العربية نجد أنه يشتمل على مظهر من مظاهر الحذف الانفعالي، وذلك تبعاً لما تحدث عنه النحاة حين أشاروا إلى وجود بعض الدوافع التي تدفع المتكلم للاختصاص كالمح والذم والافتخار ونحوها، فإن هذه البواعث هي التي تدفع هذا المتكلم للاختصاص، بمعنى أنها أثرت فيه، بل دفعته للانفعال بموقف ما فأفضى به الأمر إلى أن يأتي بهذا الأسلوب اللغوي.

وما دفع المتكلم لحذف بعض مكونات الكلام وهو الفعل العامل في الاسم المنصوب إنما هو إحساسه بضرورة الإسراع بالألفاظ حتى يتحقق تخصيصه لمعنى ما، أو قوم بأعيانهم، واختصار الألفاظ بما يختصر المدة الزمنية التي يخاطب فيها المتلقي حتى تتشكل صورة الاسم المخصوص في ذهنه بطريقة مناسبة، وبألية مرتبطة بذلك الحذف، فالانفعال الذي يملأ نفس المتكلم يدفعه نحو الوصول إلى المعنى بأقل قدر من الكلمات، الأمر الذي أفضى به لحذف العامل من الكلام، وهكذا كان للانفعال والتأثير الذي تركه في نفس المتكلم دور بارز في تشكيل بنية هذا النمط التركيبي اللغوي، ودافع نحو حذف بعض مكونات الكلام استجابة للانفعالات النفسية وضرورة الإسراع في إيصال الفكرة للمتلقي.

٧. حذف عامل الحال:

يفترض أن يكون للحال عامل يعمل فيها النص، ووجود هذا العامل – لفظاً – أمر متوقع في جملة الحال، حتى يتسنى للمتلقي فهم تركيب تلك الجملة، والعناصر التي أفضت إلى وجود تلك الحال.

وقد يُحذف عامل الحال وجوباً في حالات معينة، وهي لا تخضع لفكرة الانفعال التي يناقشها هذا البحث، وهي: أن تكون الحال مؤكدة لمضمون جملة، أو أن تكون نائبة عن الخبر، أو دالة على تدرج شيء ما زيادة أو نقصاً، أو أن تنوب الحال عن العامل، فهذه كلها لا ترتبط بفكرة الانفعال التي نحن بصدد الحديث عنها، ولكن قد تُحذف الحال إذا دلت على معنى التوبيخ، نحو: أقاعداً وقد جدّ الناس، ففي هذه الحالة حُذِف عامل الحال لأنها دلت على توبيخ^(٤٢).

إن دلالة جملة الحال في نحو قولنا: أقاعدًا وقد جد الناس، على التوبيخ تمثل نوعاً من الانفعال النفسي لدى المتكلم، حتى دفعه ذلك إلى مخاطبة من يقابله بحذف عنصر مهم من عناصر جملة الحال وهو عاملها، قاصداً من هذا الحذف أن يقلل من كمية الكلام المرتبط بعناصر التركيب ليتناسب ذلك مع شدة الانفعال التي شعر بها في نفسه.

ومن مظاهر حذف عامل الحال جوازاً ما نجده في المواقف التي تحمل معنى الدعاء، كقول القائل لمن يريد السفر: راشداً، قاصداً سافراً راشداً، أو انطلق راشداً، وقول القائل لمن عاد من السفر: مأجوراً، أي: رجعت مأجوراً، وهكذا^(٤٣).

فعند النظر في هذه النماذج من حذف عامل الحال في نحو قول القائل للمسافر أو للعائد من السفر نجد أنها تشتمل على معنى الدعاء من جهة، وعلى معنى الترحيب أو الوداع من جهة أخرى، فإن المتكلم في مثل هذه المواقف يتعرض لنوع من الانفعال المرتبط بالموقف نفسه، فموقف الوداع موقف انفعالي، وكذلك الحال بالنسبة لموقف اللقاء، وفكرة الدعاء ذاتها فكرة انفعالية، من هنا أراد المتكلم أن يتخفف من بعض مكونات الكلام التركيبية – اللفظية – ليصل إلى المعنى بأقل قدر من تلك المكونات الكلامية، فحذف عامل الحال وأبقى عليها دليلاً على المعنى الذي يريده، من هنا دخل هذا النوع من الحذف في باب الحذف الانفعالي.

٨ . النداء:

ويشتمل النداء على بعض مظاهر الحذف الانفعالي، ولكن نؤكد هنا أن نيابة حرف النداء عن الفعل المحذوف لا يعد من قبيل الحذف الانفعالي؛ لأن النداء بحد ذاته لا يعد انفعالاً (بل هو انفعال وتأثر دفع المتكلم إلى النداء لتنبيه المخاطب على أمر ما، أرجو أن تراجع نفسك!!!)، بل هي عملية أسلوبية تواصلية تقع من المتكلم تجاه المتلقي، فلا يمكن إدخاله ضمن إطار الحذف الانفعالي، شأنه في ذلك شأن عدد لا بأس به من الأساليب اللغوية الكثيرة.

أما مفهوم النداء فيختص برفع الصوت على غير العادة التي يستعمل بها في واقع الاتصال اللغوي، أي على غير عاداته، ويكون ذلك بقصد تنبيه الغافل، أو إحضار الغائب^(٤٤) (وهذا عين التأثر والانفعال الذي تقصده!!!).

ويأتي النداء عبر أداة تدل عليه، وتشير إليه، تسمى أداة النداء، وهي حرف من حروف المعاني، وتضم العربية ست أدوات للنداء هي: يا، وأيا، وهيا، ووا، وأي، والهمزة، وهذه الأدوات منها ما يكون للقريب، ومنها ما هو للبعيد، غير أن الواقع اللغوي الاستعمالي يمزج في الاستعمال بين القريب والبعيد، فليس هناك ما يلزم

استعماله للقريب أو للبعيد، غير أن النحاة برروا معي الأداة التي للبعيد في موضع القريب لمزيد من التنبيه في نفس المطلق^(٤٥).

والمنادى في موضع النصب من الكلام؛ وذلك لأنه منصوب بالفعل المتروك ذكره قبل أداة النداء، يقول سيبويه في هذا الفعل: "اعلم أن النداء، كل اسم مضاف فيه فهو نصبٌ على إضمار الفعل المتروك إظهاره. والمفرد رفعٌ وهو في موضع اسمٍ منصوب"^(٤٦).

وقد أشرنا من قبل أن هذا الفعل المتروك ذكره قبل أداة النداء لا يصلح أن نعهده من قبيل الحذف الانفعالي؛ لأنه ليس ثمة تأثير أو انفعال في النداء بحد ذاته، وليس كل فعل محذوف نابت عنه أداة من الأدوات صار من قبيل الحذف الانفعالي، ولكن هناك في النداء ما يصلح لهذا النمط من الحذف، ومنه الترقيم. (وماذا لو حذف حرف النداء!!! كقول المنادي: زيد، انتبه لمجرى السيل!!)

و"الترقيم حذف أواخر الأسماء المفردة الأعلام تحقيقاً ولا يكون ذلك إلا في النداء، إلا أن يضطر شاعر، ولا يكون في مضاف إليه، ولا مضاف ولا في وصف ولا اسم منون في النداء، ولا يرخم مستغاث به، إذا كان مجروراً؛ لأنه بمنزلة المضاف ولا يرخم المنسوب"^(٤٧).

ويقع الترقيم في أسماء الأعلام الثلاثية أو الرباعية، ويكون بحذف آخر الاسم. وفي ذلك مذهبان في العربية، أما الأول فلغة من ينتظر، وهي أن يُحذف آخر الاسم وتبقى حركة الحرف الأخير على حالها في الاسم الأصلي، نحو: يا حار، في يا حارث، والثاني لغة من لا ينتظر، وذلك بحذف آخر الاسم المنادي وبناء آخره على الضم، فتقول: يا حار، في: يا حارث^(٤٨).

وللترقيم وظيفة في العربية تتمثل بإظهار التحبب أو التملح أو الاستهزاء أو نحو ذلك، وهذا آتٍ من المعنى اللغوي للترقيم وهو التلين والترقيق^(٤٩).

وإذا دققنا النظر في طريقة الترقيم وما يدفع المتكلم لهذه الطريقة في النداء نجد أنه التودد والتحبب والتملح في أكثر الأحيان، أو الاستهزاء مثلاً، وهذه المعاني إنما تنشأ في نفس المتكلم بسبب انفعالات داخلية، وتأثر لموقف ما، فمن يريد أن يتحجب بشخص ما، فهذا ناجم عن مشاعره الداخلية تجاهه، وأن تلك المشاعر نشأت تبعاً لانفعالات داخلية متمكنة في نفس المتكلم، ثم إنها أثرت فيه، ودفعته لاتخاذ بعض التخفيف اللفظي في الكلام ليتناسب مع الدفع الانفعالي الذي في نفسه، فهو يريد أن يخفف من هذا الاسم المرخم ما أمكن لشدة ما في نفسه من العاطفة تجاهه سواء أكانت عاطفة تحبب أم استهزاء.

ومن بين مظاهر الحذف التي ترتبط بالنداء حذف المنادى برمته، ومن الشواهد عليه ما جاء في قراءة الكسائي لقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥]، فقد قرأها الكسائي وحده بالنداء، أي: يا اسجدوا، بالتخفيف على معنى الأمر، فكانه يأمرهم بالسجود^(٥٠).

فارتبط حذف المنادى في هذه الحالة بمعنى الأمر، وقد يأتي مع الدعاء، والتقدير: ألا يا هؤلاء اسجدوا^(٥١). ومن الشواهد على حذف المنادى كذلك وتقديره بـ "هؤلاء" قول الشاعر^(٥٢):

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَثْرٍ
وَإِنْ كَانَ حَيَّانَا عِدَى آخِرِ الدَّهْرِ

وقد تدخل أداة النداء على ما ليس باسم مطلقاً كنداء الحروف، مثل: يا ليت، أو الأسف، نحو: يا أسفي، وهكذا^(٥٣)، وفي هذه الحالة لا يُقدر المنادى على ما هو مقدّر في القراءة القرآنية والأبيات الشعرية المشتمة على فعل الأمر.

ويظهر في طريقة حذف المنادى وتقديره بـ "هؤلاء" في نحو: يا هؤلاء اسجدوا، وبـ "هذه اسلمي"، مظهر من مظاهر الحذف الانفعالي، فالمتكلم في هذه المواقف السياقية متأثر بالأمر أو بالدعاء الذي يخاطب به المتلقي، الأمر الذي جعله منفعلاً بذلك الموقف السياقي، فدفعه إلى التخفيف من أعباء التركيب التي يتركب منها الكلام، فأقصى به الأمر إلى حذف المنادى، وذلك بدلالة سياق الكلام عليه، إذ إن سياق الكلام يوحي بأن هناك منادى يخاطب بالأمر أو بالدعاء، وقوة الانفعال التي في نفس المتكلم دفعته لهذا الحذف، من هنا دخل هذا النداء في حيز الانفعال.

ونلاحظ هذا الأسلوب في واقع الاستعمال اللغوي لأسلوب النداء في وقتنا الحاضر، فعندما يود الشخص نداء شخص آخر بالقرب منه، ولكنه في عجلة من أمره لسبب ما فإنه يكتفي بحرف النداء فحسب، فيقول مثلاً: بالله يا ... ناولني كذا، وذلك لقرب المخاطب منه، ولشدة الانفعال الذي في نفس المتكلم إذ ليس لديه وقت كافٍ لذكر المنادى، فالأمر أو الطلب أهم دلاليًا عنده من سائر مكونات المعنى والدلالة.

٩ . النصب على المدح والذم والترحم:

يُحذف عامل المنصوب على المدح أو الذم أو الترحم، فمن مواضع حذف العامل والنصب على المدح قوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، أما على الذم فقوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾^١

[المسد:٤]، أما النصب على الترحم فمثل قول القائل: مررت به المسكينَ البائسَ، فقد نصب "المسكين" وهي في موضع جر ولكنها انتصبت على الترحم^(٥٤).

وما يلفت النظر في هذه النماذج من الشواهد والأمثلة أنها جاء على معنى "المدح، أو الذم، أو الترحم" وجميعها توجي بالدلالة التي وُضعت لأجلها تلك الجملة، وانتصب الاسم فيها لإبراز معنى المدح، أو معنى الذم، أو معنى الترحم^(٥٥).

ومعنى المدح أو الذم أو الترحم في مثل هذه النماذج يأتي من طريق التعريض لا من طريق التصريح، فقول القائل: مررت بمحمد المسكينَ، لا يشتمل على تصريح بلفظ الترحم، فهو لا يترحم به لفظاً، وإنما يُعرض بهذا المعنى من خلال هذا التركيب^(٥٦).

وتلاحظ فكرة الانفعال التي ترتبط بمعنى المدح أو الذم أو الترحم، فما هذه المعاني إلا ناشئة عن مواقف انفعالية، وسياقات مشتملة على تأثير نفسي واضح على المتكلم، الأمر الذي يدفعه إلى أن يأتي بهذا التركيب أو ذاك مختصراً، وذلك مسيرة للموقف الانفعالي الذي هو فيه، فإن رغبته في إيصال المعنى المقصود بالمدح أو الذم أو الترحم للمخاطب بأقل قدر ممكن من الألفاظ هي التي دفعته لاختصار هذا الكلام، وحذف أحد أجزائه وهو العامل فيه، فالنصب لا بد له من عامل، وفي هذه الحالة ليس ثمة عامل ظاهري للنصب، غير أن معنى المدح أو الذم أو الترحم هو الذي نصب هذا الاسم، ومن هنا كان للانفعال شأن في بناء الجملة وتركيبها.

الخاتمة:

لقد تناول هذا البحث فكرة الحذف الانفعالي، إذ بين في الجزء الأول منه مفهوم هذا النمط من الحذف في النحو العربي، كما بين المقصود بفكرة الانفعال التي قد تدفع المتكلم إلى الحذف.

لقد تعرض هذا البحث لأبرز أشكال الحذف الانفعالي في العربية، وذلك من وجهة نظر الباحث، ولا يعني ذلك أن البحث قد أحاط بكل تلك المواضع، إذ هناك بعض المواضع التي تخضع لسياق محدود، مثل حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، ففكرة الانفعال في هذا التركيب اللغوي مرتبطة بأمثلة محدودة لا بالتركيب نفسه، إذ قد يُحذف المضاف إليه ولا يكون القصد من الكلام الانفعال، من هنا لم يتناول البحث تلك النماذج المحدودة الخاضعة لسياق جملة معينة أو موقف محدد، بل تناول الأشهر والأكثر لمعنى الانفعال في العربية.

ليس كل مظاهر الحذف في العربية تخضع لفكرة الانفعال، بل هناك بعض أشكال الحذف لا دخل لها بالانفعال، وذلك تبعاً لطبيعة السياق والمقام الذي يتم فيه الكلام؛ إذ ترتبط السياقات الموقفية المختلفة بفكرة الحذف ارتباطاً وثيقاً، وهو ما يحدده موقف المتكلم نفسه.

ظهر الحذف الانفعالي ضمن هذا البحث في أشكال عدة، منها ما كان مرتبطاً بالقسم، ومنها ما يرتبط بحذف المبتدأ والخبر، والإغراء والتحذير والاختصاص والنداء، فهذه التراكيب النحوية هي التي ظهرت فكرة الحذف الانفعالي فيها وفقاً لما جرى من استقراء مظاهر الحذف في العربية.

يؤثر المقام والسياق تأثيراً كبيراً في عملية إنتاج التراكيب اللغوية، ويؤثر في المتلقي نفسه، فيدفعه المقام أو السياق إلى حذف بعض عناصر الكلام التي لا غنى عنها في بعض الأحيان؛ وذلك محاولة لاختصار الوقت أمام ذلك الموقف الانفعالي الذي يرى فيه المتكلم أنه لا سبيل لمزيد من الألفاظ، بل عليه أن يأتي باللفظة المركزية في الكلام بأسرع وقت ممكن، كما هو الحال في أسلوب القسم والتحذير على سبيل المثال.

يمكن أن نميز بين نوعين من الحذف الانفعالي في العربية، الأول: الحذف الانفعالي المرتبط بالتركيب، وهو نحو حذف المبتدأ والخبر، أو الفاعل، أو عامل المفعول المطلق ونحو ذلك من عناصر التركيب المختلفة، والثاني: ما يرتبط بالأساليب النحوية، مثل: الإغراء والتحذير، والاختصاص، والنداء، والمدح والذم، ونحو ذلك من الأساليب اللغوية التي تختص في كثير من الأحيان بمعنى الإنشاء.

يخضع الحذف الانفعالي للعملية الاتصالية خضوعاً مباشراً، ويتوافق مع طبيعة المقام الذي يقع فيه المتكلم، فهو مرتبط بالمقام والانفعال والتأثير المباشر للسياق على المتكلم نفسه لا على المتلقي.

التوصيات:

وفي نهاية هذا البحث يوصي الباحث بما يلي:

أولاً: توسيع دائرة الحديث عن الحذف الانفعالي ليشمل عدداً أكبر من الاستعمالات اللغوية، وربما يصلح ذلك في رسالة جامعية.

ثانياً: تخصيص دراسة مستقلة لبيان أثر الانفعال في تراكيب اللغة حذفاً وزيادة وتقديم وتأخيراً، وتنكيراً وتعريفاً، وهكذا.

ثالثاً: تخصيص بحث يتناول الحديث عن العلاقة بين الانفعال من جهة والأساليب اللغوية من جهة ثانية.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم، رفيدة: جماليات الحذف من منظور الدراسات الأسلوبية، جامعة الأزهر، كلية الدعوة الإسلامية.
- ابن الأثير الشيباني، المبارك بن محمد: البديع في علم العربية، تحقيق ودراسة: فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة – السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ.
- الأخطل، غياث بن غوث: ديوان الأخطل، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط٢، ١٩٩٤م.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي: معاني القراءات، مركز البحوث في كلية الآداب بجامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٩١م.
- الأزهري، زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر: شرح التصريح على التوضيح، أو التصريح بمضمون التوضيح، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م.
- بحيري، سعيد حسن: من أوجه التوافق والتخالف بين البحث اللغوي والبحث الأسلوبي، مجلة الدراسات الشرقية، العدد الخامس عشر، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٩٥م.
- التهانوي، محمد بن علي: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت/ لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر:
- أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة المدني، القاهرة/ مصر، ودار المدني، جدة/ السعودية، دت.
- دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة – مصر، ودار المدني، جدة – السعودية، ط٣، ١٩٩٢م.
- حسن، عباس: النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة/ مصر، ط١٥.
- ابن الخباز، أحمد بن الحسين: توجيه اللمع، تحقيق ودراسة: فايز زكي محمد دياب، دار السلام، القاهرة/ مصر، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- خضير، محمد أحمد (٢٠٠٢م-١٤٢١هـ)، قضايا المفعول به عند النحاة العرب، ص١٤٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، دت.
- حوزي، رينهارت بيترآن: تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم النعيمي، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد/ العراق، ط١، ٢٠٠٠م.
- راضي، الزيني محمد: الوظائف الدلالية للحذف الجوازي دراسة تطبيقية على الأساليب النحوية، مجلة كلية الآداب، جامعة بور سعيد، العدد: ٧، ٢٠١٦م.

-الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق: اللامات، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة ٢، ١٩٨٥ م.

-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو: المفصل في صناعة الإعراب، تحقيق: علي بوملحم، مكتبة الهلال، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٣ م.

-السامرائي، فاضل صالح: معاني النحو، دار الفكر، عمان/ الأردن، ط ١، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م.

-الساوي، علم الدين أبو الحسن علي بن محمد: سفر السعادة وسفير الإفادة، تحقيق: محمد الدالي، تعليق: شاكرا الفحام، دار صادر، بيروت/ لبنان، ط ٢، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م.

-ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل: الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت/ لبنان.

-سليمان، حمودة طاهر: ظاهرة الحذف في درس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإبراهيمية، ١٩٩٨ م.

-سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء: الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط ٣، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

-ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل: المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٦ م.

-السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزباني:

شرح أبيات سيبويه، تحقيق: محمد علي الريح هاشم، مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر، القاهرة/ مصر، ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م.

شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٨ م.

-السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هندواي، المكتبة التوفيقية، القاهرة. مصر، دت.

-الشاطي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى: المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق: مجموعة من المحققين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة/ السعودية، ط ١، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م.

-عبابنة، يحيى: التركيب الانفعالي بين القواعد النحوية والقيود الدلالية، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد: ١٦، العدد: ١، ٢٠١٩ م.

-عبد اللطيف، محمد حماسة، العلامة الإعرابية بين القديم والحديث، مطبوعات كلية دار العلوم، القاهرة، مصر ١٩٨٤ م.

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله: الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤١٩هـ
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ
- ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن الهمداني المصري: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، ودار مصر للطباعة، سعيد جودت السحاروشركاؤه، القاهرة. مصر، ط٢٠، ١٩٨٠م.
- عمر، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، بمشاركة فريق عمل، دار عالم الكتب، القاهرة/ مصر، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- الفارسي، أبو علي: الإيضاح العضدي، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، كلية الآداب، جامعة الرياض، ط١، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: الجمل في النحو، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط٥، ١٩٩٥م.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى: الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت/ لبنان، دت.
- ابن مالك، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر والإعلان، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
- شرح الكافية الشافية، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة/ السعودية، دط، ودت.
- المرادي، أبو محمد حسن بن قاسم: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة. مصر، ط١، ٢٠٠٨م.
- المنأوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين: التوقيف على مهمات التعاريف، دار عالم الكتب، القاهرة. مصر، ط١، ١٩٩٠م.
- ناظر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد: شرح التسهيل: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام، القاهرة/ مصر، ط١، ١٤٢٨هـ
- ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق/ سوريا، ط٦، ١٩٨٥م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط١، دت.

-ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي: شرح المفصل، قدم له، الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠١م.

الهوامش:

- ١- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (790هـ / ١٣٨٨ م): المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق: مجموعة من المحققين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة/ السعودية، ط ١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ٩١/٢.
- ٢- انظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء (180 هـ / ٧٩٦ م): الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط ٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ١٤٤/١.
- ٣- انظر: السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزباني (368هـ / ٩٧٩ م): شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٨م، ٤٨/٣، والمقصود بحذف الفاعل بناء الفعل للمجهول.
- ٤- انظر: السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزباني (368هـ / ٩٧٩ م): شرح أبيات سيبويه، تحقيق: محمد علي الريح هاشم، مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر، القاهرة/ مصر، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، ٦٨/١.
- ٥- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر (471- ٤٧١هـ / ١٠٧٨م): دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة - مصر، ودار المدني، جدة - السعودية، ط ٣، ١٩٩٢م، ص: ١٤٦.
- ٦- انظر: العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله (٣٩٥هـ / ١٠٠٥م): الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت/ لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ، ص: ١٨١.
- ٧- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر (471- ٤٧١هـ / ١٠٧٨م): أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة المدني، القاهرة/ مصر، ودار المدني، جدة/ السعودية، د.ت، ص: ٤١٦.
- ٨- انظر: بحيري، سعيد حسن (١٣٧٥هـ - ١٩٥٣م): من أوجه التوافق والتخالف بين البحث اللغوي والبحث الأسلوب، مجلة الدراسات الشرقية، العدد الخامس عشر، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٩٥م، ص: ٢٥.
- ٩- الكفوي: الكليات، ص: ٦٨٣.
- ١٠- انظر: ، التهانوي، محمد بن علي (١١٥٨هـ / ١٧٤٥م): كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي: عبدالله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت/ لبنان، ط ١، ١٩٩٦م، ٢٨٤/١.
- ١١- انظر: دوزي، رينهارت بيتر آن (١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م): تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم النعيمي، وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد/ العراق، ط ١، ٢٠٠٠م، ٢٢٠/٧.

- ١٢- انظر: عمر، أحمد مختار (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م): معجم اللغة العربية المعاصرة، بمشاركة فريق عمل، دار عالم الكتب، القاهرة/ مصر، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ٢٣٩/١، و٢٤٦.
- ١٣- انظر: ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م): المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م، ٧١/٤.
- ١٤- انظر: الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (٣٣٧هـ/ ٩٤٩م): اللامات، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة ط٢، ١٩٨٥م، ص: ٨٣.
- ١٥- انظر: ابن عقيل، عبدالله بن عبد الرحمن الهمداني المصرد (٥١٣هـ/ ١١١٩م) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، ودار مصر للطباعة، سعيد جودت السحار وشركاؤه، القاهرة، مصر، ط٢٠، ١٩٨٠م، ١٢/٣.
- ١٦- السخاوي، علم الدين أبو الحسن علي بن محمد (٦٤٣هـ/ ١٢٤٦هـ): سفر السعادة وسفير الإفادة، تحقيق: محمد الدالي، تعليق: شاكراً الفحام، دار صادر، بيروت/ لبنان، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ٧١٨/٢.
- ١٧- ناظر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد (٧٣٧هـ/ ١٣٧٦م): شرح التسهيل: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام، القاهرة/ مصر، ط١، ١٤٢٨هـ، ٣٠٨٢/٦.
- ١٨- انظر: ابن مالك، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (٦٧٢هـ/ ١٢٧٤م): شرح الكافية الشافية، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة/ السعودية، دط، ودت، ٣٦٢/١.
- ١٩- انظر: ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن يوسف (٢١٣هـ/ ٨٢٨م): أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط١، دت، ٢١٦/١.
- ٢٠- انظر: ابن مالك، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (٦٧٢هـ/ ١٢٧٤م): شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر والإعلان، ط١، ١٤١٠هـ، ٢٠١/٣، ١٩٩٠م.
- ٢١- انظر: ابن مالك: شرح الكافية الشافية، ٣٦١/١ - ٣٦٢.
- ٢٢- انظر: سيبويه: الكتاب، ٣٢١/١.
- ٢٣- السيرافي: شرح كتاب سيبويه، ٢١٣/٢.
- ٢٤- انظر: الفارسي، أبو علي (٣٧٧هـ/ ٩٨٧م) (الإيضاح العضدي، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، كلية الآداب، جامعة الرياض، ط١، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص: ٥١).
- ٢٥- انظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (٥٤٢هـ/ ١١٤٨م): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٢٦/٣.

- ٢٦- انظر: ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي (٥٥٣هـ/١١٥٩م): شرح المفصل، قدم له، الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ١/٢٣٩ - ٢٤٠.
- ٢٧- انظر: ابن الأثير الشيباني، المبارك بن محمد: البديع في علم العربية، تحقيق ودراسة: فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة - السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ، ج: ١، ص: ١٤١.
- ٢٨- انظر: ابن مالك: شرح الكافية الشافية، ج: ٢، ص: ٦٠٣.
- ٢٩- انظر: ابن هشام، عبدالله بن يوسف أبو محمد: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق/ سوريا، ط٦، ١٩٨٥م، ص: ٨٥٣.
- ٣٠- انظر: السامرائي، فاضل صالح: معاني النحو، دار الفكر، عمان/ الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج: ٢، ص: ٧٢.
- ٣١- انظر: ناظر الجيش: تمهيد القواعد، ج: ٤، ص: ١٨٣٤.
- ٣٢- انظر: السامرائي: معاني النحو، ج: ٣، ص: ١٤٧.
- ٣٣- انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (٩١١هـ/١٥٠٥م): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة. مصر، دت، ٢/٢٦.
- ٣٤- انظر: خضير، محمد أحمد (٢٠٠٢م-١٤٢١هـ)، قضايا المفعول به عند النحاة العرب، ص١٤٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، دت، عبد اللطيف، محمد حماسة، العلامة الإعرابية بين القديم والحديث، مطبوعات كلية دار العلوم، القاهرة، مصر ١٩٨٤م، ص ١٠٩.
- ٣٥- انظر: المرادي، أبو محمد حسن بن قاسم (٧٤٩هـ/١٣٤٨م): توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة. مصر، ط١، ٢٠٠٨م، ٣/١١٥٧.
- ٣٦- انظر: سيبويه: الكتاب، ١/٢٥٣.
- ٣٧- انظر: السيوطي: همع الهوامع، ٢/٢٢.
- ٣٨- انظر: الأزهرى، زين الدين خالد بن عبدالله بن أبي بكر (٩٠٥هـ/١٤٩٩م): شرح التصريح على التوضيح، أو التصريح بمضمون التوضيح، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ٢/٢٦٨.
- ٣٩- انظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (١٧٠هـ/٧٨٦م): الجمل في النحو، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط٥، ١٩٩٥م، ص: ٩٠.
- ٤٠- انظر: سيبويه: الكتاب، ٢/٢٣٦.
- ٤١- انظر: السيوطي: همع الهوامع، ٢/٢٨.
- ٤٢- انظر: ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج: ٢، ص: ٢٨٤.
- ٤٣- انظر: ابن يعيش: شرح المفصل، ج: ٢، ص: ٣١ - ٣٢.
- ٤٤- انظر: المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين (١٠٣١هـ/١٦٢٢م): التوقيف على مهمات التعاريف، دار عالم الكتب، القاهرة. مصر، ط١، ١٩٩٠م، ص: ٣٣٣.

- ٤٥- انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (٥٣٨هـ/١١٤٤م): المفصل في صناعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت. لبنان، ط١، ١٩٩٣م، ص: ٤١٣.
- ٤٦- سيبويه: الكتاب، ١٨٢/٢.
- ٤٧- ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل (٣١٦هـ/٩٢٩م): الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت/ لبنان، ٣٥٩/١.
- ٤٨- انظر: ابن الخباز، أحمد بن الحسين (٦٣٨هـ/١٢٤١م): توجيه اللمع، تحقيق ودراسة: فايز زكي محمد دياب، دار السلام، القاهرة/ مصر، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص: ٣٣٠.
- ٤٩- انظر: ابن هشام: أوضح المسالك، ٥١/٤.
- ٥٠- انظر القراءة في: الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (٣٧٠هـ/٩٨١م): معاني القراءات، مركز البحوث في كلية الآداب بجامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٩١م، ٢٣٨/٢.
- ٥١- ابن مالك: شرح تسهيل الفوائد، ٣٨٩/٣.
- ٥٢- ينسب هذا البيت للأخطل التغلبي: الأخطل، غياث بن غوث (٨٩هـ/٦٤٠م): ديوان الأخطل، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط٢، ١٩٩٤م، ص: ١٥٠.
- ٥٣- انظر: ابن هشام: أوضح المسالك، ٤٤/١.
- ٥٤- انظر: ابن الأثير الشيباني: البديع في علم العربية، ج: ١، ص: ١٤٣ - ١٤٥.
- ٥٥- انظر: السخاوي: سفر السعادة وسفير الإفادة، ج: ٢، ص: ٦٣٨.
- ٥٦- انظر: حسن، عباس: النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة/ مصر، ط١٥، ج: ١، ص: ٣٠٧.

ديمقراطية التعليم وتعليم الديمقراطية مقوماتها ومؤشراتها في النظام التعليمي الأردني

د.عبدالرؤوف أحمد بني عيسى*

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢١/٤/١ م

تاريخ قبول البحث: ٢٠٢١/٥/١٦ م

الملخص

هدفت الدراسة إلى بيان مفهوم ديمقراطية التعليم، وتعليم الديمقراطية، ومقوماتها ومؤشراتها في النظام التعليمي الأردني، وتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي لبيان سمات المجتمع الديمقراطي ومبادئه والمقومات الأساسية لديمقراطية التعليم والمفارقات بينها وبين تعليم الديمقراطية، كما بينت خصائص المضامين التعليمية والتربوية الديمقراطية ومؤشراتها في النظام التعليمي الأردني، وتوصلت الدراسة أن ديمقراطية التعليم تختلف في دلالاتها ومضامينها عن التعليم الديمقراطي، وأوصت بتنمية المهارات المهنية للمعلمين من خلال تحديث الدورات، وبما يتناسب مع الفلسفات المعاصرة والنظريات التعليمية الجديدة.

الكلمات المفتاحية: ديمقراطية التعليم، تعليم الديمقراطية، النظام التعليمي الأردني

* أستاذ مشارك، قسم المناهج والتدريس، كلية العلوم التربوية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

Democratization of education, teaching democracy its constituents and indicators in the Jordanian educational system

Abstract

The study aimed to clarify the concept of democratization of education, teaching democracy, its constituents and indicators in the Jordanian educational system. The descriptive and analytical approach was used to demonstrate the features of a democratic society, its principles, and the basic foundations of democratization of education and the discrepancies between it and the education of democracy, as well as the characteristics of the educational contents of democracy and their indicators in the Jordanian educational system. The study found that the democratization of education differs in its connotations and contents from democratic education, and it recommended developing the professional skills of teachers through updating courses, in line with contemporary philosophies and new educational theories.

Keywords: democratization of education, teaching democracy, Jordanian educational system.

المقدمة:

لقد سعت المجتمعات الإنسانية منذ بداية القرن العشرين لتطبيق الديمقراطية فيها، كما أن بعضها حققت هدفها في إيجاد مبادئ الديمقراطية، بينما ما زالت أخرى تسعى للوصول إليها وأدركت أهمية غرس القيم الديمقراطية في نفوس النشئ الجديد من أجل رؤية الآثار الإيجابية للديمقراطية على سلوك الأجيال القادمة.

والديمقراطية تعني إعطاء حق الانتماء لجميع أفراد الشعب بصورة حقيقية، بينما في العالم الغربي تعني الحرية السياسية والاقتصادية والمساواة في الحقوق والواجبات، ووسيلة ضرورية لتوعية الجماهير لتحقيق الديمقراطية الاجتماعية، وهكذا تصبح الديمقراطية حالة نضال من أجل الحريات العامة.

أما ديمقراطية التعليم فتتمثل بإيجاد بيئة تربوية قادرة على تعزيز السلوكات الديمقراطية بين الطلبة والمعلمين ومديري المدارس والعاملين في المدرسة من خلال توفير فرصة اتخاذ القرارات للمعلمين والطلبة، وفتح قنوات الاتصال بين الإدارة المدرسية من جهة وبين المعلمين والطلبة من جهة أخرى، كما وينبغي على المعلمين تبني السلوكات الديمقراطية في ممارساتهم التدريسية وإعطاء الطلبة فرصة التعبير عن آرائهم والمشاركة الفاعلة في عملية اتخاذ القرارات (Geng, 2008)

كما أن تعزيز السلوكات الديمقراطية للمعلمين والطلبة يتم من خلال إشراكهم في اتخاذ القرارات، وإيجاد نشاطات لتنمية السلوك الديمقراطي، وتشجيع المعلمين على تبني السلوكات الديمقراطية، وإظهارها للطلبة للتدريب على المهارات الحياتية، وتوطيد علاقة مدير المدرسة بالمعلمين أو الطلبة (Harwood, 2001).

فدور المؤسسات التربوية لم يعد قاصراً على تقديم معرفة أو ثقافة إنسانية عامة للمجتمع أو تلقين المعرفة، بل أصبح معنياً بأداء مهمات تستجيب لحاجات جديدة، ويفهم من هذا أن المهمة الأساسية للمؤسسات التربوية تتمثل في بناء الإنسان السوي الذي يتجاوب مع معطيات الحضارة وقيمها المستجدة (العظامات، ٢٠٠٧)

فمسؤولية تعزيز ديمقراطية التعليم القائمة على المشاركة الفاعلة لأفراد المجتمع تقع على عاتق التربويين في مؤسسات التعليم المختلفة (تانيباوم، 2015 Tannebaum).

مشكلة الدراسة:

لطالما كانت الديمقراطية محط اهتمام وعناية المتعلمين، كان لا بدّ من النظر في المنهج التربوي الذي يجعلها مفهوماً واضحاً في البناء الاجتماعي والتعليمي الذي يجعل من المتعلم شخصاً قادراً على فهم الديمقراطية ودلالاتها، وتمثل قيمها وينخرط في سلوكياتها، ويلتزم بأحكامها ومعاييرها وأخلاقياتها داخل المجتمع، ومن هنا تكمن مشكلة الدراسة في كيفية غرس

هذه القيم لدى الأفراد من خلال المؤسسات التربوية التعليمية لنتمكّن من الخروج برؤية واضحة حول مفهوم ديمقراطية التعليم ومقوماتها، وإبراز مؤشراتنا في النظام التعليمي الأردني، وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

السؤال الأول: ما سمات الديمقراطية، وما مبادئها؟

السؤال الثاني: ما المقومات الأساسية لديمقراطية التعليم، وما المفارقات بين ديمقراطية التعليم، وتعليم الديمقراطية؟

السؤال الثالث: ما خصائص المضامين التعليمية والتربوية لديمقراطية التعليم، وتعليم الديمقراطية في النظام التعليمي الأردني؟

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى بيان مقومات ديمقراطية التعليم ومؤشراتنا من خلال ما يلي:

١. بيان سمات الديمقراطية و مبادئها.
٢. توضيح المقومات الأساسية لديمقراطية التعليم، والمفارقات بين ديمقراطية التعليم، وتعليم الديمقراطية.
٣. بيان خصائص المضامين التعليمية والتربوية لديمقراطية التعليم، وتعليم الديمقراطية في النظام التعليمي الأردني.

أهمية الدراسة:

أولاً: الأهمية النظرية: تكمن أهمية الدراسة النظرية في تناولها لمفهوم ديمقراطية التعليم ومقوماتها، ومؤشراتنا في النظام التعليمي الأردني.

ثانياً: الأهمية التطبيقية: تظهر أهمية الدراسة التطبيقية في تشجيع القائمين على إعداد المناهج وطرائق تدريسها في الأردن على الاهتمام بديمقراطية التعليم، وتضمين المناهج المطورة أنشطة وتدريبات تتضمن هذا المفهوم، وبما يواكب الانفجار المعرفي، ويفيد المعلمون والطلبة.

التعريفات الاصطلاحية والإجرائية:

تضمنت الدراسة المصطلحات الآتية:

- الديمقراطية اصطلاحاً: كلمة الديمقراطية (Democracy= dēmokratía) أو "Demoskratein" هي كلمة يونانية الاصل وتتكون من مقطعين: (Demos=يعني الشعب)، و (kratein=يعني الحُكم)، وبذلك تكون الترجمة الحرفية للديمقراطية هو "حكم الشعب أو حكم الأغلبية" (Backer and Raveloson, 2008)

والحكم الديمقراطي هو الذي يسمح للمجتمع الديمقراطي بالتعبير عن خيارهم في العملية الإدارية وتوزيع الموارد والحكم العام للبلاد. (Worldatlas.com)

- الديمقراطية اجرائياً: تعني إعطاء حق الانتماء وسبل التعبير عنه وترجمته على أرض الواقع لجميع أفراد الشعب بصورة حقيقية ومتساوية.

- ديمقراطية التعليم: كما يراها ايكهولم (هو أن يعتمد التعلم الذي يحدث في المدرسة على مشاركة حقيقية للسلطة بين المتعلم والمعلم. واحترام وجهات النظر التي يتبناها (المتعلمين) من قبل الموظفين وأن ينظر إلى التعلم على أنه شيء يمتلكه الطلاب وله تأثير أساسي عليه) (Ekholm, 2004)

- ديمقراطية التعليم إجرائياً: تعني انسحاب قيم الديمقراطية، على نظام التعليم كله، بحيث يتمتع نظام التعليم بخيرات الديمقراطية السياسية والاجتماعية، فيعمم التعليم على طبقات المجتمع كافة، بغض النظر عن البيئة الجغرافية، والقدرات العقلية، والاجتماعية، والجنس واللون، والدين

- النظام التعليمي: هو عبارة عن مجموعة من العناصر التي تشترك معاً في محيط مشترك بينها، ويقوم كلٌّ منها بوظيفةٍ مكملّةٍ لوظائف بقيّة العناصر النظام، وترتبط هذه العناصر معاً بتوفّر بيئةٍ مناسبةٍ؛ لتُنتج في النهاية مخرجاتٍ مستهدفةً. (al-isbaahcenter.com)

- النظام التعليمي الأردني إجرائياً: مجموعة الطرق والأسس والمنطلقات والمبادئ التي توجه العمل التربوي لتحقيق الأهداف المرسومة.
الإطار النظري والدراسات السابقة:

إن نشر ثقافة الديمقراطية ومشاركة جميع عناصر العملية التعليمية من معلمين وطلبة وإداريين وأولياء أمور في صنع القرارات في المؤسسة التعليمية يساهم في زيادة فرص المشاركة والعمل التطوعي بالمؤسسات التعليمية من خلال مشاركة المجتمع المدرسي في حل

قضاياها، وإتاحة الفرصة لأعضائه للمشاركة في النشاطات والفعاليات المدرسية التي تؤثر على مصالحهم ومستقبلهم الوظيفي وسير عملهم .

كما أنّ تعلم الديمقراطية في بيئة ديمقراطية يشجع على المشاركة في التعبير عن الآراء بصراحة ومناقشتها ، وحيث توجد حرية التعبير للتلاميذ والمعلمين يوجد الإنصاف والعدالة" (Council of Europe ,1985).

والديمقراطية حالة من الوعي والتوجيه وطريقة حياة ترمي إلى سيادة إرادة الشعب العامة في الوطن، من أجل تسخير جميع الإمكانيات والموارد الطبيعية لخدمة الإنسان في سياق قيم العدل، والحقيقة والحرية وتكافؤ الفرص وحقوق الإنسان، والمساواة، أمام القانون، وغير ذلك من القيم الديمقراطية (صبري، ١٩٩٠، ٦)

وقد تطورت الديمقراطية حيث مرت في ثلاثة أطوار، الأول ارتبطت الديمقراطية فيه بفكرة الحرية وتتجلى في المؤسسات والثاني امتدت فيه إلى العلاقات الاجتماعية والمهنية، والأسرية وركزت على العدالة، والثالث ركزت فيه على الفرد والمساواة ويتطلع إلى التوزيع العادل والإزدهار (فيليب، ١٩٩٦، ٢٣)

وبالرغم من هذا التطور لمفهوم الديمقراطية المعاصرة، فالنظم الديمقراطية تأخذ صيغاً متعددة، ويمكن أن تختلف من دولة لأخرى، حتى فيما بين الدول الغربية العريقة في تقاليدها، حيث تتعدد في نماذجها التطبيقية، وليس من الضروري أن تكون نمطاً واحداً، فالعبرة في اقتراب الممارسة السياسية أو ابتعادها عن جوهر القيم الديمقراطية، ففي حالات عديدة هناك مؤسسات وهياكل وإجراءات تأخذ من الديمقراطية شكلها دون مضمونها، مما يجعلها مجرد ديكور لديمقراطية مغشوشة أو زائفة، وهي لا تقل خطورة عن حالة غياب الديمقراطية (فيليب ، ١٩٩٦، ٢٠٦-٢٠٧)

فديمقراطية التعليم تتضمن ممارسة القيم الديمقراطية بالمؤسسات التعليمية، والمتمثلة بحرية التعبير، كما تتضمن الممارسات الديمقراطية المبنية على احترام القوانين وعدم التمييز بين الطلبة ومشاركة أعضاء المجتمع المدرسي من الإداريين والطلبة في المجالس المدرسية. (رضوان، ٢٠٢٠)

كما توجه الديمقراطية لإفادة الطالب والمعلم في المؤسسة التعليمية، أما الطالب فيتمثل حقه في اختيار المدرسة وشكل التمدرس، ويتضمن ذلك الحق في اختيار مدرسة حكومية أو مدرسة خاصة أو ربما التعليم في المنزل (رضوان، ٢٠٢٠ ص ٢٧٤).

أما المعلم فيتمثل حقه في الإبداع واختيار نمط متفرد ومتميز للتدريس، ويتضمن ذلك الحرية المهنية للمعلمين في اختيار طريقة التدريس والكتاب المدرسي والأهداف التدريسية وأساليب تقييم الطالب والمشاركة في الإدارة المدرسية، وينتج عن تحقيق ذلك تميز تلك المدارس، ودعم الأداء الفعال لها على اعتبار أن تلك السلوكيات تتجاوز متطلبات الدور الرسمي المحدد، وتكون موجهة نحو إفادة الطالب والمعلم، وتهدف إلى تطوير أداء المدرسة كمؤسسة تعليمية، ويعظم من قدرتها على التنافس وقدرتها ومواجهة المتغيرات والتحديات . (رضوان، ٢٠٢٠)

أن مقومات العملية التربوية والمتمثلة بالمعلم والمتعلم والمناهج التعليمية تتأثر وتتأثر بشكل متفاعل مع الظروف الثقافية والاجتماعية والبيئية، وعند توافر البيئة التعليمية الفاعلة فسوف تشكل وسطا تربويا للأفراد للتعلم والتعبير عن الذات والطموحات والمعوقات. ولما كان السلوك الديمقراطي في المجتمع التعليمي يهدف إلى تحقيق التعاون بين أطراف العملية التعليمية، وبناء علاقات فعالة، وتهيئة بيئة تعليمية متعاونة، كان للمنهج دور كبير في تأطير هذا السلوك من خلال تعزيز قيم العدالة والمساواة. (صالح، ٢٠١٤)

والتعليم الديمقراطي مناخ تربوي تتحقق من خلاله الأهداف المدنية، وبناء علاقات إنسانية فعالة بين أبناء المجتمع التعليمي مبني على الاحترام وتقدير الآخر والتعبير عن الذات والشعور بالأمن. (الحاجي، ٢٠٠٢)

أما تعليم الديمقراطية فيتم من خلال ما تقوم به المؤسسة التعليمية من دعم التربية الديمقراطية بقواعد واسس متينة، ويظهر ذلك من خلال ملاحظة أثر تعليم الديمقراطية في المجتمعات التي تسترشد المؤسسات التعليمية بكل قيمها ، وفي هذا ابتعاد عن حصر تعليم الديمقراطية في الجانب السياسي دون غيره، واعتباره من خلال هذه الدراسة جانب اجتماعي وواقعي ملموس (اويجي، ١٩٩٤)

إن تعليم الديمقراطية تطبق من خلال المجتمعات التي تتوافر فيها التطور المادي والاجتماعي، وربطه بعبادات وتقاليد المجتمع وجوانب الحياة المختلفة، كما ان من يقوم بمهمة تعليم الديمقراطية ينبغي ان يكون ديمقراطيا ولديه معرفة واسعه بأساليب الديمقراطية ومبادئها ومنطلقاتها (ابو عيد، ١٩٩٤)

الدراسات السابقة:

إنَّ الوقوف على ديمقراطية التعليم ومفهومها ومقوماتها ومؤثراتها من الأمور الهامة التي تخدم العملية التعليمية لما فيها من آثار تنعكس إيجاباً عليها، لذا ومن خلال الإطلاع وقع الاختيار على بعض الدراسات التي لها علاقة مباشرة بموضوع الدراسة وقد تم ترتيب هذه الدراسات من الأحدث إلى الأقدم وفق الآتي:

هدفت دراسة رضوان (٢٠٢٠) إلى الكشف عن الممارسات الديمقراطية وسلوكيات المواطنة التنظيمية لدى معلمي مدارس التعليم الثانوي العام في جمهورية مصر العربية، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي الارتباطي لمعرفة درجة العلاقة بين المتغيرين، تكونت عينه الدراسة من (٦٨٨) معلماً ومعلمة من مختلف المحافظات المصرية، وتكون الاستبيان من جزأين رئيسيين، الجزء الأول تناول الممارسات الديمقراطية على مستوى كل من المدرسة، وحجرة الدراسة، والمناهج الدراسية، والجزء الثاني تناول واقع سلوكيات المواطنة التنظيمية للمعلم نحو كل من الطالب وزملاء العمل والمدرسة ككل. وأظهرت النتائج أن الممارسات الديمقراطية على مستوى المدرسة تتم بشكل عام بمستوى متوسط، في حين أن الممارسات الديمقراطية داخل حجرة الدراسة تتم بمستوى مرتفع، وأن الممارسات الديمقراطية في المناهج الدراسية وفي سلوكيات المواطنة التنظيمية للمعلم نحو الطالب تتم بمستوى متوسط، وتوصل الباحث إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة بين كل من الممارسات الديمقراطية بمدارس التعليم الثانوي العام وسلوكيات المواطنة التنظيمية للمعلمين بها، ومن خلال المعالجات الإحصائية تم التوصل إلى أنه من خلال قياس مستوى الممارسات الديمقراطية بالمدرسة يمكن توقع درجة سلوكيات المواطنة التنظيمية للمعلمين بالمدارس الثانوية العامة في مصر.

أجرى المومني، والشorman (٢٠٢٠) دراسة هدفت التعرف إلى درجة ممارسة السلوكات الديمقراطية لدى معلمي المدارس الثانوية في محافظة اربد من وجهة نظر المديرين والمشرفين التربويين، والكشف عن الفروق في درجة الممارسة باختلاف الجنس والخدمة، والمؤهل العلمي، والمسمى الوظيفي في استجابات مديري المدارس الثانوية والمشرفين التربويين، وتكونت عينة الدراسة من (١٩١) مديراً ومديرة، و(١٩٤) مشرفاً تربوياً تم اختيارهم بالطريقة الطبقية العشوائية، وأشارت نتائج الدراسة أن ممارسة السلوكات الديمقراطية ككل لدى معلمي المرحلة الثانوية في محافظة اربد من وجهة نظر المديرين والمشرفين جاءت

بدرجة (مرتفعة) بمتوسط حسابي (٣,٩٠) و (٣,٦٩)، كما اشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات المديرين تعزى لمتغير العمر، ولصالح المديرين ذوي الفئة العمرية (أقل من 40 سنة)، وعدم وجود فروق تعزى لمتغيري الجنس وعدد سنوات الخدمة. وهدفت دراسة مرتضى وأكبار (Murtaza and Akbar, 2019) إلى معرفة تصورات طلاب المدارس الابتدائية فيما يتعلق بالممارسات الديمقراطية للمعلمين في الفصل الدراسي، حيث تم اتباع منهج البحث الكمي، وتألقت العينة من ٣٦٠٠ طالب وطالبة : ١٢٦٠ طالبًا و ٢٣٤٠ طالبة من الصفوف السادس والسابع والثامن تم اختيارهم عشوائيًا من ١٢٠ مدرسة ابتدائية، وأظهرت النتائج ان هناك فروقا ذات دلالة احصائية باستعمال المقياس الإحصائي (t-teast) بين الممارسة الديمقراطية في الفصل الدراسي بين المعلمين والمعلمات لصالح المعلمات. وتوصل الباحثان إلى حاجة المعلمين لممارسة الممارسات الديمقراطية أثناء عملية التعليم في الفصول الدراسية بشكل اوسع لحث الطلاب على المشاركة الديمقراطية وتلبية متطلبات المجتمع الديمقراطي في المستقبل.

هدفت دراسة عساف (٢٠١٨) التعرف إلى تقديرات عينة من معلمي المرحلة الأساسية بمحافظة غزة لدرجة استجابة المناهج المدرسية الفلسطينية لسمات التعليم الديمقراطي، وتكونت عينة الدراسة من (٤١٩) معلما ومعلمة من مرحلة التعليم الأساسي بمحافظات غزة، وأظهرت النتائج أن درجة التقدير الكلية لمعلمي المدارس الأساسية بمحافظة غزة لمدى استجابة المناهج المدرسية لسمات التعليم الديمقراطي كانت متوسطة، وأوصت الدراسة بتطوير الأنشطة المدرسية والصفية المصاحبة للمناهج ذات الصلة التمثيلية، كمجالس الفصول، واتحادات الطلبة وجماعات المشاركة.

هدفت دراسة جوهر، باتماواتي، و مونزير (Johar, Patmawati, and Munzir) (٢٠١٧) إلى تحليل تصور الطلاب لتطبيق الفصل الدراسي الديمقراطي الذي أجراه معلمهم باستخدام نهج (RME- Realistic Mathematics Education). شارك (٢٣) من طلاب الصف السابع في (باندا آتشييه) إندونيسيا في الدراسة، وأشارت النتائج أن هناك (١٢) سمة من سمات الفصول الدراسية الديمقراطية تم تنفيذ (١٠) منها من قبل المعلم، بينما لم يتم تنفيذ النوعين الآخرين بشكل جيد، إضافة إلى وجود تحسن في نتائج تصور الطلاب لتطبيق السمات الدراسية الديمقراطية في فترة التطبيق الثانية بالمقارنة مع فترة التطبيق الأولى لنهج التدريس، كما أشارت النتائج إلى أن التخطيط الجيد للوقت والأنشطة التعليمية التي يتم

إجراؤها وتدريب المعلمين على مهارات التدريس الديمقراطي واكتسابهم الخبرة في تطبيقها أمر ضروري لتنفيذ خصائص الفصل الديمقراطي بنجاح.

كما قام (ألاداغ، وسيفتسي، 2017 Aladag & Ciftci) بدراسة هدفت التعرف إلى القيم الديمقراطية لدى المعلمين والطلبة للمرحلة الأساسية وعلاقتها بمستوى المواطنة الرقمية لديهم، وبلغت عينة الدراسة (346) معلماً ومعلمة من معلمي الطلبة في المرحلة الأساسية تم اختيارهم بالطريقة العشوائية، ولتحقيق هدف الدراسة، تم استخدام مقياس القيم الديمقراطية ومقياس المواطنة الرقمية، وأشارت نتائج الدراسة إلى أن مستوى القيم الديمقراطية لدى المعلمين والطلبة كان مرتفعاً، وأن مستوى المواطنة الرقمية لديهم كان متوسطاً، كما أظهرت النتائج وجود فروق في مستوى القيم الديمقراطية تعزى إلى الجنس ولصالح الإناث.

وهدف دراسة تورابيك وغان (Turabik and Gun, 2016) إلى معرفة العلاقة بين اتجاهات الإدارة الصفية الديمقراطية للمعلمين وتصرفات التفكير النقدي لدى الطلاب. تكونت مجموعة الدراسة من 530 طالباً من المدارس الثانوية العامة الواقعة في منطقة ألتينداغ بمحافظة أنقرة"، وأشارت النتائج أن هناك علاقة منخفضة وإيجابية وذات دلالة إحصائية بين اتجاهات الإدارة الديمقراطية للفصول الدراسية للمعلمين وتصرف التفكير النقدي للطلاب، وأن المواقف الديمقراطية لإدارة الفصل الدراسي للمعلمين كانت مؤشراً هاماً على سلوك التفكير النقدي للطلاب.

هدفت دراسة أحمد، سعيد، وآخرون (Ahmad, Said, Mansoq, Mokhtar, and Hasan) إلى بيان العلاقة بين بيئة الفصل الدراسي الديمقراطية ومشاركة الطلاب وأبعادها الثلاثة: المشاركة المعرفية والمشاركة العاطفية والمشاركة السلوكية، بالإضافة إلى دراسة دور المعلم كوسيط بين الفصل الدراسي الديمقراطي ومشاركة الطلاب، تم استخدام مقياس المناخ الديمقراطي للفصول الدراسية للتربية المدنية (DCCC)، وتكونت عينة الدراسة من (291) معلماً من المدارس الثانوية في باكستان بشكل عشوائي، وأظهرت نتائج الدراسة أن هناك علاقة إيجابية قوية بين البيئة الصفية الديمقراطية ومشاركة الطلاب وأبعادها الثلاثة: السلوكية والعاطفية والمعرفية. كما أظهرت النتائج أن المعلم يضبط العلاقة بين بيئة الفصل الدراسي الديمقراطية ومشاركة الطلاب، وأنه يلعب دوراً مهماً في المشاركة السلوكية والعاطفية والمعرفية للطلاب في عملية التدريس والتعلم.

جاءت دراسة الرميضي (٢٠١٠) لتستكشف واقع الحياة الديمقراطية في المدرسة الكويتية و الجوانب المختلفة لهذا الواقع، واعتمد الباحث المنهج الوصفي في تحليل مواقف الطلبة واتجاهاتهم نحو الممارسات الديمقراطية. وبلغت حجم العينة 883 من طلبة الصف الرابع الثانوي. و اظهرت النتائج انخفاضاً كبيراً في وتيرة الحضور الديمقراطي، وأوصى الباحث بضرورة العمل على تبني سياسة تربوية تأخذ بعين الاعتبار أهمية تطوير الفعاليات الديمقراطية عملياً، ونظرياً في المدرسة، وتكثيف قيم الديمقراطية في المناهج المدرسية.

وسعت دراسة محافظة وعليان (٢٠٠٩) إلى معرفة درجة تطبيق مديري ومديرات المدارس الحكومية لمبادئ الإدارة الديمقراطية من وجهة نظر المشرفين والمعلمين في مديرية تربية عمان الرابعة، وتكونت عينة الدراسة من (٥٠) مشرفاً ومشرفة و(٥٠٠) معلم ومعلمة تم اختيارهم بطريقة عشوائية ، وأظهرت نتائج الدراسة أن درجة تطبيق مديري ومديرات المدارس الحكومية لمبادئ الإدارة الديمقراطية كانت مرتفعة من وجهة نظر المشرفين بينما كانت متوسطة من وجهة نظر المعلمين، كما أظهرت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠,٠٥) بين متوسطات تقديرات المشرفين لدرجة تطبيق مديري ومديرات المدارس الحكومية لمبادئ الإدارة الديمقراطية تعزى إلى الجنس والمؤهل العلمي والخبرة العملية.

وقام الباحث كار(Carr,2006) بدراسة هدفت الى بيان كيفية إدراك المعلمين الحاليين والمستقبليين للديمقراطية وتجربتها وربطها بالتعليم ، لما له من تأثير كبير على كيفية تعلم الطلاب والمشاركة المدنية والديمقراطية وكيفية مشاركتهم فيها مستقبلاً ، تكونت عينة الدراسة من ٤٠٠ طالب من طلاب كلية التربية، أكمل حوالي ١٢٩ طالباً الاستبيان (١١٤ طالباً جامعياً و ١٥ طالب دراسات عليا)، وأظهرت نتائج تحليل استجابات الطلبة أن هناك تصوراً ضيقاً للديمقراطية بالمجمل، حيث كانت أجابات الطلاب تتركز في المقام الأول على السياسة الانتخابية ، ويربطونها بشكل ضعيف فقط بالتعليم، وضعف في مفهوم العدالة الاجتماعية عند افراد عينة الدراسة ، وقد أوعز بعض افراد العينة قلة معرفتهم بمبادئ الديمقراطية وكيفية ممارستها الى ضعف التأسيس المدرسي بموضوع الديمقراطية.

التعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال عرض الدراسات السابقة تبين للباحث وجود تشابه بين الدراسة الحالية والدراسة السابقة في الموضوع والمتعلق بديمقراطية التعليم وتعليم الديمقراطية، واختلفت في

المنهج الذي اتبعته الدراسة الحالية، حيث اتبعت الدراسات السابقة المنهج الكمي، واتبعت الدراسة الحالية المنهج الوصفي التحليلي، وما يميز هذه الدراسة أنها هدفت التعرف إلى مقومات ديمقراطية التعليم ومؤشراتهما من خلال منهج وصفي تحليلي بعكس الدراسات السابقة التي استخدمت المنهج الكمي.

منهج الدراسة:

إتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الاستنباطي بعد جمع المصادر التي تحدثت عن ديمقراطية التعليم وتعليم الديمقراطية، حيث تم رصد هذه الآراء والمقومات والمضامين ومن ثم تحليلها تحليلًا يؤدي إلى استنباط الأحكام الواردة في الدراسة، وقد كان الاستقراء المبني على معرفة النتائج التي وصل إليها أصحاب هذه الدراسات بأرائهم المطروحة والتعليق عليها، ولذا جاءت الدراسة منظمة للآراء السابقة ومضيفة عليها ما تم التوصل إليه وهذا ما تحتمه منهجية التحليل والاستنباط والاستقراء، وقد تمثلت الوحدة التي قام عليها التحليل في مدى ملائمة الآراء لمضمون الدراسة وهدفها ومناقشة الآراء مناقشة علمية مبنية على المقارنة والموازنة في النتائج التي توصلت إليها الدراسة مستندة إلى مجموعة المبادئ التي استندت إليها الدراسة من قانون التربية والتعليم.

تحليل النتائج وتفسيرها

نتائج السؤال الأول: ما سمات الديمقراطية، وما مبادئها؟

وقد استخدمت في الإجابة عن السؤال طريقة الملاحظة الانعكاسية لأثر ديمقراطية التعليم، كما انطلقت الدراسة إلى استقراء الأثر المحسوس الذي تركه ديمقراطية التعليم على البيئة المحيطة في المكان والزمان.

إن ما يدور في البيئة الجغرافية والاجتماعية من مفاهيم وأشياء ثقافية، يؤثر على الإنسان ومجتمعه، فما يحمله المجتمع من منظومه ثقافية وتصورات فكرية، لا شك أنها تؤثر في شخصية الفرد ومفاهيمه واتجاهاته وأفكاره عن ذاته وموضوعات الحياة التي يعيشها في الواقع، وما يقدم من بيان هنا غايته أن نجعل الديمقراطية مفهومة في البناء الاجتماعي، أي كيف نجعل المواطن الأردني قادرًا على فهم الديمقراطية ودلالاتها، ثم كيف نجعل من الديمقراطية موضوعًا ينال اهتمام المواطن على الدوام ليتمثل قيمها، وينخرط في سلوكها ويلتزم بأحكامها الدلالية داخل المجتمع الإنساني، ويمكن القول أن الديمقراطية تتكون من ثلاثة مستويات مترابطة ومتداخلة وهي:

المستوى الأول: الجانب القيمي للديمقراطية، والذي يتمثل في منظومه قيم: الحرية والعدالة، والمشاركة والمساواة، والتسامح السياسي والفكري، والقبول بالتعددية، والاختلاف، والتداول السلمي للسلطة، والاحتكام إلى إرادة الشعب، واحترام حقوق الإنسان، وسيادة القانون.

المستوى الثاني: الجانب التنظيمي للديمقراطية، من حيث إنه أسلوب لممارسة السلطة، وتنظيم العلاقة بين الدول والمجتمع، وذلك من خلال مجموعة من الأطر القانونية، والهيكل السياسية والمؤسسية، والقواعد الإجرائية التي تنظم الممارسة الديمقراطية، وهنا تبرز عدة اتجاهات في بنية النظام الديمقراطي تتعلق بتنظيم العلاقة بين السلطات وطبيعة النظام الحزبي، والنظام الانتخابي، وبنية البرلمان، وهذا يتفق مع دراسة رضوان (٢٠٢٠) والتي توصلت إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة بين كل من الممارسات الديمقراطية بمدارس التعليم الثانوي العام وسلوكيات المواطنة التنظيمية للمعلمين بها

المستوى الثالث: ويتمثل بنمط الحياة داخل المجتمع، باعتبار الديمقراطية نمط حياة للمجتمع، ويتم التركيز هنا على مستوى توفر قيم الديمقراطية وممارستها على صعيد المؤسسات المجتمعية، كالأُسرة والمدرسة والجامعة والحزب والنقابة والنادي (إبراهيم، ١٩٩٩، ٢٠٦-٢٠٧)

وتتمثل هذه المستويات الثلاثة في صفات اجتماعية تؤكد على كرامة الإنسان واحترام قيمه، وذاته وعقله وحياته، والعدل الاجتماعي، وتكافؤ الفرص للجميع والمساواة، وحرية التفكير، واحترام الرأي الآخر، والتغيير الاجتماعي، والتجديد الثقافي وتطبيق المبادئ وعمليات الإبداع، والمشاركة في شؤون المجتمع، وممارسة الحرية، ومحاربة ألوان الظلم، والعدوان والاستبداد والاستغلال في النظام الاجتماعي، وتعزيز المؤسسات، والتأكيد على التحديث والتجديد، واحترام القوانين، وتدعيم الاستغلال السياسي، والاقتصادي، والقدرة على التحدي في وجه التحديات (فيليب، ١٩٩٦، ٢٧-٣٥).

وتتمثل السمات والسلوكيات الديمقراطية التي ينبغي أن يتمثلها المواطن الديمقراطي عن طريق التنشئة الاجتماعية في الأسرة والمدرسة، من أجل تدعيم الديمقراطية ودوام قيمها في البناء الاجتماعي فيما يلي:

-التسامح مع الآخرين، والإسهام في حياة المجتمع، والتوازن بين احتياجات الجماعة، وتمثل قيم الحداثة ورفض التمييز بأشكاله المختلفة، والعنف النفسي والجسدي والاجتماعي،

وأشكال الهيمنة السياسية والاقتصادية وأية محاولة للسيطرة على السلطة بوسائل غير ديمقراطية لأن ذلك يتنافى مع القيم الديمقراطية.

-وعي الإنسان الديمقراطي الكامل بحقوقه وواجباته، والانتفاع بكل الفرص والخدمات والتسهيلات التي يوفرها المجتمع له، وتحمل مسؤوليته في تنمية ذاته وتحرير عقله وفكره وتنمية مجتمعه، وإرساء قواعد العدل والمساواة في المجتمع، والاعتزاز بتراث الأمة وثقافتها القومية، والعقل المنفتح وعدم التعصب ضد الثقافات الأخرى، والاعتراف بالآخرين واحترام حرياتهم، والعدل معهم، والتحلي بالروح العلمية والموضوعية، والتأني في إصدار الأحكام والتخلص من التفكير الخرافي والأفكار المسبقة، والاستقلال في الرأي، والتجريب قبل التعميم، وهذا ما يتفق مع دراسة ، ألداغ، وسيفتسي، Aladag & Ciftci، والتي هدفت التعرف إلى القيم الديمقراطية لدى المعلمين والطلبة ، وأشارت نتائجها ان القيم لديهم جاءت بدرجة مرتفعة.

كما ويتمثل أيضا بتقديم المصلحة العامة على المصالح الشخصية، والتعاون مع الآخرين لتحقيق أهداف مشتركة، والسعي الدائم للنمو المعرفي وتحسين الأداء، وزيادة قدرته الإنتاجية، والتكيف الثقافي والتعامل الإيجابي مع المتغيرات واحترام العمل اليدوي، والثقة بالنفس وبالآخرين، ورفض الجهل والتخلف والعبودية والظلم والتسلط والاستقلال، والأناية والتعصب والتكبر والإسراف والمحافظة على حرية الإنسان وكرامته، واحترام العلم والقانون والنظام في الحياة (الشيباني ، ١٨٨٦ ، ٣٣-٣٤).

مبادئ الديمقراطية:

تقوم الديمقراطية الحديثة على مجموعة من المبادئ الأساسية، ومنها ما يأتي:

إعطاء الإنسان قيمة مركزية: وذلك باحترام كرامته، وعقله ومشاعره، ودوره في الحضارة، والتأكيد على حقوق الإنسان وحرية: عن الحياة، والتعليم، والعيش في مجتمعه، وحقه في الهوية، والتعبير في الاعتقاد، والمشاركة في القرار، وإبداء الرأي، والنقد البناء، والتعامل على أساس إنساني قائم على الحرية والمساواة والعدالة (الزبون، ٢٠١١)

إن الإنسان هو غاية الغايات في الأرض، وهو أئمن من كل الموارد الطبيعية، وله فرصة في التنمية التي تتوجه لإنماء حياة الإنسان في الحياة الدنيا وتقدير ذكائه، وأهمية التفكير الناقد في إرساء الحضارة الإنسانية وتنويع الأعمال، والاشتراك في شؤون مجتمعه ، وتحمل المسؤولية الاجتماعية، وتساوي الناس في الحقوق والواجبات، واقتران المسؤولية بالسلطة

وتكافؤ الفرص، ولا يعني هذا إزالة الفروق الفردية بين جميع المتعلمين، والمساس بالحريات الأساسية بل يهدف لبناء مجتمع متفوق يتيح الفرصة لكل مواطن لتنمية قدراته، حتى يتمكنوا من النهوض في ضوء إمكاناتهم وقدراتهم، وهذا التنوع مصدر خير للناس جميعاً. (الفقي، ١٩٨٣)

إن تشكل هذه الفروق أساساً في تصميم العمل بين الناس لكي يمارس الفرد حقوقه الديمقراطية من خلال الأسلوب المنهجي في التفكير وحل المشكلات، واعتماد أساليب البحث العلمي والتفكير المنظم القائم على المنطق والبرهان في معالجة قضايا الإنسان والمجتمع والتوازن بين مصالح الفرد ومصالح الجماعة، بحيث لا يطغى الفرد على الجماعة، ولا يهمل الأنا عند الفرد بحجة المحافظة النظام الاجتماعي من خلال الإيمان بقيمة التعليم والتربية في دور العلم، وأنه من أسس تقدم الإنسان والمجتمع (عصفور، ٢٠١٥-٢٤٥).

نتائج السؤال الثاني: ما المقومات الأساسية لديمقراطية التعليم وتعليم الديمقراطية، وما المفارقات بين ديمقراطية التعليم، وتعليم الديمقراطية.

وقد تمت الإجابة عن السؤال من خلال التعريف بالمقومات التي تبين الفرق بين ديمقراطية التعليم وتعليم الديمقراطية، وقد تمثلت هذه المقومات فيما يلي:

- وفقاً لجعيني (كما أشارت حرب، ٢٠٠٧) فإن توعية المواطنين بالمعرفة والعلم والثقافة التي تنسجم مع أصالة الهوية الذاتية للأمة، والتأكيد على وحدة المعرفة الإنسانية وتكاملها، والتوازن بين الطبقات الاجتماعية، وبين احتياجات الفرد والجماعة، والمشاركة في اتخاذ القرارات داخل المؤسسات الاجتماعية، ومراعاة الفروق الفردية بين الأفراد في النظام الاجتماعي، وسيادة التفكير العلمي واستخدام العلم في الواقع الاجتماعي لحل المشكلات التي تواجه المجتمع، وتوجيه التعليم من أجل التنمية الاجتماعية الشاملة، والمستدامة والوطنية والفردية من أجل التقدم الاجتماعي، لأن الديمقراطية الحقة تعتمد في تأثيرها على المتعلمين وتوعيتهم، ولا يمكن لبلد ديمقراطي أن يترك شعبه دون تعليم.

- تربية الطفولة المبكرة من أجل التنمية الاجتماعية الشاملة، وتطبيق مبدأ تكافؤ الفرص بين المواطنين داخل المجتمع بالمعنى النوعي والحقيقي، وليس بالمعنى الشكلي الذي يقوم على مجرد توفير المدارس، والتوازن الثقافي مع المستندات والمتغيرات الاجتماعية لضمان استمرارية الحياة الإنسانية، وقبول التغيير الثقافي والاجتماعي وتوجيههما لمصالح المجتمع والإنسان فيه وتعليم المرأة من أجل التنمية الاجتماعية الشاملة والمستدامة، وتنظيم

التعليم والتخطيط لمواجهة الاحتياجات الوطنية والفردية من أجل التقدم الاجتماعي، وتوسيع فرص التعليم الجامعي وربطه باحتياجات التنمية الشاملة والمستدامة.

- ترسيخ الحرية الأكاديمية والتي تتمثل بالتححرر من كل سلطة خارجية للجامعة، أو داخلية جامعية للأساتذة أو الطلبة أو للإداريين، تولد المخاوف في عقول الأكاديميين بما يعيق عملهم في أن يدرسوا (Machlup، ١٩٩٩)، وتعزيز البحث العلمي، وتطبيق نتائجه لخدمة المجتمع، وتطبيق نتائج العلم، واستخدام التكنولوجيا لحل المشكلات التي تواجه المجتمع بكل أبعاده، وتوفير التعليم للإنسان بغض النظر عن لونه أو أصله أو دينه أو إعاقته أو سكنه أو جغرافيته من أجل تربية المجتمع وتعليمه كله، وفتح التعليم أمام أبناء المجتمع ذكوراً وإناثاً بغض النظر عن قدراتهم الجسمية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية، وسيادة العقلانية، والتفكير المنطقي وغياب التفكير الخرافي والأسطوري في تفسير ظواهر الحياة ومتغيراتها، وتطبيق القوانين بشفافية بين المواطنين والمساواة بينهم بالفعل لا بالقول، والتربية هي الآلية الحقيقية لتعليم القيم الديمقراطية وتنشئة الأجيال عليها واستخدامها في بناهم العقلية والوجدانية، من أجل تعزيز القيم الديمقراطية والسلوك الديمقراطية في واقع الحياة بصورة مستمرة، وهذا يتفق مع دراسة (Murtaza and Akbar, 2019) والتي أظهرت حاجة المعلمين لممارسة الممارسات الديمقراطية أثناء عملية التعليم في الفصول الدراسية بقصد تحفيز الطلاب على المشاركة الديمقراطية الفاعلة وتلبية متطلبات المجتمع الديمقراطي

المفارقات بين ديمقراطية التعليم وتعليم الديمقراطية:

إن ديمقراطية التعليم تختلف في دلالاتها ومضامينها عن التعليم الديمقراطي، فديمقراطية التعليم، تعني انسحاب قيم الديمقراطية على نظام التعليم كله، بحيث يتمتع نظام التعليم بخيرات الديمقراطية السياسية والاجتماعية، فيعمم التعليم على طبقات المجتمع كافة، بغض النظر عن البيئة الجغرافية، والقدرات العقلية، والاجتماعية، والجنس واللون، والدين، كما تشير إلى مفاهيم تكافؤ الفرص لأبناء المجتمع وبناته، ليس بمعنى توفير التعليم للجميع فحسب، بل توفير تعليم نوعي لكل المتعلمين، وتمكينهم من التساوي في تحصيل التعليم، واستيعابه، وتمثله، واستخدامه في واقع الحياة، وتحقيق الحراك الاجتماعي لهم جميعاً، من أجل تغير اجتماعي حقيقي، ومن يقوم بمهمة تعليم الديمقراطي، ينبغي أن

يكون ديمقراطيًا، ويمتلك المعرفة بأسس الديمقراطية ، وما يرتبط بها من مقومات وأساليب (أبو عيد، 1994)

أما التعليم الديمقراطي فهو:

- وفقاً لجعيني (كما اشارت حرب، ٢٠٠٧) فإن التعليم الديمقراطي هو الذي يحمل رسالة الديمقراطية بكل قيمها ومفاهيمها وطرائقها وأنظمتها إلى المتعلمين، ويمثل آلية المجتمع الديمقراطي لتعظيم قيم الديمقراطية وتطويرها في الواقع الاجتماعي، ويركز على السمات الإنسانية المشتركة كالعقل والوجدان والثقافة والتقارب بين بني البشر، كما وتعزز من التعاون الإنساني على البر والتقوى والأهداف النبيلة المشتركة، فالتعليم الحق إن لم يعتمد على الأسس الديمقراطية فإنه يكون نوعاً من المظاهرة .

-التعليم الذي يقوم على أسس من الثقافة الديمقراطية، للنهوض بمفاهيمها وقيمها واتجاهاتها ونشاطاتها وآليات استدخالها في البنى الإدراكية والوجدانية والسلوكية للأجيال في واقع الحياة الاجتماعية، وهو التعليم الذي يفتح أنظمتة ومؤسساته أمام الراغبين في التعلم بغض النظر عن أعمارهم أو إمكاناتهم أو قدراتهم أو ظروفهم الشخصية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية، ويعدد وسائل الاتصال، ويستخدم تكنولوجيا المعلومات ليصل إلى الناس حيث هم، ولا يطلب من المتعلمين الالتحاق بالمعاهد التقليدية أو المدارس الرسمية ليتمكنوا من التعليم، بل يتابع المتعلمين بوسائل تعليمية تكنولوجية متعددة المصادر لحل مشاكلهم الشخصية.

-التعليم الديمقراطي، هو الذي يعلم الناس من أجل الوطن كله، وليس من أجل النخبة أو الطبقة أو الفئة ، وهو التعليم الذي يفتح أبوابه لكل المواطنين، عبر درجة المساواة والاستحقاق، وتوفير التعليم الذي يريده الفرد في ضوء إمكاناته وظروفه واحتياجاته الخاصة، ويقرب المسافات بين بني البشر، ويوحد قواهم للنهوض بالمجتمع والتغلب على المشكلات وتعزيز منظومة القيم الديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية والعلمية والجمالية والتكنولوجيا من أجل السلام والحرية والاستقرار ودعم الحق والعدل والروحانيات التي تنقي الإنسان من الأنانية والزعة المادية وتدعم الشفافية، للصعود في مسالك المواصلين إلى الفضيلة والأخلاق والتطلع إلى تحقيق المثل العليا في النظم الاجتماعية.

-التعليم الديمقراطي، هو التعليم الذي يؤصل المعرفة والعلوم، ويقارب بين المعارف الدينية أو القادمة على طريق الوحي، والمعارف الطبيعية المنبثقة من قدرات الإنسان ومنهجيته، ليجمع بين حكمة السماء، وحكمة البشر في سبيل تحقيق حياة أرقى وأسعد للإنسان، الذي يمثل أعلى هدف في الحياة ، وهو التعليم الذي يبشر برسالة أرقى إلى النظم السياسية والاجتماعية في المجتمعات الإنسانية التي تميزت بالحكمة والحقيقة والعدل والحرية والإيمان والعلم، الذي يسعى للكشف عن آيات الله الكبرى في هذا الوجود، الذي صممه الله لاستخلاف الانسان في الأرض، من أجل الحياة وإقامة النماذج الحضارية فيها على الدوام.

-التعليم الديمقراطي، هو التعليم الذي يقدم لأبنائه جميعهم أرفع نماذج المعرفة الإنسانية التي تصقل شخصياتهم وتنمي مبادراتهم وتمكنهم من وحدة التقرير السياسي، الذي يجعل منهم أمة واحدة، تستوعب أديانها وثقافتها في سياق من القيم الديمقراطية في السلوك والأفكار، وتذكرهم بضرورة وعي تاريخهم ولغتهم وعظمة تراثهم في سبيل الإسهام في التقدم المعرفي والتطور الحضاري على الدوام. (بركات ، ١٩٩٥)

-وهو التعليم الذي يوحد اتجاهات الطلبة أي المتعلمين في نطاق نحو الشغف بالحقيقة، وحرية التفكير الناقد، وتنظيم التفكير بصورة منهجية، وتعزيز إحساس الأداء بوحدة بنيتهم في الأسرة الاجتماعية، وتوحيد جهودهم المعرفية، واستثمارها بصورة إبداعية لتطوير مجتمعهم نحو الأفضل، ونقله إلى معارج التقدم.

نتائج السؤال الثالث: ما خصائص المضامين التعليمية والتربوية لديمقراطية التعليم وتعليم الديمقراطية، وما مؤشراتنا في النظام التعليمي الأردني؟

وقد تمت الإجابة عن هذا السؤال من خلال قراءة قانون التربية والتعليم (٣) لسنة ١٩٩٤ وتعديلاته.

حتى يتمكن المتعلم من تمثل أنواع السلوكات الديمقراطية في حياته الواقعية، ينبغي أن يكتسب مجموعة من المعارف، ويستدخل منظومة من القيم في بناء الإدراكية والوجدانية، ويمتلك بعض الكفايات التي تمكنه من امتلاك قدرات معينة تجعله ينجز أعماله بسرعة ودقة وإحسان، فهناك مسلمة تؤكد أن العلم والمعرفة والتقنيات لا تفصح عن نفسها دون جهد أو منهجية في التعلم، وتقوم الديمقراطية في النظام التعليمي على تبني ثلاثة أسس:

الأول: أن ينظر المتعلم في الأصول الجاهزة من أجل ردها إلى جوهرها الأساسي الذي انطلقت منه بهدف تيسير استيعابها وتمثلها في البنى العقلية، واستخدامها أو ممارستها في الواقع.

الثاني: إلغاء فكرة تأسيس امتلاك المعارف على افتراضات نظرية وأنماط من النقل التلقيني، وتأسيس امتلاك المعارف على إخضاع النص المعرفي إلى حالة من التبصر العقلاني والتفكيك القائم على النقد المنهجي.

الثالث: مراجعة محتوى التعلم والتأمل فيه، من أجل إعادة الجزئيات إلى الكليات، ورد الخاص إلى العام، للنهوض بالاستقراء، الذي شكل قاعدة للتطوير العلمي، ولا يمكن أن تتحقق الديمقراطية في أي مجتمع إلا إذا ساد فيه التعليم، وعمت فرصه بين جميع أفرادها، وتؤكد حق التعليم للجميع (الشيباني، ١٩٨٧)

فإن لم يتم التعلم وفق الأسس السابقة، فإن التعليم يبقى من أجل الاستهلاك المعرفي اللفظي وليس من أجل بناء السلوك الديمقراطي، وممارسته في واقع الحياة، عندئذ فإن المدرسة تفقد الغايات الأساسية من ديمقراطية التعليم، لأنها قدمت من حيث هي إضافة مادة كمية إلى المنهاج المدرسي، في حين أن الأصل في إدخال ديمقراطية التعليم ينبغي أن يتوجه إلى إعادة تأهيل الحياة الاجتماعية بصورة حقيقية، وهذا ما يتفق مع دراسة أحمد سعيد وآخرون (٢٠١٤م) والتي أظهرت وجود علاقة إيجابية قوية بين البيئة الصفية الديمقراطية ومشاركة الطلاب وأبعادها الثلاثة: السلوكية والعاطفية والمعرفية.

مؤشرات الديمقراطية في النظام التعليمي الأردني:

يستمد النظام التعليمي الأردني فلسفته وأهدافه وتشريعاته من الدستور الأردني الذي يشكل المنطلق الأول لكل التشريعات القانونية التي تنظم التعليم وإدارته وسياساته، ومعظم التشريعات التربوية في قوانينها وأنظمتها تستند إلى الحكمة المعرفية التي تقوم على نتائج العلوم الموضوعية، وإشراك القوى المفكرة من النخب في المجتمع الأردني، من أجل المصلحة العامة وليس مصالح فردية أو فئوية خاصة، وتتمثل مؤشرات الديمقراطية في النظام التعليمي الأردني والمستمد من قانون التربية والتعليم رقم (٣) لسنة ١٩٩٤ وتعديلاته فيما يلي:

- وجود فلسفة تربوية لهداية العمل التربوي، من حيث، أهدافه ومضامينه، وأساليبه وطرائقه في التعليم والتقويم، فضلاً عن تحديد مستوى المعلمين، والمشرفين والإداريين، وشروط إعدادهم وتأهيلهم بما يتلاءم مع السياسات التربوية، ومتطلبات التعليم المعاصر في مجتمع أردني متغير.

- يتولى إدارة التعليم مؤسسات المجتمع الأردني، وبعض المجالس أو اللجان ويراعى في تشكيلها التخصص والبيئة المحلية، من أجل الإشراف على التخطيط واتخاذ القرارات التي تؤكد الروح الجماعية بدلاً من الفردية مثل: مجلس التربية والتعليم (الذي يتألف من التربية والتعليم، وبعض الوزارات الأخرى، والقطاعات المهنية، وقطاع التعليم الخاص، والجامعات الأردنية) لغاية وضع المنهاج التربوية، وإقرار الكتب المدرسية، والامتحانات، وغير ذلك من مهمات تربوية أخرى.

- تفويض السلطة من المركز (الوزارة) إلى المديرية للأخذ بمبدأ اللامركزية، وتسهيل اتخاذ القرارات على مستوى المديرية المحلية والمدارس في البيئات المختلفة، وجعل التعليم قضية مجتمعية شعبية عن طريق تبني سياسة تربوية لنشر التعليم في بيئات المجتمع الأردني كله (المدينة، والريف، والبادية) بغض النظر عن التقارب الاجتماعي والاقتصادي والظروف البيئة، وإلزام المواطنين بإرسال أبنائهم الذين هم في سن التعليم إلى المدارس سواء أكانوا ذكوراً أم إناثاً وكفالة التعليم لهم بالمجان خلال المدرسة الأساسية التي تتكون من الصف الأول حتى العاشر، بالإضافة إلى استقبال طلبة هذه المرحلة في المرحلة الثانوية (سنتان:) بعد الأساسية بالمجان أيضاً على اختلاف أنواعها مساراتها الأكاديمية والمهنية.

- إتاحة التعليم لكل مواطن بتذليل الصعاب التي تعترض عملية التعليم بما يتناسب مع إمكانياتهم العقلية والنفسية، وتطبيق مبدأ تكافؤ العملية التعليمية بين المتعلمين، وذلك بتوفير التعليم لكل الطلبة على اختلاف بيئاتهم، وتوفير الخدمات التعليمية اللازمة لكل المدارس، ومعالجة بعض المفارقات الناتجة عن هذا المبدأ بإعطاء خصوصية إلى طلبة المناطق المحرومة أو الأقل حظاً. (خضر، ٢٠٠٠)

- مراعاة الفروق الفردية عن طريق سلطة المعلمين، والمديرين والموجهين، وتنويع الواجبات المدرسية، والنشاطات التعليمية في الكتب المدرسية، وأساليب التقويم التربوي، والاهتمام بتأهيل المعلمين قبل الخدمة عن طريق التخطيط لبرامج تعليمية تتلاءم مع مراحل التعليم المختلفة، وإعداد معلمين مؤهلين معرفياً وسلوكياً للتعليم في صفوف المرحلة الأساسية (معلم صف للسنوات الأربع الأولى)، ومعلم مجال للصفوف العليا في المرحلة الأساسية. (مرسي، ١٩٧٥)

تنوع التعليم الثانوي في مساراته الأدبية والعلمية والدينية والاجتماعية فضلاً عن التوسع في تنوع التعليم المهني بما يتلاءم مع احتياجات الطلبة، وإتاحة الفرص الاجتماعية للقطاع الخاص بفتح مدارس أهلية يعلمون فيها المناهج الدراسة الرسمية، إضافة إلى خصوصياتهم الثقافية والدينية، وتوفير التعليم لذوي الحاجات الخاصة، ضمن مدارس مستقلة، أو ضمن المدارس العادية لبعض الحالات التي تتمكن من التكيف مع طبيعة هذه المدارس.

- إدخال الحاسوب إلى المدارس كافة في المملكة بغض النظر عن التباين الاجتماعي والاقتصادي في البيئات الجغرافية المختلفة من أجل التساوي في الحقوق التعليمية، وتوفير مبدأ تكافؤ الفرص لهم جميعاً.

- إدخال أبعاد دولية في نظام التعليم الأردني من أجل التقارب الإنساني، والتفاهم الثقافي بين الشعوب على اختلاف أعراقها وثقافتها ودياناتها من أجل نشر قيم ديمقراطية كالتسامح والتعاون والتعايش مع الآخرين، وقبول الديانات الأخرى إضافة إلى أن النظام السياسي يرغب في تبني الديمقراطية في النظام الاجتماعي، وحينما تتوسع قاعدة الديمقراطية في المجتمع الأردني، وتنشر قيمها بين المواطنين سيرافق ذلك بل سيسبقه إدخال القيم الديمقراطية إلى النظام التعليمي، لأنه الآلية الأولى التي تحقق للدولة أهدافها في تبني الديمقراطية وقيمها الإنسانية، والجدول التالي يوضح مؤشرات الديمقراطية في النظام التعليمي الأردني:

المضامين التربوية لديمقراطية التعليم ومؤشراتها في النظام التعليمي الأردني			
الرقم	المؤشرات	قانون التربية والتعليم (٣) لسنة ١٩٩٤م وتعديلاته	رقم المادة
١	وجود فلسفة تربوية لهداية العمل وتنشئ فلسفة التربية في المملكة من الدستور الأردني	الفصل الثاني: فلسفة التربية	وأهدافها المادة (٣)
٢	يتولى إدارة التعليم مؤسسات تعزز العلاقة بين المؤسسة التعليمية ومجتمعها المحلي المجتمع الأردني ، وبعض المجالس بإنشاء مجالس محلية للمدارس ومجالس للأباء (ل) أو اللجان ويراعى في تشكيلها والمعلمين وتفعيل الأنشطة الخاصة بخدمة المجتمع التخصص والبيئة المحلية، من والعمل التطوعي وغير ذلك من أعمال تصب في تنمية أجل الإشراف على التخطيط المجتمع وتطويره . واتخاذ القرارات التي تؤكد الروح الجماعية بدلاً من الفردية مثل: مجلس التربية والتعليم (الذي يتألف من التربية والتعليم، وبعض الوزارات الأخرى، والقطاعات المهنية	المادة (٦) أعمال الوزارة . رقم	
٣	تفويض السلطة من المركز (الوزارة) إلى المديرية للأخذ بمبدأ اللامركزية، وتسهيل اتخاذ القرارات على مستوى المديرية المحلية والمدارس في البيئات المختلفة.	توجيه النظام التربوي بما يكفل تحقيق مركزية التخطيط العام والمتابعة واللامركزية في الإدارة	المادة (٥) مبادئ السياسة التربوية: رقم (ط)
٤	جعل التعليم قضية مجتمعية شعبية عن طريق تبني سياسة تربوية لنشر التعليم في بيئات متخصصة تلي حاجات المجتمع الأردني	التعليم الثانوي تعليم يلتحق به الطلبة وفق قدراتهم وميولهم ويقوم على تقديم خبرات ثقافية وعلمية ومهنية الثانوي ، الفقرة (أ)	المادة (١١) مرحلة التعليم
٥	إتاحة التعليم لكل مواطن بتذليل الصعاب التي تعترض عملية التعليم بما يتناسب مع إمكاناتهم العقلية والنفسية، وتطبيق مبدأ تكافؤ العملية التعليمية بين المتعلمين.	التربية ضرورة اجتماعية والتعليم حق للجميع كل وفق قايلياته وقدراته الذاتية	فلسفة التربية وأهدافها المادة (٣) الأسس الاجتماعية
٦	توفير التعليم لكل الطلبة على اختلاف بيئاتهم.	التربية ضرورة اجتماعية والتعليم حق للجميع كل وفق قايلياته وقدراته الذاتية	المادة (٣) الأسس الاجتماعية الفقرة رقم (٦)
٨	الاهتمام بتأهيل المعلمين قبل الخدمة عن طريق التخطيط	تمنح إجازة مهنة التعليم في رياض الأطفال وفي مرحلة التعليم الأساسي للشخص الحاصل على الدرجة (١) الجامعية الأولى ويشمل ذلك التأهيل التربوي لمن يمارس مهنة التعليم	المادة (٢٠) الفقرة (أ) الرقم

٩	تنويع الواجبات المدرسية، ترسيخ المنهج العلمي في النظام التربوي تخطيطاً وتنفيذاً والنشاطات التعليمية في الكتب وتقويماً وتطوير نظم البحث والتقويم والمتابعة المدرسية ، وأساليب التقويم التربوي	المادة (٥) مبادئ السياسة التربوية ، المادة (هـ)
١١	إدخال الحاسوب إلى المدارس كافة الاستيعاب الواعي للتكنولوجيا واكتساب المهارة في المملكة بغض النظر عن التباين الاجتماعي والاقتصادي في البيئات المجتمعية الجغرافية المختلفة من أجل التساوي في الحقوق التعليمية	المادة (٤) الأهداف العامة : المادة (ج)
١٢	تحديد مستوى المعلمين، والمشرفين والاداريين، وشروط إعدادهم وتأهيلهم بما يتلاءم مع السياسات التربوية	المادة (١٧): المادة (١٠) المرحلة التي يعمل فيها وأن يكون ذا خبرة في التعليم أو الإدارة المدرسية لا تقل عن خمس سنوات وأن يكون حاصلاً على الدرجة الجامعية الثانية - الماجستير - ويجوز الاكتفاء عند الضرورة بمؤهل تربوي لا تقل مدة الدراسة فيه عن سنة دراسية واحدة بعد الدرجة الجامعية الأولى وبخبرة لا تقل عن عشر سنوات .
١٤	واللزام المواطنين بإرسال أبنائهم الذين هم في سن التعليم إلى المدارس سواء أكانوا ذكوراً أم إناثاً	التعليم الأساسي تعليم إلزامي ومجاني في المدارس الأساسية رقم (أ)
١٥	توفير مبدأ تكافؤ الفرص	التفاهم الدولي على أساس العدل والمساواة والحرية (٣) الأسس الوطنية والقومية والإنسانية رقم (١١)
١٧	مجانية التعليم من الصف الأول حتى العاشر	التعليم الأساسي تعليم إلزامي ومجاني في المدارس الأساسية رقم (أ)
١٨	توفير التعليم لكل الطلبة على اختلاف بينهم	التربية ضرورة اجتماعية والتعليم حق للجميع كل وفق فلسفة التربية وأهدافها المادة (٣) الأسس الاجتماعية رقم (٦)
٢٤	توفير التعليم لذوي الحاجات الخاصة، ضمن مدارس مستقلة، أو ضمن المدارس العادية لبعض الحالات التي تتمكن من التكيف مع طبيعة هذه المدارس	المادة (٥): مبادئ السياسة التربوية: رقم (و)

التوصيات والمقترحات:

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة فإن الباحث يوصي بما يلي:

- تنمية المهارات المهنية للمعلمين من خلال تحديث الدورات، وبما يتناسب مع الفلسفات المعاصرة والنظريات التعليمية الجديدة، وهذا جوهر ديمقراطية التعليم الذي يظهر أثره في الطلبة بعد تطبيق ما تم إعطاؤه للمعلمين من خلال هذه الدورات.
- تطوير الأسس والمنطلقات التي يتم من خلالها اختيار المشرفين، وذلك بإخضاع المتقدمين لإختبارات قياسية لقدراتهم، واشتراط تقديمهم لأبحاث علمية إجرائية تثبت مواكبتهم لمعاصرة التعليم، وبما يكفل تطبيق ديمقراطية التعليم.
- تطوير غرف المصادر الموجودة في المدارس، ورفدها بمجموعة من الوسائل التي تساهم في ارتقاء التعليم وتبسيطه.
- الاستعانة بالمنظمات الدولية التي تقدم المشاريع لإرتقاء التعليم وتطويره، وبما يضمن مواكبة السياسات التعليمية المعاصرة في الدول الداعمة لهذه المنظمات.

الهوامش والمراجع

١. أبو معلق، مجد. (٢٠١٤) الممارسات الديمقراطية لدى طلبة كلية التربية في الجامعات بمحافظات غزة وعالقتها بمهارات الحوار. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، فلسطين.
٢. أبو عيد، عبدالله موسى. (١٩٩٤) الحاجة إلى تدريس الديمقراطية. وقائع المؤتمر السنوي الثالث، القدس، فلسطين.
٣. أوجيه، فيليب، التربية من أجل الديمقراطية، ترجمة أنطون حمصي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٩٦، ص ٢٣.
٤. إسماعيل، سعيد، ديمقراطية التربية الإسلامية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٣.
٥. توفيق، إبراهيم حسنين (١٩٩٩)، العولمة، الأبعاد والانعكاسات السياسية، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، مجلد ٢٨ عدد ٢٧ ديسمبر ١٩٩٩، ص ٢٠٦-٢٠٧.
٦. الجابري، محمد، (١٩٩٣)، إشكالية الديمقراطية والمجتمع المدني، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ١٦٧، مجلد (١٥).
٧. الحاجي، عبدالله (٢٠٠٢)، المجتمع والمدرسة، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض.
٨. حرب، رولا. (٢٠٠٧). تصورات طلبة جامعة النجاح الوطنية للممارسات الديمقراطية لأعضاء هيئة التدريس فيها، رسالة ماجستير في الإدارة التربوية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، في نابلس، فلسطين.
٩. حريق، إيليا، الديمقراطية وتحديات الحداثة بين الشرق والغرب، دار الساق، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠.
١٠. خضر، محسن (٢٠٠٠) من فجوات العدالة في التعليم. الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر.
١١. رضوان، عمر نصير مهران (٢٠٢٠)، الممارسات الديمقراطية وسلوكيات المواطنة التنظيمية لدى معلمي مدارس التعليم الثانوي العام في جمهورية مصر العربية، مجلة الإدارة التربوية، العدد ٢٦، ص ٢٥٧-٣٤٤
١٢. الرميضي، خالد (٢٠١٠) الممارسات التربوية الديمقراطية في المدرسة الكويتية - آراء عينة من طلبة الصف الرابع الثانوي في دولة الكويت، مجلة جامعة دمشق - المجلد ٢٦ - العدد الرابع، ٢٠١٠، ١٥٧-١٧٨
١٣. الرويلي، سعود، (٢٠١٦)، مستوى الممارسات التعليمية الديمقراطية لدى أعضاء هيئة التدريس في الكليات الصحية بجامعة الحدود الشمالية من وجهة نظر طلبتهم. المجلة الدولية في البحث التربوي، ٤٠ (١)، ٢٤٦-٢٦٦.
١٤. الزبون، سليم. (٢٠١١) الممارسات الديمقراطية لدى أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة جرش الأهلية من وجهة نظر طلبتهم، مجلة دراسات، العلوم التربوية، (٣٨)، ٢، ٦٦٠-٦٦٥
١٥. السليم، بشار (٢٠١٤) مستوى الممارسات الديمقراطية الصفية لدى معلمي الطلبة الموهوبين والعاديين من وجهة نظر الطلبة في الأردن، دراسات، العلوم التربوية، ٢ (٢) ٣٠-١

١٦. الشيباني ، عمر ، ديمقراطية التعليم في الوطن العربي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٦.

١٧. الشيباني، عمر، (1986)، التربية وتنمية الذات القومية. ط1 ، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع.

١٨. صالح، علي، (٢٠١٤)، ديمقراطية التعليم واشكاليات التسلسل والأزمات، دار اليازوري، عمان.

١٩. صبري، عبد الله إسماعيل، مستقبل الديمقراطية في الوطن، المستقبل العربي، العدد ١٣٧ تاريخ ٧/ ١٩٩٠
مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ٦.

٢٠. صعب، حسن ، الإسلام وتحديات العصر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠.

٢١. عساف ، محمود عبد المجيد، ٢٠١٨ ، درجة استجابة المناهج المدرسية الفلسطينية في المرحلة الأساسية
لسمات التعليم الديمقراطي من وجهة نظر المعلمين، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية
/ جامعة بابل، العدد ٣٩، ص١٤٨-١٦٥

٢٢. عصفور، محمد ، ميثاق حقوق الإنسان العربي، صورة توجيهية ومصيرية، في الديمقراطية وحقوق الإنسان في
الوطن العربي، بيروت، ص ٢١٥-٣٤٥.

٢٣. العظامات، خديجة، 2007 درجة ممارسة معلمي التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية لمبادئ الديمقراطية في
التدريس الصفّي في قصبة المفرق. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت. الأردن.

٢٤. الفقي، حسن، 1983 ، تكافؤ الفرص التعليمية ومجتمع الجدارة. مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد ١١ ، عدد
4 ، ص 202

٢٥. قانون التربية والتعليم (٣) لسنة ١٩٩٤م وتعديلاته ، تم الاسترجاع من الرابط:

<https://www.moe.gov.jo/ar/node/19179>

٢٦. محافظة، سامح، وعليان، آمال محمد (٢٠٠٩) درجة تطبيق مديري ومديرات المدارس الحكومية لمبادئ الإدارة
الديمقراطية من وجهة نظر المشرفين والمعلمين في مديرية تربية عمان الرابعة، مجلة دراسات للعلوم
التربوية، الجامعة الأردنية، المجلد ٣٦ ، العدد ١ ، ٧٢-٨٥

٢٧. مرسي، محمد وسمعان، وهيب. (1975). الإدارة المدرسية الحديثة. عالم الكتب ، القاهرة، مصر

٢٨. المومني ، موسى سلمان و الشرممان ، منيرة (٢٠٢٠) درجة ممارسة السلوكات الديمقراطية لدى معلمي المرحلة
الثانوية في محافظة إربد من وجهة نظر المديرين والمشرفين التربويين، بحث منشور ، مجلة الجامعة الإسلامية
للدراستات التربوية والنفسية ، المجلد (٢٨) العدد (٣) ، ٢٩٦-٣٠٠ ، الجامعة الإسلامية ، غزة .

٢٩. ناصر، إبراهيم، (2004) ، أصول التربية، الوعي الإنساني. عمان، مكتبة الرائد العلمية.

المراجع الأجنبية:

- 1-Ahmad I, Said H, Mansoq, Mokhtar M, and Hasan Z, 2014, "How teacher moderates the relationship between democratic classroom environment and student engagement", Review of European Studies, 6(4), pp. 239-248.
- 2-Aladag, S. & Ciftci, S. (2017). An investigation of the relationship between digital citizenship levels of pre-service primary school teachers and their democratic values. European Journal of Education studies, 3(6), 17.-18..
- 3-Backer P. and Raveloson J.A, (2008), What is Democracy?, Realized by KMF-CNOE & NOVA STELLA, Antananarivo, September 2008, P 4.
- 4-Carr P.I R. (2006) Democracy in the Classroom?, Academic Exchange Quarterly, 2006 ISSN 1096-1453 Volume 10, Issue 2
- 5-Council of Europe (1985) Recommendation No R(85)7 of the Committee of Ministers to Member States on Teaching and Learning about Human Rights in Schools. (Strasbourg, Council of Europe)
- 6-Ekholm, M. (2004) Learning democracy by sharing power: the student role in effectiveness and improvement, in: J. MacBeath, & L. Moos, (Eds), Democratic learning : the challenge to school effectiveness (London, RoutledgeFalmer
- 7-Geng, S. (2008). An evaluation of teachers' view of primary school principals' practice of democratic values. Social Behavior and Personality, 36 (6), 48 \
- 8-Harwood, D. (2001). The teacher's role in democratic pedagogies in UK primary and secondary schools: A review of ideas and research. Education, 16 (2), 293-316.
- 9-Johar,R., Patmawati ,D., Munzir,S., (2017) Students' Perception of the Implementation of Democratic Classroom in Mathematics Learning, 2nd Annual International Seminar on Transformative Education and Educational Leadership (AISTEEL 2017), Advances in Social Science, Education and Humanities Research, volume 104, P 489-493.
- 10-Payne, K. (2018). Democratic teachers mentoring novice teachers: Enacting democratic practices and pedagogy in teacher education. Action in Teacher Education, 40(2).

11-Murtaza, A ,and Akbar, R. A.,(2019) Teachers' Classroom Democratic Practices: Perceptions, Interpretations and Consequences, Bulletin of Education and Research (2019), Vol. 41, No. 3 pp. 19-34

12-Sudovnik A., et al, Exploring Education, an Introduction to Foundations of Education, London, 1994.

13-Tannebaum, R. (2015). Pre-service social studies teachers' perspectives and understandings of teaching in the twenty-first century classroom: A meta-ethnography. Journal of Social Studies Education Research, 6 (2), 154.

14-Turabik, T.& Gün, F.(2016). The relationship between teachers' Democratic Classroom Management Attitudes and Students' Critical Thinking Dispositions . Journal of Education and Training Studies, 4(12), 45-57.

15-Zachrisen, B. (2016). The contribution of different patterns of teachers' interactions to young children's experiences of democratic values during play. International Journal of Early Childhood, 48 (2), 179-183.

مراجع من الإنترنت:

1-<https://www.worldatlas.com/articles/the-different-forms-of-government-by-democratic-attributes.html>

2- <https://mssader.com>

ظاهرة الملح في العربية وأثرها في التعليل اللغوي

د. عمر محمد أبو نواس*

تاريخ الوصول: ٢٠٢١/٣/٨م

تاريخ القبول: ٢٠٢١/٥/٢٦م

الملخص

تأتي هذه الدراسة لاستكشاف ظاهرة الملح في العربية وأثرها في التعليل اللغوي بدراسة معنى الملح وتطور استعماله عند اللغويين، والوقوف عند أهم المسائل اللغوية التي وُجّهت على الملح في الدراسات اللغوية عند القدامى والمحدثين، وتحليل أثرها في التوجيه اللغوي. غُيّت الدراسة بتعريف مصطلح الملح، ومفهومه، وموقف العلماء منه، وأثره في التفسير اللغوي، فتطُرقت إلى الملح في العلم المنقول وموقف النحاة منه بين القول بالسّماع أو إجازة القياس فيه، وُلح الأصل الافتراضي، وُلح الاسميّة، وُلح الوصف، وُلح المعنى، ونظرًا إلى أهميّة الملح في التعليل اللغوي كان لزامًا أن يُحلّل أثر هذه العلّة في تفسير الاستعمالات اللغوية وتوجيهها. وقد دُرست هذه القضايا بمنهجٍ وصفيٍّ تحليليٍّ في ضوء الوظيفة الأساسية لمقولة الملح في الفكر النحوي، وقد خُتمت الدراسة بخاتمة أثبتت فيها أهم النتائج التي توصّلت إليها الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الملح، التعليل اللغوي، العلم المنقول، الأصل.

* أستاذ مشارك، الجامعة الألمانية الأردنية والجامعة القاسمية – الأردن.

The Phenomenon of Hinting in Arabic and its Effect on Linguistic Reasoning

Summary

This study comes to explore the phenomenon of hinting in Arabic and its effect on linguistic reasoning through looking at the meaning of hinting and its use among linguists, examining the most important linguistic issues that were directed at hinting in linguistic studies of ancient and modern speakers, and analyzing their effect on linguistic guidance.

For this reason, the study is meant to address hinting in terms of: the term, its concept, the position of scholars towards it, and its effect on linguistic interpretation. Hence, it touches on: Hinting and the transferred science, and the point of view of scholars regarding it between saying by hearing or authorizing analogy on it, hinting on the origin, hinting nominal, hinting description, and hinting meaning.

Furthermore, given the importance of hinting in linguistic reasoning, it is necessary to analyze the effect of generalizing the phenomenon and its extensions on the Arabic linguistic heritage.

These issues have been studied with a descriptive and analytical approach in light of the basic function of the saying in the grammatical thought, and the study is concluded with its most important results that are proven.

Key words: hint, linguistic reasoning, transferred science.

المقدمة:

مهما تطوّرت النظريات اللّغويّة الحديثة وانتشرت يظلّ للنظريّة اللّغويّة العربيّة بريقها الخاص، وتظلّ لأصولها مكانتها المهمة التي تدلّ على دقة العقليّة النّحويّة في التّعامل مع مكوّنات الظاهرة اللّغويّة والخوض في جزئياتها ومحاولة إخراجها في قواعد تدلّ على تماسك النّظريّة النّحويّة.

ومن يُنعم النظر في التّراث النحويّ يجد اهتمام النّحاة في اختيار المصطلحات والأوصاف التي تعبّر عن المعنى المقصود، وتعلّل النمط الموجود، ولا شكّ أنّ نظرات النّحاة إلى ما بين سطور القانون النّحويّ قرّضَ عليهم الجمع بين متشابهات القواعد وأقيستها وعملها بمراعاة دقيقة للجوانب الشكليّة وتركيزٍ دقيق على الجوانب المعنويّة.

من هنا جاءت هذه الدراسة؛ لتخوض في غمار ظاهرة دقيقة من الظواهر التي كان لها أثرٌ عميق في التّعليل اللّغويّ؛ فجعلت اللّمع موضوعها وميدانها، وإذا كان المعنى اللّغويّ للّمع يُنئى عن دقة المعنى، فإنّ هذا استلزم تخصيص هذه الدّراسة للإجابة عن مجموعة من الأسئلة المتعلّقة بمفهوم اللّمع وموقف العلماء منه، ودوره في التّعليل اللّغويّ من خلال دراسة: اللّمع والعلم المنقول، ولّمع الأصل الافتراضي، ولّمع الاسميّة، ولّمع الوصف. وقد أثبتت الدراسة أنّ ظاهرة اللّمع تجاوزت المعنى اللّغويّ التعبيري للمصطلح إلى كثيرٍ من المسائل اللّغويّة التي تدلّ على دوره في التّعليل اللّغويّ، كما كشفت أنّ اللّمع ظاهرة متشعبة لا يمكن حصرها في مظهر واحد، لذلك خصّصت مبحثاً يشير إلى امتدادات اللّمع وأثاره في التّراث اللّغويّ العربيّ.

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف اتّخذت الدّراسة من المنهج الوصفيّ التحليليّ أداةً في الدّراسة من خلال استقصاء مواطن اللّمع في الدراسات اللّغويّة، وتصنيفها وتبويبها وتحليلها، في سبيل تسخير المنهج وصولاً إلى تحليل هذه الظاهرة.

وقد سُبقت الدراسة بمجموعة من الدراسات التي تتقاطع معها:

-دراسة حامد كاظم، وعقيل كاظم، الموسومة بـ "المراعاة في النحو العربيّ، مفهوماً، اصطلاحاً، استقراءً"، مجلة كلية التربية الأساسيّة للعلوم التربويّة والإنسانيّة، جامعة بابل، العدد (٢١)، حزيران، ٢٠١٥ م.

-دراسة عبدالله محمد زين بن شهاب، الموسومة بـ "الأصل الصرفيّ ماهيته وأثره في معالجة البنية الصرفية، مجلة الدراسات اللغوية، مج ١٧، ع ٢٤، (ربيع الآخر - جمادى الآخرة ١٤٣٦/فبراير - أبريل ٢٠١٥م)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة.

-دراسة عبدالله راجحي محمد غانم، الموسومة بـ "مراجعة الأصل في العربيّة"، مجلة القلم، ع ٥٤، يونيو ٢٠١٦، تصدر عن جامعة القلم للعلوم الإنسانيّة والتطبيقيّة، الجمهوريّة اليمنيّة.

- دراسة إيمان عليوي نايف: لمح الأصل في مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني، مجلة القادسية للعلوم الإنسانيّة، م ٢٣، ع ٤٤، ٢٠٢٠.

إلا أنّ هذه الدِّراسات لم تتناول اللّمع بمظاهره المختلفة التي نبجّتها، وهي دراسات تتناول مصطلحات تتقاطع وتتوازي مع مصطلح اللّمع بشكل جزئي، وما يُميّز دراستنا أنّها جاءت لتدرس اللّمع ودوره في التعليل اللغويّ وفق معايير محدّدة متكاملة توصّلت إليها الدراسة أدّت إلى تشكيل مفهوم اللّمع في الدرس اللغويّ، وامتداداته في التراث اللغوي، ودوره في التبويب النحوي وفي نظام التعالق في الجملة، ودوره في التعالق النسي، وقد أفادت الدِّراسة من النصوص الصّريحة للعلماء على لمح الأصل، وعلة مراعاة الأصل، أو مراعاة شبه الأصل، وكانت هذه مسألة بارزة في التعليل، لا سيما عند الزجاجي في شرح الجمل. وقد رُسّخت هذه العلة تحت باب مراجعة الأصل كما برز ذلك في الخصائص لابن جني، والأشباه والنظائر للسيوطي.

مصطلح اللّمع ومفهومه وموقف العلماء منه:

اللّمع في اللغة: اختلاس النظر "لَمَحَ إِلَيْهِ يَلْمَحُ لَمَحًا وَلَمَحَ: اخْتَلَسَ النَّظَرَ؛ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمَحَ نَظَرًا وَلَمَحَهُ هُوَ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ. الْأَزْهَرِي: أَلْمَحَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ وَجْهِهَا إِمَّا حَا إِذَا أَمَكْنَتْ مِنْ أَنْ تَلْمَحَ، تَفْعَلُ ذَلِكَ الْحَسَنَاءُ... وَلَمَحَ الْبَرْقُ وَالتَّجْمُ يَلْمَحُ لَمَحًا وَلَمَحَانًا: كَلَمَعَ^(١). وجاء في تاج العروس ما نصّه: "اللّمع. سُرْعَةُ إِبْصَارِ الشَّيْءِ كَاللَّمْءِ، بِالْهَمْزِ. واللّمة: النَّظَرَةُ بِالْعَجَلَةِ، وَقِيلَ لَا يَكُونُ اللَّمَحُ إِلَّا مِنْ بَعِيدٍ"^(٢) وقيل: اللّمة النظرة بالعجلة بنظر خفيف لشيء يعرض في مجال الرؤية -كما يلفت الإنسان حدقته دون وجهه نحو أحد ثم يردّها بسرعة، وكما يوجّه بصره عابراً نحو شيء ثم يصرفه. ويصدق اللّمع أيضًا بالرؤية العابرة لشخص أو شيء يظهر ثم يختفي في أقلّ زمن^(٣).

وعُرّف اللّمع في الاصطلاح بأنّه الملاحظة، والمقصود به الإشارة إلى ما كان عليه العلم المنقول الذي دخلت عليه أل من أصل، بقصد التّلميح إلى ما كانت عليه هذه الأعلام في أصلها، كدخول أل التّعريف على (الفضل) للّمع المصدريّة، ودخولها على الحارث للّمع الوصفية، ودخولها على النعمان للّمع أنّه منقول من اسم عين، وهذا مقصور على السّماع لا يُقاس عليه^(٤).

وإذا تتبعنا المصطلح في مؤلفات القدماء؛ فإننا لا نكاد نعدم توضيحات لمسائل من هذه الظاهرة دون التصريح بتعريفها بشكل مباشر، على النحو الذي ذكره ناظر الجيش في تفسير اللّمع عند حديثه عن (أل) العهديّة: "وأما أنّ (أل) لها مدخل في لمع الصّفة، فأبعد(قصده أبعد من الدلالة على الغلبة) لأنّها لم تفد لمع صفة، والذي لمع الصّفة إنّما هو المتكلم لمع ما كان عليه الاسم قبل نقله إلى العلمية، وهي حالة التّكثير فأدخل (أل) عليه بعد العلمية لا لإفادة تعريف ولا غيره، بل شبّه حاله بعد العلميّة بحاله قبلها، فأجاز فيه بعد ما كان يجوز قبل، هكذا أفهم معنى قولهم: لمع الصّفة."^(٥)

ويبرز معنى اللّمع وأثره في التّعليل في تفسير صرف أفعال ومنعها من الصرف، فقد اعتمد عليه النّحاة في تعليل جمعه على مراعاة الأصل والتركيز على اللّمع فيه، "لأنّ أفعال هذا الذي هو صفة في الأصل حين سمّت به العرب تارةً اعتبرت أصله، فجمعته جمع أحمر، وتارةً اعتبرت ما أل إليه من الاسميّة، فجمعته جمع الأسماء، فقالوا في أحوص العلم: حُوص، كما قالوا في أحمر: حُمُر، وقالوا فيه: أحاوص كما قالوا في أحمد: أحامد،...فمن جمعه جمع الصفات ينبغي له أن لا يصرف، ومن جمعه جمع الأسماء ينبغي له أن يصرفه."^(٦)

وقد وضّح السامرائي معنى لمع الأصل في (أل) بقوله: "قد تدخل (أل) على العلم المنقول للّمع الأصل، ومعنى لمع الأصل، الالتفات إلى المعنى الذي نقل عنه العلم، وذلك نحو قولك العباس، والحارث، والنعمان، والفضل، فالعباس يشير إلى معنى العباس، والحارث إلى الحرّاة، والنعمان إلى الدم، لأنّ النعمان هو الدم وهكذا. فقولك: جاء عباس، يشير إلى العلم لا إلى معناه، وأمّا قولك: جاء العباس، فإنّه يشير إلى معنى العباس كأنّك قلت: جاء الذي يعبس كثيراً."^(٧)

لقد استعمل العلماءُ تعبيراتٍ متنوعةً للدلالة على مفهوم اللّمع، منها: اللّمع، للّمع الأصل، يلمع، ملموح، يلمحون، وثمة استعمالات أخرى تستعمل في معنى اللّمع، نحو قولهم: مراعاة للأصل^(٨)، أو استصحاباً للأصل^(٩)، أو استعمال للأصل، أو مراجعة الأصل^(١٠).

ومن خلال ما تقدّم، يمكن القول إنّ ثمة معايير محدّدة تُستنبط من مفهوم اللّمع واستعمالاته عند اللغويّين أدّت إلى تشكيل مفهومه في الدّرس اللغويّ، يمكن إجمالها بالآتي:

- اللّمع قياسٌ عقليّ يقوم على التّأويل البعيد، وهو يتفق في ذلك مع معنى اللّمع لغة.

- اللّمع علّة لغويّة لبعض المسائل.

- اللّمع وسيلة لتفسير ما خالف القاعدة.

- اللّمع ليس مؤشراً شكلياً فحسب بل هو دليل قائم على المعاني والوظائف النّحوية للعناصر اللغويّة داخل البنية والتركيب.

- اللّمع حلقة وصل بين الاستعمال المتداول والأصل الافتراضيّ للبنية اللغويّة.

اللّمع مظاهره وأثاره في تفسير القواعد اللغويّة:

إنّ المطالع لمظاهر (اللّمع) في العربيّة يلمس أنّ العلماء لم يتجاوزوا حدود وظيفة (أل) في لمع الأصل في الغالب وهم يتحدّثون عن أنواع (أل) العهدية والجنسية، وهو حديث طابعه الغالب التكرار، والحقيقة أنّ اللّمع في العربيّة مظهرٌ من مظاهر التّعليل فسّر به العلماء مسائل لغويّة متفرقة لا تقتصر على أل التعريف، فقل هو للّمع الأصل، ولمع الاسمية كما في قولهم: "وأما الصّفات فبالإسكان وقالوا: لَجَبَات وِرَبَعَات للّمع اسمية أصليّة"^(١١)، ولمع الوصف، ولمع المصدرية، ولمع المعنى كما هي الحال في لمع معنى التّمني في لعل^(١٢)، ولمع معنى المبالغة في النسب إلى رقبة رقبانيّ. ثم إنّ دور اللّمع ليُعَمّم حتى يشمل مسائل لغويّة وُضعت بالاعتماد على تصوّر اللّمع، وإن لم يصرحوا به، وستقف الدراسة عند أهم مظاهر اللّمع في العربيّة، ودوره في تفسير المسائل اللغويّة:

- اللّمع في العَلَم المنقول:

وضّح ابن مالك دور اللّمع في تشكيل القواعد المختصّة بدخول (ال) على الأعلام المنقولة، فقال:^(١٣)

للمح ما قد كان عنه نُقْلا

وبعضُ الأعلامِ عليه دخْلا

فَذِكْرُ ذَا وحذفه سيَّان

كالْفَضْلِ والحارثِ والنعمانِ

وعقَّب ابن عقيل على هذه القاعدة بقوله: "ذكر في هذين البيتين أنَّ (ال) تكون للمح الصفة والمراد بها الداخلة على ما سُمِّي به من الأعلام المنقولة ممَّا يصلح دخول أَل عليه كقولك في حسن: الحسن، وأكثر ما تدخل على المنقول من صفة كقولك في حارث: الحارث، وقد تدخل على المنقول من مصدر، كقولك في فضل: الفضل، وعلى المنقول من اسم جنس غير مصدر كقولك في نعمان: النعمان، وهو في الأصل من أسماء الدم، فيجوز دخول أَل في هذه الثلاثة؛ نظرًا إلى الأصل، وحذفها نظرًا إلى الحال، وأشار بقوله للمح ما قد كان عنه نُقْلا إلى أنَّ فائدة دخول الألف واللام الدلالة على الالتفات إلى ما نُقِلت عنه من صفة أو ما في معناها." (١٤)

وقد اختلفوا في موقفهم من دخول (أَل) على الأعلام بين القول بالسمع أو إجازة القياس فيها، فقسم من العلماء يرونه سماعيًا، ومنهم ابن هشام الذي ذهب إلى أنَّ الباب كُلَّه سماعيٌّ، ويقصد دخول أَل على بعض الأعلام للمح الأصل^(١٥)، ومنهم الشَّاطِبيُّ في قوله: "وأفهم قوله (أي ابن مالك) وبعض الأعلام، أنَّ جميع الأعلام المنقولة مما يقبل (أَل) لا يثبت له ذلك، وهو كذلك، فلا تدخل على نحو: محمَّد، وصالح، معروف، إذ الباب سماعيٌّ"^(١٦). وقد فسَّر الصَّبَّانُ السماع فيه، فقال: "الباب سماعيٌّ، أي باب إدخال أَل للمح الأصل، فما سُمِع من العرب إدخالها عليه كان لك إدخالها عليه، ولو في غير مُسماهم، وما لا فلا، فالقيود المتقدمة ليست شروطًا لجواز إدخال أَل للمح بل بيان لمورد السماع."^(١٧)

وقد تناول ابنُ مالك هذه المسألة، وأشار إلى مسألة الشيوخ والتدرج في زيادة (أَل) التعريف للمح الأصل، يقول: "وإذا كان العلم منقولاً من صفة أو مصدر أو اسم عين، وكان عند التسمية به مجرداً من أداة التعريف، جاز استعماله علماً أن يلمح به الأصل فتدخل عليه الأداة، ولا يلمح فيستدام تجريده. وأكثر دخولها على المنقول من صفة؛ كحسن وعَبَّاس وحارث، ويلي ذلك دخولها على منقول من مصدر كفضْل وقَيْس، ويليه دخولها على منقول من اسم عين كليث وخزْنق. وإلى هذا التفصيل أشرت بقولي: "وفي المنقول من مجرد صالح لها ملموح به الأصل وجهان."^(١٨)

إنّ ابن مالك يضعنا أمام مراتب في لمح الأصل، ومراتب في دخول أل التعريف، تعتمد على الشيوخ والكثرة، وهذه المراتب شكّلت أساساً فيما بعد لسعة دخول أل التعريف على الصفات أو المصادر، وهي مسألة تفسّر لنا قياس ما عدّه العلماء سماعاً.

وتجلى القول بالسماع في هذه المسألة عند الشاطبيّ الذي اعترض على كلام ابن مالك الذي يبدو منه أنّه لم يقيّد زيادة اللام للمح الأصل بالسماع، فعقب عليه بقوله: "إنّ ظاهر كلامه يقتضي القياس في جميع ما ذكر من الأنواع الثلاثة: فيجوز على قوله أن تقول في قيس: القيس، وفي زيد: زيد، وفي عمرو: عمرو، في غير ضرورة، كما تقول في فضل: الفضل، وكذلك يجوز على قوله في مالك: المالك، وفي فاطمة: الفاطمة، وفي حاتم: الحاتم، كما تقول في قاسم: القاسم، وفي عباس: العباس، وكذلك تقول في حجر: الحجر وفي حبل: الحبل، وفي جعفر: الجعفر، وفي بكر: البكر، كما تقول في نعمان: النعمان، وهذا كلّ غير صحيح، لأنّ مثل هذا لا يُقاس عليه، وإنّما بابها كلّها السماع، فلا يتعدّى بواحد منها ما سُمع."^(١٩)

ويوضّح الشاطبيّ موقف ابن مالك في ما عدّه من القياس في هذه الألف الزائدة في الأعلام "والجواب: عن الأول والثاني أنّ القياس في الأنواع الثلاثة ألا مانع منه؛ لأنّه إذا كانت العرب قد أرّنتا مذهبهما في لمح الأصل، ورأينا ذلك يكثر في السماع فبيّناه على شرطه، وكون العرب لم تقلّ ذلك في جملة منها (لم يكن منها ترك) تركاً للقياس، وإنّما كان لفقد الشرط وهو لمح الأصل لا أنّه عندها لا يلمح، فإذا لمحنّا نحن الأصل أدخلنا الألف واللام ولم يبقَ محذور، وهذا رأيه في "شرح التسهيل" فإنّه ذكر فيه أنّ العلم إذا كان منقولاً من صفة أو مصدر أو اسم عين، وكان عند التسمية به مجرداً من أداة التعريف جاز في استعماله غالباً أن يُلح به الأصل فتدخله الأداة، قال: وأكثر دخولها على منقول من صفة كحسن وعبّاس وحارث، ويلي دخولها على منقول من مصدر كفضل وقيس، ويلي دخولها على منقول من اسم عين كليكث وخرنق. فهذا هو الذي ذهب إليه هنا- والله أعلم- ولا أعلم من قال بذلك غير ابن مالك."^(٢٠)

لقد استند الشاطبيّ على موقف الزمخشري في قياس دخول (ال) للمح في الصفة، واقتصره على السماع في المصادر والعلم المنقول من اسم عين، فقال: "وفي كلام الزمخشري في "المفصل" إشارة إلى شيء من ذلك في غير المنقول من اسم عين، والذي يثبت من ذلك في القياس إن ثبت اعتباره نوعاً من المنقول من الصفة، وإن جاء غير ذلك فهو مسموع نحو: فضل وخرنق، وأمّا أن يقال بالقياس في الجميع فلا."^(٢١)

وبالعودة إلى رأي الزمخشريّ نجد أنّه لا ينصّ على السّماع والقياس في المسألة، ولكنّه يشير إلى نوعين من الأعلام التي تدخلها الألف، النوع الأول وهو الذي تدخل عليه الألف لزومًا وهي الصفات الغالبة، أو ما يُسمى علمًا بالغلبة، نحو: النّجم، والصّبح، والعَيّوق، والدُّبران، والنوع الثاني وهو غير اللازم، نحو: الحارث، والعبّاس، والمظفر، والفضل، والعلاء، وما كان صفة في أصله أو مصدرًا.^(٢٢)

وقد وافق محمد النّجار القدماء في سماعية دخول (أل) على الأسماء للمح، وأشار إلى أنّ أكثر وقوع هذه اللام في المنقول عن صفة: كحارث وقاسم، وحسن وحسين، وعبّاس وضحّاك. وقد يقع في المنقول عن مصدر كفضل، أو اسم عين كنعمان، والباب كلّه سماعي؛ فلا يجوز في نحو: محمّد، وصالح، ومعروف. ولم تقع في نحو: يزيد ويشكر؛ لأنّ أصل الاسم الفعل، ولا يقبل أل.^(٢٣)

إنّ رأي جمهور النّحاة أنّ هذا الباب سماعي يقتصر فيه على ما ورد عن العرب، غير أنّ فاضل السامرائي له وجهة نظر مخالفة، إذ يقول: "والذي يبدو لي أنّه جائز في كلّ علم منقول إذا أردت لمح أصله، فتقول فيمن اسمه (صفوان) إذا أردت أنّ اسمه مطابق لمعناه: أقبل الصفوان بمعنى أقبل الصّخر، وتقول فيمن اسمه (محمود) وقد حقّق معنى اسمه، وأردت أنّ تلمح إلى ذلك (أقبل المحمود) أي الذي يحمده الناس، فإذا أردت لمح أصل المعنى، جاز ذلك في كلّ علم منقول، اللهم إلا إذا كان منقولاً عمّا لا يقبل أل كيزيد ويشكر، فإنّه لا يجوز أن تدخل عليه أل. وكذلك العلم المرتجل، فإنّه لا يجوز إدخال (أل) عليه لمحًا للأصل؛ لأنّه ليس له أصل فيلّمح."^(٢٤)

إنّ المطالع للمصادر النحويّة يلمس بجلاء أنّ (أل) التي للمح الأصل أصبحت جزءًا من القواعد النحوية في باب التعريف والتّكثير، وأنّ الأمثلة التي ذكرها القدماء امتدّت إلى الدّرس النحويّ الحديث، على النحو الذي يطالعنا على سبيل المثال عند محمد عيد في (النحو المصفى)^(٢٥)، وعند عبّاس حسن في (النحو الوافي)^(٢٦). والذي بدا لي فيما حصرته من مظاهر (اللمح) أنّ مسأله تتجاوز حدود (أل) التعريف إلى مسائل أخرى، سنبرزها في هذا البحث.

- لمح الأصل الافتراضي:

كان للمح دورٌ كبيرٌ في بيان الأصل في الأعلام المنقولة كما رأينا في المبحث السابق، وإنّ المتنبع لهذه الظاهرة يجد لها امتدادات تتجاوز اللّمع بـ (أل) لبيان الأصل، ففي المسألة

الخلافة في أصل اشتقاق كلمة (اسم) نجد الأنباري يعلل كسروضم الهمزة فيها لللمح للأصل: "وكسرت الهمزة في "اسم" لمحا لكسرة سينه في: "سمو"; لأنه الأصل، وضمت الهمزة في "اسم" لمحا لضمة سينه في "سمو"; لأنه أصل ثانٍ، والذي يدل على ذلك اللغتان الأخريان وهما "سم" و"سم" فإنهما حذفت لامهما، وبقيت فائهما على حركتهما في الأصلين. ووزن "اسم" بضم الهمزة: أفع، ووزن "سم": فع، ووزن "سم": فُع، ووزن "سمي": فُعَل." (٢٧)

وقد ظهر استعمال الصيغتين بالضم والكسر على السواء، قال الثعالبي: "واسم: أصله سمو بكسر السين، أو سمو بضمها، وهو عند البصريين مشتق من السمو." (٢٨) واسم في الأصل سمو أو سمو كجبر وقفل. (٢٩)

والأصل فيه على مذهب البصريين قبل الحذف والتعويض: "سمو" على وزن (فعل): فحذفت اللام؛ التي هي الواو وعوض عنها بهمزة في أوله؛ فوزنه عندهم (أفع) لحذف اللام منه. (٣٠)

ومما يمكن حمله على اللمح في هذا الباب مصطلح ملاحظة الأصل، وهو مصطلح له دوره في تعليقات التحوين ويتقاطع في أصل وضعه مع اللمح، فقد علل ابن يعيش تصحيح الواو في: (حوّل)، و"عور"، و"صيد" بملاحظة أو لمح الأصل فيها، فقال: "وأما "حوّل"، و"عور"، و"صيد" البعير فممنقوصات من "احوال"، و"اعواز"، فهي في الحكم زائدة على الثلاثة يدل على ذلك صحة الواو والياء فيها. ولولا ملاحظة الأصل، لقلت: "عار"، و"حال"، و"صاد". ألا ترى أن في هذه الأفعال ما في "خاف"، و"هاب"، ونحوهما من موجب القلب والإعلال. فعلى هذا لا تقول من "أجاب"، و"انطلق": "هذا أجوب من هذا"، ولا "أطلق منه"; لأن فعليهما زائدان على الثلاثة." (٣١)

وقد اتخذ الأسترباذي من لمح الأصل متكأ في تعليل ما منع من الإعلال على غير قياس، وسلك مسلكاً بعيداً يتجاوز البنية الشكلية إلى لمح الدلالة في تفسير الاستعمالات اللغوية، يقول: "وما تصرف من الصحيح، فالذي تصرف من نحو: ازدوجوا واجتوروا، واعواز واسود، واعور واسود، وعور وسود، وقالوا وباع، وصحيح لا يعل أيضاً تنبها على أنها مشتقة من ذلك الأصل، نحو: أعورته واستعورته، وتعور وتسود، وعاور وساد، وأسود وأعور، ومقاول ومبايع." (٣٢)

إنّ هذه الآراء التي دارتْ حول الصحة والاعتلال في هذه الأفعال تكشف أنّ اللّمع وما دار في فلكه من ملاحظة الأصل أو مراجعة الأصل مسألة عقلية تعتمد على المقاييس الراسخة في عقل النّحويّ حتى غدت معياراً في تعليل أبنية الكلمات وفق سلسلة عقلية من اللّمحات التي تعكس دور الذهنية العربيّة في الجمع بين بنى الكلمات المتعدّدة.

إنّ هذه التعليلات التي ظهرت بفعل حركة فعل اللّمع أو الملاحظة أو المراجعة في عقل النحوي للكشف عن الأصول، هي التي أدّت إلى تعليل رأي الكوفيين في إجازة مناداة العدد (اثني عشر): لأنّهم لمحو فيه الإضافة وهذا ما رفضه غيرهم ممّن نفى الإضافة في الأعداد المركّبة: "أنك إذا ناديت اثني عشر فإنّك تقول: يا اثنا عشر. ولا يُتوهم أنّه بمنزلة المُضاف من أجل حذف النّون؛ لأنّ النّون لما حذفت نزلت عشر منزلتها فصارت في الحكم بمنزلة قولك: اثنان، ولو ناديت هذه الكلمة لقلت: يا اثنان، وكذا يا اثنتا عشرة ويا ثلثا عشرة. ونُقل عن الكوفيين أنّهم يلحظون فيه الإضافة فيجيزون يا اثني عشر." (٣٣)

وقد اتكأ العلماء على ملح الأصل في تعليل منع التسميّة بأسماء الله تعالى، فإذا كان التسمي محليّ بـ (ال) ففي هذه الحال لا يُسمّى به غير الله ﷻ كما لو سميت أحداً بالعزیز، والسيد، والحكيم، وما أشبه ذلك فإنّ هذا لا يسمّى به غير الله؛ لأنّ (ال) هذه تدل على ملح الأصل وهو المعنى الذي تضمنه هذا الاسم." (٣٤)

- ملح الاسميّة:

لا شك أنّ اللّمع ظاهرة عقلية يلجأ إليها النّحويّ في تعليل الأنماط اللّغويّة بالاعتماد على بيان وجه التّعالق بين العناصر المتشابهة في الشكل والوظيفة، وهذا ما يتجلّى في التّعليل بلمح الاسميّة عند النّحويين، وكما في قولهم: "وأما الصّفات فبالإسكان وقالوا: لَجَبَات وربّعات للمح اسمية أصليّة." (٣٥)

فالقاعدة النحويّة المقرّرة هنا تقضي بأنّ كل ما كان على وزن (فَعْلَة) صفة، وجمّع بالألف والتاء لا يُحرّك وسطه، بل يُسكّن للفرق بين الصفة والاسم، أمّا لَجَبَات وربّعات فقد حُرّكت ولم تسكّن، وقد علّلوا هذا التحريك بلمح الاسميّة الأصليّة فيهما. فمفردهما: (لَجَبَة، رَبّعة) اسمان وُصِف بهما ومراعاة لأصلهما حُرّكتا في الجمع. ويدلّ على ذلك ثبوت تاء التأنيت فيهما مع المذكر كثبوتهما في المؤنث، فيقال: رجل رَبّعة وامرأة رَبّعة، فهما اسمان يقعان على المذكّر والمؤنث وُصِف بهما. (٣٦)

وقد كان الخليل بن أحمد أوّل من علّل التحريك فيهما بالحمل على أصل الاسميّة إلا أنّه أشار إلى معنى اللّمع ولم يُصرّح به: "وشياه لَجَبَات، وبعضهم يثقل لأنّها نعتٌ لا يذكّر جعلوه كالاسم المفرد." (٣٧) قال سيّبويه: "وقالوا: شياه لَجَبَات، فحرّكوا الحرف الأوسط؛ لأنّ من العرب من يقول: شاة لَجَبَة، فإنّما جاءوا بالجمع على هذا واتفقوا عليه في الجمع." (٣٨) والتزم لَجَبَات ورَبَعَات لفتح المفرد في لغة. (٣٩)

وقد كان التعليل بلّمع الاسميّة هو الأساس في هذه المسألة إلا أنّ اللغويّين حاولوا تحليل سبب الفتح من عدة أوجه متباينة، وتعدّدت توجهاتهم له، فمنهم من حمل التحريك على العوض من هاء التانيث، إلا أنّه رأي جانب الصواب؛ لعدم صحة الجمع بين معوّضين في كلمة واحدة؛ فالتاء هي في الأصل العوض وليست الفتحة. (٤٠)

ومنهم من حمل التحريك على الاستغناء، قال أبو حيان: "وقالوا: لَجَبَة ورَبَعَة بفتح الجيم والباء، وقالوا في الجمع: لَجَبَات ورَبَعَات بالفتح... والذي أذهب إليه أنّه استغنى بجمع لَجَبَة ورَبَعَة المفتوحين العين عن جمع لَجَبَة ورَبَعَة الساكنين." (٤١)

ومنهم من وصف التحريك بالشاذّ إلا إذا قُصِدَ بحمله على لمع الاسميّة: وجمع لَجَبَة لَجَبَات على القياس؛ وجمع لَجَبَة لَجَبَات، بالتحريك، وهو شاذ، لأنّ حقه التسكين، إلا أنّه كان الأصل عندهم أنّه اسم وصف به. (٤٢)، وجعله الزبيدي في تاج العروس من النادر: "وجمع لَجَبَة لَجَبَات، بالتحريك نادر؛ لأنّ القياس المُطَرِّد في جمع فَعْلَة إذا كانت صفة، تسكينُ العين." (٤٣)، ولا غرابة أن تحتلّ العين مركزاً أساساً في تفسير بنية الكلمة بالاعتماد على اللّمع؛ لأنّها كما يرى الطيب بكوش تمثل عنصر الاستقرار في الصيغة نتيجة توسطها في الكلمة. (٤٤)

فهذه الآراء جميعها تثبت أنّ اللغويّين مجمعون على أنّ لمع الاسميّة له دورٌ مباشر في رصد العلاقة بين بنية الكلمة ووظيفتها، فالتغيير الذي طرأ على بنية الجمع في: (لَجَبَات ورَبَعَات) هو تغيير تكوّن نتيجة العلاقة التلازمية بين شكل الانتقال في الكلمة من التسكين إلى التحريك بالفتح وبين وظيفتها التي يلّمح في أصلها الاسميّة وإنّ كانت في ظاهرها وصفاً، فاللّمع هو المسوّغ الذي يفسّر تغَيُّر البنية الشكليّ مع اعتبار دورها الوظيفي.

- ملح الوصف

لم يقتصر دور ملح الوصفية على الأعلام المنقولة عن الصفة التي دخلتها (ال) للمح؛ كحَسَنَ وَعَبَّاسَ وخَارِثَ، بل تعدّاها ليشمل مسائل أخرى مثل مسألة جمع كلمة أحمر: "يجمعون" أحمر وبابه إذا كان علمًا على "حُمُر" وعلى "أحامر"، ولولا ملح الوصفية لم يُجز جمع على حُمُر، لأنّ "أفعل" إذا كان اسمًا إنّما يجمع على أفاعل، وبابه إذا كان صفة أن يجمع على فُعْل. فإذا جُمع على فُعْل لُحّ معنى الوصفية كما ملح في إدخال اللام. وإذا جمع على أحامر لم يلمح كما لم يلمح إذا استعمل بغير ألف ولام.^(٤٥)

فالقياس يقتضي أن تجمع أحمر إذا كانت اسمًا على (أحامر) على وزن أفاعل، ولا يجوز جمعها على (فُعْل) لأنّها تكون جمعًا للنعت، إلا أنّ النّحاة سمحوا بجمعها على (حُمُر)؛ إذا لُحّت فيها الوصفية.

وقد سبق سيبويه في الإشارة إلى التواشج بين المفرد في أحمر وجمعه وفق صيغتين تتبادلان في وظائفهما: (حُمُر وأحامر) بفعل العلاقة بين الاسميّة والوصفيّة، إلا أنّ سيبويه وإن كان حلّل المسألة وفق المعنى العام للمح إلا أنّه لم يُصرّح بالمصطلح؛ وربّما يرجع ذلك إلى أنّ مرحلة المصطلح بشكل عام لدى سيبويه ومن تبعه من النّحاة الأوائل كانت مرحلة تجريبية ذهنيّة، وفي هذا قال سيبويه: "وإن سميت رجلًا بأحمر فإنّ شئت قلت: أحمر، وإن شئت كسّرتة فقلت: الأحامر، ولا تقول: الحُمُر؛ لأنّه الآن اسم وليس بصفة، كما تجمع الأرناب والأرامل."^(٤٦)

وذهب المبرد إلى هذا، فقال: "ولو سميت رجلًا (أحمر) لم يَجْز في جمعه (حُمُر)؛ لأنّ هذا إنما يكون جمعًا لما كان نعتًا، ولكن (أحامر) فهذا جملة هذا الباب."^(٤٧)، وهذا ما نجده عند ابن السّراج أيضًا: "وإذا كسّرت الصفة على شيء قد كُسّر عليه نظيرها من الأسماء كسّرتها إذا صارت اسمًا على ذلك، كما قالوا في أحمر: أحامر."^(٤٨)

إنّ مسألة ملح الوصفية التي أظهرتها عملية تعليل النّحويين لجمع كلمة: (أحمر) على (حُمُر)، تكشف أنّ اللّمع في التّفكير النّحوي مسألة مترتبة على القاعدة التي تُبنى على القياس، والمعنى الذي يتحكّم في سير الصيغة الجديدة وفق بدائل استعمالية حقّقت المقبولية اللغويّة عند النّحاة على الرغم من أنّها لا تتفق مع القياس، ولا شك أنّ اللّمع هو قياسٌ ذهني خفيّ يركن إليه النّحاة للرّبط بين نوع الصّيغة ومعناها. ولعل هذه الذهنيّة في

هذه المسألة تتجلى في فرضيات التسميّة التي بنى عليها النّحويون هذه المسألة بقولهم السابق: "ولو سميت رجلاً أحمر."

وربّما هذا ينطبق على ما أكّده علي أبو المكارم بقوله عن تكوين القياس في العقل العربي: "وإنّما الهدف الذي يسعى النّحاة إلى تحقيقه يمتد على جبهة عريضة تبدأ من محاولة طرد القواعد، عن طريق ربطها بعضها ببعض، وتنتهي بإجازة الأحكام وتأصيل القواعد."^(٤٩)

- ملح المعنى:

تقوم ظاهرة اللّمع في أساسها على الرّبط الذهنيّ بين الصيغ بالاعتماد على مجموعة من المؤشرات منها: نوع الصيغة، والأصل والفرع، وقرنها أو بعدها من القياس، والمعنى الذي يعدّ من أهم المؤشرات التي بها تتشكّل العلاقة بين العنصر الأوّل الذي يمثل مرحلة القياس العقلي، والعنصر الثّاني الذي يظهر كعنصر متوازٍ في الاستعمال مع العنصر الأوّل.

ومن أهمّ المسائل التي حُمِلت على ملح المعنى إضافة إلى ما ذكرناه من مسائل تتعلق بـ (ال) في الأعلام المنقولة، ملح معنى التّمّي في لعل^(٥٠)، وعليه وجّهوا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِي لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (36) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهٍ مُّوسَى...﴾ [غافر: 36-37]. وقال ابن يعيش معلقاً على هذه الآية: "قد قرئت هذه الآية: {فَأَطَّلَعَ} بالرفع عطفاً على {أَبْلُغَ}، وبالتّصّب كأنّه جوابُ "لَعَلَّ" إذ كانت في معنى التّمّي، كأنّه شبّه التّرجّي بالتّمّي، إذ كان كلّ واحد منهما مطلوبُ الحصول مع الشكّ فيه. والفرقُ بينهما أنّ التّرجّي توقّع أمر مشكوك فيه أو مظنون، والتّمّي طلبُ أمر موهوم الحصول، وربما كان مستحيل الحصول."^(٥١)

ومن المسائل التي تُحمَل على ملح المعنى ملح معنى المبالغة في النّسب، نحو: رقبة رقباني^(٥٢) "وذلك قولك في الرجل تنسبه إلى أنّه طويل اللحية: لِحْيَانِي، وفي طويل الجُمّة: جُمَانِي، وفي طويل الرّقبة: رَقَبَانِي، وفي كثير الشّعْر: شَعْرَانِي؛ فإنّما زدت لما أخبرتك به من المعنى فإنّ نسبتَ رجلاً إلى رَقَبَةٍ، أو شَعْرٍ، أو جُمّة. قلت: جُمّي، وشَعْرِي، وَرَقَبِي، لأنّك تزيد فيه ما تزيد في النّسب إلى زيد، وعمرو."^(٥٣)

وذلك لأنّ العرب لم يلحقوا الألف والنون في النّسب إلا بأسماء محصورة زيدتا فيها للمبالغة كقولهم للعظيم الرّقبة: رَقَبَانِي وللكتيف اللحية لِحْيَانِي."^(٥٤)

ومن المعاصرين من رأى أنّ هذه الصّيغ ليست شاذة، وأجاز النّسب إلّها حملاً على معنى المبالغة من مثل: أحمد مطلوب^(٥٥)، وعبدالإله النّيهان^(٥٦)، فهذا النّسب يعدّ من الشواذ في أقيسة النّحاة؛ لأنّه خالف قواعد النّسب الشكليّة، إلّا أنّ لمع المعنى أعطى مساحة لتعليل زيادة الألف والنون؛ لأنّهم لمحوها فيها معنى المبالغة، وبهذا تخرج هذه الصّيغ المزيّدة من دائرة الشذوذ إلى دائرة مقبولة الاستعمال وتسويغه اعتداداً بلمع المعنى المبالغة. وهذا يمتدّ إلى مظاهر شتّى من شواذّ النّسب التي كان لمع المعنى معياراً في قبول هذه الصّيغ وشيوعها.

واعتماداً على لمع المعنى علّل عبد الرزاق الصاعدي ما انفرد به ابن خالويه بذكر أصل آخر للكلمة (الموسى) آلة الحلاقة غير (م وس) و(و س ي) وهو (أس و) إذ اشتقّه من الأسوة بقوله: "ويكون (مُفْعَلاً) من الأسوة؛ فقال ابن خالويه: "وهذا حرفٌ غريبٌ؛ ما استخرجه أحدٌ - علمته - غيري، فاعرفه؛ فإنّه حسنٌ"^(٥٧). والأسوة الّتي اشتقّ منها ابن خالويه هي: القدوة، والقوم أسوة في هذا الأمر؛ أي: حالهم فيه واحدة، وكأنّه لمع في (الموسى) أنّها تساوي بين الشّعير؛ فأخذه من هذا.^(٥٨)

فاللمع ليس مقصوراً على الأبنية الداخلية للكلمات والجمل، إنّما تمتد آثاره لتصل إلى المعنى ودوائره وعندها يكون لمع المعنى هو الضبط لبيان أصول بنية الكلمة أو الجملة. فمعاني السياق كما يرى محمد حماسة عبد اللطيف في حقيقتها لغويّة: "تأتي من معرفة الخصائص التي تضع المفرد أو التركيب في مقابلات استبدالية سلبي وإيجاباً حتى تضعه في موضعه الصّحيح أو الاحتمالي وهذه كلّها تتم في ذهن المتكلّم الأصلي باللغة."^(٥٩)

تعميم اللّمع وامتداداته في التّراث اللغويّ العربيّ:

- اللّمع والتأليف النحويّة:

كان من مظاهر تعميم مصطلح "اللّمع" واشتقاقاته اللغويّة في الدرس النحويّ دخوله ضمن البنى المعجميّة في بعض عنوانات الكتب النّحويّة على سبيل استثمار دلالة اللّمع على الفطنة والذكاء والدقّة والاختصار وتعيين الفروق والتداول الناجز بالدخول إلى عالم النّحو من عنوان جاذب، وفي الوقت نفسه دالّ على صفة ثابتة في النّحو، وهي انبناؤه على أعمال العقل وإدراك العلاقات الظاهرة في اللفظ، أو الكامنة وراء سلسلة تحولاته اللغويّة في الصرف والنحو والتداول.

ففي المكتبة العربية مجموعة من المؤلفات التي ألفت باعتماد رئيس على الملح ودوائره، منها:

- كتاب: "ملح البرهان" لمفيد محمد بن محمد (ت ٤١٣ هـ)،^(٦٠) وهو في علم الكلام؛ لأنَّ أصل الملح في إعمال البصر فيما هو وراء لحظ النظر.

- كتاب "ملح البرهان في تفسير القرآن" لابن ظافر الطائي يحيى بن أحمد (ت ٦٣٠ هـ)^(٦١)

- كتاب اللوامح في القراءات الشاذة، الذي بناه أبو الفضل عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن العجلي الرازي (ت ٤٥٤ هـ)^(٦٢) على أقصى ما وصل إليه من قراءات شاذة إلا أنَّها في اللغة حُجَّة لأمحة لوجه من وجوه الصواب اللغوي.

- اللمحة في شرح الملمحة، لمحمد بن حسن بن سباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبدالله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ (ت: ٧٢٠ هـ)، وهي شرح لملمحة الإعراب للحري، وفي العنوان استثمار بديعي لطيف على سبيل الجناس الناقص لاختلاف ترتيب الأحرف بين "ملح"، و"لمح"، قال ابن فارس: "الميم واللام والحاء: أصل صحيح له فروع تتقارب في المعنى، وإن كان في ظاهرها بعض التفاوت."^(٦٣)، لكنَّ مصطلح "الملاحة" من "الملح" ذهب إلى الذوق، فدخل في تذوق جماليات الشعر ونحوه كالبدیع، أمَّا مصطلح "الملح"؛ فانصرف إلى العقلیات، فدخل في علم النحو؛ لهذا صنع دلال الكتب سعد بن علي الخزرجي الوراق الخطيري كتابا في الجناس، جمع فيه الملح إلى الملح، سمّاه "ملح الملح"^(٦٤). وسَمَّى ابن ليون الأندلسي سعيد بن أحمد مختصره لكتاب "روح الشعر" باسم: "ملح السحر من روح الشعر."^(٦٥)

- ملح المسائل النحويّة في شرح العوامل المائة، ليحيى بن بخشي بن إبراهيم الكوتاهي الرومي الحنفي المتوفى في حدود (٩٠٠ هـ)^(٦٦) وهو شرح لمثن متداول معروف في النحو، وهو العوامل المائة لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ). ويبدو أنَّ الاسم قد أتى على سبيل موافقة وقع الإشارة لما في حدود عبد القاهر الجرجاني من وجازة العبارة، فهو كالملاح على الملح، فالأول القديم لمح في الإشارة، والشرح اللاحق به لمح في المسألة والعبارة.

- الملح والتبويب النحوي:

لا خلاف في أنَّ الملح مسألة ذهنيّة لها دورٌ مهم في تشقيق بعض المسائل النحويّة وترتيبها في الباب النحوي الواحد، كما في مسائل الإلحاق النحوي كالملاحق بالمثني، أو بجمع المذكر

السالم، أو المؤنث السالم، فهذه الملحقات إنّما دخلت هذه الأبواب النّحوية؛ لأنّ النّحاة لمحوها فيها التشابه الشكليّ مع الباب، وإنّ كانت تختلف مع مباحثه في الأصالة الثابتة فيه في بعض شروط التقنين النحوي.

وقد رأى حسن الملح أنّ النّحاة توصلوا إلى أصل الباب بسائر أدواته بالقياس، فقاموا الأداة على أصل باهيا قياساً شكلياً معتمدين على كثرة الاستعمال وسعة التصرف في تأصيل الأبواب النّحوية.^(٦٧)

فمسألة اللّمع باعتبار التبويب النحوي أفضت إلى أنّ النّحاة اعتمدوا على المقاييس الشكلية في تبويبهم للمسائل النّحوية، ولكنهم لم ينظروا إلى المقاييس الشكلية والجوهرية التي ساروا عليها بشكل منفرد، أو مُنعزل عن طبيعة اللّغة، بل ربطوها ضمن إطار متكامل من العلاقات النّحوية المتكاملة.

إنّ هذا يمتدّ إلى مصطلحات تتعالق مع اللّمع مثل الاعتبار، والمراعاة، والتمسك بالأصل، ومراجعة الأصل، وهذه كانت عنوانات لمسائل في بعض المؤلفات النّحوية، ممّا يدلّ على سعة توظيف اللّمع ومرادفاته في التبويب للمسائل اللّغوية.

- اللّمع ونظام التعالق في الجملة:

إنّ الاتجاه الذي اتّبعه النّحاة في دراستهم للّمع ضمن الحدود التجريدية لعناصر الجملة وتعالقها وفق سلسلة من معطيات القياس التأويلي القائم على ربط أساليب تكوين الجملة بما تفيده من معاني بارزة يعكس دقة ترتيب عناصر الجملة؛ لأنّها جمل تتشكل وفق أقيسة ذهنية قائمة على مبدأ اللّمع عند تحقيق الفروق الدقيقة بين مسائل الباب النحوي الواحد، أو الأبواب المتقاربة، ففي باب المفعول معه ملح النّحاة تقارب واو المعية مع واو العطف، فما انفكوا يتحدّثون عن مسائل ترجيح العطف على المعية للّمع الواو مستبدة بالمصاحبة، لكنّها على تقدير على الاتحاد في العطف بين المعطوف والمعطوف عليه، وعلة الانفكاك بين المفعول معه والفعل لفوات المشابهة في التّصنيف النحويّ بين فعل المعية والاسم المنصوب على المعية، في حين تتحقّق المشابهة في التّصنيف النحويّ بين المعطوف والمعطوف عليه.

وقد أكّد تمام حسان دور اللّمع في التعالق الجُمليّ في دراسته دور القرائن في تكوين عناصر الجملة؛ إذ رأى أنّ النّحاة كانوا يلمحون قرينة الإسناد بين طرفي الجملة الاسميّة

والفعلية والوصفية كما كانوا يلمحونه أيضاً بين المعاني النحوية في داخل الجملة الواحدة، وهذا هو المعنى الذي نلاحظه في إعراب جملة مثل قوله تعالى: «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ» [البقرة: ٢٦٩] حين نُعَرِّب "من" مفعولاً أولاً على رغم تأخرها، والحكمة مفعولاً ثانياً على رغم تقدمها، ويكون ذلك بإدراك ما بينهما من علاقة شبيهة بفكرة الإسناد؛ إذ تقول: إن "من" هي الآخذ، و"الحكمة" هي المأخوذ. والخلاصة: إن مراعاة الأخذية والمأخوذية هنا هي الاعتبار الذي تمّ إعراب المفعولين طبقاً له، وهو اعتبار من قبيل قرينة الإسناد، ويتم كل فهم للقرينة معنوية كانت أو لفظية في حدود ما تسمح به نمطية اللغة.^(٦٨)

- اللّمع والتّعالق النسبي:

يتداول النّحويون قواعد ثابتة تعبّر عن دور اللّمع في تحقيق متطلبات التّعالق النّسبيّ بين المتقابلات في العربيّة مثل التّوازي الأفقيّ بين التّعريف والتّنكير، فالشّائع عندهم أنّ التّنوين علم التّنكير، ولكن تولّد عندهم إشكال يكمن في دخول التّنوين "وهو للتّنكير" في الأعلام العربيّة، مثل: "محمد" و"علي"، وللخروج من ذلك ميّزوا بين التّنكير المطلق والتّنكير النّسبيّ، وقد أحسّ ابن جني بأنّ التّنكير ليس مطلقاً، وإنّما قد يكون نسبياً في الأعلام، فقال: "التّنوين دليل التّنكير... فإن قلت: فإذا كان الأمر كذلك، فما بالهم نونوا الأعلام، كزيد وبكر؟ قيل: جاز ذلك؛ لأنّها ضارعت بألفاظها النّكرات؛ إذ كان تعرفها معنوياً لا لفظياً؛ لأنّه لا لام تعريف فيها ولا إضافة"، فالأعلام معرفة بقصد مسماها لا بذات معناها، ومن هنا كانت في الاستعمال قصداً بالإشارة إلى المسعى، وفي الاستعمال دلالة معجميّة على المسعى من غير دخول علامة لفظيّة فارقة؛ لهذا ما غاب عن جمهور النّحاة تبين أنّ الاسم من نحو "محمود" اسم مفعول نكرة في معناه الدالّ المعجميّ على الحمد، لكنّه معرفة في المقصود به عند إطلاقه على شخصي ما" فيكون استصحاب تنوينه إشارة إلى أصل نقله وتحويله.^(٦٩)

فاللّمع أساس ثابت عند ابن جني وغيره، يتدخل في تفسير تنوين الأعلام التي يلمح منها أنّها تضارع النّكرات بألفاظها فالتّنكير فيها تنكير نسبي^(٧٠)، ورأى تمام حسان أنّ التّنوين في الأعلام للدلالة على هذا الشّيع النّسبيّ، ولذلك نراه يزول عندما يوصف العلم بكلمة: "ابن"؛ لأنّ الدائرة قد ضاقت بهذا الوصف، وأصبح العلم محددا غاية التحديد، ببيان النسب^(٧١).

وقد بيّن النّحاة أنّ تنوين المنادى تنكير، وبناءً تعريف، وإن كان اللفظ هو هو، كما في: "يا محمود، انتبه"، و"يا محموداً أمره، انتبه" فالبناء لمفارقة التنكير، والتنوين للعودة إلى أصل التنكير.

وليس ببعيد عن هذا قول الصرفيّين إنّ تثنية العَلَم تثنية لأصله في التنكير، وليست تثنية لحاله في التعريف بالعلميّة^(٧٢)؛ لأنّ التثنية، والجمع على منوالها، تعدّد، واشتراك، ينافي ما في العلميّة من تحديد وقصد.

الخاتمة:

إنّ ثمة معايير محدّدة تُستنبط من مفهوم اللّمع واستعمالاته عند اللغويّين أدّت إلى تشكيل مفهومه في الدّرس اللغويّ، يمكن إجمالها بالآتي:

- اللّمع قياسٌ عقليّ يقوم على التأويل البعيد، وهو يتفق في ذلك مع معنى اللّمع لغة.
- اللّمع وسيلة لتفسير ما خالف القاعدة.
- اللّمع ليس مؤشراً شكلياً فحسب، بل هو دليل قائم على المعاني والوظائف النّحوية للعناصر اللغويّة داخل البنية والتركيب.
- اللّمع حلقة وصل بين الاستعمال المتداول والأصل الافتراضيّ للبنية اللغويّة.
- اللّمع في العربيّة مظهرٌ من مظاهر التعليل فسّره العلماء مسائل لغويّة مُتفرقة لا تقتصر على ألّ التعريف، فقل هو للّمع الأصل، ولح الاسميّة، ولح الوصف، ولح المعنى ثم إنّ دور اللّمع ليُعَمّم حتى يشمل قضايا ومسائل لغويّة وُضعت بالاعتماد على تصوّر اللّمع وإن لم يُصرحوا به.
- مسألة اللّمع في الأعلام مسألة خلافيّة بين العلماء بين القول بالسماع أو إجازة القياس فيها.
- للّمع دورٌ كبيرٌ في بيان الأصل في الأعلام المنقولة، وإنّ المتتبع لهذه الظاهرة يجد لها امتدادات تتجاوز اللّمع بـ (أل) لبيان الأصل، ففي المسألة الخلافيّة في أصل اشتقاق كلمة (اسم) نجدهم يعلّلون كسر وضم الهمزة فيها للّمع الأصل.

- مصطلح ملاحظة الأصل من المصطلحات التي يمكن حملها على الملح، وهو مصطلح له دوره في تعليلات النحويين ويتقاطع في أصل وضعه مع الملح، فقد علّل ابن يعيش تصحيح الواو في: (حَوَلٌ، و"عَوَزٌ"، و"صَيَدٌ) بملاحظة الأصل وهي جزءٌ من ملح الأصل فيها، ومثله مراعاة الأصل، ومراجعة الأصل.

إنّ الملح ظاهرة عقلية يلجأ إليها النحويّ في تعليل الأنماط اللغوية بالاعتماد على بيان وجه التعالق بين العناصر المتشابهة في الشكل والوظيفة، وهذا ما يتجلّى في التعليل بلمح الاسمية عند النحويين.

إنّ اللغويين مُجمعون على أنّ ملح الاسمية له دورٌ مباشرٌ في رصد العلاقة بين بنية الكلمة ووظيفتها، فالتغيير الذي طرأ على بنية الجمع في: (لَجَبَات وِرَبَعَات) هو تغيير تكون نتيجة العلاقة التلازمية بين شكل الانتقال في الكلمة من التّسكين إلى التّحريك بالفتح، وبين وظيفتها التي يلمح في أصلها الاسمية، وإن كانت في ظاهرها وصفاً، فاللمح هو المُسَوِّغ الذي يُفسّر تغيُّر البنية الشكليّ مع اعتبار دورها الوظيفي.

-إنّ مسألة ملح الوصفية التي أظهرتها عملية تعليل النحويين لجمع كلمة: (أحمر) على (حُمْر)، تكشف أنّ الملح في التفكير النحوي مسألة مترتبة على القاعدة التي تُبنى على القياس، والمعنى الذي يتحكّم في سير الصيغة الجديدة وفق بدائل استعمالية حققت المقبولية اللغوية عند النحاة على الرغم من أنّها لا تتفق مع القياس، ولا شك أنّ الملح هو قياسٌ ذهنيٌّ خفيٌّ يركن إليه النحاة للربط بين نوع الصيغة ومعناها. ولعل هذه الذهنية في هذه المسألة تتجلّى في فرضيات التسمية التي بنى عليها النحويون مسألة ملح الوصفية بقولهم السابق: "ولو سميت رجلاً أحمر."

- ظاهرة الملح مفهومًا وتصورًا ظاهرة قابلة للتعميم، ولها امتداداتها في التراث اللغويّ العربي التي ظهرت ماثلة في: الملح والتأليف النحوية، والملح والتبويب النحوي، الملح ونظام التعالق في الجملة، والملح والتعالق النسي.

الهوامش:

- (١) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت: ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ، ج ٢، ص ٥٨٤ (ملح).
- (٢) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت: ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج ٧، ص ١٠٠ (ملح).
- (٣) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل بيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) مكتبة الآداب - القاهرة، ط ١، ٢٠١٠ م، ج ٤، ص ٢٠٠.
- (٤) اللبدي محمد سمير نجيب: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الفرقان، عمان - القاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ م، ص ٢٠٧.
- (٥) ناظر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد (ت: ٧٧٨ هـ): شرح التسهيل المسمى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، دراسة وتحقيق: علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٤٢٨ هـ، ج ٢، ص ٨٢٧.
- (٦) المصدر السابق، ج ٨، ص ٤٢.
- (٧) السامرائي، فاضل صالح: معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - عمان، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ج ١، ص ٨٤.
- (٨) الأنباري أبو البركات، كمال الدين عبدالرحمن بن محمد (ت: ٥٧٧هـ): الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣ م، ج ٢، ص ٤٥١.
- (٩) ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف (ت: ٧٦١هـ): أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ج ١، ص ٢٥٣.
- (١٠) أبو حيان الأندلسي، التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم - دمشق (من ١ إلى ٥)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيلية، ط ١، ج ١٠، ص ١٥٤.
- (١١) ابن الحاجب، عثمان بن عمر (ت: ٦٤٦هـ): الشافية في علم التصريف (ومعها الوافية نظم الشافية للنيساري - المتوفي في القرن ١٢) تحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية - مكة، ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥ م، ص ٤٦.
- (١٢) الأشموني، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن (المتوفي: ٩٠٠هـ): شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨ م، ج ١، ص ١٧١.
- (١٣) ابن عقيل، عبدالله بن عبدالرحمن (ت: ٧٦٩هـ): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار التراث-القاهرة، دار مصر للطباعة، ط ٢٠، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ج ١، ص ١٨٤.
- (١٤) ينظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.
- (١٥) ابن هشام، جمال الدين عبدالله بن يوسف (ت: ٧٦١هـ): أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ج ١، ص ١٨٤.
- (١٦) المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم (ت: ٧٤٩هـ): الجنى الداني في حروف المعاني: تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ص ٥٨١.

- (١٧) الصبان، أبو العرفان محمد بن علي الشافعي (ت: ١٢٠٦هـ): حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧ م، ج ١، ص ٢٦٧.
- (١٨) ابن مالك، أبو عبدالله، جمال الدين محمد بن عبدالله، (ت: ٦٧٢هـ): شرح التسهيل، تحقيق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠ م، ج ١، ص ١٨٠.
- (١٩) الشاطبي، أبو إسحق إبراهيم بن موسى (ت ٧٩٠ هـ): المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك) تحقيق مجموعة محققين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ج ١، ص ٥٧٥.
- (٢٠) الشاطبي، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، ج ١، ص ٥٧٧.
- (٢١) ينظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.
- (٢٢) الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود (ت: ٥٣٨هـ): المفصل في صناعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملح، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣ م، ص ٢٩.
- (٢٣) النجار، محمد عبدالعزيز: ضياء السالك إلى أوضح المسالك، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ج ١، ص ١٨٤.
- (٢٤) السامرائي: معاني النحو، ج ١، ص ٨٥.
- (٢٥) محمد عيد: النحو المصفي، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٥ م، ص ١٩٣.
- (٢٦) عباس حسن (ت: ١٣٩٨هـ): النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٥٥٠، ج ١، ص ٤٣١-٤٣٢.
- (٢٧) الأنباري، أبو البركات، كمال الدين محمد (ت ٥٧٧هـ)، أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم ط١، ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩ م، ص ٣٨.
- (٢٨) الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت ٨٧٥هـ) تفسير الثعالبي الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ، ج ١، ص ١٥٨.
- (٢٩) الأسترابادي، محمد بن الحسن الرضي (ت ٦٨٦هـ) شرح شافية ابن الحاجب الرضي، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفاف، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، ج ٢، ص ٢٥٨.
- (٣٠) ينظر: ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد (ت ٥٤٢هـ)، أمالي ابن الشجري، تحقيق محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٢ م، ج ٢، ص ٢٨١، وينظر: الصاعدي، عبد الرزاق بن فراج، تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢ م، ج ٢، ص ٦٨٧.
- (٣٤) ابن يعيش، موفق الدين بن علي (ت ٦٤٣هـ)، شرح المفصل، قدّم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط١، ٢٠٠١ م، ج ٤، ص ١٢١.
- (٣٥) الأسترابادي، شرح الشافية، ج ٢/٧٧٦.
- (٣٣) ناظر الجيش، شرح التسهيل، ج ٧، ص ٥٤٣.
- (٣٤) ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت ١٤٢١هـ) المناهي اللفظية، جمع وإعداد: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الثريا للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٥ هـ، ص ٤٦.
- (٣٥) الأسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب الرضي، ج ٢، ص ١٠٩.
- (٣٦) ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٣، ص ٢٦٠.

- (٤٠) ينظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج ٦، ص ١٣٣.
- وينظر: القالي، أبو علي، إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ)، البارغ في اللغة، تحقيق: هشام الطعان، مكتبة النهضة بغداد - دار الحضارة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٧٥م، ص ٦٤٩.
- (٤١) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٨م، ج ٣، ص ٦٢٧.
- (٣٩) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هندواي، المكتبة التوفيقية، مصر، ج ١، ص ٨٨.
- (٤٠) ابن سيده، علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ج ٢، ص ٢٣١.
- (٤١) أبو حيّان الأندلسي، أثير الدين محمّد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمّد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٥٩٣.
- (٤٥) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٧٣٦، وينظر: الزبيدي، محمّد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الجيل، مطبعة حكومة الكويت، سلسلة التراث العربي، ١٩٨٣م، ج ٤، ص ٢٠٠.
- (٤٣) الزبيدي، تاج العروس، ج ٤، ص ٢٠٠.
- (٤٤) الطيب بكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، المطبعة العربية، تونس، ط ٣، ١٩٩٢م، ص ١٩٢.
- (٤٥) ينظر: ابن الحاجب، عثمان بن عمر (ت: ٦٤٦هـ): أمالي ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار، الأردن، دار الجيل - بيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ج ٢، ص ٧٢٠، وينظر: العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين (ت ٦١٦هـ)، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: د. عبد الإله النيهان، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٩٥م، ج ٢، ص ١٨٣.
- (٤٦) ينظر: سيبويه، الكتاب، ج ٣، ص ٣٩٨، وينظر: السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبدالله (ت: ٣٦٨هـ)، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م، ج ٤، ص ١٤٨.
- (٤٧) ينظر: المبرد، محمّد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)، المقتضب، تحقيق: محمّد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، ج ٢، ص ٢١٨، وينظر: النّحاس، أبو جعفر أحمد بن محمّد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت ٣٣٨هـ)، عمدة الكتاب، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ١٠٦.
- (٤٨) ابن السراج، أبو بكر محمّد بن السري بن سهل النحوي (ت ٣١٦هـ)، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ج ٢، ص ٤٢٢.
- (٤٩) علي أبو المكارم، أصول التفكير النحوي، دار غريب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦ م، ص ٩١.
- (٥٣) الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج ١، ص ١٧١.
- (٥١) ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٤، ص ٥٧٠.

- (٥٥) ينظر: ابن خالويه، الحسين بن أحمد أبو عبدالله (ت ٣٧٠هـ) ليس في كلام العرب، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ط٢، ص ٢٤٧ وينظر: أحمد مختار عمر، أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين، عالم الكتب، ص ٧٥.
- (٥٣) ينظر: المبرد، المقتضب، ج ٣، ص ١٤٤، وينظر: ابن خالويه، ليس في كلام العرب، ص ٢٤٧.
- (٥٤) ينظر: الحريري، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان (ت ٥١٦هـ) درة الغواص في أوهام الخواص، تحقيق: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص ٩٩، وينظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، تقويم اللسان، تحقيق: عبد العزيز مطر، دار المعارف، ط ٢، ٢٠٠٦م ص ١٤٧، وينظر: ابن الصائغ، محمد بن حسن بن سباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبدالله، شمس الدين (ت ٧٢٠هـ)، اللوحة في شرح الملح، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ج ٢، ص ٦٨٦.
- (٥٥) فقد صنع أحمد مطلوب معجماً كاملاً وقد جمع أربع مئة وثمانين وأربعين كلمة نُسب إليها بزيادة الألف والنون، معظمها قد ورد عند العرب في المعاجم القديمة، وكتب الأنساب، ينظر: أحمد مطلوب: "معجم النسبة بالألف والنون"، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م. ينظر: محمد خالد أحمد كميل، شواذ النسب في العربية، الظواهر والعلل، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، ٢٠١٢م، ص ١١٨.
- (٥٦) عبدالإله نيهان، معجم النسبة بالألف والنون للدكتور أحمد مطلوب، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ٨٤، ٢٠٠٨م، ج ٣.
- (٥٧) ينظر: ابن خالويه، الحسين بن أحمد أبو عبدالله (ت ٣٧٠هـ) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب المصرية، (١٣٦٠هـ-١٩٤١م)، ص ٦٤. وينظر: الصاعدي، عبد الرزاق بن فراج، تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج ١، ص ٣٤٠.
- (٥٨) الصاعدي، تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، ج ١، ص ٣٤٠.
- (٥٩) محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ١١.
- (٦٠) ينظر: ابن الساعي، تاج الدين علي بن أنجب بن عثمان (ت: ٦٧٤هـ)، الدر الثمين في أسماء المصنفين، تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنين ومحمد سعيد حنشي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ١٥٩.
- (٦١) ينظر: ابن الشعار، كمال الدين أبو البركات المبارك (ت: ٦٥٤هـ)، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، ٢٠٠٥م، ج ٧، ص ٢٢٥.
- (٦٢) ينظر: أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط، تحقيق: صديقي محمد جميل دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ، ج ٨، ص ١١٨. ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١، ص ٤٨.

- (٦٣) ابن فارس، أحمد بن فارس، (ت ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مادة "ملح"، ج ٥، ص ٣٤٧.
- (٦٤) حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله كاتب جلي القسطنطيني (ت ١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، ج ٢، ص ١٨١٧.
- (٦٥) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت ١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م، ج ٥، ص ٣٢٢.
- (٦٦) البغدادي، إسماعيل بن محمد (ت ١٣٩٩هـ)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي بيروت-لبنان، ج ٢، ص ٥٣٠.
- (٦٧) ينظر: حسن المخ، نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، دار الشروق، عمان، ط ١، ٢٠٠١م، ص ١٠١-١٠٢.
- (٦٨) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط ٥، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ١٩٤.
- (٧١) ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٣، ص ٢٤٣. وينظر: عبدالواحد محمد النحو، القواعد النحوية تأصيلاً وتفصيلاً، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٣٢٤.
- (٧١) ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ٣، ص ٢٤٣. وينظر: عبدالواحد محمد النحو، القواعد النحوية تأصيلاً وتفصيلاً، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٣٢٤.
- (٧١) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٩٤.
- (٧٢) الإسفراييني، عصام الدين إبراهيم بن محمد بن عريشاه (ت: ٩٥١هـ)، شرح العصام على كافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٩م، ص ٤٧١.
- المصادر والمراجع:

- الأسترايازي، محمد بن الحسن الرضي (ت: ٦٨٦هـ)، شرح شافية ابن الحاجب الرضي تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- الإسفراييني، عصام الدين إبراهيم بن محمد بن عريشاه (ت: ٩٥١هـ)، شرح العصام على كافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٩م.
- الأشموني، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن (ت: ٩٠٠هـ)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ط ١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت: ٥٧٧هـ): الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- الأنباري، أبو البركات، كمال الدين محمد (ت: ٥٧٧هـ)، أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم ط ١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ص ٣٨.
- البغدادي، إسماعيل بن محمد (ت ١٣٩٩هـ)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

- الثعالبي، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف (ت: ٨٧٥هـ)، تفسير الثعالبي الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبدالموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
- جبل، محمد حسن المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) ج ٤، مكتبة الآداب-القاهرة، ط ١، ٢٠١٠ م.
- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣ هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٤.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت: ٥٩٧ هـ)، تقويم اللسان، تحقيق: عبد العزيز مطر، دار المعارف، ط ٢، ٢٠٠٦.
- ابن الحاجب، عثمان بن عمر (ت: ٦٤٦هـ)، الشافية في علم التصريف (ومعها الوافية نظم الشافية للنيساري - المتوفى في القرن ١٢) تحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية-مكة، ط ١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥ م.
- ابن الحاجب، عثمان بن عمر (ت: ٦٤٦هـ)، أمالي ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: فخر صالح سليمان قدادة، دار عمار، الأردن، دار الجيل - بيروت، ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جليي القسطنطيني (ت: ١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي.
- الحريري، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان (ت ٥١٦هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، تحقيق: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨ م.
- حسّان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط ٥، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦ م.
- حسن، عباس، (ت: ١٣٩٨هـ)، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط ١٥.
- أبو حيّان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف (ت: ٧٤٥ هـ)، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق: حسن هنداي، دار القلم - دمشق (من ١ إلى ٥)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيليا، ط ١، ج ١٠.
- أبو حيّان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف (ت: ٧٤٥ هـ)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨ م.
- أبو حيّان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف (ت: ٧٤٥ هـ)، البحر المحيط، تحقيق: صديقي محمد جميل دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠ هـ، ج ٨، ص ١١٨، ج ١، ص ٤٨.
- ابن خالويه، الحسين بن أحمد أبو عبدالله (ت: ٣٧٠هـ) ليس في كلام العرب، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ط ٢.
- ابن خالويه، الحسين بن أحمد أبو عبد الله (ت: ٣٧٠هـ) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، مطبعة دار الكتب المصرية، (١٣٦٠هـ/١٩٤١م).
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين ج ٧، دار الهداية.

- تاج العروس من جواهر القاموس، دار الجيل، مطبعة حكومة الكويت، سلسلة التراث العربي، ١٩٨٣م.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م.
- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود (ت: ٥٣٨هـ)، المفصل في صناعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.
- ابن السّاعي، تاج الدين علي بن أنجب بن عثمان (ت: ٦٧٤هـ)، الدر الثمين في أسماء المصنفين، تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنين ومحمد سعيد حنشي، دار الغرب الاسلامي، تونس، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
- السامرائي، فاضل، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - عمان، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.
- ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي (ت: ٣١٦هـ)، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت.
- سيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت: ١٨٠هـ) الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٨م.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل (ت: ٤٥٨هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (ت: ٣٦٨هـ)، شرح كتاب سيويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هندواي، المكتبة التوفيقية، مصر.
- الشاطبي، أبو إسحق إبراهيم بن موسى (ت: ٧٩٠هـ): المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك) تحقيق مجموعة محققين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.
- ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد (ت: ٥٤٢هـ)، أمالي ابن الشجري، تحقيق محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٢م.
- ابن الشعار: كمال الدين أبو البركات المبارك (ت: ٦٥٤هـ)، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٥م.
- الشوشري، محمد إبراهيم خليفة، دراسة أهم ضوابط تشخيص القياس الصحيح (في الدرس النحوي)، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، جامعة تشرين، العدد ٥، ربيع ١٣٩٠هـ، ٢٠١١م.
- ابن الصائغ، محمد بن حسن بن سباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين (ت: ٧٢٠هـ)، اللحة في شرح الملح، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

- الصاعدي، عبد الرزاق بن فراج، تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- الصبان، أبو العرفان محمّد بن علي الشافعي (ت: ١٢٠٦هـ)، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
- الطيب بكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، المطبعة العربية، تونس، ط ٣، ١٩٩٢م.
- عبد اللطيف، محمّد حماسة، بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣م.
- ابن عثيمين، محمّد بن صالح بن محمّد (ت ١٤٢١هـ)، المناهي اللفظية، جمع وإعداد: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الثريا للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٥ هـ.
- ابن عقيل، عبدالله بن عبدالرحمن (ت: ٧٦٩هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، ط ٢٠، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.
- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت: ٦١٦هـ)، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: عبد الإله النهمان، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٩٥م.
- عمر، أحمد مختار، أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين، عالم الكتب، ط ٢، ١٩٩٣.
- عيد، محمّد، النحو المصفى، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٥م.
- ابن فارس، أحمد بن فارس، (ت: ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- القالي، أبو علي، إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ)، البار في اللغة، تحقيق: هشام الطعان، مكتبة النهضة بغداد - دار الحضارة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٧٥م.
- كميل، محمّد خالد أحمد، شواذ النسب في العربية، الظواهر والعلل، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، ٢٠١٢م.
- اللبدي، محمّد سمير نجيب: معجم المصطلحات النحويّة والصرفيّة، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الفرقان، عمّان - القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ابن مالك، أبو عبد الله، جمال الدين محمّد بن عبد الله، (ت: ٦٧٢هـ): شرح التسهيل، تحقيق: د. عبدالرحمن السيد، د. محمّد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
- المبرد، محمّد بن يزيد (ت: ٢٨٥هـ)، المقتضب، تحقيق: محمّد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت.
- المرادي، أبو محمّد بدر الدين حسن بن قاسم (ت: ٧٤٩هـ): الجنى الداني في حروف المعاني: تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمّد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.
- مطلوب، أحمد: معجم النسبة بالألف والنون"، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م.
- الملح، حسن خميس، نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، دار الشروق، عمّان، ط ١، ٢٠٠١م.

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت: ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ.
- ناظر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد (ت: ٧٧٨ هـ): شرح التسهيل المسعى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، دراسة وتحقيق: علي محمد فاخر وغيره، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٤٢٨ هـ.
- تيهان، عبد الإله، معجم النسبة بالألف والنون للدكتور أحمد مطلوب، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ٨٤، ٢٠٠٨ م.
- النجار، محمد عبد العزيز: ضياء السالك إلى أوضح المسالك، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- النّجّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨ هـ)، عمدة الكتاب، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم - الجفان والجابي للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- النّحو، عبدالواحد محمد، القواعد النحوية تأصيلاً وتفصيلاً، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٥ م.
- ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف (ت: ٧٦١ هـ): أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف (ت: ٧٦١ هـ): أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١.
- ابن يعيش، موفق الدين بن علي (ت: ٦٤٣ هـ)، شرح المفصل، قدّم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط ١، ٢٠٠١ م.

دور منظمات المجتمع المدني وتأثيرها في الحياة العامة في الأردن ٢٠١١-٢٠٢٠

أ.د. عبدالفتاح الرشدان* د. رنا عبدالعزيز الخماش**

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢١/٢/٤م

تاريخ قبول البحث: ٢٠٢١/٧/١١م

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى مناقشة وتحليل دور منظمات المجتمع المدني في الأردن ومدى تأثيرها في الحياة العامة من العام ٢٠١١-٢٠٢٠م، حيث قامت الدراسة بتعريف منظمات المجتمع المدني ونشأتها وتطورها منذ تأسيس الدولة الأردنية، وبحثت في مدى قدرة هذه المنظمات على تحقيق أهدافها من خلال ممارسة دورها المستقل في التأثير على السياسات العامة للدولة والرأي العام في المجتمع.

وناقشت الدراسة طبيعة العلاقة والتفاعل بين المجتمع المدني من جهة والحكومات الأردنية المتعاقبة من جهة أخرى، وبحثت في الظروف والمتغيرات التي حكمت هذه العلاقة على مدار العقود الماضية.

واستخدمت الدراسة منهج تحليل النظام السياسي والمنهج الوصفي التحليلي الذي تتمثل خطواته في رصد ظاهرة منظمات المجتمع المدني في الأردن، وعملت الدراسة على توصيفها وتحديد نشاطاتها وأدوارها؛ من خلال المعلومات والبيانات المتوافرة، وناقشت أسئلة الدراسة وفرضياتها التي تتمحور حول منظمات المجتمع المدني وطبيعة علاقتها بالنظام السياسي من خلال التحليل العلمي المعمق.

وخلصت الدراسة إلى أن العلاقة بين المجتمع المدني والحكومات الأردنية المتعاقبة ما زالت تتسم بعدم الوضوح والضبابية في معظم الأحيان الأمر الذي أدى إلى نشوء علاقات متوترة بين الطرفين نتيجة لافتقارها إلى الثقة المتبادلة بين الطرفين، وعدم المقدرة على التفاهم والتوافق في بعض الأحيان مما خلق عوائق وتحديات متعددة أمام هذه المنظمات وجعلها غير قادرة على التأثير بشكل إيجابي في السياسات العامة أو حتى في نطاق الشأن العام.

كلمات مفتاحية: منظمات المجتمع المدني، الدور، السياسات العامة، النظام السياسي.

* أستاذ دكتور في العلاقات الدولية، كلية الأمير حسين بن عبدالله للدراسات الدولية، الجامعة الأردنية.

** باحثة، دكتوراه في العلوم السياسية.

The role of civil society organizations and their impact on public life in Jordan 2011-2020.

Abstract

This study aimed to discuss and analyze the role of civil society organizations in Jordan and the extent of their impact on public life from the year 2011-2020. The study sought to define civil society organizations, their emergence and development since the foundation of the state. The study also explored the extent to which these organizations are able to achieve their goals by exercising their independent role in influencing the public policies of the state and public opinion in society.

The study discussed the nature of the relationship and interaction between civil society on the one hand and the successive Jordanian governments on the other hand, and it examined the circumstances and variables that have governed this relationship over the past decades.

The study used the political system analysis approach and the descriptive analytical approach, whose steps are to monitor the phenomenon of civil society organizations in Jordan. The study worked on describing them and determining their activities and roles; Through the available information and data, it discussed the study questions and hypotheses that revolve around civil society organizations and the nature of their relationship to the political system through in-depth scientific analysis.

The study concluded that the relationship between civil society and the Jordanian governments is still characterized by ambiguity and a lack of clarity in most cases. This in turn created multiple obstacles and challenges for these civil society organizations and made them unable to positively influence public policies or even the public state of affairs.

Key words: civil society organizations, the role, public policies, the political system.

المقدمة:

تشكل منظمات المجتمع المدني أو ما يطلق عليها مؤسسات المجتمع الأهلي حلقة وصل أو وسيطا بين المؤسسات الحكومية من جهة والمجتمع بشارئحه المختلفة من جهة أخرى، وذلك بغية خدمة المجتمع وتحقيق أهدافه وحماية مصالحه والذود عن حقوقه والارتقاء بوعيه وفكره ورفاهيته، يركز المجتمع المدني على المنظمات والمؤسسات غير الحكومية وغير الربحية التي تسعى إلى التعبير عن قيم أعضائها وتحقيق مصالحهم لاعتبارات مهنية وأخلاقية وثقافية أو علمية أو سياسية أو اقتصادية، إذ تشكل منظمات المجتمع المدني جسرا بين فئات المجتمع المختلفة وبين النظام السياسي وصانعي السياسات العامة في مؤسسات الدولة المختلفة.

ظهرت منظمات المجتمع المدني في العالم الثالث والدول العربية خلال النصف الثاني من القرن الماضي وتعلقت بها الآمال كمناصر لقيم وأهداف ومصالح المجتمع، ولا سيما في ضوء غياب الحاكمية السياسية الرشيدة وضعف الأحزاب السياسية وتردي أوضاع حقوق الإنسان وتقييد الحريات العامة، وغياب العدالة الاجتماعية وسيادة القانون وسوء إدارة الموارد في معظم هذه الدول، مما كان له أثر على اتساع الفجوة بين الشعوب والأنظمة السياسية، الأمر الذي أدى إلى خلق حالة من التوتر والشدة والجذب في العلاقة بين الطرفين.

ومما لا شك فيه أن الاهتمام بمنظمات المجتمع المدني ودورها في المجتمعات النامية قد ازداد في العقود الثلاث الأخيرة بسبب التطورات التي شهدتها المجتمع الدولي، وما نجم عنه من شيوع مفاهيم التحول الديمقراطي والإصلاح السياسي وتعزيز حقوق الإنسان وحرياته العامة، وما مارسته الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي من ضغوط على هذه الدول لإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية، وما أخذت تقدمه هذه الدول من دعم مالي واقتصادي لهذه المنظمات، وفي ضوء هذه المتغيرات المتسارعة ازدادت الحاجة إلى دراسة منظمات المجتمع المدني والبحث في العلاقة بينها وبين النظم السياسية والسلطات الحاكمة في كثير من الدول، وتسليط الضوء على أدوار ونشاطات منظمات المجتمع المدني والأهلي في هذه الدول.

وعلى الرغم من أن موضوع منظمات المجتمع المدني له جذوره التي ترتبط بالفكر السياسي لأصحاب نظرية العقد الاجتماعي توماس هوبز وجان لوك وجان جاك روسو التي ظهرت في القرن الثامن عشر في أوروبا، وانتشرت بعد ذلك في كثير من دول العالم، إلا أن الاهتمام بدراسة هذا الموضوع والتركيز عليه جاء بعد البروز الفعلي لمنظمات المجتمع المدني كمصدر

تهديد فاعل للنظام السياسي في العام ١٩٨٠م والذي أسس فيه ليخ فاونسا "حركة تضامن" العمالية، التي كان لها دور كبير في سقوط الشيوعية في بولندا في العام ١٩٨٩م، وأسهمت بتولي فاونسا رئاسة بولندا في العام ١٩٩٠، (Bernhard, 1995:405) مما أثار مخاوف الأنظمة السياسية تجاه منظمات المجتمع المدني، وما يمكن أن تقوم به من أدوار كند ومنافس لها ينازعها سلطاتها وقدرتها على حشد التأييد والدعم لسياساتها، فعملت على مواجهتها وتحجيمها وتقنين دورها والإشراف عليه، وتأطيره وتقييده عبر ضوابط نظامية ودستورية خاصة في معظم دول العالم الثالث.

وعلى مستوى الأردن فإن مراجعة تاريخ العلاقة بين النظام السياسي والمجتمع المدني تشير إلى أن سمة التوترو وعدم الوضوح كانت هي السمة الأبرز التي حكمت العلاقة بين منظمات المجتمع المدني والحكومات المتعاقبة في الأردن، ولعل ذلك يعود إلى ضعف سيادة القانون وعدم الالتزام بنصوص الدستور في بعض الأحيان وسوء تفسيره في أحيان أخرى، وعدم تطبيقه على أرض الواقع، مما أسفر عن ضبابية وغموض القوانين المنظمة للعلاقة بين الطرفين، التي تسمح بتأويل النصوص، وتداخل المسؤوليات ومحاولات الحكومات المختلفة التغول على استقلالية منظمات المجتمع المدني، وحصرها في إطار معين كتابع للحكومة وسياساتها العامة.

ولا شك أن التطورات العالمية التي شهدتها العالم منذ العام ١٩٨٩م وما تبعه من انفتاح ديمقراطي قد أدت إلى منح منظمات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية فرصاً كبيرة للاضطلاع بأدوار بارزة ومختلفة داخل الأردن. وشكل قدوم الربيع العربي في العام ٢٠١١م نقطة تحول هامة أدت إلى حدوث تطورات جديدة، ومنح زخماً ودفعاً قوية لمنظمات المجتمع المدني خاصة النقابية منها، إذ كلل على سبيل المثال مسيرة المعلمين الشاقة لتأسيس نقابتهم بالنجاح بعد طول عناء، فقد شكل علامة فارقة مهدت لهم الطريق وهيأت لهم الظروف لتجاوز تعنت الحكومات الأردنية المتعاقبة الرافضة لمطلبهم المشروع، وتم إصدار قانون تأسيس نقابة المعلمين في 15/9/2011م، ليبدأ فصل جديد في العلاقة بين الحكومة والمعلمين في الأردن ككيان قانوني موحد ومستقل، يضاف إلى العمل النقابي ومنظمات المجتمع المدني، وهذا بحد ذاته يشير إلى دخول منظمات المجتمع المدني والنقابات المهنية بخاصة إلى مرحلة جديدة من التفاعل والعلاقة بين الطرفين في الأردن.

فرضيات الدراسة:

تنطلق هذه الدراسة من الفرضيات التالية:

- هناك علاقة بين غياب الحاكمية السياسية والاقتصادية وبين تنامي تأثير منظمات المجتمع المدني في المجتمع وقدرتها في التأثير على الحياة العامة في الأردن، فالعلاقة بينهما عكسية.

- هناك علاقة بين غياب الحاكمية السياسية والاقتصادية وبين قدرة منظمات المجتمع المدني بالتأثير على الرأي العام الأردني وحشده لدعم وتأييد مطالبها في مواجهة الحكومة.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

ناقشت الدراسة مدى قدرة الحكومة الأردنية على احتواء منظمات المجتمع المدني، ضمن بنية الدولة الأردنية بما يسمح لها بممارسة دورها ووظيفتها الاجتماعية التطوعية في نظام ديمقراطي، وسعت الدراسة للتعرف على مدى قدرة منظمات المجتمع المدني في تحقيق أهداف منتسبها دون الانزلاق بالممارسات السياسية، وقدرتها على أن تكون قائدة قاطرة التغيير الاجتماعي وإعادة الاعتبار للدور المفقود لمنظمات المجتمع المدني الأردني وتمكنها من ممارسة دورها المستقل بالتأثير على الرأي العام والسياسات العامة بعيدا عن المهارات السياسية، واستشراف صدق الطرفين بإقامة علاقة تشاركية متوازنة دونبغي إحداها على الأخرى في منظومة عمل تكاملية غايتها تحقيق قيم وأهداف ومصالح المجتمع الأردني، بعيدا عن أسلوب المغالبة السياسية ولغة التهديد والتأزيم والتصعيد، وهل باستطاعة منظمات المجتمع المدني أن تكون فاعلا اجتماعيا مؤثرا بشكل إيجابي في الفضاء العام أم تحصر دورها في إطار الفضاء الخاص؟

تشهد العلاقة بين النظام السياسي ومنظمات المجتمع المدني في الأردن منذ تأسيسها، حالة من الشد والجذب والتأرجح هبوطا وصعودا وفقا للظروف والمتغيرات السياسية والاقتصادية التي تشهدها الساحة الوطنية والإقليمية، وتسعى هذه الدراسة إلى مناقشة طبيعة العلاقة واتجاهاتها ومدى تأثير هذه المؤسسات على الحياة السياسية في الأردن، ومن هذا المنطلق تسعى الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

١- ما طبيعة وماهية منظمات المجتمع المدني في الأردن؟

٢- ما أبرز نشاطات منظمات المجتمع المدني وأدوارها في التأثير على الحياة السياسية في الأردن؟

٣- ما الظروف والمتغيرات التي نشأت في ضوءها منظمات المجتمع المدني وما مقومات قوتها؟

٤- هل باستطاعة منظمات المجتمع المدني أن تكون فاعلا قويا مؤثرا بشكل إيجابي في الفضاء العام وشؤون الحياة العامة؟

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- ١- مناقشة طبيعة وماهية منظمات المجتمع المدني وتطورها في الأردن.
- ٢- البحث في كنه وطبيعة العلاقة بين الحكومات المتعاقبة ومنظمات المجتمع المدني في الأردن.
- ٣- التعرف على المتغيرات التي طرأت في منهجية النظام السياسي في الأردن في التعاطي مع منظمات المجتمع المدني في ضوء التحولات السياسية والاقتصادية.
- ٤- دراسة قدرة منظمات المجتمع المدني على التأثير في المجتمع الأردني والحياة العامة في الأردن.

منهجية الدراسة:

توظف هذه الدراسة منهج تحليل النظم (Easton sestem theory، ١٩٥٧، ٣٣٨-٤٠٠) وذلك للتعرف على دور وتأثير منظمات المجتمع المدني على الحياة العامة في الأردن، من حيث تحليل المدخلات التي تتمثل في ممارسة وسلوك منظمات المجتمع المدني والدور الذي تقوم به في الأردن سواء كانت جمعيات أو اتحادات أو نقابات وما تقوم به من مطالب وضغوط على النظام السياسي وصناع السياسة العامة، وكيفية تفاعل النظام السياسي، وقدرته على الاستجابة لهذه الضغوط والمطالب التي تقوم به هذه المنظمات كقوى فاعلة، وبالتالي تترجم على شكل مخرجات (قرارات وسياسات عامة) تصدر عن النظام السياسي وصناع القرار فيه، ويكون لها أثار وانعكاسات تتضح بالنتيجة على صورة مخرجات سواء كانت إيجابية أو سلبية على المجتمع.

كما استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي تتمثل خطواته في رصد ظاهرة منظمات المجتمع المدني في الأردن، والعمل على توصيفها؛ من خلال المعلومات والبيانات

المتوافرة، ومن ثم وضع الأسئلة وفرضيات البحث العلمي، والتعمق في الدراسة، والتعرف على مسببات المشكلة، وتحليل النتائج، ووضع الحلول؛ من خلال رؤية تحليلية تشمل كافة الجوانب.

تتناول الدراسة موضوعاً يتصل بشكل مباشر بالسياسة العامة للدولة في ظل السياقات المتغيرة المعبرة عن خصوصية وتمايز كبيرين بين السياقات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية المتغيرة باستمرار في الأردن، من خلال الاعتماد على مقارنة تحليلية لدور فواعل المجتمع المدني في الأردن في عملية صنع السياسات العامة، وصولاً لفهم وتحليل السياق الذي تعيشه البلاد ويقودنا للتوصل لفهم جملة التأثيرات والمتغيرات الحاصلة على أداء وفعالية المجتمع المدني في الأردن، ويسلط الضوء على أدوار الفواعل المؤثرة في عملية صنع السياسات العامة. تستند الدراسة إلى المنهج التحليلي بغرض ربط و تحليل أدوار المجتمع المدني في إطار السياق الأردني وما يميزه من خصوصية في عملية صنع السياسات العامة تتمثل في كون السلطة التنفيذية محتكرة لهذه العملية ولا تسمح إلا بهامش ضئيل للفواعل غير الرسمية على غرار المجتمع المدني، وذلك ما يقودنا لفهم التغيرات الحاصلة خصوصاً في ظل الحراك الأردني بعد الربيع العربي منذ العام ٢٠١١م، كما يساعد هذا المنهج في تحليل وربط وتفسير البيانات والتوصل إلى نتائج بخصوص الظاهرة موضوع الدراسة (العلوي، ٢٠١٢، ص ١٢)، وذلك بعد مراجعة البيانات والمعلومات المتوافرة حول منظمات المجتمع المدني ونشاطاتها ومساهماتها المختلفة في التأثير على الحياة العامة في الأردن.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية دراسة منظمات المجتمع المدني وتحليل دورها ومدى تأثيرها في الحياة العامة في الأردن بسبب قلة الدراسات والأبحاث العلمية التي تناولت هذا الموضوع، كما تبرز أهمية الدراسة في ضوء الازدياد المضطرب في أعداد منظمات المجتمع المدني وتصاعد أدوارها بشكل واضح وملحوس في الأردن، ويستدعي ذلك ضرورة الاهتمام بدراسة موضوع هذه المنظمات وما يمكن أن تقوم به من نشاطات وأدوار بشكل علمي معمق للتعرف على كنه هذه المؤسسات وأدوارها الحقيقية في الحياة السياسية والعامة في الأردن وما يمكن أن تقدمه من أدوار يمكن أن يكون لها انعكاسات إيجابية أو سلبية على المجتمع، ولذلك فإن هذه الدراسة يمكن أن تشكل إضافة للمعرفة والأدبيات المتوافرة في هذا المجال، ويمكن أن توضع نتائجها في خدمة صناع القرار والمهتمين.

الدراسات السابقة:

دراسة مركز الدراسات الإستراتيجية في الجامعة الأردنية (٢٠١٩) وعنوانها: "تدعيم مؤسسات المجتمع المدني في الأردن من أجل زيادة التأثير في عمليات التغيير الديمقراطي" خلصت الدراسة إلى أن معظم منظمات المجتمع المدني النشطة تعاني في الدعوة الديمقراطية ولعب أدوار المراقبة في درجات مختلفة من الافتقار إلى التعليم السياسي والمدني، بينما تعيق تلك الحالة الجهود والعلاقات، وأحياناً تؤدي إلى عدم الثقة بين المجتمع المدني وصانعي القرار، وفيما يتعلق بالآليات التي تستخدمها منظمات المجتمع المدني للتأثير على عملية صنع القرار والعملية الديمقراطية في الأردن، بينت الدراسة "أن هناك عددًا محدودًا من المنظمات التي تلعب دور مراقبة أداء الحكومة أو البرلمان أو العمليات الانتخابية"، لم يشارك ٦٢% من منظمات المجتمع المدني من قبل في الأنشطة المتعلقة بالانتخابات البلدية أو البرلمانية، بينما شارك ٣٨% في هذه الأحداث.

دراسة شتيوي (٢٠١٢) بعنوان "دور مؤسسات المجتمع المدني في الإصلاح السياسي بالأردن" هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على دور مؤسسات المجتمع المدني في عملية الإصلاح السياسي وحجم المساهمة التي قامت بها تلك المؤسسات في عملية الإصلاح، والمعوقات التي تحد من قدرة المجتمع المدني على المساهمة في عملية الإصلاح في المرحلة القادمة، وأظهرت نتائج الدراسة أن مؤسسات المجتمع المدني كان لها مساهمات عديدة سبقت فترة الحراك السياسي من خلال البرامج التي كانت توجهها، وكان لها تأثير جيداً على الرغم من التحديات التي واجهتها سواء كانت داخلية أم خارجية حيث تركزت الموضوعات التي عملت عليها المؤسسات حول الإصلاحات السياسية بتقديم مقترحات للقوانين ومناقشة البعض منها، بالإضافة إلى تركيزها على تعزيز دور الشباب والمرأة في المشاركة والتعبير عن الرأي والقضايا التي تتعلق بتحقيق حكم القانون ومكافحة الفساد.

وتشير الدراسة إلى أن أغلب مؤسسات المجتمع المدني ليس لها امتداد شعبي، كما أظهرت الدراسة بأن غالبية مؤسسات المجتمع المدني خاصة في العاصمة تعتمد بشكل شبه كلي على التمويل من المؤسسات الدولية وبعض التمويل الحكومي، ما قد يؤثر في طبيعة عملها وقدرتها على تكوين أو تشكيل أجندة أو أولويات عمل لهذه المؤسسات مرتبطة بالواقع الفعلي بقدر ما تكون متأثرة بالتمويل المتاح.

دراسة عبابنة والعقيل (٢٠٠٦) وعنوانها: "تمويل الجمعيات الخيرية المتخصصة في الأردن"، حيث هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على اتجاهات العاملين والمتطوعين في الجمعيات الخيرية الأردنية حول مجموعة من القضايا المرتبطة باقتصاديات ومصادر تمويل هذه الجمعيات ومنها: مصادر الإيرادات المالية، والإستراتيجيات والوسائل لجمع التبرعات والمنح، وأهم العوامل المؤثرة في نسبة تحصيل المنح والتبرعات، ومدى توفر الإمكانيات لجمع المنح والتبرعات.

دراسة سالم (٢٠٠٤) بعنوان "المجتمع المدني ودوره في الإصلاح" تهدف إلى دراسة تطوير وتفعيل مؤسسات المجتمع المدني في ظل التحولات التي طرأت على دور الدولة في سياق العولمة، وانسحابها من العديد من وظائفها الاجتماعية ونقل عبئها إلى مؤسسات المجتمع المدني، وخلصت الدراسة إلى أن مؤسسات المجتمع المدني شريك أساسي في الإصلاح، وأن الإصلاح أصبح مطلباً ملحاً وعاجلاً، لكنه يجب أن يتم بأيدي أبناء المنطقة، وأن الدول العربية كلها -على اختلاف درجات تطورها- مطالبة بالإصلاح، وحذرت من أن تخلف المجتمع المدني عن ملء الفراغ الذي نتج عن انسحاب الدولة من بعض وظائفها، يمكن أن يفضي إلى التطرف والإرهاب.

تتميز هذه الدراسة عن سابقتها بأنها دراسة شاملة لدراسة قدرة منظمات المجتمع المدني على التأثير في الفضاء العام للدولة بشكل متكامل، وأيضاً محاولتها فهم الأسباب التاريخية التي جعلت الدولة تقف موقفاً سلبياً من بعض منظمات المجتمع المدني وعرقلة عملها أو تسجيلها من حيث المبدأ، ودراسة واقع الحال والدور المهم الذي يمكن أن تمارسه هذه المنظمات في صياغة السياسة العامة للدولة.

مفاهيم ومصطلحات الدراسة:

منظمات المجتمع المدني: وفقاً لتعريف البنك الدولي هي "المنظمات غير حكومية وغير ربحية الحاضرة في الحياة العامة والمعبرة عن مصالح وقيم أعضائها أو قيم أشخاص آخرين بناء على اعتبارات أخلاقية أو ثقافية أو سياسية أو علمية أو دينية أو إنسانية". (موقع البنك الدولي)

النظام السياسي: يعرف النظام السياسي عدة تعريفات لتعدد منطلقات تعريفه وظيفياً أو سلوكياً أو هيكلياً، يعرفه جبرائيل الموند: بأنه نظام التفاعلات الذي يقوم بوظائف التوحيد والتكيف في جميع المجتمعات المستقلة. يمارس النظام السياسي تلك الوظائف باستخدام القسر المادي أو بالتهديد باستخدامه سواء كان استخدامه شرعياً أو استبدادياً. هذا في حين

أن ديفيد إيستون يعرف النظام عمومًا على أنه مجموعة التفاعلات المرتبطة بنمط سلوكي محدد. أما النظام السياسي فيعرفه بأنه تلك المجموعة من التفاعلات التي تحدث داخل أي مجتمع والتي ترتبط بما أسماه عملية التخصيص السلطوي للقيم. كما يعتقد إيستون أنه يمكن تحليل أي نظام سياسي من خلال دراسة وظائفه وتركيبه ومكوناته. أما روبرت ماكيفر، عالم الاجتماع السياسي الأمريكي، فيقول في كتابه (تكوين الدولة)، أن النظام السياسي هو أداة إدارة الدولة التي تحدد السياسات وتنفذها. (نادي، ٢٠١٩)

السياسات العامة: عبارة عن مجموعة من قرارات يتخذها فاعلون معروفون بهدف تحقيق غرض عام (العزاوي، ٢٠٠١، ص ١٦) وبالتالي فإنه يُنظر للسياسة العامة، كنتيجة متحصلة في حياة أي مجتمع من منطلق تفاعلها الصحيح مع البيئة الشاملة، التي تشكل فيها المؤسسات والمرتكزات والسلوكيات والعلاقات، أصولاً للظاهرة السياسية التي يتعامل معها النظام السياسي، فالسياسة العامة لدى ديفيد إيستون ((توزيع القيم (الحاجات المادية والمعنوية) في المجتمع بطريقة سلطوية أمره من خلال القرارات والأنشطة الإلزامية الموزعة لتلك القيم، في إطار عملية تفاعلية بين المدخلات Inputs، والمخرجات Outputs ، والتغذية العكسية. (الفهداوي، ٢٠٠١، ص ٣٣).

الدور: يقصد به مجموعة الممارسات والأفعال والسلوكيات والأنشطة التي تقوم بها منظمات المجتمع المدني للتأثير على الحياة العامة في الأردن.

تقسيم الدراسة:

أولاً: منظمات المجتمع المدني (المفهوم والدور)

ثانياً: منظمات المجتمع المدني في الأردن (النشأة والتطور)

ثالثاً: طبيعة العلاقة بين منظمات المجتمع المدني والحكومات الأردنية المتعاقبة

رابعاً: دور منظمات المجتمع المدني في التأثير على الحياة العامة

الخاتمة:

أولاً: منظمات المجتمع المدني (المفهوم والدور):

تنامي دور منظمات المجتمع المدني والمؤسسات غير الحكومية بعد الحرب العالمية الثانية لدرجة أنها أصبحت إحدى سمات المجتمع الدولي المعاصر، وبلغ عدد هذه المنظمات عشرات

الآلاف وأخذت تنتشر بشكل واسع في معظم دول العالم، وهي تعمل في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والدينية.

توصف منظمات المجتمع المدني: بأنها مجموعة المنظمات الطوعية الحرة التي تعمل في المجال العام بمبادئه السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والدينية، وباستقلال عن سلطة الدولة ومؤسساتها الرسمية، وذلك بغية تحقيق أهداف متعددة ولعل من أبرزها المشاركة السياسية، والمساهمة في صنع القرار على المستوى الوطني، بالإضافة لتحقيق أهداف مهنية كما هو الحال في النقابات المهنية التي تركز على الارتقاء بمستوى المهنة والدفاع عن مصالح أعضائها وحقوقهم، ومنها ما يسعى إلى تحقيق أهداف وغايات اجتماعية من خلال الإسهام في العمل الاجتماعي، والعمل على تحقيق التنمية بأبعادها المختلفة. (مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٢).

ويعرف المجتمع المدني بأنه مجموعة من التنظيمات الطوعية الحرة غير الحكومية وغير الإثرية التي تملأ المجال العام في الأسرة والدولة لتحقيق مصالح أفرادها من أجل قضية أو مصلحة ملتزمة بقيم ومعايير الاحترام والتراضي والتسامح والإدارة السلمية والتنوع والاختلاف. وتشير بعض التعريفات إلى أن المجتمع المدني هو مجموعة من الوحدات غير الرسمية التي تتخذ طابعا سياسيا بهدف التأثير على الجماعات السياسية من أجل الوصول لطموحاتها، كما تشكل من خلال إجراءاتها المجتمعية إحدى الوسائل الأساسية للتأثير في صنع القرار، كما وتعد أداة لتشكيل رأي عام ضاغط لكي تغير القرارات التي يتم اتخاذها بشأن المصلحة العامة. (العيلة، ٢٠٠٦، ١٢٨)

ويرتكز المجتمع المدني على عناصر أساسية من أبرزها: (المدني، ٢٠٠٨)

- ١- الإقناع: حيث تستغل منظمات المجتمع المدني وسائل الإعلام المختلفة لكسب التأييد لقضاياها ومشكلاتها، وتوظف إمكانياتها وقدراتها المالية وخبراتها العملية لتحقيق أهدافها المختلفة. (الدجاني، ١٩٩٣، ص ٣١٩-٣٢٠)
- ٢- المقاضاة: فقد تلجأ منظمات المجتمع المدني للتأثير على السياسات العامة من خلال اللجوء إلى القضاء إذا أغلقت أمامها القنوات السياسية التقليدية، بإقامة الدعاوى للمطالبة بحقوقها.

٣- الطوعية: بمعنى أن انخراط الأفراد واهتمامهم وانغماسهم في هذه المؤسسات غالبا ما يكون نابع من الإرادة الحرة لذلك الفرد ودون ممارسة أي إكراه أو قسر من أي جهة، وإنما بدافع ذاتي وشخصي.

٤- المؤسسية: وتعني أن إنشاء هذه المنظمات يكون من خلال أطر تشريعية وقانونية يتم وضعها لتنظيم عمل هذه المنظمات، وبما يخدم مصالح الجماعة والمنظمات، وتعمل هذه المنظمات في إطار هذه التشريعات لإشباع حاجات أعضائها والدفاع عن حقوقهم وتحقيق مصالحهم.

٥- الدور: ويعني أن ما تقوم به هذه المنظمات من أعمال ونشاطات وما تضعه من برامج مختلفة بغية حماية مصالح أعضائها، والدفاع عن حقوقهم، وتنظيم العلاقة داخل هذه المنظمات مع غيرها من المؤسسات الفاعلة داخل المجتمع، أو المؤسسات الحكومية الرسمية في إطار من التفاعل والتعاون والاحترام المتبادل.

ويمكن إجمال أهم خصائص المجتمع المدني على النحو الآتي:- (عيد وأديب، ٢٠١٠)

- المرونة والقدرة على التكيف مع ما يشهده المجتمع من تطورات وتحولات مختلفة مع مرور الزمن، والاعتماد في نشاطاتها الموثوقة والحديثة.

- الشفافية أن يتسم عمل المنظمة بالشرعية واحترام القانون ووضوح الأهداف والابتعاد عن الضبابية والغموض، والإعلان عن مصادر تمويلها، وطبيعة تنظيمها وهيكلها وأسلوب عملها.

- الشراكة والتعاون مع المؤسسات والتنظيمات الأخرى ذات العلاقة، مما يساعد على القدرة في الاستغلال الأمثل للموارد، واحترام سيادة القانون لضمان عدم التعرض لأي انتقاد أو التدخل في شؤونها الداخلية من الجهات الأخرى.

ومما لا شك فيه أن خصائص المجتمع المدني والدور الذي يمكن أن يضطلع به ويمارسه من أنشطة مختلفة داخل المجتمع يختلف من دولة إلى أخرى، ويرتبط إلى حد كبير بمدى احترام وتطبيق مبدأ سيادة القانون على جميع المؤسسات وحماية واحترام حقوق الإنسان وحياته المدنية والسياسية، واحترام حرية التعبير وحق الاجتماع، وتوفير الحقوق الاجتماعية والاقتصادية للأفراد والجماعات من خلال وضع تشريعات حديثة وعصرية، تشكل رافعة للإصلاح السياسي والاقتصادي، ووضع أسس للانتقال السلمي للسلطة في تلك المنظمات (سعيد، ١٩٩٩).

كما أنه لا بد من الإشارة إلى أن نجاح منظمات المجتمع المدني في تفعيل أدوارها والقيام بمهامها، وتحقيق أهدافها وبرامجها يعتمد إلى حد كبير على مدى تطبيق عنصر المؤسسة والقدرة على الاستقلال عن السلطة التنفيذية والحد من تغولها وتدخلها في عمل هذه المنظمات، إن تفعيل الأسس الديمقراطية الداخلية وكيفية اختيار قياداتها وهيكلها الإدارية والتنظيمية في كل ذلك يمكن أعضاءها من التعامل مع بعضهم البعض أو مع مؤسسات وأجهزة الدولة وقطاعات المجتمع المختلفة، ويضاف إلى ما سبق مدى انتماء أعضاء هذه المنظمات والمنتسبين إليها، وتفاعلهم مع السياسات التي تؤثر عليهم وعلى المجتمع بشكل عام (المقداد، ٢٠١٢: ٤٤).

ثانياً: منظمات المجتمع المدني في الأردن (النشأة والتطور)

تعود نشأة منظمات المجتمع المدني في الأردن إلى بداية تأسيس الدولة الأردنية، وظهر مفهوم المجتمع المدني في الأردن في وقت مبكر من نشأة الدولة الأردنية وذلك عام 1923م مع نشر أول مقال صحفي معروف عن المجتمع المدني، حيث دعا صاحب المقال إلى "إعلاء شأن التنظيمات المدنية الحديثة وإلى إحلالها محلّ الروابط الاجتماعية القديمة"، وكان صدور المقال المذكور بعد نحو عامين من قيام أول حكومة مركزية في شرق الأردن، ولكن مفهوم المجتمع المدني فعلياً غاب عن مظاهر الحياة في الأردن حتى ظهر في الثمانينيات من القرن العشرين الماضي (الخوراني، ٢٠١٠).

تطورت هذه المنظمات ونضجت أدوارها ونشاطاتها مع تطور الدولة ونظامها السياسي وما شهدته من متغيرات متلاحقة على جميع الصعد المحلية والإقليمية والدولية التي أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر على هياكل الدولة الأردنية ومؤسساتها المختلفة وإعادة تشكيل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والديمقراطية، فقد تعرض الأردن منذ حصوله على الاستقلال في العام ١٩٤٦م إلى متغيرات وتطورات عديدة كان من أبرزها حدوث نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م وقيام الكيان الصهيوني على الأرض الفلسطينية، وما ترتب عليه من موجات الهجرة واللجوء الفلسطيني إلى الأردن، ثم قيام الوحدة بين الضفتين الشرقية والغربية في العام ١٩٥٠م في أعقاب مؤتمر أريحا الذي نادى بالوحدة بين الضفتين بقيادة الملك عبدالله الأول بن الحسين ملكاً على المملكة الأردنية الهاشمية بصفتهما الشرقية والغربية. أثر قيام وحدة الضفتين بشكل جوهري ومباشر على كافة الأوضاع في الأردن، وأدى إلى اتخاذ مجموعة من الإجراءات والتحولت السياسية والتشريعية، كان لها تداعيات وانعكاسات

كثيرة على مجمل الحياة العامة في الأردن بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فقد برز حراك سياسي واجتماعي على الساحة الأردنية بشكل غير مسبوق خلال الخمسينيات من القرن الماضي، وظهرت العديد من الأحزاب والتيارات السياسية والجمعيات الاجتماعية والنوادي الثقافية والسياسية والجمعيات النسائية والنقابات المهنية، وقد صدر الدستور الأردني في العام ١٩٥٢م والذي وفر مجموعة من الحقوق والحريات العامة لأفراد الشعب بما يتناغم مع التطورات التي شهدها المجتمع الأردني في أعقاب الوحدة بين الضفتين، وبما يتواءم أيضاً مع التشريعات الدولية التي صدرت في أعقاب إنشاء الأمم المتحدة في العام ١٩٤٥م وخاصة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر في ١٠ كانون الأول من العام ١٩٤٨م الذي نادى بضرورة احترام حقوق الإنسان وحرياته المختلفة على المستوى العالمي وفي جميع الدول، فقد أفرد الدستور الأردني الفصل الثاني للحديث عن حقوق الإنسان الأردني وحرياته العامة بشكل مفصل، إذ نصت المادة ١٦ من الدستور للعام ١٩٥٢م وتعديلاته المختلفة:

١- أن للأردنيين حق الاجتماع ضمن حدود القانون.

٢- للأردنيين حق تأليف الجمعيات والنقابات والأحزاب السياسية على أن تكون غايتها مشروعة ووسائلها سلمية وذات نظم لا تخالف أحكام الدستور.

وقد شكل هذا الإطار الدستوري الذي يتواءم وينسجم مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ومجمل التطورات والمتغيرات التي شهدتها المملكة أكبر الأثر في تطور وبروز المجتمع المدني ومنظماته المختلفة، كما أن هجرة اللاجئين بأعداد كبيرة من فلسطين إلى الأردن أثر على طبيعة عمل هذه المنظمات ونشاطاتها المختلفة، فبالإضافة لعملها السياسي بدأت بالانتقال للتركيز على العمل التطوعي، ونشأت أثر ذلك الجمعيات الخيرية في مختلف المجالات الإنسانية كالإغاثة والعمل الاجتماعي والإنساني والعناية بضحايا حرب العام ١٩٤٨م. (الحواراني وأبو رمان، ٢٠٠٤،)

شهدت الحياة السياسية في الأردن خلال فترة الخمسينات والستينات من القرن العشرين عملية تحولات سياسية جديدة تمثلت في وقوع عدد من الأحداث السياسية والأمنية مما أدت إلى تراجع كافة النشاطات السياسية وانحصارها وتحريم العمل الحزبي وتجميد الأحزاب السياسية بمختلف تياراتها، وتم تعطيل العمل بقانون الأحزاب السياسية رقم ١٥ لسنة

١٩٥٥م، وإعلان الأحكام العرفية في جميع أنحاء المملكة، وذلك لخروج عدد من الأحزاب عن التقاليد الدستورية ودورها الفعال في إثارة الفوضى وزعزعة النظام والأمن في داخل الدولة. (الدجاني، ١٩٩٣، ٣٠٨)

بالإضافة إلى ذلك تعرضت الأردن مرة أخرى إلى انتكاسة جديدة بسبب احتلال الضفة الغربية في حزيران عام ١٩٦٧م وقد أدى ذلك إلى قدوم موجة جديدة من اللجوء الفلسطيني وشهدت البلاد تراجعاً اقتصادياً وأمنياً واضحاً ونجم عن ذلك تعذر إجراء الانتخابات النيابية في الأردن بسبب احتلال الضفة الغربية في حزيران عام ١٩٦٧م التي كانت تشكل جزءاً أساسياً من المملكة، وبقي العمل الحزبي محرمًا طيلة السبعينات والثمانينات وحتى بداية التسعينات، وفي ظل هذه المعطيات من تعطل عمل الأحزاب السياسية ومجلس الأمة واستمرار سريان قانون الدفاع والأحكام العرفية، وقد أدى غياب السلطة التشريعية والأحزاب السياسية إلى تنامي دور النقابات المهنية وأتيحت الفرصة أمامها للظهور بقوة، وأخذت تعمل على ملء الفراغ السياسي الذي نجم عن تعطيل الحياة الحزبية والبرلمانية.

واستمرت كذلك الجمعيات الخيرية التطوعية القيام بمهامها ونشاطاتها الإنسانية وخاصة مع النازحين الجدد الذين انضموا إلى المجتمع الأردني، بسبب حرب حزيران في العام ١٩٦٧م، وعملت على تقديم العون الغذائي والطبي والمادي لهم.

أما على صعيد التنظيم النسائي فقد تأسس اتحاد المرأة الأردني، والاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في العام ١٩٦٩م، وبعد ذلك تأسس الاتحاد النسائي في الأردن في العام ١٩٧٤م بعد أن سمح قانون الانتخاب للمرأة بالمشاركة في الانتخابات النيابية. (الهوراني وأبورمان، ٢٠٠٤، ٥٢-٤٢)

وفي العام ١٩٨٩م شهدت الأردن أزمة اقتصادية غير مسبوقة تمثلت في ارتفاع الأسعار والبطالة وازدياد جيوب الفقر وهبوط سعر صرف الدينار الأردني، حيث كان لها انعكاسات سلبية كبيرة على حياة المواطنين، الأمر الذي أدى إلى حدوث انتفاضة شعبية عرفت بـ "هبة نيسان" انطلقت شرارتها في مدينة معان جنوب الأردن، وامتدت إلى مناطق مختلفة داخل الأردن، وعلى أثرها قرر الملك الحسين اتخاذ عدد من الإجراءات تهدف إلى تحقيق إصلاح سياسي وتصويب الأوضاع الاقتصادية، وأعلن عن إجراء انتخابات نيابية في نفس العام شاركت فيها جميع القوى السياسية، كما تم تشكيل لجنة ملكية لصياغة الميثاق الوطني الذي صدر في عام ١٩٩٠م، وأسس لبناء علاقة إيجابية بين الدولة ومؤسساتها المختلفة من

جهة والشعب من جهة أخرى، وفي أعقاب ذلك تم إصدار قانون جديد للأحزاب السياسية في عام ١٩٩٢م.

وعادت معظم الأحزاب السياسية لممارسة نشاطاتها وأدى ذلك إلى تشكيل أحزاب جديدة وارتفع عدد الأحزاب السياسية إلى ٢٠ حزبا، كما وصل عدد النقابات والجمعيات المهنية إلى ١٤، وارتفع عدد الجمعيات الخيرية إلى ٧٥٦، والجمعيات الثقافية إلى ٢٥٦، وظهرت منظمات معنية بحقوق الإنسان والتنمية الديمقراطية، واستقر عدد النقابات العمالية على ٧ نقابات، كل ذلك التطور حدث خلال عقد التسعينات (الحوراني وأبو رمان، ٢٠٠٤، ٦٥).

ومع تتابع الأحداث والتطورات السياسية والاقتصادية داخل الأردن وفي الإقليم، صدر في العام ٢٠٠٢م وثيقة الأردن أولا والتي دعت جميع منظمات المجتمع المدني والأحزاب السياسية والنقابات المهنية لإعادة هيكلة أولوياتها والتركيز على الشأن الداخلي الأردني بالدرجة الأولى وعلى قاعدة جديدة تقوم دعائمها على تحقيق التنمية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ودعم الإنتاجية ومحاربة الفقر والبطالة وتحسين مستوى معيشة المواطنين والتوجه نحو تبني قضايا الوطن كافة (وثيقة الأردن أولا، ٢٠٠٢).

ومع مطلع القرن الحالي وخلال العقد الأول والثاني منه شهدت منظمات المجتمع المدني تطورا واضحا ونوعيا على الصعيدين الكمي والعملي في عدد المنظمات ونشاطاتها، فقد ازداد عدد الجمعيات الأهلية، والنقابات المهنية والعمالية، والغرف التجارية والصناعية، والمؤسسات الخيرية، والجمعيات الدينية، والجمعيات التطوعية، وجمعيات حقوق الإنسان والمرأة والطفل، والنوادي الرياضية، وجمعيات حماية المستهلك، وما شابهها من مؤسسات تطوعية. (الملاوي، ٢٠٠٨، ٢٤)

وقد توزع نشاط هذه المنظمات والجمعيات وانتشارها في كافة أنحاء المملكة، وإن تمركز الجزء الأكبر منها في العاصمة عمان، ويمكن أن يعزى هذا الازدياد في عدد المنظمات المدنية في البلاد إلى مجموعة من الأسباب أهمها:- (العبادي، ٢٠٠٨، ص ٩٣)

١- الرغبة لدى النظام السياسي والحكومات المختلفة بإيجاد منظمات تضطلع بدور الوسيط وقناة للاتصال ما بين المؤسسات الرسمية وشرائح المجتمع المختلفة من خلال ما تقوم به من نشاطات وبرامج مختلفة تسعى من خلالها لتحقيق أهدافها وغاياتها لخدمة مصلحة المجتمع والمصالح العامة.

٢- شجع وجود البنية التشريعية والملائمة لتنظيم حياة الناس على تسهيل عملية وإجراءات إنشاء هذه المنظمات وممارسه نشاطاتها المختلفة.

٣- ازدياد المطالب والاحتياجات الاجتماعية التي أصبح من غير الممكن للمؤسسات الرسمية من القيام بها وتغطيتها بمفردها.

بالإضافة إلى جميع هذه الأسباب فإن هناك أسباباً أخرى قد أدت إلى زيادة انتشار بمنظمات المجتمع المدني وتصاعد نفوذها وخاصة تلك التي ترتبط بمنظمات دولية وحكومات أجنبية فإن الدراسات تشير إلى تنامي تمويل الدول الكبرى والغنية لهذه المنظمات واستخدامها كأداة رسمية من أدوات السياسة الخارجية. (DOUGLES, BOWLES, 2012) والعمل على توظيفها في خدمة مجالات وأهداف اجتماعية واقتصادية أخرى بعد أن كان معظم استخداماتها في السابق لغايات دينية وتبشيرية وإنسانية.

وفي هذا الإطار من الدعم المتواصل من الدول المانحة على مستوى العالم وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية (Todoro, 2009) وفرنسا وألمانيا وبريطانيا، فقد نشطت الآن المنظمات والجمعيات غير الحكومية الوافدة من الدول الكبرى إلى الدول النامية، بحيث أصبحت هذه المنظمات العابرة للحدود والقارات أدوات وكالات التنمية الدولية والحكومية، والجهات المانحة التي تستهدف هذه المناطق (Smith, 1993, 344)، ولاشك أن هناك تواجداً مثل هذه المنظمات في داخل الأردن تمارس نشاطها وأجندتها المختلفة ضمن هذا السياق.

كما أن من الأسباب التي أدت إلى تغيير في دور منظمات المجتمع المدني في العقد الحالي، ما أحدثته ثورات الربيع العربي التي انطلقت في بعض الدول العربية (تونس، مصر، ليبيا، اليمن، سوريا) واستطاعت أن تغير بعض النظم السياسية في هذه الدول، وقد ألقت هذه التحولات بظلالها على الواقع السياسي في الأردن، فقد سعى النظام السياسي للاستجابة لهذه التحولات ومحاولة استيعابها بشكل سلمي ومدروس، حيث اتجه النظام السياسي إلى مزيد من الانفتاح الديمقراطي وإجراء تعديلات دستورية موسعة شملت جملة من المسائل التي تدعم حقوق الإنسان وحياته العامة، وتعزيز عملية الفصل بين السلطات.

ومما لا شك فيه أن هذا الانفتاح قد انعكس بشكل إيجابي على منظمات المجتمع المدني وأدوارها وأنشطتها المختلفة، ووفرت لها زخم وقوة واضحة لأداء وحركة هذه المنظمات وازدياد نشاطاتها، ومناخ ملائم لنمو المجتمع المدني. (السليم، ٢٠١٣، ٢٥٤).

ويشير الدليل العلمي والاسترشادي الذي أعدته الشبكة العربية للمنظمات الأهلية إلى أن عمل منظمات المجتمع الأهلي في الأردن قد تركز حول منظمات حقوق الإنسان والنقابات العمالية ومراكز الدراسات وغرف التجارة والصناعة والجمعيات الخيرية وجمعيات أصحاب العمل ونقابات أصحاب العمل، وجمعيات مهنية ونقابات مهنية، ومنظمات المرأة والمنظمات الثقافية والنوادي الشبابية، وقد بلغ مجموع عدد هذه المنظمات على اختلاف اهتماماتها ونشاطاتها ٢,١٣٤ منظمة توزعت كما هو موضح بالجدول التالي:- (دليل منظمات المجتمع المدني في الأردن)

نشاط المنظمة	عددها
منظمات حقوق الإنسان	٨٨
منظمات أجنبية (الأهداف مختلفة)	٧٢
نقابات عمالية	١٨
هيئات خاصة كـ (كلنا الأردن، المحاربين القدماء)	١٩
مراكز الدراسات	٤٨
جمعيات خيرية	١٠٠٤
غرف تجارية	١٧
غرف صناعية	٤
جمعيات أصحاب العمل	٤٠
جمعيات مهنية	١٩
نقابات مهنية	١٣
خريجي الجامعات والمعاهد	١٣
منظمات الرعاية الصحية	٦٢
العناية بذوي الاحتياجات الخاصة	١٥٨
منظمات المرأة	٨٥
منظمات بيئية	٦٣
منظمات ثقافية	١٨٨
منظمات رعاية الطفل والأيتام	٥٧
نوادي شبابية ورياضية	١٣١
مجموع	٢,١٣٤

ثالثاً: طبيعة العلاقة بين منظمات المجتمع المدني والحكومة الأردنية

يتسم النظام السياسي الأردني بما يحمله من موروثة وأعراف حملتها الصيغة الهاشمية في الحكم بالاعتدال والوسطية منذ نشأته في ظل ظروف إقليمية ودولية مضطربة، فقد

سعت الحكومة الأردنية إلى استيعاب واحتواء منظمات المجتمع المدني ضمن بنية النظام السياسي الأردني، ولا سيما في ضوء محاولات النظام تأسيس دولة المؤسسات والقانون وفقا للمنظور الغربي لمفهوم الدولة المدنية والاتفاقيات الدولية.

لقد خضعت علاقة النظام السياسي ومنظمات المجتمع المدني، لوطأة الفكر السياسي القاصر، والخلل في منظومة العمل السياسي والدستوري الذي ينظم ويحكم العلاقة بين النظام السياسي ومنظمات المجتمع المدني والأحزاب السياسية، في ضوء تغول السلطة التنفيذية على منظمات المجتمع المدني وعدم احتكامها للدستور، وضعف تأثير منظومة المجتمع المدني واعتمادها على الدعم المادي من الحكومة في بعض الأحيان، وشبهة ارتهاها للخارج بسبب تلقيها تمويلا خارجيا، مما يثير الريبة والشك بأهدافها.

لقد شكلت أحداث الربيع العربي علامة فارقة في طبيعة العلاقة والحالة التي كانت سائدة بين النظام السياسي ومنظمات المجتمع المدني في المراحل السابقة، وخلقت فرصة لإعادة صياغة وتصويب العلاقة بين النظام السياسي ومنظمات المجتمع المدني.

منذ نشأت نواة الدولة الأردنية ممثلة بإمارة شرق الأردن، سمحت الدولة بإنشاء منظمات وجمعيات المجتمع المدني إلا أن العلاقة بين الطرفين اتسمت بالتغير والتحول وفقا للظروف السياسية الداخلية والإقليمية المضطربة، فقد أدت الانتفاضة الفلسطينية بمختلف مراحلها في العامين (١٩٨٧م، و ٢٠٠٠م)، والعدوان الإسرائيلي على غزة في الأعوام (٢٠٠٨م، ٢٠١٢م، ٢٠١٤م) واحتلال التحالف الدولي للعراق في العام ٢٠٠٣م، والظروف الاجتماعية والأمنية والاقتصادية التي تمر بها البلاد، إلى إجراء الحكومة الأردنية تعديلات عدة على القوانين التي تعنى بتنظيم مجال عمل منظمات المجتمع المدني: - (ويلكه، ٢٠٠٧، ص ٥-٢٢).

● منظمات المجتمع المدني: يحق لوزارة التنمية الاجتماعية التدخل المباشر في إدارة منظمات المجتمع المدني وفي أنشطتها، ويحق لها مراقبة شؤونها الداخلية، ويمنع القانون منظمات المجتمع المدني من الانخراط في أنشطة "سياسية أو دينية أو طائفية، وعلى منظمات المجتمع المدني إخطار الوزارة مقدما بمواعيد اجتماعات جمعياتها العامة، ومن من المسؤولين سيحضر، ونتائج التصويت التي تم الوصول إليها، والقرارات الناجمة عن اجتماعات الأعضاء العموميين لمنظمات المجتمع المدني بشأن أمور متصلة بأنظمتها أو هيئة إدارتها تعتبر لاجية إذا لم يحضر مسؤول من الوزارة، ويجب أن توافق الوزارة على أية تغييرات تدخل على أنظمة

منظمات المجتمع المدني، وللوزارة سلطة غير محدودة في رفض هذه التغييرات وعلى منظمات المجتمع المدني التي تريد أن تشكل فيما بينها اتحادًا نوعيًا أن تحصل على موافقة الوزير الكتابية.

● قوانين الجمعيات: لاقت قوانين الجمعيات المتعاقبة انتقادات واسعة من مختلف أطراف وشرائح المجتمع، كان من أبرز المآخذ على هذه القوانين:- إعاقها قدرة المنظمات غير الحكومية على التكون والعمل، ومنح الحكومة حق حل الجمعيات دون أسس واضحة، ومنعها من الحصول على التمويل الخارجي دون مبررات، السماح للحكومة بالمناورة ورفض تسجيل أي جمعية عبر استخدام مصطلحات فضفاضة بالقانون (منع تكوين مجموعات ذات "أهداف سياسية" أو تقوم بنشاطات تزعزع "النظام العام")، منع تسجيل أي مجموعة لها "غايات غير مشروعة تتعارض مع الأمن الوطني أو السلامة العامة أو الصحة العامة أو الأخلاق العامة أو حقوق الغير وحريتهم". كما يسمح القانون للحكومة بإقالة إدارة الجمعيات واستبدالها بموظفين حكوميين وبحل الجمعيات في حال تكرار مخالفات بسيطة، ويسمح لها أيضا بالاطلاع على حساب الجمعيات المالي بدون سبب أو تفويض قضائي، إذ تؤدي هذه الإجراءات إلى وضع العراقيل أمام الجمعيات وتمنعها من العمل باستقلالية عن الحكومة الأردنية، وهو الهدف الرئيس للمنظمات غير الحكومية. (بيان هيومن رايتس ووتش، ٢٠١٦)

وفيما يخص الجمعيات الخارجية، يشترط على الجمعيات الأجنبية التي تعمل في الأردن أن توقع اتفاقيات مع الحكومة الأردنية للسماح لفروعها بالعمل في المملكة، تفرض على المجموعات أن تتقدم بطلب الحصول على تمويل خارجي إلى دائرة السجل التابعة لوزارة التنمية الاجتماعية، موضحة المبلغ المطلوب وطريقة الحصول عليه وأوجه استعماله، إذا قُبل هذا الطلب يرفع إلى مجلس الوزراء للموافقة أو الرفض، ولا يجبر القانون مجلس الوزراء على الإفصاح عن سبب رفض التمويل الخارجي، كما يشترط أن يوضع التمويل الخارجي الذي في "حساب أمانات" في صندوق "دعم الجمعيات" الذي تديره وزارة التنمية الاجتماعية.

● النقابات المهنية في الأردن: تعاني من القوانين النافذة التي تقيد عملها وتسمح للحكومة بالتدخل في شؤونها الداخلية، لقد حاولت الحكومة عبر قانون النقابات المهنية تحجيم دور النقابات في الحياة العامة وحصره في الإطار المهني البحت، حيث يجبر القانون النقابات

الحصول على موافقة خطية مسبقة من وزارة الداخلية لإقامة اللقاءات والتجمعات العامة، أن تحصر المواضيع التي تناقشها في جميع "اجتماعاتها الرسمية واجتماعات مجالسها ولجانها" بـ "القضايا المهنية"، إذا أرادت إحدى النقابات مناقشة أية مسألة غير "مهنية" في واحدٍ من اجتماعاتها، فإن مشروع القانون يفرض عليها طلب الإذن المُسبق من وزارة الداخلية وفقًا لقانون الاجتماعات العامة الذي يقضي بأن يتم طلب الإذن لعقد أي اجتماع عام أو مسيرة أو مظاهرة، أو أي شكل آخر من أشكال التجمعات العامة، ويسمح للحكومة تعيين أعضاء لها في المجلس التأديبي لكل نقابة، ويعطيها الحق بمنع الأعضاء عن ممارسة مهنتهم إذا اُخترقوا ما يسمى "الإضرار بأخلاقيات وسلوكيات المهنة"، والتصرف "بطريقة تُضرب بشرف المهنة"، أو "حرف النقابة عن غايتها المهنية أو بطريقة تحط من قدر النقابة". (هيومن رايتس ووتش، ٢٠٠٥)

• كما بين التقرير السنوي الثالث عشر لحقوق الإنسان أن العام ٢٠١٦ م شهد استمرار القيود المخالفة لجوهر الحق في تأسيس النقابات وفقا للدستور الأردني والمعايير الدولية بتقييد حرية إنشاء النقابات العمالية، واشتراط الحصول على الترخيص المسبق من وزارة العمل لمباشرة الاعتراف بالشخصية القانونية لهذا الكيان المعنوي (النقابات)، بدلا من مجرد الإخطار كما هو مفترض، وإعطاء السلطات التنفيذية (وزير العمل) صلاحية حل النقابات العمالية. (شناعة، ٢٠١٦).

التقييد والوصاية القانونية الحكومية على منظمات المجتمع المدني هي السمة السائدة للعلاقة بين الحكومات المتعاقبة ومنظمات المجتمع المدني في الأردن، فقد وصف استبيان لقوانين منظمات المجتمع المدني في عشر دول عربية بأن القانون الأردني "مقيد للغاية" و"أحد أقدم القوانين وأكثرها تعسفاً". (البيار، ٢٠٠٥، ص ١٤).

استخدمت الحكومة سلطة القانون لتقييد عمل منظمات المجتمع المدني على الرغم من تسهيل إجراءات إنشائها والسماح بتوسعها في البلاد، فقد سمحت بتضاعفها كمّا وتمددتها أفقيا، وأعاقَت تأثيرها رأسيا وقيدت عملها نوعيا، وقد يعزى التناقض الواضح في التعاطي الحكومي مع منظمات المجتمع المدني في الأردن إلى غايات الحكومة الداخلية (إرساء دولة

المؤسسات والقانون) والخارجية (المساعدات الغربية المشروطة) التي تدفع إلى تطور منظمات المجتمع المدني في الأردن.

الحافز الفعال للحكومة بتطوير مجال منظمات المجتمع المدني، مواكبة النصائح الغربية المرتبطة بالمساعدات والمنح الاقتصادية والعسكرية من الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية، اللتين تدعيان أن من أبرز أهدافها لتقديم المنح المالية في الشرق الأوسط، وفي الأردن على وجه التحديد، هو تشجيع تنمية المجتمع المدني، بما في ذلك الضغط لإحداث التغييرات في قوانين تكوين الجمعيات، ودعم حكم القانون. (ويلكه، ٢٠٠٧، ص ٤).

لقد حاصرت الحكومة أكبر منظمات المجتمع المدني في الأردن بسلطة القانون رداً على انتقادها للقوانين الحكومية المنظمة لعملها، وافتعلت عدة أزمات بهدف تحجيم تدخلها في الحياة العامة:-

-الأزمة مع الاتحاد العام للجمعيات الخيرية:- تأسس الاتحاد العام للجمعيات الخيرية في ١ آب عام ١٩٥٩م من اتحادات الجمعيات الخيرية القائمة آنذاك في محافظات المملكة الأردنية الهاشمية، هو هيئة أهلية تطوعية غير ربحية له شخصية اعتبارية قانونية يديره هيئة إدارية منتخبة من ممثلي اتحادات المحافظات الأعضاء في الجمعية العمومية للاتحاد العام المنتخبين من قبل الجمعيات الخيرية. (موقع الاتحاد العام للجمعيات الخيرية الأردني)

أصدر مجلس الوزراء في العام ٢٠٠٦ م قرار تحويل ملف اتحاد الجمعيات إلى النائب العام بناءً على التقرير الذي قدمته اللجنة المشتركة المكونة من وزارة التنمية الاجتماعية وديوان المحاسبة حول التجاوزات المالية والإدارية للاتحاد العام للجمعيات الخيرية ورئيسه الدكتور عبدالله الخطيب. (صحيفة الدستور الأردنية، ٢٠٠٧)

وكف المدعي العام صلاحيات الهيئة المنتخبة، وقامت وزارة التنمية الاجتماعية بتعيين هيئة إدارية مؤقتة، زاعمة أن القرار لا يهدف إلى الاستيلاء على الاتحاد بل إلى تصحيح الأوضاع وتحسين الأداء نتيجة اختلالات متعددة في عمل الاتحاد (عبدالحفيظ، ٢٠٠٧)

إلا أن رئيس الاتحاد العام للجمعيات الخيرية ينفي الادعاءات الحكومية ويرى أنها رد على نشر وتوزيع انتقاد الاتحاد للحكومة بسبب تقييدها لعمل منظمات المجتمع المدني الأجنبية في الأردن، ولقيام الاتحاد بتقديم منح مالية لجمعيات فلسطينية وللحكومة اللبنانية للمساهمة

في التعامل مع مشاكل النازحين، ولاستثمار الاتحاد مبالغ مالية كبيرة في البنك العربي). (ويلكه، ٢٠٠٧، ص ٢٥-٢٦).

-أزمة جمعية المركز الإسلامي: تعد الجناح الخيري للإخوان المسلمين في الأردن، تأسست عام ١٩٦٣م، وسجلت في وزارة التنمية الاجتماعية عام ١٩٦٥م، وتقدر أموال الجمعية بـ 1.5 مليار دولار. (الأسمر، ٢٠١٢) تعد واحدة من أكبر المنظمات غير الحكومية في البلاد، وهي جمعية تنموية تهدف إلى تقديم خدمات تعليمية وتثقيفية إلى المواطن الأردني الأكثر احتياجا وتمكينه تعليميا واقتصاديا واجتماعيا وصحيا، وتتعاون من أجل ذلك مع مختلف الفاعلين محليا وإقليميا ودوليا على أسس الشفافية والمسؤولية والمنافع المشروعة المتبادلة، بالإضافة إلى أنها تحمل رؤى أن تكون الأكثر تأثيرا والأعظم أثرا في تقديم الخدمات التنموية في الأردن. (موقع جمعية المركز الإسلامي في الأردن، ٢٠٢٠).

قامت وزارة التنمية الاجتماعية في العام ٢٠٠٦م بحل مجلس إدارة جمعية المركز الإسلامي ووجهت لأعضائه تهما بالفساد، وشكلت إدارة مؤقتة لإدارة الجمعية لمدة تزيد عن خمس سنوات، استمرت التحقيقات القانونية خلالها ولم تسفر عن أدلة تثبت فساد المجلس المنحل، وقامت الحكومة خلال إدارتها بتسجيل ٨٥٨ عضوا جديدا في الهيئة العامة للجمعية للحيلولة دون سيطرة الإخوان المسلمين عليها بشكل تام، ومن ثم قامت الحكومة في العام ٢٠١١م بإعادة تسليم المجلس لأعضاء جمعية المركز من جماعة الإخوان المسلمين برئاسة رئيس مجلس شورى جماعة الإخوان المسلمين عبداللطيف عربيات، الذي قال إن جميع القضايا المرفوعة ضد الجمعية هي قضايا سياسية بامتياز. (صحيفة العرب اليوم، ٢٠١١).

واللافت للانتباه أن الحكومة خاضت الأزميتين ضد أكبر منظمات المجتمع المدني في الأردن بذات العام ٢٠٠٦م، وأنها لم تثر قضية الفساد فيهما طوال عقود متتالية، على الرغم من أن لها أعضاء في مجلس إدارة كلا المجلسين، وتقوم بزيارات دورية وتفتيش مالي وإداري سنوي، مما يثير الشكوك حول مصداقية الحكومة بادعاءات الفساد التي لم تثبت بعد سنوات من التحقيق والمتابعة القضائية، ولم يتم إعادة السماح بعمل هيئات منتخبة إلا في العام ٢٠١١م، مما يدل على محاولة الحكومة رأب الصدع بينها وبين منظمات المجتمع المدني بعد أحداث الربيع العربي، بعد سعيها سابقا إلى تقويض وجودها في الحياة العامة.

رابعاً: دور منظمات المجتمع المدني في التأثير على الحياة العامة

يمكن لمنظمات المجتمع المدني أن تشارك في صياغة السياسات العامة وتحسين عمل الإدارة الحكومية عبر التأسيس للمساواة والمساءلة والشفافية في النظام السياسي، وحماية الحقوق، والتوفيق بين المصالح المختلفة، وإيصال الخدمات الاجتماعية، وقدرتها على تعزيز خصائص الحكم الرشيد: الفاعلية والمشاركة في الشؤون العامة، وترسيخ سيادة القانون، والقبول بالتعددية في الرأي وتنوع الوسائل، هو إثراء لقدرات المجتمع وتنوع خياراته في تحقيق التنمية والازدهار.

إن ترسخ وشيوع المناخ الديمقراطي يساهم في تفعيل وزيادة تأثير منظمات المجتمع المدني في الحياة العامة وتحقيق التنمية المستدامة في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، فالعلاقة والتأثير متبادل بين النظام الديمقراطي وبين تطور منظمات المجتمع المدني وما تمارسه من أدوار مؤثرة على الصعيد الوطني.

وفي هذا السياق يمكن تحديد وظائف المجتمع المدني بما يلي: (مظلوم، ٢٠١٣، ص ٨).

١. تجميع المصالح: يتم من خلال مؤسسات المجتمع المدني بلورة مواقف جماعية من القضايا والتحديات التي تواجه أعضائها، وتمكنهم من التحرك جماعياً لحل مشاكلهم، وضمان مصالحهم على أساس هذه المواقف الجماعية.

٢. حسم وحل الصراعات: يعمل أعضاء التنظيم المدني على حل معظم النزاعات الداخلية بين أعضائه بصفة ودية دون الحاجة للجوء إلى أجهزة الدولة الرسمية، وعندها يكتسب الأعضاء الخبرة الكافية لممارسته مع باقي مؤسسات المجتمع الأخرى بصورة سلمية وودية، وهذا ينتج من تعميق الممارسات الديمقراطية على أساس قاعدة التفاوض والقبول بالرأي الآخر.

٣. تحسين الأوضاع وزيادة الثروة: تبني منظمات المجتمع المدني الفرصة لممارسة أنشطة مختلفة تؤدي إلى زيادة الدخل في داخل هذه المؤسسات مثل إقامة مشروعات صغيرة أو مشروعات تعاونية ومشروعات التأهيل والتدريب المهني وتنمية القدرات للحصول على فرص عمل.

٤. إفراز القيادات الجديدة: من أفضل الكفاءات التي مارست دوراً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً عاماً هي تلك العناصر التي تدرّبت ومارست العمل القيادي مسبقاً داخل منظمات المجتمع

المدني المختلفة، حيث إن العمل داخل مؤسسات المجتمع المدني يؤدي إلى ممارسة عملية وتجربة حقيقية لمشكلات الحياة المختلفة.

٥. إشاعة ثقافة مدنية ديمقراطية: من أهم الوظائف التي تقوم بها منظمات المجتمع المدني إشاعة ثقافة مدنية ترسخ في المجتمع قيم الديمقراطية بقبول الاختلاف والتنوع بين الذات والآخر، وإدارة الخلاف بوسائل سليمة في ضوء قيم الاحترام والتسامح والتعاون والتنافس والصراع السلمي، مع الالتزام بالمحاسبة العامة والشفافية، واحترام قيم النزوع للعمل الطوعي والعمل الجماعي.

يختلف دور ووظيفة منظمات المجتمع المدني من دولة إلى أخرى وإن اشتركت في الأساسيات العامة، وفقا لعدة عوامل أهمها: طبيعة العلاقة بين منظمات المجتمع المدني والنظام السياسي، ومدى توفر بيئة مناسبة لعملها، ومدى مرونة المنظمات وقدرتها على الصمود والمناورة وإثبات وجودها على الأرض، واستجابتها لحاجات مجتمعها وتمكنها من تلبية، الأمر الذي يؤدي إلى فرضها كعنصر فاعل ومؤثر في الحياة العامة، ولقد سعت منظمات المجتمع المدني في الأردن إلى القيام بالدور المنوط بها وتحقيق الغايات والأهداف التي أسست لأجلها، ويمكن تقسيم دورها في الأردن إلى ما يلي:

- دور تكاملي: تعزيز وإسناد الدور الحكومي بهدف تحقيق المصلحة الوطنية العليا والتنمية المستدامة في شتى المجالات، إذ يعاني الأردن شحاً في الموارد الطبيعية، ووقوعه في إقليم مضطرب سياسياً وعسكرياً يستنزف موارده، ويدفع ثمناً كبيراً جراء النزاعات السياسية المسلحة في محيطه باستقباله ملايين اللاجئين، مما يضغط على موارده الطبيعية والاقتصادية ويعيق خططه التنموية.

تشارك منظمات المجتمع المدني الحكومة في مواجهة الآثار السلبية للظروف الاقتصادية والسياسية، عبر تقاسم الأعباء المالية، والمساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، بكونها ظهيراً داعماً لجهود الحكومة في محاربة الفقر وإطلاق المبادرات بغية تأمين الحد الأدنى من الاحتياجات الأساسية كالصحة والتعليم والمياه والصرف الصحي.

حيث يبلغ عدد الجمعيات الخيرية التي تعنى بتقديم المساعدات بالآلاف وتقدم خدماتها لمئات الآلاف من المحتاجين سواء الذين يشملهم الدعم الحكومي أو الذين لا يشملهم، إذ ينضوي

تحت مظلة جمعية المركز الإسلامي وحدها، أكثر من خمسين مدرسة وما يزيد على ٢٠ مركزاً طبياً ومشفياً و٦٥ مركزاً لرعاية الأيتام والفقراء. (موقع جمعية المركز الإسلامي، ٢٠١٧)

والجدير بالذكر أن الحكومة تعترف بالدور الكبير الذي تلعبه منظمات المجتمع المدني في هذا الإطار، فقد أشادت وزيرة التنمية الاجتماعية هالة بسيسو لطوف في العام ٢٠١٨م بالاتحاد العام للجمعيات الخيرية، قائلة "هو الذراع الأيمن للوزارة لما يقدمه من خدمات للمواطنين في مختلف محافظات المملكة"، وتعدى دور منظمات المجتمع المدني المجالين الاقتصادي والاجتماعي إلى المجال الأمني بمفهومه الشامل، والأمن الاجتماعي والغذائي ومحاربة التطرف والمخدرات وغرس الحس الوطني والشعور بالمسؤولية تجاه قضايا الوطن كافة ومحاربة الجريمة من خلال برامج التوعية والإرشاد والمحاضرات. (عضيات، ٢٠١٧)

لقد استطاعت منظمات المجتمع المدني تحقيق تغييرات في بعض القوانين والسياسات العامة خلال مسيرتها المضنية الممتدة على مدار عدة عقود، لم ترتق التغييرات إلى التوقعات والآفاق المأمولة، لكنها تبقى ثمرة السعي المتواصل والمستدام لنيل الحقوق وتحسين المناخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي في الأردن، ومؤشراً على قدرة منظمات المجتمع المدني في التأثير على الحياة العامة، وقدرتها على تحقيق التغيير وإن كان طفيفاً ومتدرجاً، ومن أبرز التغييرات:-

- حقوق أبناء الأردنيين: على الرغم من أن الدستور الأردني نص في المادة ٦ على أن الأردنيين أمام القانون سواء، إلا أن المرأة الأردنية ما زالت لا تملك الحق في منح زوجها وأبنائها الجنسية الأردنية كما هو الحق للرجل، وعلى الرغم من مطالبات منظمات المرأة وحقوق الإنسان العديدة بضرورة إجراء تعديل على قانون الجنسية لتصبح المرأة الأردنية متساوية مع الرجل في هذا الحق لم يرق المشرع باتخاذ أي إجراء أو تعديل من شأنه أن يغير من هذا الواقع، حيث لا تسمح المادة ٩ من قانون الجنسية الأردنية للمرأة الأردنية المتزوجة من زوج غير أردني بمنح جنسيتها لزوجها وأبنائها، ويعود ذلك لأسباب وظروف سياسية لا مجال لتفصيلها هنا.

وتحت المطالبات والضغوط والحراك الاجتماعي والحقوق، أصدرت السلطات الأردنية في العام ٢٠١٤م قراراً حكومياً يهدف إلى تخفيف القيود المفروضة على حصول غير الأردنيين من أبناء الأردنيين على الحقوق الاقتصادية والاجتماعية الرئيسية، في مجالات التعليم والصحة والعمل والاستثمار والتملك، والحصول على رخص قيادة المركبات، بالإضافة إلى تسهيلات في مجال أذونات الإقامة، شريطة عدم اكتساب الجنسية الأردنية، وفي سبتمبر/أيلول من العام

٢٠١٨م، أعلنت السلطات الأردنية إلغاء شرط الإقامة ٥ سنوات إقامة دائمة للأمهات الأردنيات لاستفادة أبنائهن غير الأردنيين من قرار مجلس الوزراء في ٢٠١٤، كما اعتبرت البطاقات التعريفية الخاصة التي أُعطيت لأبناء الأردنيات لمنحهم بعض التسهيلات بطاقة إثبات شخصية. (عبدالهادي، ٢٠١٨)

- جرائم الشرف:

هي جريمة قتل يرتكبها غالبا أحد الأعضاء الذكور في أسرة ما أو قريب ذكر لذات الأسرة بحق أنثى أو مجموعة إناث في ذات الأسرة تحت مسمى الحفاظ على الشرف، أو القتل من أجل محو العار، لأن الجناة يؤمنون بأن الضحية قد جلبت العار واليهوان على العائلة، أو انتهكت العادات والتقاليد المجتمعية.

أطلقت حملات محلية مكثفة مناهضة لجرائم الشرف رافقها دعم حقوقي خارجي، أدت إلى تعديل المادة ٩٨ من قانون العقوبات في تشرين الأول من العام ٢٠١٧م التي تنص على أن مرتكبي الجرائم "ضد المرأة" لا يمكنهم الحصول على أحكام مخففة، غير أن هذا الحكم يترك ثغرة بموجب المادة ٣٤٠ من نفس القانون، التي تسمح بتخفيف عقوبات الذين يقتلون النساء إذا تلبسوا بارتكاب فعل فاحش، وتم تعديل المادة التي كانت تمكن القتل من الخلاص من العقوبة بشكل كامل في بندها الأول، وتمنح أحكاما مخففة في بندها الثاني، ولا يستفيد من البندين سوى الذكور، بحيث ألغي احتمال أن يحصل القاتل على إعفاء كامل من العقوبة، ويشمل الحق بالتخفيف من العقوبة للنساء أيضا في حال ارتكبن الجريمة للأسباب نفسها، كشفت جمعية معهد تضامن النساء الأردني "تضامن"، وهي مؤسسة غير حكومية تعنى بمناصرة قضايا المرأة، أن عدد ضحايا جرائم الشرف من النساء تراجع بنسبة ٤٤%، حيث وقعت ٧ جرائم منذ بداية العام ٢٠١٨م، مقارنة مع العام ٢٠١٧، بعد مرور عام على تعديل مادة من قانون العقوبات التي تتيح عذرا مخففا في جرائم الشرف، وذلك بحسب إحصائيات رصدت الجرائم المنشورة في وسائل الإعلام المختلفة، وكان عام ٢٠١٧ شهد ١٦ جريمة قتل بحق النساء بداعي الشرف، في حين وقعت ٢٦ جريمة قتل خلال عام ٢٠١٦م (رفايعة، ٢٠١٨)

لا تزال سطوة المجتمع والعادات والتقاليد التي ما زالت سائدة منذ عقود طويلة لها اليد الطولى في قضايا الشرف، فعلى الرغم من جهود منظمات المجتمع المدني وحملات التوعية المكثفة واستجابة الحكومة المتمثلة بإقرار قوانين في ضوء السعي للحد من هذه الظاهرة، إلا

أن القضايا تتصاعد وتهبط ولم تسجل انخفاضا مستقرا، ففي العام ٢٠١٩ م ارتفعت مجدداً فقد وصل عدد جرائم القتل الأسرية بحق النساء والفتيات في الأردن منذ بداية عام ٢٠١٩ م إلى ٢٠ جريمة، بارتفاع نسبته ١٨٦ في المائة، مقارنة مع ذات الفترة من عام ٢٠١٨ م، وفقاً للرصد الذي تقوم به جمعية معهد تضامن النساء الأردني "تضامن"، وتشير "تضامن" إلى أن تشديد العقوبات على مرتكبي الجرائم ضد النساء والفتيات والطفلات، وضمان عدم إفلاتهم من العقاب، لن يكون كافياً لوحده للحد من هكذا جرائم ما لم تتخذ إجراءات وقائية تمنع حدوث الجرائم وعلى كافة المستويات بدءاً من الأسرة ومحيطها. (العربي الجديد، ٢٠١٩)

وعلى الرغم من هذه الإنجازات الملموسة، إلا أن هنالك مجموعة من العقبات والتحديات التي قد تقف عائقاً أمام الجهود الهادفة لمعالجة قضايا المرأة وتمكينها في مختلف المجالات، وهذه التحديات، هي: قلة الموارد المالية، وضعف التنسيق بين القطاع الحكومي والقطاع الأهلي، وضعف مشاركة القطاع الخاص، إضافة إلى عدم الاستقرار السياسي في المنطقة، والتعصب للعادات الاجتماعية المبنية على المفاهيم الخاطئة، والبنية الأبوية للمجتمع الأردني. (خليل، ٢٠٠٩، ص ١٥)

- تجميع مصالح:

شهدت العلاقة بين الحكومة ومنظمات المجتمع المدني تجاذبات متتالية لعدة أسباب منها، إما لمطالبتها بتحسين أوضاع منتسبيها ورفع مستوى معيشتهم عبر القيام بإضرابات في قطاعات عملهم مما يؤدي إلى شل العمل بها وإثارة سخط الشعب وانقسامه بين مؤيد ومعارض للحكومة، وإما بسبب سن الحكومة قوانين تؤثر على مصالح ومكتسبات أعضاء ومنتسبي النقابات والغرف التجارية.

ومن أبرز الأزمات التي أظهرت قدرة منظمات المجتمع المدني على توجيه وتنظيم الرأي العام وحشد الجماهير، الاحتجاجات التي شهدتها الأردن لمدة أربعة أيام متتالية على قانون ضريبة الدخل الذي قدمته حكومة هاني الملقى للبرلمان في العام ٢٠١٨ م، وكان رئيس الوزراء الأسبق قد رفض سحب مشروع القانون الذي تقدمت به حكومته للبرلمان، قائلاً إن الأمر يعود للبرلمان إما بالموافقة على المشروع أو رفضه وهو التصريح الذي أوجج المظاهرات المعارضة وأدى لتوسعها، ولقد جاءت السياسات الحكومية بناء على توجهات صندوق النقد الدولي، في

ظل معاناة الأردنيين من تراجع في مستوى المعيشة وسط زيادة الأسعار بشكل كبير خلال الأعوام الأخيرة، مما دفع الملقي بتقديم استقالته أمام الإصرار الشعبي. (bbc، ٢٠١٨). وإقرار مجلس الوزراء الزيادات الخاصة بالعلاوات الفنية لموظفي القطاع العام في مطلع عام ٢٠٢٠م، وقد جاءت الزيادة بالاتفاق مع مجلس النقابات الذي يضم (نقابة الأطباء، نقابة أطباء الأسنان، نقابة الأطباء البيطريين، نقابة الجيولوجيين، نقابة الصحفيين، نقابة الصيادلة، نقابة المحامين، نقابة مقاولي الإنشاءات، نقابة الممرضين والممرضات والقابلات القانونيات، نقابة المهندسين، نقابة المهندسين الزراعيين، نقابة الفنانين، نقابة المعلمين (صحيفة الرأي، ٢٠٢٠). فضلا عن إضرابات عديدة نفذتها نقابات الأطباء والمعلمين والمهندسين، تراجعت فيها الحكومة أمام المطالب النقابية وأقرت مطالبهم، والجدير بالذكر أن هذه المطالب هي مطالب معيشية وفنية بحتة.

- دور رقابي: لمنظمات المجتمع المدني دور هام في تعزيز الشفافية وتحسين مؤشر الديمقراطية والمدنية والتأثير على السياسات العامة، إلا أن المناخ الديمقراطي في الأردن لم يسمح لمنظمات المجتمع المدني بالعمل بالطرق المثلى، وتبقى هناك محاولات ناشئة في هذا السياق، لعل أهمها اعتراض النقابات المهنية على إيقاف العلاوة لعام ٢٠٢٠م بموجب أمر الدفاع الذي أصدرته الحكومة الأردنية بسبب جائحة كورونا، ومن أبرز النقابات التي اعترضت على القرار الحكومي نقابتا المعلمين والأطباء.

❖ مما أسفر عن أزمة بين الحكومة ونقابة الأطباء، حيث قام وزير الصحة بالتنسيق لمجلس الوزراء بحل مجلس نقابة الأطباء في حزيران من العام ٢٠٢٠م بعد استقالة أعضاء المجلس التي جاءت احتجاجا على قرار وزير الصحة، بحرمان الأطباء من علاواتهم وعدم احترام تضحياتهم، وقد وافق مجلس الوزراء، على حل مجلس نقابة الأطباء وتعيين لجنة لممارسة صلاحياته ومهامه برئاسة وزير الصحة، مستندا إلى المادة ٧٥ في قانون نقابة الأطباء التي تنص على أنه "يجوز لمجلس الوزراء بتنسيب من الوزير حل مجلس النقابة لمقتضيات الأمن والسلامة العامة وتعيين لجنة مؤلفة من سبعة أشخاص على الأقل من ذوي الاختصاص ما أمكن برئاسة الوزير تمارس كافة صلاحيات أو مهام مجلس النقابة ويكون قرار مجلس الوزراء قطعيا غير قابل للطعن." وهو ما يعد سابقة تاريخية في العلاقة بين الحكومة ونقابة الأطباء، وشدد عضو مجلس النقابة السابق مظفر الجلامدة، على أن هذه المادة لم يتم استخدامها

إبان الأحكام العرفية في المملكة معتبرا "أن وزير الصحة أساء استخدام سلطاته بالتنسيب لرئاسة الوزراء بالاستناد لنص تلك المادة." ولم ينسب بحله وفقا للمادة 33 فقرة (هـ) من قانون النقابة، الذي يشير إلى "إذا استقال نصف أعضاء المجلس دفعة واحدة، أو إذا شغرت مراكز نصف الأعضاء ولم يكن هنالك من يخلفهم، على النقيب أن يدعو لاجتماع استثنائي يتم فيه انتخاب مجلس جديد." وأوضح نقيب الأطباء السابق علي العبوس الذي رفع قضية على وزير الصحة أن الاستقالة بسبب تراجع الوزارة عن اتفاقات موقعة مجلس النقابة ووزارة الصحة، وإنقاص قيمة الحوافز والتراجع عن النظام الجديد، من صرف بدل اقتناء ونقاط إضافية للأطباء العامين وغيرها، إضافة إلى محاربة دور نقابة الأطباء من خلال لجنة الطوارئ والإغاثة (مبادرة وطن) التي تم إطلاقها في جائحة كورونا والتي كان لها دور مميز في عدة مجالات حيث تعاملت مع أكثر من ١١٠ ألف مواطن أردني (الكيالي، ٢٠٢٠).

❖ أزمة أخرى تفجرت بين نقابة المعلمين والحكومة بسبب إيقاف العلاوة للعام ٢٠٢٠م، والجدير بالذكر أن نقابة المعلمين من أكثر النقابات تنظيما وتأثيرا، لزيادة عدد منتسبيها عن مئة ألف معلم، وتأثيرهم على ما يقارب مليون تلميذ وعائلاتهم، فقد كان للنقابة نهج مخالف عن نقابة الأطباء في الاحتجاج، أخذت به زمام المبادرة محاولة لعب دور رقابي مباشر على الحكومة يهدف إلى إحداث تغيير في سياستها لاسترداد العلاوة، من أبرز بنود خطتها ما يلي:- (موقع نقابة المعلمين، ٢٠٢٠).

خطوات الاحتجاج:

- مخاطبة الديوان الملكي.
- الحوار مع الحكومة.
- مخاطبات لرئاسة الوزراء ووزير التربية والتعليم بخصوص العلاوة وتنفيذ بنود الاتفاقية ورفض المواد التي أدخلت على نظام الرتب والتي لم يتم التوافق عليها مع النقابة.

- التواصل مع النقابيين واللجان الشعبية والنيابية والشخصيات السياسية والوطنية والعشائرية التي زارت النقابة خلال فترة الإضراب الماضي في العام ٢٠١٩م وإطلاعها على آخر المستجدات بما يخص العلاوة والاتفاقية.
- إطلاق حملات إعلامية من الهيئة العامة بأيام محددة وأوقات محددة ضمن وسم إلكتروني متفق عليه.
- تصميم بوسترات ومنشورات ليتم نشرها توضح مطالب النقابة بالعلوة وتنفيذ الاتفاقية.
- المؤتمرات الصحفية لمجلس النقابة مع صحفيين ووسائل الإعلام لتوضيح ما حدث.
- مراحل التنسيق والحوار:
- التنسيق مع النقابات المهنية المختلفة (مجلس النقباء) والتي تضرر منتسبوها.
- تحالف الطبقة المسحوقة.
- المطالبة بوقف العمل بقانون الدفاع.
- إجراء إحصائيات ومقارنات للانعكاسات السلبية لإجراءات الحكومة المالية والاقتصادية على المعلمين.
- دراسة المشاركة / المقاطعة للانتخابات النيابية القادمة.
- حملة من أين لك هذا.
- الملاذات الآمنة.
- إجراء دراسة اقتصادية لتكلفة جائحة كورونا على الاقتصاد والموازنة العامة.
- التنسيق مع القطاعات الحكومية التي شملها وقف العلاوة أو وقف الامتيازات.
- التنسيق مع من تضرر من القطاع الخاص.
- تفعيل المعلمين الناشطين للدعم والمساندة.
- الجانب القانوني : رفع شكوى ضد الحكومة بخصوص العلاوة.
- توحيد الخطاب الإعلامي.
- يتضح من الخطة أن هناك نهجا شموليا تتبناه النقابة في مواجهة القرار الحكومي، يعمق من تأثيرها، ويزيد من قوتها بتحالفها مع كافة فئات المجتمع.

والجدير بالذكر أن الحكومة تتهمة النقابات المهنية ومعظم منظمات المجتمع المدني بلعب دور مزدوج وتتهمها بالتسييس، وأنها أداة للأحزاب الإسلامية والقومية التي تسيطر عليها، وتستخدمها لمواجهة القرارات الحكومية، لقدرة النقابات على حشد وتوجيه الرأي العام بصورة أفضل من الأحزاب.

على الرغم مما تبذله منظمات المجتمع المدني من جهود إلا أن هناك تحديات تواجهها، ولا تقتصر التحديات التي تواجه منظمات المجتمع المدني في الأردن، على تقنين الحكومة لمساحة عمل وحرية المنظمات داخل المجتمع شأنها شأن سائر معظم منظمات المجتمع المدني في العالم، بل هناك أيضا تحديات داخلية يجب تجاوزها، فهي الطريقة المثلى لمواجهة تغول الحكومة وتحقيق التأثير الفعال في الحياة العامة للمجتمع، من أبرز التحديات الداخلية: (وكالة الإنماء الأمريكية، ٢٠١٣، ص ٨٣).

- تحقيق التضامن والتماسك والتنسيق بين منظمات المجتمع المدني المختلفة.
- التخطيط الإستراتيجي.
- القدرة على التنظيم والتعبئة.
- قوة البناء المؤسسي وكفاءة الكوادر البشرية.
- دقة عملية اتخاذ القرارات كآلية الانتخاب وتداول السلطة والمراقبة والمساءلة والشفافية داخل المنظمات نفسها.
- تحقيق العلاقة التواصلية مع قواعدها ومراجعتها الجماهيرية، وإشراكها في اتخاذ القرار، مما يقوي شرعيتها على الأرض.
- الاستقلالية والقدرة على التمويل والاستمرارية، وقدرتها على اتخاذ القرار في ظل ضغوط السلطة السياسية وسلطة التمويل.

الخاتمة

نخلص إلى القول بأن منظمات المجتمع المدني في الأردن كما هو الحال في معظم الدول العربية والدول النامية ما زالت تعيش حالة من عدم النضوج والاستقرار، وفي بعض الأحيان تعاني من فقدان الرؤية المستقبلية والقدرة على مواجهة التحديات لأنها تواجه مجموعة من المشكلات البنوية في داخلها تتمثل أحيانا في قلة الموارد وغياب احترام الديمقراطية وعدم القدرة على التخطيط للمستقبل هذا بالإضافة إلى ما تعانيه من ضعف وعدم قدرة على التأثير في الرأي العام والحياة العامة بسبب غياب وضعف الحاكمية الرشيدة وغياب

الشفافية وانتشار الفساد، بالإضافة إلى عدم وجود تشريعات واضحة المعالم تنظم العلاقة بين هذه المنظمات من جهة والحكومات والنظام السياسي من جهة أخرى، حيث ما زالت العلاقات بين هذه الأطراف تتسم بالشك والريبة، وعدم الثقة والمغالبة بين الطرفين وأحيانا تغول السلطة التنفيذية على هذه المنظمات.

إن غياب المعايير الواضحة والأسس السليمة والتشريعات التي تنظم العلاقة وترسم المعالم بين منظمات المجتمع المدني والحكومات من جهة أخرى تؤدي في كثير من الأحيان إلى هدر طاقات الطرفين، وعدم القدرة على التوافق والتعايش بشكل سلمي يؤدي إلى خدمة المصلحة الوطنية والمصلحة العامة واحترام الرأي العام للمجتمع، وتحرم المجتمع من الاستفادة من الإيجابيات التي ممكن أن تقدمها منظمات المجتمع المدني.

وتعاني منظمات المجتمع المدني من عدم القدرة على تحقيق أهدافها والاضطلاع بدورها في خدمة الشأن العام والجماهير وحتى من ينتسبون إليها بالعضوية بسبب تأثرها بالقيم الأجنبية المصاحبة للدعم المالي أحيانا والابتعاد عن قيم المجتمع والمصلحة العامة أحيانا أخرى، وتكمن المشكلة الكبرى في عدم تفهم الحكومات الحقيقي لمفهوم ودور منظمات المجتمع المدني وعدم القدرة على استيعابها واستيعاب نشاطاتها وأهدافها وأدوارها بسبب غياب الحوار وضعف سيادة القانون واهتزاز احترام حقوق الإنسان وحياته العامة وضعف احترام مفهوم الرأي والرأي الآخر واستيعاب وجهات النظر الأخرى من منطلق أن الحكومة تعتبر نفسها هي صاحبة الوصاية والولاية في عملية الحل والربط، ولا يجب أن يناقشها أحد في هذا المجال، إن اعتقاد الحكومات المختلفة أنها هي التي تحتكر الحقيقة وتملك حق التفرد بإدارة جميع شؤون الدولة، وعدم إفساح المجال للمؤسسات الوطنية المختلفة المشاركة والمساهمة في صنع السياسات العامة وخدمة المجتمع والعمل على تقدمه وازدهاره.

وفي ضوء المعطيات السابقة يبدو أن الطريق ما زالت طويلة ومحفوفة بالمخاطر أمام ترسيخ مفهوم منظمات المجتمع المدني وطبيعة أدوارها ونشاطاتها باعتبارها تمثل وجهات نظر مختلفة وتحمل في جعبتها أفكارا تعبر في كثير من الأحيان عن اتجاهات مختلفة ولا يمكن وضعها في سلة واحدة أو الحكم عليها من منظور واحد ولعل تجسير الفجوة والهوة بين منظمات المجتمع المدني والحكومات والنظام السياسي من جهة أخرى تحتاج إلى بيئة تتسم بالانفتاح التفاهم والوضوح والشفافية في التعامل بين الطرفين، ووضع أسس تتسم بالموضوعية تحكم العلاقة بينهما استنادا إلى الإطار الدستوري والقانوني الذي وضعه

الدستور الأردني منذ بداية خمسينيات القرن الماضي مع احترام الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والتشريعات الدولية النازمة لهذه العلاقات وبدون ذلك ستبقى الضبابية والارتباك وربما في بعض الأحيان الافتئات الذي يمارسه طرف على الآخر هي التي تحكم هذه العلاقات، وأخيرا فإن النهوض بالمجتمع بكافة شرائحه وفئاته المختلفة يقتضي تغليب المصلحة الوطنية العامة على المصالح الفئوية والفردية ويؤسس لعلاقات متوازنة تحفظ حقوق كافة الأطراف وتخلق بيئة دافعة للعمل الذي يؤدي إلى رفعة كافة مؤسسات الدولة ومنظمات المجتمع المدني بخاصة ويؤدي إلى احترام الرأي العام للمجتمع واستيعاب جميع الأطراف لبعضها البعض.

المراجع:

1-David Easton, An Approach to the Analysis of Political Systems, World Politics, Vo.9, No.3, Apr 1957, pp.383-400, At:

http://online.sfsu.edu/sguo/Renmin/June2_system/Political%20System_Easton.pdf

٢-محمد جمال الدين العلوي، منهج البحث العلمي في علم السياسة، (بغداد: جامعة بغداد)، ٢٠١٢، ص ١٢

٣-موقع البنك الدولي، متاح: <http://www.worldbank.org/ngo>

٤-تامر نادي، ماهية النظام السياسي وخصائصه- نظرية السلطة، ملتقى الباحثين السياسيين العرب، ٢٠١٩، في:

<http://arabprf.com/?p=298>

٥-وصال العزاوي، السياسة العامة دراسة نظرية في حقل معرفي جديد، مركز الدراسات الدولية- جامعة بغداد، ٢٠٠١،

٦-فهي خليفة الفهداوي، السياسة العامة منظور كلي في البنية والتحليل، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، ٢٠٠١.

٧-عبانة، رائد إسماعيل والعقيل، محمد علي (٢٠٠٦)، تمويل الجمعيات الخيرية في الأردن: دراسة ميدانية لآراء العاملين فيها، المجلة الأردنية في إدارة الأعمال، الجامعة الأردنية، المجلد ٢، العدد ٤، ص ٥٣٠-٥٥٦، عمان، الأردن.

٨-هاني الحوراني وآخرون (٢٠١٠). التقرير الوطني عن مؤشرات المجتمع المدني، مركز الأردن الجديد للدراسات.

٩-هاني الحوراني وحسين أبو رمان (٢٠٠٤) تطور المجتمع المدني في الأردن وواقعة الراهن، عمان، دار سندباد للنشر، الجزء الأول.

١٠-وثيقة الأردن أولاً: ٢٠٠٢.

١١-أحمد إبراهيم الملاوي (٢٠٠٨) أهمية منظمات المجتمع المدني في التنمية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية المجلد ٢٤ - العدد الثاني.

١٢-صلاح العبادي، (٢٠٠٨) المشهد السياسي للصحافة الأردنية اليومية خلال الفترة بين ١٩٨٩-٢٠٠٥م، عمان، مركز الرأي للدراسات.

13-Douglas-Bowles D (2012) NGas missioneris of Emper fonegh policy journal,marsh 10, www

14-Todaro, M.P and Smith, S. (2009), ECONOMIC Development, 12th edition, uk: Addison-wesky.

15-Smith.B.H.(1993), NON-Govermentel organisations in international development: trends and future research priorities, Valunters 4(3).

١٦-أسامة عيسى السليم (٢٠١٣) أثر مؤسسات المجتمع المدني على تعزيز الدستور في إطار عملية التحول نحو الديمقراطية في الأردن (١٩٨٩-٢٠١٣) مجلة المنار، المجلد ١٩، العدد ٤، ص ٢٥٤.

١٧- دليل منظمات المجتمع المدني في الأردن

- ١٨- ندوة المجتمع المدني العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية، بحوث ومناقشات الندوة التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت في أيلول ١٩٩٢.
- ١٩- رياض علي العيلة (٢٠٠٦) علاقة النظم السياسية في السلطة الوطنية الفلسطينية والأردن بالمجتمع المدني، مجلة جامعة الأقصى، (1) 10، ص ١٢٨.
- ٢٠- زياد المدني (٢٠٠٨) التربية الوطنية، ط ١، عمان، دار المكتبة الوطنية.
- ٢١- عامر عياش عيد وجاسم أديب (٢٠١٠) دور مؤسسات المجتمع المدني في مجال حقوق الإنسان، مجلة جامعة الكويت للعلوم القانونية والسياسية.
- ٢٢- محمد السيد سعيد (١٩٩٩) نقص الوعي التطوعي والموارد المالية أهم العراقيل: المجتمع المدني العربي وتحديات المستقبل، جريدة البيان الإماراتية، ٤ آذار.
- ٢٣- محمد أحمد المقداد (٢٠١٢) تقييم فاعلية أداء النقابات في الأردن، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد ٥، العدد ٣.
- ٢٤- كريم البيار، "قوانين منظمات المجتمع المدني في دول عربية مختارة"، International Journal of Not-for-Profit Law، مجلد ٧، رقم ٤، سبتمبر/أيلول ٢٠٠٥.
- ٢٥- كريستوف ويلكه، إقصاء المنتقدين القوانين المقيدة المستخدمة لقمع المجتمع المدني في الأردن، تقرير منظمة هيومن رايتس ووتش، المجلد ١٩، رقم E١٠، ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٧.
- ٢٦- الجريدة الرسمية في: <http://www.pm.gov.jo/newspaper>
- ٢٧- بيان هيومن رايتس ووتش على التعديلات المقترحة على قانون الجمعيات ٢٠٠٨ في الأردن، ٧ اب/أغسطس ٢٠١٦، في: <https://www.hrw.org/ar/news/2016/08/07/292808>
- ٢٨- الأردن: مشروع قانون للنقابات المهنية يفرض قيوداً على حرية المجتمع المدني في التعبير، هيومن رايتس ووتش، ٥ أبريل/نيسان، في: <https://www.hrw.org/ar/news/2005/04/05/228762>
- ٢٩- نجاة شناعة، استمرار القيود المخالفة للدستور في تأسيس النقابات والأحزاب والجمعيات، صحيفة السبيل، ٢١/١٠/٢٠١٦.
- ٣٠- موقع الاتحاد العام للجمعيات الخيرية، في: <https://www.guvs.org.jo/ar/%D9%90About-us#block-views-about-us-block>
- ٣١- تحويل ملف التجاوزات المالية والإدارية لاتحاد الجمعيات الخيرية ورئيسه للنائب العام، صحيفة الدستور، ٢٣/٧/٢٠٠٧.
- ٣٢- أيمن عبد الحفيظ، في حوار مع رئيس الهيئة الإدارية المؤقتة لإدارة شؤون الاتحاد العام للجمعيات الخيرية مشاقبة: إعادة هيكلة «مديرية اليانصيب الخيري» لضمان الشفافية وحسن الأداء، صحيفة الدستور، ٢٥/٧/٢٠٠٧ م.

٣٣- موقع جمعية المركز الإسلامي، فلي: <https://www.nahno.org/ngo/ICCS-%D8%AC%D9%85%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D9%83%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%8A%D8%B1%D9%8A%D8%A9-69354>

٣٤- حلبي الأسمر، جمرة جمعية المركز: بين ويكليكس ونسرين، صحيفة الدستور الأردنية، ٢٠١٢/١/٥.
٣٥- الحكومة تعيد جمعية المركز إلى (الحركة الإسلامية)، ولجنة مؤقتة للإدارة بقيادة عربيات، صحيفة العرب اليوم، ٢٠١١/١٢/٢٧.

٣٦- محمد جمال مظلوم، دور مؤسسات المجتمع المدني في الدول العربية، كلية التدريب، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، في الحلقة العلمية (دور مؤسسات المجتمع المدني ودورها في التوعية المرورية) ٢٠١٣.
٣٧- وكالة الإنماء الأمريكية، المجتمع المدني في العالم العربي (التطور، الإطار القانوني، والأدوار) ٢٠١٣.
٣٨- فايز عضيبات، العدوان: الجمعيات الخيرية خارج مظلة الاتحاد لن تستفيد من المساعدات، صحيفة الرأي، ٢٠١٧/١١/٩.

٣٩- موقع جمعية المركز الإسلامي الخيرية، مؤسسات الجمعية، ٢٠١٧/٨/١٦، متاح في:
http://www.islamicc.org/User_Site/Site/%D9%85%D8%A4%D8%B3%D8%B3%D8%A7%D8%A%20%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%85%D8%B9%D9%8A%D8%A9.html

٤٠- وزيرة التنمية: الاتحاد العام للجمعيات الخيرية هو الذراع الأيمن للوزارة، صحيفة الدستور، ٢٠١٨/١٠/٤.

٤١- استقالة هاني الملقى وتكليف عمر الرزاز بتشكيل حكومة جديدة في الأردن، bbc، في:
<https://www.bbc.com/arabic/middleeast-44358008>

٤٢- مجلس الوزراء يقرّ الزيادات الخاصة بالعلاوات الفنية لموظفي القطاع العام، صحيفة الرأي، ٢٠٢٠/١/٦.
٤٣- محمد الكيالي، أزمة "الأطباء" ووزارة الصحة تتعمق بعد حل مجلس النقابة، صحيفة الغد، ٢٠٢٠/٦/٢٧.
٤٤- النقابة تعمم على فروعها خطة استعادة العالوة، ٢٠٢٠/٦/١٣ م، في:

<https://www.jts.org.jo/%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%82%D8%A7%D8%A8%D8%A9-%D8%AA%D8%B9%D9%85%D9%85-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D9%81%D8%B1%D9%88%D8%B9%D9%87%D8%A7-%D8%AE%D8%B7%D8%A9-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B9%D8%A7%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%88%D8%A9>

٤٥- جواهر رفايعه، جرائم الشرف تنخفض إلى النصف في الأردن، 1/12/2018، متاح في:

<https://middle-east-online.com/%D8%AC%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%81-%D8%AA%D9%86%D8%AE%D9%81%D8%B6-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B5%D9%81-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B1%D8%AF%D9%86>

٤٦- منى مؤتمن خليل، التقرير الوطني للملكة الأردنية الهاشمية بيجين + ١٥، اللجنة الوطنية الأردنية لشؤون المرأة، أيار ٢٠٠٩.

٤٧- محمد سليمان الدجاني ومنذر سليمان الدجاني، النظام السياسي الاردني: أركانه ومقوماته، عمان، بالميتوتراس، ١٩٩٣.

٤٨- الأردن: ٢٠ جريمة قتل ضحاياها نساء خلال ٢٠١٩، العربي الجديد، ٢٧/١٠/٢٠١٩، متاح في:

<https://www.alaraby.co.uk/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B1%D8%AF%D9%86-20-%D8%AC%D8%B1%D9%8A%D9%85%D8%A9-%D9%82%D8%AA%D9%84-%D8%B6%D8%AD%D8%A7%D9%8A%D8%A7%D9%87%D8%A7-%D9%86%D8%B3%D8%A7%D8%A1-%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%84-2019>

٤٩- نيفين عبد الهادي، إلغاء شرط إقامة الأم ٥ سنوات للاستفادة من تسهيلات أبناء الأردنيات، صحيفة الدستور، ١١/٩/٢٠١٨.

50-Michael Bernhard; Henryk Szlajfer (1995). From the Polish Underground: Selections from "Krytyka", 1978—93. Penn State Press. pp. p. 405.

إنشائية اللون في ديوان "سقط الزند" لأبي العلاء المعري أنموذجا
د.محمد محمود العمرو**

تاريخ الوصول: ٢٠٢١/٣/١٠ م تاريخ القبول: ٢٠٢١/٥/٦ م

ملخص

ارتبط اللون ارتباطاً وثيقاً بالنفس الإنسانية، ولاسيما أنّ هذه الألوان، وحسب رأي علماء النفس والدراسات النفسية لها دلالات خاصة مرتبطة بالأبعاد النفسية للشخص الذي اختارها سواء أكان من الوعي أم من اللاوعي، لذلك استفاد الباحث من دراسات علم النفس المتعلقة باللون والآثار النفسية المترتبة على اختياره.

إنّ أبا العلاء قد أظهر براعة كبيرة في استخدام الألوان وتوظيفها توظيفاً لم يسبق إليه من قبل، كما أنّ استخدامه للألوان كان متفقاً مع نظريته التشاؤمية.

الكلمات المفتاحية: أبو العلاء، اللون، علماء النفس، التشاؤم، الدلالة

*أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة العلوم الإسلامية.

Color and its connotations in poetry

"The Fall of the Ulna by Abu Ala Al-Maari as a model"

Abstract

Color is closely related to the soul, especially since these colors - according to psychologists and psychological studies - have special connotations related to the psychological dimensions of the person who chose them, whether from consciousness or from the subconscious, so the research benefited from psychology studies related to color and the psychological effects of choosing it, and came out the result that says: Abu Al-Alaa has shown great ingenuity in using colors and employing them in an unprecedented manner, and his use of color was consistent with his pessimistic view.

Key words: Abu Ala, color, psychologists, pessimism, indication

المقدمة:

مال أبو العلاء المعري للكآبة والتشاؤم في نظرتة للحياة، فانعكست هذه النظرة على معانيه وخياله الذي صاغ صوره الشعرية بألوانها المستوحاة من نفسه وفلسفتها في الحياة، فبات شعره قطعة من نفسه، فهو لا يستخدم عبارة إلا ولها بعد فلسفي تتحدث عن ميوله، وحيثيات نفسه، حتى أنّ مؤلفاته عامة أخذت أبعاداً فلسفية تنبئ بطبيعة تفكيره وفلسفته في الحياة.

تناول البحث اللون في ديوان "سقط الزند" عند أبي العلاء، وفيه حرص الباحث أن يبين الأبعاد الفلسفية والدلالية لهذه الألوان المستخدمة في هذا الديوان، ولا سيما أن استخدام الألوان مع فقد البصر كان يشكل استهجناً، فكيف يستخدم شخص أعى هذه الألوان بهذا الشكل وبهذه الغزارة مع فقد البصر؟

لقد هدفت الدراسة إلى بيان الأحداث التي شكلت نفسية المعري وأثرت في توظيفه للألوان في شعره.

أسئلة الدراسة: لماذا استخدم أبو العلاء هذه الألوان وهو أعى لا يرى؟ وما هي دلالات هذه الألوان؟ وهل كان لها دلالات خاصة تتفق مع نفس المعري السوداوية؟

أهداف الدراسة: تسعى الدراسة للكشف عن سر استخدام أبي العلاء المعري لهذه الألوان الستة، وعلاقتها بنظرتة للحياة.

منهجية الدراسة: استفاد الباحث في دراسته من علم النفس لبيان مدى تأثير هذه الألوان وربطها بنفسيته ومدى سيطرتها على تكثيف لون دون آخر، وطريقة إخراجها لبعض الألوان عن دلالاتها المعهودة بما يتوافق مع شخصيته وفكره وحالته النفسية.

التمهيد:

لقد كان اللون منذ القدم معيناً للشاعر على إيصال معانيه وما تحمل نفسه من دلالات للمتلقى، فشقّ من اللون ألواناً، تتفق مع ما يريد إيصاله للقارئ من معان. وقد تناول بعض الدارسين العرب القدماء هذا الباب وفق ما ورد على ألسنة العرب من تصنيفات وتعريفات كثيرة للون الواحد، ولا سيما الأبيض والأسود والأحمر، فهذا ابن الأثير يقول في الأبيض: أبيض، ثم يقق، ثم لهق، ثم ناصع، ثم هجان خالص. وفي الأسود يقول: أسود، وأسحم، ثم جون، ثم هالك، وحانك، ثم حلكوك، وسحكوك، ثم خداري، ودجوي، وغرايب، وغدافي^(١)، وإلى غير ذلك من الألوان وتقلباتها وامتزاجاتها المختلفة.

وقد تناول الألوان واشتقاقاتها ابن سيدة في المخصص بالقول إنَّ الأسود، والأبيض، والأحمر هم أساس الألوان، ولهذه الألوان الثلاثة في اللسان العربية أسماء مستعملة قريبة، وأخرى بالإضافة إليها وحشية غريبة، ألا ترى أنَّ قولنا: أبيض، وأحمر وأسود من اللفظ المشهور وقد تداولته ألسنة الناس، وقولنا في الأبيض: ناصع، وفي الأحمر: قدّ، وفي الأسود: غريب ومن الأفراد^(٢)، وقد استعان الشعراء بجميع هذه الألوان من العصر الجاهلي، فهذا صاحب الأغاني ينقل خبراً عن عمرو بن كلثوم يستخدم فيه اللون الأحمر ليدل على التشاؤم، وذلك في خصومة قوم الحارث بن حلزة اليشكري مع بني تغلب، إذ يقول عمرو: أرى والله الأمر سينصلي عن أحمر، أصلح، أصم، من يشكر^(٣).

أما الأبيض والأسود، وهما من الألوان الرئيسة عند العرب حسب رأي ابن سيدة، فقد تناولهما الشعراء العرب، وذلك لما لهما من دلالة رمزية ونفسية، فالأسود مثلاً استعمل ليشير إلى دالتين متناقضتين، فهو إما أن يشير إلى العزة، كما جاء في رأي أبي عمرو بن العلاء عندما قال: والله ما اعتذر النابغة للنعمان خوفاً، وإنما رغبة في عصافيره^(٤)، والعصافير هي النوق السود ذات القيمة العالية، وهي من أملاك الملك النعمان.

وقد استخدم عنترة اللون الأسود للدلالة على العزة والسّيادة والقوة، وذلك أثناء وصفه لديار عبلة بالقول:^(٥)

فها اثنتان وأربعون حلوبة

سوداً كخافية الغراب الأسحم

إنَّ استخدام عنترة للون الأسود في بيته ذو دالتين متناقضتين، فحينما نعت النوق الحلوبة بأنها سود، فهي إشارة منه إلى أنها ثمينة، وعندما ربطها بالرحيل جعل فعلها على قلبه كفعل الغراب الأسحم، والغراب بالثقافة العربية مربوط بالشؤم والاضطراب والكآبة.

أما أبو العلاء المعري هذا الشاعر الفيلسوف المتشائم وصاحب النظرة السوداوية، الذي خلق بصيراً ثم أصيب بالعمى، فقد عرف الألوان، وعرف الأشياء وتفصيلاتها الدقيقة، وبعد ذلك أصبح اللون الأسود هو المسيطر، فلم يعد يرى الألوان والأشياء والتفاصيل، فحلت نفس متشائمة مكان هذه النفس الطفولية البريئة حتى أنه قال:^(٦)

هذا ما جناه أبي عليّ

وما جنيت على أحد

لقد عاش حياته وهو ظان أن أباه قد جنى عليه جنابة كبرى، كيف لا وهو سبب وجوده في الحياة؟ لذلك مات أبو العلاء ولم يتزوج كي لا ينجب، بل وكتب هذا البيت السابق على شاهد قبره على اعتبار أن الابن إن ولد فيه إعاقة كان ذلك خطأ أبيه، وجريرة جرّها على ابنه، لذلك مات أبو العلاء أعزب.

حاول المعري بسفره إلى بغداد أن يعيد تأهيل نفسه، ولأسيما بعد أن تشبع بالعلم والفلسفة في حلب وأنطاكية، فما جلس في بغداد إلا عامين، إذ به يقرر العودة إلى المعرّة واعتزال الناس جميعاً، فما الذي لقيه في بغداد ولم يلقه من قبل في موطنه، فحدا به إلى الاعتزال والتوحد؟ هذا ما ظل مجهولاً إلا من قول بعض من كتبوا فيه أنه غادرها بسبب الخلافات الدينية والفلسفية بينه وبين علمائها، وبسبب نعت أحدهم له بالضير^(٧)، وعلى الرغم مما ذكر فإن حنين أبي العلاء لبغداد ودجلة والفرات ملازم لأشعاره^(٨).

لقد شكلت الأحداث التي عاشها المعري شخصيته ونفسيته، وانعكست آثارها على اختياراته للألوان التي مثلت بشكل أو بآخر أبعاداً نفسية معينة نابعة من شخصية ذات أبعاد فكرية وعلمية، لونت حياة طفل كان يرى ثم صار غلاماً فشاباً أعمى حساساً، وحساسيته ناتجة عن نفس لا تحتمل العى، والعى اثنان، الأول مادي يعيشه من خلال فقدته لبصره، والآخر اجتماعي ممثل بالمجتمع ونظرتيه إلى من يعاني من فقد حاسة من الحواس.

ومن خلال إحصاء الألوان التي ذكرها أبو العلاء المعري في ديوانه "سقط الزند" فوجدتها ستة ألوان ذكرت في ستين قصيدة، وكانت على النحو الآتي:

١- اللون الأسود وقد ذكر ٤٩ مرة.

٢- اللون الأبيض وقد ذكر ٤١ مرة.

٣- اللون الأحمر وقد ذكر ١٤ مرة.

٤- اللون الأخضر وقد ذكر ١١ مرة.

٥- اللون الأزرق وقد ذكر ١٠ مرات.

٦- اللون الأصفر وقد ذكر مرة واحدة.

وقد كشفت طرق تكثيف الألوان واختزالها وأساليب استعمالها عن الكثير من خفايا نفس أبي العلاء، فأعطت للقارئ فضاءً أرحب في فهم النص وتحليله تبعاً لما وراثيات شخصية المعري إلى جانب المقصد العام للقصيدة التي وردت فيها تلك الألوان.

يمثل اللون الأسود الصدارة في اختيارات أبي العلاء المعري، إنه اللون الذي كان ممثلاً للعزّة والسيادة والتشاؤم عند عنتره، خاصة والجاهليين عامة، فكيف كانت دلالاته عند المعري؟ الذي استخدم اللون الأسود استخداماً كبيراً، إذ احتل هذا اللون نسبة كبيرة بين الألوان التي ذكرها في ديوان "سقط الزند" ثم تلاها في الكثرة اللون الأبيض الذي يعتبر نقيضاً للون للأسود، وهذا يدل على أن الشخصية هي ميدان لصراع كثير من القوى والدوافع، وهي ميدان يصطرح بدوره مع ميدان البيئة الاجتماعية والثقافية والحضارية^(٩)، وهذا الصراع واقعي مع طبيعة أبي العلاء النفسية المتشائمة والمجتمع العباسي وبيئاته الحضارية والثقافية.

إن الألوان قد لعبت دوراً في إطلاق العنان للنفس لتتحدث عن ذكرياتها، وأفكارها، دون إحساس بريقب يرصد سلوكياتها وحركاتها، لا بل يذكر كل ما يخطر بباله دون إهمال العقل^(١٠)، ومعنى هذا الكلام أنّ اللون قد دخل باب الرمز الذي لا يستطيع جميع البشر أن يفهم المقصود الذي أراده الشاعر، ولهذا يستغل الأديب هذه الرموز كوسيلة من وسائل تفريغ ما يدور في النفس من مكنوناته تتحول إلى انفعالات نبحت باستمرار عن مخارج بديلة لها إلا أن الطاقات النفسية الإنسانية تشكل مقاومة تحول دون ظهورها في الشعور^(١١)، لذلك مثل اللون (الرمز) مخرجاً للتفريغ.

(١) شاعرية اللون الأسود:

يعتبر اللون الأسود من أكثر الألوان استخداماً عند المعري، وهذا ليس بغريب، فاللون الأسود لون سوداوية النفس المتشائمة، الملحة على إظهار الألم والوجع النابع من النفس المتأذية من بيئة قد لا يرى فيها تفهماً لفكره وثقافته، إنه المجتمع الذي يعيش فيه، لذلك عمد إلى هذا اللون ليحمّله أوجاع ذاته وهمومها بطريقة الرمز، لذلك نجد أبا العلاء يستخدم تكثيف الرمز الأسود بدرجات مختلفة، ليعبر عن درجة اكتئابه وكآبته، فكان استخدامه لدرجات الأسود على هذا النحو: فهو في مرة يسميه الأقتم، وتارة الأسحمر والهم والجون، والحماء، والأسود.

يلاحظ على استعمال أبي العلاء للون الأسود- بهذا اللفظ في الحالات التي ترتبط بالأمور الحسية، كارتباطه بالإنسان أو فيما يخصه. أو الليل وظلمته، وكلنا يعلم أنّ ظلمة الليل وازدياد سواده ربما يكون سببه الإنسان الذي يثقل على أخيه الإنسان، يقول أبو العلاء^(١٢):

وَصُنْتُ عِيَالَهُمْ إِذْ كُلُّ عَيْنٍ

تَعُدُّ سَوَادَ نَاضِرِهَا عِيَالاً

يمثل هذا البيت طبيعة الصراع الداخلي عند المعري، وهذا الصراع ممثلاً بين تنازعه على اللونين المتناقضين-الأبيض والأسود- فالعربي تواق لابن يراه، وهذه فطرة تتناقض مع المبدأ الذي سار عليه المعري بمبدئه الذي تبناه وهو (ما جنيته على أحد)، لكن الفطرة الإنسانية غلبت عليه، حينما جعل سواد العين الذي هو عنصر الرؤية الحقيقي، وإذا تعطل السواد يصبح الإنسان أعمى لا يرى، ولذلك ذهب المعري يعبر عن توقه للأبناء من خلال محافظته على أبناء غيره بتدريسهم وإزالة الجهل عنهم، وإذا أردنا أن نشير إلى المعنى المتشائم من اللون الأسود فهو يريد أن يقول: وكيفيك أن مادة النظر سوداء، فإذا كان الأسود يحمل دلالة سلبية تشير إلى الكآبة. يكون المعنى أن سبب الاكتئاب في هذه الحياة هم الأبناء، وهذا المعنى يتفق مع نظرة أبي العلاء القائمة على عدم الزواج حتى لا يتسبب بشقاء أحد، أما ربط الهم بطول الليل وازدياد سواده فربما يكون نابعاً من معاناته الناتجة عن ظلم بني البشر، يقول المعري: ^(١٣)

يودّ أنّ ظلام الليل دام له

وزيد فيه سواد القلب والبصر

يؤكد البيت على الصورة القائمة ليل المغدّة من نفس سوداوية وقلب طلي بهذا اللون، وزاده سواداً شعور المعري بالعنى الذي نغم بسببه على الحياة والديه اللذين كانا سبباً لقدمه إلى هذه الدنيا، فالسواد مركب عند المعري، وكأنه متأثر بقول تعالى: ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ [النور: ٤٠] فالظلمة، ظلمتان، ظلمة مادية ممثلة بظلمة الليل، والأخرى: ظلمة نفسية نابعة من ظلمتين؛ الأولى: الإحساس بالظلم الإنساني، والثانية: ظلمة في البصر وما ترك من أثر نفسي واجتماعي على المعري، فكل هذا السواد بات يتراكم ظلمات قائمة على قلب المعري وبصره، فالمعري يشير إلى ديمومة هذا الظلام، فهو ليس مؤقتاً أو زائلاً، بل هو مستقر لديه في نفسه كما في بصره، فالسواد يثير في النفس عدة مشاعر مثل الحزن والاكتئاب والتشاؤم ^(١٤)، وهذا يبدو جلياً عند المعري، فهو يقول مؤكداً على ظلمة الليل التي كسته حلة وخماراً بقوله: ^(١٥)

وأسود لم تعرف له الإنس والدأ

كساني منه حلة وخمارا

إن الالفت في هذا السواد، هو التأكيد على عدم الإنجاب بوصفه جريمة، فالليل الذي جعله المعري إنساناً أسوداً قائماً قد جاد عليه بحلة وخمار، والخمار عند العرب هو النصف وكل ما ستر شيئاً فهو خمار ^(١٦)، لا أب له، في حين أن للمعري أباً كان السبب في قدمه إلى هذه الدنيا، إلا أن هذا الأسود الذي لا أب له، قد أعطى

المعري من سواده ما يحول دون رؤية هذه الدنيا، فكان سبباً في سوداويته وتشاؤمه، ولا سيما أنه ليل سرمدي لا نهاية له.

أما مشتقات الأسود ودرجاته كالأسحم والجون، والدهماء، والأقتم، فتكون عادة مرتبطة بمخلوقات أخرى كالحيوانات أو بالأدوات الحربية، ولعل في هذا كبير حنكة من المعري، إذ ابتغى أن يطلع القارئ على سعة ثقافته اللغوية وعلمه بمترادفات اللغة وحسن استعمالها، فيصرف ذهن القارئ أو السامع عن كونه ضريراً، إلى الانبهار بقدراته اللغوية، ولقد عرفنا المعري مستعرضاً تلك القدرة في تأليف ديوان لزوم ما لا يلزم أو اللزوميات^(١٧)، يقول المعري واصفاً فرساً بأنها دهماء:^(١٨)

صَاغَ النَّهَارُ حَجُولَهُ فَكَانَتْما

قطعت له الظلماء ثوبَ الأدهم

إنَّ الملاحظ على علاقة أبي العلاء المعري مع السواد ومشتقاته نابعة من سواد مادي، إنه الليل بسواده وثقله، فكما أنه أعطى المعري خمراً وجلباباً أسود راح كذلك يرسم من خلاله صورة الحائك الذي راح يحيك بسواده ثوباً أدهم، ليكون لوناً لحصان شديد السواد، فهو يصور الألوان بطريقة تجعلك تفكر في كيفية نقلها، فتشكك أنه مبصر، يقول المعري:^(١٩)

دَهْمَاءٌ رَاكِبَةٌ ثَلَاثَةٌ أَجْبَلِ

عِظْماً وَإِنْ حُسِبَتْ ثَلَاثٌ أَثَافِ

تبدو بصيرة المعري ثاقبة في هذا البيت من خلال تصوير الفرس بحجارة الأثافي، ونعلم أنَّ حجارة الأثافي كانت في الجاهلية أمام البيت تستخدم لطهي الطعام، وبما أنَّ هذه الحجارة حجارة الموقد، فلا شك أنها دهماء أو سوداء، فالمعري يشعر وكأنه عاش حياة العرب وراها حتى استطاع أن يستثمرها في صوره على اعتبارها مغذية لخياله الإبداعي.

ومن درجات الأسود، الأقتم، الذي استخدمه أبو العلاء في شعره ليكون معبراً عن طاقة نفسية سلبية، وكان قد أشار إليه في استخدامه للحوض، وأظن حوض الماء قد كفى به المعري إلى الحياة التي لا تصفو لشارب، يقول المعري:^(٢٠)

وسما إلى حوض الغمام فمأؤه

كسر بمنهال الغبار الأقتم

إنّ حوض الماء كدر، وكدرته نابعة من تطاير غبار أسود اللون أقتم، أي أن كدرة الماء ناتجة عن وجود مكبر خارجي، وهذا ما يتفق مع فلسفة المعري التي تقول: إنّ وجود أي كدر في الحياة لا بد أن تكون ناتجة عن فعل خارجي، فلولا زواج أبيه ما كان المعري، ولولا أيّ فعل سيئ في الحياة من قبل الجهلاء ما تكدرت حياة العلماء، وهذا ما كان يلقيه المعري في حياته من انزعاج بسبب المتطفلين.

أما الأسحمر الذي يمثل الدرجة الثانية من درجات الأسود عند الثعالي، وهو غالباً ما يستخدم للطيور، وقد ارتبط هذا اللون بالغرابة عند العرب^(٢١)، وجاء في لسان العرب السحمر، والسحام والسحمة: السواد، وقال الليث السحمة سواء كلون الغراب الأسحمر، وكل سواد الأسحمر^(٢٢).

لقد استعرض المعري قدراته اللغوية من خلال استخدامه للون الأسود، بحيث يظن الناظر إلى أنه استعملها في غير موضعها. لكن المتمعن في المعنى يجده قد صور كل ما أطلق عليه "أسحمر" بصورة الغراب على وجه التحديد، فتدفقت من أبياته على اختلاف موضوعاتها طاقة كنيية هائلة في أسلوب استخدامه لهذا اللون، فيشبه الليل والثوب والنصال والمسك بالغرابة الأسحمر، فالمعري هنا ينظر حق إلى الأمور التي قد تحمل مسحة من الجمال أو القوة نظرة المتشائم الكئيب، يقول المعري^(٢٣):

مضمخاً ينظر في عطفه

كأنّ مسكاً لونه الأسحمر

إنّ سوداوية المعري بادية من خلال جعله المسك الذي هو روح الجمال من خلال الروائح الطيبة التي ينشرها في المكان جعله أسحمر، فهو لا يرى من المسك إلا سواده الذي يتناغم مع نفس المعري، ويقول أيضاً^(٢٤):

وهل أظلمت سحمر الليالي عليكم

وما حان من شمس النهار زوال

لقد ربط المعري اللون الأسحمر بسواد الليل، إلا أنّ هذا الليل، ليل تعب ونصب، وهذا ما يبينه في الشطر الثاني حينما جعل سواد الليل مصاحباً لنهار شمس لم تغب.

يؤكد المعري في كل درجة من درجات اللون الأسود الذي يستخدمه في أشعاره على أنّ هذه النفس كنيية مريضة، ومريضها ربما نابع من ليل عينيه الذي أزاح عنه الشمس وهي في كبد السماء، فلم يعد بعد ذلك يراها بازغة، بل بات الليل الذي صاحب فقد بصره هو المسيطر، فانعكست آثاره على دنياه الداخلية والخارجية.

وكذلك استخدامه للأسود بلفظ الأحم، وهو الأسود المتفحم، ففي لسان العرب: والحُمَّة لون بين الدُّهْمَة والكُتْمَة: يقال فرس أحمُّ بين الحُمَّة، والأحمّ الأسود من كل شيء، وفي حديث قيس: الوافد في الليل الأحم، أي الأسود^(٢٥)، ويقول المعري^(٢٦):

وَحَمَاءُ الْعِلَاطِ يَضْبِقُ فَوْهَهَا

بما في الصَّدر من صفة الغرام

يلاحظ القارئ أنّ استخدام المعري دقيق للحمام وهديله، وطوقه المستعار من ثياب الحداد كما قال في قصيدته "ضجعة الموت رقدة" وما هو يعود ليؤكد على أطواق الحمام وسوادها الرامز إلى البؤس والكآبة والحزن الدائم، حتى أن أطواقها السوداء تلك لتضيق عليها القدرة على الكلام كما تضيق ظلمة الليل على المعري قدرته على البوح بما في نفسه من حزن.

نلاحظ استعراض المعري لقدرته اللغوية في اللون الأسود ودرجاته وترتيباته في السواد، لكي لا يترك في نفس القارئ ذرة شك بأنه إنسان كتيب بائس، وذلك من خلال توظيفه البارع للألوان ودلالاتها.

(٢) شاعرية اللون الأبيض:

تحدثت فيما سبق عن استخدام المعري للون الأبيض، إذ كانت درجة استخدامه لهذا اللون تلي اللون الأسود من حيث الكم، وهذا ربما يمثل تناقضاً في نفس استخدمت المتناقض من الألوان، فالأسود وقد تحدثنا عنه بما فيه من تناقض في ذاته، فمرة يتحدث عن العزّة والسيادة وأخرى عن السوداوية، ورأينا الكيفية التي استخدم فيها المعري هذا اللون، أما الأبيض، فهو رمز الصفاء والنقاء ويمنحك شعوراً أكبر بالاتساع والبرودة^(٢٧) وقد استعمله المعري باسمه الصريح باستثناء مرة واحدة استعمله باسمه الأغمر، ويقول^(٢٨):

غراءً سلبيةً كأنَّ لِجَافَهَا

نال السَّمَاءَ به بنانُ المُلْجِمِ

يصف المعري خيلاً جبينها أغر، وهذا ليس بغريب فهذه الصفة لصيقة بالجين والخيّل، يقول الثعالبي في بياض جبين الخيل: "إذا كان البياض في جبهته قدر الدرهم فهو القُرحة، فإذا زاد فهي الغُرّة"^(٢٩)، لكن هل استخدم المعري اللون الأبيض للدلالة على الصفاء والنقاء والبرودة، أم استخدمه بلونه المتشائم المرتبط ببياض الكفن الذي هو رمز للموت؟

ولا تظن أن استخدام المعري للون الأبيض كان مخالفاً لنهجه في التشاؤم، فالأبيض جانب مظلم، فهو لون مرتبط بالموت الذي كان ينشده المعري لسنوات طويلة حين كان يمعن في ذم الحياة والدنيا ونفسه المحبوسة في جسده، فهو رهين المحبسين.

فالأبيض لون الكفن، كما أنه لون يقرّ عقل المعري بمصيبته المألزمة له، وهي فقد البصر، فقد وصف الله فقد العين بصرها في كتابه العزيز بـ «أَبْيَضَ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ» [يوسف: ٨٤] وأي شيء سيكون أصدق بنفس المعري بعد ظلامه وسواده السرمدي من ابيضاض عينيه؟

وقد انحصرت استعمالات اللون الأبيض عند المعري بأمور أربعة، هي: السيف، والمرأة، والغمام، والأمنيات، وكل هذه الأمور لا طائل للوصول إليها بالنسبة لشيخ ضير كتيب بئس كأي العلاء، فلا هو قادر على حمل السيف، ولا رؤية الغمام الأبيض، كما أنه ينفر من المرأة؛ لأنها سبب قدومه للحياة، فلولا المرأة ما تكاثر البشر، ولولاها ما تعرض المعري للضيق من هذه الحياة التي أتاها مرغماً، فلم تكن هذه الأمور بالنسبة له إلا فيض من أمنيات لا سبيل إلى تحقيقها، فيقول في السيف: ^(٣٠)

وكلّ أبيضَ هندي به شُطْبُ

مثلُ التكسر في جارٍ بمحدَرٍ

يستخدم المعري اللون الأبيض استخداماً مجازياً ليدل من خلاله على السيف، وهذا اللفظ مستخدم كرمز عند العرب منذ الجاهلية ^(٣١)، لكن هذه النفس المتشائمة بدت حتى في اللون الأبيض، فراح يضفي على السيف الأبيض الذي كان يستخدمه الجاهلي بكل بساطة من فكره ونفسه حتى صرت ترى هذا اللون (السيف) روافد الدماء تشبه روافد النهر من حيث التشعب على نصل السيف، وللمبالغة راح يضفي على هذه الروافد صفة الانحدار، ليبين لك سرعة جريان الدماء، وفي ذلك دلالة على كثرة القتل، فالفكر المعري بتعقيده حاضر بكل تفاصيله، وكذلك عصره.

وعلى الرغم من البيئة العباسية الجديدة المختلفة عن البيئة الجاهلية، إلا أن المعري عربي متأثر بالموروث العربي، فقد استخدم العرب اللون الأبيض للدلالة على المرأة ^(٣٢)، وقد استخدمه أبو العلاء المعري بذات الدلالة. يقول المعري: ^(٣٣)

واسْتَرْزِرَ بِالْبَيْضِ الْجِسَانَ وَلَا يَكُنْ

لك غير همة صارمٍ أولهذم

وتبدو فلسفة المعري واضحة في هذا البيت، فقد كان العرب في الجاهلية يستخدمون كلمة البيض لتصوير الجمال ومن ثم التعلق، أما المعري، فقد أتى بالبيض الحسان ليوضح حقيقة فكره وفلسفته مع المرأة، فهو مزدري لها، يدعو الرجال ألا يهتموا بالنساء، وأن يجعلوا همهم وهمتهم في الحرب والقتال وإظهار البطولات، فهو يطلب منهم أن يجعلوا لأنفسهم همة السيف البتار الحاد.

وقد تسلل إلى ذاكرته شيء مما كان يرى قبل فقده للبصر، وقد كان من ذلك الغمام الأبيض الذي راح يختبئ خلف القصر، يقول: ^(٣٤)

الحُسْنُ يَعْلَمُ أَنَّ مِنْ وَارِيَّتِهِ

قمرٌ تستر في غمامٍ أبيض

لقد راح في هذا البيت بصور العصفاف وقد علقت في شَرَكِ صائد، فجعلها كالقمر الذي اختفى خلف غمام أبيض، فهي لا تستطيع الفكاك منه، تمامًا كالحياة التي تبدو جميلة في ظاهرها حتى يعلق الإنسان في شركها، فيكتشف حقيقتها، وأظن أبا العلاء في هذا البيت إنما أراد أن ينثر فكره وفلسفته في هذه الحياة بوساطة هذا اللون.

لقد استخدم هذا اللون ليدل من خلاله على الأمنيات، وقد جعلها بيضًا يقول: ^(٣٥)

علّاني فإنَّ بيضَ الأُماني

فنيبٌ والظلامُ ليس بفاني

لقد راح بصور الشاعر الأُماني بالبياض، فجميع ما يتمنى المرء بالنسبة له أبيض من حيث الوضوح والرغبة في الوصول إليها، فأُمانيات الإنسان بيضاء ولاسيما أُمانيات الشباب التي يكون فيها المرء صافي الذهن من كل ما يكدره، فنراه يتحسر على تلك الأُمانيات التي ربما يحملها في نفسه وهو طفل ما يزال مبصرًا قادرًا على أن يتخيل مستقبلًا مشرقًا لنفسه، فما أن ذهب بصره وبيضت عيناه حتى تفانت تلك الأُماني وتلاشت وحلَّ الظلام السرمدي محلها.

واللافت في الأمر أنَّ أبا العلاء استخدم اللون الأبيض في صورته التقليدية المتعارف عليها في الشعر العربي منذ الجاهلية، ولعل مردَّ ذلك إلى ما قاله من أنه لم يعد يتذكر إلا اللون الأحمر ^(٣٦)، فاعتمد على ذاكرته الشعرية في توصيف السيف والمرأة والغمام والأُمانيات، وبذلك يضع المعري بصمته الخاصة حتى في أكثر الألوان

تفاؤلاً في العرف الإنساني، فيجذب كل ما من شأنه أن يكون طيباً نقياً خالص الخيروالجمال، ويلقي عليه رداء بؤسه وظلمته وكآبته.

ثالثاً: شاعرية اللون الأحمر:

ذكر عن أبي العلاء قوله لا أعرف من الألوان إلا الأحمر؛ لأنني ألبست في الجدي ثوباً مسبوغاً بالعصفر^(٣٧)، ومعنى هذا الكلام أن هذا اللون مربوط بالمرض والعنى عند المعري، كما أن ديوان "سقط الزند" يحمل بعض الدلائل على صدق مقولته، وهذا الصدق نراه في كم الأشياء التي وصفها مستخدماً اللون الأحمر، مما يدل على أنه لون له حضور خاص في ذاكرته.

كما أن هذه الأشياء تجسدت في الموت، والمزهار، والبرق، والتماع نجم سهيل، والدم، والفجر، والذهب والأفق، والنار^(٣٨). فهذه تؤكد على أن المعري مرتبط -فعلاً- ارتباطاً وثيقاً بهذا اللون الذي شكل بالنسبة له حداً فاصلاً بين حيتين متناقضتين، هما حياة الإبصار وحياة فقد البصر، لذا نجد أنه قد ترك علامة فارقة في ذاكرته.

واللون الأحمر إلى جانب كونه لون القوة والجرأة والثقة بالنفس، فهو أيضاً لون التحدي، وقد كان توظيف المعري لهذا اللون في جله يدل على التوتر والعوانية^(٣٩).

يقول المعري:^(٤٠)

ودبَّت فوقه حممُ المنايا

ولكن بعدما مُسختُ نمالا

لقد ربط أبو العلاء الموت (المنايا) باللون الأحمر، وذلك؛ لأنَّ الموت هاجس مرافق لأبي العلاء، واللون الأحمر هو الوحيد الذي كان يرافقه بذاكرته، لذلك نجده يدل على التوتر والقلق.

فحين أراد أن يصف الموت ربطه مباشرة بأقرب الألوان إلى نفسيته وذاكرته، فقال التوصيف الدقيق، ودارى خلفه هواجسه وقلقه المتعاضم في هذه الحياة.

وإمعاناً منه في تصوير القلق والتوتر المسيطرين على نفسه وحياته نجده يصف أمرين متناقضين بذات اللون، وهما الفجر والأفق. يقول في الفجر:^(٤١)

حقّ بدا الفَجْرُ به حُمْرُهُ

كصّارمٍ غيَّرَ منه الدَّمُ

لقد راح يربط بين النهار وحدث السيف لما بينهما من وجه شبه، ممثلاً بالصفاء والوضوح، لكن هذا الصفاء والوضوح ما يكاد أن يتغير حاله ويتكدر بياضه حينما بدت حمرة الشمس على وضوح النهار، كما غيرت الدماء بريق سيف، فاللون الأحمر دلالة على التحول، وكما هو واضح من البيت فإنّ اللون الأحمر يرمز إلى تحول حال المعري من الوضوح (الرؤية) إلى لبس الأحمر الذي كان لبسه له بداية عالم جديد ممثلاً بفقد البصر، ويقول في المغيّب: ^(٤٢)

وعادت كأنّ الرُّثْمَ بعد ورودها

أعيرنَ احمرارَ الأفقِ فوق الجحافلِ

ولعل هذا التناقض بين الفجر والمغيّب واتفاقهما في اللون والصورة -التي ظهرها فيها باللون الأحمر وهي صورة الحرب- يوارب باباً على حرب ثانية تدور رحاها في نفس أبي العلاء، كان الجامع بين طرفيها هو اللون الأحمر المطبوع في ذاكرته.

وفي ذات السياق الدلالي، فإننا نجده يسلط الضوء على توتره وقلقه في كل أمر يصبغه بلونه الأحمر، ومن ذلك قوله داعياً على غراب أخبره بالفراق: ^(٤٣)

وقلّده الرُّمّةُ بأرجوانٍ

وعادَ شبابهُ رَحَضاً غسيلاً

إنّ هذه القصيدة تحديداً من مطلعها الذي يقول فيه "كفى بشحوب أوجهنا دليلاً" إلى ختامها "ستحمل ناجيات العيس مني" كلها في ذكر الفراق والحزن والبؤس بسبب رحيل الأحبة والأصدقاء، وإلحاحه على ذكر الغراب دليل واضح على أنّ اللون الوحيد الذي يقرّع عقله هو الكفيل دون غيره بالتعبير عن ألم الفراق الذي يلهب في قلبه ويوجعه.

فالأحمر كما لاحظنا لون له دلالة كبيرة في نفس المعري ولاسيما أنه ارتبط بلباس المرض الذي جلب للمعري فقد بصره، فكان هذا اللون لون فراق وهجر لماض مبصر إلى حاضر لا بصر فيه ولا رؤيا.

رابعاً: شاعرية اللون الأزرق

يقصر أبو العلاء المعري ذكر اللون الأزرق في ديوانه على أمرين معهودين بتوصيفهما به، وهما الرِّيح والماء. ولكنّه على الرغم من ذلك حمل أبعاداً ورموزاً كبيرة في ثنايا توظيفاته في الديوان، إذ هو من جهة لون الثقة والكفاءة والذكاء وهي أمور لا تخفى على أحد تمتّع أبي العلاء المعري بها، وطغيانها على شخصيته، ومن جهة أخرى هو لون العزلة وانعدام العاطفة والبرودة والجفاء،^(٤٤) وهذا أيضاً مما لا جدال فيه حين يتعلق الأمر بالأسلوب الحياتي لأبي العلاء، فهو اللون الوحيد الذي استطاع أن يجمع فيه المعنيين المتناقضين ويوظفها توظيفاً مبدعاً.

ففي الرِّيح يقول:^(٤٥)

وأصابت جيادنا

صوت زُرْق شواذ

فالريح ليست زرقاء فقط، بل مصوّنة أيضاً، يُسمع صوتها بوضوح، وكأنه نوع من الشّدوعند اصطدامها بالدروع أو غيرها، فهي متتابعة لا يتوقف انطلاقها حتى بات صوت أصدامها ذاك كالموسيقى أو كغناء طائر متواصل واضح جليّ وجميل. ودقة الوصف والعبقريّة في نقل الصورة الصامتة الجامدة إلى صورة متحركة ذات صوت مسموع دليل دامغ على عبقرية أبي العلاء التي لم يثنها فقدّه لبصره عن أن تطفو بل وتسطع في ثنايا شعره.

وفي الماء يقول:^(٤٦)

وقد دقت هوداهنّ حق

كأن رقاہنّ الخيزران

إذا شربتُ رأيتَ الماءَ فيها

أُزِيقَ ليسَ يسترهُ الجِرانُ

والصورة البديعية في هذا البيت هي تصغيره لكلمة (أزرق) لتتماهى مع البيت السابق الذي قال فيه واصفاً عنق الناقة "دقت هوداهنّ"، فناسب دقة الرقبة مع قلة الماء المنسكب فيها حتى بان من خلالها، ومن جهةٍ إبداعيةٍ أخرى، فقد جعل أبو العلاء الماء محافظاً على زرقته حتى بعد خروجه من الساقية أو الحوض الذي

استُخرج منه، والماء كما نعلم شفاف، إذا خرج من مجراه في الطبيعة، فهو أزرق لانعكاس الطول الموجي القصير للون الأزرق عليه، وليس الأمر بحاجة إلى كبير دليل، وإن كان فيكفينا التعرّيج على قوله: ^(٤٧)

قد يبعُدُ السَّيُّءُ من شيءٍ يُشَاهِيهِ

إِنَّ السَّمَاءَ نَظِيرُ الْمَاءِ فِي الزَّرَقِ

وبقاؤه على زرقته حتى وهو في عنق الناقة مبالغة حسنة في توصيف مدى دقة تلك العنق التي عكست تشتت اللون إلى داخلها، فأصاب الماء المنسكب فيها.

وهذان هما الذكاء والكفاءة اللذان يرمز لهما اللون الأزرق في دلالاته الإيجابية، بل والثقافة العالية التي يتمتع بها أبو العلاء المعري، حين لم يعدّ زرقه الماء إلى زرقه السماء كما كان يظن حتى وقت قصير، بل جعلهما نظيرين لتلك الزرقه فلا فضل لأحدهما على الآخر فيها.

وعلى الطرف الآخر من هذه الإيجابية، تطالعنا برودة أبي العلاء المعري وعزلته وجفاؤه للمجتمع، فهو يظهر براعته وكفاءته في استخدام اللون غير أنّ الأمور التي وظّف اللون فيها كانت أموراً أقرب ما تكون إلى المعنى السلبي له. فأخذ من الماء برودته، ومن الرمح حدّته وصلابته وجفائه، بل واستغناؤه عن سواه خلافاً للأدوات الحربية الأخرى، كالسيف الذي يحتاج غمدًا، والسهم الذي يحتاج كنانة وقوسًا، أما الرمح فألة متفردة موحدة لا حاجة لها ببيت أو معين، وكذلك هو أبو العلاء.

خامسًا: شاعرية اللون الأخضر

الملاحظ في استخدام المعري للون الأخضر هو استخدامه له بصريح دلالاته لا برمزيته، فاستخدمه مع الطبيعة والزبرجد (وهو حجر أخضر اللون)، والطحالب المائية التي تكسو الماء بالأخضر عادة، ولم يوظفه برمزيته إلا مرتين فقط، حين شبّه الجيش بالأخضر، وكفى عن الكرم باخضرار الرمح، وهو وصف مبتكر للرمح أراد منه المبالغة في وصف الكرم، فلم يجعل المعري للون كبير معنى أو أثّر بل إنّهُ حتى لم يُسقط نفسيته على اللون ربما لأنّ المناسبات التي قيلت فيها تلك القصائد لم تفسح المجال لكأبته ونفسيته حتى تطغى على ألفاظه وكلماته فيها، فلجأ إلى تبسيط وتسهيل المعاني والرمزيات في توظيف هذا اللون تحديدًا، وهذا ما يُلاحظ في قوله مثلاً: ^(٤٨)

وما صدأ يعتادها غير خُضْرَةٍ

تَجَلَّلُ عَظْفَهَا مِنَ الْعَرِضِ الْبَلِي

فهو يقول إنّ اللون الأخضر الذي يعلو الدرع ليس صدأً، وإنما هي طحالب غطته لطول مصاحبته للماء،
ومن استعماله الأخضر كناية قوله: ^(٤٩)

من كلّ مَنْ لولا تسعُرُ بأسِه

لاخضرَ في يُمْنِ يديه الأسمرُ

فهو يكتي عن الكرم الباذخ عند هذا المحارب "فهؤلاء الفرسان بأسهم يتسعر كالنار، فلولا ذلك لاخضر
الرمح في يُمْنِ يدي الفارس منهم، لأنه جواد كريم يخضر جوده ما لم تجر عاداته بالخضرة" ^(٥٠).

ولعل في هذه الكناية شيئاً من فضل الابتكار لأبي العلاء، إذ لم يذكر عن العرب القول بأنّ "أخضر الرمح في
يده" كناية عن الكرم البالغ وبناء عليه، فإنه يلحظ في هذا البيت محاولة ناجحة إلى حد ما في سد ثغرة توظيف
اللون على الطريقة المعهودة عنده في بقية الألوان.

سادساً: شاعرية اللون الأصفر

أما الأصفر، فما أتى أبو العلاء على ذكره إلا لمرة واحدة فقط في الديوان كله، بيد أنّ هذه المرة كانت تعادل
في عمق دلالاتها بعض الألوان التي أسهب في الحديث عنها كالأبيض والأسود والأحمر.
يقول: ^(٥١)

وصفراء لونَ التّبر مثلي جليدةٌ

على نوبِ الأيام والعيشة الضّنك

افتتح أبو العلاء هذه المقطوعة باللون الأصفر واصفاً شمعة، صانعاً مقابلة بينها وبينه. فأبو العلاء يصف
لنا حالة من خلال الحديث عن هذه الشمعة المتهاكة التي تكاد تلقى مصرعها بسبب احتراقها اللامتناهي، تماماً
كما يتهاك هو نفسياً وجسدياً بسبب نوب الأيام وضنكها الذي لا يصطبر عليه إلا بشق نفسه.

لماذا اختار الأصفر؟ أليس من عادة الشمع أن يكون أبيض؟ ولم شبّه اصفرارها بالذهب؟

الأصفر لون عاطفي، وهو أقوى الألوان تأثيراً على النفس. لكنه فضلاً عن كونه رافعاً للروح المعنوية إن
استخدم بدرجته الطبيعية، يُعد خافضاً لها مُظهرًا لمخاوف النفس مقللاً من احترام الذات كلما اتجه نحو

القتامة. وهنا مربط فرس أبي العلاء. الطاقة السلبية الكبيرة في الأبيات الأربعة في المقطوعة لا تدل البتة على روح معنوية عالية أو احترام للذات أو حق شيء من الاطمئنان، فنراه في الأبيات الآتية، يقول: ^(٥٢)

تُربك ابتسامًا دائمًا وتجلدًا

وصبرًا على ما ناهيا وهي في الهلك

هذا الكم المكثف من التعالي والتحامل على النفس الذي أورده على لسان شمعة تحثُّ خطاها نحو الهلاك، ليس بالأمر الذي قد يصدقه من يتمعن في الأبيات جيدًا. فشمعة تهالك وتشق طريقها نحو الموت مبتسمة من النار المستعرة في رأسها بل وتدمع ضاحكة فوق هذا، لا تشكل إلا صورة أبي العلاء الذي كان ينتظر الموت والخلاص أو "التحرر من سجنه" في جسده على أحر من الجمر. فلا غرابة في أن يجعل الشمعة سعيدة وهي تنال ما يتمنى هو وما يصبو إليه. وكأنه يصور سعادته في الخلاص من خلالها. وهذا ما أوضحه في مستهل مقطوعته لما قال "مثلي".

الخاتمة:

لقد استخدم المعري ستة ألوان رئيسة في ديوانه "سقط الزند"، وقد خرجت الدراسة إلى ما يأتي:

١- لم يخرج أبو العلاء عن دائرة الألوان المتعارف عليها في الشعر منذ الجاهلية وحتى يومه ذاك، بل إنه اختصرها في ألوان ستة، وهي: الأسود، والأبيض، والأحمر، الأخضر، والأزرق، والأصفر.

٢- وظّف هذه الألوان توظيفًا جديدًا مبتكرًا لم يسبقه إليها أحد، كما ورد في شرح كناية الرمح الأخضر.

٣- أظهر الديوان الثقافة العالية عند أبي العلاء المعري فيما يخص دلالات الألوان وتأثيراتها على النفس الإنسانية ورمزيتها السلبية والإيجابية، بل وأيضًا بمصادرها وكيفية انتشارها في البيئة من حوله، كما ورد في استخدامه للون الأزرق.

٤- لقد كان اختيار أبي العلاء للألوان سواء أكان من الوعي أم اللاوعي نابغًا من نفسه المثقلة بالأبعاد الفلسفية، ولا سيما المتشائمة الكئيبة.

المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

١. الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط ١، ١٩٣٨م.
٢. امرؤ القيس، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
٣. بيرين، فير، الألوان والاستجابات البشرية، ترجمة: صفية مختار، مؤسسة الهنداوي، المملكة المتحدة، دت.
٤. الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م.
٥. الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط، ١٩٩٣م.
٦. ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء الزمان، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، ١٩٧٨م.
٧. دمنهوري، رشاد صالح: النجار، علاء الدين السعيد، في سيكولوجيا الشخصية، (د. ن)، ط ٢، ٢٠٠٩م.
٨. ابن سيدة، علي بن إسماعيل، المخصص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت).
٩. ابن شداد، عنتر، الديوان، تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، (د. ط)، (د. ت).
١٠. الشنفرى، الديوان، تحقيق: علي غالب ناصر، دار اليمامة، السعودية، ط ١، ١٩٩٨م.
١١. ضيف، شوقي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط ٨، (د. ت).
١٢. ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، مكتبة الدراسات الأدبية، ودار المعارف المصرية، مصر، ط ١١، ١٩٨٧م.
١٣. عنتر، الديوان، ت: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، (د. ط)، (د. ت).
١٤. غانم، محمد حسن، مقدمة في علم النفس الإكلينيكي، المكتبة المصرية، الإسكندرية، (د. ط)، ٢٠٠٩م.
١٥. المعري، أبو العلاء، اللزوميات، ت: أمين عبدالعزيز الخانجي، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، ومكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت.
١٦. المعري، أبو العلاء، ديوان سقط الزند، تحقيق: مصطفى فاضل وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط ٣، ١٩٤٥م.
١٧. منسي، حسن: منسي، إيمان، التوجيه والإرشاد النفسي، دار الكندي، عمان، ط ١، ٢٠٠٤م.
١٨. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دط، دت.

الهوامش:

- (١) انظر: الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ت: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ١٢١ - ١٢٦.
- (٢) ابن سيدة، علي بن إسماعيل، المخصص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت) ص ١٠٦.
- (٣) انظر: الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط ١، ١٩٣٨م، ج ١، ص ٤٢.
- (٤) انظر: ضيف، شوقي، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط ٨، (د. ت)، ص ٢٤٠.
- (٥) ابن شداد، عنترة، الديوان، ت: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، (د. ط)، (د. ت)، ص ٣٣٥.
- (٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ط، ١٩٧٨، ج ١، ص ١١٤.
- (٧) انظر: الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د. ط، ١٩٩٣، ج ١، ص ٣٠٢، ٣١٤.
- (٨) انظر: المعري، أبو العلاء، ديوان سقط الزند، ت: مصطفى فاضل وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط ٣، ١٩٤٥م، ج ٣، ص ١١٨٢، ١١٩٤، ١٢٠٥.
- (٩) انظر: منسي، حسن؛ منسي، إيمان، التوجيه والإرشاد النفسي، دار الكندي، عمان، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٢٥.
- (١٠) انظر: غانم، محمد حسن، مقدمة في علم النفس الإكلينيكي، المكتبة المصرية، الإسكندرية، (د. ط)، ٢٠٠٩م، ص ١٣٩.
- (١١) دمنهوري، رشاد صالح؛ النجار، علاء الدين السعيد، في سيكولوجيا الشخصية، (د. ن)، ط ٢، ٢٠٠٩م، ص ٤٩.
- (١٢) المعري، أبو العلاء، ديوان سقط الزند، ج ١، ص ١١٠.
- (١٣) المعري، أبو العلاء، ديوان سقط الزند، ج ١، ص ١١٩.
- (١٤) انظر: بيرين، فيبر، الألوان والاستجابات البشرية، ترجمة: صفية مختار، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، د. ط، د. ت، ص ٤٢، ٧٥، ١٠٠.
- (١٥) المعري، سقط الزند، ج ٢، ص ٦٢٢.
- (١٦) القاموس المحيط، مادة خَمَر.
- (١٧) انظر: المعري، أبو العلاء، اللزوميات، ت: أمين عبدالعزيز الخانجي، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، ومكتبة الخانجي، القاهرة، د. ط، د. ت، ج ١، ص ٤٤، وكذلك، ص ٤٠٨.
- (١٨) المعري، سقط الزند، ج ١، ص ٣٤٣.
- (١٩) المعري، سقط الزند، ج ٢، ص ١٣١٧.

- (٢٠) المرجع السابق، ج ١، ص ٣٤٧.
- (٢١) انظر: عنتر، الديوان، ص ١٩٣.
- (٢٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة سحم.
- (٢٣) المعري، سقط الزند، ج ٢، ص ٨٥٤.
- (٢٤) المرجع السابق، ج ٢، ص ١٠٥٦.
- (٢٥) لسان العرب، مادة حم.
- (٢٦) المعري، سقط الزند، ج ٤، ص ١٤٢٢.
- (٢٧) انظر: بيرين، فيبر، الألوان والاستجابات البشرية، ترجمة: صفية مختار، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، دط، دت، ص ٧٥، وكذلك.
- (٢٨) المعري، سقط الزند، ج ١، ص ٣٤١.
- (٢٩) الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ص ١٢٢.
- (٣٠) المعري، سقط الزند، ج ١، ص ١٥٦.
- (٣١) انظر: الشنفرى، الديوان، تحقيق: علي غالب ناصر، دار اليمامة، السعودية، ط ١، ١٩٩٨م، ص ٦٩.
- (٣٢) انظر: امرؤ القيس، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ١٨.
- (٣٣) المعري، سقط الزند، ج ١، ص ٣٣٠.
- (٣٤) المعري، سقط الزند، ج ١، ص ٤٠٢.
- (٣٥) المرجع السابق، ج ١، ص ٤٢٥.
- (٣٦) انظر: ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، مكتبة الدراسات الأدبية، ودار المعارف المصرية، مصر، ط ١١، ١٩٨٧م، ص ٣٧٦.
- (٣٧) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه، ص ٣٧٦.
- (٣٨) انظر: المعري، سقط الزند، ج ٢، ص ١٥٤٦.
- (٣٩) انظر: بيرين، فيبر، الألوان والاستجابات البشرية، ص ٤٢.
- (٤٠) المعري، سقط الزند، ج ١، ص ١٠٤.
- (٤١) المرجع السابق، ج ٢، ص ٨٥٣.
- (٤٢) المرجع السابق، ج ٣، ص ١٠٦٩.
- (٤٣) المعري، سقط الزند، ج ٣، ص ١٣٨٥.
- (٤٤) انظر: بيرين، فيبر، الألوان والاستجابات البشرية، ترجمة: صفية مختار، ص ٤٢، وكذلك ص ١٠٠.
- (٤٥) المعري، ديوان سقط الزند، ج ٤، ص ١٨٤٧.
- (٤٦) المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٦.
- (٤٧) المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٨٨.
- (٤٨) المعري، ديوان سقط الزند، ج ٤، ص ١٨٢٨.

- (٤٩) المصدر السابق، ج ٣، ص ١١١٤.
(٥٠) المصدر السابق، ج ٣، ص ١١١٤.
(٥١) المعري، ديوان سقط الزند، ج ٤، ص ١٦٨٣.
(٥٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٦٨٣.

درجة فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها*

بلسم عبد الرحيم فلاحات** د. سالم صالح ابنيان***

أ.د أحمد حسن العياصرة****

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢١/٤/١ م تاريخ قبول البحث: ٢٠٢١/٦/٩ م

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن درجة فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها، حيث تكونت عينة الدراسة من (١٢٠) معلماً ومعلمة للغة الإنجليزية في لواء القصبة في محافظة مأدبا في العام الدراسي ٢٠٢٠/٢٠١٩، واستخدمت فيها استبانة تكونت من (٣٧) فقرة موزعة على ثلاثة مجالات، هي: أغراض التقييم واستخدام نتائجه، وتقييم الكفاءة اللغوية، والتقييم القائم على الأداء، حيث جرى التحقق من صدقها وثباتها. أظهرت النتائج أن درجة فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها ككل كانت متوسطة، إذ تراوحت المتوسطات الحسابية لأدائهم على مجالات الأداة بين (٣,٤٣ – ٣,١٨)، وبدرجة متوسطة لها جميعاً. وأشارت النتائج أن درجة فهم المعلمين وممارستهم لمعيار التقييم كان دون المستوى المقبول تربوياً، وأنه لا توجد فروق دالة إحصائية في درجة فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم تُعزى لمتغير الخبرة التدريسية. وفي ضوء النتائج، قدمت الدراسة عدداً من التوصيات بضرورة تسليط الضوء بصورة أكبر على فلسفة التقييم وأغراضه وإستراتيجياته بما يتماشى مع التوجهات العالمية الحديثة في ميدان تعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها.

الكلمات المفتاحية: معلمو اللغة الإنجليزية، معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها، معيار التقييم، محافظة مأدبا.

* مستل من رسالة ماجستير للباحثة بلسم عبد الرحيم فلاحات

** باحثة *** أستاذ مشارك، قسم اللغة الانجليزية، جامعة العلوم الاسلامية العالمية

**** أستاذ دكتور، قسم المناهج والتدريس، جامعة العلوم الإسلامية العالمية

The Degree of English Language Teachers' Understanding and Practice of the Assessment Standard as One of the Standards of TESOL International Association

Abstract

This study aimed to identify the degree of English language teachers' understanding and practice of the assessment standard as one of the standards of the International Association of Teaching English to Speakers of Other languages (TESOL). The population of the study consisted of (225) teachers, who represented all the English language teachers of public schools in Ma'daba governorate in Jordan during the academic year 2019/2020. A random sample of (120) male and female teachers was selected. To achieve the purpose of the study, the researchers used the descriptive approach and developed a questionnaire consisting of (37) items covering various assessment-related fields. The results showed that the degree of the English language teachers' understanding and practice of the assessment standard in general was moderate as the means of their performance ranged between (3.43 - 3.18). The results also revealed that the degree of the English language teachers' understanding and practice of this assessment criterion was below the educationally acceptable level. In addition, the results showed that there were no statistically significant differences concerning the degree to which the English language teachers understand and practice the assessment criterion attributed to the teaching experience variable. In light of the findings, the study presented a number of recommendations including the need to pay more attention to the philosophy of assessment, its strategies and educational objectives in accordance with the current trends in TESOL field.

Keywords: English Language Teachers, Standards of TESOL International Association, Standard of Assessment, Ma'daba City

المُقَدِّمة:

نظراً لما يشهده هذا العصر من تغييرات متسارعة في شتى المجالات، ومن ثورة هائلة في تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، لم يعد التقييم بمفهومه الحديث عملية إظهار لما لدى الطلبة من معرفة أو مهارات تقدر بدرجات نحصل عليها من الاختبارات لا تعطي صورةً وافيةً عن تعلّم الطلبة وما يمتلكونه من قدرات ترتبط بعمليات التفكير، واتخاذ القرار، وحل المشكلة (البشيري وبرهم، ٢٠١٢)، بل أصبح التقييم بنهجه الجديد، المستند إلى مبادئ النظرية البنائية التي تؤكد أن المتعلّم نشط يكتشف المعرفة ويبني المعاني في سياقات واقعية، يتضمن إستراتيجيات وأدوات تعطي صورة متكاملة عن المتعلم (العياصرة، 2017)، وذلك بتأكيد أهمية أن يبني المتعلّم استجاباته من خلال أداء مهام واقعية بدلاً من أن يختار هذه الاستجابات كما يحصل في الاختبارات التقليدية (Dogan, 2011).

وتتلخّص الرؤية الحديثة لعملية التقييم في أنّها تشكّل مع عملية التعلّم والتعليم وجهين لعملية واحدة، فطرق جمع البيانات تحدّد بشكلٍ دقيقٍ ما يجب أن يُعلّم المعلم، وما يجب أن يتعلّمه الطلبة، وهذا يتطلّب من المعلم استخدام إستراتيجيات وأدوات تقييم متعدّدة تتيح للطلبة فرص استخدام ما لديهم من معرفة حول الموضوع المراد تقييمه في مواقف حقيقية أو شبيهة لها، ليحقق أهدافاً متعدّدة، لعلّ من أهمّها: تحسين ممارساته التدريسية، واختيار المحتوى التدريسي الملائم، وتطوير التعلم الذاتي لدى طلبته، وكتابة التقارير التي تصف مدى تقدّم هؤلاء الطلبة في تعلّمهم (زيتون، 2010).

وتقييم اللغة الإنجليزية تأثّر هو الآخر بما جرى من تحوّل في تدريسها إلى المنحى البنائي، فشهد في العقود القليلة الماضية تغييرات كبيرة تميّزت بالتحوّل من التركيز الحصري على الاختبارات إلى استخدام إستراتيجيات وأدوات تقييم الفصل الدراسي Classroom assessment (Cheng and Fox, cited in Swaite, 2019) باستخدام إستراتيجيات التقييم القائم على الأداء Performance assessment وأدواته؛ بمعنى التحوّل من ثقافة الاختبار كوسيلة وحيدة لقياس تعلّم الطلبة بتسجيل إنجازاتهم في نهاية عملية التعلّم بما يعرف بالتقييم الختامي Summative assessment إلى ثقافة التقييم المستمر باستخدام مصادر متعدّدة للحكم على التعلّم بما يعرف بالتقييم البنائي Formative assessment، أي التحوّل من التقييم لقياس التعلم Assessment of learning إلى التقييم من أجل التعلم Assessment for learning (Segers, Cited in Moqbel, 2020;) (Stoynoff, 2012).

بهذا التحوّل أصبح التقييم يستخدم طوال عملية التعلّم من أجل تحسينها، لدعم تعلّم الطلبة بتوفير التغذية الراجعة البناءة لهم، وتمكينهم من المضي قدماً لتحقيق نتائج التعلّم لديهم، وتعزيز وعيهم الذاتي،

واستقلاليتهم من جهة، وبما يجريه المعلم من تحسين على عملية التعليم وبيئته بناءً على نتائج هذا التقييم من جهة أخرى (Stoynoff, 2012; Monib, Karimi, & Nijat, 2020).

يعرف زيتون (٢٠١٠، ٤٤٧) تقييم الفصل الدراسي على أنه "عملية منظمة في جمع البيانات عما يعرفه الطالب *what student knows*، وقادر على تعلمه *Able to do*، ويتعلم لعمله *Learning to do*"، وبالتالي فإن الهدف الأساسي منه، بحسب زيتون، لا يكون تقييم ناتج التعلم النهائي وتصنيف الطلبة، بل إعطاء التغذية الراجعة للتدريس، وتحسين التعلم، ومراقبة تقدم الطالب في تعلمه ضمن مشروع متكامل يركز على تقييم العملية والمنتج النهائي، وقياس الجوانب المتنوعة في شخصية المتعلم.

وفي سياق اللغة الإنجليزية يعمل تقييم الفصل الدراسي أو التقييم القائم على الأداء على تخفيف القيود التي تفرضها الاختبارات بتوفيره فرص استخدام الطلبة للغة الإنجليزية في مواقف حياتية حقيقية، وإظهار ما يمكنهم فعله بهذه اللغة، فهو يقوم بشكل مباشر بالمهارات اللغوية لدى المتعلمين، ويظهر قدرتهم على استخدامها، ويعزز التعاون والتفاعل بين الطلبة، ويعزز مشاركتهم في التقييم الخاص بهم ومسؤوليتهم عنه، مما ينعكس إيجاباً على تعلمهم اللغة الإنجليزية (Moqbel, 2020). وذلك من خلال عملية مستمرة تعتمد على أدلة من مصادر وإستراتيجيات تقييم متعددة، كالمشاريع، ولعب الأدوار، والمحاكاة، والعروض التقديمية، والمناظرات، وملفات الإنجاز *Portfolio*، و التقييم الذاتي، وتقييم الأقران، وغيرها (Stoynoff, 2012).

مع كل ما تقدم، لا يزال استخدام إستراتيجيات وأدوات التقييم القائم على الأداء في اللغة الإنجليزية كلفة ثانية يمثل تحدياً للمعلمين والطلبة، (Moqbel, 2020; Swaie, 2019)؛ إذ إنَّ هناك عقبات تقف أمام ممارسة المعلمين لها، يتعلّق بعضها بطبيعة هذا النوع من التقييم، والطلبة، والمعلمين، والبيئة الصفية والمدرسية أدت - كما يشير واقع الميدان التربوي- إلى أنَّ معلمي اللغة الإنجليزية لا يزالون يستخدمون الطريقة التقليدية في تقييم تعلم الطلبة المتمثلة باختبارات القلم والورقة بشكل كبير في كل المراحل الدراسية، ولمختلف المواد التعليمية، (Baniabdelrahman, 2010)، ممَّا يتنافى مع التوجهات العالمية الحديثة في تدريس اللغة الإنجليزية كلفة ثانية، من هنا برزت معايير عالمية اهتمت بمعلمي اللغات الأجنبية ووضعت ضوابط وخصائص لهم، كان منها معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها (International Association for The Teaching English to Speakers of Other Languages)، التي تشتمل على خمسة معايير، هي (سويبي، ٢٠١٧):

المعيار الأول: اللغة، ويشتمل على عنصرين أساسيين، هما:

١- اللغة كنظام: وترتكز مؤشرات على معرفة معلّم اللغة الإنجليزية لمكوّنات هذه اللغة، ولتكامُل نظامها، وتطبيق معرفته الصّوتية، والصّرفية، والنّحوية، والدّلالية، وأثر السياق في اللغة، ومساعدة معلمي اللغة الإنجليزية على تطوير كفاياتهم الشفهية والقراءة ومهارات الكتابة، بالتركيب البلاغية وبناء الخطاب، بحيث يمثل الكفاءة اللغوية في اللغة الإنجليزية نموذجًا جيدًا للمعلمين.

٢- اكتساب اللغة وتطورها: وترتكز مؤشرات على فهم معلمي اللغة الإنجليزية نظريات اكتساب هذه اللغة وتطبيقاتها، وفهم النظريات والبحوث التي تبين اختلاف تطور تعلم القراءة والكتابة في اللغة الأولى عنه في اللغة الثانية، وإدراك أهمية استخدام المتعلمين للفهم الأولى مهاراتهم فيها كأساس لتعلم اللغة الإنجليزية

المعيار الثاني: الثقافة، ويركز هذا المعيار على المعرفة بالآتي:

- ١- قيمة الثقافات والمعتقدات في تعليم اللغة الإنجليزية وتعلمها.
- ٢- الصراعات الثقافية والأحداث الرئيسة التي تؤثر في تعلم المتعلمين للغة الإنجليزية.
- ٣- معرفة الاختلافات الثقافية بين المتعلمين.

المعيار الثالث: تخطيط وتنفيذ الدرس وإدارة الصف، ويشتمل على الآتي:

- ١- التخطيط لتعلم اللغة الإنجليزية كلغة ثانية وفق معايير معينة، وإيجاد بيئة تعليمية تدعم تعلمها، والتخطيط لخبرات تعليمية تعليمية تستند إلى نتائج تقييم الطلبة في اللغة الإنجليزية وكفاءته في اللغة الأم، والتخطيط لتقييم يتناسب والمعايير العالمية لتدريس اللغة الإنجليزية كلغة ثانية.
- ٢- تقديم أنشطة تعليمية ومحتوى مادة تعليمية تتكامل فيها مهارات اللغة المتمثلة بالاستماع، والتحدّث، والقراءة، والكتابة، وتنميها لاستخدام اللغة الإنجليزية لأغراض أكاديمية واجتماعية، وتدريبها في ضوء المعايير العالمية لتدريس اللغة الإنجليزية كلغة ثانية.
- ٣- استخدام تكنولوجيا التعليم في تدريس اللغة الإنجليزية كلغة ثانية وتنويع مصادرها بفاعلية، وتطوير محتوى المادة اللغوية ليناسب متطلبات العصر ومتغيراته، ويلائم مستوى النمو اللغوي للطلبة.

المعيار الرابع: التقييم، ويركز هذا المعيار على ثلاثة جوانب رئيسة، هي:

١- فهم أهداف التقييم وأغراضه، وتوظيف نتائجه بشكل مناسب، وتنمية القدرة على استعمال أدوات التقييم المختلفة، وتمييز الاختلافات اللغوية للطلبة، وتمييز الطلبة الموهوبين وذوي الاحتياجات الخاصة في تعلم اللغة الإنجليزية كلغة ثانية.

٢. تقييم الكفاءة اللغوية، وذلك بفهم الحاجات الوطنية لتخريج طلبة قادرين على الإيفاء بمتطلبات مناهج تعليم اللغة الإنجليزية، وفهم التوظيف الصحيح لتقييم مرجعي المحك للطلبة والتمكن منه.

٣. تقييم الفصل الدراسي باستخدام إستراتيجيات التقييم المعتمد على الأداء وأدواته لمعرفة تقدم تعلم الطلبة في اللغة الإنجليزية كلغة ثانية، والتقييم المرجعي المحك، وتدريب الطلبة على التقييم الذاتي، وتقييم القرين، وتطبيق مقاييس التقدير الذاتي.

المعيار الخامس: التنمية المهنية، وتشتمل على الجوانب الآتية:

١- المعرفة بأبحاث تاريخ تعلم اللغة الإنجليزية كلغة ثانية، وأساليب تدريسها، وتنمية القدرة على القيام بمثل هذه البحوث.

٢- تشجيع المعلم للاشتراك في المنظمات العالمية المهتمة بتعليم اللغة الإنجليزية كلغة ثانية، وإشراكه في دورات تدريبية بهذا الخصوص، وتشجيعه على التواصل مع زملائه وأولياء أمور الطلبة.

وقد ركزت الدراسة الحالية على معيار التقييم، لما له من دور مهم في تطوير عملية تعليم وتعلم اللغة الإنجليزية كلغة ثانية، والمساعدة على تحقيق أهداف تدريسها للناطقين بغيرها.

وقد حظيت تصورات معلمي اللغة الإنجليزية كلغة ثانية ومعرفة وممارساتهم لتقييم تعلم الطلبة للغة الإنجليزية باهتمام العديد من الباحثين، ففي دراسة حديثة لثروت وآخرين (Sarwat, et al., 2021) هدفت إلى تعرف أفكار معلمي اللغة الإنجليزية كلغة ثانية في منطقة كراتشي الباكستانية حول هدف التقييم في إطار أربعة مجالات رئيسة لأغراض للتقييم، هي: التقييم الذاتي، والتقييم التكويني، والتقييم الذاتي للطلبة، والتقييم لتحسين اتجاه المعلمين، وأفكارهم حول توظيفهم لها في فصول اللغة الإنجليزية كلغة ثانية، أظهرت نتائجها أن المعلمين أعطوا أعلى مستوى من الأهمية للتقييم التكويني، وأقل مستوى للتقييم الختامي، وأن مستوى الخبرة التدريسية للمعلم لا تؤثر في مفهومهم لتوظيف التقييم في التدريس، وفي إطار مجالات أغراض التقييم ذاتها أظهرت دراسة أونلان وكارجل (Önalan and Karagül, 2018) أن معلمي اللغة الإنجليزية كلغة ثانية في فصل الإعدادية في إحدى الجامعات التركية يفضلون استخدام التقييم من أجل جمع معلومات حول أداء اللغة

لطلابهم في أثناء التدريس بالدرجة الأولى، يلجأ استخدام آليات التقييم لجمع الملاحظات حول التدريس وتحسينه، وهم أقل ميلاً لاستخدام التقييم النهائي، سنوات خبرة المعلم ليس لها تأثير في تفضيلاتهم.

وفي بلي أجرى وايدياستي (Widiastuti, 2018) دراسة أشارت نتائجها إلى أن معلمي اللغة الإنجليزية للمرحلة الثانوية يستخدمون كلا التقييمين التكويني والختامي، وأساليب مختلفة في رصد الدرجات، وكانت فلسفة المعلم في التعليم والتعلم العامل الداخلي المؤثر الأبرز في ممارستهم للتقييم، أما العوامل الخارجية فيها فتمثلت في الاختبارات عالية المخاطر، والسياسات الحكومية، وأولياء الأمور.

وفي تركيا أجرى كركوز وآخرون (Kirkgoz, Babanoglu, and Ağcam, 2017) دراسة أشارت نتائجها إلى أن أكثر ممارسات التقييم لدى معلمي اللغة الإنجليزية في المدارس الابتدائية الحكومية كانت الاختبارات، ومهام الأداء، والملاحظة، وكان نمط أسئلة الاختيار من متعدد الأكثر استخداماً، وأن التقييم القائم على الأداء والقائمة على التواصل مفضلة لديهم أكثر من أنواع التقييم التقليدية.

وأجرى سيفروهمان وبالينس (Saefurrohman and Balinas, 2016) دراسة أظهرت نتائجها أن معلمي اللغة الإنجليزية كلغة ثانية في المدارس الثانوية في كلٍّ من الفلبين وإندونيسيا يستخدمون التقييم من أجل التعلم كهدف رئيسي للتقييم، وأنهم استخدموا التعليقات المكتوبة كطريقة أساسية لتقديم الملاحظات، والاختبار لتقديم تقرير نهائي حول تعلم الطلبة، وفي السياق ذاته بحثت دراسة مكون (Mekonnen, 2014) في ممارسة التقييم الصفّي التي يستخدمها معلمو اللغة الإنجليزية في ثلاث مدارس ثانوية أثيوبية وأهدافه، وكشفت نتائج تحليل بياناتها الكمية عن أن معلمي اللغة الإنجليزية استخدموا التقييم لثلاثة أغراض، هي: تقييم التعلم، و التقييم من أجل التعلم، والتقييم باعتبار التعلم، وهذا يتناقض مع نتائج تحليل بياناتها النوعية التي أشارت إلى أن معظم المعلمين استخدموا التقييم لغرض تقييم التعلم، وأنهم نادراً ما استخدموا التقييم بهدف تحسين تدريسهم. من جهة ثانية أظهرت نتائج دراسة أوز (Öz, 2014) أن معظم معلمي اللغة الإنجليزية كلغة ثانية في المدارس التركية يعتمدون على الأساليب التقليدية في التقييم بدلاً من عمليات التقييم التكوينية.

أما دراسة سونج وكوه (Song and Koh, 2010) التي أجريت في سينغافوره فقد أظهرت نتائجها أن معلمي اللغة الإنجليزية كلغة ثانية يميلون إلى استخدام إستراتيجيات التقييم التكويني كالتقييم الذاتي وتقييم القرين، وفي جنوب شرق آسيا أيضاً أشارت نتائج دراسة يانج (Yang, 2008) إلى أن معلمي اللغة الإنجليزية كلغة ثانية في تايوان لديهم فهم مناسب لمفاهيم التقييم، مع وجود ضعف لدى معظمهم في فهم ملف الإنجاز، وأنهم يعتقدون أن التقييمات المتعددة أكثر أهمية من الاختبارات الورقية، وكانت الاختبارات الورقية الأكثر

استخدامًا، أما الصعوبات التي تحد من استخدامهم التقييمات المتعددة فتمثلت في عدم الرغبة في استخدامها، وقيود الوقت، والعبء التدريسي، وحجم الفصل.

وعلى المستوى العربي بينت نتائج دراسة مقبل (Mogble, 2020) أن التحديات التي تواجه عضوية هيئة التدريس في تقييم تعلم اللغة الإنجليزية لدى الطلبة في الجامعات اليمنية ترتبط بالبيئة التعليمية، والطلبة، وإدارة الجامعة، وطبيعة التقييم البديل، وأن هناك فروقًا ذات دلالة إحصائية في نظرة أعضاء هيئة التدريس للتقييم البديل تعزى لمتغير الخبرة لصالح الخبرة القصيرة، أما دراسة مقبل والكادي (Mogbel and Al-kadi, 2020) فكشفت نتائجها عن أن اتجاهات أعضاء هيئة تدريس اللغة الإنجليزية كلغة ثانية في الجامعات اليمنية نحو التقييم البديل كانت إيجابية، لكنها لم تنعكس على ممارستهم لها، وأنه لا توجد فروق دالة إحصائية في الاتجاهات نحو التقييم البديل الخبرة التدريسية، وبينت نتائج دراسة أبو رزق وأبو طه (Abu Rezeq, and Abu, 2018) أن مستوى استخدام معلمي اللغة الإنجليزية في المرحلة الإعدادية في مدارس الحكومة بغزة لإستراتيجيات التقييم البديل كان معتدلاً، وأنه لا توجد فروق دالة إحصائية في مستوى استخدام المعلمين لإستراتيجيات التقييم البديلة تعزى إلى جنسهم وخبرتهم.

وأجرى النوح، وتقي، وعبد الكريم (Al-Nouh, Taqi, and Abdul-Kareem, 2014) دراسة أشارت نتائجها إلى أن معلمات اللغة الإنجليزية كلغة ثانية يتصورن أنفسهن على معرفة ومهارة في استخدام التقييم البديل، مع أن بعضهن أشرن إلى حاجتهن للورش التدريبية حول استخدامه، وأنهن يفضلن استخدام التقييم التقليدي على التقييم البديل، وأن اتجاهتهن نحوه جاءت بمستوى متوسط، وأشارت أيضاً إلى وجود فروق دالة إحصائية في اتجاهتهن نحو التقييم البديل تعزى إلى الخبرة التدريسية، وفي السياق ذاته بينت نتائج دراسة الخرسى (Alkharusi, 2012) أنه على الرغم من أن معلمي اللغة الإنجليزية للمرحلة الأساسية في سلطنة عمان كان لديهم اتجاه إيجابي تجاه تقييم الفصل الدراسي، وأنهم اعتبروا أنفسهم مؤهلين في مجاله، فإنهم أظهروا مستوى منخفضاً من المعرفة فيه، وأنهم استخدموا مجموعة متنوعة من تقييم الفصل الدراسي، ورأوا أن العبء التدريسي وضعف الخبرة كانا أهم العقبات أمام استخدام تقييم الفصل الدراسي.

وعلى المستوى المحلي أجرت السواي (Swaie, 2019) دراسة باللغة الإنجليزية أظهرت نتائجها أن معلمي اللغة الإنجليزية كلغة ثانية في المدارس الثانوية في الأردن يستخدمون التقييم الصفّي لتحقيق أغراض مختلفة، خاصة تلك المتعلقة بتعلم الطلبة. وأنه على الرغم من استخدامهم لمجموعة متنوعة من الأساليب لتقييم مهارات التواصل، فإن الاختبارات كانت أكثر الطرق استخدامًا، وأنه على الرغم من أنهم يميلون نحو التقييم من أجل التعلم فإن تصوراتهم لا تتوافق مع ممارسات الفعلية. كما أجرى العساسفة (Asassfeh, 2019) دراسة

باللغة الإنجليزية أيضاً أشارت نتائجها إلى أن غالبية معلمي اللغة الإنجليزية كلغة ثانية في المرحلتين الأساسية والثانوية في الأردن على قناعة بأهمية التقييم في عملية التعليم والتعلم، وإن أقوى الدوافع وراء إجراء التقييم تتعلق بتوفير المعلومات لإدارة المدرسة، وتحديد الدرجات النهائية للطلبة، وأن الاختبارات كانت الأكثر استخداماً، والمقالات الطويلة والمخلصات النصية وحقائب الإنجاز كانت الأقل استخداماً، كما أشارت إلى أن المعلمين مستمرون في استخدام التقييم الرسمي بدلاً من التقييم البديل.

مشكلة الدراسة:

نظراً لأهمية اللغة الإنجليزية، أولت وزارة التربية والتعليم في الأردن خلال العقود القليلة الماضية اهتماماً بتحسين كفاءة الطلبة في اللغة الإنجليزية، فأدخلت مادة اللغة الإنجليزية كمادة مدرسية بدءاً من الصف الأول، رافقه اهتمام بعملية تقييم الطلبة فيها لتتوافق مع التوجهات العالمية الحديثة في هذا المجال، فبدأت بمشروع تطوير التعليم من أجل اقتصاد المعرفة (Education Reform for knowledge Economy - ERfKE) (١ و٢) في العام ٢٠٠٣، الذي تضمن التحول من التقييم التقليدي إلى التقييم البديل أو تقييم الفصل الدراسي، وما زال مستمراً بالتأكيد عليه في كل تطوير يجري للمناهج المدرسية، وهذا يحتم على معلمي اللغة الإنجليزية مواكبة هذه التوجهات باكتساب الفهم الكافي لإستراتيجيات تقييم الفصل الدراسي وأدواته، وتنمية مهاراتهم فيها، والتوجه الفعلي لاستخدامها لتحقيق الأهداف المحددة في هذه التوجهات، غير أن العديد من معلمي اللغة الإنجليزية في البلدان المختلفة لا يشعرون بالاستعداد الكافي للقيام بهذه المسؤولية (Ogan-Bekiroglu, 2009)، وأنهم كما أشارت دراسات متعددة (Swaie, 2019; Kirkgoz, et al., 2017; Öz, 2014; Baniabdelrahman, 2010) ما زالوا يستخدمون الطرق التقليدية في تقييم وتعلم اللغة الإنجليزية، وذلك لوجود عقبات تعيق استخدامهم لإستراتيجيات التقييم الحديثة وأدواتها، لعل من أهمها ما يتعلق بالمعلم ذاته، وخاصة معرفته بهذه الإستراتيجيات وكفايته في ممارستها.

لذلك، كان من المناسب التعرف إلى معرفة مدى مواكبة معلمي اللغة الإنجليزية في الأردن، لهذا التحول في التقييم، بتقصي معرفتهم بإستراتيجيات التقييم الحديثة وأدواته، ومدى ممارستهم لها في تقييم تعلم اللغة الإنجليزية كلغة ثانية لدى الطلبة، خاصة أن ممارسة المعلم لهذه الإستراتيجيات بحسب دراسة زانج باري ستوك (Zhang & Burry-Stock, 2003) مرتبط بمعرفته بها، وهذا ما حاولت الدراسة الحالية التصدي له مستندة إلى ما جاء في معيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها، لا سيما أن نتائج العديد من الدراسات التي أجريت محلياً حول موضوع التقييم وأغراضه ودرجة فهم المعلمين له وتصوراتهم حوله، قد أشارت بأن معظم المعلمين ما زالوا يعتمدون على النمط التقليدي من

الاختبارات لتنفيذ عملية التقييم، وأن ممارساتهم الفعلية بهذا الخصوص لا تنسجم بصورة كبيرة مع تصوراتهم حول عملية التقييم. كذلك أشارت نتائج تلك الدراسات إلى أن معظم المعلمين يميلون لاستخدام التقييم الرسمي بدلاً من التقييم البديل بهدف تحديد الدرجات النهائية للطلبة وتوفير بيانات لاتخاذ قرارات إدارية داخل المدرسة أو من خلال مديريات التربية، وذلك من خلال عقد الاختبارات النمطية التقليدية (Asassfeh,2019 and Swaie,2019). من هنا جاءت هذه الدراسة للكشف عن درجة فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما مستوى فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها؟
٢. هل يختلف مستوى فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها عن المستوى المقبول تربوياً (٨٠%)؟
٣. هل يختلف مستوى فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها عند مستوى (0.05) باختلاف الخبرة التدريسية للمعلم؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة الحالية في كونها تتماشى مع التوجهات الحديثة لتقييم تعلم الطلبة بشكل عام، وتعلم اللغة الإنجليزية كلغة ثانية بشكل خاص، التي جاءت ضمن معايير عالمية متعددة، وأنها ستقدم أداة لقياس درجة فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم قد يستفيد منها باحثون آخرون، إضافة إلى أنها قدمت أدباً نظرياً يؤطر لهذه المعايير.

أما نتائجها فقد تزود المهتمين بمناهج اللغة الإنجليزية وتعليمها في الأردن بمؤشرات حول واقع فهم وممارسة المعلمين للمعايير العالمية في تقييم تعلم اللغة الإنجليزية كلغة ثانية، إذ قد تساعد مشرفي اللغة الإنجليزية في المرحلة الأساسية في الأردن في العمل على رفع مستوى معرفة وممارسة هؤلاء المعلمين بهذه المعايير، وحثهم على استخدام إستراتيجيات وأدوات التقييم الحديثة كتقييم الفصل الدراسي في تدريسهم.

حدود الدراسة ومحدداتها:

يتحدد تعميم نتائج الدراسة بكونها اقتصر على عينة من معلمي اللغة الإنجليزية المرحلة الأساسية في مديرية التربية والتعليم للواء قصبه مادبا في محافظة مادبا في الأردن، في الفصل الأول من العام الدراسي ٢٠١٩-٢٠٢٠، وباقتصارها على مجالات أغراض التقييم واستخدام نتائجه، وتقييم الكفاءة اللغوية، والتقييم القائم على الأداء، أما محددات هذا التعميم فتتمثل في ما يتوافر لأدائها من مؤشرات الصدق والثبات.

التعريفات الإجرائية:

ورد في الدراسة الحالية المصطلحات التالية، إذ أمكن تعريفها إجرائيًا كالآتي:

فهم وممارسة معيار التقييم: هي فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم المتضمن في معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها (TESOL)، المحدد بثلاثة أبعاد، هي: أغراض التقييم واستخدام نتائجه، وتقييم الكفاءة اللغوية، وتقييم الفصل الدراسي باستخدام إستراتيجيات التقييم القائم على الأداء وأدواته، وقد عرّف مدى الفهم والممارسة هذا بالدرجة التي حصل عليها معلم اللغة الإنجليزية في أداة الدراسة المعدة لهذا الغرض.

المرحلة الأساسية: إحدى مراحل التعليم العام في الأردن، يلتحق بها الطلبة من سن ست سنوات، وتبدأ من الصف الأول الأساسي وتنتهي بالصف العاشر الأساسي، وهي إلزامية، وقد قُصد بها في هذه الدراسة الصفوف من الخامس الأساسي إلى العاشر الأساسي.

معلمو اللغة الإنجليزية: هم معلمو اللغة الإنجليزية للمرحلة الأساسية (من الصف الخامس إلى العاشر الأساسي) الذين يدرّسون هذه المادة في المدارس الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم للواء قصبه مادبا في السنة الدراسية ٢٠١٩/٢٠٢٠.

الطريقة والإجراءات

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة منهج البحث الوصفي المسحي، وذلك ملائمتة للإجابة عن أسئلتها.

مجتمع الدراسة وعينتها:

تكون مجتمع الدراسة من كافة المعلمين الذين يدرّسون اللغة الإنجليزية لصفوف المرحلة الأساسية من الخامس إلى العاشر الأساسي، في المدارس التابعة لمديرية التربية والتعليم الحكومية في لواء قصبه مادبا في

محافضة مأدبا في الفصل الأول من العام الدراسي ٢٠١٩-٢٠٢٠، والمقدر عددهم بحوالي (٢٢٥) معلماً ومعلمة، سُحبت منه بطريقة عشوائية بسيطة تألفت من (١٢٠) معلماً ومعلمة، شكلوا ما يزيد عن نصف أفراد مجتمع الدراسة، الجدول (١) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة بحسب سنوات خبرة المعلم.

الجدول (١): توزيع أفراد عينة الدراسة بحسب متغير سنوات الخبرة		
سنوات الخبرة	العدد	النسبة
أقل من (٥) سنوات	٢٩	%٢٤
من (٥-١٠) سنوات	٥١	%٤٣
١٠ سنوات فأكثر	٤٠	%٣٣
المجموع	١٢٠	%١٠٠

أداة الدراسة:

تكونت أداة الدراسة من استبانة تم إعدادها بعد استعراض الأدب النظري المتعلق بموضوع الدراسة، بما في ذلك معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها، لا سيما المعيار المتعلق بالتقييم. حيث تكونت الأداة بصورتها من (٣٧) فقرة صيغت وفق مقياس ليكرت الخماسي، وقد توزعت هذه الفقرات في ثلاثة مجالات، هي:

- ١- أغراض التقييم واستخدام نتائجه، وشمل الفقرات من ١-١١.
- ٢- تقييم الكفاءة اللغوية وفهم استخدام التقييم مرجعي المحك، وشمل الفقرات من ١٢-٢٢.
- ٣- تقييم الفصل الدراسي باستخدام إستراتيجيات التقييم القائم على الأداء وأدواته، وشمل الفقرات من ٢٢-٣٧.

وقد أعطيت تقديرات المعلمين وفق التدرج (دائماً، غالباً، أحياناً، نادراً، أبداً) العلامات (٥، ٤، ٣، ٢، ١) على الترتيب، بذلك تكون العلامة الصغرى على الأداة (٣٧)، والعلامة القصوى (١٨٥)، ولتقدير درجة فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم المحدد اعتمد التدرج الآتي: من ١,٠٠ - ٢,٣٣ ضعيفة، ومن ٢,٣٤ - ٣,٦٧ متوسطة، ومن ٣,٦٨ - ٥,٠٠ عالية.

صدق أداة الدراسة:

جرى التحقق من صدق المحتوى لأداة الدراسة بعرضها على مجموعة من المتخصصين والخبراء في مناهج وتعليم اللغة الإنجليزية من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية والمشرفين التربويين، وبعد الأخذ

بملاحظاتهم ومقترحاتهم استقرت الأداة بصورتها النهائية مؤلفة من (37) فقرة، حيث كانت هناك بعض الملاحظات المتعلقة بإعادة صياغة بعض الفقرات، لا سيما توحيد بعض المصطلحات وتجنب التكرار.

ثبات أداة الدراسة:

جرى التحقق من ثبات أداة الدراسة بطريقتين، هما: طريقة الاتساق الداخلي باستخدام معادلة كرونباخ ألفا (Cronbach-Alpha)، وطريقة الاختبار وإعادة الاختبار (test-retest)، إذ طبقت على (٢٠) معلماً ومعلمة من مجتمع الدراسة ممن لم يصبحوا ضمن عينتها، وأعيد تطبيقها عليهم بعد أسبوعين، وبعد ذلك جرى حساب معامل ثبات الاختبار باستخدام معامل ارتباط بيرسون بين نتائج التطبيقين، والجدول (٢) يبين النتائج:

الجدول (٢): معاملات ثبات أداة الدراسة			
الرقم	المجال	معامل ثبات الاتساق الداخلي	معامل ثبات الاستقرار
١	أغراض التقييم واستخدام نتائجه	٠,٨٠	٠,٨٢
٢	الكفاءة اللغوية	٠,٨٣	٠,٨٥
٣	التقييم القائم على الأداء	٠,٨١	٠,٨٨
	الدرجة الكلية	٠,٨٨	٠,٨٩

يتبين من الجدول (٢) أن معامل ثبات الاتساق الداخلي للأداة ككل بلغ (٠,٨٨) ومعامل ثبات الاستقرار بلغ (٠,٨٩)، وهذا يشير إلى تمتع الأداة بثبات مناسب لاستخدامها في هذه الدراسة.

متغيرات الدراسة:

اشتملت الدراسة على المتغيرات الآتية:

١- المتغير المستقل: وتمثل بالخبرة التدريسية للمعلم ولها ثلاثة مستويات، هي: قصيرة (أقل من ٥ سنوات)، ومتوسطة (من ٥ - ١٠ سنوات)، وطويلة (أكثر من ١٠ سنوات).

٢- المتغير التابع: وتمثل بفهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها.

إجراءات الدراسة:

اتّبعَت الدراسة في تنفيذها الإجراءات الآتية:

١- استعراض الأدب السابق المتعلق بموضوع البحث، لا سيما التقييم في تدريس اللغة الإنجليزية.

٢- بناء أداة الدراسة والتحقق من صدقها وثباتها.

٣- تطبيق الأداة على معلمي اللغة الإنجليزية عينة الدراسة.

٤- تحليل البيانات إحصائياً، واستخراج النتائج.

المعالجة الإحصائية:

جرى تحليل البيانات إحصائياً بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها، وتطبيق اختبار (t) لعينة واحدة، واستخدام تحليل التباين المتعدد (MANOVA) واختبار شففيه (Scheffe' Test).

نتائج الدراسة

أولاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الأول: ما درجة فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها ؟

للإجابة عن هذا السؤال، حُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة فهم المعلمين وممارستهم لمعيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها، كما في الجدول (٣).

الجدول (٣): المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، والرتب لدرجة فهم المعلمين وممارستهم لمعيار التقييم:				
الرقم	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة
١	أغراض التقييم واستخدام نتائجه	٣,٤٠	٠,٣٢	٢
٢	الكفاءة اللغوية	٣,٤٣	٠,٣٥	١
٣	التقييم القائم على الأداء	٣,١٨	٠,٢٨	٣
الدرجة الكلية		٣,٣١	٠,٢٩	-

يتبين من الجدول (٣) أن درجة فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها بشكل عام جاءت متوسطة، إذ تراوحت المتوسطات الحسابية لأدائهم على مجالات الأداة بين (٣,٤٣ - ٣,١٨)، وبدرجة متوسطة لها جميعاً.

يمكن تفسير هذا النتيجة بأن معظم معلمي اللغة الانجليزية هم من خريجي كليات اللغات والأداب وأقسام اللغة الإنجليزية فيها، وبالتالي لم يدرسوا في هذه المرحلة مواد في مجال أساليب التدريس وفنيات التقييم

وإستراتيجياته، وبالتالي فإن ما لديهم من معرفة في هذا المجال هو نتيجة التحاقهم بالدورات التدريبية غير المتخصصة في هذا المجال التي تعقدتها الوزارة بين الحين والآخر، التي عادة يمارس المعلمون فيها التقييم بالأسلوب التقليدي الذي تمّ تقييمهم به من قبل معلمهم عندما كانوا طلبة، وبالتالي فإن هذه المعرفة لم ترتقِ إلى المستوى الذي يمكنهم من تطبيق إستراتيجيات التقييم التي تتوافق مع التوجهات العالمية الحديثة، فجاءت معرفتهم بها وممارستهم لها بمستوى متوسط.

ويمكن تفسيرها - أيضاً- بأن المعلمين يميلون إلى استخدام طرق التقييم التقليدية والمتمثلة بالاختبارات الورقية كونهم اعتادوا عليها، ولما تتمتع به الاختبارات من مزايا مقارنة بطرق التقييم الحديثة كسهولة الإعداد والتطبيق وتفسير النتائج مقارنة بطرق التقييم الحديثة، فضلاً عن وجود العديد من العقبات التي تقف أمام ممارسة المعلمين لإستراتيجيات التقييم الصفي التي يحتاج تطبيقها إلى وقت طويل نسبياً، وأدوات ومواد، وحجم صف كبير، وعدد طلبة قليل، ومستوى معرفي ومهاري عال في اللغة الإنجليزية لدى الطلبة، وعدم توفر الدعم اللازم من الإدارة والإشراف التربوي وما إلى ذلك، حيث إن غالبية هذه المتطلبات غير متوفرة إلى الحد الذي يمكن المعلمين من ممارستها في أثناء تدريسهم اللغة الإنجليزية للطلبة.

واتفقت نتائج الدراسة الحالية مع معظم نتائج الدراسات العربية السابقة كدراسة مقبل والكادي (Moqbel and Al-kadi, 2020)، ودراسة الخرسى (Alkharusi, 2012)، ودراسة السواعي (Swaie, 2019)، وبعض الدراسات الأجنبية كدراسة مكونن (Mekonnen, 2014)، ودراسة أوز (Öz, 2014).

أما بالنسبة لفقرات كلّ مجال من مجالات الأداة فكانت النتائج على النحو الآتي:

١ - مجال الكفاءة اللغوية:

كانت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم لفقرات ضمن مجال الكفاءة اللغوية كما في الجدول (٤).

الجدول (٤): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب لفقرات مجال الكفاءة اللغوية				
الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة
١٩	أضع اختبارات تقيس جوانب لنمو في شخصية الطالب (المعرفية، المهارية، الوجدانية)	٣,٩٧	٠,٧١	١ مرتفعة
١٤	استخدام أساليب متنوعة في تقييم معاني المفردات التي يتم تعلمها	٣,٩٥	٠,٧٥	٢ مرتفعة
١٢	أبني عملية التقييم في اللغة الإنجليزية على أساس التكامل في تدريس مهاراتها	٣,٧٨	٠,٨٧	٣ مرتفعة
١٧	أطلب من الطلبة في نهاية كل حصة تقديم ملخص للأفكار والمعلومات التي تضمنها	٣,٦٨	٠,٩٤	٤ مرتفعة
١٦	أقوم تعلم اللغة الإنجليزية من خلال قيام الطلبة بالتعبير اللغوي الحرشفوياً وكتابياً	٣,٢٤	٠,٧٨	٥ متوسطة
٢٠	أقوم مهارة القراءة في اللغة الإنجليزية من خلال ممارستهم لها وفق معايير محددة	٣,٢٣	٠,٧٧	٦ متوسطة

١٣	أراعي في عملية التقييم ما يتم توظيفه من وسائل وتكنولوجيا تعليمية حديثة في تدريس اللغة الإنجليزية لتحقيق نتائج التعلم	٣,٢٢	٠,٧٨	٧	متوسطة
١٨	استخدام اختبارات تقيس مهارات التفكير الناقد والإبداعي لدى الطلبة	٣,٠٦	٠,٨٠	٨	متوسطة
٢١	أقوم طلبة بتعريضهم لنصوص متنوعة باللغة الإنجليزية والاستماع إليها واستخراج الأفكار الرئيسية المتضمنة فيها	٢,٧٩	٠,٦٢	٩	متوسطة
المجال الأول: الكفاءة اللغوية		٣,٤٣	٠,٣٥	-	متوسطة

يتبين من الجدول (٤) أن درجة فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمجال الكفاءة اللغوية كانت متوسطة، إذ بلغ المتوسط الحسابي لهذا المجال (٣,٤٣) بانحراف معياري (٠,٣٥)، وتراوحت المتوسطات الحسابية لفقراته بين (٣,٩٧-٢,٧٩)، إذ جاءت في المرتبة الأولى الفقرة (١٩) ونصها "أضع اختبارات تقيس جوانب النمو في شخصية الطالب (المعرفية، المهارية، الوجدانية)"، بمتوسط حسابي (٣,٩٧)، وبدرجة مرتفعة، وفي المرتبة الأخيرة الفقرة (٢١) ونصها "أقوم طلبة بتعريضهم لنصوص متنوعة باللغة الإنجليزية والاستماع إليها واستخراج الأفكار الرئيسية المتضمنة فيها" بمتوسط حسابي (٣,٧٩)، وبدرجة متوسطة.

وتعد هذه النتيجة منطقية، وقد يُعزى ذلك إلى أن واقع فهم معلمي اللغة الإنجليزية لمجال الكفاءة اللغوية يعد أساساً وحجر الزاوية لإحداث عملية التقييم، لما يشتمل عليه هذا الفهم من تبادل للآراء والأفكار الجديدة وتنمية روح المشاركة الجماعية، كما أنه يشجع معلمي اللغة الإنجليزية على تطبيق الأساليب والطرق المثلى لإكساب الطلبة المعرفة والمعلومة بالطرق الحديثة والصحيحة، فضلاً عن اهتمام المعلمين بالمهارات العقلية العليا والتفكير الناقد والإبداعي، واهتمامهم بجوانب النمو في شخصية الطالب.

٢ - مجال أغراض التقييم واستخدام نتائجه

كانت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم للفقرات ضمن مجال أغراض التقييم واستخدام نتائجه كما في الجدول (٥).

الجدول (٥): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب لفقرات مجال أغراض التقييم واستخدام نتائجه					
الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة الفهم
٩	تساعدني البيانات المتحصلة من تقييم تعلم اللغة الإنجليزية المستمر في تقديم ملاحظات حول المهام ومقترحات لتطويره	٣,٩٦	٠,٧٤	١	مرتفعة
٣	أستخدم التقييم في توجيه الطلبة أثناء تعلمهم اللغة الإنجليزية	٣,٨٥	٠,٨٣	٢	مرتفعة
١	أحرص في بداية تدريس موضوع جديد على تحديد ما لدى الطلبة من معرفة سابقة حوله	٣,٨٠	٠,٨٦	٣	مرتفعة
٧	أركز في عملية تقييم اللغة الإنجليزية على الجانب التطبيقي دون إهمال الجانب النظري	٣,٧٤	٠,٨٩	٤	مرتفعة
٨	من خلال قيامي بتوثيق مهارات الطالب وإمكاناته في اللغة الإنجليزية	٣,٣٩	٠,٧٧	٧	متوسطة

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة الفهم
١٠	أمكن من وضع نتيجته النهائية وتقدير مدى نجاحه بالمادة أنظر إلى الاختبار على أنه موقف تعليمي تعليمي لا يقل أهمية عن كونه أداة لجمع البيانات حول تعلم الطلبة	٣,٢٤	٠,٨٥	٨	متوسطة
٢	أستخدم التقييم للتعرف على مدى تقدم الطلبة في اللغة الإنجليزية	٣,١٩	٠,٦٨	٩	متوسطة
٥	توجيبي نتائج عملية التقييم وما اتخذته من أحكام وأصدره من قرارات بشأنها نحو تحقيق النتائج التعليمية	٢,٨٨	٠,٧٦	١١	متوسطة
١١	بعملية التقييم المستمر أتمكن من الكشف عن الأخطاء الشائعة لدى الطلبة في اللغة الإنجليزية	٢,٣٨	٠,٧٦	١١	متوسطة
المجال الثاني: أغراض التقييم واستخدام نتائجه					
		٣,٤٠	٠,٣٢		متوسطة

يتبين من الجدول (5) أن درجة فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمجال أغراض التقييم واستخدام نتائجه كانت متوسطة، إذ بلغ المتوسط الحسابي لهذا المجال (٣,٤٠) بانحراف معياري (٠,٣٢)، وتراوحت المتوسطات الحسابية لفقراته بين (٢,٣٨-٣,٩٦)، إذ جاءت في المرتبة الأولى الفقرة (٩)، ونصها "تساعدني البيانات المتحصلة من تقييم تعلم اللغة الإنجليزية المستمر في تقديم ملاحظات حول المنهج ومقترحات تطويره"، بمتوسط حسابي (٣,٩٦)، ودرجة فهم وممارسة مرتفعة، وفي المرتبة الأخيرة الفقرة (١١)، ونصها "بعملية التقييم المستمر أتمكن من الكشف عن الأخطاء الشائعة لدى الطلبة في اللغة الإنجليزية"، بمتوسط حسابي (٢,٣٨)، ودرجة فهم وممارسة متوسطة.

وقد يعود تدني مجال أغراض التقييم واستخدام نتائجه مقابل مجال الكفاءة اللغوية لإهمال بعض معلمي اللغة الإنجليزية لتطبيق الأفكار الجديدة التي تطرح خلال الدورات التدريبية وعدم استمرارهم بعملية التقييم أثناء العملية التعليمية، وقد تُعزى هذه النتيجة أيضاً إلى قلة خبرة معلمي اللغة الإنجليزية في استخدام إستراتيجيات تدريس حديثة واعتمادهم على الأساليب التقليدية.

٣ - مجال التقييم القائم على الأداء

كانت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم للفقرات ضمن مجال لتقييم القائم على الأداء كما في الجدول (6).

الجدول (6): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والرتب لفقرات مجال التقييم القائم على الأداء					
الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة الفهم
٢٤	أكلف الطلبة بتقديم عروض للموضوعات التي يجري تعلمها بطرق مختلفة مدعمة بالصور والرسومات والنماذج التوضيحية بالصور	٣,٩٣	٠,٧٤	١	مرتفعة
٢٩	أستخدم الأسئلة الشفوية كأداة تقييم تعلم اللغة الإنجليزية	٣,٨٩	٠,٨٠	٢	مرتفعة

٢٢	أكلف الطلبة بتعبئة الفراغات في خرائط مفاهيمية أقوم بإعدادها	٣,٧٤	٠,٨٨	٣	مرتفعة
٢٧	استخدام التقييم المعتمد على التعاون والعمل في مجموعات لإنجاز المهمة	٣,٧٠	٠,٨٧	٤	مرتفعة
٣٣	أعتمد تقييم الأقران كإستراتيجية في تقييم تعلم اللغة الإنجليزية	٣,٦٣	٠,٩٥	٥	متوسطة
٣٠	أقوم تعلم اللغة الإنجليزية باستخدام المحاكاة ولعب الأدوار كأن ينفذ الطالب حوارًا يرافقه حركات وإيماءات	٣,٣١	٠,٧٤	٦	متوسطة
٢٣	أستخدم أسئلة المقال قصيرة الإجابة وطويلة الإجابة في تقييم مهارات اللغة الإنجليزية المختلفة لدى الطلبة	٣,٢٠	٠,٦٤	٧	متوسطة
٢٥	أستخدم ملف الإنجاز (البورتفوليو) في تقييم تعلم الطلبة في اللغة الإنجليزية ومعرفة مدى تقدمهم فيه	٣,١٨	٠,٨٥	٨	متوسطة
٣٤	أستخدم مشروعات الطلبة في تقييم ادائهم في اللغة الإنجليزية	٣,١٧	٠,٦٨	٩	متوسطة
٢٨	أستخدم المناظرة حول موضوع معين في تقييم تعلم اللغة الإنجليزية	٣,١٦	٠,٦٤	١٠	متوسطة
٣٦	أقوم تعلم اللغة الإنجليزية لدى الطالب بتكليفه تعبئة سير التعلم الخاص بالأنشطة والمهام المكلف بها	٢,٩٧	٠,٧٩	١١	متوسطة
٣١	أقوم تعلم اللغة الإنجليزية لدى الطلبة من خلال أنشطة ومهام حقيقية مرتبطة بحياتهم	٢,٧٣	٠,٦٤	١٢	متوسطة
٣٥	أوضح للطلبة معايير تقييم الأداء	٢,٧١	٠,٩٧	١٣	متوسطة
٣٧	أستخدم الملاحظة في تقييم تعلم اللغة الإنجليزية لدى الطلبة وأدائهم فيها	٢,٦٣	٠,٧٧	١٤	متوسطة
٢٦	أستخدم قوائم الشطب وسلام التقدير في تقييم أداء الطلبة في اللغة الإنجليزية	٢,٥٤	٠,٨٢	١٥	متوسطة
٣٢	أتيح للطلاب فرصة تقييم تعلمه للغة الإنجليزية ذاتيا	٢,٣٤	٠,٥٧	١٦	متوسطة
	المجال الثالث: التقييم القائم على الأداء	٣,١٨	٠,٢٨		متوسطة

يتبين من الجدول (٤) أن درجة فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمجال التقييم القائم على الأداء كانت متوسطة، إذ بلغ المتوسط الحسابي لهذا المجال (٣,١٨) بانحراف معياري (٠,٢٨)، وتراوح المتوسطات الحسابية لفقراته بين (٣,٩٣-٢,٣٤)، إذ جاءت في المرتبة الأولى الفقرة (٢٤)، ونصها "أكلف الطلبة بتقديم عروض الموضوعات التي يجري تعلمها بطرق مختلفة، مدعمة بالصور والرسومات والنماذج التوضيحية"، بمتوسط حسابي (٣,٩٦)، وبدرجة فهم وممارسة مرتفعة، وفي المرتبة الأخيرة الفقرة (٣٢)، "أتيح للطلاب فرصة تقييم تعلمه للغة الإنجليزية ذاتيا"، بمتوسط (٢,٣٤)، وبدرجة فهم وممارسة متوسطة".

ويمكن تفسير تدني مجال التقييم القائم على الأداء مقابل المجالين السابقين إلى عزوف بعض معلمي اللغة الإنجليزية عن توظيف التكنولوجيا الحديثة كوسيلة للتواصل بين المعلمين والطلبة، وإلى ضعفهم في تطبيق إستراتيجيات التقييم الحديثة مثل التقييم البديل والواقعي ورغبتهم في تطبيق الأساليب التعليمية

التقليدية في العملية التعليمية؛ لأنها لا تحتاج إلى وقتٍ وجهدٍ كالأاليب الحديثة، فضلاً عن قلة توفر الوقت اللازم لتطبيق هذا التقييم، والخبرة والمعرفة بإستراتيجيات التقييم وأدواته لدى المعلمين، التي يحتاجونها لتحقيق التواصل البناء.

ثانياً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني: هل يختلف مستوى فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها عن المستوى المقبول تربوياً (٨٠%)؟

للإجابة عن هذا السؤال جرى تطبيق اختبار (ت) لعينة واحدة لإيجاد دلالة الفرق بين المتوسطات الحسابية لأداء عينة الدراسة على الأداة، وعلى كل مجال من مجالاتها والمستوى المقبول تربوياً (80%)، أي ما يعادل 4 من 5 على مقياس ليكرت الخماسي، والجدول (7) يبين نتائج ذلك.

الجدول (٧): نتائج اختبار (ت) لعينة واحدة لاختبار دلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية لأداء عينة الدراسة على الأداة ككل ومجالاتها والمستوى المقبول تربوياً					
الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	الدلالة الإحصائية
١	أغراض التقييم واستخدام نتائجه	٣,٤٠	٠,٣٢	٢٠,٤٢٩	٠,٠٠٠
٢	الكفاءة اللغوية	٣,٤٣	٠,٣٥	١٧,٨٩٦	٠,٠٠٠
٣	التقييم القائم على الأداء	٣,١٨	٠,٢٨	٣٢,٣٠٩	٠,٠٠٠
	الدرجة الكلية	٣,٣١	٠,٢٩	٢٦,٥٧٦	٠,٠٠٠

تشير النتائج في الجدول (٧) إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha=0,05$) بين متوسط درجات معلمي اللغة الإنجليزية عينة الدراسة في معيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها ككل وفي جميع مجالاته والمستوى المقبول تربوياً المحدد بالقيمة (٨٠%)، إذ بلغت قيمة (ت) للدرجة الكلية (٢٦,٥٧٦) بمستوى دلالة (٠,٠٠٠)، وتراوح قيم (ت) للمجالات بين (٣٢,٣٠٩ - ١٧,٨٩٦)، وبمستوى ودلالة (٠,٠٠٠) لها جميعاً، وكان الفرق لصالح المستوى المقبول تربوياً، وهذا يعني أن درجة فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها كان دون المستوى المقبول تربوياً.

وهذه النتيجة ترتبط بشكل مباشر بالنتيجة المتعلقة بالسؤال الأول من أسئلة هذه الدراسة، وتنسجم معها، ويمكن عزوها إلى الأسباب ذاتها التي أدت إلى ظهور هذه النتيجة.

ثالثاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث: هل يختلف مستوى فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها عند مستوى $(\alpha=0.05)$ باختلاف الخبرة التدريسية للمعلم؟

للإجابة عن هذا السؤال جرى حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها بشكل عام، ولكل مجال من مجالاته وفقاً لمتغير الخبرة التدريسية للمعلم، الجدول (٨) يبين ذلك.

الجدول (٨): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجة فهم وممارسة معلمي اللغة الإنجليزية لمعيار التقييم وفقاً لمتغير الخبرة التدريسية للمعلم				
المجال	الخبرة التدريسية	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
أغراض التقييم واستخدام نتائجه	أقل من (٥) سنوات	٢٩	٣,٣٤	٠,٣٧
	من (٥- أقل من ١٠) سنوات	٥١	٣,٣٧	٠,٣٣
	١٠ سنوات فأكثر	٤٠	٣,٤٩	٠,٢٦
الكفاءة اللغوية	أقل من (٥) سنوات	٢٩	٣,٤٣	٠,٤٢
	من (٥- أقل من ١٠) سنوات	٥١	٣,٣٦	٠,٣٢
	١٠ سنوات فأكثر	٤٠	٣,٥٤	٠,٣١
التقييم القائم على الأداء	أقل من (٥) سنوات	٢٩	٣,١١	٠,٢٩
	من (٥- أقل من ١٠) سنوات	٥١	٣,١٦	٠,٣٠
	١٠ سنوات فأكثر	٤٠	٣,٢٤	٠,٢٤
الدرجة الكلية	أقل من (٥) سنوات	٢٩	٣,٢٦	٠,٣٣
	من (٥- أقل من ١٠) سنوات	٥١	٣,٢٨	٠,٢٨
	(١٠) سنوات فأكثر	٤٠	٣,٣٩	٠,٢٤

يتبين من الجدول (٨) وجود فروق ظاهرية بين المتوسطات الحسابية لدرجة فهم وممارسة معلمي اللغة الإنجليزية لمعيار التقييم على الأداة ككل، وعلى كل مجال من مجالاتها وفقاً لمتغير الخبرة التدريسية للمعلم، ولتحديد فيما إذا كانت هذه الفروق دالة إحصائياً جرى تطبيق تحليل التباين المتعدد (MNCOVA)، والجدول (٩) يوضح نتائج ذلك.

الجدول (٩): نتائج تحليل التباين المتعدد لاختبار دلالة الفروق بين متوسطات أداء معلمي اللغة الإنجليزية لمعيار التقييم ككل ومجالاته وفقاً لمتغير الخبرة التدريسية للمعلم					
مصدر التباين	المجال	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)
عدد سنوات الخبرة	أغراض التقييم واستخدام نتائجه	٠,٤٥٥	٢	٠,٢٢٨	٢,٢٢٩
	الكفاءة اللغوية	٠,٧٣٤	٢	٠,٣٦٧	٣,١٧٤
					٠,١٠٨
					٠,٠٤٥

التقييم القائم على الأداء	٠,٣٠١	٢	٠,١٥١	١,٩٥٨	٠,١٤٦
الدرجة الكلية	٠,٣٨٧	٢	٠,١٩٣	٢,٤٤٦	٠,٠٩١
الخطأ	أغراض التقييم واستخدام نتائجه	١١٧	٠,١٠٠		
	الكفاءة اللغوية	١١٧	٠,١١٦		
	التقييم القائم على الأداء	١١٧	٠,٠٧٧		
	الدرجة الكلية	١١٧	٠,٠٧٩		
	أغراض التقييم واستخدام نتائجه	١١٩			
الكلي	الكفاءة اللغوية	١١٩			
	التقييم القائم على الأداء	١١٩			
	الدرجة الكلية	١١٩			

تشير النتائج في الجدول (٩) إلى عدم وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى $(\alpha=0,05)$ في درجة فهم معلمي اللغة الإنجليزية وممارستهم لمعيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها وفقاً لمتغير الخبرة التدريسية للمعلم، وذلك للمعيار ككل، ولمجالي أغراض التقييم، التقييم القائم على الأداء، في حين كان الفرق دالاً إحصائياً في مجال الكفاءة اللغوية، ولمعرفة لصالح أي فئة كان هذا الفرق الدال إحصائياً جرى تطبيق اختبار شيفيه للمقارنات البعدية، والجدول (١٠) يبين نتائج ذلك.

الجدول (١٠): نتائج اختبار شيفيه				
الخبرة التدريسية	المتوسط الحسابي	(١٠) سنوات فأكثر	أقل من (٥) سنوات	من (٥) إلى أقل من (١٠) سنوات
		٣,٥٤	٣,٤٣	٣,٣٦
(١٠) سنوات فأكثر	٣,٥٤	-	٠,١١	*٠,١٨
أقل من (٥) سنوات	٣,٤٣		-	٠,٠٧
من (٥) إلى أقل من (١٠) سنوات	٣,٣٦			-

* الفرق دال إحصائياً عند مستوى $(\alpha=0,05)$.

يتبين من الجدول (١٠) أن الفرق بين متوسطي معلمي اللغة الإنجليزية في مجال الكفاءة اللغوية لذوي الخبرة التدريسية (١٠ سنوات فأكثر) وذوي الخبرة التدريسية (من ٥ إلى أقل من ١٠ سنوات) سنوات كان دالاً إحصائياً عند مستوى $(\alpha=0,05)$ ، ولصالح المعلمين ذوي الخبرة التدريسية (١٠ سنوات فأكثر)، ولم تكن الفروق بين متوسطي المعلمين ذوي الخبرة التدريسية (١٠ سنوات فأكثر) وأقل من ٥ سنوات من جهة، وبين متوسطي المعلمين ذوي الخبرة التدريسية (أقل من ٥ سنوات) و (١٠ سنوات فأكثر) من جهة أخرى دالة إحصائياً.

يعزو الباحثون عدم وجود فروق دالة إحصائية في درجة فهم وممارسة معلمي اللغة الإنجليزية لمعيار التقييم بوصفه أحد معايير الاتحاد العالمي لتعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها وفقاً لمتغير الخبرة التدريسية، إلى أنّ أفراد عينة الدراسة قد خضعوا لنفس الدورات والورش التدريبية التي تعرض لها زملاؤهم، حيث كانت مصادر معرفتهم للتقييم بشكل عام متماثلة من خلال وزارة التربية والتعليم وبرامج إعداد المعلمين وورش العمل التي تنفذها الوزارة. وربما تكون سيادة الطرق والأساليب التقليدية في الميدان التربوي أثّرت في دافعية هؤلاء المعلمين وميلهم لاستخدام أساليب غيرها، لا سيما أنّهم لا يمتلكون المعرفة والمهارة الكافية لتطبيق التوجهات الحديثة في عملية التقييم، الأمر الذي دفعهم لممارسة السبل التقليدية للتقييم بصرف عن النظر عن سنوات خبرتهم التدريسية.

وقد اتفقت هذه النتيجة مع نتائج دراسة ثروت وآخرين (Sarwat, et al., 2021)، ودراسة أونلان وكارجل (Önalan and Karagül, 2018) ودراسة مقبل والكادي (Mogbel and Al-kadi, 2020)، ودراسة أبو رزق وأبو طه (Abu Rezeq, and Abu Taha, 2018) والتي أكدت أنّ معظم المعلمين يفضلون استخدام التقييم من أجل جمع معلومات حول أداء اللغة لطلابهم في أثناء التدريس بالدرجة الأولى، يليها استخدام آليات التقييم لجمع الملاحظات حول التدريس وتحسينه وهم أقل ميلاً لاستخدام التقييم النهائي، وأنّ سنوات خبرة المعلم ليس لها تأثير في تفضيلاتهم.

واختلفت مع نتائج دراسة مقبل (Mogble, 2020) والتي أشارت إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في نظرة أعضاء هيئة التدريس للتقييم البديل تعزى لمتغير الخبرة لصالح الخبرة القصيرة.

توصيات الدراسة ومقترحاتها:

في ضوء نتائج هذه الدراسة، فإنها توصي بالآتي:

- ١- تسليط الضوء بصورة أكبر على موضوع التقييم وأهدافه ووسائله وسبل تنفيذه وذلك بما ينسجم مع التوجهات العالمية الحديثة، لا سيما في ميدان تعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها.
- ٢- ضرورة قيام وزارة التربية والتعليم بإجراءات وممارسات فعلية تهدف إلى تطوير أداء معلمي اللغة الإنجليزية وفهمهم لتقييم تعلم اللغة الإنجليزية وفق التوجهات الحديثة من خلال عقد دورات تدريبية وورش عمل متخصصة تعنى بالجوانب المتعلقة بالتقييم.
- ٣- إعادة النظر بالممارسات التقييمية الحالية التي تعتمد الاختبارات التقليدية، إذ لم يعد مقبولاً استمرار فهم المعلمين للتقييم على أنه مرادف للاختبارات، واستمرار دور المدرسة محصوراً في نطاق إعداد الطلبة للاختبار بدلاً من الفهم.

المراجع:

المراجع العربية:

١. البشير، أكرم وبرهم، أريج (2012). استخدام إستراتيجيات التقييم البديل وأدواته في تقييم تعلم الرياضيات واللغة العربية في الأردن". مجلة العلوم التربوية والنفسية، ١٣ (1)، ٢٧٠-٢٤١.
٢. سويقي، فتحي (٢٠١٧). المعايير العالمية لمعلمي اللغات الأجنبية في القرن الواحد والعشرين. تم الرجوع اليه بتاريخ 30/3/2019 على الموقع <https://www.new-educ.com>
٣. العياصرة، أحمد (2017). تصورات معلمي العلوم للمرحلة الأساسية في قرية أردنية للتقييم البديل وكيفية استخدامهم له، المنشأة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، 4 (1)، 187-209.
٤. النوح، عبد الكريم (٢٠١٤). معرفة معلمات اللغة الإنجليزية واتجاهاتهن نحو استخدام التقييم البديل. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الكويت، الكويت.

المراجع الأجنبية:

1. Abu Rezeq, K. A & Abu Taha, M. A. (2018). The level of using alternative assessment strategies among English language teachers in the preparatory stage in government schools in Gaza. Journal of Al-Quds Open University for Educational & Psychological Research & Studies, 24, 1-18. Doi: 10.5281/zenodo.1344989
2. Alkharusi, H., Aldhafri, S., Alnabhani, H., & Alkalbani, M. (2012). Educational assessment attitudes, competence, knowledge, and practices: An exploratory study of Muscat teachers in the Sultanate of Oman. Journal of Education and Learning, 1(2), 217-232.
3. Al-Nouh, N., Taqi, H., and Abdul-Kareem, M. (2014). EFL Primary School Teachers' Attitudes, Knowledge and Skills in Alternative Assessment. International Education Studies, 7(5), 68-84.
4. Asassfeh, S. M. (2019). Teachers' Assessment Preferences and Prevalent Practices: The Case of Jordan. International Journal of Linguistics, Literature and Translation (IJLLT), 2(7), 67-74.
5. Baniabdelrahman, A. A. (2010). The effect of the use of self-assessment on EFL students' performance in reading comprehension in English. The Electronic Journal for English as a Second Language, 14(2), 1-17.
6. Dogan, M. (2011). Student teachers' views about assessment and evaluation methods in mathematics. Educational Research and Reviews, 6(5), 417-431.
7. Kirkgoz, Y., Muzaffer Pinar Babanoglu, M., and Reyhan Ağcam, A. (2017). Turkish EFL Teachers' Perceptions and Practices of Foreign Language Assessment in Primary Education. Journal of Education and e-Learning Research, 4(4), 163-170, DOI: 10.20448/journal.509.2017.44.163.170
8. Mekonnen, G. T. (2014). EFL classroom assessment: Teachers' practice and teaching techniques adjustment in Ethiopia. Educational Research and Reviews, 9(20), 1071-1089, 2014 DOI: 10.5897/ERR2014.1857.

9. Moqbel, M. S. (2020). Using Alternative Assessment to Assess Undergraduate EFL Students at Yemeni Universities: Challenges from the Perspectives of Faculty. *ELS Journal on Interdisciplinary Studies on Humanities*, 3(3),
10. Moqbel, M. S., and Al-kadi, A. M. (2020). Alternative Assessment in English Departments at Yemeni. *Journal of Educational Sciences and Human Studies*, 5(12), p.30.
11. Monib, W., Karimi, A. & Nijat, N. (2020). Effects of alternative assessment in EFL classroom: A systematic review. *American International Journal of Education and Linguistics Research*, 3(2), 7-18.
12. Önal, O., and Karagül, A. E. (2018). A study on Turkish EFL teachers' beliefs about assessment and its different uses in teaching English. *Journal of Language and Linguistic Studies*, 14(3), 190-201.
13. Öz, H. (2014). Turkish Teachers' Practices of Assessment for Learning in the English as a Foreign Language Classroom. *Journal of Language Teaching and Research*, 5(4), 775-785.
14. Saefurrohmah, E. and Balinas, S. (2016). English Teachers Classroom Assessment Practices. *International Journal of Evaluation and Research in Education (IJERE)*, 5(1), 82-92.
15. Sarwat, S., Akram, M., ul Ain, Q., Shahzad, W., Iqbal, A., and Salman, M. (2021). A Study on APSACS Karachi Zone ESL Teachers' Notion about Assessment and Its Numerous Employment in English Pedagogy. *International Journal of English Linguistics*. 11(1), 206-2012.
16. Song, E., & Koh, K. (2010). Assessment for learning: Understanding teachers' beliefs and practices. Paper presented at the 36th Annual Conference of the International Association of Educational Assessment, Bangkok, Thailand. Retrieved at 2 February 2021 from https://repository.nie.edu.sg/bitstream/10497/16733/1/IAEA-2010-SongE_a.pdf
17. Stoyanoff, S. (2012). Looking backward and forward at classroom-based language assessment. *ELT Journal*, 66(4), 523-532. doi:10.1093/elt/ccs041
18. Swaie, M. T. (2019). An Investigation of Jordanian English as a Foreign Language (EFL) Teachers' Perceptions of and Practices in Classroom Assessment. A thesis submitted to the Faculty of Graduate and Postdoctoral Affairs in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts, Carleton University Ottawa, Ontario, Canada.
19. Widiastuti, S. (2008). Teachers' classroom assessment and grading practices. *SHS Web of Conferences* 42, 00052 (2018). Publisher: EDP Sciences
20. Zhang, Z. & Burny-Stock, J. A. (2003). Classroom Assessment Practices and Teachers' Self-Perceived Assessment Skills. *Applied Measurement in Education*, 16(4), 323-342.

الآثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا وعلاقتها بالتكيف

المختصر لدى طلبة المدارس ذوي الإعاقة في مدينة عمان

د. إيناس محمد ابراهيم السفاسفة* أ.د محمد ابراهيم السفاسفة**

تاريخ الوصول: ١/١١/٢٠٢٠م

تاريخ القبول: ٧/٤/٢٠٢١م

ملخص

هدفت الدراسة التعرف إلى مستوى الآثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا لدى الطلبة ذوي الإعاقة في مدارس مدينة عمان، ومستوى التكيف المختصر لديهم في ظل انتشار هذا الفيروس، واستقصاء العلاقة بين هذين المتغيرين في ضوء: جنس الطلبة ونوع إعاقتهم، وذلك من خلال تقديرات معلمهم لمستويات هذين المتغيرين لدى هؤلاء الأفراد، تكون عدد أفراد الدراسة من (١٨٨) طالبا وطالبة من ذوي الإعاقات (الحركية، والبصرية، والسمعية)، ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام مقياسين، تمتعا بدلالات صدق وثبات مناسبين، وهما مقياس الآثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا، ومقياس التكيف المختصر. أشارت النتائج إلى أن مستوى الآثار النفسية لدى الطلبة ذوي الإعاقة (الحركية، والبصرية، والسمعية) والنتيجة عن انتشار فيروس كورونا جاء مرتفعا على الدرجة الكلية، وأن مستوى التكيف المختصر جاء منخفضا لدى أفراد هذه الفئات من الإعاقة، كما أشارت النتائج إلى أن هناك علاقة ضعيفة وعكسية وغير دالة إحصائياً بين هذين المتغيرين، ولم تختلف هذه العلاقة باختلاف متغيري: جنس الطلبة، ونوع الإعاقة. وخلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات، أهمها: ضرورة تدريب الأفراد من ذوي الإعاقة على أساليب وطرق التكيف المختصر، لاستخدامها أثناء انتشار الأوبئة، لتقليل الآثار النفسية التي قد تترتب عليها.

الكلمات المفتاحية: الآثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا، التكيف المختصر، الطلبة ذوي الإعاقة.

* باحثة، أخصائية في التربية الخاصة، وزارة التربية والتعليم- الأردن

** أستاذ دكتور، الإرشاد النفسي والتربوي، كلية العلوم التربوية، جامعة مؤتة - الأردن

The Psychological Effects Resulting from the Spread of Corona Virus (COVID-19), and the Relationship with Their Brief- Coping among the Handicapped Students in Amman.

Abstract

The study aimed to identify the level of psychological effects resulting from the spread of the Corona virus among students with disabilities in Amman schools, and their brief adaptation level in light of the spread of this virus, and to investigate the relationship between these two variables in light of: the students' gender and the type of their disability, through their teachers' estimates of these two levels. The two variables among these individuals, the number of study members consisted of (188) male and female students with disabilities (movement, visual, and hearing). Brief adaptation. The results indicated that the level of psychological effects for students with disabilities (movement,, visual, and auditory) resulting from the spread of the Corona virus was high on the total score, and that the level of brief adaptation was low among members of these groups of disabilities, and the results indicated that there is a weak relationship It is inverse and not statistically significant between these two variables, and this relationship did not differ according to the two variables: gender of students, and type of disability. The study concluded with a set of recommendations, the most important of which are: The necessity of training individuals with disabilities on methods and methods of brief adaptation, to be used during the spread of epidemics, to reduce the psychological effects that may result from them.

Key Words: Psychological Effects Resulting from the Spread of Corona virus, Brief- Coping, Students with Handicaps.

المقدمة والخلفية النظرية:

يواجه الأفراد ذوو الإعاقة تحديات وصعوبات ومشكلات قد لا يستطيعون مواجهتها بما يتوافر لديهم من إمكانيات حالية، والتي قد تحد من نسبة نشاطهم الشخصي والاجتماعي، ونسبة مساهمتهم في بناء المجتمع وتقدمه، الأمر الذي يستدعي رعايتهم وتوجيه الأنظار لهم في جميع الظروف العادية والظروف غير الاعتيادية التي قد يتعرض لها الأفراد في كافة المجتمعات، فقد تأثر العالم بأزمة كورونا ليشمل كافة مجالات حياة الأفراد والجماعات والدول والعالم بأسره، حيث انعكس سلباً على صحتهم النفسية والجسمية، ولعل أكثر الشرائح الاجتماعية تأثراً هم الأفراد ذوو الإعاقة، وذلك لطبيعة ظروفهم الخاصة ومستوى مرونتهم النفسية وقدرتهم في التحمل، حيث أصبحت أوضاعهم وظروفهم أكثر تعقيداً، وأكثر معاناة يومية تزداد وتكبر مما جعل واقعها مريراً: صحياً وتعليمياً واقتصادياً واجتماعياً، فقد أصبح الجانب النفسي لديهم متعباً ومثقلاً من خلال تبعات الظروف الاستثنائية التي فرضت على كافة أفراد المجتمعات بشكل عام، وقد أسهم انتشار هذا الوباء في زيادة مستوى الضغوط النفسية لكل الشرائح الاجتماعية وبخاصة لذوي الإعاقة، مما يستوجب العمل والتركيز لمضاعفة الجهود في التأهيل المركز والتدريب الخاص والإيواء، وغيرها من الخدمات، وذلك لرعايتهم ومساعدتهم في التوافق الشخصي والاجتماعي، لهذا يتوجب التركيز والانتباه والتخطيط السليم لاحتوائهم في هذا الطرف الاستثنائي، حيث يلاحظ أن هذه الشريحة بكل فئاتها المختلفة ليست على رأس الأجندة الرسمية والوطنية في الرعاية والاهتمام، مما يجعلهم يواجهون تحديات أكثر مما كانوا يواجهونها قبل انتشار هذا الوباء، وتتمثل هذه التحديات بعدم وصول المعلومة الصحيحة في الوقت المناسب، كل ذلك يجعلهم أكثر عرضة للإصابة، وأكثر قلقاً حول الإصابة بهذا الفيروس، وهذا من شأنه أن يجعلهم أكثر حذراً وترقباً من جهة، وأكثر حرصاً وقلقاً من الإصابة من جهة أخرى.

ففي الوقت الذي يعاني منه الأفراد ذوو الإعاقة في الأوقات الصعبة من التهميش وعدم الاهتمام، خاصة في البلدان العربية ودول العالم الثالث، فإن أزمة كورونا التي اجتاحت العالم بأسره أضافت لهم معاناة فوق معاناتهم الناتجة عن إعاقاتهم، فعرضتهم لمخاوف ومخاطر كبيرة مرتبطة بظهور هذا الفيروس، الأمر الذي سبب لهم آثاراً نفسية انعكست سلباً في مستوى صحتهم النفسية، ولعل لبعض الإجراءات الرسمية التي تم اتباعها للتعامل مع ظروف هذه الجائحة بعض الآثار النفسية أيضاً، مثل: التباعد الاجتماعي، والعزل الصحي،

وإغلاق المدارس، والتعليم عن بعد، وغيرها من الإجراءات. لهذا يتوجب على الجهات الرسمية أن تبذل جهودًا إضافية لحماية حقوق الأفراد ذوي الإعاقة، في الاستجابة لتبعات الأزمات التي تحدث خوفًا وقلقًا، تجنبًا لتعرضهم للخطر والخوف من الموت، وبالتالي لا بد من التشاور والتواصل معهم بانتظام لتلبية احتياجاتهم وضمان حقوقهم في الصحة والتعليم والخدمات الأخرى، وبخاصة أثناء الأزمات والطوارئ وانتشار الأوبئة، إضافة إلى تأمين حصولهم على الدعم النفسي والاجتماعي المناسب، فهم بحاجة التشاركية في الجهود لتقديم أفضل الخدمات بشكل مؤسسي ومنظم، لتمكينهم من المساهمة في العمل والانجاز والبناء (الخالدي، ٢٠١٤).

وتشهد مجالات الحياة بأكملها، وبخاصة ميدان التربية الخاصة، في وقتنا الراهن اهتماما غير مسبوق لقضايا وشؤون الأفراد ذوي الإعاقة، حيث يمتلك هؤلاء الأفراد طاقات كامنة يجب استثمارها وتفعيلها، لتهيئتها للمساهمة في البناء وتطوير وتقديم مجتمعاتهم، ولعل استثمار طاقاتهم ربما يؤدي إلى التخفيف عنهم واعتبار أنفسهم منتجين وليس عالة على غيرهم، وتعديل سلوكياتهم الاعتمادية على الآخرين، للوصول إلى قدر مناسب من جودة الحياة، وضمان عدم التحيز ضدهم بسبب إعاقته التي يعانون منها، ومن ثم يصبح من الضروري مساعدتهم وإدماجهم بصورة كلية شاملة في المجتمع، وفي الحياة بكل ما فيها ومع من فيها، لذلك لا بد من استثمار بقايا قدراتهم وجوانب قوتهم للحد من نظرتهم حول أنفسهم بالشعور بأنهم أقل شأنًا من غيرهم، وأن لديهم شعورا بالنقص والقصور، فهذا يشكل أهم واجب إنساني لهم على مجتمعاتهم في الأوقات العادية والظروف الاعتيادية، وهي من الأولويات في أوقات الأزمات والكوارث والأحداث الطارئة، فهم أكثر الفئات تأثرا فيجب احتواؤهم وحمايتهم ليستطيعوا التعايش بشكل مناسب مع كل ما يستجد (محمد، ٢٠١٥). وهذا هو حال الأفراد ذوي الإعاقة وقت انتشار وباء كورونا، حيث يتوجب في هذه المرحلة وضع خطط خاصة بهم، لتقليل وخفض مستوى الآثار النفسية التي قد تنتج عن انتشار هذا الوباء وتأثيره عليهم.

وتتسبب الإعاقة بآثار نفسية واجتماعية متعددة وبمستويات متباينة، لتؤثر على شخصيات هؤلاء الأفراد، تختلف باختلاف نوع الإعاقة وشدتها، حيث تؤدي الإعاقة إلى نسبة عجز متباينة بين الأفراد، فيؤثر هذا العجز في التوافق النفسي والصحة النفسية، وبالتالي الشعور بالنقص وعدم الكفاية وتدني مفهوم الذات، كما يعاني هؤلاء الأفراد من مشكلات التمييز والتحيز في المجتمع وداخل بعض الأسر، فينظر لبعض الأفراد في المجتمع إلى ذوي الإعاقة

بوصفهم مجموعة يجب الخوف منها، وبالتالي يجب عزلها اجتماعيا، ويعتمد دور هذه الإعاقة في المجتمع إلى حد كبير على اتجاهات الناس نحوهم، كما أن لديهم عجزا يتمثل بصعوبة الاستجابة، أو صعوبة التكيف مع متغيرات البيئة المحيطة بهم، نظرا للأعباء أو الاتجاهات الاجتماعية السلبية، وبالتالي تؤثر هذه الإعاقة سلبا في مستوى صحتهم النفسية، ونظرتهم لأنفسهم وإمكاناتهم الذاتية، خاصة عندما يقارنون أنفسهم مع الآخرين من مستوياتهم العمرية (الحديدي، ٢٠٠١). كما يعاني هؤلاء الأفراد من مستويات مرتفعة من الضغوط النفسية التي تفرضها عليهم طبيعة الحياة المعاصرة، وتنتج عن الإحباطات والصراعات والمطالب الاجتماعية التي قد لا يستطيعون القيام بها، حيث تعتبر هذه الإحباطات والصراعات عقبات بيئية أو اجتماعية، تنعكس في التكوين النفسي بشكل سلبي، من هنا فإن هذه الشريحة الاجتماعية (ذوي الإعاقة) بحاجة إلى المزيد من الرعاية والدعم والمساندة النفسية والاجتماعية في الظروف الاعتيادية التي يعيشها هؤلاء الأفراد (بن ستي، ٢٠١٣). ولهذا لا بد من الوقوف على الآثار النفسية والصحية والاجتماعية متمثلة بالانتهاكات التي يتعرضون إليها أو ما قد يواجههم من تحديات بسبب الأوضاع المجتمعية السائدة، مما قد يؤثر في حقهم الطبيعي في الحياة من الحصول على الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية المناسبة لهم، وهذا يستوجب العمل على مضاعفة إجراءات الوقاية والعلاج لهم في ظل مثل هذه الجائحة، فقد أصبح بعضهم معرضا للفصل من العمل لكونه من ذوي الإعاقة، فقد عانوا من الإقصاء والتمييز والإهمال، وذلك بسبب الصورة النمطية المأخوذة عنهم بما يتعلق بقدراتهم على الإنجاز والكفاءة في العمل، على اعتبار أن كورونا المستجد زاد من التحديات التي تواجه كافة أفراد المجتمع، وأكثرهم تأثرا هم من ذوي الإعاقة، لذلك لا بد من مراجعة التشريعات الخاصة بهذه الفئات من ذوي الإعاقة، لضمان حقوقهم في الحياة في الأوضاع الطبيعية وغير الطبيعية كالظروف الاستثنائية مثل جائحة كورونا، كما أن الاتجاهات الاجتماعية السائدة تحتاج إلى دراسات وبحوث لتعديلها وتصويب النظرة الاجتماعية السلبية نحو أفراد هذه الفئات وإمكاناتهم الذاتية، مما يؤدي إلى حسن استثمار الإمكانيات والطاقات لينعكس ذلك إيجابا في نظرتهم لأنفسهم، فيكونوا أكثر صلابة في ظل الجوائح والأزمات (السفاسفة والسيد، ٢٠٢٠).

ولعل الاستعداد النفسي لتجنب الآثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا الناتجة عن الخوف من إصابة الانسان أو عائلته بالعدوى، أو نتيجة الحجر المنزلي، أو نتيجة حدوث

مشاكل في الدخل الاقتصادي للعائلة، وكذلك نتيجة ضعف الروابط الاجتماعية الناتجة عن التباعد الاجتماعي. ويؤكد السفاسفة وعربيات (٢٠١٤) أن الإنسان يتعرض في حياته إلى العديد من الضغوط النفسية والمشكلات، فالبعض يستطيع أن يقاوم هذه المشكلات ويتكيف معها ويحافظ على صحة نفسية عالية، والبعض الآخر لا يستطيع أن يتكيف مع هذه المشكلات ويصبح عرضة للإصابة بالاضطرابات النفسية، ويتعلق هذا بمستوى وصيد الإحباط عند هذا الفرد، وقدرته في التحمل واستعداده وقابليته لتقبل الصدمات والتعامل معها، فليس معنى الراحة النفسية أن الإنسان لا يصادف عقبات أو صعوبات أو تحديات وموانع تقف في طريق إشباعه لحاجاته المختلفة وتحقيق أهدافه في الحياة، فكثيراً ما يصادف الأفراد هذه العقبات في حياتهم اليومية، ولكن المتمتع بالصحة النفسية المناسبة هو الذي يستطيع التعامل مع أي طارئ بطريقة ترضاهم نفسه ويرضى عنها الآخرون والمجتمع، فمن أهم مميزات المتمتع بالصحة النفسية قدرته في الصمود حيال الأزمات والشدائد دون أن يختل توازنه ودون أن يلجأ إلى أساليب ملتوية وغير ملائمة لمواجهة أزمته وحلها.

وعندما تظهر الأزمات تكون الأحداث التي يمر بها الأفراد غير عادية، أو أن هناك حاجة إلى طرق تفاعل مع الموقف تفوق قدرات هؤلاء الأفراد، بحيث لا يستطيعون التعامل معها بما يمتلكون من إمكانيات حالية، حيث يصل عندها الفرد إلى حالة من القلق والخوف والتوتر، ولأن الأفراد في أوضاعهم العادية لا يتحملون وضع الأزمة لمدة طويلة، حيث يبدؤون بالبحث عن طرق للنجاة وحلول ضمن إمكانياتهم العادية (الهابط، ٢٠٠٨). أما الأفراد ذوو الإعاقة فإنهم أقل إمكانيات في هذا المجال، لذلك تراهم أكثر بحثاً عن طرق النجاة، فيلجؤون إلى تبني طرق واستجابات جديدة وتحت إشراف الأفراد العاديين، بعض هذه الطرق صحي وتكفي وبعضها الآخر غير صحي وغير تكفي، فإذا ما تم تبني هذه الطرق فإن ذلك قد يؤدي إلى ظهور مشكلات نفسية وآثار غير محمودة، ومن هذه الطرق: النكران، وإلقاء اللوم على الآخرين، وعدم التصديق بوجود أزمة، واتخاذ موقع الضحية، وطلب الشفقة وغيرها، لذلك يجب التعامل مع الأزمات بطرق صحية تكيفية بمساعدة الأفراد (التميمي، ٢٠٠٦). من هنا لابد من مساعدة هؤلاء الأفراد في تبني الطرق المناسبة من خلال تدريبهم عليها، ومنها أساليب التكيف المختلفة، مثل إستراتيجية التكيف المختصر. أن الضغط النفسي هو نموذج من (Carlson, Martin & Buskist. 2013) أشار كارلسون وآخرون

الاستجابات المعرفية أو العاطفية أو السلوكية أو الفسيولوجية، لمثير قد يهدد أو يؤدي أوضاع الفرد الجيدة أو قد يمنعه من تحقيق أهدافه، لذا فإن التكيف مع الضغط الناتج عن الأحداث الحياتية اليومية، والأحداث الطارئة وغير المتوقعة أمرين شائعين، ويصبح ضرورة ملحة لدى الفرد كي يتمكن من مواصلة الحياة، من هنا تكمن أهمية التكيف في التركيز على القوة والإرادة بدلاً من التركيز على الصدمة أو ألم الخسارة والفقدان، ويتضمن التكيف مستويات، مثل: الإدراك الأولي، وإدراك الخسارة أو الخطورة، ومواجهة الخسارة، والاكتمال، والحل، وإعادة الصياغة الإيجابية، ثم يأتي التكيف، ولعل الأفراد ذوي الإعاقة وأسرهم هم أكثر تشوشاً في إدراك الموقف والتعامل معه، ما لم يحدث نوع من التدخل الإرشادي أو العلاجي والدعم لهم ولأوضاعهم التي يمرون بها أو يكتسبون إستراتيجيات يستطيعون من خلالها التكيف مع حياتهم غير العادية. إن إستراتيجيات التكيف المختصر هي أساليب معرفية استخدمت من قبل الأفراد المأزومين لتقييم التوترات، وممارسة التدريبات التي تهدف إلى تقليل حدة الصدمات والتوتر، فمثلاً هناك إستراتيجية حل المشكلات للمواقف السلبية، وهي نوع من الإستراتيجيات التكيفية التي تضمن البحث عن المعلومات والدعم والمساندة الاجتماعية، فإذا ما تم استثمار هذه الإستراتيجيات بكفاءة، فإنه يمكن تحقيق مستوى مناسب من التكيف الذاتي أولاً والاجتماعي ثانياً، ولهذا يمكن التغلب على المواقف المسببة للضغط النفسية من خلال تنمية هذه الإستراتيجيات، حيث يتوجب العمل على مساعدة الأفراد ذوي الإعاقة وأسرهم في إحداث التغييرات المرغوبة لخفض مستوى التعرض لهذه الضغوط، مثل: الصحة العامة لأفراد الأسرة، والطاقة الكامنة لديهم، ومهارات حل المشكلات، والعلاقات الأسرية، ومصادر الدعم. (Bailey & Smith, 2003)

إستراتيجيات التكيف: يمكن الوصول لتكيف مناسب وحسن من خلال مجموعة من الإستراتيجيات المختلفة (السفاسفة ومعابرة والسفاسفة، ٢٠٢٠)، ومنها:

١- إستراتيجية إعادة الصياغة الإيجابية: وتقوم هذه الإستراتيجية على تعليم الأفراد الذين يواجهون مشكلات ومواقف طارئة ناتجة عن طريقة تفكيرهم حول هذه الأحداث التي تواجههم، حيث يقوم الفرد من خلال تدريب معين بإعادة الصياغة لجملة أو عبارة أو فقرة معينة، مرتبطة بأفكاره ومعتقداته بطريقة يحتفظ بها بالمعنى، فيختار ألفاظاً وفقرات وعبارات أخرى إيجابية ليستخدمها، مما يساعده في الاستبصار أكثر ومن جديد في معاناته أو مشكلته.

٢ - إستراتيجية الضبط الذاتي: وتتمثل في قدرة الفرد في السيطرة على الأحداث والمواقف من خلال تحكم داخلي، وهذا يرتبط بإرادة الفرد الداخلية وتوجهه وكفائاته وإمكاناته الذاتية، ويكون الضبط الذاتي بالطريقة التي يدرك بها الفرد نفسه مسؤولاً عن سلوكه ومتحكماً فيه، فلا يستمد قيمته من الآخرين أو تكون معايير الحكم على السلوك من الآخرين، بل تكون نابعة من رغبته الشخصية في التحكم بسلوكه ومراقبته، ويكون التحكم من خلال لغة الفرد وحديثه مع نفسه، ثم تقييم السلوك وتعزيزه، وبالتالي تعديل الظروف الانفعالية المتعلقة بالفرد، بمعنى تعديل ردود أفعاله الانفعالية المرتبطة بالسلوك.

٣ - إستراتيجية الحديث الذاتي: وتشير هذه الإستراتيجية إلى أن الناس يضعون لأنفسهم مطالب قد تكون غير منطقية وغير عقلانية، مما قد يتيح ظهور أعراض وشذات ومعاناة وضغوط نفسية معينة، حيث تكون هذه المحادثات الذاتية للأفراد مع أنفسهم معتمدة على أساس معتقداتهم حول أنفسهم وإمكاناتهم الشخصية في التعامل مع مشكلاتهم ومعاناتهم، وتتضمن هذه الإستراتيجية: استكشاف الفرد لحديثه الذاتي السلبي مع نفسه حول بعض المواقف مصدر الضغوط، ثم تقييم المعتقدات والوعي بالأسباب وراء استخدام الحديث السلبي، بمعنى ماذا يحقق هذا الحديث للفرد؟ ثم القيام بالمواجهة لهذه الأفكار وإحلال الأفكار الإيجابية مكانها، وزيادة عدد الأفكار الإيجابية واستخدامها في الحديث مع نفسه.

٤ - إستراتيجية التنفيس أو التفريغ الانفعالي: فعند ما يتعرض الأفراد إلى مواقف ضاغطة وصادمة وطائرة أو تحديات وصعوبات معينة، فإنهم يشعرون بالتوتر والضغط مما قد ينتج لديهم ردود فعل انفعالية مختلفة، من هنا يمكن التعامل معها ومحاولة التخلص منها تمهيدا للعودة إلى حالة الاتزان العام الذي كان عليه الفرد سابقا، وتتضمن هذه الإستراتيجية أن يقوم الفرد بالتعبير عما بداخله عن مشاعر أو ضيق أو صراع وبصورة تلقائية ليتاح له تفريغها في موضوعات أخرى لا تشكل عبئا عليه، وذلك من خلال: الكلام، أو الحركة، أو أي سلوك آخر لتفريغ الانفعال الزائد على شكل: رسم، أو لعب، أو تمثيل، أو كتابة، أو صراخ وغير ذلك.

٥ - إستراتيجية رسائل الأنا: وهي إستراتيجية ذات تأثير فاعل في توجيه الفرد لتحمل مسؤولية مشاعره وسلوكه واتجاهاته، دون إلقاء اللوم على الآخرين، حيث تساعد في أن يدرك أنه مطالب باتخاذ إجراءات معينة في محاولة لتغيير موقف ما يشعر به أنه هو المسؤول في ذلك، وهي إستراتيجية تساعد في التعبير عن المشاعر بطريقة تقلل من الهجوم المضاد، حيث يتصدرها ضمير المتكلم "أنا"، ويتم بالاستماع لرسائل الفرد الصادرة بشأن مشكلته

ومسؤوليته تجاهها، مع رصد السلوكيات أو المشاعر التي توجهه للآخرين، ثم يتم القيام باستبدال الضمائر الفردية في مواقف معينة إلى ضمائر تحمل في طياتها تحمل المسؤولية تجاه السلوكيات، ثم البدء في استخدامها بحيث يكون ضمير "أنا" هو الاستهلال بها، وبالتالي التعرف لنتائج السلوك من خلال تغذية راجعة من الآخرين.

٦ - إستراتيجية حل المشكلات: وتعد هذه الإستراتيجية ذات تأثير بالغ في تعامل الفرد مع المواقف الصادمة، وهي عملية يحاول فيها الفرد الخروج من موقف ضاغط، بحيث يشتق منها قواعد من مستوى أعلى، تساعد الفرد في حل مشكلاته، وتتضمن: اكتشاف المشكلة وتحديدتها، ثم توليد واشتقاق البدائل وفحصها، واختيار أنسبها وأفضلها، بمعنى اتخاذ القرار بالبديل المناسب وتنفيذه، والتحقق من الحل للوصول إلى الهدف المنشود.

٧ - إستراتيجية التدريب السلوكي: حيث يتعلم الفرد نوعاً جديداً أو مختلفاً من السلوك، تمهيداً لإصدار الاستجابة المختلفة لمواقف معينة، وتتضمن هذه الإستراتيجية تلقي التغذية الراجعة والمشاركة بشكل متكرر في إصدار السلوك المرغوب والمحدد، من خلال لعب أدوار للسلوكيات التي تحدث في الحياة اليومية للتخفيف من القلق والتوتر، وذلك من خلال تحديد السلوك المستهدف، ثم نمذجة هذا السلوك على شكل مجزأ إلى مهارات فرعية متسلسلة مكونة له، يمارسها الفرد ويحاول تكرارها في بيئة طبيعية وآمنة، وتوظيفه في حياته مستقبلاً وفي مواقف أخرى.

٨ - الإستراتيجية التدعيمية: وتقوم هذه على تحسين نمط سلوك الفرد ومشاعره، لمساعدته في الاستبصار بإمكاناته الذاتية لاستثمارها في مواجهة الآثار النفسية السلبية الناتجة عن التعرض للمواقف والأزمات والصعوبات، بهدف تحسين نظرة الفرد لنفسه وللحياة الاجتماعية، وكذلك استعادة تقديره المرتفع لذاته والتعبير عن انفعالاته المكبوتة، وزيادة الأمل لديه وبالتالي التكيف المناسب مع كل ما يستجد في حياته خاصة مع المواقف الطارئة التي ليس لها مقدمات تمهد لظهورها وحدوثها، وتتم هذه الإستراتيجية من خلال التخطيط المدروس لتقديم التدعيم الذاتي ومن الآخرين.

الدراسات السابقة:

وفي هذا المجال فقد أجري العديد من الدراسات التي استهدفت هذين المتغيرين أو أحدهما لفئات من ذوي الإعاقة، أو لفئات مجتمعية أخرى، وقد تم ترتيبها من الأقدم إلى الأحدث:

فقد أجرى جودوين وآخرون) دراسة هدفت التعرف إلى الأثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس "هيني" (Goodwin, et. al. 2009)

وتأثيره على سلوكيات الأفراد في ماليزيا وأوروبا، على عينة تكونت من (٣٢٨) فرداً، منهم (١٨٠) فرداً من ماليزيا، و(١٤٨) فرداً من أوروبا. أشارت النتائج إلى أن الماليزيين هم أكثر عرضة للإصابة بالقلق الناتج عن انتشار هذا الفيروس وبخاصة الأعراض النفس جسمية وبشكل أعلى من الأوروبيين الذين قاموا بتأجيل أو إلغاء رحلاتهم وسفرهم، وكذلك الذين تغيرت عاداتهم نتيجة التعامل مع تداعيات هذا الفيروس خاصة عادات التسوق والعادات الاجتماعية، كما أشارت النتائج أيضاً إلى أن استهلاك الماليزيين للمعدات الوقائية من هذا الفيروس كان أعلى منه لدى الأوروبيين، فكان إقبالهم على شراء الكمادات والقفازات أكبر أيضاً، وأشارت النتائج كذلك أن كبار السن والمزارعين كانوا أعلى من غيرهم من الفئات الأخرى وأصحاب المهن الأخرى في كل من ماليزيا وأوروبا. كما أجرت البسطامي (٢٠١٣) دراسة هدفت التعرف إلى مستوى إدارة إستراتيجيات التكيف المختصر وأثره في التعامل مع الضغوط النفسية لدى الأطفال ذوي الإعاقة وأمهم في محافظة نابلس من وجهة نظر أولياء الأمور، على عينة تكونت من (٢٥٥) فرداً، منهم (٤٦) أباً، و(٢٠٩) أمهات. أشارت النتائج إلى أن الإستراتيجيات الأكثر استخداماً للتكيف المختصر في مواجهة الضغوط النفسية لدى آباء وأمهم الأطفال ذوي الإعاقة، جاءت مرتبة حسب مستوى الاستخدام من الأكثر استخداماً، هي: إستراتيجية الدين وممارسة الطقوس الدينية، وإستراتيجية حل المشكلات، وإستراتيجية الدعم النفسي، وإستراتيجية الاسترخاء العضلي والذهني، وإستراتيجية التجنب والهروب والنيكران، وآخرها إستراتيجية التمارين الرياضية، كما أشارت النتائج إلى أنه لا توجد فروق دالة إحصائية في متوسطات استجابات أفراد الدراسة لهذه الإستراتيجيات تعزى لمتغيرات: الجنس، والمستوى الاقتصادي، والوضع الاجتماعي، وجنس الطفل، وشدة الحالة، ونوع الإعاقة، في حين ظهرت الفروق ذات الدلالة الإحصائية في مستوى استخدام هذه الإستراتيجيات تبعاً لمتغير المستوى التعليمي ولصالح الآباء من ذوي المستويات والمؤهلات العلمية العليا. في حين أجرى فارشني وآخرون دراسة) هدفت تقييم الأثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا (Varshney, et. al. 2014)

على عينة بلغت (١١٠٦) أفراد، منهم (٥٦٢) من الذكور، و(٥٤٤) من الإناث ومن الأعمار (١٣-٦٥)، توزعوا على (٦٤) مدينة من مدن الهند. أشارت النتائج إلى أن ثلث المشاركين في

هذه الدراسة تأثروا بأعراض مرتبطة بهذا الفيروس، وخاصة الأعراض النفسية المتمثلة في: الاكتئاب، والقلق، والوسواس القهري، كما أشارت النتائج إلى أن فئة الشباب وبخاصة الإناث منهم، والمرضى منهم بأمراض بيولوجية عضوية هم الأكثر تعرضاً للإصابة بأعراض اضطرابات نفسية وبخاصة النفس جسمية.

كما أجرى داريو وآخرون دراسة هدفت إلى التحقق من أبعاد مقياس التكيف (Dario, et.al. 2015)

لتقييم مجموعة من استجابات المواجهة والتكيف مع صعوبات محددة، من خلال مقارنة خمسة نماذج مختلفة، وكذلك التعرف إلى العلاقة بين ردود فعل المواجهة والالتزام بالأهداف الشخصية بالتكيف مع التحديات التي تواجه الأفراد، على عينة بلغت (٦٠٦) أفراد، ممن تتراوح أعمارهم (١٩ - ٧١) عاماً، وباستخدام تحليل العوامل المؤكدة، تم مقارنة خمسة نماذج وتقييم علاقات التكيف المختصر بها، أشارت النتائج إلى أن نموذج العامل النظري في التكيف المختصر هو الأكثر استخداماً حيث كان فعالاً لدى أفراد العينة، وأن أبعاد التكيف المختصر جاءت بمستويات متوسطة، وأن هناك علاقة طردية بين ردود فعل المواجهة وبين الالتزام بالأهداف الشخصية المتعلقة بالتكيف مع التحديات والمشكلات، وأن هذه العلاقة دالة إحصائياً، وتشير إلى فاعلية التكيف المختصر في التعامل مع المشكلات الشخصية والخروج منها بأقل آثار سلبية مقارنة مع أساليب التكيف التقليدي. وأجرى غزال ودبك (٢٠١٨) دراسة هدفت التعرف إلى إستراتيجيات التكيف المختصر الذي يستخدمه مرضى السرطان خلال فترة العلاج الكيماوي في ضوء متغيري: العمر والجنس، على عينة تكونت من (١٥٠) مريضاً ومريضة في مستشفى تشرين الجامعي وذلك باستخدام مقياس التكيف المختصر. أشارت النتائج إلى أن مرضى السرطان يميلون لاستخدام إستراتيجيات تكيف متنوعة من أساليب واستراتيجيات التكيف المختصر الموجهة للمشكلة والموجهة للمشاعر وإستراتيجية التكيف الفعال، فجاءت هذه الإستراتيجية (التكيف الفعال) في أعلى مستوى، تلاها في المرتبة الثانية إستراتيجية البحث عن الدعم الفعال، ثم إستراتيجية التخطيط المنظم، وإستراتيجية التركيز والتنفيس الانفعالي عن المشاعر، وإستراتيجية التقبل، وأخيراً إستراتيجية الدين، كما أظهرت النتائج أن استخدام إستراتيجيات التكيف المختصر يتباين تبعاً للعمر والجنس، حيث تميل الإناث لاستخدام إستراتيجيات الموجهة للمشاعر، وأن المسنين يتوجهون لاستخدام إستراتيجيات الدعم الاجتماعي والتعاطف والتقبل. في حين أجرى دونا و صبح و رسلان (٢٠١٩) دراسة هدفت تقييم مستوى استخدام إستراتيجيات التكيف

المختصر في التعامل مع الضغوط النفسية لدى أمهات الأطفال التوحديين في اللاذقية بسوريا، وعلاقتها ببعض المتغيرات، على عينة تكونت من (٣٤) أما من أمهات الأطفال التوحديين تم اختيارهن من جمعية التوحد، ومركز بشائر النور في محافظة اللاذقية، أشارت النتائج إلى أن مستوى إدارة إستراتيجيات التكيف لأمهات الأطفال التوحديين على الدرجة الكلية للمقياس جاء متوسطاً، وفي الأبعاد جاءت متوسطة ما عدا إستراتيجية الدين فقد جاء مرتفعاً، كما أظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائية تبعاً لجنس الطفل والمستوى التعليمي للأُم وشدة حالة الطفل في مستوى إستراتيجيات التكيف، وعدم وجود فروق دالة إحصائية تبعاً للمستوى الاقتصادي للأسرة في مستوى إستراتيجيات التكيف. وأجرى لاي وآخرون) دراسة هدفت التعرف إلى آثار جائحة كورونا على مستوى الصحة النفسية من خلال Li (et.al. 2020)

تعليقات الأفراد على صفحات وسائل التواصل الاجتماعي، واقتراح توصيات لصانعي القرارات بخصوص التعامل مع هذا الوباء المنتشر عالمياً، لاستخلاص مقترحات لتقليل وخفض التأثيرات النفسية الناتجة عن انتشار هذا الوباء، اعتمدت الدراسة على تحليل التعليقات والمدونات على أحد مواقع التواصل الاجتماعي، حيث تم تحليل (١٧٨٦٥) تعليقا وإعلانا على الموقع، وتم تصنيف التعليقات المتعلقة بالخوف والقلق الناتجة عن انتشار هذا الفيروس. أشارت النتائج إلى أن المشاعر السلبية المتعلقة بهذا الوضع هي: القلق، والأعراض الاكتئابية، والحساسية الاجتماعية، كانت أعلى المشاعر التي تؤثر في مستوى الصحة النفسية، كما أشارت النتائج إلى أن آثار هذه الجائحة انعكس سلباً على مستوى الصحة النفسية عالمياً أكثر من جوانب الحياة الأخرى، وقد أوصت الدراسة بأنه يتوجب على صانعي القرارات بخصوص الصحة النفسية والجسمية، ضرورة العمل على وضع الأولويات لهذه الجوانب، وذلك بتحديد وتفعيل دور الأخصائيين النفسيين من أجل خفض مستوى الأعراض الناتجة عن انتشار هذا الوباء.

كما أجرى السفاسفة والسيد (٢٠٢٠) دراسة هدفت الدراسة التعرف على مستوى أعراض الاضطرابات النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا ومستواها وعلاقتها بمستوى المناعة النفسية لدى عينة من الأردنيين الذين تعرضوا لهذا الفيروس بشكل مباشر أو غير مباشر، تكون عدد أفراد الدراسة من (١٠٠) مشارك ومشاركة متطوعين، ولتحقيق أهداف الدراسة تم اعتماد مقياس تشخيص الاضطرابات النفسية، وتطوير مقياس المناعة النفسية،

بعد التأكد من دلالات صدقهما وثباتهما. أشارت النتائج إلى أن أعراض الاضطرابات النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا جاءت مرتبة حسب متوسطاتها الحسابية على النحو الآتي: القلق، والوسواس القهري، والاكتئاب، والحساسية من الأشخاص، والهذيان، والعدائية، والنفس جسمية، والذهانية، وأن أكثرها انتشارا هو القلق وبمستوى عال، وأقلها انتشارا الأعراض الذهانية وبمستوى منخفض، كما أشارت النتائج أن مستوى المناعة النفسية لأفراد الدراسة جاء متوسطا، وأن هناك علاقة ضعيفة بين أعراض الاضطرابات النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا، ومستواها وبين مستوى المناعة النفسية.

وأجرى معايرة والسفاسفة (Maberah & AL-Safasfh, 2020) (دراسة هدفت التعرف إلى مستوى الآثار الصحية والنفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا وعلاقته بمستوى الرفاه النفسي لدى العاملين في الجامعات الأردنية الخاصة، على عينة تكونت من (٢٤٠) عاملا وعاملة (إداريا وأكاديميا) من جامعتي: إربد الأهلية وجدارا، أشارت النتائج إلى أن مستوى الآثار الصحية والنفسية لدى أفراد العينة جاء مرتفعا، وأن مستوى رفاههم النفسي جاء متوسطا، وأن هناك علاقة عكسية وقوية بين هذين المتغيرين لدى أفراد هذه الدراسة، إضافة إلى وجود فروق دالة إحصائية في مستوى الآثار الصحية والنفسية تبعا لمتغير الجنس ولدى الإناث أكثر منه لدى الذكور، وأن هناك فروقا في مستوى الرفاه النفسي ولصالح الأكاديميين من العاملين في هاتين الجامعتين.

خلاصة استعراض الدراسات السابقة: تناولت الدراسات السابقة الفئات ذات الإعاقة المختلفة، مثل: الإعاقة السمعية، والبصرية، والتوحد وأسرههم، وفئات اجتماعية أخرى، كما تناولت متغيري الدراسة: التكيف المختصر، والآثار النفسية الناتجة عن التعرض للفيروسات أو الأوبئة كليهما أو أحدهما، وفي بيانات متباينة ومتعددة، كما تناولت بعضها مستوى الآثار الصحية والنفسية وعلاقتها بمستوى الرفاه النفسي، ولدى فئات غير ذوي الإعاقة، ولدى البحث فإن الباحثين لم يعثروا على دراسات تناولت هذين المتغيرين والعلاقة بينهما ولدى أفراد من ذوي الإعاقة. وقد تمت الاستفادة من خلال استعراض هذه الدراسات، في تطوير مقياسي الدراسة الحالية، وفي تصميمها ومناقشة النتائج. وتأتي هذه الدراسة لتستهدف الأفراد ذوي الإعاقة من فئات مختلفة من الإعاقة: الحركية والبصرية والسمعية، ومستوى تأثر صحتهم النفسية وقدرتهم على التكيف خلال الأزمات والطوارئ، وبخاصة أثناء انتشار فيروس كورونا، هذه الوباء العالمي الذي امتد تأثيره لمدة طويلة لم يسبق للعالم أن مرّ بها من

قبل، وتتناول متغيرين، هما: التكيف المختصر، والآثار النفسية الناتجة عن التعرض للفيروسات، والعلاقة بينهما، وهذا ما يميزها عن الدراسات السابقة، حيث لم يعثر الباحثان على دراسة تناولت العلاقة بين هذين المتغيرين (الآثار النفسية، والتكيف المختصر) ولفئات من ذوي الإعاقة.

مشكلة الدراسة:

يواجه أفراد المجتمع بشكل عام تحديات كبيرة ناتجة عن انتشار فيروس كورونا، وتشكل هذه التحديات صعوبات ومشكلات تواجه الأفراد ذوي الإعاقة بمختلف إعاقاتهم، وتزداد حدة وشدة هذه التحديات والصعوبات في الظروف غير العادية للناس بشكل عام ولفئات الإعاقة بشكل خاص، ولعل انتشار فيروس كورونا في العالم بشكل عام وفي الأردن بشكل خاص، قد أوجد تبعات صحية واقتصادية وسياسية واجتماعية امتد تأثيرها إلى كافة شرائح المجتمع، ففي الوقت الذي يعاني منه الأفراد ذوو الإعاقة في الأوقات والظروف الطبيعية من التهميش وقلة الاهتمام والرعاية، خاصة في بلدان العالم الثالث التي ينتمي إليها الأردن، فإن أزمة كورونا التي تعصف بالعالم قد أُلقت بمخاوف كبيرة وأثار جملة على جميع أفراد هذه الفئات من ذوي الإعاقة، ولعل فئات ذوي الإعاقات المختلفة هي الأكثر تأثراً، واستجابة للآثار السلبية التي قد تنتج عن مثل هذا الوباء، وذلك بسبب انخفاض مستوى مناعتهم النفسية والجسمية، وشعورهم بالعجز الجزئي أو الكلي حسب إعاقاتهم، مما يجعلهم يتأثرون بمجموعة من الآثار النفسية نتيجة انتشار هذا الوباء غير المسيطر عليه عالمياً، كما أشارت دراسة السفاسفة والسيد (٢٠٢٠)، ودراسة "لاي" وآخرون (٢٠٢٠)، أن هناك تبعات وآثاراً صحية ونفسية أفرزها وجود هذا الوباء على أفراد المجتمع ككل، ومنهم الأفراد ذوو الإعاقة وهم الأكثر تأثراً، ولما كانت قدرة الأفراد ذوي الإعاقة على التكيف أقل من غيرهم من الفئات الاجتماعية، كما أشارت نتائج دراسة البسطامي (٢٠١٣)، مما يجعل استجابة هؤلاء الأفراد من ذوي الإعاقة للتأثر بنتائج انتشار هذا الوباء أكثر من غيرهم من أفراد المجتمع، وبالتالي لا بد من كشف مستوى التكيف المختصر لدى أفراد هذه الفئات ومعرفة علاقته بمستوى هذه الآثار الناتجة عن هذا الوباء، كما لاحظ الباحثان بحكم عملهما في مجال رعاية ذوي الإعاقة وإرشادهم وإرشاد أسرهم، أن هناك تأثيرات نفسية لانتشار هذا الوباء، أضافت أعباء ومتاعب نفسية يتوجب العمل على التعامل معها لتخفيفها والتخطيط لتفاديها وتقليل آثارها، تمهيداً لوضع الخطط

الإستراتيجية المناسبة في إكساب أفراد هذه الفئة مهارات التكيف المناسبة ومنها: التكيف المختصر. وعليه فإن الدراسة الحالية جاءت للتعرف على الآثار النفسية الناتجة عن انتشار هذا الوباء، ولدى الأفراد ذوي الإعاقات المختلفة وعلاقتها بمستوى التكيف المختصر مع الأحداث الطارئة الجسيمة، للعمل على مواجهة هذه الآثار والتقليل منها ما أمكن ذاتياً ورسمياً واجتماعياً، وتسعى الدراسة الحالية للإجابة عن الأسئلة الثلاثة الآتية:

- ١- ما مستوى الآثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا لدى الأفراد ذوي الإعاقة (الحركية، والبصرية، والسمعية) من خلال تقديرات معلمهم؟
- ٢- ما مستوى التكيف المختصر لدى الأفراد ذوي الإعاقة (الحركية، والبصرية، والسمعية)، أثناء انتشار فيروس كورونا من خلال تقديرات معلمهم؟
- ٣- هل توجد علاقة دالة إحصائية بين مستوى الآثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا لدى الأفراد ذوي الإعاقة (الحركية، والبصرية، والسمعية) ومستوى التكيف المختصر لديهم، من خلال تقديرات معلمهم في ضوء متغيري: الجنس، ونوع الإعاقة؟

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة التعرف على الآثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا لدى الأفراد ذوي الإعاقة ومستواها، ومستوى التكيف المختصر، والعلاقة بينهما في ضوء متغيري: جنس الطلبة ونوع إعاقته.

أهمية الدراسة:

تنبثق أهمية الدراسة من أهمية تناول شريحة اجتماعية تعاني من التهميش الاجتماعي، وهي فئة ذوي الإعاقة بأنواعها المختلفة، تلك الشريحة التي تشكل نسبة لا تقل عن (١٠%) من السكان، وتواجه تحديات وصعوبات ومشكلات تفرضها عليهم طبيعة الإعاقة التي تعرضوا لها، وتزداد حدة هذه المشكلات وقت حدوث الأزمات، مثل: انتشار وباء فيروس كورونا، الذي أثر سلباً على كافة قطاعات وشرائح المجتمع، كما تنبثق أهمية هذه الدراسة من تناولها متغيرين مهمين للأفراد ذوي الإعاقة، وهما: الآثار النفسية الناتجة عن جائحة كورونا، ومستوى التكيف المختصر في ظل انتشار فيروس كورونا. كما يمكن أن توفر بعض البيانات والمعلومات التي يمكن أن يستخدمها صناع القرار والمختصون في تخطيط الخدمات المناسبة

لأفراد هذه الشريحة، لمساعدتهم في التوافق النفسي والاجتماعي، ليستطيعوا القيام بمسؤولياتهم المجتمعية بكفاءة واقتدار، وخاصة أثناء حدوث الأزمات والكوارث وانتشار الأوبئة، وبخاصة لهذه الشريحة الاجتماعية ذات الاحتياجات الخاصة، كما يمكن أن توجه هذه الدراسة الأنظار إلى بعد أو مجال جديد، وهو التخطيط الإستراتيجي لوقاية وتحسين أفراد هذه الشريحة، وذلك من خلال تضمين هذه الإستراتيجيات في برامج إعداد الأخصائيين المؤهلين للعمل في هذا المجال.

مصطلحات الدراسة:

تضمنت الدراسة المصطلحات الآتية:

- الآثار النفسية لذوي الإعاقة: ويقصد بها ما يترتب على الإعاقة من متاعب وتحديات نفسية ويتزامن ظهورها مع وجود الإعاقة، وتزداد وقت حدوث الأزمات والمواقف الطارئة وغير المتوقعة، وتتمثل هذه الآثار في صعوبة: التعايش مع هذه المواقف، والتوافق مع الآخرين، ونقص التوكيدية، والانسحاب الاجتماعي، والمشاعر السلبية كالأعراض الاكتئابية والقلق والمخاوف والنجسية وغيرها (الجلامدة، ٢٠١٦). وتعرف إجرائيًا لغايات هذه الدراسة بأنها الدرجة التي يحصل عليها أفراد الدراسة على فقرات مقياس الآثار النفسية المستخدم لغاياتها - التكيف المختصر: ويقصد بالتكيف: قدرة الفرد على تحقيق التوازن بينه وبين محيطه، من خلال التعديل والتغيير في شروط المحيط وفي ذاته، ويشير التكيف المختصر بأنه الميل لاستخدام مجموعة من الإستراتيجيات للتعامل ومواجهة الضغوط النفسية، ومنها: إستراتيجية الإلهاء الذاتي، والمواجهة النشطة (Felipe, et, al.2018) واستخدام الدعم العاطفي، والتنفيس، وإعادة الصياغة الإيجابية، والرفاهية الذاتية. وتعرف إجرائيًا لغايات هذه الدراسة بأنها الدرجة التي يحصل عليها أفراد الدراسة على فقرات التكيف المختصر المطور لغاياتها.

- الأفراد ذوو الإعاقة: ويقصد بهم كل فرد تعرض لنوع من الإعاقة، مثل الإعاقة البصرية، أو السمعية، أو العقلية البسيطة، ملتحق بالمدارس الحكومية في مدينة عمان-الأردن.

حدود الدراسة ومحدداتها:

تحددت الدراسة بالحدود الآتية:

- الحدود البشرية: الطلبة ذوو الإعاقة: السمعية والبصرية والحركية (الجسمية والصحية).

- الحدود الزمانية: تم التطبيق على الفصل الدراسي الأول، من العام الدراسي: ٢٠٢٠ / ٢٠٢١.

- الحدود المكانية: الطلبة من ذوي الإعاقة الملتحقون بالمدارس الحكومية في مدينة عمان، بواقع ثلاث مدارس: عبدالله بن أم مكتوم للمكفوفين وماركا لذوي التحديات السمعية، والنموذجية للشلل الدماغي

- الحدود الموضوعية: تحددت الدراسة باستجابة معلمي ومعلمات أفراد الدراسة للتقدير على فقرات مقياسي الدراسة، وتعميم نتائجها على الأفراد الذين يمثلون فئات ذوي الإعاقة من هذه الفئات.

- محددات الدراسة: وهي الصعوبات التي واجهت الباحثين في إجراء دراستهما وتعميم النتائج في حدود ضيقة فقط للأفراد من ذوي الإعاقات الثلاثة المذكورة، فقد تم التقدير لمستويات متغيري الدراسة لدى أفراد الدراسة من خلال معلمهم ومعلماتهم الذين يدرسون هؤلاء الطلبة، فقد كان بعض المعلمين والمعلمات يدرسون بعض المواد الدراسية وليس بنفس الحصص المتساوية لكل الطلبة، كما أن دافعية هؤلاء المعلمين والمعلمات لم تكن بنفس المستوى مما يستوجب الحذر في تعميم النتائج، علما بأن هؤلاء المعلمين والمعلمات قاموا بتعبئة نسخ المقياسين وجاءت البيانات مكتملة.

الطريقة والإجراءات:

أفراد الدراسة:

تكون أفراد الدراسة من (٢٢٣) طالبًا وطالبة، من طلبة مدراس: عبد الله بن أم مكتوم للمكفوفين وماركا لذوي التحديات السمعية، والنموذجية للشلل الدماغي، منهم (١٢١) طالبًا، و(١٠٢) طالبتان، يتوزعون على أربعة صفوف، هي: السابع وعددهم (٤٧) طالبًا وطالبة، والثامن وعددهم (٦١) طالبًا وطالبة، والتاسع وعددهم (٥٥) طالبًا وطالبة، والعاشر وعددهم (٦٠) طالبًا وطالبة، (إدارة التعليم ٢٠١٩ / ٢٠٢٠). والجدول (١) يبين ذلك، تم استبعاد (٢٨) طالبًا وطالبة لغايات الصدق والثبات، فتكون العدد النهائي لأفراد الدراسة من (١٩٥) طالبًا وطالبة، منهم (١٠٢) طالبان، و(٩٣) طالبة، يقوم (٦٥) معلمًا ومعلمة من هذه المدارس بالتقدير الخارجي على فقرات مقياسي الدراسة، ولكل معلم ومعلمة ثلاث من الطلبة للتقدير عنهم، كتقدير خارجي بعد ملاحظة سلوك هؤلاء الطلبة لمدة لا تقل عن أسبوعين.

الجدول (١): توزيع أفراد الدراسة حسب: المدرسة (نوع الإعاقة)، والجنس، والصف الدراسي (ن = ١٨٨).				
المدرسة	الصف الدراسي	الجنس/ ذكور	الجنس / إناث	المجموع
مدرسة عبدالله بن أم مكتوم (إعاقة بصرية)	السابع	١٠	١٥	٢٥
	الثامن	١٩	١٢	٣١
	التاسع	٢١	٩	٣٠
	العاشر	١٥	١٦	٣
مدرسة ماركا لذوي التحديات السمعية (إعاقة سمعية)	السابع	٨	٧	١٥
	الثامن	١١	١١	٢٢
	التاسع	٩	٩	١٨
	العاشر	١١	٩	٢٠
المدرسة النموذجية للشلل الدماغي (إعاقة حركية)	السابع	٥	٢	٧
	الثامن	٣	٥	٨
	التاسع	٤	٣	٧
	العاشر	٥	٤	٩
-	المجموع	١٢١	١٠٢	٢٢٣

أدوات الدراسة:

لتحقيق أهداف الدراسة، تم استخدام الأدوات الآتية:

أولاً: مقياس الآثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا: تم تطويره بالرجوع إلى الدراسات والمقاييس السابقة، كدراسة فارشني وآخرون (٢٠١٤)، ودراسة لاي وآخرون (٢٠٢٠)، ودراسة السفاسفة والسيد (٢٠٢٠)، حيث تم اشتقاق (٢٨) فقرة جميعها مصوغة باتجاه إيجابي بالنسبة للمقياس، تم عرضها على (٨) محكمين من ذوي الاختصاص في الإرشاد النفسي والتربوي، وعلم النفس التربوي، والقياس والتقويم يدرسون في الجامعات الأردنية، واليرموك، ومؤتة، وقد تم الأخذ بملاحظاتهم وآرائهم التي تضمنت: حذف (٣) فقرات، وتعديل صياغة (٤) فقرات، بحيث أصبح العدد النهائي لفقرات المقياس (٢) فقرة، كما تم التأكد من صدق المقياس الداخلي، وذلك بحساب معاملات ارتباط "بيرسون" بين الدرجة على الفقرة والدرجة الكلية للمقياس، على العينة الاستطلاعية المكونة من (٣٠) طالباً وطالبة من أفراد الدراسة، حيث تراوحت معاملات الارتباط بين (٠,٣١) - (٠,٦٤)، وهي قيم مناسبة لأغراض هذه الدراسة، كما تم التأكد من دلالات الثبات للمقياس بطريقتي: الاستقرار الداخلي (كرونباخ ألفا)، وإعادة وبفارق زمني بلغ (١٣) يوماً، على العينة الاستطلاعية المكونة من (٣٠) طالباً وطالبة، وبلغت قيم معاملات الارتباط (الثبات): (٠,٨٧) للاستقرار الداخلي، و(٠,٧٦) للإعادة، وهي قيم مناسبة لأغراض هذه الدراسة. فأصبح المقياس يتألف من (٢٥) فقرة يجاب عنها بتدرج خماسي، هو: دائماً (٥) درجات، وغالباً (٤) درجات، وأحياناً (٣) درجات، وقليلًا (٢) درجتان، ونادراً (١) درجة واحدة، بحيث تراوح مدى الدرجة الكلية بين (٢٥ - ١٢٥)، تصحح استجابات أفراد الدراسة على فقرات المقياس وفقاً للمعيار الآتي: (١,٦٦ فأقل منخفض)، و(١,٦٧ - ٣,٣٣ متوسط)، و(٣,٢٤ فأكثر مرتفع).

ثانياً: مقياس التكيف المختصر: تم تطويره بالرجوع إلى الدراسات والمقاييس السابقة، كدراسة داريو وآخرون (٢٠١٥)، ودراسة غزال ودبك (٢٠١٨)، ودراسة دونا وصبح ورسلان (٢٠١٩)، حيث تم اشتقاق (٣٠) فقرة جميعها مصوغة باتجاه إيجابي بالنسبة للمقياس، ما عدا (٥) مصوغة باتجاه سلبي بالنسبة للمقياس وليس للمنطق، وهي الفقرات ذوات الأرقام: (٣، ٧، ٨، ١٢، و ١٣)، تم عرضها على (٨) محكمين من ذوي الاختصاص في الإرشاد النفسي والتربوي، وعلم النفس التربوي، والمقياس والتقويم يدرسون في الجامعات: الأردنية، واليرموك، ومؤتة، وقد تم الأخذ بملاحظاتهم وآرائهم التي تضمنت: حذف (٥) فقرات، وتعديل صياغة (٥) فقرات، بحيث أصبح العدد النهائي لفقرات المقياس (٢٥) فقرة، كما تم التأكد من صدق المقياس الداخلي، وذلك بحساب معاملات ارتباط "بيرسون" بين الدرجة على الفقرة والدرجة الكلية للمقياس، على العينة الاستطلاعية المكونة من (٣٠) طالباً وطالبة من أفراد الدراسة، حيث تراوحت معاملات الارتباط بين (٠,٢٨ - ٠,٦٢)، وهي قيم مناسبة لأغراض هذه الدراسة، كما تم التأكد من دلالات الثبات للمقياس بطريقتي: الاستقرار الداخلي (كرونباخ ألفا)، والإعادة وبفارق زمني بلغ (١٣) يوماً، على العينة الاستطلاعية المكونة من (٣٠) طالباً وطالبة، وبلغت قيم معاملات الارتباط (الثبات): (٠,٨٨)، للاستقرار الداخلي، و(٠,٧٧) للإعادة، وهي قيم مناسبة لأغراض هذه الدراسة. فأصبح المقياس يتألف من (٢٥) فقرة يجاب عنها بتدرج خماسي، هو: دائماً (٥) درجات، وغالباً (٤) درجات، وأحياناً (٣) درجات، وقليلًا (٢) درجتان، ونادراً (١) درجة واحدة، وتنعكس في حال الفقرات بالاتجاه السلبي، بحيث تراوح مدى الدرجة الكلية بين (٢٥ - ١٢٥)، تصحح استجابات أفراد الدراسة على فقرات المقياس وفقاً للمعيار الآتي:

(١,٦٦ فأقل مستوى منخفض)، و(١,٦٧ - ٣,٣٣ مستوى متوسط)، و(٣,٢٤ فأكثر مستوى مرتفع).

إجراءات الدراسة:

جاءت إجراءات الدراسة على النحو الآتي:

- ١ - تطوير مقياسي الدراسة: الآثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا، والتكيف المختصر. لدى الأفراد ذوي الإعاقة، حيث تم التأكد من دلالات صدقهما وثباتهما بالطرق العلمية المناسبة.
- ٢ - اختيار أفراد الدراسة: والبالغ عددهم (١٩٥) طالباً وطالبة، منهم (١٠٢) طالباً، و(٩٣) طالبة، بعد استبعاد أفراد العينة الاستطلاعية والبالغة (٢٨) طالباً وطالبة، ومن مدارس: عبد الله بن أم مكتوم للمكفوفين، وماركا لذوي التحديات السمعية، والنموذجية للشلل الدماغي.
- ٣ - تطبيق مقياسي الدراسة: وذلك من خلال استجابة معلميهم و معلماتهم، وعددهم (٦٥) معلماً ومعلمة، وهؤلاء هم الذين يدرسون هؤلاء الطلبة في أكثر الحصص الدراسية، ولكل معلم ومعلمة بحدود ثلاث من الطلبة للتقدير عنهم، وذلك بعد مراقبة سلوكهم لمدة أسبوعين، حيث تم تعبئة نسخ المقياسين لكل طالب بتقدير خارجي حول مستوى الآثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا، وامتلاكهم لمستوى التكيف المختصر، وجاء عدد النسخ المكتملة البيانات ل(١٨٨) طالباً وطالبة، حيث تم إجراء التحليلات الإحصائية المناسبة، واستخراج النتائج ومناقشتها.

الأساليب الإحصائية:

للإجابة عن أسئلة الدراسة تم استخدام ما يأتي:

١ - للإجابة عن السؤالين: الأول والثاني تم حساب الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية والمستوى.

٢ - للإجابة عن السؤال الثالث تم حساب معامل ارتباط بيرسون ومعامل التحديد.

عرض النتائج ومناقشتها:

- عرض النتائج المتعلقة بالسؤال الأول ومناقشتها:

ما مستوى الآثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا لدى الأفراد ذوي الإعاقة (الحركية والبصرية، والسمعية) من خلال تقديرات معلمهم؟ وللإجابة عن السؤال، تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والمستوى، للآثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا لدى الطلبة ذوي الإعاقة، والجدول (٢) يبين ذلك.

جدول (٢): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والمستوى، للآثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا لدى الطلبة ذوي الإعاقة من خلال تقدير معلمهم (ن=١٨٨).				
ت	محتوى الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى
١	يشعر بعدم الرضا عن قلة تواصله مع الآخرين	٣,٤٢	٠,٨٢	مرتفع
٢	تراوده أفكار سلبية حول صحته	٣,٥٢	٠,٧٩	مرتفع
٣	يشير إلى أنه يشعر بالخوف عند خروجه من المنزل	٣,٦١	٠,٨٥	مرتفع
٤	تتناقص لديه الرغبة في الاستمتاع بالحياة	٣,٥٥	٠,٩٢	مرتفع
٥	يظهر لديه وسواس حول مصير فيروس كورونا	٣,١٣	٠,٦٩	متوسط
٦	يفيد أنه يتضايق أثناء فترة الحظر الشامل	٣,٥٤	٠,٧٧	مرتفع
٧	يواجه ضغوطاً نفسية إضافية فوق إعاقته	٢,٨٩	٠,٨٤	متوسط
٨	يميل إلى الابتعاد عن الآخرين بشكل لافت للنظر	٣,٥٢	٠,٧٤	مرتفع
٩	يكرر حديثه حول خوفه من الإصابة بهذا الوباء	٣,٤٦	٠,٧٣	متوسط
١٠	يظهر عليه التوتر بشكل مستمر خلال فترة انتشار هذا الفيروس	٣,٧٤	٠,٦٨	مرتفع
١١	يحبط عندما يطلب منه عمل شيء لا يستطيع عمله	٢,٦٨	٠,٧٧	متوسط
١٢	يفيد أنه حريص على متابعة أخبار هذا الوباء	٢,٩٧	٠,٦٦	متوسط
١٣	يخشى من ظهور بعض الأعراض المرضية لديه	٣,٥٤	٠,٩٢	مرتفع
١٤	يفيد أنه لن تتم السيطرة على هذا الوباء	٣,١٢	٠,٥٨	متوسط
١٥	يعاني ألماً جسدياً لم يشعر بها من قبل	٣,٤٤	٠,٨٥	مرتفع
١٦	يتضايق من ارتداء الكمامة	٣,٣٦	٠,٧٣	مرتفع
١٧	يلاحظ عليه تناقص ممارسته لهواياته	٣,٥٥	٠,٧١	مرتفع
١٨	يحب البقاء في المنزل دون المدرسة	٢,٧٣	٠,٨٢	متوسط
١٩	يحرص على التواصل مع الآخرين عبر وسائل التواصل الاجتماعي	٣,١١	٠,٦٧	متوسط
٢٠	يحاول تجنب اللعب مع الآخرين	٣,٤٣	٠,٨٣	مرتفع
٢١	يفيد أنه لا يحب الذهاب للتسوق كما كان يفعل سابقاً	٢,٩٢	٠,٧٢	متوسط

٢٢	يطرح أسئلة متكررة حول مستقبل هذا الوباء	٣,٥١	٠,٨١	مرتفع
٢٣	يحرص على متابعة أخبار الوفيات نتيجة الإصابة بهذا الفيروس	٣,٥٨	٠,٧٩	مرتفع
٢٤	يتغيب عن مدرسته بحجة أنه مريض ويخاف الإصابة بهذا الفيروس	٢,٧٧	٠,٦٢	متوسط
٢٥	يحاول تفسير أي عارض مرضي يتعرض له على أنه أصيب بهذا الفيروس	٣,٦٩	٠,٧٥	مرتفع
	الدرجة الكلية	٣,٤٤	٠,٩١	مرتفع

يتضح من الجدول (٢) أن مستوى الآثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا على الدرجة الكلية جاء مرتفعاً بمتوسط حسابي بلغ (٣,٤٤) وبانحراف معياري (٠,٩١)، أي أن الآثار الناتجة عن انتشار هذا الفيروس لدى الطلبة ذوي الإعاقة ومن مختلف الإعاقات ومن الجنسين، هي مرتفعة، هذا يشير إلى أن هناك آثاراً نفسية قد تفوق الآثار الصحية والاقتصادية وغيرها من الآثار، ويمكن تفسير ارتفاع هذه الآثار في هذا المجال ولهذه الشريحة الاجتماعية على وجه الخصوص، بأنهم أقل مناعة صحية ونفسية وأكثر استجابة للشروط غير الصحية، حيث يتأثرون بأقل التغيرات المناخية أو الطبيعية أو السكانية وغيرها، كما أنهم أكثر عرضة للتأثر بكل ظرف طارئ، وذلك بسبب إعاقاتهم التي تعطل بعض الوظائف الحيوية، وبالتالي تعطل ما يترتب عليها من نشاطات إنسانية واجتماعية وشخصية، خاصة أن هذا الوباء انتشر بطريقة غير مسبوقة في العالم بأسره، فلم تجد معه كل الاحتياطات بالشكل المطلوب، رغم تضافر كل الجهود الرسمية والشعبية والدولية لاحتوائه ومواجهته، إلا أنه انتشر بشكل غير مسيطر عليه وغير مسبوق، فتأثرت كل الشرائح الاجتماعية وبنسب مختلفة، فجاءت شريحة ذوي الإعاقة أكثرها تأثراً وبخاصة في الجانب النفسي. كما جاءت غالبية الفقرات بمستوى مرتفع، وجاء في المرتبة الأولى الفقرات ذات الأرقام (٣، و ١٠، و ٢٣، و ٢٥)، بمتوسطات حسابية تراوحت ما بين (٣,٥٨ - ٣,٧٤) وبانحرافات معيارية تراوحت ما بين (٠,٦ - ٠,٨٥)، وتشير هذه الفقرات على التوالي إلى (أنه يشعر بالخوف عند خروجه من المنزل)، و(يظهر عليه التوتر بشكل مستمر خلال فترة انتشار هذا الفيروس) و(يحرص على متابعة أخبار الوفيات نتيجة الإصابة بهذا الفيروس)، و(يحاول تفسير أي عارض مرضي يتعرض على أنه أصيب بهذا الفيروس)، وقد تضمنت هذه الفقرات: الشعور بالخوف عند الخروج من المنزل، والتوتر طيلة فترة انتشار هذا الفيروس، ومتابعة أخبار الوفيات، وتفسير الأعراض المؤقتة خوفاً من الإصابة، بمعنى أن هذا الفيروس أصبح الشغل الشاغل لأفراد هذه الشريحة أكثر من غيرها، فهم يربطون تدني مناعتهم وارتفاع مستوى استعدادهم للإصابة بها الوباء بسبب إعاقاتهم. في حين لم تأت فقرات بمستوى منخفض، وجاء في المرتبة الأخيرة وبمستوى بداية المتوسط الفقرات ذات الأرقام (٧، و ١١، و ١٨، و ٢٤)، بمتوسطات حسابية تراوحت ما بين (٢,٦٨ - ٢,٨٩) وبانحرافات معيارية، تراوحت ما بين (٠,٨٤ - ٠,٦٢)، وتشير هذه الفقرات على التوالي إلى (يواجه ضغوطاً نفسية إضافية فوق إعاقته)، و(يحبط عندما يطلب منه عمل شيء لا يستطيع عمله) و(يحب البقاء في المنزل دون المدرسة)، و(يتغيب عن مدرسته بحجة أنه مريض ويخاف الإصابة بهذا الفيروس)، وقد تضمنت هذه الفقرات: مواجهة ضغوط قد تكون أسرية تختلف من طالب لآخر ومن ذوي إعاقة الأخرى، وكذلك مواجهة إحباطات نتيجة الطلبات التي لا يستطيع إنجازها، وهذه ربما تكون موجودة في هذا الوقت أو في الأوقات الأخرى خارج وقت انتشار هذا الوباء، وكذلك الميل للبقاء في البيت والتغيب عن المدرسة عندما يكون هناك دوام رسمي وليس تعليم عن بعد، وربما يرتبط هذا برغبة الوالدين لذلك جاء مستواه متوسطاً وقريباً من المنخفض، ويمكن تفسير

ذلك إلى أن ما يتعلق بهذا الوباء تتجه نحوه الاهتمامات والتنبيهات والحرص الشديد وخاصة على أفراد هذه الشريحة مما يجعلهم أكثر يقظة وخوفاً من الإصابة، وما عدا ذلك يعتبر أمراً طبيعياً، حيث تظهر هناك احتياطات شديدة في المجتمع وفي الأسر ربما تسهم في رفع مستوى القلق والخوف الناتج عن التوجس بالإصابة بهذه الأوبئة (التميمي، ٢٠٠٦). وعليه فإن الآثار النفسية لإنعكاس تبعات فيروس كورونا على الأفراد ذوي الإعاقة على اختلاف إعاقاتهم، تمثلت بالقلق، والتوجس، والخوف من الإصابة بهذا الوباء، و الخوف من الموت بل وتربح الموت لدى جميع أفراد المجتمع، وبخاصة ذوي الاحتياجات الخاصة أو ممن لديهم أمراض مزمنة، مما يستوجب الحرص على متابعة كل جديد حول مصير هذا الفيروس. واتفقت نتائج هذا السؤال مع نتائج دراسة: معابرة والسفاسفة، (٢٠٢٠) و (Li, et, al. 2020)، ودراسة لاي وآخرون (Varshney, et, al.2014) فارشني

- عرض النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني ومناقشتها:

ما مستوى التكيف المختصر لدى الأفراد ذوي الإعاقة (الحركية، والبصرية، والسمعية)، أثناء انتشار فيروس كورونا من خلال تقديرات معلمهم؟ وللإجابة عن السؤال، تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والمستوى، لمستوى التكيف المختصر لدى الطلبة ذوي الإعاقة، والجدول (٣) يبين ذلك.

جدول (٣): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والمستوى، لمستوى التكيف المختصر- لدى الطلبة ذوي الإعاقة من خلال تقديرات معلمهم (ن = ١٨٨).			
ت	محتوى الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	يحاول التوجه إلى ممارسة أنشطة متنوعة	١,٢٤	٠,٥٨
٢	يركز جهوده في عمل شيء حول مستقبل هذا الوباء	٣,٤٥	٠,٦٥
٣	يردد قول: هذا الفيروس ليس حقيقياً	٢,٢٨	٠,٦٧
٤	يستخدم العقاقير ليشعر على نحو أفضل	٣,٤٥	٠,٨٢
٥	يحصل على الدعم الانفعالي من الآخرين	٢,٢٢	٠,٦٩
٦	يتصرف لجعل الموقف الذي يواجهه يبدو بشكل أفضل	٢,١١	٠,٨١
٧	يستسلم خلال محاولاته في التعامل مع هذا الفيروس	٣,٤٤	٠,٦٢
٨	يرفض تصديق أن هناك وفيات ناتجة عن الإصابة بهذا الفيروس	١,٢٢	٠,٧٥
٩	يطلب المساعدة من الآخرين	٢,٤٧	٠,٨٧
١٠	يواظب على مراجعة الطبيب ليساعده في أن يكون بوضع أفضل	٣,٥٥	٠,٨٩
١١	يكرر محاولاته للنظر للمستقبل بإيجابية	١,١٢	٠,٧٥
١٢	يتردد في انتقاد نفسه	٢,٣٥	٠,٦٨
١٣	يردد عبارات: أنني غير قادر على التغلب على مشاعري غير السارة	٣,٤٦	٠,٧٧
١٤	يحاول الوصول إلى نتيجة ينشدها	٢,٢٨	٠,٦٢
١٥	يشعر بالراحة حول تفهم الآخرين له	٢,٦٦	٠,٧١
١٦	يواصل محاولاته في التكيف مع ما يحيط به	١,١١	٠,٨٤
١٧	يحاول إيجاد شيء جيد فيما يحصل معه	٢,٤٤	٠,٧٦
١٨	يميل إلى استخدام الدعاية في التعامل مع ما يمر به	٢,٢٣	٠,٦٦
١٩	يحاول تسلية نفسه حتى لا يفكر بهذا الفيروس	١,٥٥	٠,٧٢
٢٠	يتقبل حقيقة ما يحصل معه	١,٤٤	٠,٦٩
٢١	يعبر عن مشاعره السلبية	٢,٨٢	٠,٧١
٢٢	يشعر بالراحة عندما يمارس شعائره الدينية	٢,٥٩	٠,٥٨

٢٣	يحاول التعايش مع واقع هذا الفيروس	١,٢١	٠,٥١	منخفض
٢٤	يحاول تقديم دعم لمن أصيبوا بهذا الفيروس	١,٣٢	٠,٦٣	منخفض
٢٥	يلجأ إلى الأخصائيين لطلب استشارة معينة	١,٠٦	٠,٥٥	منخفض
	الدرجة الكلية	١,٧١	٠,٦٣	متوسط

يتضح من الجدول (٣) أن مستوى التكيف المختصر جاء على الدرجة الكلية متوسطاً وقریباً من المستوى المنخفض، بمتوسط حسابي بلغ (١,٧١) وبانحراف معياري (٠,٦٣)، أي أن قدرة الطلبة ذوي الإعاقة على التكيف مع المواقف الطارئة تكيفاً مختصراً، ومن مختلف الإعاقات ومن الجنسين، هي دون المستوى المطلوب، وهذا يشير إلى ذوي الإعاقة بكل فئات الإعاقة. وبسبب الإعاقة لديهم، فإنهم يواجهون مشكلات وتحديات قد تحد من مستوى التكيف لديهم مع كل المواقف الطارئة التي لا يتوقعون حدوثها، فهم غير مؤهلين لذلك، وإمكاناتهم الذاتية لا تؤهلهم تقبل أي ظرف طارئ كما يتقبله الآخرون العاديون، فمن الضروري مساعدتهم وإدماجهم بصورة كلية شاملة في المجتمع وفي الحياة بكل ما فيها ومع من فيها، لذلك لا بد من استثمار بقايا قدراتهم وجوانب قوتهم للحد من نظرتهم حول أنفسهم بالشعور بأنهم أقل شأنًا من غيرهم، وأن لديهم شعورًا بالنقص والقصور، فهذا يشكل أهم واجب إنساني لهم على مجتمعاتهم في الأوقات العادية والظروف الاعتيادية، وهي من الأولويات في أوقات الأزمات والكوارث والأحداث الطارئة، فهم أكثر الفئات تأثرًا، فيجب احتوائهم وحمايتهم ليستطيعوا التعايش بشكل مناسب مع كل ما يستجد (محمد، ٢٠١٠)، وهذا هو حال الأفراد ذوي الإعاقة وقت انتشار وباء كورونا، حيث يتوجب في هذه المرحلة وضع خطط خاصة بهم لتقليل وخفض مستوى الآثار النفسية التي قد تنتج عن انتشار هذا الوباء وتأثيره عليهم. كما جاءت غالبية الفقرات بمستوى ما بين المنخفض والمتوسط القريب من المنخفض، وجاء في المرتبة الأولى وبمتوسط مرتفع، الفقرات ذوات الأرقام (٢، ٤، ٧، و١٠)، بمتوسطات حسابية تراوحت ما بين (٣,٤٤ - ٣,٥٥) وبانحرافات معيارية تراوحت ما بين (٠,٦٢ - ٠,٨٩)، وتشير هذه الفقرات على التوالي إلى (يركز جهوده في عمل شيء حول مستقبل هذا الوباء)، و(يستخدم العقاقير ليشعر على نحو أفضل) و(يستسلم خلال محاولاته في التعامل مع هذا الفيروس)، و(يواظب على مراجعة الطبيب ليساعده في أن يكون بوضع أفضل)، وقد تضمنت هذه الفقرات: تركيز الجهد الذاتي في التفكير في تداعيات هذا الوباء ومستقبله، واللجوء إلى الوسائل التي ربما تخفف أو تحد من الشعور بالآثار الناتجة عن انتشار هذا الوباء مثل استخدام العقاقير أو زيارة الأطباء وهي وسائل اعتيادية في التكيف مع الظروف الطارئة لكل الفئات الاجتماعية، لكن ذوي الاحتياجات الخاصة قد يستسلمون في التعامل مع أي طارئ بعد عدد محدود من المحاولات، وهذه قد تفرضها عليهم طبيعة الإعاقة التي أصيبوا بها، لذلك جاء مستواها مرتفعاً. وجاء في المرتبة الأخيرة وبمستوى منخفض عدد معين من الفقرات، وجاء أقلها متوسطات حسابية، الفقرات ذوات الأرقام (١١، ١٦، و٢٥)، بمتوسطات حسابية تراوحت ما بين (١,٠٦ - ١,١٢)، وبانحرافات معيارية، تراوحت ما بين (٠,٥٥ - ٠,٨٤)، وتشير هذه الفقرات على التوالي إلى (يكرر محاولاته للنظر للمستقبل بإيجابية)، و(يواصل محاولاته في التكيف مع ما يحيط به) و(يلجأ إلى الأخصائيين لطلب استشارة معينة)، وقد تضمنت هذه الفقرات تكرار المحاولات للتكيف فهي قليلة لديهم لأنهم لم يتعودوا عليها، حيث ينفذ صبرهم في التعامل مع المواقف، لأنهم يعتبرون أنفسهم أكثر الناس وأجدرهم من وجهة نظرهم، للمساعدة وهذه ترتبط بعوامل ثقافية تختلف من ثقافة إلى أخرى، ربما لا تكون في ثقافة غير ثقافتنا، أما اللجوء للأخصائيين فهو أيضاً يرتبط بالثقافة ونظرة المجتمع التي ما زال يشوبها الضبابية والتستر من مراجعة

هذه الجهات. وأن هناك حاجة إلى طرق تفاعل مع الموقف تفوق قدرات هؤلاء الأفراد بحيث لا يستطيعون التعامل معها بما يمتلكون من إمكانيات حالية، حيث يصل عندها الفرد إلى حالة من القلق والخوف والتوتر، ولأن الأفراد في أوضاعهم العادية لا يتحملون وضع الأزمة لمدة طويلة، حيث يبدوون بالبحث عن طرق للنجاة وحلول ضمن إمكانياتهم العادية، أما الأفراد ذوو الإعاقة فإنهم أقل إمكانيات، ولديهم عجز كلي أو جزئي في بعض الوظائف الحيوية تنعكس سلباً في الجانب النفسي لديهم، مما يجعلهم دائمياً البحث، ولكنهم يحتاجون المعين والمساعد في تذليل بعض الصعوبات أو التحديات التي ليست في مقدورهم، لذلك تراهم أكثر بحثاً عن طرق النجاة، حيث يلجؤون إلى تبني طرق واستجابات جديدة، من هنا فهم بحاجة أكثر من غيرهم إلى تطوير أساليب تكيفية مناسبة لهم، مثل إستراتيجيات التكيف المختصر (دونا وصبح ورسلان، ٢٠١٩).

النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث ومناقشتها:

هل توجد علاقة دالة إحصائياً بين مستوى الآثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا ومستوى التكيف المختصر لدى الطلبة ذوي الإعاقة (الحركية، والبصرية، والسمعية)، في ضوء متغيري: الجنس، ونوع الإعاقة؟ وللإجابة عن السؤال تم حساب معامل ارتباط "بيرسون" بين درجات أفراد الدراسة على مقياسي الدراسة: الآثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا، والتكيف المختصر، والجدول (٤) يبين ذلك.

جدول (٤): معاملات ارتباط بيرسون بين مستوى متغيري الدراسة: الآثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا والتكيف المختصر لدى الطلبة ذوي الإعاقة (الحركية، والبصرية، والسمعية)، في ضوء متغيري: الجنس، ونوع الإعاقة من خلال تقديرات معلمهم (ن = ١٨٨).			
المتغير	معامل الارتباط	معامل التحديد	مستوى الدلالة
الذكور	0.22	٠,٠٤٨٤	٠,٥١٣
الإناث	0.19	٠,٠٣٦١	٠,٦١٢
السمعية	٠,١٨	٠,٠٣٢٤	٠,٥٤٧
نوع الإعاقة الحركية	22٠٠	٠,٠٤٨٤	٠,٦٣١
البصرية	٠,٢٥	٠,٠٦٢٥	٠,٥٤٧
المجموع	٠,٢٣	٠,٠٥٢٩	٠,٦٠١

يتضح من الجدول (٤) أن معامل الارتباط بين مستوى الآثار النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا وبين مستوى التكيف المختصر لدى الطلبة ذوي الإعاقة الذكور هو (٠,٢٢)، وأن معامل التحديد هو (٠,٠٤٨٤)، في حين بلغ معامل الارتباط بين هذين المتغيرين لدى الطالبات الإناث (٠,١٩)، وأن معامل التحديد بلغت قيمته (٠,٠٣٦١)، أي أن هناك علاقة ضعيفة وعكسية بين هذين المتغيرين تبعاً لجنس الطلبة، وأن هذه العلاقة ضعيفة ولكنها أقوى لدى الذكور منها لدى الإناث، كما بلغ معامل الارتباط بين هذين متغيرين ومعامل تحديد بلغت قيمته (٠,٠٣٢٤)، (٠,١٨) (المتغيرين لدى الطلبة ذوي الإعاقة السمعية، وبلغ معامل الارتباط بين هذين المتغيرين لدى الطلبة ذوي الإعاقة الحركية (٠,٢٢)، ومعامل تحديد (٠,٠٤٨٤)، كما بلغ معامل الارتباط لدى الطلبة ذوي الإعاقة البصرية (٠,٢٥)، بمعامل تحديد (٠,٠٦٢٥)، وبمستوى دلالة ارتباطية غير دال، ولجميع هذه المستويات من هذين المتغيرين، وأن قيمة (٨)

أقل من (٠,٠٥)، وهذا يشير إلى أن العلاقة أيضًا ضعيفة وعكسية، تبعًا لنوع الإعاقة، وأن هذه العلاقة هي لدى الطلبة ذوي الإعاقة البصرية أعلى، يأتي بعدها الإعاقة الحركية، وأخيرًا الإعاقة السمعية، وبلغ معامل الارتباط بين هذين المتغيرين تبعًا لمتغيري: الجنس ونوع الإعاقة (٠,٢٣)، وبمعامل (٠,٠٥٢٩) وبمعامل دلالة غير دال إحصائيًا، أي أن العلاقة بين هذين المتغيرين هي ضعيفة جدًا وعكسية. ويمكن تفسير ضعف العلاقة بين هذين المتغيرين ولدى هذه الفئات بسبب طبيعة ما يعانونه من إعاقات متنوعة، حيث إن مستوى استعداداتهم الذاتية وإمكاناتهم الشخصية في مستويات منخفضة مقارنة مع أقرانهم العاديين، فلديهم ضعف في المقاومة وعجز في بعض الوظائف الحيوية كل حسب شكل إعاقته، فهم أكثر تأثرًا من غيرهم بتبعات الطوارئ والأزمات ومنها الأوبئة، لذلك جاء مستوى الآثار النفسية مرتفعًا لديهم، ومن جهة أخرى لم يسبق لهم أن خبروا مثل هذا الوباء حتى يكون تأثيرهم أقل، كما أن مستوى تكيفهم مع الطوارئ والتحديات أقل من غيرهم من أقرانهم بنفس الفئة العمرية، بحكم طبيعة إعاقاتهم المختلفة، لذلك هناك انخفاض في مستوى التكيف لديهم، فتأثرهم بآثار الوباء مرتفع وتكيفهم منخفض وبالتالي العلاقة هي عكسية وضعيفة، أي أن الآثار النفسية هي ناتجة عن انتشار هذا الفيروس هي ذات طبيعة خاصة بهذا الوباء، حيث لم يتعرض العالم له من قبل بهذه الصورة، حتى يتم عمل وقاية له وأخذ كافة الاحتياطات اللازمة لمواجهته، أو التقليل من آثاره لكل الناس وبالذات للأفراد من ذوي الإعاقة، وهؤلاء هم الأكثر تأثرًا بأي طارئ في أي مجال من المجالات، ولهذا فإن مستوى التكيف وخاصة التكيف المختصر يحتاج إلى تدريب على استراتيجيات.

أو توظيفها في مواجهة المواقف الطارئة التي يتعرض لها الأفراد في حياتهم، ولعل ذوي الإعاقة هم الأقل حظًا في الرعاية النفسية التي تستخدم مثل هذه الاستراتيجيات. واتفقت نتائج هذا السؤال مع نتائج دراسة كل من: البسطامي (٢٠١٣)، وغزال ودبك (٢٠١٨).

التوصيات:

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة، فإن الباحثين يوصيان بالآتي:

- ١- ضرورة تدريب الأفراد من ذوي الإعاقة على أساليب وطرق التكيف المختصر، لاستخدامها أثناء انتشار الأوبئة، أو الأزمات أو الطوارئ، لتقليل الآثار النفسية التي قد تترتب عليها.
- ٢ - بناء البرامج الإرشادية التي تستهدف الأفراد ذوي الإعاقات المختلفة لتحسين وتنمية مستوى صحتهم النفسية ومناعتهم، وطرق تكيفهم مع التحديات التي قد تواجههم، وزيادة مستوى الوعي الصحي قبل وأثناء انتشار الأوبئة.
- ٣ - ضرورة تدريب الأفراد على أساليب وطرق التكيف المناسبة، لاستخدامها أثناء انتشار الأوبئة، لتقليل الآثار النفسية التي قد تترتب عليها وبخاصة لدى الأفراد ذوي الإعاقة.
- ٤ - إجراء المزيد من الدراسات على أفراد آخرين من ذوي الإعاقات الأخرى ومن الفئات الخاصة، في مجال الرعاية النفسية والمناعة النفسية ومفاهيم علم النفس الإيجابي.

المراجع:

- إدارة التعليم. (٢٠١٩ / ٢٠٢٠). التقرير الإحصائي السنوي لإعداد الطلبة والمدارس من ذوي الإعاقة. وزارة التربية والتعليم: عمان - الأردن.
- البسطامي، سلام راضي أنيس. (٢٠١٥). مستوى إدارة استراتيجيات التكيف المختصر للضغوط النفسية لدى آباء الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة وأمهم في محافظة نابلس. رسالة ماجستير غير منشورة. نابلس - فلسطين: جامعة النجاح الوطنية - كلية الدراسات العليا.
- بن ستي، حسنية. (٢٠١٣). التوافق النفسي وعلاقته بالدافعية للتعلم لدى تلاميذ سنة الأول الثانوي. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة قاصدي، مرباح ورقلة - الجزائر.
- التميمي، أمينة عبد الجواد. (٢٠٠٦). فاعلية التدريب على استراتيجيات التكيف في خفض القلق والاكتئاب وتحسين مستوى التكيف النفسي لمرضى الفشل الكلوي المزمن. رسالة دكتوراه غير منشورة. كلية الدراسات العليا - الجامعة الأردنية - عمان.
- الحديدي، منى. (٢٠١١). مقدمة في الإعاقة البصرية. عمان - الأردن: دار الفكر للنشر والتوزيع.
- الخالدي، محمد أديب. (٢٠١٤). المرجع في الصحة النفسية (ط٢). عمان - الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع.
- دونا، عيسى و صبح، صفاء و رسن، صباح. (٢٠١٩). تقييم مستوى استراتيجيات التكيف المختصر للتعامل مع الضغوط لدى أمهات أطفال التوحد في اللاذقية. مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية: سلسلة العلوم الصحية، ٤١(١)، ٢٨٥ - ٢٩٩.
- الجلادمة، فوزية عبد الحميد. (٢٠١٦). المشكلات السلوكية والنفسية والتربوية لدى ذوي الاحتياجات الخاصة (ط١). عمان - الأردن: دار المسيرة للطباعة والنشر.
- السفاسفة، محمد إبراهيم و السيد، سناء خليل. (٢٠٢٠). مستوى أعراض الاضطرابات النفسية الناتجة عن انتشار فيروس كورونا وعلاقتها بمستوى المناعة النفسية لدى عينة من الأردنيين الذين تعرضوا لهذا الفيروس بشكل مباشر أو غير مباشر. المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية، ٧(١)، ٣٦ - ٥٤.
- السفاسفة، محمد إبراهيم و عربيات، أحمد عبد الحليم. (٢٠١٤). مبادئ الصحة النفسية والمدرسية، عمان - الأردن: دار الإعصار للنشر والتوزيع.
- السفاسفة، محمد إبراهيم ومعابرة، شروق محمد و السفاسفة، إبراهيم محمد. (٢٠٢٠). إرشاد الأزمات والرعاية النفسية لضحايا الكوارث والأزمات (ط١). عمان - الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع.
- غزال، سوسن و ديك، طلال مجد الدين. (٢٠١٨). إستراتيجيات التكيف المختصر لدى مرضى السرطان خلال فترة العلاج الكيماوي. مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية: سلسلة العلوم الصحية، ٤٠(٣)، ٣٦٥ - ٣٨١.
- محمد، عادل عبدالله. (٢٠١٥). قضايا معاصرة في التربية الخاصة (ط٢). القاهرة: دار الرشد للنشر والطباعة والتوزيع.
- الهابط، محمد السيد. (٢٠٠٨). التكيف والصحة النفسية (ط٤). الإسكندرية: المكتبة الجامعية.

- Bailey, A. & Smith, S. (2003). Providing Effective Coping strategies and Support for Families with Children with Disabilities. *Intervention in School & Clinic*, 35(5), 294- 297.

- Carlson, N. B. Martin, N. & BusKist, w (2013). *Psychology* (5th.ed). Pearson Education, Britain.

- Dario, M. et. al. (2015). The Situational Version of the Brief Coping: Dimensionality and Relationship with Goal – Related Variables. *Europe's Journal of Psychology*, 11(2), 295-310.
- Felipe, G. Carman, B. & Marcela, A. R. (2018). Psychometric Properties of the Brief – Coping for the Evaluation of Coping Strategies in the Chilean Population. *Ps Col. Refl. Crite*, 31(22), 253-181.
- Goodwin, R., Hague, S., Neto, F. et al. (2009). Initial Psychological Responses to Influenza. A, H1N1 ("Swine flu"). *BMC Infect Dis* 9, 166. <https://doi.org/10.1186/1471-2334-9-166>.
- Maberah, shoorog & Al- Safasfh, Mohammad Ibrahim. (2020). The Psychological and Health Impacts of Outbreak Corona Virus on the level of Well-Being of Staff in Private Jordanian Universities. *Pal Arch's Journal of Archeology of Egypt / Egyptology*. 17(6), 10383 – 10406.
- Li, S., Wang, Y., Xue, J., Zhao, N., & Zhu, T. (2020). The Impact of COVID-19 Epidemic Declaration on Psychological Consequences: A Study on Active Weibo Users. *International Journal of Environmental Research and Public Health*, 17(6). <https://doi.org/10.3390/ijerph1706203>.
- Varshney, M., Parel, J. T., Haj, edr, N., & Sarin, S. K. (2020). Initial psychological impact of COVID-19 and its correlates in Indian Community: An online (FEEL-COVID) survey. *PloS One*, 15(5), e0233874. <https://doi.org/10.1371/journal.pone.0233874>

تشكيل الصورة الحسية في الشعر الفلسطيني المقاوم بعد عام ٢٠٠٨ م
"دراسة وصفية تحليلية"
د. عبدالفتاح داود عبدالفتاح كاك*

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢١ / ٢ / ٣ م تاريخ قبول البحث: ٢٠٢١ / ٧ / ٢٨ م

ملخص

يهدف هذا البحث إلى استجلاء معالم تشكيل الصورة الحسية في الشعر الفلسطيني المقاوم بعد حرب عام ٢٠٠٨ م، من خلال عدة محاور أساسية هي: تمهيد يتناول الصورة الشعرية، وحسية التشكيل الشعري، وأنواع الصور الحسية كالصورة البصرية الحركية، والصورة البصرية اللونية، والصورة السمعية، والصورة الشمية، والصورة الذوقية. حيث شكل الشعراء الفلسطينيون خطابهم الشعري المقاوم من خلال هذه الصور التي كان لها أثر كبير في شحن المتلقي، وتماهيه مع تجاربهم الشعرية.

كلمات مفتاحية: (الصورة، الحسية، الشعر، الفلسطيني، المقاوم)

* باحث، الجامعة الإسلامية، غزة-فلسطين.

The Formation of Sensory Image in the Palestinian Resistance Poetry after 2008 "A Descriptive Analytical Study"

Abstract

The aim of this research is to clarify the features and constituents of sensory images used in the Palestinian resistance poetry after the 2008 war. With this in mind, this research focuses on the following main topics; introduction to poetic images and the concepts adopted by old and new critics for it, the sensuality of poetic formation, types of sensory images; including motion visual images, color visual images, audio images and smell and taste related images. Palestinian poets formed their resisting poetic discourse through those images, greatly impacting audience by emotionally charging them and linking them to the poetic experiences they portrayed.

Keywords: (sensory images, poetry, Palestinian, resistance).



المقدمة:

يعبر الشعر في معظم الأحيان عن الواقع السياسي والفكري والاجتماعي للبيئة التي يحياها الشاعر، وقد كان الشعراء على مر العصور منذ العصر الجاهلي وحتى يومنا هذا على علاقة وطيدة بمجتمعاتهم، وشعراء فلسطين ليسوا بمنأى عن هذا الأمر، فهم من قبل وقوع النكبة عام ١٩٤٨م على علاقة وطيدة بقضيتهم العادلة، فجاءت قصائدهم مواكبة لهذا الواقع، وخاصة الواقع السياسي، فمنذ بدايات القرن الماضي وحتى يومنا هذا ما يزال الشعب الفلسطيني يتعرض لشتى أنواع العريضة الصهيونية، وخاصة في قطاع غزة الذي تعرض لثلاثة حروب طاحنة منذ العام ٢٠٠٨م وحتى العام ٢٠١٤م. حروب طحنت الأخضر واليابس، وأوقعت الإنسان والمكان تحت سطوة العريضة الصهيونية وآلات قتلها. الأمر الذي عكس هذه الأحداث الجسيمة على صفحة الأدب الفلسطيني عامة، والخطاب الشعري الفلسطيني بصفة خاصة.

وكما هب الفدائيون للدفاع عن حياض الشعب الفلسطيني المحاصر في قطاع غزة، كان للشعراء دور كبير جدًا في شحذ الهمم ورفع الروح المعنوية للشعب، وتصوير الواقع، من خلال خطاباتهم الشعرية الفلسطينية المقاومة، التي كان لها دور كبير في تحديد مسارات الحياة السياسية.

يعد العام ٢٠٠٨م علامة فارقة في وعي الشعب الفلسطيني خاصة وسكان قطاع غزة عامة، حيث شكّل هذا العام علامة فارقة في وعي سكان قطاع غزة. فما تزال آثار حرب الفرقان وهو الاسم الذي أُطلق على هذه الحرب ماثلاً حتى اليوم في أذهان سكان قطاع غزة، حيث بدأت إرهابات هذه الحرب بعد فوز حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتخابات التشريعية التي أجريت في كافة المناطق الفلسطينية عام ٢٠٠٤م. الأمر الذي لم يكن مريحاً للطرف الآخر الذي فرض حصاراً جائراً على قطاع غزة، الذي بدا أشبه بعقاب جماعي، وما كادت الحرب تنتهي بعد ثلاثة وعشرين يوماً، إلا وبدأت الحرب الثانية عام ٢٠١٢م التي استمرت ثمانية أيام عقب اغتيال أحد قادة المقاومة الفلسطينية الأمر الذي جعل المنطقة تغلي على صفيح ساخن ذاق خلالها سكان غزة أشد ويلات الحروب. وما إن جاء العام ٢٠١٤م حتى أتى معه بأعنى الحروب التي استمرت واحداً وخمسين يوماً، جريت فيه إسرائيل كافة أنواع الأسلحة غير التقليدية في سبيل كسر شوكة المقاومة الفلسطينية وصمود سكان

قطاع غزة. وحتى كتابة هذه السطور ونحن في العام ٢٠٢١م يتعرض قطاع غزة لحرب طاحنة اسمها سيف القدس سببها التطاول الصهيوني على المسجد الأقصى حرب تدور رحاها منذ أربعة أيام، حرب أتت على الأخضر واليابس، حيث استهدفت الطائرات كل مرافق الحياة، وأوقعت الإنسان والمكان تحت براثن آلة الحرب الصهيونية.

والسبب الرئيس لكتابة هذا البحث عدم وجود دراسة متخصصة مستقلة تبحث في هذه الفترة بالذات في الشعر الفلسطيني المقاوم.

الدراسات السابقة، في حدود علمي واطلاعي لم أقف على دراسة متخصصة، تفرد للشعر الفلسطيني المقاوم بعد عام ٢٠٠٨م ورقات مستقلة تتناوله فيه بالبحث والتحليل وتستجلي جمالياته، إلا رسالة ماجستير للباحثة تهاني سالم أبو صلاح بعنوان "الشعر الفلسطيني المقاوم في القرن الواحد والعشرين ٢٠٠٠-٢٠١٥" دراسة تحليلية نوقشت هذه الأطروحة عام ٢٠١٦م في الجامعة الإسلامية بغزة. وهو بعيد كل البعد عما تناولته أنا في تشكيل الصورة الحسية للشعر الفلسطيني المقاوم بعد عام ٢٠٠٨م، حيث عمدت الباحثة في تفسير الصور التي تناولتها في بحثي من خلال التشبيهات والاستعارات والصور الكنائية، وهي بعيدة كل البعد عن الدرس الأسلوبية.

وفي هذا البحث وقفت على كيفية تشكيل الصورة الحسية في الخطاب الشعري الفلسطيني المقاوم بعد حرب عام ٢٠٠٨م عند شعراء قطاع غزة وخاصة المغمورين منهم، وكيف استمدوا مقومات الصور الحسية من الواقع الفلسطيني، من خلال عدة محاور هي:

١. إطار نظري عن الصورة قديماً وحديثاً.

٢. الشعر الفلسطيني المقاوم.

٣. حسية التشكيل الشعري.

٤. الصورة البصرية الحركية.

٥. الصورة البصرية اللونية.

٦. الصورة السمعية.

٧. الصورة الشمية.

٨. الصورة الذوقية.

التمهيد:

للصورة الشعرية أهمية بالغة في التراث العربي، فقد اهتم النقاد العرب القدماء بالصورة الشعرية اهتمامًا كبيرًا. حيث برز هذا الاهتمام من خلال كتاباتهم النقدية التي تناولت الصورة بالبحث والتحليل، فقد ارتبط مفهوم الصورة بالشعر العربي دراسة ونقدًا، لذلك نجد التعريفات التي وضعها القدماء للشعر وكيونته تنص صراحة على الصورة، فالشعر في أساسه تصوير للواقع المنظور بألفاظ منتقاة، يحاول الشاعر من خلال صياغتها تقريب الواقع من المتلقي، ودمجه في التجربة الشعورية التي يعيشها الشاعر، حيث يستشعر المتلقي معالم هذه الصورة من خلال جميع حواسه ويتماها مع الشاعر، فالشعر "صناعة وضرب من النسج، وجنس من التصوير"^(١).

وقد جاءت التعريفات قديمًا تدلل على أهمية التصوير أو الصورة الشعرية وهو ما يدل على معرفة النقاد العرب القدماء اليقينية بأهمية الصورة، ودورها الفاعل في البناء الشعري. والصورة الشعرية المنتقاة من الشاعر في خطابه الشعري، تمثل أحد أهم المرتكزات الأساسية التي يعتمد عليها النص اعتمادًا كبيرًا، وقد اقترب مفهوم الإمام الجرجاني للصورة الشعرية من المفهوم الحديث فقال: "يرك للمعاني الممثلة شبيهًا في الأشخاص الماثلة والأشباح القائمة، وينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجمد، ويريك التئام عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار مجتمعين"^(٢). وما يفهم من الكلام السابق، أن لغة الصورة الشعرية القديمة كانت قائمة في السابق على إيجاد العلاقة بين الأشياء الموجودة، الأمر الذي خالفه الجرجاني من خلال جمعه للمتضادات في الصورة الواحدة وجعلها أساسًا للصورة، أي الاعتماد على كسر العلاقة التقليدية والسعي لإيجاد علاقات وتصورات جديدة، فهو بذلك يربط بين الصورة الشعرية وكيفية تجليها داخل النص الأدبي وبين الصياغة وحسنها وكيفية تلاؤم الكلمات داخل البناء الشعري حسب ما تقتضيه نظرية النظم. فلم يعد الخيال الشعري يقتنع بإيجاد العلاقات بين الموجودات، أو بأن يتلقى

مصادر صورته من الخارج بل أصر على أن يخلقها بنفسه"^(٣). وقد اهتم النقاد المحدثون بالصورة الشعرية فتناولوها بالدراسة والتحليل، وبينوا أهمية الخيال في إنتاج الصورة الفنية ودورها الفاعل داخل النصوص الشعرية، فالخيال هو "القدرة وراء تكوين الصور. والشعر عامة عماده الصور، وإلا فهو نظم كالشعر التعليمي الذي يعتمد على تقديم الحقائق والأفكار. وهو بهذا يهبط إلى مستوى النثر سوى أنه يتمتع بالوزن، فالصورة جوهر فن الشعر وليست حلياً زائفة؛ لأن المعنى الشعري يتولد من تلك الصور"^(٤). والصورة الشعرية الناتجة عن خيال الشاعر أحد مقومات التجربة الشعرية فهي "الموصل الجيد لغرض الكاتب أو الشاعر، والوسيلة القوية لنقل خواطره وأحاسيسه والطريق الواضحة الأمانة في نقل موضوعه"^(٥). والصورة الشعرية حديثاً لم تعد تعتمد على العناصر البلاغية التي تتناولها علوم البلاغة الثلاثة، بل تجاوزتها إلى المفارقات التصويرية، وأبنية النص فالعناصر التصويرية "في القصيدة العربية تتجاوز موروثة بلاغية ونقدية، فهي تشكيل معقد وتركيب مراوغ"^(٦). لذلك أصبحت الصورة الشعرية "رسماً بالكلمات وتجسيداً لأحاسيس الشاعر وأفكاره المجردة بشكل حسي؛ وأن الخيال عنصر هام من عناصر إنتاجها؛ وأنها تعتمد المجاز وغيره من مقومات البلاغة العربية - التشبيه والاستعارة والكنية والتقديم والتأخير...- ويمكن أن تعتمد الوصف الحسي لكي توصل إلى خيالنا شيئاً يتجاوز حقيقة الأشياء، وذلك من خلال اعتمادها على طاقات اللغة وإشعاعاتها الوجدانية لتجسيد عاطفة الشاعر وفكرته في ألفاظ ذات دلالة حقيقية"^(٧). فالصورة الشعرية هالة مشحونة بالعاطفة المتوهجة، نابضة بمختلف الاحاسيس المسيطرة على الشاعر، أبدعت في رسمها الكلمات جراء تجربة شعورية أملت به، فالصورة الشعرية "صورة حسية بالكلمات، وإلى حد ما مجازية، مع إشارة خفية إلى بعض العاطفة الإنسانية في سياقها، وهي مشحونة بإحساس أو عاطفة شعرية خاصة تناسب نحو القارئ"^(٨). لذلك فالصورة أهم لبنات العمل الأدبي، التي يسعى الشاعر من خلالها للتعبير عن عاطفته، ورسمها بكلمات مؤثرة تتشابك فيها المتناقضات، بغية التأثير في المتلقي وجعله يتماهى مع المبدع ونصه. وتعتمد الصورة الشعرية الآن على كسر اللغة وإيجاد علاقات بين المتناقضات للفت نظر المتلقي إلى الصورة والتأثير فيه، فالصورة الشعرية "تنبثق من إحساس عميق يحاول أن يتجسد في رموز لغوية ذات نسق خاص وهو تلقائياً خروج عن النسق المعجمي في الدلالة والنسق الوظيفي في التراكيب"^(٩).

والصورة الشعرية إحدى أهم أدوات البناء الشعري لها دور كبير في التأثير على المتلقي ليس من خلال نقل الواقع فحسب، وإنما من خلال "تحريكها خارج مفاهيمها السائدة، وتغيير تركيبها بجمع ما لا يجتمع من العناصر، وربط علاقات مستحيلة بين عناصر متفارقة مكنت الشعراء بتفارقها من اختزال الكون، ونزع أفنعه، وبالتأكيد ما كان لذلك أن يتم لولا القفزة التي أحدثوها خارج الحسية والنظرة الأفقية، واستبدالها بالنظر إلى الكون نظرة مقطعية عمودية كشفت عن حركته العميقة فصار كونًا من الأحاسيس والمشاعر، كونًا مفارقًا جموده إلى حيويته وأحادية النظرة ومحدوديتها إلى تعددها واتساعها"^(١٠).

إن أبرز ما يمكن وصف الصورة الشعرية الحديثة به أنها صورة حيوية وذلك لأنها تتكون تكونًا عضويًا، وليست حشدًا مرصوفًا من العناصر الجامدة، يعبر الشاعر من خلالها عن المعنى فالصورة الحديثة هي أداة للتعبير^(١١).

وتعتمد الصورة الشعرية على عنصر الانتقاء الذي يقوم به الشاعر للتعبير عما يجول بخاطره وبما يتوافق والتجربة الشعورية التي يمر بها فالصورة الأدبية "هي التركيب القائم على الإصابة في التنسيق الفني الحي لوسائل التعبير التي ينتقها وجود الشاعر - أعني خواطره ومشاعره وعواطفه - المطلق من عالم الحسيات؛ ليكشف عن حقيقة المشهد أو المعنى، في إطار نام محس، مؤثر، على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر في الآخرين"^(١٢). والصورة الشعرية هي أحد العناصر الذي تتم به تقييم الشعراء فهي "جوهر الشعر ومحك مقدرة الشاعر بواسطتها يتضاعف الشعر مضمونًا من ناحية المعاني، ويتكاثر شكلاً من ناحية الأساليب وجودته لغة وصياغة"^(١٣). والصورة الشعرية أحد إفرازات الخيال الشعري للشاعر الذي يمكن تعريفه بأنه "فيض تلقائي للعواطف القوية"^(١٤). هذه العواطف تنبع من قدرة الشاعر على التخيل وتدفعه إلى تكوين الصورة الشعرية المؤثرة. كما أن هناك علاقة بين اللغة الشعرية التي تمثل اللبنة الأولى في العمل الشعري، وبين المضمون الذي تريد اللغة أن توصله للمتلقي. فينتج من هذه العلاقة الصورة الشعرية أو الخيال الأدبي حيث تنماهي عاطفة الشاعر مع المتلقي وتكون الموسيقى الشعرية في هذه الحالة ذات دور رائد في المحافظة على هذه العلاقة وضمان الاستمرارية لها بدوام قراءة النص. فلم تعد الصورة في النقد الحديث مقتصرة على التصورات البلاغية في تحديد جمال النص وجودة سبكه من خلال تشبيهاته واستعاراته ومجازاته، لقد انتقل النقد الحديث بالصورة الشعرية نقلة نوعية، من

خلال اعتبار الصورة رمزاً فهي تشكيل لغوي يكون خيال الفنان من معطيات متعددة، العالم المحسوس في مقدمتها، فالصورة مستمدة من الحواس إضافة إلى الصور النفسية والعقلية^(١٥).

وتعدُّ الصورة وسيلة من وسائل النقد يتلمس الناقد من خلالها معالم أصالة العمل الأدبي وجودته فيها يستكشف الناقد "موقف الشاعر من الواقع، وهي إحدى معايير العامة في الحكم على أصالة التجربة، وقدرة الشاعر على تشكيلها في نسق يحقق المتعة والخبرة لمن يتلقاها"^(١٦).

لقد عدَّ النقاد الصورة الشعرية الأصيلة النابعة من تجربة حقيقية ركنًا شعريًا ملازمًا لكل شعر أصيل ليس فقط على صعيد بنية النص أو شكله، بل على صعيد الروح أو المادة الشعرية فالصورة ليست طريقة تعبير فقط بل إنها أيضا طريقة تفكير^(١٧). تضع المتلقي أمام تصورات الشاعر. فالصورة الشعرية "إبداع خاص للروح، لا يمكن أن تتولد من التشابه، وإنما من التقريب بين حقيقتين متباعدتين كثيرًا أو قليلًا، وكلما كانت الصلات بين الحقيقتين اللتين يقرب بينهما الشاعر بعيدة ودقيقة، كانت الصورة أقوى وأقدر على التأثير، وأغنى بالحقيقة الشعرية"^(١٨).

فالصورة الشعرية "كلام مشحون شحناً قوياً يتألف عادة من عناصر محسوسة، خطوط، ألوان حركة، ظلال تحمل في تضاعفها فكرة وعاطفة أي أنها توحى بأكثر من المعنى الظاهري وأكثر من انعكاس الواقع الخارجي وتؤلف في مجموعها كلاً منسجماً"^(١٩).

لقد استخدم الشعراء الفلسطينيون الصورة الشعرية في بناء نصوص شعرية مقاومة تعبر عن الواقع الأليم بعد عام ٢٠٠٨م في قطاع غزة فصوروا الواقع من خلال ما يجول بخواطرهم من أحاسيس ومشاعر، سعوا جاهدين إلى إيصال هذه المشاعر والأحاسيس إلى المتلقي للتأثير فيه من خلال إيجاد علاقات بين شيئين أو أشياء مختلفة تربط بينهما رابطة ما سواء كانت هذه الرابطة حقيقية أم مجازية "فالشعور يظل مبهماً في نفس الشاعر، فلا يتضح له إلا بعد أن يتشكل في صورته"^(٢٠). واعتمدوا على تجاربهم الذاتية في تشكيل صورهم، فجاءت صورهم نابعة من ذات مبدعة أحسنت في تصوير عواطفهم على اختلافها، تبعاً للحالة النفسية التي يمرون بها، وحسب ما يقتضيه بناء النص.

إذن فهناك علاقة وثيقة بين الصورة والعاطفة المسيطرة على الشاعر. " فعاطفة الشاعر في قصيدته إنما تكمن في صوره، بل إن الصورة بأشكالها، هي الوسيلة التي يعتمد عليها الشاعر لتجسيد شعوره"^(٢١). ومن هنا نبعت أهمية الصورة الشعرية في كونها الحاضنة الأساسية للعاطفة والشعور، تحمل العاطفة الجياشة في ثناياها، وتتضافر الصور المتعددة جميعاً أيضاً في النص الشعري على احتواء هذا الشعور، والمساهمة في إبرازه " إن العاطفة إن كان ثمة عاطفة في القصيدة تكمن في الصور، أو إذا لم تكن كامنة في الصور نفسها، فبين هذه الصور"^(٢٢).

وقد توصل علماء النفس إلى أن هناك أنماطاً مختلفة من الصور التي تؤدي كل منها دلالة معينة حسب ما تقتضيه طبيعة التجربة والإحساس، الذي يسيطر على المبدع حال إنشائه النص. من هذه الأنماط، النمط البصري، والسمعي، والذوقي، والشهي وما إليها من الأنماط التي تهتم بالصور وطريقة تصنيفها، من حيث إنها أهم مخرجات العمل الأدبي الذي يسعى المبدع من خلاله إلى التأثير، ويميزه عن غيره من المبدعين، وهذا التصنيف للصورة يعتمد الحواس الخمس أساساً له، وقد تغلب حاسة منها على صورة ما فتنسب إليها، وقد تشترك أكثر من حاسة في تكوين صورة أخرى^(٢٣).

الشعر الفلسطيني المقاوم:

برز الشعر الفلسطيني المقاوم كأحد الاتجاهات الموضوعية للشعر الفلسطيني بشكل عام قبل عام ١٩٤٨م أي قبل عام النكبة. ويمكن التأريخ لبروز هذا الاتجاه ونضجه بقصيدة الثلاثاء الحمراء للشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان بعد صدور قرار إعدام بريطاني في فترة الانتداب البريطاني على فلسطين بحق ثلاثة فلسطينيين هم فؤاد حجازي وعطا الزير، ومحمد مجوم بعد انتهاء ثورة البراق عام ١٩٣٠م حيث خرجت الجنازة من سجن عكا تردد القصيدة وتشعل نار الثورة ، وتلهب حماس الجماهير، وتؤجج شعلة المقاومة^(٢٤). وظل هذا الاتجاه في نمو مستمر حتى عام ١٩٦٥م حيث برز شاعر مفلق في هذا النوع من الشعر هو الشاعر الفلسطيني توفيق زياد الذي أراه بحق الأب الروحي للشعر الفلسطيني المقاوم من خلال قصائده التي كان لها حضور خاص.

كما يمكن إدراج هذا الشعر كأحد أنواع الشعر السياسي التي واكبت الواقع الفلسطيني، وما آلت إليه القضية الفلسطينية .

وسواء كان الرأي الأول هو الصحيح أو الثاني فلا ضير المهم أن هذا الشعر أصبح موجوداً يعبر عن آمال شعب ويصور تطلعاته، له أسبابه ومضامينه التي لا تخلو قصيدة ما من هذه المضامين، فما زالت مضامين هذا الشعر تتحدث عن فلسطين وحال الأمة، والقدس والمسجد الأقصى، وجرائم اليهود، والجهاد في سبيل الله، والسجن والحرية، والسلام، والعودة، والهوية. والناظر الفاحص المدقق للشعر الفلسطيني المقاوم يجد أن له معجماً لغوياً خاصاً جديراً بالدراسة والتحليل، كما يحمل الكثير من القيم الوطنية والإسلامية.

والدارس للشعر الفلسطيني المقاوم يجد أن هذا المعجم في اتساع فالعلاقة بين المعجم الشعري للشعر الفلسطيني المقاوم والواقع السياسي الذي تمر به المنطقة علاقة مطردة نتج عنها زيادة الموضوعات التي يتناولها هذا الشعر تبعاً للأحداث السياسية، فمنذ قصيدة الثلاثاء الحمراء والأحداث السياسية في تزايد مطرد إلى أن نصل إلى أحداث الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام ١٩٨٧ م، ومروراً باتفاقات السلام، وقيام انتفاضة الأقصى، واغتيال الزعامات الفلسطينية، حتى الألفية الثانية والحروب المدمرة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني، كل هذه الموضوعات أصبح لها حضور دائم في هذا الشعر^(٢٥).

ويمكن القول إن المقاومة الفلسطينية ضد المحتل وبروز هذا الاتجاه أدى إلى ازدهار الشعر الفلسطيني بشكل عام. "ولم يتوقف الأمر عند الشعر بل تعداه إلى الرواية والقصة القصيرة، فظهرت أسماء هامة كغسان كنفاني وجبرا إبراهيم جبرا وسميرة عزام، الشيء الذي مهد السبيل أمام الشعر المقاوم، وذلك بتقديم أنموذج يحتذى ويطمح إلى تجاوزه في الوقت نفسه".^(٢٦)

حسية التشكيل الشعري:

تتضافر الحواس الخمس بما تدركه من معطيات الواقع في بناء الصور الشعرية وتشكيلها حيث يمزج المبدع هذه المعطيات ويصهرها في بوتقة الإبداع حال إنتاجه النص الشعري، مستعيناً بخيال جامع في مزج الواقع بالمتخيل، ويهدف من ذلك استثارة المتلقي والتأثير فيه، وتحقيق الفائدة له "فالمثيرات الحسية هي أساس التصوير الشعري، لكن تضافر قوة الحس والنشاط التخيلي والوعي التشكيلي في إدراك علاقاتها الكامنة وتحولاتها الممكنة يخرج الصورة من وحدانية الدلالة إلى تعددها، الأمر الذي يقحم القارئ عبر حالة من الدهشة والتحفز في دائرة التأويل ومحاولة اقتناص إحياءات جديدة"^(٢٧). فالشاعر يحاول إيصال

دلالاته عبر صوره الموحية المستحدثة التي يثير بها القارئ عبر مناقضة الصورة المطروحة في الخطاب الشعري لما تقتضيه طبيعة الواقع والمألوف "إن الشاعر حين يستخدم الكلمات الحسية بشتى أنواعها، لا يقصد أن يمثل بها صورة لحشد معين من المحسوسات بل الحقيقة أنه يقصد بها تمثل تصور ذهني معين، له دلالاته وقيمتها الشعورية، وتنشيط الحواس وإلهابها"^(٢٨).

إن تقريب الشاعر الأشياء المتباعدة ودمجها مع بعضها البعض، وإقامة العلاقات بينها أثناء بنائه لمعمارية النص الشعري، ينم عن وعي حقيقي بمعرفة جوهر الأشياء، ويعكس سعة خياله، وإبداعه في إقامة علاقات غير مألوفة يحاول تجسيدها في خطابه الشعري، علاقات نبعت من استثارة ذاتية نابغة من نفس الشاعر، محفزة للمتلقي تستثير فيه كوامن التساؤلات اللامحدودة في محاولة لتفسير تلك العلاقات "فالوصف الخيالي هو وصف الأشياء المحسوسة لا من حيث هي واقعة في المكان بل من حيث هي واقعة في النفس ومدى تأثيرها ومدى ما تستثيره فينا من وحي داخلي، فالمحسوس هنا ينتقل من حواس الشاعر إلى نفسه إلى شعوره الذي ينزع غلاف الأشياء وجمودها ويبعث فيها المعاناة والحنين"^(٢٩).

لقد اعتمد الشعراء الفلسطينيون في شعرهم المقاوم بعد حرب ٢٠٠٨م في تشكيل الخطاب الشعري المقاوم على الحواس الخمس، وما تدركه تلك الحواس في إبراز الصورة الشعرية في خطاباتهم، النابعة من ذات تماهت إلى حد كبير مع الواقع، فأبدعت في رسمه وتوثيق كل حالاته، فالمحسوسات هي "الحقل الذي يقتنص منه الخيال عناصر الصورة ويستمد الرموز ويجسد فيها معاناة الشاعر، فيفكك عناصر الواقع ويعطيها وظائف جديدة يغور في أعماقها ويضيء جوهر وجودها، فيعيد إلى الواقع وهجه وانسجامه، ويحقق بذلك اندماج الشعور والشعور الحقيقي واللاحقيقي والعقل والعاطفة في الصور المتناسكة برباط الرؤيا الروحية المكثفة"^(٣٠).

وقد كانت الصفة الحسية للشعراء الفلسطينيين بعد حرب ٢٠٠٨م إحدى الاستجابات للواقع المحيط بهم، حيث شكلت سمة بارزة في خطاباتهم الشعرية، فقد سيطرت الحسية على الشعراء في تشكيل عواطفهم المختلفة ووصفها.

وسيتيم دراسة الصورة الشعرية عند الشعراء الفلسطينيين بعد حرب ٢٠٠٨م من خلال :
(الصورة البصرية الحركية ، الصورة البصرية اللونية ، الصورة السمعية ، الصورة الشمية ،

الصورة الذوقية). وهذا الترتيب نابع من دراسات علماء النفس لأنه "يظهر من النتائج التي وصل إليها الباحثون في هذا الصدد أن النجاح يبلغ أشده بوجه عام في إثارة الصور البصرية والحركية، ويأتي هذا النجاح في إثارة الصور السمعية إذ يصل إلى نحو ٤٦,٨% أي إلى أقل من المتوسط بقليل. ويقلّ عن هذا النجاح في إثارة الصور الشمية إذ يبلغ نحو ٣٩,٣%، ثم في إثارة الصور اللمسية إذ يبلغ نحو ٣٥,٥%، ثم في إثارة الألم والتغيرات الباطنية، إذ يبلغ نحو ٣٠,٧%، وأخيرًا في إثارة الصور الذوقية أو صور الطعوم، إذ تبلغ نسبة النجاح في ذلك نحو ١٤,٢%^(٣١).

الصورة البصرية الحركية:

تمثل الحركة على اختلاف أنواعها، وما تمنحه الصورة الشعرية من سرعة وبطء، عنصرًا مهمًا من عناصر الصورة، فوجود الحركة كأحد مُشكّلات الصورة الشعرية يمنحها الحيوية^(٣٢)، ويبعد عنها الجمود، بحيث تتواتر الحركات السريعة أو البطيئة حسب التشكيل الشعري المناسب للعاطفة المسيطرة، وطبيعة الصورة الموصوفة، بحيث تستنفر القارئ وتجعله دائم السعي في البحث عن دلالاتها، فالحركة تزيد من جمال التصوير، وهي أحد أركان التصوير المهمة، إذا لم تكن أصعبها، فالصورة الحركية في أساسها "تحريك للموضوع الذي لا يملك حركة"^(٣٣). فمهمة الشاعر في نقل الحركات إلى رموز مكتوبة ذات دلالات تنبض بالحياة، بحيث تؤثر في المتلقي وتجعله يستشعرها بكيانه ويعيش أجواءها، وهي مهمة صعبة فعلى الشاعر أن يكون مبدعًا في انتقاء ألفاظه واختيار تراكيبه المتماهية بأحاسيسه ومشاعره في نقل الحركة وتصويرها للمتلقي فمما "يزداد به التشبيه دقة وسحرًا أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات"^(٣٤) فالتصوير "لون وشكل ومعنى وحركة، وقد تكون الحركة أصعب ما فيه"^(٣٥).

وقد تواترت الصورة البصرية الحركية في خطابات شعراء المقاومة الفلسطينية بعد حرب ٢٠٠٨م، مدركين مدى تأثير هذه الصور ودورها الفعال في تماهي أقطاب العملية الإبداعية الثلاثة. وواصفين واقعًا مريعًا اعتمد فيه العدو الصهيوني على كَيْ الذات الفلسطينية.

ومن الصور البصرية الحركية قول الشاعر العسولي^(٣٦) في قصيدته "غزة الكارثة والبطولة":

لا تبتكِ غزّة واحبس الأنهار

واطو الجراح وودع الأقمارا
 جاءوك بالفولاذ يقذف حقدهم
 حمماً تصب صواعقاً ودمارا
 وعوارض الغربان تنعق بالردى
 وعلى الطفولة تسكب الأمطارا
 مطر من النيران يشعل أمة
 فالأرض أشلاء ترى وقفارا^(٣٧)

لقد اعتمدت الصورة السابقة على الحركة أساساً لتصوير الواقع في قطاع غزة أثناء الحرب، حيث كان حضور الأفعال يمثل السمة البارزة في تشكيل الصورة البصرية الحركية، حيث تواترت الأفعال في كل الأسطر الشعرية (تبك، احبس، اطو، ودع، جاءوك، يقذف، تصب، تنعق، تسكب، يشعل، ترى) ومثلت المحور الأساس الذي تقوم عليه الصورة. وقد برز العدوان وسط تضاريس هذه الصورة كونه المشكل البارز الذي تدور حوله، فالأفعال أساس الحركة والديمومة والاستمرار، فقد رصد النص حركة الطائرات وما تصبه من حمم فوق رؤوس العباد، مازجاً في طياته صوراً سمعية أخرى هي صوت القصف العنيف الذي يتردد صده في الأفق حاملاً معه الحقد والموت الزوأم. تعاضدت الصورتان لإكمال الصورة البصرية الحركية، فجاء وصف الطائرات وصوتها بالنعيق الذي ينذر بالردى. لقد أبرزت الصورة إحساساً عميقاً بالمصيبة التي أحلت بالشعب الفلسطيني، ومدى الظلم الذي يتعرضون له.

ومن الصور الحركية الحادثة على الجهاد والاستشهاد وإعداد العدة لمنازلة الأعداء قول الشاعر مروان محيسن^(٣٨) في قصيدته "فاكسر قيودك ههنا":

إن لم تُثر نَقْعَ الغبار وتَمْتَطِي
 سُجَّ المنايا نَحْوَكُلِّ نِزَالِ
 وَلْيُوثِقْهَا تَطْوِي الرِّمَالِ غَوَادِيًا
 بَيْنَ السُّهُولِ وَقِمَّةِ وَتَلَالِ

وتهبُّ مثلَ الرِّيحِ خلفَ فريسةٍ

معلومةٍ في الصُّبحِ والأصباحِ

إن لم تكن أسدًا فأنتَ فريسةٌ

تُسقى الهوانَ على يد الجبالِ

فاكسر قيودك ههنا واصقل بها

سيفًا يدقُّ حناجرَ الأندال^(٣٩)

حيث قام هذا التشبيه في أساسه على الحركة، الأمر الذي منح النص صورة حركية بدأها الشاعر بإثارة نفع الغبار على ما يحمله هذا التركيب من معنى ومن موروث أدبي قديم، فيه من الفخر وشحن الهمم ما يكفي لمواجهة العدوان، وهي حركة موصوفة بالشدة والسرعة والحيوية، فيها دعوة للمتلقي رفض الواقع والثورة عليه من خلال تواتر الأفعال (تثر، تمتطي، تطوي، تهب، تُسقى، اكسر، اصقل، يدق). وامتزاج هذه الصورة بصورة شمسية أخرى ناتجة عن مثار النقع وسرعة الرياح وهبوبها جعل الصورة تنبض بكل معالم الحياة والحيوية المستمدة من الألفاظ الدالة على الحركة، ويبدو أن استحضار الموروث الأدبي داخل النص كان له دور كبير في شحن هممة المتلقي .

ومن الصور الحركية النابضة قول الشاعر عطا الله أبو السبح^(٤٠) في قصيدته "حكاية نصر":

صاروخُ غزّة أبَدَعَ الترتيلا

يُعلي سنامَ الدين، والتنزِلا

هندي فوارسنا تسابقُ للوغى

لتصونَ عرضًا ناصعًا ونبيلا

هندي فوارسنا تسيرُ مع الذي

قد دكَّ خيبر، قائدًا ودليلا

هندي فوارسنا يعانقُ قلبها

عَبَقُ الشَّهَادَةِ فَاتِحًا وَجَلِيلًا
هَذَا فَوَارِسُنَا أَعَدَّتْ لِلْقَا
رُوحًا وَسَيْفًا - لِلطَّغَاةِ - صَقِيلًا
هَذَا فَوَارِسُنَا تَدُوسُ عَلَى اللَّظَى
تَحْتَ الْبِيَادِقِ، شَيْبَةً وَكُهُولًا
لَتَقُطَّ رَأْسًا لِلْأَفَاعِي حَاقِدًا
سَرَقَ الْكُرُومَ، وَأَمَعَنَ التَّقْتِيلَا^(٤١)

لقد مثلت الأفعال المكررة في الأبيات السابقة بؤرة الصورة الحركية السريعة وقت المعركة، من خلال الرد الفلسطيني على العدوان الصهيوني، حيث يستشعر المتلقي معاني الحركة والاضطراب المتواترة في الأبيات لتوالي تكرار الأفعال التي منحت الصورة هذه الحركة التي تكونت بين طرفين نقيضين. فقد عبّرت هذه الصورة الحركية عن تجربة الشاعر النفسية وموقفه من الأشياء المحيطة به، ووجود الفعل في الصورة يكفمها مؤونة البحث عن الحركة ويوفر لها حركة أساساً قادرة على بث الحياة فيها.

ومن أمثلة الصور الحركية السريعة قول الشاعر مصطفى منصور^(٤٢) في قصيدة "الشجاعة":

هَذَا هُمْ جُنُودُ اللَّهِ خَلْفَكَ مِنْ أَمَامِكَ
يَجْرُونَ كَالْأَشْبَاحِ قَدْ سَمِعُوا وَقَدْ سَكَنُوا كَلَامَكَ
فَإِذَا خَطُوتُ سَتَنْدَحُرُ
وَإِذَا رَجَعْتَ سَتَنْتَحِرُ
لَنْ تَنْتَصِرَ لَنْ تَنْتَصِرَ
هَذَا رِصَاصٌ مِنْهُمْ
وَالْبَيْتُ حَوْلَكَ يَنْفَجِرُ

والأرض تحتك تنشط^(٤٣)

تصور القصيدة لوحة بصرية حركية من واقع المعركة الدائرة بين الجنود والمقاومين، وقد اعتمدت الصورة السابقة الأفعال المضارعة الدالة على الحال أساساً للتصوير، مما يجعل المتلقي يتماهي مع جو النص، والشاعر بهذا التصوير استطاع نقل الصورة الحقيقية عبر مفردات قصيدته، ومما ساعد على نقل هذه الصورة الحركية السريعة استعمال الشاعر لتفعيلة "متفاعِلن" التي زادت سرعة النص ووتيرة الحركة داخله الذي أكدّه تكرار حرف الراء داخل النص وثناياه. ولقد عمد الشاعر إلى تصوير رجال المقاومة بالأشباح الذين يتنقلون من مكان لآخر يثيرون الرعب في نفوس العدو، واستخدام الشاعر لما وراء الطبيعة له كبير الأثر في تصوير حالة الذعر التي لحقت بالعدو.

لقد عمد الشعراء الفلسطينيون في قصائدهم المقاومة إلى استعمال الصور الحركية السريعة وفقاً لما تتطلبه حالتهم النفسية المتأثرة بالواقع الذي أُستمدت منه التجربة الشعرية. كما عمد شعراء المقاومة الفلسطينية في خطابهم الشعري المقاوم إلى استعمال الصورة الحركية البطيئة تبعاً لما تقتضيه طبيعة التجربة الشعورية، ومن الصور الحركية البطيئة ما قاله الشاعر "علي عصفرة"^(٤٤) في وصف شجرة زيتون تعرضت للاقتلاع في قصيدة "دمعة من زيت":

ضفائرها ...

مع الأنسام تضطرب

عروساً هزّها الطرب

ولا تهجع

تميسُ بغصنها الزاهي

كراقصة

ولا تُروى ... سوى من جبهة الفلاح عاشقها

إذا صبَّ الهوى تخلّع

وطالتها يد الغدر

فأهوى فأسه في الجذع يغصبها

ويعمله على طمع بأن تخضع

ولا تخضع^(٤٥)

فقد مال الشاعر إلى التصوير البطيء في وصف حركة أشجار الزيتون التي تتمايل منتشية في أراضيها فهي المحبوبة الأولى والأخيرة للفلاح، هي رمز الصمود ومعاني الثبات، هي رمز سلامة سريته وحيه للسلام، هي الدليل على تجذره في هذه الأرض هي ماضيه العريق، ومستقبله المزهري، لذلك استعان الشاعر في وصف هذه الشجرة بصفات الأنوثة ليمنحها إياها، فالأغصان كجدائل الشعر المتطايرة تتلاعب بها هبات النسيم، هي كالعروس في يوم زفافها تنبأه بغصونها الزاهية، ولكن عشيقها الوحيد هو الفلاح الفلسطيني، ومع ذلك فقد أصبحت أشجار الزيتون هدفاً للاحتلال ومستوطنيه فأعملوا فيها القلع والتخريب أملاً في إخضاع الشعب الفلسطيني إلا إن هذه الشجرة الصامدة لا تخضع ولا تعرف الخضوع والاستسلام فكيف بغارسها؟

الصورة البصرية اللونية:

استطاع الشعراء الفلسطينيون توظيف الألوان في التعبير عن عواطفهم وتجاربهم الشعرية في الشعر الفلسطيني المقاوم بعد عام ٢٠٠٨ م، وقد كان توظيف اللون نابغاً من حالة نفسية تسيطر على الشاعر، وقد استطاعوا شحن اللون كرمز بارز ذي دلالات تتوافق مع تجاربهم الشعرية في التعبير عما يجول بخواطرهم، فحمل اللون دلالات إيحائية تنم عن عمق التجربة الشعورية التي يمر بها الشاعر، فغاص الشاعر في عمق دلالات الألوان مفجراً طاقاتها الإبداعية الكامنة فيها من خلال الصور اللونية التي رسموها، والمعبرة عن تجارب شعورية حقيقية، حيث وظف الشعراء الفلسطينيون الألوان ودلالاتها في بناء خطاب شعري زاهي الألوان، أوقاتمها، للتأثير في المتلقي وجعله يعيش حالة إبداع النص زمن كتابته "إن ألوان الأشياء وأشكالها هي المظاهر الحسية التي تحدث توتراً في الأعصاب وحركة في المشاعر، إنها مثيرات حسية يتفاوت تأثيرها في الناس، لكن المعروف أن الشاعر كالطفل يحب هذه

الألوان والأشكال، ويحب اللعب بها، غير أنه ليس لعباً لمجرد اللعب، وإنما هو لعب بدافع استكشاف الصورة أولاً، ثم القارئ أو المتلقي ثانياً^(٤٦).

لقد وعى هؤلاء الشعراء أن اللون أهم ما يستثير البصر ويجذبه، ويمنح النص بعداً لونيّاً خلائياً، فرسموا من خلال هذا الفهم أجمل اللوحات وأبدعها معبرين عن أفكار خاصة نبعت من شعور مفعم بعقب التجربة الشعرية المحملة بدلالات نفسية كثيرة.

لقد استخدم الشعراء الفلسطينيون اللون الأحمر في رسم صور البطولة والشجاعة والإقدام من خلال تصويرهم المعارك التي خاضوها، فحملوا اللون الأحمر دلالات البطولة والفداء والشجاعة، فكان هذا اللون خير معين على بيان معالم هذه الصور وإبراز دلالاتها، ومما جاء من هذه الصور الحمراء رسمهم معالم الدماء السائلة في الحروب التي مرت على غزة، يقول الشاعر وليد دويكات^(٤٧) في قصيدة "دمعة على رمال غزة":

شلالٌ دم الجُودم ...

البحر دم ...

الرمل دم ...

والطائراتُ الحاقداًتُ بها اللهب

جاءتُ تلاحقُ حُلْمنا

جاءتُ لتعلنَ السنةَ الجديدة

والحفْلُ كان مضرّجاً بدمائنا^(٤٨)

أبدع الشاعر في رسم صورة ملموسة لمدينة غزة وقت الحرب والغارات المفاجئة التي تواكبت مع بداية عام جديد، كان اللون الأحمر هو المسيطر على معالم هذه الصورة، وهدف الشاعر من توظيف هذا اللون بيان قوة الغارات الجوية المفاجئة التي نُفذت على مدينة غزة ووحشيتها فكان اللون الأحمر في كل مكان، وقد وظف الشاعر هذا اللون داخل النص كرمز أو معادل موضوعي للموت الذي تبثه الطائرات في كل مكان.

ومن الصور اللونية الحمراء التي شكلها شعراء المقاومة الفلسطينية المزوجة بالفخر والانتماء لأرض فلسطين قول الشاعر مروان محيسن في قصيدة "فاكسر قيودك ههنا":

كتبَ الزمانُ بلا مِدادٍ قصَّتي

بِدَمِ الشهيدِ وليس بالأقوالِ

إنَّ الدماءَ إذا جرتْ بحروفِها

تركَ المِدادُ صحائفَ الأعمالِ

أنا من فلسطين التي نزلتْ دمًا

صُبَّغَ الترابُ بحمرةٍ وجمالٍ^(٤٩)

لقد صبغ الشاعر صورته باللون الأحمر المستمد من لون الدماء الجارية التي روت تراب الوطن في رسم معالم الفخر والحماسة، فقد أبرز هذا اللون دلالات العزة والأنفة والقوة في مواجهة الأعداء ببأسهم وقوتهم.

وللون الأحمر دور كبير جدًا في إظهار حالة الغضب الكامن في النفس، فقد برز الموت الزؤام من تضاعيف الصورة اللونية المقاومة المنبثقة من تجربة شعورية تعصف بكل معاني الفخر والحماسة والعزة والأنفة العربية، كما في قول الشاعر سهيل أبو زهير^(٥٠) في قصيدة "اليقين":

سَمِّ الإله

وأطلنْ قذيفةً مدفعك

واكتبْ عليها "صامدون"

واصبغْ مقدمة القذيفة

أحمرًا^(٥١)

فقد أبدع الشاعر في تصوير حالة الغضب المعنوية المسيطرة على النص، من خلال التعبير عنها بصورة لونية محسوسة، كان اللون الأحمر هو عماد دلالاتها المتعددة الفياضة، التي تنم عن القوة والعزة، فقد جعل الشاعر اللون الأحمر المراد به الدم سبيلًا للمقاومة ورد العدوان، ومقابلة الموت بالموت.

ومنه قوله أيضًا في رسم حالة الفلسطينيين وقت الحرب، والتخاذل العربي الموجود:

وانبضْ على نغماتِ زخاتِ الرصاص

وابذلْ دمًا والعقْ

دمًا واكتبْ دمًا

فلربما يصحو ضميرُ التائبين

فكن اليقين المكتمل^(٥٢)

وقد عمد شعراء المقاومة الفلسطينية إلى مزج الألوان في تشكيل صورة لونية مستمدة من الواقع وتعبّر عنه كل التعبير، فإضافة إلى اللون الأحمر عمد هؤلاء الشعراء إلى اللون الأسود والفضي في تصوير حالة الشعب الفلسطيني وهو يتعرض للقصف من طائرات الاحتلال، كما في قول الشاعرة سماح المزين^(٥٣) في قصيدة "قتل القمر":

بدت الليالي من جمالٍ مقفرة!

وتلبدتْ كبُدِّ السماء وأقفلتْ كلُّ الشقوق ..

تمازجت بالدمِ ألوانُ السوادِ، علا الصراخ،

ومع الصراخ علا دخان

هل غابَ وجهُ الكونِ وابتسمَ الغريب؟

صاحت هنالك طفلة:

أبتاه...قد قتلوا القمر!

هذا دمه، والصوتُ يعلو والغبار

هذا الغبار بقيَّة القمرِ الحبيب^(٥٤)

مزجت الشاعرة الكثير من الألوان في رسم لوحة فنية تعبر عن الواقع الأليم الذي يتعرض له الفلسطينيون بشكل كبير فجاء استخدام اللون الأحمر للدلالة على غزارة الدماء مع سحب الدخان الأسود الكثيف الذي حجب نور القمر الفضي فبات المكان موحشاً مقفراً قد تغيرت معالمه، وقد تعاضدت الصورة الشمية والصورة السمعية داخل النص في وصف الحدث بشكل كبير تجعل المتلقي مستشعراً ما يدور في غزة وقت الحرب.

ومن الصور اللونية التي تشكلت من أكثر من لون قول الشاعر يوسف حطيني^(٥٥) في قصيدة "ما يدميك يدمينا":

نهارُ غزة ليلٌ من دخانهم

والليل من هوله شابت ليالينا

ليلٌ يضيء سنا الفسفورِ ظلمتهُ

فيستحيلُ ضرامًا في أهالينا^(٥٦)

نسج الشاعر معالم صورته الحسية اللونية من خلال استعمال الأثر الذي تبقيه آلة الحرب الصهيونية ، فقد تحول نهار غزة ليلاً من سحب الدخان الأسود الذي خلفه القذائف الصهيونية، أما عندما يتعلق الأمر بإطلاق قذائف الفوسفور الأبيض ليلاً فهذا الليل قد شاب بسبب خيوط الفوسفور البيضاء التي انتشرت كالشيب في شعر أسود ، فيصبح مضيئاً كالنهار تماماً.

كما شكل شعراء المقاومة الفلسطينية معالم صبرهم وثباتهم من خلال شعرهم الفلسطيني المقاوم بالتأكيد على الصمود والثبات والبقاء وهو ما يتجلى في قول الشاعر سهيل أبو زمير في قصيدة ليس من دين لكم":

لن تنالوا أيّ طعمٍ للحياة

أو حياة

ليس هذا من ترانيم البقاء

إننا نبني بأرضٍ قد جلبناها دماء

ونشرناها ضياء

ومهرناها سناء^(٥٧)

ومن الصور اللونية المقاومة ما جاء تشكيلها من ألوان العلم الفلسطيني الدال على تنظيماته المتعددة، الداعية إلى الوحدة ورص الصفوف في مقاومة المحتل الغاشم ونبذ الفرقة والانقسام، كما في قول الشاعر سليمان دغش^(٥٨) في قصيدته "غزة":

كم علماً سنرفع:

أحمر من دمنا المستباح

أم أسود من ليل نكبتنا الهمجي

أم أخضر مثل وشاح الجليل الندي

أم أبيض أبيض من كفن الشهداء

لماذا تموت العصفير إن غردت خارج السرب يوماً؟^(٥٩)

ومن الصور اللونية التي رسمها شعراء الشعر الفلسطيني المقاوم صور الدمار الذي تركته القذائف الفسفورية وما خلفته من دمار، كما في قول الشاعر خضر أبو جحجوح^(٦٠) في قصيدة (نقوش على قذيفة فسفورية):

الفسفور بكل مكان

والنار تلوك بقايا الأشلاء

والليل وشاح أحمر مزرق

أطول من شط المتوسط ..

وشظايا كريات حمراء تُعانق غرف النوم

والفسفور على عيني غزة

يسكب موتاً في عظم السرو المتفحم

وبأضلاع الجميز، وأشلاء الرمان،

وأحشاء الزيتون، وأهداب الحنّون

وخاصرة الصبار

ويلوّن قوساً عشوائياً في ردهات الليل

يا ليلاً يتفجر كالبركان^(٦١)

رسم الشاعر صورة لونية امتزجت فيها الكثير من الألوان للتعبير عن هول الحرب التي حلت على أهل غزة، فقد تضافرت الألوان كالأبيض لون الفسفور والأحمر وهج إطلاق النار وحلقة الليل ، والسواد الناتج عن الأشلاء المتفحمة في رسم معالم صورة لونية تعبر عن هول الكارثة وحجم الألم.

الصورة السمعية:

الصورة السمعية من أهم الصور التي شكّل بها الشعراء الفلسطينيون خطابهم الشعري المقاوم بعد عام ٢٠٠٨م، فالصورة السمعية تُدرك عن بعد، كما الصورة البصرية اللونية، والصور التي تُدرك عن بعد لها أهمية خاصة تفضل باقي الصور "فالحواس التي تدرك عن بعد ميزة السبق والتوقع والتبصّر، غير أنّ حاسة السمع أقلّها مادية وأقواها استخدامًا للرموز والإشارات العقلية. وهي من الرموز الأكثر تحرّرًا من المادة وأشمل دلالة من الرموز اللغوية التي يصطنعها التعبير اللفظي"^(٦٢). لذلك عني الشعراء الفلسطينيون في خطابهم الشعري المقاوم، بهذه الصورة عناية كبيرة كونها أقوى الحواس وأهمها لأنها "تُستغل ليلاً ونهاراً، في الظلام والنور، في حين أن المرئيات لا يمكن إدراكها إلا في النور، والإنسان يستطيع أن يدرك عن طريق الكلام أفكاراً أرقى وأسمى مما قد يدركه بالنظر، الذي مهما غيّر فتعبيره محدود المعاني غامضها"^(٦٣).

ومن الصور السمعية التي رسمها الشعراء الفلسطينيون في خطابهم الشعري المقاوم قول الشاعر عبد الكريم العسولي في قصيدة "لأجل القدس":

أزير المدفع الرشاش

يطربني

ويحملني

ويوقفني أمام صواعق الموت

بلا خوف ولا رهب

فأمطرهم

مساميري

جنازيري وأحجاري

أطارُدهم بلا كلٍ ولا تعبٍ

لأجلِ القدس

يا قدسي أنا آتٍ

كزلزالٍ كبركانٍ

أنا آتٍ إلى خديكِ

أسقي كرمي الحاني^(٦٤)

رسم الشاعر صورة العودة المنشودة وتحرير القدس في خطابه الشعري معتمداً على الصورة السمعية التي ستكون مصاحبة لهذا اليوم المنشود من خلال مفردات تضافرت جميعاً في بناء الصورة السمعية مثل (أزيز المدفع الرشاش، صواعق الموت، وصوت القذائف المنهمرة كالطرر، وكالزلال، والبركان)، حيث وضحت هذه الصورة كيفية رجوع القدس وتحريرها حيث اعتمد هذا النص المقاومة والجهاد سبيلاً للتحرير.

ومن الصور السمعية قول الشاعر سهيل أبو زهير في قصيدة "يا رجال تلبي":

خنساء، هيا ولولي وتلبي

واذري التراب على رؤوس اليعرب

قولي لصخرٍ ليت مثلك في الدنيا

أسدٌ يثورُ ومن حصانك مركبي

خنساء، إننا قد شهدنا نكبة

تُدمي القلوبَ فمن دمائك فاسكي^(٦٥)

لقد رسم الشاعر صورة سمعية حزينة تضح بمختلف أنواع البكاء فكثرت المفردات المعبرة عن الصوت مثل (ولولي، قولي يثور)، هذه الألفاظ رسمت الصورة السمعية بكل أبعادها ومؤثراتها، صورة عبرت عن البعد النفسي للشاعر الذي استعان بالخنساء وأخيمها في رسم معالم الصورة وتوضيح أبعادها فالشاعر يدعو الخنساء للبكاء والعيول من خلال أسلوب

النداء المحذوف الأداة، ويدعوها لاستحضار أخيها في هذا الزمن الذي تخاذل فيه العرب عن نصرة فلسطين من خلال قولها (ليت مثلك في الدنيا) فالشاعر هنا يعقد حوارًا بين الخنساء وأخيها صخر، كما استعان الشاعر في رسم معالم هذه الصورة بحرف الباء المكسورة التي ارتضاها قافية للنص الشعري وما تمنحه هذا القافية الانفجارية من قوة للنص يترك أثرًا في سمع المتلقي.

ومن الصور السمعية قول الشاعرة إيمان أبو شيحة^(٦٦) في قصيدة "شقشقي":

يا من خَطَطْتُم بالدماء قصيدة...

اليوم تُتلى، اليوم يصدحُ حبُّها

"الله أكبر"

شقشقي في الكون أكثر

واملئي الدنيا صداحا

يبرقُ الأحرارُ يزهو

في احتفالات السنين مُكَبَّرًا

واليوم نصدحُ في المدى:

"إننا توشَّحناه مَأَزَّر"

فاعلمي يا شمسُ أَنَّك

لن تكوني بعد هذا اليوم لؤلؤةً وحيدة:

فهناك آلافُ الشموسِ

اليوم في أرضي على الدنيا تُنَوَّر

شقشقي في الكون أكثر

وانبضي

مسكًا وعنبر^(٦٧)

تقوم الصورة السمعية في النص على استحضار يوم العودة المنشود، فقد رسم الشعراء الفلسطينيون هذا اليوم من إطار خطاباتهم الشعرية المقاومة، فمثل هذه النصوص تشحذ الهمم ، وتجدد العزيمة والإصرار على الجهاد، والمقاومة والكفاح، فقد استعملت الشاعرة مفردات شكلت صورتها السمعية التي ستكون مصاحبة لهذا اليوم فالتحرير والعودة نتيجة حتمية للجهاد فقد سبقها الفداء وتقديم النفس فقد جبلت أرض فلسطين بدماء الشهداء، لذلك اعتمدت الصورة السمعية نداء "الله أكبر" كبؤرة ارتكاز للنص وما يصحب هذه العبارة من تأثير في نفوس السامعين إضافة إلى الكثير من المفردات التي تعاضدت في رسم معالم الصورة السمعية مثل (شقشقي، تتلى، يصدح، صдахًا، نصدح، انبضي).

ومن الصور السمعية قول الشاعر عبدالكريم العسولي:

هنا الأرضُ تحكي
بأن الكفَ لو ضربتْ مهللةً
ستهزُمُ مخرَزُ الشيطان
وَأَنَّ الطوبىَ السماءَ
لو قُذِفَتْ مكبرةً
ستهدمُ قلعةَ الصليبان
وَأَنَّ الصبيحةَ الكبرى
لو انطلقتْ مؤذنةً
ستصرعُ زمرَةَ القرصان^(٦٨)

فقد استعان الشاعر بالتهليل والتكبير وصوت الأذان في رسم صورة شعرية مقاومة أساسها السمع من خلال استعمال مفردات لها دلالة سمعية كبيرة متعلقة بالدين الإسلامي.

وقد رسم الشعراء الفلسطينيون صورهم السمعية المقاومة ، وأجادوا في توضيح معالمها من خلال بنية التكرار التي وردت في قصائدهم بشكل كبير جدًا، ومن هذه الصور قول الشاعر علي عصفارة في قصيدة بعنوان "قاوم":

قاوم فَلَسْتَ مُخَلَّدًا
إنْ أَنْتَ عِشْتَ وَلَمْ تُقَاوِمِ
قاوم فلست أجيرُ أُر

باب التخاذل والهزائم

قاوم وأيقظ بالقنا

بل كل مخمور ونائم

قاوم فترّب الأرض من

عرق المزارع لا المساوّم

قاوم ألسّت ترى الثعا

لب في مساندة الأراقم

قاوم فعاصمة الخلو

د حدودها في ظل صارم^(٦٩)

لقد اعتمد الشاعر على بنية التكرار في رسم ملامح صورة سمعية متأججة غضباً هي أشبه ما تكون خطاباً مباشراً للتحريض على المحتل، ودعوة الناس للجهاد والمقاومة، حيث أكد التكرار على فكرة تراود الشاعر فأراد إبرازه من خلالها وهو المقاومة.

ومن الصور السمعية التي اعتمدت على تكرار الحروف التي لها وقع شديد على الأذن قول الشاعر تركي عامر^(٧٠) في قصيدة "في الهم غزة":

جُنُونُ الرِّيحِ هَزَّ الْأَرْضَ هَزًّا

هَتَافًا كُلُّنَا فِي الْهَمِّ غَزَّةَ

وِغَزَّةَ لَنْ تَمُوتَ وَلَنْ تُنَادِي

سَوَى مَنْ يَرْتَدُّونَ الْعَزَّ بِزَّةَ

يُزُّونَ الزَّمانَ وَلَنْ يَهُونُوا

وَهَانَ الْمَوْتُ عِنْدَهُمْ، وَنَزَا

كَمَثَلِ الْقُدْسِ غَزَّةُ يَا بِلَادِي

وَمِنْهَا لَيْسَ أَعْلَى أَوْ أَعْرَأَ^(٧١)

حيث شكل الشاعر صورة سمعية قوية جعل الشاعر فيها صوت الزاي الذي انتشر في أرجاء النص بكثرة وجاء مشدداً في غير موضع الأمر الذي ضاعف صوت الصفيير المصاحب له ، وهو ما جعل هذه القصيدة صورة سمعية صاخبة توافق الجو النفسي للشاعر .
ومن الصور السمعية أيضاً قول الشاعر خضر أبو جحجوح في قصيدة "للأقصى أنزف شغفي":

أأواصل أغنيتي؟

واصل حتى تصهل خيلي وتمر سيولا

فإذا صهلت ...؟

_ اركب معنا

أو تسمع جلبتها؟

أسمع حممة ، وسنابك تقدح نارا !

يا صحراء أعيريني إعصارا

وعلى مد الأفق غبارا

سأغني للفجر المتفتح في الأغصان ...

والعشق المتلفع أقنعة الذكرى

حتى ينفجر البركان^(٧٢)

رسم الشاعر معالم صورته السمعية من خلال عدة معطيات داخل النص تطلبها وصف يوم العودة والخلاص من المحتل وتحرير البلاد من خلال عنصر الحوار الذي ورد محملاً بالأسئلة ، ومن خلال مفردات دلت في غير موضع من النص على استنهاض حاسة السمع لدى المتلقي مثل (تصهل، صهلت، تسمع جلبتها، حممة ، وسنابك تقدح، إعصارا ، البركان) حيث يتطلب إدراك معاني المفردات السابقة حاسة قوية للسمع تستطيع أن تتلقى الصورة وتتماهى معها.

الصورة الشمية:

ترتبط الصورة الشمية بحاسة الشم، وقد يعبر الشاعر في خطابه عن هذه الحاسة بالرائحة فالصورة الشمية "مستعصية على الحجب، إنها صورة منتشرة، بإمكانها التأثير بفعالها وإن كان جسمها غائباً أو محجوباً"^(٧٣). ولأن الشم حاسة غير محجوبة، تسلك فيها الروائح على اختلافها طريقها إلى الأنف بسهولة ويسر يمكن اعتبار الشم "من الحواس التي تمكن الإنسان من أن يستبدل بالأشياء ما يشير إليها من أمارات وعلامات"^(٧٤). وفي ذلك الانتقال من استخدام الأشياء إلى استخدام رموزها رقي نفسي، يقوى ويزداد تحديداً ويتسع مدى بفضل البصر والسمع^(٧٥). من هنا كانت الدلالة النفسية لحاسة الشم تكمن في سلوك الفرد من حيث القبول أو الرفض للرائحة وقد عمد شعراء المقاومة الفلسطينية بعد عام ٢٠٠٨م، إلى هذا اللون من الصور الشمية في التعبير عن عواطفهم تجاه المحبوبة فلسطين أو أي جزء منها فأبدعوا في رسم الصور الشمية للروائح المنبعثة.

ومن الصور الشمية قول الشاعر علي عصافرة في رسالة إلى أمه من خلف القضبان:

عبر الأثير أزف أجمل وردة

محفوظة بالشوق والصبّ الندي

وعبرها يُذكي سنا صبح غدا

فواح مسكٍ أو شذا متوقّد

أوراقها من سندسٍ يرنو لها

متحسراً أوراقُ وردِ العسجد^(٧٦)

فالصورة الشمية المرسومة تفوح منها رائحة المسك العطرة، وهي رائحة أمه بعدما منع العدو تلاقي الأجساد من خلال قضبان حديدية عازلة، حيث شكل الشاعر صورته الشمية مستعيناً بهذه الحاسة التي لا توقفها الأسلاك الشائكة من خلال عدة مفردات هي: (وردة، عبرها، يذكي، فواح، شذا) حيث أبرزت هذه المفردات قيمة هذه الحاسة داخل النص.

كما رسموا أيضًا صورًا شمسية للمعنويات حيث جسدها في صورة شمسية محسوسة، وهو ما أبدع فيه شعراء المقاومة في خطابهم الشعري المقاوم، حيث إن تجسيد المعنويات التي لا تدرك بأحد الحواس الخمس من شأنه تقريب الصورة للمتلقي ووضعه في بؤرة الحدث، الشيء الذي من شأنه الخروج بحاسة الشم عن الإدراك المحسوس إلى إدراك اللامحسوس، وهو ما أبرز الصور الشمسية في صورة بهيمة تماهت إلى حد كبير مع معطيات النصوص.

ومن النصوص التي وردت فيها الصور الشمسية لتجسيد المعنويات واستحضار الماضي قول الشاعر عبد الكريم العسولي في قصيدة "قم يا معذب":

أنت السفينة في بحور خيانة

شدي الشراع وثبتي الرباننا

إني أشم رياح قطر قادمًا

وشدًا يجوب الأرض والأكوانا

يا غزّة السماء يا بحر الفدا

وعقيدة تحمي الجما وسنانا^(٧٧)

يصور الشاعر في نصه حال مدينة غزة وثباتها وصبرها على العدوان المتتالي، وما أحاق بأهلها من ويلات، وهو في هذا المقام يشجذ الهمم ويقوي العزيمة، ويمنح الناس الأمل بالخلاص والتحرير من خلال تجسيد صورة معنوية في صورة حسية شمسية استشرّف فيها الشاعر عقب الماضي المضخم بالعزة والكرامة، عبر استحضار شخصية تاريخية كان لها عظيم الأثر في استرداد عزة العرب، وكرامتهم فمع ضيق الحال وصعوبة الواقع إلا أن الشاعر يستنشق عقب الماضي الذي أصبح شذا يجوب الأرض ويعم الأكوان.

والصحيح أن مثل هذه الصور الشمسية التي جسدت المعنويات كثيرة في الشعر الفلسطيني المقاوم بعد عام ٢٠٠٨م، فقد جسّد الشعراء من خلال هذه الصور حنينهم للقدس كما في قول الشاعر علي عصفرة في قصيدة "إني أنا القدس":

إن فارسي في القيد طال غيابه

وغدًا نسي عدالة

مثلي

فإني قد سمعتُ نِداءه

وشممتُ وردَ حنينه

فركا

(٧٨) وطابَ إلى القبابِ شذاه

هنا يجسد الشاعر شوقه وحنينه إلى مدينة القدس التي ما زالت ترزح تحت نير الاحتلال،
مذكراً الناس بهذه المدينة المقدسة من خلال تعبيرات شمية رسمها في صورة حسية مجسداً
بها المعنويات كحنينه إلى المسجد الأقصى الذي عمّ شذاه سماء القدس. ومثله قول الشاعر
سهيل أبو زهير في قصيدة "ليس من دين لكم":

أنا الحيرانُ لا أدري

ولكنْ

لا أحبُ الذلَّ مع قهري

(٧٩) ولا أستنشقُ الخذلانَ للأجيالِ في صدري

ومن الصور الشمية المعبرة عن الصمود والتضحية ما جاء من وصف وتصوير لرائحة
الشهداء كما في قول الشاعرة أمل أبو عاصي^(٨٠) في قصيدة "هلال":

يا للهلال! ووجهُ ليلى شاحبُ

والعيدُ دونك - كلُّ عيدٍ - كاذبُ

يا كعكةُ الأثلاءِ والدِّمُ نكهةُ

غزيرةُ المسكُ فيما ضاربُ

وكتيبةُ الشهداءِ كلُّ ضيوفنا

(٨١) والنائحونَ وما سِوَاهُم غائبُ

لقد أبرزت الشاعرة معالم صورة الدمار والخراب الذي مر على غزة خلال الحرب التي تخللها عيد الفطر فكان المسك يعم أرجاء غزة من كثرة الشهداء حيث عمدت الشاعرة إلى الصورة الشمية في إبراز كثرة الشهداء الذين ارتقوا في الحرب.

ومنه قولها أيضًا في قصيدة "وشوشة":

مِسْكُ الشهيد يوشوشُ الأحياء

وَيَلَمُّ عن أوجاعِنا الأعباء

ويقول طبتّم فادخلوها إنّمَا

هذا اليقينُ يُخَضِّبُ الأُشْلَاءَ^(٨٢)

ومنه أيضًا قول الشاعر علي عصافرة في قصيدة (وداعًا أيها القلب):

شهيدُ الحبِّ يا قلبي

سلامٌ أيها البطْلُ

سلامٌ ما سهرتُ الليلَ أنساَمَا

وأنفاسًا معبقة

وأشعارًا

تذوبُ بعطرها الجملُ

وقمتَ الليلَ أزهارًا

لتجمعُها ندى عذبا

تلدُّ ببرده القبلُ^(٨٣)

الصورة الذوقية

وهي صورة قائمة على التذوق يكون فيها اللسان المركز الأساس في تصورهما. وهي ذات تنبيه كيميائي، مثلها في ذلك مثل الصورة الشمية، لكنها تختلف عنها من حيث طبيعة الاتصال

بالموضوع المحسوس. فعلى حين يتفعل الشَّمّ عن بعد، نجد أن حاسة الذوق لا تنفعل إلا إذا وضع الجسم على اللسان، فهي إذًا، حاسة قائمة على التماسّ المباشر^(٨٤).

واستعمال الصور الذوقية قليل نسبيًا مقارنة بباقي الحواس "لأن الذوق من الحواس الخاصة جدًا، فالإنسان يتذوق في الغالب لنفسه لا لغيره، وإن راقه شيء من المذوقات قد لا يروق لغيره... لذلك فالذوق مما يقل الاشتراك فيه نسبيًا، فنجدّه غير بارز بروز المحسوسات بالسمع أو البصر، لأن الأشياء المبصرة أو المسموعة يشترك فيها كل ما وقعت تحت إحساسه البصري أو السمعي"^(٨٥).

وارهاف هذه الحاسة يصحبه تنشيط الكثير من الشحنات الوجدانية، وخاصة شحنات الوجد والشوق المتعلق بحب الوطن، وقد عمد الشعراء الفلسطينيون في الخطاب الشعري المقاوم إلى تنشيط هذه الحاسة وتوظيفها شعريًا وطنيًا مقاومًا. والصحيح أن تشكيل الصور الذوقية في الشعر الفلسطيني المقاوم بعد عام ٢٠٠٨ م جاء تشكيلاً معنويًا حيث وضع الشعراء المعنويات في صورة حسية يتم إدراكها عن طريق الذوق، ومن ذلك قول الشاعر يونس أبو جرّاد^(٨٦) في قصيدة (في رفقة الأنواء):

هل يا عقاربُ تخجلين من الفضيحة؟

إنّ أجساد الرجال

الباحثين عن الشهادة مرّة كالموت

فيها علقمٌ يسري لكم

والموتُ يحملُ في جوانحه ائتلاق الفجر^(٨٧)

جسد الشاعر شجاعة أهل غزة المقاومين عبر صورة ذوقية وجهها للأعداء، حيث منح الشاعر الشجاعة صفة حسية هي الطعم المراكالقم وفي ذلك تقريب للصورة المعنوية وجعلها في صورة حسية كي يتسنى للقارئ فهمها والتماها معها.

وكذلك قوله أيضًا في قصيدة (مواويل العذاب):

لمدينتي

وجهٌ ربيعيّ الملامح

يحتسبي الأبطال قوتهم

على شرفاته

فليطعمها نفس المأذن والقباب!

لمدينتي عطر الزنابق

والتماع النصر في عين المقاتل^(٨٨)

هنا صور الشاعر الشجاعة والبطولة والصبر في صورة حسية شامخة حيث استمد الشاعر شموخ المأذن والقباب في تصوير شجاعة الأبطال المقاومين ، فالمأذن والقباب شامخة وكذلك المقاتلين.

وكذلك قوله في قصيدة أخرى بعنوان (أنت أنت):

ناور

"ولا تخش الوطاويط"

التي تندس في رغفاننا"

فسلاطنا ملأى بنكهات الحمائم!^(٨٩)

ومن الصور الذوقية التي رسمها الشعراء الفلسطينيون قول الشاعر سهيل أبو زهير في قصيدة (الأمل):

أنا الحيران لا أدري

ولكن

لا أحب الذل مع قهري

ولا أستنشق الخذلان للأجيال في صدري

إذن فعليك يا طفلي أمانات

فتضع من شموخ الحر

مع صبري

وتشربُ من مياهِ الصبرِ

مع حريةِ العمرِ^(٩٠)

وظف الشاعر صورة ذوقية معنوية في وصيته لابنه الذي أراد به الشعب الفلسطيني كله فجعل الحرية لبنًا والصبر ماءً يُشرب، وهي صورة فيها حثٌ جميل على الصمود والمقاومة. ومنه قول الشاعر خضر أبو جحجوح في قصيدة (جدائل الفسفور):

ما عدتُ أقوى يا هديلُ على ارتشافِ مواجعي

فالكأس ملأى بالعيونِ ومأوها ...

مُرَيْسِلُ على جوانبه اللهب

ودمُ النخيلِ ضفائرُ تبكي على سعفاتِ قلبي

ومواقِدُ الزيتون تجرُحُ الأنين

ينديها الفسفورُ يا شغفَ الحياة...^(٩١)

لقد عبر الشاعر عن كثرة المواجه والآلام التي حلت بالشعب الفلسطيني في غزة بصورة حسية جسد فيها المعنويات لجعلها في متناول المتلقي يشعر بها ويتماها معها ويغوص في بحر تجربة الشاعر ووجدانه، فالمواجه كثيرة ومحركة لا يقوى على ارتشافها، لذلك عبر عنها الشاعر بصورة ذوقية ليقرب الواقع لمتلقي النص فمنح هذه المواجه طعمًا مرًا.

الخاتمة:

الحمد لله الذي منَّ عليَّ بكتابة هذا البحث الموسوم بـ(تشكيل الصورة الحسية في الشعر الفلسطيني المقاوم بعد عام ٢٠٠٨م) تتبعت فيه معالم الصورة الحسية، وكيفية تشكيلها من خلال المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال عدة محاور، هي: إطار نظري عن الصورة قديمًا وحديثًا، والشعر الفلسطيني المقاوم، وحسية التشكيل الشعري، والصورة البصرية الحركية، والصورة البصرية اللونية، والصورة السمعية، والصورة الشمية، والصورة الذوقية. ومن خلال الدراسة تبين لنا آلية التشكيل الحسي للصورة الفنية في الشعر

الفلسطيني المقاوم بعد عام ٢٠٠٨ م، وكيف صاغ الشعراء فكرهم وتأثرهم بالواقع ودفاعهم عن قضيتهم العادلة وحقوقهم المشروعة ، وما يلاقونه في سبيل ذلك من ويلات في بلورة صورة حية يتماهى معها المتلقي بحواسه الخمس، كما عمد شعراء الشعر الفلسطيني المقاوم إلى مزج الصور وتركيبها مع بعضها البعض في سبيل تكوين صورة حية تقرّب المتلقي من الواقع، وتجعله في حالة تماهي معه.

لقد كان الشعراء موفقين في خلق صور فنية للوقائع والأحداث التي مرت بهم خلال ثلاثة حروب.

ومن خلال البحث والدراسة والمتابعة والتحليل توصل الباحث إلى النتائج والتوصيات التالية:

أولاً النتائج

- وظّف الشعراء الفلسطينيون جميع الحواس في تشكيل الخطاب الشعري المقاوم بعد عام ٢٠٠٨ م.
- سعى الشعراء من خلال هذا الاستعمال إلى تقريب الواقع للمتلقي .
- ينم هذا الاستعمال للصور الحسية عن إحساس راق بجمال مكونات هذه الصور.
- سعى الشعراء من خلال تشكيلهم الصور الحسية في الشعر الفلسطيني المقاوم إلى تجسيد المعنويات في صور حسية ، مما كان له كبير الأثر في إبراز جمال النصوص الشعرية.
- ابتعد الشعراء في تصويرهم عن الصور الشعرية المفردة، واعتمداهم الصور الكلية المركبة .
- ابتعد الشعراء في تصويرهم لواقع الفلسطيني عن المفهوم القديم للصورة الشعرية، واستخدموا صوراً أكثر حيوية وإثارة، صور نابضة مستمدة من الواقع لكشف حقيقة المشهد.
- عمد الشعراء الفلسطينيون إلى مزج أكثر من صورة في رسم معالم الواقع الفلسطيني.

- جسد الشعراء الفلسطينيين في خطابهم الشعري بعد عام ٢٠٠٨ م ويلات ثلاثة حروب مرت على مدينة غزة، مما منح هذه الدواوين صفة الوثيقة التاريخية التي يُعتدُّ بها.

ثانياً التوصيات

- التركيز على ما كتبه الشعراء الفلسطينيون بعد عام ٢٠٠٨ م، بشكل عام، وتوجيه الباحثين إلى دراسته والبحث فيه .
- دراسة الشعر الفلسطيني المقاوم بمناهج أخرى للحصول على نتائج جديدة.
- دراسة شعر الشعراء الفلسطينيين الغزيين، وخاصة مَنْ لم يُدرس منهم، وتبسيط الضوء على دواوينهم، وتوجيه الباحثين وطلبة العلم إلى دراسة دواوينهم .
- توجيه الباحثين لدراسة الحقول الدلالية والمعجم الشعري لهذا الشعر وخاصة هذه الفترة.
- دراسة القيم الوطنية والدينية التي يزخر بها هذا الشعر.

المصادر والمراجع:

١. أبو شريفة، عبدالقادر (وآخرون). (٢٠٠٨م). مدخل إلى تحليل النص الأدبي. ط٤. عمان: دار الفكر.
٢. أبو علي، نبيل. (١٩٩٩م). عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية. ط١. القدس: اتحاد الكتاب الفلسطينيين.
٣. إسماعيل ، عز الدين . (٢٠٠٧م). الأدب وفنونه . ط٩ ، القاهرة : دار الفكر العربي .
٤. إسماعيل ، عز الدين. (د.ت) الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ط٣ ، (د.م). دار الفكر العربي

٥. الأشقر، أسامة جمعة (٢٠٠٩م). ديوان الفرقان. ط١. سورية: مؤسسة فلسطين للثقافة.
٦. البطل، علي (١٩٨٣م). الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها. ط ٣. بيروت : دار الأندلس.
٧. الجاحظ (١٩٦٥م). الحيوان. تحقيق: عبدالسلام هارون (ط٢، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده .
٨. أبو جججوح، خضر (٢٠١١م). للأقصى أنزف شغفي ط١. غزة : مكتبة اليازجي.
٩. أبو جججوح، خضر (٢٠١٠م). نقوش على قذيفة فسفورية. ط١. غزة : مكتبة اليازجي.
١٠. أبو جراد، يونس (٢٠١٠م). آتيكم بقبس. ط١، غزة : رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين.
١١. الجرجاني، عبدالقاهر (١٩٩٩م). أسرار البلاغة . تحقيق : محمود شاكر. ط١. القاهرة : مطبعة المدني .
١٢. حاوي، إيليا (١٩٦٧م). فن الوصف (د.ط) . بيروت : دار الكتاب اللبناني .
١٣. حمود، محمد (١٠٨٦م). الحداثة في الشعر العربي المعاصر. ط١. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
١٤. أبو دقة، موسى (٢٠٠٩م). لأجلك غزة. ط١. غزة : منتدى أمجاد الثقافي .
١٥. زايد، علي عشري (٢٠٠٢م). عن بناء القصيدة العربية. ط٤. القاهرة : مطبعة ابن سينا.
١٦. الزرزموني، إبراهيم أمين (٢٠٠٠م). الصورة الفنية في شعر علي الجارم (د.ط) . القاهرة : دار قباء .
١٧. أبو زهير، سهيل (٢٠١٠م). ديوان سقف الذهول. ط١. غزة : رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين.
١٨. أبو السبح، عطا الله (٢٠١٤م). العصف المأكول (د.ط). غزة: رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين.
١٩. أبو شيحة، إيمان (٢٠١٢م). نبض الياسمين. ط١. غزة: رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين.
٢٠. صالح، بشرى موسى (١٩٩٤م). الصورة الفنية في النقد العربي الحديث. ط١. بيروت : المركز الثقافي العربي .
٢١. صبح، علي (١٩٩٦م). البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر. ط٢. مصر: المكتبة الأزهرية للتراث.
٢٢. أبو عاصي، أمل (٢٠١٥م). أربعة فصول للضباب. ط١. مصر: دار القمري.
٢٣. عبدالقادر، حامد (١٩٤٩م). دراسات في علم النفس الأدبي (د.ط). القاهرة: المطبعة النموذجية.
٢٤. عبدالله، محمد حسن (١٩٨١م). الصورة والبناء الشعري (د.ط) . مصر: دار المعارف.
٢٥. عساف، ساسين سيمون (١٩٨٥م). الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس. ط١. بيروت : دار مارون عبود.

٢٦. العسولي، عبدالكريم. (٢٠١٨م). الينبوت. (د.ط)، (د.م): (د.ن) .
٢٧. العسولي، عبدالكريم. (٢٠١١م). أغاريد النورس. (د.ط). غزة: (د.ن) .
٢٨. العسولي، عبدالكريم. (٢٠١١م). دموع وشموع، ط١. غزة: رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين. غزة .
٢٩. عصفارة، علي (٢٠١٠م). اللؤلؤ والمحار. ط١. سورية: مؤسسة فلسطين للثقافة.
٣٠. عصفارة، علي (٢٠١٢م). الضوء والأثر. ط١. غزة: رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين.
٣١. عصفور، جابر. (١٩٩٢م). الصورة الفنية في التراث البلاغي والنقدي. ط٣. بيروت: المركز الثقافي العربي.
٣٢. العف، عبدالخالق. (٢٠٠٠م). التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر. ط١. فلسطين: وزارة الثقافة .
٣٣. العقاد، عباس محمود (٢٠١٣م). ابن الرومي حياته من شعره. (د.ط) . القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
٣٤. عيد، رجاء. (د.ت). القول الشعري منظورات معاصرة. (د.ط) . منشأة المعارف: الإسكندرية.
٣٥. غريب، روز. (١٩٧١م). تمهيد في النقد الحديث. (د.ط) . بيروت : دار المكشوف.
٣٦. الغنيم، إبراهيم عبدالرحمن. (١٩٩٦م). الصورة الفنية في الشعر العربي. ط١. السعودية: الشركة العربية للنشر.
٣٧. كبايه، وحيد صبحي. (١٩٩٩م). الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحس. (د.ط). دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
٣٨. الكلوت، يوسف، قراءات نقدية، ط١، ٢٠٠٨م.
٣٩. كساب، جودت. (٢٠١١م). الخطاب الشعري العربي الحديث المصادر والآليات ط١. الأردن: دار البازوري.
٤٠. لويس، سيسل دي. (١٩٨٢م). الصورة الشعرية. ترجمة: أحمد الجنابي وآخرون. (د.ط). العراق: وزارة الثقافة.
٤١. محيسن، مروان جميل. (٢٠١٠م). على صهوة الماء. ط١، غزة: رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين.
٤٢. مراد، يوسف. (١٩٧٨م). مبادئ علم النفس العام، ط٧، القاهرة: دار المعارف.
٤٣. المزين، سماح. (٢٠١١م). وطن تدفأ بالقصيد ط١. غزة: رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين. غزة.
٤٤. مكليش، أرشيبالد. (١٩٦٣م). الشعر والتجربة. ترجمة: سلى الخضراء الجيوسي. (د.ط). سوريا : دار اليقظة العربية.
٤٥. الملائكة، نازك. (١٩٧٦م). قضايا الشعر المعاصر. ط٣. (د.م): منشورات مكتبة دار النهضة.

٤٦. نافع، عبدالفتاح (١٩٨٣م). الصورة في شعر بشار بن برد. (د.ط.). عمان: دار الفكر.
٤٧. محسن، ناهض إبراهيم، الشخصية الإسلامية في الشعر الفلسطيني، ط١، غزة، مكتبة اليازجي، ٢٠٠٨م.
٤٨. الورقي، سعيد (١٩٨٣م). لغة الشعر الحديث. (د.ط.). القاهرة: دار المعارف.
٤٩. اليافي، نعيم (١٩٨٣م). تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث. (د.ط.). دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
٥٠. اليوسف، يوسف، تطور الشعر الفلسطيني المقاوم، مؤسسة فلسطين للثقافة.
- <http://www.thaqafa.org/site/pages/details.aspx?itemid=5961#.YJ20BrXXLIU>

الهوامش:

- (١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م): الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٢، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥م، ج ٣، ص ١٣٢.
- (٢) الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة. تحقيق: محمود شاكر: ط١. مطبعة المدني، القاهرة (١٩٩٩م)، ص ١٣٢.
- (٣) الورقي، سعيد. لغة الشعر الحديث. (د.ط.)، دار المعارف. القاهرة، ١٩٨٣م. ص ١٤٥.
- (٤) أبو شريفة، عبد القادر (آخرون)، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ط٤، دار الفكر عمان، ٢٠٠٨م، ص ٥٨.
- (٥) صبح، علي، البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، ط٢ المكتبة الأزهرية للتراث، مصر. ١٩٩٦م، ص ٦٤.

- (٦) عيد، رجاء، القول الشعري منظورات معاصرة (دط). منشأة المعارف، الإسكندرية، ص ١١٣.
- (٧) أبو علي، نبيل، عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية، ط ١، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ١٩٩٩م، ص ٩٧.
- (٨) لويس، سيسيل دي الصورة الشعرية، ترجمة، أحمد الجنابي وآخرون، (دط)، وزارة الثقافة، العراق، ١٩٨٢م، ص ٢٦.
- (٩) عبد الله، محمد حسن، الصورة والبناء الشعري (دط). دار المعارف، مصر، ١٩٨١م، ص ٢٨.
- (١٠) كساب، جودت الخطاب الشعري العربي الحديث المصادر والآليات ط ١، دار اليازوري، الأردن ٢٠١١م، ص ١٤٥.
- (١١) ينظر: إسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه ط ٩، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٢٨.
- (١٢) صبيح، البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، ص ١١.
- (١٣) الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، ط ٣، منشورات مكتبة دار النهضة (دم)، ١٩٧٦م، ص ٢٣٣.
- (١٤) أبو شريفة وآخرون، مدخل إلى تحليل العمل الأدبي ص ٦١.
- (١٥) ينظر: البطل، علي، الصورة في الشعر العربي حق آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها، ط ٣، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٣م، ص ١٥.
- (١٦) عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث البلاغي والنقدي، ط ٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٧.
- (١٧) عساف، ساسين سيمون، الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، ط ١، دار مارون عبود، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٨٣.
- (١٨) زايد، علي عشري، عن بناء القصيدة العربية، ط ٤، مطبعة ابن سينا، القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٦٩.
- (١٩) غريب، روز، تمهيد في النقد الحديث (دط)، دار المكشوف بيروت ١٩٧١م، ص ٩٥.
- (٢٠) إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ط ٣، دار الفكر العربي ص ١٣٦.
- (٢١) كبايه، وحيد صبيح، الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحس ١٩٩٩م، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص ٣٠.
- (٢٢) مكليش، أرشيبالد، الشعر والتجربة، ترجمة: سلى الخضراء الجيوسي (دط)، دار اليقظة العربية، سوريا، ١٩٦٣م، ص ٧٠.
- (٢٣) ينظر: صالح، بشرى موسى، الصورة الفنية في النقد العربي الحديث، ط ١، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٤م، ص ١٠٦. والبطل، الصورة في الشعر العربي، ص ٢٨.
- (٢٤) ينظر: الكحلوت، يوسف، قراءات نقدية، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ٥٤.
- (٢٥) ينظر: محسن، ناهض إبراهيم، الشخصية الإسلامية في الشعر الفلسطيني، ط ١، غزة، مكتبة اليازجي، ٢٠٠٨م، ص ٣٨.
- (٢٦) اليوسف، يوسف، تطور الشعر الفلسطيني المقاوم، مؤسسة فلسطين للثقافة.
- <http://www.thaqafa.org/site/pages/details.aspx?itemid=5961#Y20BrXXLIU>
- (٢٧) العف، عبد الخالق، التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط ١، وزارة الثقافة، فلسطين، ٢٠٠٠م، ص ١٥٥.
- (٢٨) إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص ١١٤.
- (٢٩) حاوي، إيليا، فن الوصف (دط) دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٧م، ص ١٤.
- (٣٠) حمود، محمد، الحداثة في الشعر العربي المعاصر، ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٠٨٦م، ص ٩٥.
- (٣١) عبد القادر، حامد، دراسات في علم النفس الأدبي (دط)، المطبعة النموذجية القاهرة، ١٩٤٩م، ص ١٧٢.

- (٣٢) الزرزموني، إبراهيم أمين ، الصورة الفنية في شعر علي الجارم.(دط)، دارقباء، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٠٠.
- (٣٣) اليافي ، نعيم تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث.(دط)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٨٣م، ص ٢٠٧.
- (٣٤) الجرجاني ، أسرار البلاغة للجرجاني ص ١٨٠.
- (٣٥) العقاد، عباس محمود ابن الرومي حياته من شعره.(دط)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ٢٠١٣م، ص ٢٣٧.
- (٣٦) عبد الكريم حامد العسولي ، شاعر فلسطيني معاصر ، من مواليد مدينة خان يونس في قطاع غزة ، تخرج من كلية الآداب قسم اللغة العربية جامعة الإسكندرية ، و تنتقل بين عدة وظائف منها معلماً للغة العربية ، ومشرفاً في جامعة الأقصى ، يكتب الشعر العربي الفصحى وله عدة دواوين منها دموع وشموع ، وشقائق النعمان، وأعاصير الزنايق ، وأغاريد النورس، وغيرها .(ينظر: ديوان الينبوت ص ١٢٩).
- (٣٧) العسولي ، عبد الكريم ، أغاريد النورس.(دط)، غزة، ٢٠١١م، (دن) ، ص ٤٨.
- (٣٨) لم أقف على ترجمة له.
- (٣٩) محيسن، مروان جميل، على صهوة الماء، ط١ ، رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، غزة، ٢٠١٠م، ص ١٦.
- (٤٠) عطا الله أبو السبح مواليد عام ١٩٤٨م في بلدة السوافير الشرقي، حصل على درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية من السودان، شغل عدة مناصب وزارية، وله ديوان غربة، وعدد كبير من القصائد المتفرقة التي يجري جمعها في دواوين مستقلة.
- (٤١) أبو السبح، عطا الله، العصف المأكول.(دط)، رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين ، غزة، ٢٠١٤م ص ٥.
- (٤٢) لم أقف على ترجمة له.
- (٤٣) منصور ، العصف المأكول ، ص ٦٤.
- (٤٤) علي محمد عصفارة مواليد مدينة الخليل عام ١٩٨٢م، اعتقل مرات كثيرة، وحكم عليه في آخرها بالسجن مدى الحياة، خرج بعدها في صفقة تبادل الأسرى المسماة وفاء الأحرار، من دواوينه الضوء والأثر ، واللؤلؤ والمحار.
- (٤٥) عصفارة، علي، الضوء والأثر ط١. رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، غزة، ٢٠١٢م، ص ٢٨.
- (٤٦) إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر، ص ١٢٩.
- (٤٧) لم أقف على ترجمة له.
- (٤٨) دويكات ، ديوان الفرقان، ص ٤١٠.
- (٤٩) محيسن، على صهوة الماء ، ص ١٣، ١٤.
- (٥٠) سهيل أبو زهير مواليد قطاع غزة ١٩٦٣م، حاصل على رسالة ماجستير في اللغة والنحو من الجامعة الإسلامية بغزة صدرت مجموعته الأولى في القصة القصيرة بعنوان "هي.. هل تعود؟"، ومن دواوينه ديوان سقف الزهول .
- (٥١) أبو زهير، سهيل، ديوان سقف الزهول ط١، رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، غزة، ٢٠١٠م، ص ٧٢.
- (٥٢) المرجع السابق: ص ٧٢.
- (٥٣) سماح ضيف الله عبد المزين، من مواليد مدينة خان يونس ، حاصلة على ماجستير الإرشاد النفسي، ترأست مدير تحرير مجلة المواهب في القاهرة، من دواوينها وطن تدفأ بالقصيد، وملحمة أدبية توثق عدوان عام ٢٠١٤م، ونازحة إلى الحلم تحت الطباعة.

- (٥٤) المزين، سماح، وطن تدفأ بالقصيد. ط١، رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، غزة، ٢٠١١ م، ص ٢٧.
- (٥٥) يوسف حطيفي، شاعر وأديب وقاص فلسطيني مواليد ١٩٦٣ م، من دواوينه صرخات في ضجيج السكون، بين وبين حبيبي شيثان، وله عدة دراسات نقدية.
- (٥٦) حطيفي، ديوان الفرقان. ص ٥٠.
- (٥٧) أبو زهير، سقف النحول. ص ٤٣.
- (٥٨) سليمان خليل إبراهيم قاسم محمد آل دغش، مواليد ١٩٥٢ م في قرية المغار الجليلية الفلسطينية حاصل على شهادة الماجستير في إدارة الأعمال الدولية، من دواوينه امرأة على خط الاستواء، هويتي الأرض، لا خروج عن الدائرة، عاصفة على رماد الذاكرة، وغيرها.
- (٥٩) دغش، ديوان الفرقان. ص ٥٩١.
- (٦٠) شاعر ونقاد، وكتب فلسطيني، دكتوراه في اللغة العربية، جامعة الجنان، طرابلس لبنان، عضواً اتحاد الكتاب الفلسطيني، من دواوينه صهيل الروح، وعرس النار، وهديل على سرور الحنين، ونقوش على قذيفة فسفورية، وغيرها.
- (٦١) أبو جحجوح، خضر، نقوش على قذيفة فسفورية، ط١، مكتبة اليازجي، غزة، ٢٠١١ م، ص ٤٧.
- (٦٢) مراد، يوسف، مبادئ علم النفس العام، ط٧، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨ م، ص ٦٨.
- (٦٣) نافع، عبد الفتاح، الصورة في شعر بشارة برز، (دط)، دار الفكر، عمان ١٩٨٣ م، ص ١٦١.
- (٦٤) العسولي، عبد الكريم، دموع وشموع ط١، رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، غزة، ٢٠١١ م، ص ٥٥.
- (٦٥) أبو زهير، سقف النحول، ص ٢٧.
- (٦٦) إيمان عبد الله أبو شيعة، فلسطينية من قطاع غزة تعمل طبيبة، حازت على العديد من الجوائز في المسابقات الأدبية، من دواوينها نبض الياسمين.
- (٦٧) أبو شيعة، إيمان، نبض الياسمين ط١، رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين غزة ٢٠١٢ م، ص ١١٤.
- (٦٨) العسولي، عبد الكريم، النبوت ٢٠١٨ م، ص ١٣٠.
- (٦٩) عصافرة، علي، اللؤلؤ والمحار، ط١، مؤسسة فلسطين للثقافة سورية ٢٠١٠ م، ص ١٢٠.
- (٧٠) تركي عامر مواليد ١٩٥٥ م في قرية حريش الجليلية، ناشط مجتمعي، من دواوينه، ضجيج الصمت، ونزيف الوقت، واستراحة محارب، وصواريخ عابرة للقارات، وغيرها.
- (٧١) عامر، ديوان لأجلك غزة، ص ٩٦.
- (٧٢) أبو جحجوح، خضر، للأقصى أنف شغفي ط١، غزة، ٢٠١١ م، مكتبة اليازجي، ص ٧٧.
- (٧٣) كياه، الصورة الفنية في شعر الطائيين، ص ١٢٥.
- (٧٤) مراد، مبادئ علم النفس العام، ص ٦٤.
- (٧٥) ينظر: المرجع السابق، ص ٦.
- (٧٦) عصافرة، اللؤلؤ والمحار، ص ٣٣.
- (٧٧) العسولي، أغاريد النورس، ص ١٦.
- (٧٨) عصافرة، الضوء والأثر، ص ٧٠.

- (٧٩) أبوزهير، سقف النهول، ص ٤٩.
- (٨٠) أمل أبو عاصي شاعرة فلسطينية من غزة حصلت على لقب شاعرة المقاومة عام ٢٠١٤م، من دواوينها ديوان أربعة فصول للضباب، والكثير من القصائد المتفرقة التي نالت بها جوائز عدة في مسابقات دولية ومحلية، ورواية حينما يتعري النهر.
- (٨١) أبو عاصي، أمل، أربعة فصول للضباب، ط ١، دار القمري، مصر ٢٠١٥م، ص ٣٣.
- (٨٢) المرجع السابق: ص ٣٤.
- (٨٣) عصافرة، الضوء والأثر، ص ٩٠.
- (٨٤) ينظر، مراد، مبادئ علم النفس العام، ص ٦٣-٦٤.
- (٨٥) الغنيم، إبراهيم عبد الرحمن، الصورة الفنية في الشعر العربي، ط ١، الشركة العربية للنشر السعودية، ١٩٩٦م، ص ١٨.
- (٨٦) يونس عبد الحميد أبو جراد، من مواليد غزة، ١٩٨٢/٨/١م. خريج قسم الاقتصاد والعلوم السياسية، كلية التجارة بالجامعة الإسلامية بغزة. شاعر، صدر له مجموعة شعرية بعنوان (أنات القمر)، وديوان "أتیکم بقبس".
- (٨٧) أبو جراد، أتیکم بقبس، ص ١٢.
- (٨٨) أبو جراد، أتیکم بقبس، ص ٥١.
- (٨٩) السابق: ص ٦٠.
- (٩٠) أبوزهير، سقف النهول، ص ٤٩، ٥٠.
- (٩١) أبو جرجوح، نقوش على قنيفة فسفورية، ص ٧٢.

الأيكولوجية الثقافية للصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة "دراسة سسيولوجية- أنثربولوجية"

رولا خالد أبو الراغب* أ.د محمد فايز الطراونة**

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢١/٥/١٨ م تاريخ قبول البحث: ٢٠٢١/٦/٢١ م

الملخص

هدفت الدراسة التعرف إلى آليات التكيف الأيكولوجي الثقافي للصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة وذلك من خلال رصد خصائصهم الاجتماعية والاقتصادية والتأثيرات الثقافية التي أثرت في البناء الاجتماعي، واعتمدت الدراسة في التحليل الأسلوب النوعي ومنهج المسح الوصفي وتطبيق مفهوم الأيكولوجيا الثقافية لـ (جوليان ستيوارد)، وتم إجراء الدراسة على عينة قصدية بلغت (٥٠) صيادا وتم استخدام دليل المقابلة.

وخلصت الدراسة إلى أن الصيد البحري يمثل بناءً اجتماعياً وثقافياً، وأن فئة الشباب هي الفئة الممارسة الفعلية للصيد، كونها تتطلب مستوى جيداً من القدرة البدنية وأن معظم الصيادين يعملون أسرهم، ويقيمون في مناطق حديثة نسبياً بسبب التطور على صعيد البنية التحتية في مدينة العقبة. وأن مهارة مهنة الصيد متوارثة، وأن أغلب الصيادين ما زالوا يستخدمون وسائل تقليدية للصيد، وبالرغم من التحديات التي تهدد وجود المهنة اقتصادياً لكنها تبقى مهنة مرتبطة بالآثار الثقافية وبالذاكرة الشعبية، وأن هناك تشابهاً في الأنماط الثقافية في البيئات الساحلية الصحراوية التي تحمل نفس صفات البيئة الأيكولوجية.

الكلمات الدالة: الأيكولوجيا الثقافية، الصيد، خليج العقبة.

* باحثة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، الجامعة الأردنية

** أستاذ دكتور، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، الجامعة الأردنية.

**The Cultural Ecology of the Fishermen on the Jordanian Coast Overlooking the
Gulf of Aqaba, "Sociological–Anthropological Study"**

This study aims to identify the mechanisms of the ecological and cultural adaptation of fishermen on the Jordanian coast overlooking the Gulf of Aqaba through their social, economic, and cultural influences that affected the social construction. An intentional sample amounted to (50) fishermen and the interview guide were used.

The study has come to the conclusion that marine fishing represents a social and cultural construct, and that the youth group is the actual practice of fishing, as it requires a good level of physical ability and that most fishermen support their families and reside in relatively recent areas due to the development of infrastructure in the city of Aqaba. And that the skill of the fishing profession is inherited, and that most of the fishermen still use traditional means of fishing, despite the challenges that threaten the existence of the profession economically, but it remains a profession linked to the cultural heritage and the popular memory, and that there is a similarity in the cultural patterns in the coastal and desert environments that bear the same ecological characteristics.

Key words: cultural ecology, fishing, Gulf of Aqaba

المقدمة:

يعتبر أسلوب حياة الإنسان من أهم العوامل التي أحدثت وتُحدث تغييرًا ملحوظًا على البيئة، فقد تعامل الإنسان منذ القدم مع مكونات البيئة، وحاول تسخيرها لخدمته، ومع توالي السنين أصبح الإنسان أكثر تحكّمًا فيها، وأكثر استغلالًا لمكوناتها البرية والبحرية والجوية. وإذا كانت الأنثروبولوجيا تعني علم الإنسان، فإن الأنثروبولوجيا الاجتماعية تركز على دراسة الجانب الاجتماعي لحياة ذلك الإنسان.⁽¹⁾

وكان مجال الدراسات الأنثروبولوجيا الاجتماعية قديما في المجتمعات البدائية نظرًا لصغر حجمها وسهولة دراستها إلا أن التوجه المعاصر تعدى ذلك فشمّل التجمعات الحضرية في المدينة مثل الأحياء السكنية والتنظيمات الاجتماعية وغيرها، فهي تقوم على دراسة البنية والوظائف وأنماط العلاقات الاجتماعية، وبشكل أدق تدرس السلوك الاجتماعي الذي يشكل نظم اجتماعية كالعائلة ونظام القرابة والتنظيم السياسي وأشكال الملكيات بهدف تحديد العلاقة والتأثير المتبادل فيما بينها من جهة، وبينها وبين الفرد من جهة أخرى.⁽²⁾

أما الاتجاه السوسيولوجي (علم الاجتماع) هو العلم الذي يدرس الثقافة الاجتماعية ويدرس الخصائص العامة المشتركة بين جميع أنواع المظاهر الاجتماعية، ويرى إميل دوركايم أن مصدر الثقافة هو المجتمع، وأن علم الاجتماع هو علم المجتمع الذي يدرس العلاقات الاجتماعية، وأن تتم دراسة الظواهر المجتمعية دراسة تشيؤية موضوعية وكمية والهدف من ذلك هو تفسير هذه الظواهر تفسيراً وضعياً علمياً انطلاقاً من الأبعاد السياسية، والاقتصادية، والدينية، والثقافية، والقانونية.⁽³⁾

ويعتبر أنتوني جدينز أن المجتمع كلٌّ يتألف من مجموعة من النظم التي تؤسس كيانه ويبني عليها الوجود المجتمعي ويدرس العلاقات الاجتماعية المتبادلة بينها للتعرف على جميع أشكال العلاقات التي تدخل في تشكيل البناء الاجتماعي.⁽⁴⁾

أما في الدراسة الحالية فإن مفهوم الأيكولوجيا الثقافية الذي ظهر في عام (١٩٥٥)، وهو "دراسة تغير الثقافة الناشئ عن التكيف مع البيئة الطبيعية"، وقد صاغ جوليان ستيوارد (Steward) هذا المصطلح وهو مشتق من كلمة (أيكولوجيا) للدلالة على المجموعات الحيوية، وتعني (أيكولوجيا) في علم الحياة هي العلاقات المتبادلة بين الكائنات العضوية وبيئتها الطبيعية.⁽⁵⁾

وجاء اختيار موضوع الدراسة في الساحل الأردني المطل على سواحل البحر الأحمر حيث تقع مدينة العقبة في محافظة (العقبة الإدارية) في أقصى الجزء الجنوبي من الأردن؛ لدراسة الطابع الثقافي- البيئي للعاملين في الصيد البحري، فعلى الرغم من التطور والتغير الحضاري والثقافي الكبير الذي شهدته المنطقة إلا أن هناك طابعاً ثقافياً ظل يجاهد كي يبقى متماسكاً رغم التطور ومظاهر الحداثة التي أحاطت به.

مشكلة الدراسة:

على الرغم من التطور الاجتماعي والاقتصادي في مدينة العقبة إلا أن هناك قصوراً في الدراسات السوسولوجية – الأنثروبولوجية لمفهوم الأيكولوجية الثقافية في المجتمع المحلي للعاملين في مهنة الصيد، وتوثيق انعكاسات تقنيات مهنة الصيد على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتراثية من خلال العلاقات الاجتماعية بين جماعة الصيادين والبناء الاجتماعي لهذه الجماعة. وعليه، فقد جاءت هذه الدراسة لتبحث في الإشكالية المتعلقة بالتكيف الأيكولوجي الثقافي بمهنة الصيد، وتوثيق الموروثات الثقافية ورصد البناء الاجتماعي ومقارنتها مع نتائج الدراسات على المناطق المتشابهة مع المنطقة أيكولوجياً.

-أهمية الدراسة العملية:

تعتبر هذه الدراسة ذات أهمية عملية كونها تسلط الضوء على الأيكولوجيا الثقافية لمهنة الصيد في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة من خلال رصد وتوثيق كل ما يتعلق بهذه المهنة من: الأساليب التقنية والتكنولوجية المرتبطة بالصيد والمهارات اللازمة للصيد وأنواع الأسماك الموجودة وطرق صيد كلا منها ومواسم وأوقات الصيد ولغة التواصل وأدوات الصيد وغيرها.

-أهمية الدراسة العلمية:

تتمثل الأهمية العلمية للدراسة في إثراء البحث العلمي السوسيوأنثروبولوجي، والمتعلق في دراسة آليات التكيف الأيكولوجي على المستوى الثقافي والاجتماعي للعاملين بمهنة الصيد البحري والمتمثل في توثيق التراث الثقافي ورصد وتدوين ما يرتبط بممارسة مهنة الصيد من موروثات ثقافية انعكست على ثقافة وحياة الصيادين.

أهداف الدراسة:

١. التعرف إلى الخصائص الديموغرافية للصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة.
٢. التعرف إلى الخصائص الاقتصادية للصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة.
٣. التعرف إلى المميزات والتأثيرات الثقافية التي أثرت في البناء الاجتماعي عند الصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة.

أسئلة الدراسة:

تسعى الدراسة للإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما هي الخصائص الديموغرافية للصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة؟
٢. ما هي الخصائص الاقتصادية للصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة؟
٣. ما هي المميزات والتأثيرات الثقافية التي أثرت في البناء الاجتماعي عند الصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة؟

مفاهيم الدراسة النظرية والإجرائية:

وفيما يلي عرض للمفاهيم النظرية والإجرائية التي سيتم استخدامها في الدراسة حسب ما وردت في الاتجاهات النظرية وهي (الثقافة، الأيكولوجيا، الأيكولوجيا الثقافية):

- مفهوم الثقافة:

يُعتبر ابن خلدون أول من وضع تعريفاً "فيزيقياً" للثقافة حين قارن بين ثقافتين: البداوة والمدن: فالثقافة حسب تعريف ابن خلدون هي: "آداب الناس في أحوالهم في المعاش كالعمران والصنائع والفنون والدراية في مجالات الحياة اليومية في حين تتشكل آداب الناس بالتعليم والاكتساب وإعمار الفكر."^(١) وقد قدم إدوارد تايلور (E.B.Tylor) أول تعريف للثقافة عام (١٨٧١) في كتابه الثقافة البدائية (Primitive Culture) حيث عرّف الثقافة بأنها "هي الوحدة الكلية التي تشمل المعرفة والمعتقدات والفن الأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع" وأضاف إليها لاحقاً "أن الثقافة لا يملكها الإنسان أي أنها مكتسبة ولا يمكن اعتبارها وراثية بيولوجية."^(٧) ومن

التعريفات المهمة للثقافة أيضا تعريف الطاهرليب للثقافة حيث يرى أن "الثقافة هي هذه المجموعة المعقدة التي تشمل المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وكل القابليات والتطبيقات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع ما" ويعني هذا أن الثقافة تشمل المعطيات الفكرية والعاطفية والمادية.^(٨) أما في الدراسة الحالية فيشير مفهوم الثقافة إلى جميع الأنشطة التي يمارسها الصياد وآليات التكيف مع بيئته من خلال ممارسات انعكست على انساق البناء الاجتماعي، ورصد انعكاسات ثقافة الصيد على نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية واللغوية وغيرها.

- الأيكولوجيا: (Ecology)

ويقصد بها علم البيئة، أو علم الأحياء البيئي (Biology Environmental) ويعني الدراسة العملية لتوزيع وتلاؤم الكائنات الحية مع بيئاتها المحيطة، ودراسة التفاعلات والعلاقات التي تتشكل بين الأحياء كافة وبين بيئاتها المحيطة، أما مصطلح علم البيئة - الأيكولوجيا فقد صاغه عالم الأحياء أرنست هيجل (E. Haeckel) وهو يدرس بشكل عام علاقة الكائنات الحية مع بعضها البعض مع البيئة أو الموئل الذي تعيش به.^(٩) ويشير المصطلح في الدراسة الحالية إلى كل ما يحيط بالصياد من مكونات بيئية والطرق التي يتكيف بها مع كل ما يحيط به من أرض وبحر وهواء.

الأيكولوجيا الثقافية (Cultural Ecology)

ويعرّف ياس العباسي الأيكولوجيا الثقافية بأنها عبارة عن المكونات المعرفية والانفعالية والسلوكية التي يكتسبها الفرد من خلال تفاعله المستمر مع بيئته المحيطة به، حيث إن البيئة والثقافة هما جزآن من نسق واحد له خاصية تفاعلية فالبيئة هي كل ما يحيط بالإنسان، أما في الدراسة الحالية فيشير المفهوم إلى التأثير الذي أحدثته البيئة الحرة على الثقافة عند العاملين بالصيد البحري في خليج العقبة وكيف تكيفت أنساق البناء الاجتماعي مع مكونات البيئة الساحلية وشكلت ثقافة مجتمع الدراسة.

الأيكولوجيا الثقافية عند جوليان ستيوارد.

أشار عاطف وصفي أن الأيكولوجيا الأنثروبولوجية تهتم بدراسة عمليات التأقلم الثقافي تجاه البيئات المختلفة وتقوم على دراسة العلاقات بين المجموعة السكانية من البشر وبيئتها

الفيزيائية الحيوية، وقد أخذت هذه الاتجاهات أسلوباً علمياً في دراسة هذا الأثر المتبادل ما بين الإنسان وبيئته فيما يسمى بعلم البيئة الثقافي، وقامت الدراسة الحالية بمحاولة لتطبيق مفهوم الأيكولوجيا الثقافية (Cultural Ecology) من رؤية جوليان ستيوارد (Julian Steward) والذي اهتم بدراسة أوجه الشبه بين المجموعات التي تعيش في بيئات متشابهة وتستخدم وسائل متشابهة في التكيف مع البيئة، وحاولت الدراسة أن تبحث في التكوين الديناميكي لثلاثة مكونات أساسية لدى جماعة المشتغلين بالصيد البحري في الساحل الأردني للبحر الأحمر وهي (الظروف الأيكولوجية، المكون الديموغرافي، جوانب الثقافة المادية وغير المادية) والتفاعل بين هذه المكونات مما ينتج عنها النسق الاقتصادي والمتمثل في مهنة الصيد، والنسق القرابي ويتمثل بالعلاقات بين جماعة الصيادين ونسق الضبط المجتمعي والذي يتضمن تنظيم العلاقات بين هذه المكونات.

ويرى ستيوارد أنه يجب التمييز بين الأيكولوجيا الثقافية من ناحية، والأيكولوجيا الاجتماعية و(الأيكولوجيا البشرية) من ناحية أخرى، لأن الأيكولوجيا الثقافية تهتم بتفسير أصول الملامح والأنماط الثقافية الخاصة التي تميز مناطق ثقافية مختلفة، وأن هناك فكرة مهمة تقوم وراء مفهوم الأيكولوجيا الثقافية هي أن التكيف الأيكولوجي الثقافي يمثل عمليات (خلافة) بمعنى أن الظروف الطبيعية تؤثر في النمو الثقافي ولا يقصد بها هنا الحتمية البيئية حيث إن هناك اختلافاً بين منهج الأيكولوجيا الثقافية ومنهج الحتمية البيئية، والمتغير هنا هو مدى الاعتماد المتبادل بين الأنظمة المختلفة.^(١٠)

فيما يؤكد عدنان مسلّم أن الأيكولوجيا الثقافية تعتمد بشكل أساسي على ضرورة وجود دراسات ميدانية في المجتمع المراد دراسته بهدف تحليل العلاقة بين الوسائل التكنولوجية التي يستخدمها الفرد في السيطرة على بيئته التي يعيش فيها، وبين نمط السلوك أو مظاهر ثقافته وما يشمل ذلك من أنماط ثقافية وقيم وعادات تتصف بدرجة عالية من التعقيد والارتباط المتبادل ولما تُشكله من أنماط سلوكية وممارسات يومية للأفراد داخل النسق الثقافي.^(١١)

الدراسات السابقة والدراسات ذات الصلة بالدراسة:

تناولت عدد من الدراسات المحلية والعربية والأجنبية موضوع الأيكولوجيا الثقافية ضمنياً من خلال دراسات سوسيوانثروبولوجية متعددة الجوانب أجريت على الجماعات التي تمتن الصيد البحري، وسيتم تالياً استعراض بعض هذه الدراسات:

ففي دراسة قام بها محمد الزبدة، رائد الجواسرة، ومحمد بدران (٢٠١٨) والموسومة بـ "الخصائص الاقتصادية والاجتماعية لواقع الصيد وصيادي الأسماك في خليج العقبة" وقد هدفت الدراسة الى التعرف على واقع المصائد والخصائص الاجتماعية والاقتصادية لصيادي الأسماك في العقبة، والوقوف على أهم المشاكل التي تواجههم، والتعرف على طرق وآليات تسويق الأسماك في ظل شح الموارد وأجريت الدراسة خلال عامي (٢٠١٣-٢٠١٤)، واعتمدت على طريقة التحليل الإحصائي الوصفي والاستنباطي وشملت العينة جميع الصيادين العاملين في الصيد وعددهم (١٢٠) صيادا. وخلصت الدراسة الى أن أساليب الصيد ما زالت تقليدية ولا بد من تحسين تقنيات الصيد عن طريق الاهتمام ببرامج التدريب والإرشاد لرفع المهارات المهنية للصيادين وتوعيتهم بأساليب وطرق الصيد الحديثة. وكذلك توسيع رقعة الصيد المخصصة باتجاه المياه العميقة والعمل على تفعيل ودعم عمل الجمعيتين التعاونيتين للصيادين وتطوير وتبسيط الإجراءات فيما يتعلق بالحصول على رخص وتصاريح الصيد، وأخيرا أكدت الدراسة أن فئة الصيادين وعائلاتهم هم جزء مهم من المورد الثقافي والحضاري لمنطقة العقبة، ويستوجب الحفاظ على هذا الإرث ليكون ضمن منظومة التطوير الشمولية في هذه المنطقة.^(١٢)

أما الدراسة التي قامت بها كريمة بورحلي (٢٠١٠) الموسومة بـ "التلوث البحري وتأثيره على البحارة، دراسة ميدانية بميناء الصيد (بوديس) جيجل" حيث هدفت الدراسة إلى معالجة أبعاد تلوث البيئة البحرية وتأثيرها على النظام البيئي وأثار ذلك التلوث على جماعة البحارة والصيادين وتحديد مدى وعي الصيادين والبحارة بالمشاكل البيئية، وتمت هذه الدراسة في ميناء الصيد البحري التونسي لولاية جيجل وشملت (١٠٠٦) عامل (حقيقي) عام (٢٠٠٩)، أما منهج البحث فكان الوصفي التحليلي، من خلال (الوثائق والسجلات، والملاحظة، والمقابلة)، وخلصت الدراسة إلى أن أسباب المشكلات البيئية تمتاز بالتشابك والتداخل فيما بينها، وإن اختلال القيم والاتجاهات هي التي تعتبر جوهر المشاكل البيئية، لأن القيم والاتجاهات تكتسب صفة الاجتماعية، وهي التي توجه سلوك الناس اتجاه بيئتهم.^(١٣)

وتناولت دراسة منسي الجمل (٢٠٠٤) والموسومة بـ "مجتمع الصيادين في قرية الجبيل بجنوب سيناء - دراسة مقارنة في الجغرافيا الاجتماعية" مجتمع الصيادين حيث هدفت الدراسة إلى تحديد الأبعاد الديموغرافية للصيادين بقرية الجبيل بمحافظة جنوب سيناء وذلك من وجهة نظر الجغرافيا الاجتماعية حيث تمت دراسة المؤشرات الديموغرافية في

مجتمع الصيادين، وتكون مجتمع الدراسة من العاملين في مهنة الصيد والذين تراوح معدل أعمارهم من (١٥-٥٠) عاما أما منهج الدراسة فكان المنهج الوصفي المقارن وخرجت الدراسة بأن أهم المشاكل التي تواجه صيادي الجبيل في عملهم تتمحور في (حركة الرياح والأمواج، ومنع الصيد في بعض شهور السنة، ومشكلة بقع زيت البترول، ومشكلة الشعاب المرجانية وارتفاع أسعار أدوات الصيد، وعدم قدرة الجمعيات التعاونية للصيادين على دعم القطاع، وكذلك مشكلة التلوث البيئي وقلة نظافة الشوارع)، ولم تتطرق الدراسة إلى العلاقات الاجتماعية بين جماعة الصيادين وإذا ما كان هناك أي مميزات أو نمط ثقافي مثل مفردات تواصل شفوية أو رصد مظاهر تراثية بمهنة الصيد لدى مجتمع الدراسة.^(١٤)

وقد قامت (PERSGA,2003) وهي الهيئة الإقليمية للمحافظة على بيئة البحر الأحمر وخليج عدن بدراسة مسحية هدفت من خلالها إلى إلقاء نظرة شاملة على الحالة الراهنة للمصائد في الإقليم وتحديد المشاكل التي تتعلق باستدامة مصائد الأسماك وأثرها على البيئة وتم استخدام المنهج الوصفي المسحي الذي شمل البلدان المطلة على البحر الأحمر وخليج عدن وشملت الدراسة أنواع المصائد البحرية والتقنيات المستخدمة فيها، العنصر البشري العامل في المجال البحري، جمعيات الصيادين، أنواع السمك والمرجان. وبينت الدراسة أن قطاع الصيد البحري للساحل الأردني المطل على خليج العقبة قطاع غير منظم ويعاني من عدم وجود إدارة فعالة، ولا يوجد بيانات واضحة حول هذا القطاع، إلا أن قلة أماكن الصيد في البحر أدى إلى تناقص في أعداد الثروة السمكية، وقلة البحوث التطبيقية لقطاع الصيد البحري بشكل عام.^(١٥)

أما دراسة أحمد طهيري (٢٠٠٢) والموسومة بـ "التعابير الشفوية الخاصة البحارة الصيادين، صيادو غزوات نموذجاً، دراسة أنثروبولوجية" وهدفت الدراسة إلى البحث في أشكال التعبير الشفوي انطلاقاً من العلاقة الاجتماعية الثقافية خاصة وأن ميناء غزوات في الجزائر كان ملتقى للصيادين من عدة ثقافات وهدفت الدراسة إلى التعرف على المميزات الثقافية لهم، والتعرف إلى الدلالات الاجتماعية والثقافية للتعبير الشفوية عند البحارة الصيادين. أما منهجية الدراسة فكانت استخدام المنهج التاريخي، والمنهج الإحصائي، ومنهج تحليل المضمون في تحليل لغة الاتصال والتعبير الشفوية، وتم جمع البيانات من خلال الملاحظة بالمشاركة من خلال المشاركة برحلات الصيد.

وتكونت عينة البحث من (٤٠) مبحوثًا ممارسًا من أهم نتائج الدراسة أن هناك تأثيرا للبحارة الأسباب ليس اقتصاديًا وحسب وإنما تأثير على الحياة الثقافية وذلك بإدخال عناصر ومفاهيم لغوية اسبانية، وكذلك وجدت الدراسة بأن مهنة الصيد يتم توريثها للأجيال وذات تنظيم عمل تقليدي. وأن البحث في الدلالات الاجتماعية للتعبير الشفوية من ألغاز وأقوال عند البحارة يتعدى ما هو ظاهر على مستوى البنية اللغوية السطحية إلى البنية العميقة ذات دلالات اجتماعية رمزية معبرا عن طموحات الوعي الجمعي للبحارين.^(١٦)

وهناك دراسة عبدالله ولد أحمد فال (١٩٩٥) بعنوان "تطور قطاع الصيد البحري والتغير الاجتماعي في موريتانيا من سنة ١٩٧٠-١٩٩٢" حيث تناول فيها التغير في البناء الاجتماعي في المجتمع الموريتاني وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي من خلال وصف الملامح العامة للحياة العامة والاقتصادية والتكنولوجية لمجتمع الدراسة ووصف نمط الإنتاج والوسائل التقليدية ومقارنتها بنمط الإنتاج والوسائل التقنية الحديثة، وتم تصميم استمارة تم توزيعها على عينة عشوائية بسيطة (٦٠) صيادا. وقد خلصت الدراسة إلى أن قطاع الصيد البحري مرت عليه أكثر من مرحلة، ووجدت الدراسة أن هذا التغير في النشاط الاقتصادي انعكس على البناء الاجتماعي في مجتمع الدراسة، إلا أن الباحث وجد أن هناك نقصا في البنية التحتية لقطاع الصيد البحري، ونقصا في التأمين الاجتماعي والثقافة المهني للصيادين وضعفا في إيجاد أسواق لتسويق الأسماك.^(١٧)

أما دراسة فاتن الحناوي (١٩٩١) بعنوان "بعض ملامح التغير في تكنولوجيا الصيد، دراسة أنثروبولوجية بمحافظة الإسكندرية" والتي هدفت من خلالها إلى التعرف إلى الملامح المميزة للنمط الاقتصادي القائم على الصيد وقد استخدمت الباحثة كلا من المنهج الكمي والكيفي واستخدمت المسح الشامل ومنهج دراسة الفلكلور وكذلك المنهج الأنثروبولوجي المتمثل بالملاحظة المباشرة، والملاحظة بالمشاركة، والمقابلات المعمقة وكذلك الإخباريين، كما استخدمت أسلوب التحليل التاريخي والمقارن كمناهج للتحليل. وأهم نتائج الدراسة كانت أن هناك نسقا تقليديا ما زال مسيطرًا على تقنيات الصيد خاصة وأن السياسات الحكومية لم تدعم هذا القطاع بشكل يطور المهنة، وكذلك هناك تأثيرات مباشرة للنسق الثقافي للصيادين على الأنساق الاجتماعية والاقتصادية بالرغم من تضائل القطاع وقلة المردود الاقتصادي على الصيادين.^(١٨)

وفيما يلي سيتم استعراض عدد من الدراسات والأبحاث والمقالات الصادرة باللغة الإنجليزية والتي تناولت موضوع الدراسة من حيث المفاهيم الأيكولوجية والتداخل ما بين الجغرافيا البشرية والتكيف البيئي، ففي الدراسة التي قاما بها فيير وستول (Farr and Stool, 2018) والموسومة بـ "أثر المعرفة البيئية الأيكولوجية في نقل المعرفة الثقافية من جيل لآخر من الصيادين في الخليج الشرقي لولاية مين في أمريكا"، حيث هدفت الدراسة إلى تحديد وتحليل التصورات الجماعية التي تمتلكها مجموعة الصيادين حول بيئتهم، وطرق انتقال المعرفة الثقافية من جيل إلى آخر، ورصد التفاعلات المنتظمة بين الصيادين والبيئة الحيوية. وقامت الدراسة بعمل مقابلات متعمقة وشبه منظمة مع (١٧) صياداً في شرق ولاية (مين) والتي تتوزع بها مصايد أسماك، وذلك من أجل فهم العلاقة بين الصيد وإنتاج المعرفة البيئية. وتم استخدام منهج الشبكة (network approach) لتحليل الخرائط المعرفية لهيكل النظام البيئي والديناميكيات التي وصفها الصيادون خلال المقابلات المعمقة والمفتوحة. وخلصت الدراسة إلى وجود علاقة إيجابية بدرجة عالية بين تنوع الصيادين في مصايد الأسماك ودرجة معرفتهم للخصائص البيئية الأيكولوجية.^(١٩)

ومن الدراسات الهامة عن الصيد والسياسة دراسة قامت بها مكاسكي (Mccaskey, 2012) بعنوان "الصيادون والسياسة والمشاركة: فحص إثنوغرافي لإدارة مصايد الأسماك التجارية في سانت كروا، جزر فيرجن الأمريكية"، وقد هدفت الدراسة إلى دراسة مؤسسات إدارة الموارد السمكية بمنهج إثنوغرافي واستنتجت الباحثة من البيانات الإثنوغرافية التي قامت بدراستها أن هناك مجموعة متنوعة من العوامل التاريخية والاجتماعية والسياسية التي تؤثر على كيفية تصوّر الصيادين التجاريين والمديرين وأصحاب المصلحة الآخرين لعملية إدارة المصايد الفيدرالية ومدى مشاركتهم في تلك العملية، وكذلك التفاعلات داخل مجموعات أصحاب المصلحة فيما بينها.^(٢٠)

بعد أن تم استعراض الدراسات والأبحاث التي تناولت موضوع الدراسة أو كان ذا صلة بها يتضح لنا بأن أغلب الدراسات كانت تدرس الصيادين وعمليات الصيد من زوايا متعددة، إما من خلال الأبعاد المفاهيمية للأيكولوجيا والنظام البيئي، أو من خلال مناهج البحث التي يجب أن يتم استخدامها وإن كانت معظمها تركز على المدخل الاقتصادي من حيث الملكية

لوسائل الانتاج (المراكب، وأدوات الصيد) ومقدار مساهمة الثروة السمكية بالإنتاج القومي، أو دراسة التنظيمات داخل جماعة الصيادين وتأثير ذلك على الخطط التنموية.

وما يميز هذه الدراسة وبعد مراجعة الدراسات السابقة بأنها ستقوم بدراسة العناصر الأيكولوجية الثقافية للعاملين بمهنة الصيد في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة وآليات التكيف الأيكولوجي وذلك بدراسة التأثيرات الأيكولوجية، وكيف تكيفت الثقافة المحلية للصيادين مع البيئة بعلاقة تبادلية أثرت على الأنساق الاجتماعية والاقتصادية والبنية اللغوية والاجتماعية خاصة التنظيم الاجتماعي وسيكون هناك تركيز على التعابير اللغوية الشفوية لجماعة الصيادين خاصة وأن العلامة المميزة للثقافة ليست الأشياء المصنوعة وصانعيها الإنسان وإنما اللغة المنطوقة هي التي تمثل كيان الثقافة والواقعة الثقافية المميزة. وستقوم الدراسة من خلال رصد البناء اللغوي سواءً كان منطوقاً (شفوياً) أو مكتوباً مثل العبارات المكتوبة على مراكب الصيد (أسماء المراكب) أو في الوشوم المطبوعة على أجساد الصيادين أو في الأغاني الشعبية التي يرددونها الصيادون في رحلات الصيد وما تحمل من دلالات سيولوجية - ثقافية.

خلفية عامة عن الدراسة - الساحل الأردني المطل على خليج العقبة:

تقع مدينة العقبة في محافظة (العقبة الإدارية) على ساحل البحر الأحمر في أقصى جنوب الأردن، وهي مركز محافظة العقبة وتبعد عن العاصمة عمان حوالي (٣٣٠) كم، واستناداً لنظام التقسيمات الإدارية رقم (٤٦) لسنة (٢٠٠٠) فإن العقبة تعتبر محافظة ومركزها مدينة العقبة وتضم محافظة العقبة الإدارية لواءين: (لواء القصبة ومركزه مدينة العقبة ولواء القويرة ومركزه القويرة) وقضائين هما: (قضاء وادي عربة ومركزه الريشة ويضم (قريقرة وفينان)، وقضاء الديسة ومركزه الديسة). ويقدر عدد سكان محافظة العقبة بحسب تقرير دائرة الإحصاءات العامة لعام ٢٠٢٠ (٢١٣٠٠٠) نسمة، يشكل الذكور ما نسبته ٥٦,٣% والإناث ٤٣,٧%. وبلغ عدد الأسر ٤٢٥٨١ أسرة. كما تبلغ مساحة المحافظة الإجمالية (٦٩٠٤,٦) كم^٢، وتبلغ الكثافة السكانية: (٢٩,٤) نسمة/كم^٢، ويبلغ معدل البطالة (١٤,٥)، ويبلغ عدد سكان لواء قصبة العقبة (المدينة) للعام ٢٠٢٠ (١٦٩٢٥٠) نسمة وعدد الأسر في المدينة (٣٥٥٣٣) أسرة.^(٢١)

وتتميز مدينة العقبة بأنها المنفذ البحري الوحيد للأردن على البحر الأحمر، وللعقبة حدود مع مدينة حقل في السعودية عبر مركز حدود الدرة ومع مدينة إيلات عبر معبر وادي عربة وتشتهر العقبة كم منطقة للغوص، وبشواطئها المطلة على البحر الأحمر، وتضم المدينة العديد من المنشآت الصناعية الهامة، والمناطق التجارية الحرة، ومطار الملك حسين الدولي، وتعتبر مركزاً إدارياً مهماً في منطقة أقصى جنوب الأردن.

مميزات خليج العقبة المائية:

يتمتع خليج العقبة بمميزات مهمة عديدة منها: المياه البلورية (عالية الشفافية) قد تصل إلى أكثر من (٨٠) م، واعتدال درجة الحرارة حيث تتراوح بين (٢٠-٢٧) درجة مئوية، والعمق الشديد، إذ تتجاوز أخفض نقطة عن (١٨٠٠) م وبمسافات قريبة من الشاطئ، وأن أقصى عرض لخليج العقبة يبلغ (٢٥) كم. وأن الشواطئ الرملية تتركز في المنطقة الشمالية بينما تتركز الشواطئ الصخرية في المنطقة الجنوبية وثبوت تركيز الأملاح ودرجة الحموضة، حيث تراوحت ملوحة المياه من (٤٠,٤٤) إلى (٤٠,٧٥) غم لكل لتر ماء، ومعدل التبخر ١ سم/يوم.^(٢٢)

تنوع البيئة والأحياء البحرية:

تعتبر المجتمعات المرجانية والسكنية في العقبة ذات خصائص فريدة، حيث يعيش نحو (١٥٠) نوعاً من أنواع المرجان الصلب، و (١٢٠) نوعاً من المرجان الرخو، وحوالي (٤٥٠) نوعاً من الأسماك، ويعتبر خليج العقبة منطقة عالية التوطن (Highly Endemic) من الناحية البيولوجية، أي أنها تحتوي على نسبة عالية من الكائنات الخاصة بها، كما توجد فيها العديد من الأحياء البحرية مثل الإسفنج والحلزون والسلطعون، والسلاحف البحرية. والميزة الفريدة في مياه خليج العقبة هي درجة حرارتها الدافئة نسبياً طوال السنة والشعب المرجانية تشكل أحد أهم عوامل الجذب للسياحة، وممارسة رياضة الغطس والغوص. وهناك في العقبة مراكز ومواقع خاصة للغوص البيئي ومستعمرات المرجان النادرة.^(٢٣)

الإطار التشريعي لتنظيم عملية الصيد في الساحل الأردني (الجهات الرسمية)

نُشر قانون منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة وتعديلاته رقم (٣٢) لسنة (٢٠٠٠) في الصفحة (٣٤٣٢) من عدد الجريدة الرسمية رقم (٤٤٥٣) بتاريخ ٢٠٢٠/٨/٣١، ومن خلاله تعتبر سلطة منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة أول نموذج للامركزية في الأردن.

وبعد الاطلاع على القوانين والتشريعات المعمول بها في الأردن وما ينبثق عنها من أنظمة وتعليمات خاصة فيما يتعلق بالمنطقة الساحلية وإدارتها، تبين ما يلي:

أولاً: أشار قانون سلطة المنطقة الاقتصادية الخاصة رقم (٣٢) لسنة (٢٠٠٠) في المادة (٤٣/ب) صراحة إلى "إدارة المناطق الساحلية على أن يتم تحديد أسس إدارتها على اليابسة وفي البحروفق نظام خاص يصدر لهذه الغاية".^(٢٤)

ثانياً: أشار نظام حماية البيئة في منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة رقم (٢١) لسنة (٢٠٠١) بشكل غير مباشر للإدارة الساحلية في المادة (٥٤) التي نصت على أن "تمارس السلطة بالتنسيق مع الجهات ذات العلاقة الصلاحيات اللازمة لحماية البيئة البحرية والبيئة على ساحل المنطقة والمحافظة عليها".^(٢٥)

ثالثاً: أشار نظام متنزه العقبة البحري رقم (٢٢) لسنة (٢٠٠١) في المادة (٤/ب) منه إلى "المحافظة على البيئة وصون المصادر الطبيعية فيه" وفي (٤/د) من نفس النظام إلى "المساهمة في تحديد وتطبيق الإجراءات اللازمة لإدارة وضبط جميع الأنشطة التنموية والعلمية والملاحية والسياحية... الخ". وقد تم إنشاء محمية العقبة البحرية نتيجة زيادة الضغوط على البيئة بشكل عام والبيئة البحرية في العقبة في العام (١٩٩٧) تحت مسمى "متنزه العقبة البحري" والذي تم إعلانه على شريط ساحلي على الشاطئ الجنوبي لمدينة العقبة في منطقة تضم تنوعاً هاماً وكبيراً من الشعب المرجانية والأحياء البحرية من أجل حماية الأنظمة المختلفة والمواطن الهامة في خليج العقبة، ومن أجل تجنب التداخل والنزاع بين الاستخدامات والأنشطة المتعددة داخل حدود المتنزه البحري، فقد عمدت إدارته إلى تطبيق مبدأ تحديد مناطق الاستخدام حيث تم تقسيم المتنزه إلى خمسة مناطق رئيسية هي: المنطقة المحمية ومنطقة السباحة والترفيه ومنطقة القوارب ومنطقة الغوص والسباحة بالقصبة ومنطقة الشاطئ. وكذلك يقوم المتنزه البحري من خلال كوادره المدربة والمؤهلة بمتابعة وتنفيذ برامج الرقابة المختلفة للبيئة البحرية وعناصرها داخل المتنزه البحري، والاحتفاظ بنتائج هذه البرامج ضمن قاعدة بيانات خاصة بهدف متابعة أية تغيرات، وما قد ينجم عنها من آثار سلبية من شأنها تدمير أو إتلاف أو تدهور البيئة الطبيعية أو الإضرار بالحياة البرية أو البحرية أو المساس بالمستوى الجمالي لمناطق المتنزه.^(٢٦)

رابعا: عند استعراض قانون حماية البيئة رقم (٦) لسنة (٢٠١٧) حيث تم تعريف التنمية المستدامة: على أنها التنمية التي تحقق التوازن بين السلامة البيئية والتنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية وتضمن استخدام الموارد الطبيعية مع الحفاظ عليها لتحقيق العيش الكريم للأجيال القادمة.^(٢٧)

تقوم هذه الأنظمة والتشريعات للحد من الممارسات السلبية التي تؤثر على الحياة البحرية الشاطئية وجميع الأنظمة البيئية المتصلة بها بشكل سلبي، ومن أهم الممارسات التي تؤثر سلبا على البيئة البحرية هي الترسيب الناتج من الإنشاءات كالموانئ والمصانع وإقامة المنتجعات والاستثمارات بالإضافة إلى المهددات الناتجة عن جمع المرجان والأصداف والنفايات وتسرب النفط واختلال توازن الأملاح الغذائية نتيجة ذوبان المواد والنفايات الصلبة وغيره من التأثيرات السلبية الناتجة عن الأنشطة البشرية.

الجهات غير الرسمية التي تقوم بتنظيم وحماية الحياة البحرية في الساحل الأردني

• الجمعية الملكية لحماية البيئة البحرية JREDS وهي جمعية غير حكومية وغير هادفة للربح تأسست عام (١٩٩٥) بهدف الحفاظ على البيئة البحرية واستدامة عناصرها من خلال عدة برامج حماية ومراقبة التنوع الحيوي والدراسات البحرية المختلفة وبرامج التوعية البيئية وكسب التأييد وبرامج التنمية المستدامة. وتعمل الجمعية مع جمعيات الصيادين لإيجاد حلول تضمن صحة وحيوية المجتمعات السمكية في العقبة وضمان دخل طويل الأمد بالنسبة للصيادين من خلال الحفاظ على هذه المهنة المتوارثة في مدينة العقبة.

• جمعية صيادي السمك التعاونية: تأسست عام (١٩٧٥) وتضم (٧٢) عضوا جاء تأسيس الجمعية بهدف تحسين الوضع المعيشي للصيادين وتحسين وتنظيم عملهم حيث تعتبر مهنة الصيد مهنة الآباء والأجداد الموروثة.

• جمعية صيادي ثغر الأردن الزراعية التعاونية: تأسست عام (٢٠١١) وعدد أعضائها (٩٥) بهدف تحسين الوضع المعيشي للصيادين وتحسين وتنظيم عملهم.

أنواع الأسماك التي يتم اصطيادها في الساحل الأردني

تعتبر أنشطة صيد الأسماك في خليج العقبة محدودة كونها تتم ضمن مساحة محدودة، وتستخدم مجموعة من الوسائل التقليدية في الصيد ومنها استخدام القوارب الصغيرة

وشباك الصيد والمصائد واستخدام الخيوط الخاصة بالصيد. أما أهم أنواع السمك التي يتم استهلاكها في العقبة سمك السردينا: وهو من أهم أنواع الأسماك حيث إنها تُشكل الغذاء الرئيسي لمعظم أنواع الأسماك الأخرى والكائنات الكبيرة الحجم، وتعيش هذه الأسماك وتنتقل ضمن مجموعات كبيرة، تستخدم هذه الأسماك كطعم مثل سمك الوزك والبخة. وكذلك سمك التونة: وهي أسماك تتواجد بكثرة ويتم اصطيادها وتتميز بسعرها الرخيص في العقبة، ويمكن اصطياد ثلاثة أحجام من سمك التونة وهي: الحجم الصغير وتعرف بالتونا، والحجم المتوسط ويسمى في العقبة (قمبرون)، والحجم الكبير ويسمى (الفتله) وسمك السيف: وهي من الأسماك الكبيرة وتعيش خلال النهار في الأعماق، وتصعد إلى السطح خلال الليل، وهي من الأسماك المشهورة لدى الصيادين، ويمكن أن يصل طولها إلى مترين.

الطريقة وإجراءات الدراسة:

منهج البحث:

يعرف المنهج بأنه الطريقة لإجراء البحوث وتنفيذها، بينما المنهجية هي العلم والفلسفة وراء كل البحوث.^(٢٨) إن المنهج الأنثروبولوجي -عندما يتم استخدام أدواته بالشكل الصحيح- سوف يؤدي لنتائج تستحق الإشادة العلمية، وهذا المنهج كسائر المناهج العلمية، ومن ثم يقوم الباحث الأنثروبولوجي باستخدام بعض الأدوات ومنها: (الملاحظة، والملاحظة بالمشاركة، والمقابلة، وتاريخ الحياة والسير الذاتية، ودراسة الحالة واستخدام التقنيات الحديثة كآلات التصوير الفوتوغرافي والرقمية).^(٢٩) وتقوم الدراسة الحالية على اعتماد المنهج الإثنوجرافي حيث اشتهر هذا النوع من البحث النوعي لدى علماء الاجتماع والدراسات الأنثروبولوجية حتى أصبح مرادفًا للبحث النوعي. فالإثنوجرافي تعني الكتابة عن البيئة الثقافية لشعب ما أو مجموعة ما تكون وحدة ثقافية، ويهتم بالوصف التفصيلي المتعمق لبيئة ثقافية ما. وقد تكون هذه الثقافة ثقافة مدينة أو مجتمع أو مدرسة أو وصف دراسي أو نحو ذلك من خلال: منهج المسح الوصفي: الذي يعتمد على جمع البيانات الأولية للحياة اليومية لجماعة الصيادين في خليج العقبة ثم معالجتها وتحليلها. وتطبيق المكونات الثلاث (الظروف الأيكولوجية، المكون الديموغرافي، والجوانب الثقافية) ودراستها وتصنيفها. ودراسة الحالة: حيث سيتم اختيار حالة دراسية (صياد عمل في مهنة الصيد فترة زمنية طويلة، "سيرة ذاتية"). وتحليل المضمون

اللغوي والدلالات اللغوية سواء كانت منطوقة (شفوية) أو مكتوبة وما تحمل من دلالات سوسيولوجية - ثقافية.

مجتمع وعينة الدراسة:

يبلغ مجتمع الدراسة (٣٥٠) صيادًا مرخصًا،^(٣٠) إلا أن حوالي (١٩٠) صيادا منهم فقط قد حصلوا على تصريح قانوني بالصيد في عام ٢٠٢٠، مع العلم بأن الصيادين المعتمدين على الصيد كمهنة فعلية لا يتجاوز عددهم (٧٠-٨٠) صيادا تقريبا ويمكن أن يرجع ذلك لعدة ظروف أهمها تذبذب المردود الاقتصادي لمهنة الصيد بشكل عام، وأن البعض يمارس الصيد كهواية أو بشكل متقطع كنوع من الترفيه لهم وأن البعض منهم وخاصة كبار السن يحرصون على الحصول على رخصة للصيد بالرغم من عدم ممارستهم الفعلية للصيد كنوع من التعلق بالمهنة ولأبعاد ثقافية. وتكونت عينة الدراسة من (٥٠) صيادا تم اختيارهم بطريقة قصدية من الصيادين الذين يمارسون مهنة الصيد الحاصلين على تصاريح الصيد وكذلك من الصيادين المتقاعدين من مهنة الصيد.

أداة الدراسة:

لغايات الإجابة على تساؤلات الدراسة تم تصميم دليل مقابلة يتضمن مجموعة من التساؤلات المنظمة والمبوبة، ويتكون الدليل من: (أسئلة مغلقة، وأسئلة شبه مفتوحة، وأسئلة مفتوحة) تغطي تساؤلات الدراسة، مع مراعاة إعطاء المبحوث مساحة من الحرية في التعبير عن رأيه دون تأثير أي (مقابلة غير مقننة-مفتوحة)، ولغايات الإجابة على تساؤلات الدراسة تم إجراء مقابلات مع خمسين صيادا ممارسا لمهنة الصيد وذلك بعد أن تم اختبار دليل المقابلة من خلال مقابلات تجريبية، تم من خلالها حذف بعض فقرات دليل المقابلة لتكرارها بالنسبة للمستجيب وإعادة صياغة بعض البنود وإعادة ترتيب البعض الآخر وقد امتدت المقابلات من (١٠ آذار ولغاية ١٨ نيسان / ٢٠٢١) وقد تمت (الإخباريين - Informants) حيث تم تسجيل مقابلاتهم بطريقة إثنوغرافية سيتم إدراجها ضمن سياق عرض نتائج الدراسة.

نتائج الدراسة ومناقشتها: الخصائص الديموغرافية للصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة:

الجدول رقم (١): الخصائص الديموغرافية للصيادين			
المتغير	فئات الاستجابة	التكرار	النسبة المئوية
العمر	أقل من ٢٠	٢	٤%
	(٢١-٣٠)	٨	١٦%
	(٣١-٤٠)	١٧	٣٤%
	(٤١-٥٠)	١٤	٢٨%
	(٥١ فأكثر)	٩	١٨%
	المجموع	٥٠	١٠٠%
الحالة الزوجية	أعزب	١١	٢٢%
	متزوج	٣٩	٧٨%
	المجموع	٥٠	١٠٠%
الجنسية	الأردنية	٤١	٨٢%
	غير ذلك (فلسطيني، مصري)	٩	١٨%
	المجموع	٥٠	١٠٠%
مكان السكن/ الحي	مناطق سكنية قديمة	٢٠	٤٠%
	مناطق سكنية حديثة	٣٠	٦٠%
	المجموع	٥٠	١٠٠%
المؤهل العلمي	أقل من ثانوية	٣٧	٧٤%
	ثانوية عامة فأعلى	١٣	٢٦%
	المجموع	٥٠	١٠٠%

باستعراض الجدول رقم (١) والذي يتضمن بعض المؤشرات الاجتماعية الأساسية لعينة من الصيادين والبالغ عددهم (٥٠) صيادا ممارسا والذين تمت مقابلتهم وقد تبين أن الفئة العمرية (٢١-٥٠) عاما شكلت ما نسبته (٧٨%) من أعمار الصيادين، فيما بلغت نسبة الصيادين الذين تجاوزت أعمارهم الخمسين عاما فأكثر (١٨%) مما يدل على أن فئة الشباب هي الفئة الممارسة الفعلية للصيد، وربما يدل هذا على أن مهنة الصيد تتطلب مستوى جيدا من القدرة البدنية، أما بالنسبة للحالة الزوجية فتبين بأن معظم أفراد العينة **متزوجون** ويعيلون أسرهم بنسبة (٧٨%)، مما يترتب عليهم أعباء اقتصادية واجتماعية. وبخصوص الجنسية فتبين بأن معظم أفراد العينة يحملون الجنسية الأردنية بنسبة (٨٢%) ولكن من الملاحظ وجود صيادين غير أردنيين من الجنسية الفلسطينية والجنسية المصرية يعملون

بمهنة الصيد ويمكن تفسير ذلك بسبب القرب الجغرافي من السواحل المصرية وكذلك وجود عدد كبير من أبناء غزة هم أصلاً من مواليد مدينة العقبة.

أما مكان السكن فمن الملاحظ أن النسبة الأعلى هي من الصيادين القاطنين في المناطق المنظمة والحديثة نسبياً بواقع (٦٠%)، ويمكن تفسير ذلك التطور على صعيد البنية التحتية وتطوير الأحياء السكنية في مدينة العقبة بشكل عام حيث تمت إزالة جزء منطقة الشلالة ونقل قاطنيها إلى منطقة إسكان الكرامة المحاذية لمدخل مدينة العقبة وذلك في إطار مشروع عام لتطوير المدينة. أما بالنسبة للمؤهل العلمي فقد تبين لنا أن التحصيل التعليمي دون الثانوية العامة هو النسبة الأعلى حيث تراوحت نسبة الصيادين الدارسين لغاية الصفوف الابتدائية إلى الدراسة للصفوف الإعدادية (٧٤%) مقابل (٢٦%) من الصيادين الذين كان تحصيلهم العلمي ثانوية عامة وأعلى مع العلم بأن هؤلاء كانت مهنة الصيد لهم ليست المهنة الأساسية وإن كانوا يمارسونها بشكل متقطع.

ثانياً: الخصائص الاقتصادية للصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة:

الجدول رقم (٢): الخصائص الاقتصادية للصيادين			
المتغير	خصائص المبحوثين	التكرار	النسبة المئوية
المهنة الأصلية	صياد	٢٨	٥٦%
	أعمال حرة	١٧	٣٤%
	موظف	٥	١٠%
	المجموع	٥٠	١٠٠%
المهنة الأصلية للوالد	صياد	٤١	٨٢%
	أعمال حرة	٩	١٨%
	المجموع	٥٠	١٠٠%
امتلاك مركب صيد	أمتلك مركب صيد	٣١	٦٢%
	لا أمتلك مركب صيد	١٩	٣٨%
	المجموع	٥٠	١٠٠%
وجود دخل ثابت من الصيد	ثابت	٥	١٠%
	متقطع	٤٥	٩٠%
	المجموع	٥٠	١٠٠%
وجود دخل آخر غير الصيد	نعم	٢٩	٥٨%
	لا	٢١	٤٢%
	المجموع	٥٠	١٠٠%

ملكية أدوات الصيد	نعم	٣٤	٦٨%
	لا	١٦	٣٢%
	المجموع	٥٠	١٠٠%
تسويق محصول الصيد	بيع مباشر	١٧	٣٤%
	البيع للمسامك والمطاعم	٢٥	٥٠%
	لا يبيع	٨	١٦%
	المجموع	٥٠	١٠٠%

يتبين لنا من الجدول رقم (٢) بعض المؤشرات الاقتصادية حيث أظهر أن ما نسبته (٥٦%) من الصيادين مهنتهم الأصلية هي الصيد والتي يعتاشون منها بشكل مباشر فيما حوالي (٤٤%) منهم يمارسون الصيد إلى جانب مهنة ووظائف أخرى توزعت ما بين الأعمال الحرة كالتجارة وأعمال الصيانة وبعض الأنشطة المرتبطة بالبحر أو الوظائف في القطاع العام أو القطاع الخاص. ويُظهر الجدول أيضا أن معظم المبحوثين كانت وظيفة الوالد الأصلية هي الصيد كونها كانت من أكثر المهن الرائجة سابقا في مدينة العقبة وكذلك لما لها من أبعاد ثقافية وتراثية وقد لوحظ أن الصيادين كانوا يجيبون على هذا البند بنوع من الفخر والتأكيد على "أنا صياد من ظهر صياد" وكذلك "صياد أبأ عن جد" أو "إحنا ولاد البحر" وهكذا. ويمتلك (٦٢%) من الصيادين مراكب صيد منها ما قد ورثوها عن آبائهم أو تم شراؤها بشكل مباشر أو أفساط أو مساعدات من جهات وهيئات مانحة وغيرها، بينما (٣٨%) منهم يعملون على مراكب صيد لمالكين آخرين مقابل حصة محددة، أو يتقاضون أجرا مقابل عملهم على المركب وقد تعود ملكية مركب الصيد للوالد أو أحد الأقارب أو الأصدقاء أو المعارف مع العلم أن (٦٨%) منهم يملكون الأدوات اللازمة للصيد من صنارة وخيوط نايلون وشباك خيشومية وغيرها. وقد أكد (٩٠%) من الصيادين أنه لا يوجد دخل ثابت من الصيد حيث إن الدخل العائد من الصيد متذبذب ويؤثر به عوامل كثيرة أهمها محدودية أماكن الصيد في العقبة وفترات منع الصيد التي يحظر فيها الصيد مثل مناطق الموانئ ومناطق الاستثمارات الفندقية والمناطق العسكرية، كما يحظر الصيد خلال الليل، فيضطر أغلب الصيادين إلى تنوع مناطق الصيد لزيادة الإنتاج على امتداد المناطق المرجانية خاصة في الجزء الجنوبي من الساحل الأردني بينما الباقي يستغلون الجزء الشمالي، وهذا بالتالي يضيف أعباء مالية إضافية على الصياد في البحث عن مناطق بعيدة نسبيا قد تتوفر فيها الأسماك، وهذا ما يسبب تنافسا وتركزا للصيادين في مساحات بحرية صغيرة ومحدودة ويسبب كذلك تهديدا للموارد السمكية والبحرية.

وأهم ما يتم صيده سمك الهامور تليه أنواع الأسماك المتواجدة في المياه متوسطة العمق كسمك الفريدين، وسمك الشعور، وأسماك السلطان ابراهيم والسيجان، وأسماك التونة وأحيانا بعض أنواع الأسماك المهاجرة، مثل أنواع السمك الذي يسمى "الغاطس" وهو الذي يعيش على مقربة من القاع مثل (الشعور والحريد والسيجان والغُبّان). وهناك نوع من السمك يسمى "الطافح" الذي يوجد على مقربة من السطح مثل سمك أبو شرع. أما بخصوص تسويق محصول الصيد فيعاني القطاع من بعض المشاكل في التسويق خاصة وأن (٥٠%) منهم يعتمدون في التسويق على (التربيط مع المسامك): محلات بيع الأحياء البحرية، والمطاعم ولا توجد تسعيرة موحدة لبيع السمك بشكل عام، وما نسبته (٣٤%) يقومون بالبيع المباشر للمستهلك وهذا يعتمد على المعارف الشخصية والتواصي، ولا يوجد تنظيم لسوق الأسماك والأحياء البحرية التي يتم اصطيادها كما أن هناك تنافسا شديدا مع سوق الأسماك المستوردة سواء الطازجة من الدول المجاورة أو المجمدة وبأسعار تنافس السمك الذي يتم صيده من الساحل الأردني. وقد أبدى بعض المبحوثين هنا بعض الاقتراحات قد تساهم في تحسين محصول الصيد منها السماح بالصيد في مساحات أكبر وأعمق وبالتالي يتحسن المحصول من حيث النوعية والكمية وتنظيم عملية الصيد، والحد من الصيد خلال مواسم تكاثر الأسماك، وتحسين وسائل وأدوات الصيد ودعم قطاع الصيد البحري وتخصيص منطقة عرض لتسويق الأسماك والمحاصيل البحرية الأخرى خاصة في مواسم الصيد المعروفة عند أهالي المدينة.

المميزات والتأثيرات الثقافية التي أثرت في البناء الاجتماعي عند الصيادين في الساحل

الأردني المطل على خليج العقبة حيث سيتم مناقشتها من خلال المحاور التالية:

أولا: المعايير والأعراف (العادات)

ثانيا: التعبيرات اللغوية (الشفوية المنطوقة والمكتوبة) وقد تمت مناقشتها من خلال:

-المسميات الخاصة بالبحر

-التعبيرات اللغوية المكتوبة مثل (أوشام على الجسد، أسماء مراكب الصيد)

ثالثا: الإرث الثقافي البحري والتأثيرات الثقافية وسيتم مناقشتها من خلال ما يلي:

-الأمثال والمقولات المرتبطة بالبحر.

-الأغاني والتراث الشعبي.

تقتضي طبيعة مهنة الصيد البحري بأنها مهنة مبنية على التعاون والتواصل في العمل، وإذا حدث لأحد منهم مشكلة أثناء تواجده في البحر (يَهَب/يسرع)) أي يقوم جميع الصيادين القريبين منهم للإنقاذ أو المساعدة، إما بسحب المركب أو تقديم المساعدات من تزويد بالوقود أو الطعام وغيره. وقد بينت الإجابات على هذا السؤال من قبل المبحوثين أن هناك علاقات وروابط جيدة بنسبة كبيرة ما بين جماعة الصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة حيث تربطهم علاقات تعاونية تساندية في رحلات الصيد على الرغم من أن بعض الصيادين أشاروا إلى أن هناك بعض الخلافات تظهر بسبب قلة أماكن الصيد والتسابق على الأماكن الوافرة بالأسماك.

ومن أكثر العادات التي أكد عليها غالبية الصيادين (التعاون في الأزمات) خاصة أن أي حادث في البحر (يمثل حالة حياة أو موت) على حد تعبير أحد الصيادين، وأن أي واحد منهم معرض لأي حادث أثناء الصيد. ومن الملاحظ كذلك أن هناك تقديراً كبيراً لكبار الصيادين وأصحاب الخبرة ولا يوجد تردد في ذكر مهارة الصيادين الآخرين والتفاخر ببطولاتهم، أما بخصوص حل النزاعات بين الصيادين فيندرج هذا ضمن نسق الضبط الاجتماعي الذي يحدد العلاقات ويصنفها للتوافق على الأعراف التي تنظم العلاقات بين الصيادين فهو يحدد المعايير الرئيسية التي يعتمد عليها سلوكهم في القضاء على الصراعات الداخلية إن وجدت، فنجد حل المشاكل أو المنازعات بينهم يتم على الأغلب بالود والتراضي وذلك عن طريق تدخل وتوسط شيخ الصيادين أو (الريس) فكان يحل النزاعات بينهم ويؤخذ برأيه ومشورته، وأشار أغلبهم بأنهم يلجأون لجمعية الصيادين حالياً في حل أي نزاع أو خلاف قد يحدث داخل الجماعة ويفضلون حل أي نزاع (داخلهم) دون تدخل أي جهة من خارج إطار الصيادين.

ثانياً: التعابير اللغوية (الشفوية المنطوقة والمكتوبة) وقد تمت مناقشتها من خلال ما

يلي:

-المسميات الخاصة بالبحر:

أخذ سير الإجابات على هذا السؤال اتجاهين، الأول: كانت إجابات الصيادين الذين تمت مقابلتهم أن مسميات البحر مرتبطة بالمكان مثل شاطئ (المينا هاوس) شاطئ (التلابيه) أو (الدرة) أو منطقة الفنادق وهكذا، أما الاتجاه الثاني: فكان للصيادين وخاصة الأكبر سناً فقد أوردوا مسميات للبحر مرتبطة بحالاته مثل (أزيب) وهو يصف حالة البحر عندما يكون مضطرباً وأمواجه مرتفعة وهو مرتبط باتجاه الرياح عندما تكون جنوبية، أو جنوبية غربية

وهي حالة ذروة النشاط ويطلق عليها البحارة (الأزيب) ويصل فيها ارتفاع الأمواج من (٣-٤) أمتار وآخر مرة حدث ذلك في شهر آذار/ ٢٠٢٠ وأطلق عليها آنذاك عاصفة (التنين). ومن المسميات المرتبطة بالرياح (الريح كائنة) ويصف حالة الهدوء التي تعقب تغير سرعة الرياح الشديدة مما يشعر السمك بالراحة، ويدفعه للبحث عن غذاء وهذا وقت مناسب للصيد. ومن مسميات البحر والمرتبطة بحالاته أيضا (البحر عكر/ أو يخرج رائحة تسمى (زنخة) أو (كرعة) البحر، ويكون على سطح البحر عكرة بيضاء وهنا يكون الصيد صعبا.

-التعابير اللغوية المكتوبة مثل (أوشام على الجسد، أسماء مراكب الصيد)

هناك ثقافة مادية لدى مجتمع الصيادين والمتمثلة في مراكب الصيد والأدوات التي يستخدمونها في عمليات الصيد، وتوجد أيضا ثقافة لا مادية تتمثل في المعتقدات والمشاعر والأحاسيس والفن المرسوم على مراكب الصيد لمنع الحسد أو جلب الرزق وغيرها، وهناك نمط ترميز ثقافي خاص لما يكتب ويرسم على مراكب الصيد أثناء (السرحه) : أي رحلة الصيد مثل الرموز الوطنية: (العلم، التاج، خريطة الأردن وغيرها)، أو آيات قرآنية وأدعية مرتبطة بالرزق مرتبطة بأسماء الله الحسنى مثل: (يا رزاق يا كريم) أو (قاصد كريم) أو (الرزق من الله والحسد من العبد) يرسم بجانبها شكل (عين) لمنع الحسد وفي بعض المراكب يكتب اسم مالك المركب أو عائلته، بجانب الأدعية والآيات القرآنية مثل (قل أعوذ برب الفلق...) (قل أعوذ برب الناس...) (طريق أو سكة السلامة) أو (على بركة الله / توكلنا على الله)، (سيرى على بركة الله مجراها ومرساها)، والبعض يكتب أسماء أبنائه على المركب للتفاؤل خاصة البنات وهذا بسبب أن البنات تحديدا مرتبطات بالرزق "ولايأجلبن الرزقه" وهذا من الموروثات الثقافية الشعبية وكذلك ترمز للدعاء بالعودة لأهل بيته سالما غانما. هذه الرمزية (Symbolism) يمكن اعتبارها أنها نتاج للتفاعل بين الصيادين بعضهم البعض. والسعي إلى إضفاء معنى على الكيفية التي يفهم بها الصيادون حياتهم الخاصة، وقد تشابهت هذه النتيجة مع نتائج دراسة (طهير، ٢٠٠٦) التي أجراها في الغرب الجزائري حيث خلصت الدراسة أن هناك بنية لغوية عميقة ذات دلالات اجتماعية رمزية بين أفراد جماعة البحارة الصيادين، وأن هناك ذاكرة شعبية لدى البحارة تشتمل بطولات الرحلات وأن هناك قوانين اجتماعية وثقافية تنظم علاقات الجماعة فيما بينها.

ثالثاً: الإرث الثقافي البحري والتأثيرات الثقافية

وهذا ما يندرج تحت التراث الشعبي الذي يحوي كل الفنون والمأثورات الشعبية من شعر وغناء وموسيقى ومعتقدات شعبية، وما يميز مدينة العقبة تأثرها بوجود البحر لتخرج ثقافة متفردة إلى حد ما عن التراث الشعبي الأردني بشكل عام، مع أن هناك تمازجاً بين الإرث البحري والطابع البدوي لقرب العقبة من البادية الجنوبية الأردنية وكذلك تأثرها بالبيئة المصرية والسعودية للقرب الجغرافي.

- الأمثال والمقولات المرتبطة بالبحر:

الأمثال الشعبية وهي من أكثر فروع الثقافة الشعبية أهمية وثراء فهي تعبير عن تجربة شعبية طويلة تصاغ على شكل عبارة وحكمة، ومن خلال الدراسة أظهر أغلب الصيادين معرفتهم بالعديد من الأمثال المرتبطة بالبحر مثل (الحي رزقه حي)، و(ارمي الخيط وعلى الله الصيد) والخيط هو خيط الصيد. والمعنى أن على الإنسان السعي ويتوكل على الله في رزقه. وأيضاً (خيرك في البحر ما يضيع) بمعنى اعمل الخير، ولا تنتظر المقابل، لأن الله هو الذي يجزي على الأعمال الطيبة. ومن الملاحظ أن معظم الأمثال تحضّ على القناعة والرضا بما قسم الله، وتجنب الطمع والمخاطرة. و(كل هوا وله شرّاع) وهو هنا يعني الرياح والمعنى أن كل موقف له أسلوب معين يتماشى مع طبيعته، و(البحر مالح والناس مصالح) أي أن الناس بالإجمال تهمهم المصالح وهي حقيقة كحقيقة ملوحة البحر. و(ميه مالحة ووجوه كالحة). و(الي يصبر على النيني ياكله بلح) والنيني هو البلح غير الناضج ويضرب عند طلب التريث وعدم التسرع في الوصول إلى النتائج بسرعة ودون دراية. وبعد استعراض هذه الأمثال وغيرها الكثير فإنها على الأغلب تدور حول تعزيز القيم في المجتمع مثل الصبر والتواضع والحكمة وعدم التسرع والتي كان يأخذها البحار والصياد من العمل في البحر والابتعاد عن صفات البحر السيئة مثل الغدروسرعة الغضب والتقلب مثل (البحر غدار) وهنا بمعنى ضرورة الحذر والأخذ بالأسباب لأن الحياة كالبحر تغدرو ولا تدوم على حال. فالأمثال عند الصيادين مستقاة من البيئة والتكيف معها، مع البحر والجبل والنخيل والمركب والأسماك وغيرها.

- الأغاني والتراث الشعبي:

توثق الأغاني الأحداث وتواكب مجريات الحياة الاجتماعية والسياسية، ولها دور أساسي في ترسيخ الثقافة، وقد أظهرت نتائج المقابلات أن معظم الصيادين على معرفة جيدة بالأغاني

الشعبية المرتبطة بالبحر حيث ارتبط الفلكلور الشعبي العقباوي إلى حد كبير بموقع المدينة وتأثرها بالطابع البدوي من منطقة رم والديسي والحميمة والقويرة ووادي عربة، وكونها تجاور كلا من مصر والسعودية وفلسطين، ولكن أهم ما يميزه عن غيره هو ارتباطه بالبحر كرقصات (الرفيحي) و(العرضة النجدية)، و(رفحة)، و(خطوة عسير)، و(السامري) وغيرها.^(٣١) وتنتشر في مدينة العقبة ألوان من الأغاني المصاحبة للرقصات وترافقها إيقاعات آلي (الطار والمرواس) ومرافقة آلة (السسمية) والطلبة مثل: (رقصة العرضة، ورقصة الرفيحي)، وهما من أهم الرقصات العقباوية الأصيلة، وإن كان لهاتين الرقصتين جذور وملامح حجازية.

ومن أشهر الأغاني العقباوية أغاني تراثية أردنية تم تعديلها وإضافة كلمات عليها لتناسب مع الغناء البحري مع المحافظة على اللحن التراثي الأصلي مثل أغنية (عل اليادي اليادي ياما احلى الصحبية على شطك يالعقبة يا عروسة بحرية) ومقطع آخر يظهر فيها التغني بالبيئة المحيطة (همسة بحرك للنخلة بنغمة سسمية، ما احلى قعدتنا سوى على شط المية، يا ناس قلبي هوى بنية عقباوية، ما احلاها بلبس الطرحة ولبس الجلابية، ولما نعود من السرحة تعمل صيادية) ويلاحظ هنا أن الصياد يتغنى ويعتز بحبه للبحر والنخيل، ويصف رحلة الصيد (السرحة). ومن الأغاني المتوارثة التي تغنت بالبحر والصيد على أنغام السسمية (يا ليتني بحار) وأغنية (عقباوية يا خال بحرو صياد أحب الصحبية وأحب الناس، وأصون العشرة لكل الناس وأراعي الود بكل احساس) حيث تشير هذه المقاطع على صفات الصياد العقباوي فهو يحب الناس ويحفظ الصداقة، ومن الأغاني المشهورة كذلك أغنية (هिला يا هिला يا ريس موج البحر هادي الليلة، شدينا الرجال وجينالك نسهر على شطك ورمالك، يا عروسة البحر الأحمر صلينا الفجر ومدينا على الموجة ركبنا وعدينا المركب من صنع ايدينا اشتقنا يا عقبة لأحضائك) ومن الجدير بالذكر تشابه هذه الأغاني المواويل مع الأغاني في الساحل المصري وخاصة مينائي السويس ونويبع.^(٣٢)

الإخباريين – (Informants)

من أجل الإحاطة بالحياة الثقافية والمعيشية التي كان يعيشها الصياد في الساحل الأردني في خليج العقبة تمت مقابلة أحد كبار الصيادين حيث يبلغ من العمر (٧٣) عاما أمضاها صيادا في البحر وورث مهنة الصيد عن والده وأجداده، ويحظى بثقة واحترام الصيادين وبالسمة الطيبة بين الناس، وله دور مهم في جمعية الصيادين وفي إدارة قطاع الصيد في المدينة وتطويره والمحافظة على أصالته وحماية التراث المرتبط به. ابتداءً حديثه بالقول "إن

الصيد غلبان، والرزق قليل وصعب والله يكون بعون الناس" وأضاف أن "وضع الصيد وكميته كانت سابقا أفضل بكثير مما هي عليه الآن، وأن العائد المالي للصيد قد انخفض بشكل كبير عن الماضي، وأن عددا من أنواع من السمك لم تعد تُشاهد في الخليج كالسابق، وكانت المساحات التي يسمح فيها الصيد أكبر بكثير من الوقت الحالي بسبب القيود على الصيد في الساحل الأردني". وأضاف بأن "عملية الصيد كانت قديما تتم بعدة طرق أهمها القصبان؛ وتعتبر هذه الأداة من الأدوات التي كانت تستخدم قديما، ومن الأدوات أيضا (البكرة) وهي تتكون من الخيط الذي يتم سحب السمك من خلاله عند اصطياد السمك عن طريق السنارة، والخيط يصنع من الألياف الطبيعية أو النايلون، يكون الخيط قوي ومتين حتى لا تسقط السمكة أثناء سحبها إلى أعلى، والطعم يوضع في آخر الخيط بحيث يجذب السمك نحوه وعندما تقوم بالاقتراب منه وتبتلعه يتم سحبها على الفور". من خلال المقابلة تم ملاحظة وجود اعتماد كبير أثناء عملية الصيد على الحواس، وكأنها مهنة تقوم على ثقافة الحواس، فالصياد الماهر يتميز بخبرات عالية في معرفة أماكن السمك في البحر وهذا ما أكدته الإخباري "بأن الصياد الماهر يستطيع باستخدام حواسه تحديد المكان الذي يجب أن يقف فيه المركب والاستعداد لرمي أداة الصيد"، فعملية الصيد تعتمد على حواس الصياد وتوقعاته، فهو له نظرة معينة تحدد أماكن السمك في البحر ويمكن إرجاع ذلك للخبرات المتوارثة وتنقل له بالممارسة فهي معرفة ضمنية كامنة غير مكتوبة.

وأضاف "يتميز الصياد كذلك بحاسة شم قوية يستطيع من خلالها أن يعرف في أي اتجاه يتواجد السمك من خلال رائحة الهواء الذي تهب به الرياح المحملة (برائحة الزنخة الصادرة من السمك)" فيقوم الصياد بتركيز حاسة الشم فإذا كانت الرائحة قوية في أحد الاتجاهات دل ذلك على أن هناك تجمعاً للسمك في الاتجاه الذي يحمله الهواء. وبخصوص حاسة البصر وأضاف "من خلال حاسة البصر يستطيع الصياد التعرف إذا كان السمك طازجاً، وعدد الساعات التي ظل فيها السمك دون حفظه بالثلاجة، وعدد الأيام التي بقي فيها مبرداً في الثلاجة". ومن خلال "حاسة اللمس يستطيع معرفة السمك الطازج من غيره من لونه ورائحته ولون العينين ولون الخياشيم". ومن الأمثال المعروفة التي تطلق على الصيادين الماهرين أن الصياد المتمرس "يستطيع تقدير وزن السمكة بمجرد رؤيتها ولهذا يقال (عين الصياد ميزان)". وقد أشار الإخباري بأن الصياد كان سابقا يقوم بعد صيد

السّمك مباشرة بتخزينه وتثليجه على المركب بوضعه بصندوق (فليين) مملوء بالثلج وعندما يعود للشاطئ (يبسّط) بالسّمك الذي اصطاده في مكان (ظله) وكل فترة يقوم بسكب الماء على السّمك حتى لا (يبهت) لون السّمك ويفسد خاصة إذا كان الجو حاراً، أما حالياً فيتم بيع محصول (السرحه) للمسامك والمطاعم بشكل مباشر. وبالعادة يقوم الصياد بالتعاقد "التربيط" مع إحدى المسامك وهذا نوع من العلاقات التعاقدية، يتعهد بموجبه الصياد ألا يبيع سمكه لغير هذه المسمكة، ويتعهد التاجر أن يأخذ كل السّمك الذي يأتي به الصياد، مهما كانت كميته، أي "يجبر عليه" والسعر الذي يحكم هذه العملية هو بالطبع سعر السوق، هذه العلاقة التعاقدية تحقق الفائدة للطرفين سيضمن التاجر ألا ينقطع من أنواع السّمك التي عليها طلب وفي المقابل تمكن الصياد من تسويق محصول السّمك. ومن الجدير بالذكر "أن تقسيم المربح بعد كل (سرحة) كان يتم حسب نظام (خُمس وعُشر) أي عن كل دينار يتم اقتطاع (٣٠) قرشاً: (٢٠) قرش منهم لصيانة المركب وتجهيزه (مصاريف مركب) و (١٠) قرش للماتور (وقود)".

وكانت حدود الصيد سابقاً تمتد إلى منطقة (ضبا) السعودية ولحدود الغردقة وشرم الشيخ في مصر وهذا بقي مستمراً، وتستمر الرحلة أو (السرحة) لعدة أيام وبدون تصاريح إلا أنه حالياً يوجد تضيق كبير على المنطقة المسموح بها الصيد وهي المناطق المقابلة للمحطة الحرارية القديمة وميناء الحاويات والميناء الرئيسي فقط، ويشير كذلك إلى أن سمك (الهامور) من الأسماك المفضلة في السوق العقباوي، ثم سمك (الفردين) والذي يتم صيده من المياه المتوسطة العمق وأسمك السلطان إبراهيم وسمك الفرس وسمك السيجان، وسمك التونة. ويشير كذلك أنه يوجد في العقبة نوعان من الصيد: (نوع يتخذ من الصيد مهنة يعتاش منها الصيادون حيث يبحرون ضمن نطاق جغرافي محدد من قبل السلطة البحرية وسلطة منطقة العقبة، ونوع آخر يصيد لغاية التسلية والترفيه وهو نشاط متقطع يرتبط بمواسم معينة ويعتبر من الأوجه السياحية في العقبة وقد لا يكون في قوارب الصيد وإنما من خلال القوارب ذات القاع الزجاجي أو القوارب واليخوت السياحية). وقد أكد أنه يفضل استخدام الخيوط في الصيد أكثر من الشباك الخيشومية بسبب أن الشباك تضر بالثروة السمكية خاصة، وعند السؤال عن طبيعة العلاقة بين الصيادين فقد أكد أن العلاقات بين الصيادين قديماً كانت علاقات وطيدة تسودها الحميمية والتكافل والتعاضد، كانت عملية التربية والرعاية للأطفال ليس مقتصرًا على العائلة الصغيرة وإنما كانت عملية تمتد للأخوال

والأعمام ربما كان السبب كون الصيد قديما كان يغيب في الرحلة البحرية مدة طويلة مما كان يترك عبء التربية على الأسرة الممتدة خاصة وأن العائلات كانت تسكن في أماكن متقاربة، لهذا ينتشر في العقبة ولغاية اليوم اسم المنادة (يا خال) يعود للمكانة الهامة التي كانت للخال في التنشئة الاجتماعية. فالعدد كان قليلا (والكل يعرف الكل) يجمعهم حب بل عشق البحر و "البحر لديهم هو الهواء الذي يتنفسونه"، وعند سؤاله كيف علاقته بالبحر وهل يشعر بالحرية في البحر أجاب: "علاقتي بالبحر تشبه علاقة السمك بالماء" "الصيد لا يستطيع البعد عن البحر ومن البحر تكونت شخصيته وشعوره بالحرية" "ففي البحر حياة الصيد".

وقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

١. أن فئة الشباب هي الفئة الممارسة الفعلية للصيد، وربما يدل هذا على أن مهنة الصيد تتطلب مستوى جيدا من القدرة البدنية وبذل الجهد كونها مهنة تتطلب قوة وجهد بدني وأن معظمهم متزوجون ويعيلون أسرهم ويقيمون في مناطق حديثة نسبيا بسبب التطور على صعيد البنية التحتية وتطوير الأحياء السكنية في مدينة العقبة بشكل عام.
٢. أكثر من نصف أفراد العينة قد تعلموا مهنة وتقنيات الصيد البحري من خلال الأسرة سواء من الوالد أو الأشقاء أو الأقارب بشكل عام وهذا ما يتماشى مع أن مهارة مهنة الصيد تنتقل من جيل لآخر بطريقة متوارثة، وهذا ما ساهم بإدخال ثقافة مهنة الصيد على ثقافتهم لتؤثر في مختلف أوجه حياتهم الاجتماعية والاقتصادية وقد تشابهت هذه النتيجة مع نتائج دراسة أحمد طهير (٢٠٠٢) التي أجراها في الغرب الجزائري حيث خلصت الدراسة إلى أن اكتساب حرفة الصيد البحري يأتي عن طريق الوراثة حيث إنها تنتقل من جيل لآخر.
٣. أن أغلب الصيادين ما زالوا يستخدمون وسائل وتقنيات الصيد التقليدية من شباك وخيوط النايون، أي أن نمط الصيد في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة ما زال نمطا تقليديا وهذا ما تشابه مع نتائج دراسة فاتن الحناوي، (١٩٩١) حيث كانت أهم نتائج دراستها أن هناك نسقا تقليديا ما زال مسيطرا على تقنيات الصيد في ميناء الإسكندرية.
٤. مهنة الصيد في العقبة مهنة متوارثة حيث إن أغلب صيادي الساحل الأردني المطل على خليج العقبة هم صيادون "أبا عن جد" ويمكن تفسير ذلك كونها مهنة ذات متطلبات مهنية بسيطة وتنظيم العمل فيها تقليدي، وكشفت الدراسة عن وجود ذاكرة شعبية لدى صيادي الساحل الأردني المطل على خليج العقبة متعلقة بالتعابير اللغوية الشفوية حيث يتم

استحضار صورة البحر الذي ارتبط بحياة الصياد وثقافته حتى أصبح الصياد لا يستطيع العيش بمعزل عنه.

٥. عند تطبيق رؤية جولييان ستيوارد (Steward) لمفهوم الأيكولوجيا الثقافية (Cultural Ecology) في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة تبين أن هناك تشابها ثقافيا وتقنيا في بيئات مشابهة للبيئة الساحلية لخليج العقبة أنتجت نمطا أيكولوجيا للتكيف مع البيئة الساحلية الصحراوية: فهناك تشابه بطرق وتقنيات الصيد في السواحل المطلّة على خليج العقبة مثل ميناء ضبا السعودي ومينائي نوبيع والسويس في مصر إضافة إلى السواحل اليمنية والدليل أنه كانت هناك رحلات مشتركة ما بين الصيادين الأردنيين والسعوديين كما ذكر أحد الإخباريين وكانت تستخدم فيها تقنيات وأساليب صيد متشابهة مثل خيوط النايلون والصيد بالسخوة تتناسب مع البيئة الساحلية الصحراوية.

وفيما يلي بعض التوصيات التي قد تساهم في تحسين واقع الصيد البحري في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة ويعود بجدوى اقتصادية على القطاع:

١- السماح بالصيد في مساحات أكبر باتجاه المياه العميقة وبالتالي يتحسن الصيد من حيث النوعية والكمية.

٢- تنظيم عملية الصيد والحد منه خلال مواسم تكاثر الأسماك، وتحسين وسائل وأدوات الصيد

٣- دعم قطاع الصيد البحري وتخصيص منطقة عرض لتسويق الأسماك والأحياء البحرية الأخرى، خاصة في مواسم الصيد المعروفة عند أهالي المدينة ضمن إعداد احتفاليات ثقافية تدعم المدينة تراثيا واقتصاديا وتشجع السياحة.

٤- تحسين تقنيات الصيد عن طريق الاهتمام ببرامج التدريب والإرشاد لرفع مهارات الصيادين المهنية وتوعيتهم بأساليب وطرق الصيد الحديثة الصديقة للبيئة.

٥- وضع تشريعات وتعليمات تنظم الصيد، وتوفير جهات داعمة تقدم التسهيلات لصغار الصيادين ومساعدتهم في الحصول على قوارب أو معدات صيد بقروض ميسرة.

الهوامش:

- (1) Denis Cuche, The Concept of Culture in the Social Sciences, translated by Munir Al-Saeedani, Arab Organization for Translation, Center for Arab Unity Studies, (2004), (P.39).
- (٢). سامية محمد جابر، علم الإنسان، مدخل إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٩١، ص ٦٩
- (٣). إميل دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة محمود قاسم والسيد محمد بدوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨، ص ١٧٧.
- (٤). أنتوني جديتز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص ٨٢
- (٥). ياس خضر عباس العباسي، جولييان ستيوارد ومعاينة الأيكولوجيا الثقافية— بحث في الأنثروبولوجيا، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥، ص ١٣
- (٦). ابن خلدون، (توفي ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، مقدمة ابن خلدون، الباب الاول، دار القلم بيروت، الطبعة (٤)، ١٩٨١.
- (٧). محمد حامد يوسف، علم الاجتماع: النشأة والمجالات، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص ١١٨
- (٨). الطاهريليب، سوسيولوجيا الثقافة، عيون المقالات، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٦، ص ٥٧
- (٩). عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧١، ص ٢٦
- (١٠). إيمان علي مصطفى الخولي، الأيكولوجيا الثقافية - اسلوب منهجي: بحث في الأنثروبولوجيا البيئية وتطبيقاتها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بني سويف، مصر، ٢٠٠٧.
- (١١). عدنان أحمد مسلم، محاضرات في الأنثروبولوجيا (علم الإنسان)، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة (١)، ٢٠٠١، ص ١٥٨
- (١٢). محمد الزبدة، ورائد الجواسرة، ومحمد بدران، الخصائص الإقتصادية والاجتماعية لواقع الصيد وصيادي الاسماك في خليج العقبة، الأردن، (٢٠١٨).
- (١٣). كريمة بورحلي، التلوث البحري وتأثيره على البحارة، دراسة ميدانية بميناء الصيد (بوديس- جيجل)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، (٢٠١٠)
- (١٤). منسي الجمل، مجتمع الصيادين في قرية الجبيل بجنوب سيناء — دراسة مقارنة في الجغرافيا الاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المنيا، مصر، (٢٠٠٤).
- (15) The Regional Authority for the Preservation of the Environment of the Red Sea and Gulf of Aden (PERSGA). The Current Status of Living Marine Resources and Their Management in the Red Sea Region and the Gulf of Aden, (2003)

- (١٦). أحمد طهير، التعابير الشفوية الخاصة البحارة الصيادين، صبادو غزوات نموذجاً، — دراسة أنثروبولوجية- رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، ٢٠٠٢.
- (١٧) عبد الله ولد احمد فال، تطور قطاع الصيد البحري والتغير الاجتماعي في موريتانيا من سنة ١٩٧٠-١٩٩٢، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تونس للآداب والفنون والعلوم السياسية، تونس ١٩٩٥.
- (١٨) فاتن أحمد الحناوي، بعض ملامح التغير في تكنولوجيا الصيد، دراسة أنثروبولوجية بمحافظة الاسكندرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، مصر، ١٩٩١.
- (19) Farr. R.Emily, Stoll. S Joshua (2018). Effects of fisheries management on local ecological knowledge, University of Maine, Journal of Ecology and Society, Volume 23, NO. 3
- (20) Mccaskey.G. Cynthia, (2012). Fishermen, Politics, and Participation: An Ethnographic Examination of Commercial Fisheries Management in St. Croix, U.S. Virgin Islands, Department of Anthropology College of Arts and Sciences University of South Florida, Ph.D. thesis, January.
- (٢١) الإحصاءات الأردنية العامة، (٢٠٢٠)، أعداد السكان المقدرة للمملكة حسب المحافظة والتجمع والجنس والاسر مديرية المسوح الاسرية والسكانية، (Directorate of Family and Population Surveys).
- (22) Plahn.Olaf, Baschek.Burkard, Badewien. H. Thomas, (2002): Importance of the Gulf of Aqaba for the formation of bottom water in the Red Sea, Journal of Geophysical Research: Oceans, Volume 107, Issue 8, Publishing, Inc, UK, 2006
- (٢٣) وزارة البيئة، "التقرير الوطني الرابع حول تنفيذ اتفاقية التنوع الحيوي"، عمان، الأردن، (٢٠٠٩).
- (٢٤) قانون منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة وتعديلاته رقم ٣٢ لسنة ٢٠٠٠ المنشور على الصفحة ٣٤٢٣ من عدد الجريدة الرسمية رقم ٤٤٥٣ بتاريخ ٢٠٠٠/٨/٣١
- (٢٥) نظام حماية البيئة في منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة رقم (٢١) لسنة ٢٠٠١ الصادر بموجب قانون المنطقة الخاصة.
- (٢٦) نظام متزه العقبة البحري رقم (٢٢) لسنة ٢٠٠١ الصادر بموجب قانون المنطقة الخاصة.
- (٢٧) الجمعية الملكية لحماية البيئة البحرية (JREDS)، الدليل الاستراتيجي الوطني للإدارة المتكاملة للمناطق الساحلية في العقبة، منشورات الجمعية الملكية لحماية البيئة البحرية. (٢٠١٦)
- (28) John, Adams, HTA Khan, R Raeside, DI White: Research methods for graduate business and social science students, (2007).
- (29) Bernard, Russell. Research Methods in anthropology, The Rowman & Littlefield Publishing, Inc, and UK. (2006) . p251.

- (٣٠) Tubaishat, Khulood, The Regional Organization for the Conservation of the Environment of the Red Sea and Gulf of (٢٠١٠). Aden, The Royal Marine Conservation Society of Jordan (JREDS),
- (٣١) عبد الله خالد المنزلاوي، التاريخ الثقافي في العقبة، دار الاسامة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى، ٢٠٠٤. ص ١٢٥.
- (٣٢) محمد غوانمة، الأزوجة الأردنية، مطبعة الروزنا، عمان. (١٩٩٧)

الأيكولوجية الثقافية للصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة "دراسة سسيولوجية- أنثربولوجية"

رولا خالد أبو الراغب* أ.د محمد فايز الطراونة**

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢١/٥/١٨ م تاريخ قبول البحث: ٢٠٢١/٦/٢١ م

الملخص

هدفت الدراسة التعرف إلى آليات التكيف الأيكولوجي الثقافي للصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة وذلك من خلال رصد خصائصهم الاجتماعية والاقتصادية والتأثيرات الثقافية التي أثرت في البناء الاجتماعي، واعتمدت الدراسة في التحليل الأسلوب النوعي ومنهج المسح الوصفي وتطبيق مفهوم الأيكولوجيا الثقافية لـ (جوليان ستيوارد)، وتم إجراء الدراسة على عينة قصدية بلغت (٥٠) صيادا وتم استخدام دليل المقابلة.

وخلصت الدراسة إلى أن الصيد البحري يمثل بناءً اجتماعيا وثقافيا، وأن فئة الشباب هي الفئة الممارسة الفعلية للصيد، كونها تتطلب مستوى جيدا من القدرة البدنية وأن معظم الصيادين يعملون أسرهم، ويقيمون في مناطق حديثة نسبيا بسبب التطور على صعيد البنية التحتية في مدينة العقبة. وأن مهارة مهنة الصيد متوارثة، وأن أغلب الصيادين ما زالوا يستخدمون وسائل تقليدية للصيد، وبالرغم من التحديات التي تهدد وجود المهنة اقتصاديا لكنها تبقى مهنة مرتبطة بالإرث الثقافي وبالذاكرة الشعبية، وأن هناك تشابها في الأنماط الثقافية في البيئات الساحلية الصحراوية التي تحمل نفس صفات البيئة الأيكولوجية.

الكلمات الدالة: الأيكولوجيا الثقافية، الصيد، خليج العقبة.

* باحثة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، الجامعة الأردنية

** أستاذ دكتور، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، الجامعة الأردنية.

The Cultural Ecology of the Fishermen on the Jordanian Coast Overlooking the Gulf of Aqaba, "Sociological–Anthropological Study"

This study aims to identify the mechanisms of the ecological and cultural adaptation of fishermen on the Jordanian coast overlooking the Gulf of Aqaba through their social, economic, and cultural influences that affected the social construction. An intentional sample amounted to (50) fishermen and the interview guide were used.

The study has come to the conclusion that marine fishing represents a social and cultural construct, and that the youth group is the actual practice of fishing, as it requires a good level of physical ability and that most fishermen support their families and reside in relatively recent areas due to the development of infrastructure in the city of Aqaba. And that the skill of the fishing profession is inherited, and that most of the fishermen still use traditional means of fishing, despite the challenges that threaten the existence of the profession economically, but it remains a profession linked to the cultural heritage and the popular memory, and that there is a similarity in the cultural patterns in the coastal and desert environments that bear the same ecological characteristics.

Key words: cultural ecology, fishing, Gulf of Aqaba

المقدمة:

يعتبر أسلوب حياة الإنسان من أهم العوامل التي أحدثت وتحدث تغييراً ملحوظاً على البيئة، فقد تعامل الإنسان منذ القدم مع مكونات البيئة، وحاول تسخيرها لخدمته، ومع توالي السنين أصبح الإنسان أكثر تحكماً فيها، وأكثر استغلالاً لمكوناتها البرية والبحرية والجوية. وإذا كانت الأنثروبولوجيا تعني علم الإنسان، فإن الأنثروبولوجيا الاجتماعية تركز على دراسة الجانب الاجتماعي لحياة ذلك الإنسان.^(١)

وكان مجال الدراسات الأنثروبولوجيا الاجتماعية قديماً في المجتمعات البدائية نظراً لصغر حجمها وسهولة دراستها إلا أن التوجه المعاصر تعدى ذلك فشمّل التجمعات الحضرية في المدينة مثل الأحياء السكنية والتنظيمات الاجتماعية وغيرها، فهي تقوم على دراسة البنية والوظائف وأنماط العلاقات الاجتماعية، وبشكل أدق تدرس السلوك الاجتماعي الذي يشكل نظم اجتماعية كالعائلة ونظام القرابة والتنظيم السياسي وأشكال الملكيات بهدف تحديد العلاقة والتأثير المتبادل فيما بينها من جهة، وبينها وبين الفرد من جهة أخرى.^(٢)

أما الاتجاه السوسيولوجي (علم الاجتماع) هو العلم الذي يدرس الثقافة الاجتماعية ويدرس الخصائص العامة المشتركة بين جميع أنواع المظاهر الاجتماعية، ويرى إميل دوركايم أن مصدر الثقافة هو المجتمع، وأن علم الاجتماع هو علم المجتمع الذي يدرس العلاقات الاجتماعية، وأن تتم دراسة الظواهر المجتمعية دراسة تشيؤية موضوعية وكمية والهدف من ذلك هو تفسير هذه الظواهر تفسيراً وضعياً علمياً انطلاقاً من الأبعاد السياسية، والاقتصادية، والدينية، والثقافية، والقانونية.^(٣)

ويعتبر أنتوني جدينز أن المجتمع كلٌّ يتألف من مجموعة من النظم التي تؤسس كيانه ويبني عليها الوجود المجتمعي ويدرس العلاقات الاجتماعية المتبادلة بينها للتعرف على جميع أشكال العلاقات التي تدخل في تشكيل البناء الاجتماعي.^(٤)

أما في الدراسة الحالية فإن مفهوم الأيكولوجيا الثقافية الذي ظهر في عام (١٩٥٥)، وهو "دراسة تغير الثقافة الناشئ عن التكيف مع البيئة الطبيعية"، وقد صاغ جوليان ستيوارد (Steward) هذا المصطلح وهو مشتق من كلمة (أيكولوجيا) للدلالة على المجموعات الحيوية، وتعني (أيكولوجيا) في علم الحياة هي العلاقات المتبادلة بين الكائنات العضوية وبيئتها الطبيعية.^(٥)

وجاء اختيار موضوع الدراسة في الساحل الأردني المطل على سواحل البحر الأحمر حيث تقع مدينة العقبة في محافظة (العقبة الإدارية) في أقصى الجزء الجنوبي من الأردن؛ لدراسة الطابع الثقافي- البيئي للعاملين في الصيد البحري، فعلى الرغم من التطور والتغير الحضاري والثقافي الكبير الذي شهدته المنطقة إلا أن هناك طابعاً ثقافياً ظل يجاهد كي يبقى متماسكاً رغم التطور ومظاهر الحداثة التي أحاطت به.

مشكلة الدراسة:

على الرغم من التطور الاجتماعي والاقتصادي في مدينة العقبة إلا أن هناك قصوراً في الدراسات السوسولوجية – الأنثروبولوجية لمفهوم الأيكولوجية الثقافية في المجتمع المحلي للعاملين في مهنة الصيد، وتوثيق انعكاسات تقنيات مهنة الصيد على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتراثية من خلال العلاقات الاجتماعية بين جماعة الصيادين والبناء الاجتماعي لهذه الجماعة. وعليه، فقد جاءت هذه الدراسة لتبحث في الإشكالية المتعلقة بالتكيف الأيكولوجي الثقافي بمهنة الصيد، وتوثيق الموروثات الثقافية ورصد البناء الاجتماعي ومقارنتها مع نتائج الدراسات على المناطق المتشابهة مع المنطقة أيكولوجياً.

-أهمية الدراسة العملية:

تعتبر هذه الدراسة ذات أهمية عملية كونها تسلط الضوء على الأيكولوجيا الثقافية لمهنة الصيد في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة من خلال رصد وتوثيق كل ما يتعلق بهذه المهنة من: الأساليب التقنية والتكنولوجية المرتبطة بالصيد والمهارات اللازمة للصيد وأنواع الأسماك الموجودة وطرق صيد كلا منها ومواسم وأوقات الصيد ولغة التواصل وأدوات الصيد وغيرها.

-أهمية الدراسة العلمية:

تتمثل الأهمية العلمية للدراسة في إثراء البحث العلمي السوسيوأنثروبولوجي، والمتعلق في دراسة آليات التكيف الأيكولوجي على المستوى الثقافي والاجتماعي للعاملين بمهنة الصيد البحري والمتمثل في توثيق التراث الثقافي ورصد وتدوين ما يرتبط بممارسة مهنة الصيد من موروثات ثقافية انعكست على ثقافة وحياة الصيادين.

أهداف الدراسة:

١. التعرف إلى الخصائص الديموغرافية للصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة.
٢. التعرف إلى الخصائص الاقتصادية للصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة.
٣. التعرف إلى المميزات والتأثيرات الثقافية التي أثرت في البناء الاجتماعي عند الصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة.

أسئلة الدراسة:

تسعى الدراسة للإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما هي الخصائص الديموغرافية للصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة؟
٢. ما هي الخصائص الاقتصادية للصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة؟
٣. ما هي المميزات والتأثيرات الثقافية التي أثرت في البناء الاجتماعي عند الصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة؟

مفاهيم الدراسة النظرية والإجرائية:

وفيما يلي عرض للمفاهيم النظرية والإجرائية التي سيتم استخدامها في الدراسة حسب ما وردت في الاتجاهات النظرية وهي (الثقافة، الأيكولوجيا، الأيكولوجيا الثقافية):

- مفهوم الثقافة:

يُعتبر ابن خلدون أول من وضع تعريفاً "فيزيقياً" للثقافة حين قارن بين ثقافتين: البداوة والمدن: فالثقافة حسب تعريف ابن خلدون هي: "آداب الناس في أحوالهم في المعاش كالعمران والصنائع والفنون والدراية في مجالات الحياة اليومية في حين تتشكل آداب الناس بالتعليم والاكتساب وإعمار الفكر."^(١) وقد قدم إدوارد تايلور (E.B.Tylor) أول تعريف للثقافة عام (١٨٧١) في كتابه الثقافة البدائية (Primitive Culture) حيث عرّف الثقافة بأنها "هي الوحدة الكلية التي تشمل المعرفة والمعتقدات والفن الأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع" وأضاف إليها لاحقاً "أن الثقافة لا يملكها الإنسان أي أنها مكتسبة ولا يمكن اعتبارها وراثية بيولوجية."^(٧) ومن

التعريفات المهمة للثقافة أيضا تعريف الطاهر لبيب للثقافة حيث يرى أن "الثقافة هي هذه المجموعة المعقدة التي تشمل المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وكل القابليات والتطبيقات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع ما" ويعني هذا أن الثقافة تشمل المعطيات الفكرية والعاطفية والمادية.^(٨) أما في الدراسة الحالية فيشير مفهوم الثقافة إلى جميع الأنشطة التي يمارسها الصياد وآليات التكيف مع بيئته من خلال ممارسات انعكست على انساق البناء الاجتماعي، ورصد انعكاسات ثقافة الصيد على نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية واللغوية وغيرها.

- الأيكولوجيا: (Ecology)

ويقصد بها علم البيئة، أو علم الأحياء البيئي (Biology Environmental) ويعني الدراسة العملية لتوزيع وتلاؤم الكائنات الحية مع بيئاتها المحيطة، ودراسة التفاعلات والعلاقات التي تتشكل بين الأحياء كافة وبين بيئاتها المحيطة، أما مصطلح علم البيئة - الأيكولوجيا فقد صاغه عالم الأحياء أرنست هيكل (E. Haeckel) وهو يدرس بشكل عام علاقة الكائنات الحية مع بعضها البعض مع البيئة أو الموئل الذي تعيش به.^(٩) ويشير المصطلح في الدراسة الحالية إلى كل ما يحيط بالصياد من مكونات بيئية والطرق التي يتكيف بها مع كل ما يحيط به من أرض وبحر وهواء.

الأيكولوجيا الثقافية (Cultural Ecology)

ويعرّف ياس العباسي الأيكولوجيا الثقافية بأنها عبارة عن المكونات المعرفية والانفعالية والسلوكية التي يكتسبها الفرد من خلال تفاعله المستمر مع بيئته المحيطة به، حيث إن البيئة والثقافة هما جزآن من نسق واحد له خاصية تفاعلية فالبيئة هي كل ما يحيط بالإنسان، أما في الدراسة الحالية فيشير المفهوم إلى التأثير الذي أحدثته البيئة الحرة على الثقافة عند العاملين بالصيد البحري في خليج العقبة وكيف تكيفت أنساق البناء الاجتماعي مع مكونات البيئة الساحلية وشكلت ثقافة مجتمع الدراسة.

الأيكولوجيا الثقافية عند جوليان ستيوارد.

أشار عاطف وصفي أن الأيكولوجيا الأنثروبولوجية تهتم بدراسة عمليات التأقلم الثقافي تجاه البيئات المختلفة وتقوم على دراسة العلاقات بين المجموعة السكانية من البشر وبيئتها

الفيزيائية الحيوية، وقد أخذت هذه الاتجاهات أسلوباً علمياً في دراسة هذا الأثر المتبادل ما بين الإنسان وبيئته فيما يسمى بعلم البيئة الثقافي، وقامت الدراسة الحالية بمحاولة لتطبيق مفهوم الأيكولوجيا الثقافية (Cultural Ecology) من رؤية جوليان ستيوارد (Julian Steward) والذي اهتم بدراسة أوجه الشبه بين المجموعات التي تعيش في بيئات متشابهة وتستخدم وسائل متشابهة في التكيف مع البيئة، وحاولت الدراسة أن تبحث في التكوين الديناميكي لثلاثة مكونات أساسية لدى جماعة المشتغلين بالصيد البحري في الساحل الأردني للبحر الأحمر وهي (الظروف الأيكولوجية، المكون الديموغرافي، جوانب الثقافة المادية وغير المادية) والتفاعل بين هذه المكونات مما ينتج عنها النسق الاقتصادي والمتمثل في مهنة الصيد، والنسق القرابي ويتمثل بالعلاقات بين جماعة الصيادين ونسق الضبط المجتمعي والذي يتضمن تنظيم العلاقات بين هذه المكونات.

ويرى ستيوارد أنه يجب التمييز بين الأيكولوجيا الثقافية من ناحية، والأيكولوجيا الاجتماعية و(الأيكولوجيا البشرية) من ناحية أخرى، لأن الأيكولوجيا الثقافية تهتم بتفسير أصول الملامح والأنماط الثقافية الخاصة التي تميز مناطق ثقافية مختلفة، وأن هناك فكرة مهمة تقوم وراء مفهوم الأيكولوجيا الثقافية هي أن التكيف الأيكولوجي الثقافي يمثل عمليات (خلافة) بمعنى أن الظروف الطبيعية تؤثر في النمو الثقافي ولا يقصد بها هنا الحتمية البيئية حيث إن هناك اختلافاً بين منهج الأيكولوجيا الثقافية ومنهج الحتمية البيئية، والمتغير هنا هو مدى الاعتماد المتبادل بين الأنظمة المختلفة.^(١٠)

فيما يؤكد عدنان مسلّم أن الأيكولوجيا الثقافية تعتمد بشكل أساسي على ضرورة وجود دراسات ميدانية في المجتمع المراد دراسته بهدف تحليل العلاقة بين الوسائل التكنولوجية التي يستخدمها الفرد في السيطرة على بيئته التي يعيش فيها، وبين نمط السلوك أو مظاهر ثقافته وما يشمل ذلك من أنماط ثقافية وقيم وعادات تتصف بدرجة عالية من التعقيد والارتباط المتبادل ولما تُشكله من أنماط سلوكية وممارسات يومية للأفراد داخل النسق الثقافي.^(١١)

الدراسات السابقة والدراسات ذات الصلة بالدراسة:

تناولت عدد من الدراسات المحلية والعربية والأجنبية موضوع الأيكولوجيا الثقافية ضمنياً من خلال دراسات سوسيوانثروبولوجية متعددة الجوانب أجريت على الجماعات التي تمتن الصيد البحري، وسيتم تالياً استعراض بعض هذه الدراسات:

ففي دراسة قام بها محمد الزبدة، رائد الجواسرة، ومحمد بدران (٢٠١٨) والموسومة بـ "الخصائص الاقتصادية والاجتماعية لواقع الصيد وصيادي الأسماك في خليج العقبة" وقد هدفت الدراسة الى التعرف على واقع المصائد والخصائص الاجتماعية والاقتصادية لصيادي الأسماك في العقبة، والوقوف على أهم المشاكل التي تواجههم، والتعرف على طرق وآليات تسويق الأسماك في ظل شح الموارد وأجريت الدراسة خلال عامي (٢٠١٣-٢٠١٤)، واعتمدت على طريقة التحليل الإحصائي الوصفي والاستنباطي وشملت العينة جميع الصيادين العاملين في الصيد وعددهم (١٢٠) صيادا. وخلصت الدراسة الى أن أساليب الصيد ما زالت تقليدية ولا بد من تحسين تقنيات الصيد عن طريق الاهتمام ببرامج التدريب والإرشاد لرفع المهارات المهنية للصيادين وتوعيتهم بأساليب وطرق الصيد الحديثة. وكذلك توسيع رقعة الصيد المخصصة باتجاه المياه العميقة والعمل على تفعيل ودعم عمل الجمعيتين التعاونيتين للصيادين وتطوير وتبسيط الإجراءات فيما يتعلق بالحصول على رخص وتصاريح الصيد، وأخيرا أكدت الدراسة أن فئة الصيادين وعائلاتهم هم جزء مهم من المورد الثقافي والحضاري لمنطقة العقبة، ويستوجب الحفاظ على هذا الإرث ليكون ضمن منظومة التطوير الشمولية في هذه المنطقة.^(١٢)

أما الدراسة التي قامت بها كريمة بورحلي (٢٠١٠) الموسومة بـ "التلوث البحري وتأثيره على البحارة، دراسة ميدانية بميناء الصيد (بوديس) جيجل" حيث هدفت الدراسة إلى معالجة أبعاد تلوث البيئة البحرية وتأثيرها على النظام البيئي وأثار ذلك التلوث على جماعة البحارة والصيادين وتحديد مدى وعي الصيادين والبحارة بالمشاكل البيئية، وتمت هذه الدراسة في ميناء الصيد البحري التونسي لولاية جيجل وشملت (١٠٠٦) عامل (حقيقي) عام (٢٠٠٩)، أما منهج البحث فكان الوصفي التحليلي، من خلال (الوثائق والسجلات، والملاحظة، والمقابلة)، وخلصت الدراسة إلى أن أسباب المشكلات البيئية تمتاز بالتشابك والتداخل فيما بينها، وإن اختلال القيم والاتجاهات هي التي تعتبر جوهر المشاكل البيئية، لأن القيم والاتجاهات تكتسب صفة اجتماعية، وهي التي توجه سلوك الناس اتجاه بيئتهم.^(١٣)

وتناولت دراسة منسي الجمل (٢٠٠٤) والموسومة بـ "مجتمع الصيادين في قرية الجبيل بجنوب سيناء - دراسة مقارنة في الجغرافيا الاجتماعية" مجتمع الصيادين حيث هدفت الدراسة إلى تحديد الأبعاد الديموغرافية للصيادين بقرية الجبيل بمحافظة جنوب سيناء وذلك من وجهة نظر الجغرافيا الاجتماعية حيث تمت دراسة المؤشرات الديموغرافية في

مجتمع الصيادين، وتكون مجتمع الدراسة من العاملين في مهنة الصيد والذين تراوح معدل أعمارهم من (١٥-٥٠) عاما أما منهج الدراسة فكان المنهج الوصفي المقارن وخرجت الدراسة بأن أهم المشاكل التي تواجه صيادي الجبيل في عملهم تتمحور في (حركة الرياح والأمواج، ومنع الصيد في بعض شهور السنة، ومشكلة بقع زيت البترول، ومشكلة الشعاب المرجانية وارتفاع أسعار أدوات الصيد، وعدم قدرة الجمعيات التعاونية للصيادين على دعم القطاع، وكذلك مشكلة التلوث البيئي وقلة نظافة الشوارع)، ولم تتطرق الدراسة إلى العلاقات الاجتماعية بين جماعة الصيادين وإذا ما كان هناك أي مميزات أو نمط ثقافي مثل مفردات تواصل شفوية أو رصد مظاهر تراثية بمهنة الصيد لدى مجتمع الدراسة.^(١٤)

وقد قامت (PERSGA,2003) وهي الهيئة الإقليمية للمحافظة على بيئة البحر الأحمر وخليج عدن بدراسة مسحية هدفت من خلالها إلى إلقاء نظرة شاملة على الحالة الراهنة للمصائد في الإقليم وتحديد المشاكل التي تتعلق باستدامة مصائد الأسماك وأثرها على البيئة وتم استخدام المنهج الوصفي المسحي الذي شمل البلدان المطلة على البحر الأحمر وخليج عدن وشملت الدراسة أنواع المصائد البحرية والتقنيات المستخدمة فيها، العنصر البشري العامل في المجال البحري، جمعيات الصيادين، أنواع السمك والمرجان. وبينت الدراسة أن قطاع الصيد البحري للساحل الأردني المطل على خليج العقبة قطاع غير منظم ويعاني من عدم وجود إدارة فعالة، ولا يوجد بيانات واضحة حول هذا القطاع، إلا أن قلة أماكن الصيد في البحر أدى إلى تناقص في أعداد الثروة السمكية، وقلة البحوث التطبيقية لقطاع الصيد البحري بشكل عام.^(١٥)

أما دراسة أحمد طهيري (٢٠٠٢) والموسومة بـ "التعابير الشفوية الخاصة البحارة الصيادين، صيادو غزوات نموذجاً، دراسة أنثروبولوجية" وهدفت الدراسة إلى البحث في أشكال التعبير الشفوي انطلاقاً من العلاقة الاجتماعية الثقافية خاصة وأن ميناء غزوات في الجزائر كان ملتقى للصيادين من عدة ثقافات وهدفت الدراسة إلى التعرف على المميزات الثقافية لهم، والتعرف إلى الدلالات الاجتماعية والثقافية للتعبير الشفوي عند البحارة الصيادين. أما منهجية الدراسة فكانت استخدام المنهج التاريخي، والمنهج الإحصائي، ومنهج تحليل المضمون في تحليل لغة الاتصال والتعبير الشفوية، وتم جمع البيانات من خلال الملاحظة بالمشاركة من خلال المشاركة برحلات الصيد.

وتكونت عينة البحث من (٤٠) مبحوثًا ممارسًا من أهم نتائج الدراسة أن هناك تأثيرا للبحارة الأسباب ليس اقتصاديًا وحسب وإنما تأثير على الحياة الثقافية وذلك بإدخال عناصر ومفاهيم لغوية اسبانية، وكذلك وجدت الدراسة بأن مهنة الصيد يتم توريثها للأجيال وذات تنظيم عمل تقليدي. وأن البحث في الدلالات الاجتماعية للتعبير الشفوية من ألغاز وأقوال عند البحارة يتعدى ما هو ظاهر على مستوى البنية اللغوية السطحية إلى البنية العميقة ذات دلالات اجتماعية رمزية معبرا عن طموحات الوعي الجمعي للبحارين.^(١٦)

وهناك دراسة عبدالله ولد أحمد فال (١٩٩٥) بعنوان "تطور قطاع الصيد البحري والتغير الاجتماعي في موريتانيا من سنة ١٩٧٠-١٩٩٢" حيث تناول فيها التغير في البناء الاجتماعي في المجتمع الموريتاني وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي من خلال وصف الملامح العامة للحياة العامة والاقتصادية والتكنولوجية لمجتمع الدراسة ووصف نمط الإنتاج والوسائل التقليدية ومقارنتها بنمط الإنتاج والوسائل التقنية الحديثة، وتم تصميم استمارة تم توزيعها على عينة عشوائية بسيطة (٦٠) صيادا. وقد خلصت الدراسة إلى أن قطاع الصيد البحري مرت عليه أكثر من مرحلة، ووجدت الدراسة أن هذا التغير في النشاط الاقتصادي انعكس على البناء الاجتماعي في مجتمع الدراسة، إلا أن الباحث وجد أن هناك نقصا في البنية التحتية لقطاع الصيد البحري، ونقصا في التأمين الاجتماعي والثقافة المهني للصيادين وضعفا في إيجاد أسواق لتسويق الأسماك.^(١٧)

أما دراسة فاتن الحناوي (١٩٩١) بعنوان "بعض ملامح التغير في تكنولوجيا الصيد، دراسة أنثروبولوجية بمحافظة الإسكندرية" والتي هدفت من خلالها إلى التعرف إلى الملامح المميزة للنمط الاقتصادي القائم على الصيد وقد استخدمت الباحثة كلا من المنهج الكمي والكيفي واستخدمت المسح الشامل ومنهج دراسة الفلكلور وكذلك المنهج الأنثروبولوجي المتمثل بالملاحظة المباشرة، والملاحظة بالمشاركة، والمقابلات المعمقة وكذلك الإخباريين، كما استخدمت أسلوب التحليل التاريخي والمقارن كمناهج للتحليل. وأهم نتائج الدراسة كانت أن هناك نسقا تقليديا ما زال مسيطرًا على تقنيات الصيد خاصة وأن السياسات الحكومية لم تدعم هذا القطاع بشكل يطور المهنة، وكذلك هناك تأثيرات مباشرة للنسق الثقافي للصيادين على الأنساق الاجتماعية والاقتصادية بالرغم من تضائل القطاع وقلة المردود الاقتصادي على الصيادين.^(١٨)

وفيما يلي سيتم استعراض عدد من الدراسات والأبحاث والمقالات الصادرة باللغة الإنجليزية والتي تناولت موضوع الدراسة من حيث المفاهيم الأيكولوجية والتداخل ما بين الجغرافيا البشرية والتكيف البيئي، ففي الدراسة التي قاما بها فيير وستوول (Farr and Stool, 2018) والموسومة بـ "أثر المعرفة البيئية الأيكولوجية في نقل المعرفة الثقافية من جيل لآخر من الصيادين في الخليج الشرقي لولاية مين في أمريكا"، حيث هدفت الدراسة إلى تحديد وتحليل التصورات الجماعية التي تمتلكها مجموعة الصيادين حول بيئتهم، وطرق انتقال المعرفة الثقافية من جيل إلى آخر، ورصد التفاعلات المنتظمة بين الصيادين والبيئة الحيوية. وقامت الدراسة بعمل مقابلات متعمقة وشبه منظمة مع (١٧) صياداً في شرق ولاية (مين) والتي تتوزع بها مصايد أسماك، وذلك من أجل فهم العلاقة بين الصيد وإنتاج المعرفة البيئية. وتم استخدام منهج الشبكة (network approach) لتحليل الخرائط المعرفية لهيكل النظام البيئي والديناميكيات التي وصفها الصيادون خلال المقابلات المعمقة والمفتوحة. وخلصت الدراسة إلى وجود علاقة إيجابية بدرجة عالية بين تنوع الصيادين في مصايد الأسماك ودرجة معرفتهم للخصائص البيئية الأيكولوجية.^(١٩)

ومن الدراسات الهامة عن الصيد والسياسة دراسة قامت بها مكاسكي (Mccaskey, 2012) بعنوان "الصيادون والسياسة والمشاركة: فحص إثنوغرافي لإدارة مصايد الأسماك التجارية في سانت كروا، جزر فيرجن الأمريكية"، وقد هدفت الدراسة إلى دراسة مؤسسات إدارة الموارد السمكية بمنهج إثنوغرافي واستنتجت الباحثة من البيانات الإثنوغرافية التي قامت بدراستها أن هناك مجموعة متنوعة من العوامل التاريخية والاجتماعية والسياسية التي تؤثر على كيفية تصوّر الصيادين التجاريين والمديرين وأصحاب المصلحة الآخرين لعملية إدارة المصايد الفيدرالية ومدى مشاركتهم في تلك العملية، وكذلك التفاعلات داخل مجموعات أصحاب المصلحة فيما بينها.^(٢٠)

بعد أن تم استعراض الدراسات والأبحاث التي تناولت موضوع الدراسة أو كان ذا صلة بها يتضح لنا بأن أغلب الدراسات كانت تدرس الصيادين وعمليات الصيد من زوايا متعددة، إما من خلال الأبعاد المفاهيمية للأيكولوجيا والنظام البيئي، أو من خلال مناهج البحث التي يجب أن يتم استخدامها وإن كانت معظمها تركز على المدخل الاقتصادي من حيث الملكية

لوسائل الانتاج (المراكب، وأدوات الصيد) ومقدار مساهمة الثروة السمكية بالإنتاج القومي، أو دراسة التنظيمات داخل جماعة الصيادين وتأثير ذلك على الخطط التنموية.

وما يميز هذه الدراسة وبعد مراجعة الدراسات السابقة بأنها ستقوم بدراسة العناصر الأيكولوجية الثقافية للعاملين بمهنة الصيد في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة وآليات التكيف الأيكولوجي وذلك بدراسة التأثيرات الأيكولوجية، وكيف تكيفت الثقافة المحلية للصيادين مع البيئة بعلاقة تبادلية أثرت على الأنساق الاجتماعية والاقتصادية والبنية اللغوية والاجتماعية خاصة التنظيم الاجتماعي وسيكون هناك تركيز على التعابير اللغوية الشفوية لجماعة الصيادين خاصة وأن العلامة المميزة للثقافة ليست الأشياء المصنوعة وصانعيها الإنسان وإنما اللغة المنطوقة هي التي تمثل كيان الثقافة والواقعة الثقافية المميزة. وستقوم الدراسة من خلال رصد البناء اللغوي سواء كان منطوقاً (شفوياً) أو مكتوباً مثل العبارات المكتوبة على مراكب الصيد (أسماء المراكب) أو في الوشوم المطبوعة على أجساد الصيادين أو في الأغاني الشعبية التي يرددونها الصيادون في رحلات الصيد وما تحمل من دلالات سيولوجية - ثقافية.

خلفية عامة عن الدراسة - الساحل الأردني المطل على خليج العقبة:

تقع مدينة العقبة في محافظة (العقبة الإدارية) على ساحل البحر الأحمر في أقصى جنوب الأردن، وهي مركز محافظة العقبة وتبعد عن العاصمة عمان حوالي (٣٣٠) كم، واستناداً لنظام التقسيمات الإدارية رقم (٤٦) لسنة (٢٠٠٠) فإن العقبة تعتبر محافظة ومركزها مدينة العقبة وتضم محافظة العقبة الإدارية لواءين: (لواء القصبة ومركزه مدينة العقبة ولواء القويرة ومركزه القويرة) وقضائين هما: (قضاء وادي عربة ومركزه الريشة ويضم (قريقرة وفينان)، وقضاء الديسة ومركزه الديسة). ويقدر عدد سكان محافظة العقبة بحسب تقرير دائرة الإحصاءات العامة لعام ٢٠٢٠ (٢١٣٠٠٠) نسمة، يشكل الذكور ما نسبته ٥٦,٣% والإناث ٤٣,٧%. وبلغ عدد الأسر ٤٢٥٨١ أسرة. كما تبلغ مساحة المحافظة الإجمالية (٦٩٠٤,٦) كم^٢، وتبلغ الكثافة السكانية: (٢٩,٤) نسمة/كم^٢، ويبلغ معدل البطالة (١٤,٥)، ويبلغ عدد سكان لواء قصبة العقبة (المدينة) للعام ٢٠٢٠ (١٦٩٢٥٠) نسمة وعدد الأسر في المدينة (٣٥٥٣٣) أسرة.^(٢١)

وتتميز مدينة العقبة بأنها المنفذ البحري الوحيد للأردن على البحر الأحمر، وللعقبة حدود مع مدينة حقل في السعودية عبر مركز حدود الدرة ومع مدينة إيلات عبر معبر وادي عربة وتشتهر العقبة كم منطقة للغوص، وبشواطئها المطلة على البحر الأحمر، وتضم المدينة العديد من المنشآت الصناعية الهامة، والمناطق التجارية الحرة، ومطار الملك حسين الدولي، وتعتبر مركزاً إدارياً مهماً في منطقة أقصى جنوب الأردن.

مميزات خليج العقبة المائية:

يتمتع خليج العقبة بمميزات مهمة عديدة منها: المياه البلورية (عالية الشفافية) قد تصل إلى أكثر من (٨٠) م، واعتدال درجة الحرارة حيث تتراوح بين (٢٠-٢٧) درجة مئوية، والعمق الشديد، إذ تتجاوز أخفض نقطة عن (١٨٠٠) م وبمسافات قريبة من الشاطئ، وأن أقصى عرض لخليج العقبة يبلغ (٢٥) كم. وأن الشواطئ الرملية تتركز في المنطقة الشمالية بينما تتركز الشواطئ الصخرية في المنطقة الجنوبية وثبوت تركيز الأملاح ودرجة الحموضة، حيث تراوحت ملوحة المياه من (٤٠,٤٤) إلى (٤٠,٧٥) غم لكل لتر ماء، ومعدل التبخر ١ سم/يوم.^(٢٢)

تنوع البيئة والأحياء البحرية:

تعتبر المجتمعات المرجانية والسلمكية في العقبة ذات خصائص فريدة، حيث يعيش نحو (١٥٠) نوعاً من أنواع المرجان الصلب، و (١٢٠) نوعاً من المرجان الرخو، وحوالي (٤٥٠) نوعاً من الأسماك، ويعتبر خليج العقبة منطقة عالية التوطن (Highly Endemic) من الناحية البيولوجية، أي أنها تحتوي على نسبة عالية من الكائنات الخاصة بها، كما توجد فيها العديد من الأحياء البحرية مثل الإسفنج والحلزون والسلطعون، والسلاحف البحرية. والميزة الفريدة في مياه خليج العقبة هي درجة حرارتها الدافئة نسبياً طوال السنة والشعب المرجانية تشكل أحد أهم عوامل الجذب للسياحة، وممارسة رياضة الغطس والغوص. وهناك في العقبة مراكز ومواقع خاصة للغوص البيئي ومستعمرات المرجان النادرة.^(٢٣)

الإطار التشريعي لتنظيم عملية الصيد في الساحل الأردني (الجهات الرسمية)

نُشر قانون منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة وتعديلاته رقم (٣٢) لسنة (٢٠٠٠) في الصفحة (٣٤٣٢) من عدد الجريدة الرسمية رقم (٤٤٥٣) بتاريخ ٢٠٢٠/٨/٣١، ومن خلاله تعتبر سلطة منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة أول نموذج للامركزية في الأردن.

وبعد الاطلاع على القوانين والتشريعات المعمول بها في الأردن وما ينبثق عنها من أنظمة وتعليمات خاصة فيما يتعلق بالمنطقة الساحلية وإدارتها، تبين ما يلي:

أولاً: أشار قانون سلطة المنطقة الاقتصادية الخاصة رقم (٣٢) لسنة (٢٠٠٠) في المادة (٤٣/ب) صراحة إلى "إدارة المناطق الساحلية على أن يتم تحديد أسس إدارتها على اليابسة وفي البحروفق نظام خاص يصدر لهذه الغاية".^(٢٤)

ثانياً: أشار نظام حماية البيئة في منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة رقم (٢١) لسنة (٢٠٠١) بشكل غير مباشر للإدارة الساحلية في المادة (٥٤) التي نصت على أن "تمارس السلطة بالتنسيق مع الجهات ذات العلاقة الصلاحيات اللازمة لحماية البيئة البحرية والبيئة على ساحل المنطقة والمحافظة عليها".^(٢٥)

ثالثاً: أشار نظام متنزه العقبة البحري رقم (٢٢) لسنة (٢٠٠١) في المادة (٤/ب) منه إلى "المحافظة على البيئة وصون المصادر الطبيعية فيه" وفي (٤/د) من نفس النظام إلى "المساهمة في تحديد وتطبيق الإجراءات اللازمة لإدارة وضبط جميع الأنشطة التنموية والعلمية والملاحية والسياحية... الخ". وقد تم إنشاء محمية العقبة البحرية نتيجة زيادة الضغوط على البيئة بشكل عام والبيئة البحرية في العقبة في العام (١٩٩٧) تحت مسمى "متنزه العقبة البحري" والذي تم إعلانه على شريط ساحلي على الشاطئ الجنوبي لمدينة العقبة في منطقة تضم تنوعاً هاماً وكبيراً من الشعب المرجانية والأحياء البحرية من أجل حماية الأنظمة المختلفة والمواطن الهامة في خليج العقبة، ومن أجل تجنب التداخل والنزاع بين الاستخدامات والأنشطة المتعددة داخل حدود المتنزه البحري، فقد عمدت إدارته إلى تطبيق مبدأ تحديد مناطق الاستخدام حيث تم تقسيم المتنزه إلى خمسة مناطق رئيسية هي: المنطقة المحمية ومنطقة السباحة والترفيه ومنطقة القوارب ومنطقة الغوص والسباحة بالقصبة ومنطقة الشاطئ. وكذلك يقوم المتنزه البحري من خلال كوادره المدربة والمؤهلة بمتابعة وتنفيذ برامج الرقابة المختلفة للبيئة البحرية وعناصرها داخل المتنزه البحري، والاحتفاظ بنتائج هذه البرامج ضمن قاعدة بيانات خاصة بهدف متابعة أية تغيرات، وما قد ينجم عنها من آثار سلبية من شأنها تدمير أو إتلاف أو تدهور البيئة الطبيعية أو الإضرار بالحياة البرية أو البحرية أو المساس بالمستوى الجمالي لمناطق المتنزه.^(٢٦)

رابعا: عند استعراض قانون حماية البيئة رقم (٦) لسنة (٢٠١٧) حيث تم تعريف التنمية المستدامة: على أنها التنمية التي تحقق التوازن بين السلامة البيئية والتنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية وتضمن استخدام الموارد الطبيعية مع الحفاظ عليها لتحقيق العيش الكريم للأجيال القادمة.^(٢٧)

تقوم هذه الأنظمة والتشريعات للحد من الممارسات السلبية التي تؤثر على الحياة البحرية الشاطئية وجميع الأنظمة البيئية المتصلة بها بشكل سلبي، ومن أهم الممارسات التي تؤثر سلبا على البيئة البحرية هي الترسيب الناتج من الإنشاءات كالموانئ والمصانع وإقامة المنتجعات والاستثمارات بالإضافة إلى المهددات الناتجة عن جمع المرجان والأصداف والنفايات وتسرب النفط واختلال توازن الأملاح الغذائية نتيجة ذوبان المواد والنفايات الصلبة وغيره من التأثيرات السلبية الناتجة عن الأنشطة البشرية.

الجهات غير الرسمية التي تقوم بتنظيم وحماية الحياة البحرية في الساحل الأردني

• الجمعية الملكية لحماية البيئة البحرية JREDS وهي جمعية غير حكومية وغير هادفة للربح تأسست عام (١٩٩٥) بهدف الحفاظ على البيئة البحرية واستدامة عناصرها من خلال عدة برامج حماية ومراقبة التنوع الحيوي والدراسات البحرية المختلفة وبرامج التوعية البيئية وكسب التأييد وبرامج التنمية المستدامة. وتعمل الجمعية مع جمعيات الصيادين لإيجاد حلول تضمن صحة وحيوية المجتمعات السمكية في العقبة وضمان دخل طويل الأمد بالنسبة للصيادين من خلال الحفاظ على هذه المهنة المتوارثة في مدينة العقبة.

• جمعية صيادي السمك التعاونية: تأسست عام (١٩٧٥) وتضم (٧٢) عضوا جاء تأسيس الجمعية بهدف تحسين الوضع المعيشي للصيادين وتحسين وتنظيم عملهم حيث تعتبر مهنة الصيد مهنة الآباء والأجداد الموروثة.

• جمعية صيادي ثغر الأردن الزراعية التعاونية: تأسست عام (٢٠١١) وعدد أعضائها (٩٥) بهدف تحسين الوضع المعيشي للصيادين وتحسين وتنظيم عملهم.

أنواع الأسماك التي يتم اصطيادها في الساحل الأردني

تعتبر أنشطة صيد الأسماك في خليج العقبة محدودة كونها تتم ضمن مساحة محدودة، وتستخدم مجموعة من الوسائل التقليدية في الصيد ومنها استخدام القوارب الصغيرة

وشباك الصيد والمصائد واستخدام الخيوط الخاصة بالصيد. أما أهم أنواع السمك التي يتم استهلاكها في العقبة سمك السردينا: وهو من أهم أنواع الأسماك حيث إنها تُشكل الغذاء الرئيسي لمعظم أنواع الأسماك الأخرى والكائنات الكبيرة الحجم، وتعيش هذه الأسماك وتنتقل ضمن مجموعات كبيرة، تستخدم هذه الأسماك كطعم مثل سمك الوزك والبخة. وكذلك سمك التونة: وهي أسماك تتواجد بكثرة ويتم اصطيادها وتتميز بسعرها الرخيص في العقبة، ويمكن اصطياد ثلاثة أحجام من سمك التونة وهي: الحجم الصغير وتعرف بالتونا، والحجم المتوسط ويسمى في العقبة (قمبرون)، والحجم الكبير ويسمى (الفتله) وسمك السيف: وهي من الأسماك الكبيرة وتعيش خلال النهار في الأعماق، وتصعد إلى السطح خلال الليل، وهي من الأسماك المشهورة لدى الصيادين، ويمكن أن يصل طولها إلى مترين.

الطريقة وإجراءات الدراسة:

منهج البحث:

يعرف المنهج بأنه الطريقة لإجراء البحوث وتنفيذها، بينما المنهجية هي العلم والفلسفة وراء كل البحوث.^(٢٨) إن المنهج الأنثروبولوجي -عندما يتم استخدام أدواته بالشكل الصحيح- سوف يؤدي لنتائج تستحق الإشادة العلمية، وهذا المنهج كسائر المناهج العلمية، ومن ثم يقوم الباحث الأنثروبولوجي باستخدام بعض الأدوات ومنها: (الملاحظة، والملاحظة بالمشاركة، والمقابلة، وتاريخ الحياة والسير الذاتية، ودراسة الحالة واستخدام التقنيات الحديثة كآلات التصوير الفوتوغرافي والرقمية).^(٢٩) وتقوم الدراسة الحالية على اعتماد المنهج الإثنوجرافي حيث اشتهر هذا النوع من البحث النوعي لدى علماء الاجتماع والدراسات الأنثروبولوجية حتى أصبح مرادفًا للبحث النوعي. فالإثنوجرافي تعني الكتابة عن البيئة الثقافية لشعب ما أو مجموعة ما تكون وحدة ثقافية، ويهتم بالوصف التفصيلي المتعمق لبيئة ثقافية ما. وقد تكون هذه الثقافة ثقافة مدينة أو مجتمع أو مدرسة أو وصف دراسي أو نحو ذلك من خلال: منهج المسح الوصفي: الذي يعتمد على جمع البيانات الأولية للحياة اليومية لجماعة الصيادين في خليج العقبة ثم معالجتها وتحليلها. وتطبيق المكونات الثلاث (الظروف الأيكولوجية، المكون الديموغرافي، والجوانب الثقافية) ودراستها وتصنيفها. ودراسة الحالة: حيث سيتم اختيار حالة دراسية (صياد عمل في مهنة الصيد فترة زمنية طويلة، "سيرة ذاتية"). وتحليل المضمون

اللغوي والدلالات اللغوية سواء كانت منطوقة (شفوية) أو مكتوبة وما تحمل من دلالات سوسيولوجية - ثقافية.

مجتمع وعينة الدراسة:

يبلغ مجتمع الدراسة (٣٥٠) صيادًا مرخصًا،^(٣٠) إلا أن حوالي (١٩٠) صيادا منهم فقط قد حصلوا على تصريح قانوني بالصيد في عام ٢٠٢٠، مع العلم بأن الصيادين المعتمدين على الصيد كمهنة فعلية لا يتجاوز عددهم (٧٠-٨٠) صيادا تقريبا ويمكن أن يرجع ذلك لعدة ظروف أهمها تذبذب المردود الاقتصادي لمهنة الصيد بشكل عام، وأن البعض يمارس الصيد كهواية أو بشكل متقطع كنوع من الترفيه لهم وأن البعض منهم وخاصة كبار السن يحرصون على الحصول على رخصة للصيد بالرغم من عدم ممارستهم الفعلية للصيد كنوع من التعلق بالمهنة ولأبعاد ثقافية. وتكونت عينة الدراسة من (٥٠) صيادا تم اختيارهم بطريقة قصدية من الصيادين الذين يمارسون مهنة الصيد الحاصلين على تصاريح الصيد وكذلك من الصيادين المتقاعدين من مهنة الصيد.

أداة الدراسة:

لغايات الإجابة على تساؤلات الدراسة تم تصميم دليل مقابلة يتضمن مجموعة من التساؤلات المنظمة والمبوبة، ويتكون الدليل من: (أسئلة مغلقة، وأسئلة شبه مفتوحة، وأسئلة مفتوحة) تغطي تساؤلات الدراسة، مع مراعاة إعطاء المبحوث مساحة من الحرية في التعبير عن رأيه دون تأثير أي (مقابلة غير مقننة-مفتوحة)، ولغايات الإجابة على تساؤلات الدراسة تم إجراء مقابلات مع خمسين صيادا ممارسا لمهنة الصيد وذلك بعد أن تم اختبار دليل المقابلة من خلال مقابلات تجريبية، تم من خلالها حذف بعض فقرات دليل المقابلة لتكرارها بالنسبة للمستجيب وإعادة صياغة بعض البنود وإعادة ترتيب البعض الآخر وقد امتدت المقابلات من (١٠ آذار ولغاية ١٨ نيسان / ٢٠٢١) وقد تمت (الإخباريين - Informants) حيث تم تسجيل مقابلاتهم بطريقة إثنوغرافية سيتم إدراجها ضمن سياق عرض نتائج الدراسة.

نتائج الدراسة ومناقشتها: الخصائص الديموغرافية للصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة:

الجدول رقم (١): الخصائص الديموغرافية للصيادين			
المتغير	فئات الاستجابة	التكرار	النسبة المئوية
العمر	أقل من ٢٠	٢	٤%
	(٢١-٣٠)	٨	١٦%
	(٣١-٤٠)	١٧	٣٤%
	(٤١-٥٠)	١٤	٢٨%
	(٥١ فأكثر)	٩	١٨%
	المجموع	٥٠	١٠٠%
الحالة الزوجية	أعزب	١١	٢٢%
	متزوج	٣٩	٧٨%
	المجموع	٥٠	١٠٠%
الجنسية	الأردنية	٤١	٨٢%
	غير ذلك (فلسطيني، مصري)	٩	١٨%
	المجموع	٥٠	١٠٠%
مكان السكن/ الحي	مناطق سكنية قديمة	٢٠	٤٠%
	مناطق سكنية حديثة	٣٠	٦٠%
	المجموع	٥٠	١٠٠%
المؤهل العلمي	أقل من ثانوية	٣٧	٧٤%
	ثانوية عامة فأعلى	١٣	٢٦%
	المجموع	٥٠	١٠٠%

باستعراض الجدول رقم (١) والذي يتضمن بعض المؤشرات الاجتماعية الأساسية لعينة من الصيادين والبالغ عددهم (٥٠) صيادا ممارسا والذين تمت مقابلتهم وقد تبين أن الفئة العمرية (٢١-٥٠) عاما شكلت ما نسبته (٧٨%) من أعمار الصيادين، فيما بلغت نسبة الصيادين الذين تجاوزت أعمارهم الخمسين عاما فأكثر (١٨%) مما يدل على أن فئة الشباب هي الفئة الممارسة الفعلية للصيد، وربما يدل هذا على أن مهنة الصيد تتطلب مستوى جيدا من القدرة البدنية، أما بالنسبة للحالة الزوجية فتبين بأن معظم أفراد العينة **متزوجون** ويعيلون أسرهم بنسبة (٧٨%)، مما يترتب عليهم أعباء اقتصادية واجتماعية. وبخصوص الجنسية فتبين بأن معظم أفراد العينة يحملون الجنسية الأردنية بنسبة (٨٢%) ولكن من الملاحظ وجود صيادين غير أردنيين من الجنسية الفلسطينية والجنسية المصرية يعملون

بمهنة الصيد ويمكن تفسير ذلك بسبب القرب الجغرافي من السواحل المصرية وكذلك وجود عدد كبير من أبناء غزة هم أصلاً من مواليد مدينة العقبة.

أما مكان السكن فمن الملاحظ أن النسبة الأعلى هي من الصيادين القاطنين في المناطق المنظمة والحديثة نسبياً بواقع (٦٠%)، ويمكن تفسير ذلك التطور على صعيد البنية التحتية وتطوير الأحياء السكنية في مدينة العقبة بشكل عام حيث تمت إزالة جزء منطقة الشلالة ونقل قاطنيها إلى منطقة إسكان الكرامة المحاذية لمدخل مدينة العقبة وذلك في إطار مشروع عام لتطوير المدينة. أما بالنسبة للمؤهل العلمي فقد تبين لنا أن التحصيل التعليمي دون الثانوية العامة هو النسبة الأعلى حيث تراوحت نسبة الصيادين الدارسين لغاية الصفوف الابتدائية إلى الدراسة للصفوف الإعدادية (٧٤%) مقابل (٢٦%) من الصيادين الذين كان تحصيلهم العلمي ثانوية عامة وأعلى مع العلم بأن هؤلاء كانت مهنة الصيد لهم ليست المهنة الأساسية وإن كانوا يمارسونها بشكل متقطع.

ثانياً: الخصائص الاقتصادية للصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة:

الجدول رقم (٢): الخصائص الاقتصادية للصيادين			
المتغير	خصائص المبحوثين	التكرار	النسبة المئوية
المهنة الأصلية	صياد	٢٨	٥٦%
	أعمال حرة	١٧	٣٤%
	موظف	٥	١٠%
	المجموع	٥٠	١٠٠%
المهنة الأصلية للوالد	صياد	٤١	٨٢%
	أعمال حرة	٩	١٨%
	المجموع	٥٠	١٠٠%
امتلاك مركب صيد	أمتلك مركب صيد	٣١	٦٢%
	لا أمتلك مركب صيد	١٩	٣٨%
	المجموع	٥٠	١٠٠%
وجود دخل ثابت من الصيد	ثابت	٥	١٠%
	متقطع	٤٥	٩٠%
	المجموع	٥٠	١٠٠%
وجود دخل آخر غير الصيد	نعم	٢٩	٥٨%
	لا	٢١	٤٢%
	المجموع	٥٠	١٠٠%

ملكية أدوات الصيد	نعم	٣٤	٦٨%
	لا	١٦	٣٢%
	المجموع	٥٠	١٠٠%
تسويق محصول الصيد	بيع مباشر	١٧	٣٤%
	البيع للمساكن والمطاعم	٢٥	٥٠%
	لا يبيع	٨	١٦%
	المجموع	٥٠	١٠٠%

يتبين لنا من الجدول رقم (٢) بعض المؤشرات الاقتصادية حيث أظهر أن ما نسبته (٥٦%) من الصيادين مهنتهم الأصلية هي الصيد والتي يعتاشون منها بشكل مباشر فيما حوالي (٤٤%) منهم يمارسون الصيد إلى جانب مهنة ووظائف أخرى توزعت ما بين الأعمال الحرة كالتجارة وأعمال الصيانة وبعض الأنشطة المرتبطة بالبحر أو الوظائف في القطاع العام أو القطاع الخاص. ويُظهر الجدول أيضا أن معظم المبحوثين كانت وظيفة الوالد الأصلية هي الصيد كونها كانت من أكثر المهن الرائجة سابقا في مدينة العقبة وكذلك لما لها من أبعاد ثقافية وتراثية وقد لوحظ أن الصيادين كانوا يجيبون على هذا البند بنوع من الفخر والتأكيد على "أنا صياد من ظهر صياد" وكذلك "صياد أبأ عن جد" أو "إحنا ولاد البحر" وهكذا. ويمتلك (٦٢%) من الصيادين مراكب صيد منها ما قد ورثوها عن آبائهم أو تم شراؤها بشكل مباشر أو أفساط أو مساعدات من جهات وهيئات مانحة وغيرها، بينما (٣٨%) منهم يعملون على مراكب صيد لمالكين آخرين مقابل حصة محددة، أو يتقاضون أجرا مقابل عملهم على المركب وقد تعود ملكية مركب الصيد للوالد أو أحد الأقارب أو الأصدقاء أو المعارف مع العلم أن (٦٨%) منهم يملكون الأدوات اللازمة للصيد من صنارة وخيوط نايلون وشباك خيشومية وغيرها. وقد أكد (٩٠%) من الصيادين أنه لا يوجد دخل ثابت من الصيد حيث إن الدخل العائد من الصيد متذبذب ويؤثر به عوامل كثيرة أهمها محدودية أماكن الصيد في العقبة وفترات منع الصيد التي يحظر فيها الصيد مثل مناطق الموانئ ومناطق الاستثمارات الفندقية والمناطق العسكرية، كما يحظر الصيد خلال الليل، فيضطر أغلب الصيادين إلى تنوع مناطق الصيد لزيادة الإنتاج على امتداد المناطق المرجانية خاصة في الجزء الجنوبي من الساحل الأردني بينما الباقي يستغلون الجزء الشمالي، وهذا بالتالي يضيف أعباء مالية إضافية على الصياد في البحث عن مناطق بعيدة نسبيا قد تتوفر فيها الأسماك، وهذا ما يسبب تنافسا وتركزا للصيادين في مساحات بحرية صغيرة ومحدودة ويسبب كذلك تهديدا للموارد السمكية والبحرية.

وأهم ما يتم صيده سمك الهامور تليه أنواع الأسماك المتواجدة في المياه متوسطة العمق كسمك الفريدين، وسمك الشعور، وأسماك السلطان ابراهيم والسيجان، وأسماك التونة وأحيانا بعض أنواع الأسماك المهاجرة، مثل أنواع السمك الذي يسمى "الغاطس" وهو الذي يعيش على مقربة من القاع مثل (الشعور والحريد والسيجان والغُبّان). وهناك نوع من السمك يسمى "الطافح" الذي يوجد على مقربة من السطح مثل سمك أبو شرع. أما بخصوص تسويق محصول الصيد فيعاني القطاع من بعض المشاكل في التسويق خاصة وأن (٥٠%) منهم يعتمدون في التسويق على (التربيط مع المسامك): محلات بيع الأحياء البحرية، والمطاعم ولا توجد تسعيرة موحدة لبيع السمك بشكل عام، وما نسبته (٣٤%) يقومون بالبيع المباشر للمستهلك وهذا يعتمد على المعارف الشخصية والتواصي، ولا يوجد تنظيم لسوق الأسماك والأحياء البحرية التي يتم اصطيادها كما أن هناك تنافسا شديدا مع سوق الأسماك المستوردة سواء الطازجة من الدول المجاورة أو المجمدة وبأسعار تنافس السمك الذي يتم صيده من الساحل الأردني. وقد أبدى بعض المبحوثين هنا بعض الاقتراحات قد تساهم في تحسين محصول الصيد منها السماح بالصيد في مساحات أكبر وأعمق وبالتالي يتحسن المحصول من حيث النوعية والكمية وتنظيم عملية الصيد، والحد من الصيد خلال مواسم تكاثر الأسماك، وتحسين وسائل وأدوات الصيد ودعم قطاع الصيد البحري وتخصيص منطقة عرض لتسويق الأسماك والمحاصيل البحرية الأخرى خاصة في مواسم الصيد المعروفة عند أهالي المدينة.

المميزات والتأثيرات الثقافية التي أثرت في البناء الاجتماعي عند الصيادين في الساحل

الأردني المطل على خليج العقبة حيث سيتم مناقشتها من خلال المحاور التالية:

أولا: المعايير والأعراف (العادات)

ثانيا: التعبيرات اللغوية (الشفوية المنطوقة والمكتوبة) وقد تمت مناقشتها من خلال:

-المسميات الخاصة بالبحر

-التعبيرات اللغوية المكتوبة مثل (أوشام على الجسد، أسماء مراكب الصيد)

ثالثا: الإرث الثقافي البحري والتأثيرات الثقافية وسيتم مناقشتها من خلال ما يلي:

-الأمثال والمقولات المرتبطة بالبحر.

-الأغاني والتراث الشعبي.

تقتضي طبيعة مهنة الصيد البحري بأنها مهنة مبنية على التعاون والتواصل في العمل، وإذا حدث لأحد منهم مشكلة أثناء تواجده في البحر (يَهَب/يسرع)) أي يقوم جميع الصيادين القريبين منهم للإنقاذ أو المساعدة، إما بسحب المركب أو تقديم المساعدات من تزويد بالوقود أو الطعام وغيره. وقد بينت الإجابات على هذا السؤال من قبل المبحوثين أن هناك علاقات وروابط جيدة بنسبة كبيرة ما بين جماعة الصيادين في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة حيث تربطهم علاقات تعاونية تساندية في رحلات الصيد على الرغم من أن بعض الصيادين أشاروا إلى أن هناك بعض الخلافات تظهر بسبب قلة أماكن الصيد والتسابق على الأماكن الوافرة بالأسماك.

ومن أكثر العادات التي أكد عليها غالبية الصيادين (التعاون في الأزمات) خاصة أن أي حادث في البحر (يمثل حالة حياة أو موت) على حد تعبير أحد الصيادين، وأن أي واحد منهم معرض لأي حادث أثناء الصيد. ومن الملاحظ كذلك أن هناك تقديراً كبيراً لكبار الصيادين وأصحاب الخبرة ولا يوجد تردد في ذكر مهارة الصيادين الآخرين والتفاخر ببطولاتهم، أما بخصوص حل النزاعات بين الصيادين فيندرج هذا ضمن نسق الضبط الاجتماعي الذي يحدد العلاقات ويصنفها للتوافق على الأعراف التي تنظم العلاقات بين الصيادين فهو يحدد المعايير الرئيسية التي يعتمد عليها سلوكهم في القضاء على الصراعات الداخلية إن وجدت، فنجد حل المشاكل أو المنازعات بينهم يتم على الأغلب بالود والتراضي وذلك عن طريق تدخل وتوسط شيخ الصيادين أو (الريس) فكان يحل النزاعات بينهم ويؤخذ برأيه ومشورته، وأشار أغلبهم بأنهم يلجأون لجمعية الصيادين حالياً في حل أي نزاع أو خلاف قد يحدث داخل الجماعة ويفضلون حل أي نزاع (داخلهم) دون تدخل أي جهة من خارج إطار الصيادين.

ثانياً: التعابير اللغوية (الشفوية المنطوقة والمكتوبة) وقد تمت مناقشتها من خلال ما

يلي:

-المسميات الخاصة بالبحر:

أخذ سير الإجابات على هذا السؤال اتجاهين، الأول: كانت إجابات الصيادين الذين تمت مقابلتهم أن مسميات البحر مرتبطة بالمكان مثل شاطئ (المينا هاوس) شاطئ (التلابيه) أو (الدرة) أو منطقة الفنادق وهكذا، أما الاتجاه الثاني: فكان للصيادين وخاصة الأكبر سناً فقد أوردوا مسميات للبحر مرتبطة بحالاته مثل (أزيب) وهو يصف حالة البحر عندما يكون مضطرباً وأمواجه مرتفعة وهو مرتبط باتجاه الرياح عندما تكون جنوبية، أو جنوبية غربية

وهي حالة ذروة النشاط ويطلق عليها البحارة (الأزيب) ويصل فيها ارتفاع الأمواج من (٣-٤) أمتار وآخر مرة حدث ذلك في شهر آذار/ ٢٠٢٠ وأطلق عليها آنذاك عاصفة (التنين). ومن المسميات المرتبطة بالرياح (الريح كائنة) ويصف حالة الهدوء التي تعقب تغير سرعة الرياح الشديدة مما يشعر السمك بالراحة، ويدفعه للبحث عن غذاء وهذا وقت مناسب للصيد. ومن مسميات البحر والمرتبطة بحالاته أيضا (البحر عكر/ أو يخرج رائحة تسمى (زنخة) أو (كرعة) البحر، ويكون على سطح البحر عكرة بيضاء وهنا يكون الصيد صعبا.

-التعابير اللغوية المكتوبة مثل (أوشام على الجسد، أسماء مراكب الصيد)

هناك ثقافة مادية لدى مجتمع الصيادين والمتمثلة في مراكب الصيد والأدوات التي يستخدمونها في عمليات الصيد، وتوجد أيضا ثقافة لا مادية تتمثل في المعتقدات والمشاعر والأحاسيس والفن المرسوم على مراكب الصيد لمنع الحسد أو جلب الرزق وغيرها، وهناك نمط ترميز ثقافي خاص لما يكتب ويرسم على مراكب الصيد أثناء (السرحه) : أي رحلة الصيد مثل الرموز الوطنية: (العلم، التاج، خريطة الأردن وغيرها)، أو آيات قرآنية وأدعية مرتبطة بالرزق مرتبطة بأسماء الله الحسنى مثل: (يا رزاق يا كريم) أو (قاصد كريم) أو (الرزق من الله والحسد من العبد) يرسم بجانبها شكل (عين) لمنع الحسد وفي بعض المراكب يكتب اسم مالك المركب أو عائلته، بجانب الأدعية والآيات القرآنية مثل (قل أعوذ برب الفلق...) (قل أعوذ برب الناس...) (طريق أو سكة السلامة) أو (على بركة الله / توكلنا على الله)، (سيرى على بركة الله مجراها ومرساها)، والبعض يكتب أسماء أبنائه على المركب للتفاؤل خاصة البنات وهذا بسبب أن البنات تحديدا مرتبطات بالرزق "ولايأجلبن الرزقه" وهذا من الموروثات الثقافية الشعبية وكذلك ترمز للدعاء بالعودة لأهل بيته سالما غانما. هذه الرمزية (Symbolism) يمكن اعتبارها أنها نتاج للتفاعل بين الصيادين بعضهم البعض. والسعي إلى إضفاء معنى على الكيفية التي يفهم بها الصيادون حياتهم الخاصة، وقد تشابهت هذه النتيجة مع نتائج دراسة (طهير، ٢٠٠٦) التي أجراها في الغرب الجزائري حيث خلصت الدراسة أن هناك بنية لغوية عميقة ذات دلالات اجتماعية رمزية بين أفراد جماعة البحارة الصيادين، وأن هناك ذاكرة شعبية لدى البحارة تشتمل بطولات الرحلات وأن هناك قوانين اجتماعية وثقافية تنظم علاقات الجماعة فيما بينها.

ثالثاً: الإرث الثقافي البحري والتأثيرات الثقافية

وهذا ما يندرج تحت التراث الشعبي الذي يحوي كل الفنون والمأثورات الشعبية من شعر وغناء وموسيقى ومعتقدات شعبية، وما يميز مدينة العقبة تأثرها بوجود البحر لتخرج ثقافة متفردة إلى حد ما عن التراث الشعبي الأردني بشكل عام، مع أن هناك تمازجاً بين الإرث البحري والطابع البدوي لقرب العقبة من البادية الجنوبية الأردنية وكذلك تأثرها بالبيئة المصرية والسعودية للقرب الجغرافي.

- الأمثال والمقولات المرتبطة بالبحر:

الأمثال الشعبية وهي من أكثر فروع الثقافة الشعبية أهمية وثراء فهي تعبير عن تجربة شعبية طويلة تصاغ على شكل عبارة وحكمة، ومن خلال الدراسة أظهر أغلب الصيادين معرفتهم بالعديد من الأمثال المرتبطة بالبحر مثل (الحي رزقه حي)، و(ارمي الخيط وعلى الله الصيد) والخيط هو خيط الصيد. والمعنى أن على الإنسان السعي ويتوكل على الله في رزقه. وأيضاً (خيرك في البحر ما يضيع) بمعنى اعمل الخير، ولا تنتظر المقابل، لأن الله هو الذي يجزي على الأعمال الطيبة. ومن الملاحظ أن معظم الأمثال تحضّ على القناعة والرضا بما قسم الله، وتجنب الطمع والمخاطرة. و(كل هوا وله شرّاع) وهو هنا يعني الرياح والمعنى أن كل موقف له أسلوب معين يتماشى مع طبيعته، و(البحر مالح والناس مصالح) أي أن الناس بالإجمال تهمهم المصالح وهي حقيقة كحقيقة ملوحة البحر. و(ميه مالحة ووجوه كالحة). و(الي يصبر على النيني ياكله بلح) والنيني هو البلح غير الناضج ويضرب عند طلب التريث وعدم التسرع في الوصول إلى النتائج بسرعة ودون دراية. وبعد استعراض هذه الأمثال وغيرها الكثير فإنها على الأغلب تدور حول تعزيز القيم في المجتمع مثل الصبر والتواضع والحكمة وعدم التسرع والتي كان يأخذها البحار والصيد من العمل في البحر والابتعاد عن صفات البحر السيئة مثل الغدروسرعة الغضب والتقلب مثل (البحر غدار) وهنا بمعنى ضرورة الحذر والأخذ بالأسباب لأن الحياة كالبحر تغدرو ولا تدوم على حال. فالأمثال عند الصيادين مستقاة من البيئة والتكيف معها، مع البحر والجبل والنخيل والمركب والأسماك وغيرها.

- الأغاني والتراث الشعبي:

توثق الأغاني الأحداث وتواكب مجريات الحياة الاجتماعية والسياسية، ولها دور أساسي في ترسيخ الثقافة، وقد أظهرت نتائج المقابلات أن معظم الصيادين على معرفة جيدة بالأغاني

الشعبية المرتبطة بالبحر حيث ارتبط الفلكلور الشعبي العقباوي إلى حد كبير بموقع المدينة وتأثرها بالطابع البدوي من منطقة رم والديسي والحميمة والقويرة ووادي عربة، وكونها تجاور كلا من مصر والسعودية وفلسطين، ولكن أهم ما يميزه عن غيره هو ارتباطه بالبحر كرقصات (الرفيحي) و(العرضة النجدية)، و(رفحة)، و(خطوة عسير)، و(السامري) وغيرها.^(٣١) وتنتشر في مدينة العقبة ألوان من الأغاني المصاحبة للرقصات وتراقفها إيقاعات آلي (الطار والمرواس) ومرافقة آلة (السسمية) والطلبة مثل: (رقصة العرضة، ورقصة الرفيحي)، وهما من أهم الرقصات العقباوية الأصيلة، وإن كان لهاتين الرقصتين جذور وملاحح حجازية.

ومن أشهر الأغاني العقباوية أغاني تراثية أردنية تم تعديلها وإضافة كلمات عليها لتناسب مع الغناء البحري مع المحافظة على اللحن التراثي الأصلي مثل أغنية (عل اليادي اليادي ياما احلى الصحبية على شطك يالعقة يا عروسة بحرية) ومقطع آخر يظهر فيها التغني بالبيئة المحيطة (همسة بحرك للنخلة بنغمة سسمية، ما احلى قعدتنا سوى على شط المية، يا ناس قلبي هوى بنية عقباوية، ما احلاها بلبس الطرحة ولبس الجلابية، ولما نعود من السرحة تعمل صيادية) ويلاحظ هنا أن الصياد يتغنى ويعتز بحبه للبحر والنخيل، ويصف رحلة الصيد (السرحة). ومن الأغاني المتوارثة التي تغنت بالبحر والصيد على أنغام السسمية (يا ليتني بحار) وأغنية (عقباوية يا خال بحرو صياد أحب الصحبية وأحب الناس، وأصون العشرة لكل الناس وأراعي الود بكل احساس) حيث تشير هذه المقاطع على صفات الصياد العقباوي فهو يحب الناس ويحفظ الصداقة، ومن الأغاني المشهورة كذلك أغنية (هिला يا هिला يا ريس موج البحر هادي الليلة، شدينا الرجال وجينالك نسهر على شطك ورمالك، يا عروسة البحر الأحمر صلينا الفجر ومدينا على الموجة ركبنا وعدينا المركب من صنع ايدينا اشتقنا يا عقة لأحضائك) ومن الجدير بالذكر تشابه هذه الأغاني المواويل مع الأغاني في الساحل المصري وخاصة مينائي السويس ونوبيع.^(٣٢)

الإخباريين – (Informants)

من أجل الإحاطة بالحياة الثقافية والمعيشية التي كان يعيشها الصياد في الساحل الأردني في خليج العقبة تمت مقابلة أحد كبار الصيادين حيث يبلغ من العمر (٧٣) عاما أمضاها صيادا في البحر وورث مهنة الصيد عن والده وأجداده، ويحظى بثقة واحترام الصيادين وبالسمة الطيبة بين الناس، وله دور مهم في جمعية الصيادين وفي إدارة قطاع الصيد في المدينة وتطويره والمحافظة على أصالته وحماية التراث المرتبط به. ابتداءً حديثه بالقول "إن

الصيد غلبان، والرزق قليل وصعب والله يكون بعون الناس" وأضاف أن "وضع الصيد وكميته كانت سابقا أفضل بكثير مما هي عليه الآن، وأن العائد المالي للصيد قد انخفض بشكل كبير عن الماضي، وأن عددا من أنواع من السمك لم تعد تُشاهد في الخليج كالسابق، وكانت المساحات التي يسمح فيها الصيد أكبر بكثير من الوقت الحالي بسبب القيود على الصيد في الساحل الأردني". وأضاف بأن "عملية الصيد كانت قديما تتم بعدة طرق أهمها القصبان؛ وتعتبر هذه الأداة من الأدوات التي كانت تستخدم قديما، ومن الأدوات أيضا (البكرة) وهي تتكون من الخيط الذي يتم سحب السمك من خلاله عند اصطياد السمك عن طريق السنارة، والخيط يصنع من الألياف الطبيعية أو النايلون، يكون الخيط قوي ومتين حتى لا تسقط السمكة أثناء سحبها إلى أعلى، والطعم يوضع في آخر الخيط بحيث يجذب السمك نحوه وعندما تقوم بالاقتراب منه وتبتلعه يتم سحبها على الفور". من خلال المقابلة تم ملاحظة وجود اعتماد كبير أثناء عملية الصيد على الحواس، وكأنها مهنة تقوم على ثقافة الحواس، فالصياد الماهر يتميز بخبرات عالية في معرفة أماكن السمك في البحر وهذا ما أكدته الإخباري "بأن الصياد الماهر يستطيع باستخدام حواسه تحديد المكان الذي يجب أن يقف فيه المركب والاستعداد لرمي أداة الصيد"، فعملية الصيد تعتمد على حواس الصياد وتوقعاته، فهو له نظرة معينة تحدد أماكن السمك في البحر ويمكن إرجاع ذلك للخبرات المتوارثة وتنقل له بالممارسة فهي معرفة ضمنية كامنة غير مكتوبة.

وأضاف "يتميز الصياد كذلك بحاسة شم قوية يستطيع من خلالها أن يعرف في أي اتجاه يتواجد السمك من خلال رائحة الهواء الذي تهب به الرياح المحملة (برائحة الزنخة الصادرة من السمك)" فيقوم الصياد بتركيز حاسة الشم فإذا كانت الرائحة قوية في أحد الاتجاهات دل ذلك على أن هناك تجمعاً للسمك في الاتجاه الذي يحمله الهواء. وبخصوص حاسة البصر وأضاف "من خلال حاسة البصر يستطيع الصياد التعرف إذا كان السمك طازجاً، وعدد الساعات التي ظل فيها السمك دون حفظه بالثلاجة، وعدد الأيام التي بقي فيها مبرداً في الثلاجة". ومن خلال "حاسة اللمس يستطيع معرفة السمك الطازج من غيره من لونه ورائحته ولون العينين ولون الخياشيم". ومن الأمثال المعروفة التي تطلق على الصيادين الماهرين أن الصياد المتمرس "يستطيع تقدير وزن السمكة بمجرد رؤيتها ولهذا يقال (عين الصياد ميزان)". وقد أشار الإخباري بأن الصياد كان سابقا يقوم بعد صيد

السّمك مباشرة بتخزينه وتثليجه على المركب بوضعه بصندوق (فليين) مملوء بالثلج وعندما يعود للشاطئ (يبسّط) بالسّمك الذي اصطاده في مكان (ظله) وكل فترة يقوم بسكب الماء على السّمك حتى لا (يبهت) لون السّمك ويفسد خاصة إذا كان الجو حاراً، أما حالياً فيتم بيع محصول (السرحه) للمسامك والمطاعم بشكل مباشر. وبالعادة يقوم الصياد بالتعاقد "التربيط" مع إحدى المسامك وهذا نوع من العلاقات التعاقدية، يتعهد بموجبه الصياد ألا يبيع سمكه لغير هذه المسمكة، ويتعهد التاجر أن يأخذ كل السّمك الذي يأتي به الصياد، مهما كانت كميته، أي "يجبر عليه" والسعر الذي يحكم هذه العملية هو بالطبع سعر السوق، هذه العلاقة التعاقدية تحقق الفائدة للطرفين سيضمن التاجر ألا ينقطع من أنواع السّمك التي عليها طلب وفي المقابل تمكن الصياد من تسويق محصول السّمك. ومن الجدير بالذكر "أن تقسيم المربح بعد كل (سرحة) كان يتم حسب نظام (خُمس وعُشر) أي عن كل دينار يتم اقتطاع (٣٠) قرشاً: (٢٠) قرش منهم لصيانة المركب وتجهيزه (مصاريف مركب) و (١٠) قرش للماتور (وقود)".

وكانت حدود الصيد سابقاً تمتد إلى منطقة (ضبا) السعودية ولحدود الغردقة وشرم الشيخ في مصر وهذا بقي مستمراً، وتستمر الرحلة أو (السرحة) لعدة أيام وبدون تصاريح إلا أنه حالياً يوجد تضيق كبير على المنطقة المسموح بها الصيد وهي المناطق المقابلة للمحطة الحرارية القديمة وميناء الحاويات والميناء الرئيسي فقط، ويشير كذلك إلى أن سمك (الهامور) من الأسماك المفضلة في السوق العقباوي، ثم سمك (الفردين) والذي يتم صيده من المياه المتوسطة العمق وأسمك السلطان إبراهيم وسمك الفرس وسمك السيجان، وسمك التونة. ويشير كذلك أنه يوجد في العقبة نوعان من الصيد: (نوع يتخذ من الصيد مهنة يعتاش منها الصيادون حيث يبحرون ضمن نطاق جغرافي محدد من قبل السلطة البحرية وسلطة منطقة العقبة، ونوع آخر يصيد لغاية التسلية والترفيه وهو نشاط متقطع يرتبط بمواسم معينة ويعتبر من الأوجه السياحية في العقبة وقد لا يكون في قوارب الصيد وإنما من خلال القوارب ذات القاع الزجاجي أو القوارب واليخوت السياحية). وقد أكد أنه يفضل استخدام الخيوط في الصيد أكثر من الشباك الخيشومية بسبب أن الشباك تضر بالثروة السمكية خاصة، وعند السؤال عن طبيعة العلاقة بين الصيادين فقد أكد أن العلاقات بين الصيادين قديماً كانت علاقات وطيدة تسودها الحميمية والتكافل والتعاقد، كانت عملية التربية والرعاية للأطفال ليس مقتصرًا على العائلة الصغيرة وإنما كانت عملية تمتد للأخوال

والأعمام ربما كان السبب كون الصيد قديما كان يغيب في الرحلة البحرية مدة طويلة مما كان يترك عبء التربية على الأسرة الممتدة خاصة وأن العائلات كانت تسكن في أماكن متقاربة، لهذا ينتشر في العقبة ولغاية اليوم اسم المنادة (يا خال) يعود للمكانة الهامة التي كانت للخال في التنشئة الاجتماعية. فالعدد كان قليلا (والكل يعرف الكل) يجمعهم حب بل عشق البحر و"البحر لديهم هو الهواء الذي يتنفسونه"، وعند سؤاله كيف علاقته بالبحر وهل يشعر بالحرية في البحر أجاب: "علاقتي بالبحر تشبه علاقة السمك بالماء" "الصيد لا يستطيع البعد عن البحر ومن البحر تكونت شخصيته وشعوره بالحرية" "ففي البحر حياة الصيد".

وقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

١. أن فئة الشباب هي الفئة الممارسة الفعلية للصيد، وربما يدل هذا على أن مهنة الصيد تتطلب مستوى جيدا من القدرة البدنية وبذل الجهد كونها مهنة تتطلب قوة وجهد بدني وأن معظمهم متزوجون ويعيلون أسرهم ويقيمون في مناطق حديثة نسبيا بسبب التطور على صعيد البنية التحتية وتطوير الأحياء السكنية في مدينة العقبة بشكل عام.
٢. أكثر من نصف أفراد العينة قد تعلموا مهنة وتقنيات الصيد البحري من خلال الأسرة سواء من الوالد أو الأشقاء أو الأقارب بشكل عام وهذا ما يتماشى مع أن مهارة مهنة الصيد تنتقل من جيل لآخر بطريقة متوارثة، وهذا ما ساهم بإدخال ثقافة مهنة الصيد على ثقافتهم لتؤثر في مختلف أوجه حياتهم الاجتماعية والاقتصادية وقد تشابهت هذه النتيجة مع نتائج دراسة أحمد طهير (٢٠٠٢) التي أجراها في الغرب الجزائري حيث خلصت الدراسة إلى أن اكتساب حرفة الصيد البحري يأتي عن طريق الوراثة حيث إنها تنتقل من جيل لآخر.
٣. أن أغلب الصيادين ما زالوا يستخدمون وسائل وتقنيات الصيد التقليدية من شباك وخيوط النايون، أي أن نمط الصيد في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة ما زال نمطا تقليديا وهذا ما تشابه مع نتائج دراسة فاتن الحناوي، (١٩٩١) حيث كانت أهم نتائج دراستها أن هناك نسقا تقليديا ما زال مسيطرا على تقنيات الصيد في ميناء الإسكندرية.
٤. مهنة الصيد في العقبة مهنة متوارثة حيث إن أغلب صيادي الساحل الأردني المطل على خليج العقبة هم صيادون "أبا عن جد" ويمكن تفسير ذلك كونها مهنة ذات متطلبات مهنية بسيطة وتنظيم العمل فيها تقليدي، وكشفت الدراسة عن وجود ذاكرة شعبية لدى صيادي الساحل الأردني المطل على خليج العقبة متعلقة بالتعبير اللغوية الشفوية حيث يتم

استحضار صورة البحر الذي ارتبط بحياة الصياد وثقافته حتى أصبح الصياد لا يستطيع العيش بمعزل عنه.

٥. عند تطبيق رؤية جوليان ستيوارد (Steward) لمفهوم الأيكولوجيا الثقافية (Cultural Ecology) في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة تبين أن هناك تشابها ثقافيا وتقنيا في بيئات مشابهة للبيئة الساحلية لخليج العقبة أنتجت نمطا أيكولوجيا للتكيف مع البيئة الساحلية الصحراوية: فهناك تشابه بطرق وتقنيات الصيد في السواحل المطلّة على خليج العقبة مثل ميناء ضبا السعودي ومينائي نوبيع والسويس في مصر إضافة إلى السواحل اليمنية والدليل أنه كانت هناك رحلات مشتركة ما بين الصيادين الأردنيين والسعوديين كما ذكر أحد الإخباريين وكانت تستخدم فيها تقنيات وأساليب صيد متشابهة مثل خيوط النايلون والصيد بالسخوة تتناسب مع البيئة الساحلية الصحراوية.

وفيما يلي بعض التوصيات التي قد تساهم في تحسين واقع الصيد البحري في الساحل الأردني المطل على خليج العقبة ويعود بجدوى اقتصادية على القطاع:

١- السماح بالصيد في مساحات أكبر باتجاه المياه العميقة وبالتالي يتحسن الصيد من حيث النوعية والكمية.

٢- تنظيم عملية الصيد والحد منه خلال مواسم تكاثر الأسماك، وتحسين وسائل وأدوات الصيد

٣- دعم قطاع الصيد البحري وتخصيص منطقة عرض لتسويق الأسماك والأحياء البحرية الأخرى، خاصة في مواسم الصيد المعروفة عند أهالي المدينة ضمن إعداد احتفاليات ثقافية تدعم المدينة تراثيا واقتصاديا وتشجع السياحة.

٤- تحسين تقنيات الصيد عن طريق الاهتمام ببرامج التدريب والإرشاد لرفع مهارات الصيادين المهنية وتوعيتهم بأساليب وطرق الصيد الحديثة الصديقة للبيئة.

٥- وضع تشريعات وتعليمات تنظم الصيد، وتوفير جهات داعمة تقدم التسهيلات لصغار الصيادين ومساعدتهم في الحصول على قوارب أو معدات صيد بقروض ميسرة.

الهوامش:

- (1) Denis Cuche, The Concept of Culture in the Social Sciences, translated by Munir Al-Saeedani, Arab Organization for Translation, Center for Arab Unity Studies, (2004), (P.39).
- (٢). سامية محمد جابر، علم الإنسان، مدخل إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٩١، ص ٦٩
- (٣). إميل دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة محمود قاسم والسيد محمد بدوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨، ص ١٧٧.
- (٤). أنتوني جديتز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص ٨٢
- (٥). ياس خضر عباس العباسي، جولييان ستيوارد ومعاينة الأيكولوجيا الثقافية— بحث في الأنثروبولوجيا، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥، ص ١٣
- (٦). ابن خلدون، (توفي ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، مقدمة ابن خلدون، الباب الاول، دار القلم بيروت، الطبعة (٤)، ١٩٨١.
- (٧). محمد حامد يوسف، علم الاجتماع: النشأة والمجالات، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص ١١٨
- (٨). الطاهريليب، سوسيولوجيا الثقافة، عيون المقالات، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٦، ص ٥٧
- (٩). عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧١، ص ٢٦
- (١٠). إيمان علي مصطفى الخولي، الأيكولوجيا الثقافية - اسلوب منهجي: بحث في الأنثروبولوجيا البيئية وتطبيقاتها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بني سويف، مصر، ٢٠٠٧.
- (١١). عدنان أحمد مسلم، محاضرات في الأنثروبولوجيا (علم الإنسان)، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة (١)، ٢٠٠١، ص ١٥٨
- (١٢). محمد الزبدة، ورائد الجواسرة، ومحمد بدران، الخصائص الإقتصادية والاجتماعية لواقع الصيد وصيادي الاسماك في خليج العقبة، الأردن، (٢٠١٨).
- (١٣). كريمة بورحلي، التلوث البحري وتأثيره على البحارة، دراسة ميدانية بميناء الصيد (بوديس- جيجل)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر. (٢٠١٠)
- (١٤). منسي الجمل، مجتمع الصيادين في قرية الجبيل بجنوب سيناء — دراسة مقارنة في الجغرافيا الاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المنيا، مصر. (٢٠٠٤).
- (15) The Regional Authority for the Preservation of the Environment of the Red Sea and Gulf of Aden (PERSGA). The Current Status of Living Marine Resources and Their Management in the Red Sea Region and the Gulf of Aden, (2003)

- (١٦). أحمد طهير، التعابير الشفوية الخاصة البحارة الصيادين، صبادو غزوات نموذجاً، — دراسة أنثروبولوجية- رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، ٢٠٠٢.
- (١٧) عبد الله ولد احمد فال، تطور قطاع الصيد البحري والتغير الاجتماعي في موريتانيا من سنة ١٩٧٠-١٩٩٢، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تونس للآداب والفنون والعلوم السياسية، تونس ١٩٩٥.
- (١٨) فاتن أحمد الحناوي، بعض ملامح التغير في تكنولوجيا الصيد، دراسة أنثروبولوجية بمحافظة الاسكندرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، مصر، ١٩٩١.
- (19) Farr, R.Emily, Stoll, S Joshua (2018). Effects of fisheries management on local ecological knowledge, University of Maine, Journal of Ecology and Society, Volume 23, NO. 3
- (20) Mccaskey, G. Cynthia, (2012). Fishermen, Politics, and Participation: An Ethnographic Examination of Commercial Fisheries Management in St. Croix, U.S. Virgin Islands, Department of Anthropology College of Arts and Sciences University of South Florida, Ph.D. thesis, January.
- (٢١) الإحصاءات الأردنية العامة، (٢٠٢٠)، أعداد السكان المقدرة للمملكة حسب المحافظة والتجمع والجنس والاسر مديرية المسوح الاسرية والسكانية، (Directorate of Family and Population Surveys).
- (22) Plahn, Olaf, Baschek, Burkard, Badewien, H. Thomas, (2002): Importance of the Gulf of Aqaba for the formation of bottom water in the Red Sea, Journal of Geophysical Research: Oceans, Volume 107, Issue 8, Publishing, Inc, UK, 2006
- (٢٣) وزارة البيئة، "التقرير الوطني الرابع حول تنفيذ اتفاقية التنوع الحيوي"، عمان، الأردن، (٢٠٠٩).
- (٢٤) قانون منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة وتعديلاته رقم ٣٢ لسنة ٢٠٠٠ المنشور على الصفحة ٣٤٢٣ من عدد الجريدة الرسمية رقم ٤٤٥٣ بتاريخ ٢٠٠٠/٨/٣١
- (٢٥) نظام حماية البيئة في منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة رقم (٢١) لسنة ٢٠٠١ الصادر بموجب قانون المنطقة الخاصة.
- (٢٦) نظام متزه العقبة البحري رقم (٢٢) لسنة ٢٠٠١ الصادر بموجب قانون المنطقة الخاصة.
- (٢٧) الجمعية الملكية لحماية البيئة البحرية (JREDS)، الدليل الاستراتيجي الوطني للإدارة المتكاملة للمناطق الساحلية في العقبة، منشورات الجمعية الملكية لحماية البيئة البحرية. (٢٠١٦)
- (28) John, Adams, HTA Khan, R Raeside, DI White: Research methods for graduate business and social science students, (2007).
- (29) Bernard, Russell. Research Methods in anthropology, The Rowman & Littlefield Publishing, Inc, and UK. (2006) . p251.

- (٣٠) Tubaishat, Khulood, The Regional Organization for the Conservation of the Environment of the Red Sea and Gulf of (٢٠١٠). Aden, The Royal Marine Conservation Society of Jordan (JREDS),
- (٣١) عبد الله خالد المنزلاوي، التاريخ الثقافي في العقبة، دار الاسامة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى، ٢٠٠٤. ص ١٢٥.
- (٣٢) محمد غوانمة، الأزوجة الأردنية، مطبعة الروزنا، عمان. (١٩٩٧)

ظهور الارهابيين في سوريا الاسباب والآثار

د. عيسى أحمد عيسى الشلبي* د. بشير تري كريشان**

د. محمد صالح جرار***

تاريخ وصول البحث: ٨/٤/٢٠٢١ م تاريخ قبول البحث: ٢١/٦/٢٠٢١ م

الملخص

احتلت ظاهرة الجماعات الإرهابية المسلحة ومخاطرها وتداعياتها المستقبلية أهمية كبيرة على المستويين الإقليمي والدولي، حيث اقدمت هذه الجماعات على ارتكاب جرائم ممنهجة، وقتلت العديد من السوريين والأجانب في سوريا وخارجها. وقد ضمت الجماعات المسلحة عدة تنظيمات أهمها تنظيم الدولة الإسلامية الذي كان الأكثر وحشية والأكثر عددا وتنظيمًا، وكذلك تنظيم جبهة النصرة الذي تغير اسمها الى فتح الشام بالإضافة الى التنظيمات الإيرانية وغيرها.

هدفت الدراسة إلى التعرف على أسباب وأثار ظهور الجماعات الإرهابية في سوريا، واتبعت الدراسة منهج الدراسات النوعية واعتمدت المنهج الوصفي، وتوصلت إلى أن أهم أسباب وجود هذه التنظيمات هي الصراع والفوضى في سوريا، والذي جاء نتيجة القمع الذي مارسه السلطات السورية على المطالبين بالحرية والعدالة، كما توصلت الى أن أهم العوامل التي تجذب الأفراد للالتحاق بهذه الجماعات الفقر وطلب على الأمان. أما عاطفياً، فإن معظم هذه الجماعات تتبنى شعارات دينية توهم الأفراد بوجودها من أجل نصرة الدين أو الطائفة. وأدى ذلك إلى ظهور الطائفية وازدياد الاضطرابات، والقتل على أساس طائفي.

*أستاذ مشارك، قسم الاعلام والدراسات الاستراتيجية، كلية الآداب، جامعة الحسين بن طلال.

**أستاذ مساعد، قسم الاعلام والدراسات الاستراتيجية، كلية الآداب، جامعة الحسين بن طلال.

***أستاذ مساعد، قسم الاعلام والدراسات الاستراتيجية، كلية الآداب، جامعة الحسين بن طلال.

Terrorists Emergence in Syria Causes and Effects (Analytical / Explanatory) Study

Issa Al_Shalabi

Bashir Kreshan

Mohamad Jarar

Summary

The phenomenon of armed terrorist groups, their dangers and future repercussions have received great importance at the regional and international levels. These groups have committed systematic crimes, and have killed many Syrians and foreigners in Syria and in other countries. Where these groups committed systematic crimes, killing many Syrians and foreigners inside and outside Syria. The armed groups included several organizations, the most important of which was the Islamic State, which was the most brutal, most numerous and organized, as well as the Al-Nusra Front, which changed its name to Fateh al-Sham, in addition to the Iranian and other organizations.

The study aimed to identify the causes and effects of the emergence of terrorist groups in Syria, the study followed qualitative studies approach and adopted descriptive methods. The study concluded that the most important reasons for the existence of these organizations are the conflict and chaos in Syria, which came as a result of the repression practiced by the Syrian authorities against those demanding freedom and justice. The study also concluded the most important factors that attract individuals to join these groups are poverty and a demand for safety. Emotionally, most of these groups adopt religious slogans that delude individuals into their existence in order to support the religion or sect. This led to the emergence of sectarianism, increased unrest, and sectarian killings.

Introduction:

It is believed that the most important causes of the Syrian crisis are tyranny, widespread corruption, economic stagnation and poor living conditions. In addition to the political and security constraints and the impartiality of the elections, the dominance of the ruling elite on the financial and business community, cronyism and bribery, and the violence of the Syrian regime.

The power in Syria, like many Arab republics, takes care of the fictitious democracy and electoral processes in which the results are known in advance and the ruler has an irrevocable and unquestionable rule. Due to the iron-fisted nature of power, the 2011 protests in Syria were confronted with weapons, leading to militarization and armed conflict, and peaceful demonstrations turned into civil war. Syria has witnessed one of the most serious challenges in its modern history, represented by a socio-political crisis that escalated into an armed conflict⁽¹⁾.

With the development of the rebels' military power and their control over many areas in Syria, dozens of contradictory organizations and militias have emerged, some characterized by legitimate resistance against a reactionary totalitarian regime such as the FSA and its various factions, and some terrorist fabric in itself, which does not mean the idea of the homeland and the Syrian state.

The emergence of terrorist groups is usually due to the power vacuum, or the absence of the government or any central authority, such as in Syria, where ISIS filled the power vacuum, and then played the role of the government. The organization seized power and took the place of government, wooed the youth and re-created the spirit of the community, of which we all, as human beings, strive to become members.

These groups influence minds through brainwashing, especially in marginalized groups, restricting the information that reaches them, and helping them create a new identity. The truth of the matter may be that these groups take advantage of people's

laziness to think logically, giving these people easy answers, empty slogans, and simplified solutions to everything⁽²⁾.

The study Problem:

The various terrorist groups that have emerged in Syria for various reasons and purposes. Some of these groups claimed that they aim to change the Syrian regime, some of which claimed that they seek to establish an Islamic state. They have attacked the Syrian people and attacked each other, That caused to justify the Syrian regime's war against revolutionaries as a war against terrorism. It thus contributed significantly to the restoration of the Syrian regime's lost positions, and to its re-establishment of most of Syria.

This raised the problem of the current study, which focuses on answering the following questions:

- 1)What are the causes of terrorists' emergence in Syria.
- 2)What are the effects of terrorists' emergence in Syria.

Terrorist group:

A terrorist group known as any group, association, organization or gang of at least three persons, irrespective of their legal, factual form or nationality, aimed to committing one or more crimes of terrorism⁽³⁾.

Whereas, A terrorist known as any person who commits, attempts to commit or plans to commit a terrorist crime by any means, and contributes to this crime in a common criminal context⁽⁴⁾.

Reuter showed that the concept of a "foreign terrorist fighter" (FTF) has been controversial in recent years, often used to refer to individuals who have traveled from their countries of origin to other countries to participate in or support terrorist acts, including in the context of armed conflict, especially in Syria⁽⁵⁾.

Terrorist threat in Syria:

The Syrian crisis is considered one of the biggest crises that occurred in the modern era in terms of the size of destruction and the number of victims, it is also the longest crisis that occurred in the crises of the Arab Spring. It is a crisis that began with peaceful protests from a people demanding freedom and justice and soon became an armed conflict because of the Syrian regime's bloody reaction to these protests. As the protests began, dozens of armed movements began to form, under several names, all of which joined the ranks of the opposition to the regime of President Bashar al-Assad. Since the start of the Syrian revolution, radical Islamic slogans have emerged. Slogans radical Islamic described the Syrian regime and his opponents as an infidel. Which removed many components from the scene, including the leftists.

In the midst of this chaos, security and political vacuum, and due to the releasing of hundreds of detainees in connection with terrorist cases by the Assad regime, jihadi factions have emerged, the most important of which are: Jaish al-Islam, Ahrar al-Sham, Saqour al-Sham and Al-Nusra, Legion of the Levant, Jund al-Aqsa, Army of the Sunnis, and ISIS.

The Terrorists emerged amid deepening sectarianism in Syria and Sunni Muslim anger around the world over the treatment of the minority-led regime and their followers. Most Syrian fighters were not politically active before the revolution, nor did they have strong or coherent ideologies or belief systems. Many Overwhelmed was and essentially besieged and displaced, they are naturally attracted to groups that win battles and pay salaries. This is a direct result of Jihadists' access to funding, weapons, and skilled fighters, compared to the Syrian nationalist opposition⁽⁶⁾.

These terrorist groups recruited people from all over the world, exchanging criminal weapons and generating collective planning to produce terror in the

country⁽⁷⁾. Large swaths of land, resources and people in Syria were opened to capture by multinational jihadists⁽⁸⁾.

Thus, Syria faced a systematic destruction of its infrastructure, the killing of its children, and grave human and moral violations are a clear form of "terrorism." Terrorism has spread in Syria because of regional and international support that has provided it with weapons, funding, propaganda, recruitment, and sponsorship. This has led to a loss of confidence in the government's ineffective policies and a social structure whose symptoms have been manifested by sudden events and deliberate targeting of the structure of the Syrian state⁽⁹⁾.

The Terrorists' Objectives in Syria:

In analyzing the reasons for the emergence of terrorist groups in Syria, it is necessary to analyze the results of their presence

The Terrorists in Syria seek to a) Produce widespread fear. b) Obtain global, national or local recognition of their cause by attracting media attention. c) Harass, weaken, or embarrass government security forces so that the government overreacts and appears to be repressive. d) Steal or blackmail money and equipment, especially weapons and ammunition vital to run their collection. e) Destruction of facilities or disruption of communication lines. f) Discourage foreign investment, tourism or assistance programs that can affect the country's economy, and g) Influence government decisions, legislation or crucial decisions⁽¹⁰⁾.

Islamic State (ISIS):

The exacerbation of the battles on the ground and the spread of the chaos of weapons as a result of the weakness of the Syrian political opposition and their inability to unite and play an important military and political role. A fertile environment that attracted radical ideological forces that usually grow in an environment of gun chaos, in which an organization called the Islamic State in Iraq and the Levant was established. "Which first appeared in April (2013)⁽¹¹⁾.

The terrorist group presented itself as the result of the merger of Islamic militant organizations on the ground. On June 29, 2014, a spokesperson for the "Islamic State" announced the establishment of what he called the Islamic state, and the organization's leader, Abu Bakr al-Baghdadi, was pledged to the state's leadership⁽¹²⁾. That organization began by deceiving all the Islamic fighting parties in Syria, where it presented itself as an Islamic state based on justice and equality, in a meeting of a group of leaders of warring groups in the Syrian city of Aleppo.

Islamic state (ISIS) became the most famous and deadliest terrorist groups that has emerged in Syria achieved many strategic objectives, through its control of the entire border with Syria and the abolition of the border between, where this process constituted a major historical event, and raised many questions about this terrorist group⁽¹³⁾.

Oosterveld & Bloem claims that ISIS seemed to appear suddenly and without anything. Although the organization did not appear in a linear fashion, it is clear that ISIS is a distinct product of its time, geography, and circumstances; it originated from convulsions in the war in Iraq (2003-2011), Arab revolutions (2010 to date) and the civil war in Syria (2011 to date)⁽¹⁴⁾.

At the same time, the Syrians in most conflict areas were feeling unjust by the central government that was killing them and destroying their neighborhoods due to their ambition to topple the existing regime that ruled Syria with iron hand. Consequently, the people received ISIS with welcome and joy not because of their faith and mission, but because of their desire to get rid of existing regime in Damascus.

When ISIS raised its black flag over the Syrian city of Raqqa in early 2014, it began to move from an important regional player to a frightening global threat. By the end of that year, it had captured vast tracts of land in Iraq and Syria, creating a country the size of Britain. ISIS is the largest entity joined by thousands of people from more

than 80 different countries. This enormous combination raises questions about how these people joined in one place, how they arrived, how they were invited and how they worked in one land despite the different languages of these people. Where, in general, there have been many terrorist attacks across Syria including in major cities, resulting in large numbers of casualties⁽¹⁵⁾.

The terrorist organization's ideology was partially influenced by the unique policy force in Iraq, the sectarian component of this strategy was of particular importance and the organization's speeches were honed by anti-Shi'ite discourse based on historical Islamic theorists. More broadly, ISIS is the product of broader globalization trends that emphasize tensions between religiosity and modernity, as well as growing Islamist militancy.

ISIS has targeted a wide range of places, including official facilities, airports, border crossings, public transport and urban spaces such as public squares, hospitals, places of worship and educational institutions. Attack methods included shootings, bombings, suicide bombings and car bombings. Terrorist groups have also claimed responsibility for kidnappings in Syria⁽¹⁶⁾.

In fact, the terrorist organization's tendency to kill and abuse, carry out criminal acts and seize sites of the Syrian opposition and not to recognize any other armed group or group led to its separation from other armed organizations, especially the Al-Nusra Front, which refused to integrate immediately, especially after the organization announced its objection to the authority of al-Qaeda leader Ayman al-Zawahiri and refused to respond to his call to focus on Iraq and leave Syria to the "Nusra Front", which led to clashes and battles between the loyal Al-Nusra Front and ISIS, in January 2014 and remained ongoing for a long time⁽¹⁷⁾.

These armed groups have worked to kill and seize areas and plunder their wealth, as well as to terrorize the population by means of mass executions of civilians, which spread panic and led to an increase in their hegemony over large areas of Syrian and

Iraqi lands and announced the opening of the borders between the two countries after he mysteriously seized a city Mosul in Iraq, and over Syria's Raqqa governorate, which it took as its main bastion, and the organization now controls about half of Syria's area and 80 percent of its oil and gas resources ⁽¹⁸⁾.

The proliferation of Islamic armed groups and their carrying out of terrorist acts that included all groups and spectrums provided an indirect service to the regime in Damascus, as it confirmed what the regime announced at the beginning of the crisis as the presence of armed groups, and this led to directing international efforts to combat extremist terrorism as a priority, and led the media to direct the actions of extremists and reduce From attacking the Syrian regime, and in that regard, the regime received Russian support in addition to the Iranian, and to you in response to President Al-Assad's request, which he said needed human and armed support to fight terrorist groups that aim to destabilize the security and stability of the Syrian state and threaten its neighbors ⁽¹⁹⁾.

Terror attacks also hit America and Europe, especially France, which suffered more from terrorism than any other country. After the bloody attack on the Charles Hebdo newspaper in January 2014, terrorism again struck France in November 2015, which killed 135 people. Eight months later, France suffered another terrorist strike in July 2016, when 84 people were run over during the celebrations of France's National Day in the city of Nice on the shores of the Mediterranean ⁽²⁰⁾.

All of this led to a shift in Western attitudes and priorities with regard to Syria. After the Western media was full of statements threatening and threatening the Syrian President to step down and continue to develop red lines for him, those statements began to address terrorism and terrorist groups, which was called and promoted by the Syrian regime since the beginning of the crisis. That turned pressure on the Syrian regime as a secular system, and directed to terrorism and confronting it

as an ideology that represents a security threat that spreads among Muslim youth in all countries.

These brutal actions by ISIS have also created a desire in Syrian and Arab society in general to get rid of these groups and a change in the priorities in Syria that were to topple the regime and turned into a priority to get rid of those groups that, according to Al – Hyari It resulted ⁽²¹⁾:

- Killing human lives without sin or reason.
- Waste money and destroy property.
- Spread fear and terror in people.
- Disobedience and rebellion against the president.
- Spreading chaos in the country.
- Sectarian discrimination.

The secrets of the ISIS power in Syria

ISIS is characterized by:

Transcendental origin: ISIS did not pass the embryonic stage in the establishment, but he slipped his cadres from an active organization on the ground, which is "Al Qaeda".

This trait gives him a continuous human supply from the stores of extremism, groups of young people who believe in the idea of jihad and atonement scattered all over the world, and as soon as there is an opportunity to join the alleged Caliphate state. They crawl to it, and whatever the starting point, they will find agents and facilities, enabling them to reach Syria.

It is an organization born in an acute conflict moment, in which the map of the new multipolar world order is formed, and the Syrian scene has become a field for proxy wars, using all available methods, including direct and indirect employment of the ISIS organization.

Organizing coherent creed in exchange for fragmented or frustrated and desperate fighting doctrines.

Suspiciously and suspiciously own self-financing sources, with the fastest time and the lowest cost. Varying between control over water and oil wealth, grain production areas, the proceeds of kidnapped ransoms, the proceeds from the sale of antiquities, and transit fees for goods and individuals to and from the areas they control.

Brutality in managing daily life: Where scenes of murder and its brutal methods provide a message to the local community and the world, what it means to avoid being such a terrible killing. You have no other way but to express your total loyalty to the organization.

In this way, large numbers of the Syrian poor were forced to join the ranks of this organization.

The demographic and social structure of terrorism in Syria

The Syrian citizen, a victim of the ongoing war, is crushed between staying within what it destroys and between resorting to an outside that wants to utter or exploit it inhumane. In any case, the Syrians from the places of conflict and war can be divided into three categories ⁽²²⁾.

The poor refugees have settled in the camps of Jordan, Lebanon, Turkey and Iraq, as this is the most that they can achieve, and from the camps young people are forced to leave and flee, to face a society ready to prey on them. Where the male workforce is harnessed at a low price, while the girls are drawn into the entertainment and fancy trade or begging gangs.

As for the middle classes of refugees, they were able to seek refuge in Europe and some Arab countries such as Egypt, Algeria, and Morocco. It is understood that Egypt imposed an entry visa for the Syrians at the end of 2013, and a few days ago, Morocco followed the same procedure.

The sector of the landless and the marginalized who do not have the ability to leave Syria, or are locked in areas far from the borders and need exorbitant costs to cross between the areas of influence of the aforementioned organizations, as these all fall prey to armed organizations, either join loyalty or murder and the captivity of women.

ISIS, and the al-Nusra Front, have developed a system for the pledge of these marginalized people, called the pledge of war against Bashar, that differs from the pledge of allegiance to the caliphate, and each type of pledge of allegiance has its returns. The vendor selling the war in ISIS receives the equivalent of \$ 400 per month. If the caliphate pledge, it will triple.

Between the Syrian interior and the neighboring countries, all gangs of human smuggling, weapons, antiquities, and oil operate a movement of a black economy that feeds on the rest of the grieving Syria.

War on ISIS:

These actions led to the emergence of an international coalition against ISIS led by the United States of America and which included sixty countries, including many Arab countries and launched air strikes against the Islamic State (ISIS) ⁽²³⁾.

A US-led coalition began air strikes against ISIS in Syria and Iraq in 2014. In October, the United States called the campaign a "deep-rooted solution." Over the next year, the United States conducted more than 8,000 air strikes in Iraq and Syria. ISIS suffered significant losses along the Syrian border with Turkey, and by the end of 2015, Iraqi forces had made progress in retaking Ramadi.

Nevertheless, in Syria, those strikes were ineffective on the ground and did not have a direct impact on the terrorist group; ISIS made gains near Aleppo, taking Raqqa and other strongholds ⁽²⁴⁾.

ISIS continued to dominate many Syrian areas until the end of 2018 and the beginning of 2019, when President Bashar al-Assad's forces, as well as Russian and

Iranian forces, began several air strikes on those areas, killing many innocent people until they took control again. Thus, it was officially considered that the domination of ISIS over the Syrian areas had officially ended⁽²⁵⁾.

According to Welle, on March 1, 2019, Syrian forces began a battle for control of the town of Baghouz in the eastern countryside of Deir Ezzor, the last ISIS stronghold in the east of the Euphrates. "Our forces have begun military action and clashing with terrorists to complete the liberation of the (last spot) for good," the head of the media office of the Syrian forces said in a tweet. "The attack began after our forces completed the evacuation of civilians from Baghouz and the liberation of our fighters who were kidnapped by ISIS, leaving only the terrorists in Baghouz" He said. He explained in a statement to AFP "The attack began at six o'clock and will end when the last ISIS ends," pointing out "heavy weapon shelling has begun"⁽²⁶⁾.

Related Literature

Many studies focus on terrorist group in Syria none of them analysis their reasons and objectives; The study of Ruiz et al⁽²⁷⁾ aimed to offer policy-makers and researchers a new analytical tool to study the impact of terrorism on the Deglobalization process of any Muslim country. The study results showed that terrorism can generate a devastating effect on the increment of poverty, massive refugee's, trade closeness, a several economic degrowth. At the same time, the increment of poverty, massive expansion of refugee's domestically and internationally, extension of trade closeness, a several economic degrowth are going to generate huge impact on the faster Deglobalization in the short and long run.

The study of Jasko et al⁽²⁸⁾ aimed to analyze the phenomenon of ISIS and its unique history through the lens of general social psychological principles that might have contributed to its stunning-even if only temporary- success. The study suggested that ISIS represents a special case of a radical group born of the conjunction between psychological needs, an ideological narrative, and a

networking process. The study described the details of ISIS's evolution and operation in order to shed light on this threatening movement.

The study of Yılmaz⁽²⁹⁾ aimed to examine the reasons that trigger women to join ISIS and the promises of ISIS for women. The study results showed that ISIS differs from other extremist organizations in terms of its impact on women and specifically, the number of female militants it has recruited from the West. Such high numbers of women joining ISIS is striking when considered in the face of the fact that ISIS well known to be involved in rather oppressive and barbaric practices in territories under its control.

The study of Tani⁽³⁰⁾ aimed to assess the dangers that Islamic State returning foreign fighter youths pose to the domestic security of the United States. The study results found that avenues exist for youth fighters indoctrinated and socialized by the Islamic State to plan, conduct, and execute terrorist operations in the United States. In addition, youth fighters of the Islamic State share similarities with the child soldiers of other armed groups that influence whether they will have the propensity to engage in future terrorist attacks.

These findings have long-lasting implications for U.S. domestic security.

Conclusions:

The groups in Syria have resulted in the dispersion of the Syrian revolution, and they justified the Syrian regime's fierce war against the rebels under the pretext of fighting terrorism and in fact, Terrorist groups saved the Assad regime from falling. The flow of foreign fighters into these groups fueled the conflict and contributed to the spread of violent extremism.

Terrorist groups justified the intervention of the countries supporting the Syrian regime and waged wars against the rebels, they did not fight Assad regime.

The presence of terrorist groups led to Iranian interference in Syria at the request of the Syrian regime. The start of the massive expansion of the Iranian military

presence dates back to the beginning of 2012, when Iranian-backed militias began supporting the regime forces in their confrontations with the factions and groups that were formed in Syrian cities and towns to resist the actions of the regime. When officers from the Iranian Revolutionary Guards began to help, support and advise the regime (31). Since that time, Iranian forces and militias have maintained a large presence inside Syrian territory, and have taken control of military and civilian sites, and have monopolized the administration of some neighborhoods and towns in terms of security, and have also taken root within the regime's security and military apparatus, thus becoming one of the main forces controlling the country, albeit in the name of Bashar al-Assad's regime.

Terrorist groups also served Russian interests in the region, justifying Russia's intervention in Syria to fight terrorism, which led to the expansion of Russian influence in Syria and the region in general.

Terrorist groups have also increased US arms sales and control of fortunes as a result of the fear of many of Syria's neighbors about terrorism and its spread in the region and they sought help from USA.

It is noteworthy that the biggest beneficiaries of terrorism in Syria is the Syrian regime, which by dint of these groups has maintained its control over the rule in Syria. also, Terrorist groups converted the media mechanisms to support Assad regime that clearly earned him a large public base because he claimed that he fights terrorism and not the Syrian people.

Turkey also benefited from these groups and worked to support them to achieve its goals of occupying parts of northern Syria under the pretext of resisting the Kurdistan Labor Party, which Turkey describes as a terrorist party seeking to destabilize Turkey.

The Turkish Armed Forces and its affiliated forces occupied several areas of the governorates of Aleppo, Raqqa and Al-Hasakah in northern Syria, during the Syrian

Civil War. Although these areas nominally recognize a government subordinate to the Syrian opposition, in reality they constitute a separate political entity under the dual authority of decentralized local councils and the Turkish military administration.

The Syrian regime has exploited the existence of these groups for his own benefit and justifies fighting his peaceful opponents, but this does not change the fact that these groups posed a grave threat to Syria, the region and the world. Which confirmed the Syrian regime claims, that the rebels against him are terrorism groups, long before it is militarized.

Therefore, it can be said that the reasons for the presence of terrorist groups in Syria is to achieve the objectives of many parties, including the Syrian regime and some other countries that have benefited from these groups to achieve their goals.

This may be a replay of the scenario of the American war on Iraq, where in that war a great propaganda was made against the political system in Iraq, which led to the bias of a large number of Iraqi society to oppose the existing political system hope that change would be for the better, but the end is catastrophic for Iraq and the people Iraqi suffered from terrorism as well as from the poor security and economic conditions after the war.

The researcher believes that the emergence of terrorist groups in Syria, whether they are based on religious or ideological grounds, or as mercenaries, would not have appeared if the protests remain peaceful, and if the political system in Damascus was given time to implement the reforms that were requested which the Syrian regime interacted with it, as the continuation of the protests and their transformation into Militarization created the fertile ground for the emergence and spread of deviant terrorist groups and the commission of crimes.

Recommendations:

In light of the results, the study recommends the following recommendations:

1)Spreading the concept of democracy and raising society's awareness of respect for the dissenting opinion, to reach its stability by consolidating the principles and concept of democracy. It is noticeable that democracy is an unclear term for a large part of the Arab world.

2)It is necessary to besiege and combat terrorism as a thought in people's minds before it can be combated as a practice. Terrorist thought is the root of every terrorist practice.

3)Spreading awareness among community members of the sense of security and the ability to report people or any of the matters that raise suspicion of a terrorist act.

4)The necessity of ending the Syrian conflict and restoring stability to this country through achieving justice, adopting the principles of democracy and devolving power through genuine electoral processes under international supervision.

Change requires a comprehensive vision of the various angles of advancement and development. This is because building modern societies today requires a front for action, armed with the principles and premises of contemporary thought, a front capable of rebuilding society again

Refrence:

- (1) Nasr, R., Mahshi, Z. & Abu-Ismail, K. (2013). **The Syrian Crisis: Economic and Social Roots and Impacts**. Syrian Center for Policy Researches.
- (2) Henry analyzes the psychology of terrorists and why young people join terrorist groups, American university in Cairo: <https://www.aucegypt.edu/index.php/ar/node/2448>
- (3) Al-Ghofaili, N. (2017). **The impact of terrorist organizations on regional security in the Middle East**. MA Thesis, Naif Arab University for Security Science.
- (4) Tawfiq, M. (2019). **The impact of terrorism on the economies of countries**. PhD Thesis, Abdelhamid IbinBadis University, Mostaganem.
- (5) Reuter, N. (2018). Guidelines for Addressing the Threats and Challenges of "Foreign Terrorist Fighters" within a Human Rights Framework. Warsaw: the OSCE Office for Democratic Institutions and Human Rights (ODIHR).
- (6) Itani, F. (2014). **Losing Syria and Iraq to Jihadists**. Atlantic Council: Rafik Hariri Center for the Middle East.
- (7) Khan, A., & Estrada, M. A. R. (2016). The effects of terrorism on economic performance: the case of Islamic State in Iraq and Syria (ISIS). *Quality & Quantity*, 50(4), 1645-1661.
- (8) Itani, F. (2014). **Op. Cit.**
- (9) Mahfoud, Z. (2014). "Terrorist" Jihadist Takfiri in Syria. **Tishreen University Journal for Scientific Research and Studies** 36(6): 413-428.
- (10) Global Terrorism Database (2019). **Goals and Motivations of Terrorists**. From the website <https://www.start.umd.edu/> (Retrieved in 9/9/2019).

(11) Al-Hiat: 11 June 2014

(12) BBC, June 1 2015

(13) Al-Shoufy. A. (2019). A safe area in Syria "as a mechanism to protect Turkish national security against terrorist organizations - ISIS as a model." Critic Magazine, (02), 127-140.

(14) Oosterveld, W. & Bloem, W. (2017). **The Rise and Fall of ISIS: From Evitability to Inevitability**. The Hague Centre for Strategic Studies.

(15) Eabd-Salim, T. & Shabib, M. (2018). Psychological war fane and usage in the strategy "Daesh" (psychological, analytical, analysis study). **Journal inspector general** 1(23): 39-123.

(16) Government of the United Kingdom (2019). **Foreign travel advice: Syria**. From the website <https://www.gov.uk/> (Retrieved in 8/9/2019).

(17) Al-Hiat: 11 June 2014

(18) BBC, June 1, 2015

(19) Kozak, A. (2015). The effects of terrorism on economic performance: the case of Islamic State in Iraq and Syria (ISIS). **Quality & Quantity**, 50(4), 1645-1661.

(20) Al-Youm Al-Sabah newspaper, July 15, 2016

(21) Al – Hyari, I. (2019). **The definition of Terrorists**. From the website <https://mawdoo3.com/> (Retrieved in 9/9/2019).

(22) The Arab Center for research and studies (2015). Mumbled Syria: Alliance with Terrorism over the Syrian State. On line: <http://www.acrseg.org/39307>. (Retrieved in 22/12/2019).

(23) Khawli, Muammar Faisal (2016), The Syrian Crisis in its Fifth Year ... Reasons for Continuity and Future Prospects, Al-Rawabit Center for Research and Strategic Studies.

(24) Hassan, H. (2017). The Battle for Raqqa. Obtenido de https://ctc.usma.edu/app/uploads/2017/07/CTC-Sentinel_Vol10Iss6-2.pdf.

(25) Hasan, L. (2016). Rumors and Fall of Mosul A study of the types of rumors that accompanied the fall of the city and government measures to refute it. **Journal of Arts Mustansiriyah**, (73): 1-32.

- (26) Welle, D. (2019). **The start of a battle combing the last forces of ISIS in Syria**. From the website <https://www.dw.com/> (Retrieved in 8/9/2019).
- (27) Ruiz, M., Park, D., Khan, A., & Tahir, M. (2018). **Deglobalization and Terrorism: The Case of the Muslim Countries (Afghanistan, Iraq, and Syria)**. Research Gate.
- (28) Jasko, K., Kruglanski, A., Hassan, A. & Gunaratna, R. (2018). **ISIS, Its History, Ideology, and Psychology: Handbook of Contemporary Islam and Muslim Lives**. Berlin: Springer.
- (29) Jasko, K., Kruglanski, A., Hassan, A. & Gunaratna, R. (2018). **ISIS, Its History, Ideology, and Psychology: Handbook of Contemporary Islam and Muslim Lives**. Berlin: Springer.
- (30) Tani, J. (2017). **Black Flags of Their Fathers: The Islamic State's Returning Foreign Fighter Youths and the Implications for U.S. Domestic Security**. MA Thesis, Naval Postgraduate School, California.
- 31 Al-Jumhuriya (2019) The map of Iranian influence in Syria is available online: <https://www.aljumhuriya.net>.

تصوّر مقترح للتغلب على التحديات التي تواجه الإنتاج العلمي لدى أعضاء هيئة
التدريس في كليات الشّمال التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية

د.محمد حسن حمادات*

تاريخ وصول البحث: ٢٣/١٠/٢٠١٩ م تاريخ قبول البحث: ٦/٧/٢٠٢٠ م

الملخص

سعت الدراسة الحالية إلى تعرّف التحديات التي تواجه الإنتاج العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس في كليات الشّمال التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية من وجهة نظرهم. ثم التوصل إلى تصوّر مقترح للتغلب على هذه التحديات، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وأداة الاستبانة التي تكونت من (٤١) فقرة، وزعت على أربعة مجالات، وتم تطبيقها على عينة عشوائية طبقية بلغت (٨٠) عضو هيئة التدريس، أظهرت النتائج: أن التحديات التي تواجه الإنتاج العلمي في كليات الشّمال جاءت بدرجة تقدير متوسطة، حيث جاءت التحديات المرتبطة بالمجتمع بالمرتبة الأولى، وأخيرًا جاءت التحديات المرتبطة بنشر الإنتاج العلمي، كما بينت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) تعزى لمتغيرات (التخصص، والكلية، والجنس)، ثم قدّمت الدراسة تصوّرًا مقترحًا من أجل دعم الإنتاج العلمي في كليات الشّمال، والتغلب على التحديات التي تواجهها، وأوصت الدراسة بتبني هذا التصوّر.

الكلمات المفتاحية: تصوّر مقترح، تحديات الإنتاج العلمي، أعضاء هيئة التدريس، كليات الشّمال، جامعة البلقاء التطبيقية.

*أستاذ مشارك، كلية عجلون الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية.

A Proposed Conception to Overcome the Challenges Facing Scientific Production among Faculty Members in the North Colleges Affiliated to Al Balqa Applied University

Abstract

The current study sought to identify the challenges facing scientific production among faculty members in the North Colleges affiliated to Al-Balqa Applied University from their points of view. The study developed a proposed conception to overcome these challenges. The researcher used the descriptive analytical method and the questionnaire as the study instrument consisting of (41) items. The questionnaire was distributed over four fields and was applied to a stratified random sample of (80) faculty members. The results showed that the challenges facing scientific production in the Colleges of the North came with average rating. The challenges associated with society came in the first place and the final place was for the challenges associated with publishing scientific production. The study also displayed that there were no statistically significant differences at the level of significance ($0.05 \geq \alpha$) attributed to the (specialization, college, and gender) variables. The study presented a suggested conception to support scientific production in the colleges of the north and overcome the challenges they face. The study recommended the adoption of this conception.

Keywords: Al Balqa Applied University, Challenges of Scientific Production, Faculty Members, North Colleges, Proposed Conception

المقدمة:

تعد الجامعة مؤسسة اجتماعية منتجة، تعمل على زيادة رصيد المعرفة، والاستفادة من التراث العلمي والإنتاج الفكري، لتنمية الثروة البشرية، ورفع كفاءتها الإنتاجية. وتهدف التوجهات العالمية نحو زيادة إنتاجية الجامعات من خلال زيادة العمل في المشاريع البحثية والإنتاجية. فهناك الكثير من المسؤوليات والمهام، الملقاة على عاتق الكليات والتي منها: التعليم، وخدمة المجتمع، والبحث العلمي، إذ يعدُّ البحث العلمي عنصراً مهماً وضرورياً لتقدم المجتمعات وتطورها، من منظور أن العلم والمعرفة حقيقة كبرى في أي عصر من العصور. والكلية تعدّ إحدى المؤسسات التعليمية المؤثرة في إعداد الأجيال التي تسهم في بناء المجتمعات، وتحمل فوق عاتقها أعباء التنمية، إلا أن هناك تحديات تواجه الإنتاج العلمي في تلك الكليات.

وفي هذا المجال – مجال البحث العلمي- تتسابق الدول المتقدمة، لامتلاك أكبر عدد من المؤسسات البحثية، ودعمها بأكبر ميزانية للإنفاق على البحوث والدراسات، وتخصص لذلك إمكانيات مادية، وتقنية، وبشرية هائلة، بوصفه خياراً إستراتيجياً لمواجهة التحديات المحلية والدولية.^(١)

وعند النظر إلى إسهامات البحث العلمي في الوطن العربي، يلحظ عدم مقدرته على تطوير المقدرات الاقتصادية والاجتماعية للمواطن العربي، وذلك بسبب قلة الدعم الموجه له، سواء من قبل القطاع الحكومي أم القطاع الخاص، مقارنة لما يقدم للبحث العلمي في الدول الغربية، إضافة إلى غياب التخطيط الإستراتيجي والمؤسساتي.^(١)

وبالنظر إلى الاقتصاد القائم على المعرفة، يلحظ أن للتعليم العالي، مكانة مهمة في التنمية الاقتصادية، فالمعرفة تنتج من خلال البحث والتطوير والابتكار، ويزداد تقدم المجتمع وتطوره، بزيادة الاهتمام بالتعليم الجامعي، وجهود أعضاء هيئة التدريس، وما يبذلونه من إسهامات ونشاطات فكرية، وما يقدمونه من إنتاج علمي، يساعد الكليات على تحقيق وظائفها وأنشطتها التي وجدت من أجلها.^(٢)

والإنتاج العلمي لعضو هيئة التدريس، يشير إلى كمية الأعمال العلمية التي ينجزها: كنشر البحوث، وتأليف الكتب أو ترجمتها، والمشاركة بالأوراق البحثية في المؤتمرات العلمية والفنية.^(٢)

وعلى الصعيد العالمي فإن الجامعات والمراكز البحثية، تولي اهتمامًا بالغًا بالبحث والإنتاج العلمي والمعرفي لأعضاء هيئة التدريس، إيمانًا منها بأهمية الإنتاج العلمي، في إحداث التغيير والتطوير والتنمية المستدامة. أما على المستوى المحلي، فيلاحظ أن الجامعات الأردنية على اختلافها تهتم بالبحث والإنتاج العلمي، وذلك تنفيذًا لتعليمات وقرارات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الأردنية، والتي أشارت إلى ربط البحث العلمي بخطط التنمية المستدامة.^(٣)

ولقد جاء في دراسة لمنظمة اليونسكو، وفي تقريرها عن البحث العلمي لعام (٢٠١٠) عن الأعوام (٢٠٠٠ - ٢٠٠٨) والتي أوضحت أن أنشطة البحث العلمي في الدول العربية لكل مليون نسمة بلغت (٤١) بحثًا فقط، مقارنة بمتوسط الإنتاج العالمي عن نفس الفترة والذي بلغ (١٤٧) بحثًا.^(٤)

ونظرًا لأهمية الإنتاج العلمي لأعضاء هيئة التدريس، التي من خلالها يزداد تأثير الجامعات في المجتمع المحلي ومؤسساته المختلفة، فإن الإنتاج العلمي يعد من المقاييس المهمة والمعتمدة، كمؤشرات لقياس مستوى الجودة والاعتمادية، والتصنيفات العالمية، والتي يتم على إثرها المقارنة بين الجامعات على مستوى العالم، ومن ثم ترتيبها وتصنيفها.^(٥)

مشكلة الدراسة:

تعاني الجامعات الأردنية كغيرها من الجامعات العربية، من جملة من التحديات أو الصعوبات التي تعيق الإنتاج العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس فيها، ومنها: كثرة الأعباء التدريسية، ومحدودية المجالات العالمية المحكّمة في مجال التخصص، وكثرة الأعمال الإدارية، وعدم كفاية الدعم المالي المقدم من قبل الجامعة أو مؤسسات الدولة وخاصة المؤسسات الخاصة، كذلك محدودية الدعم اللازم لحضور المؤتمرات الإقليمية والعالمية، وارتفاع تكاليف النشر في المجالات العلمية المحكمة العالمية.^(٦)

وهناك العديد من الدراسات العالمية التي أجريت لقياس مستوى الإنتاجية العالمية لدى أعضاء هيئة التدريس، واهتمت بالتركيز على دراسة العوامل والتحديات التي تواجهه. كدراسة وكيان Wichian^(٦)، ودراسة جونكر Jounker^(٧)، ودراسة أوكيكي Okiki^(٨).

وانطلاقًا من كون الباحث أحد أعضاء هيئة التدريس في هذه الكليات؛ التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية، وشعوره بما تعانيه هذه الكليات من تحديات، وما يلحظه من أعضاء هيئة

التدريس من صعوبات في مجال الإنتاج العلمي فإن مشكلة الدراسة الحالية تتحدد في الكشف عن درجة التحديات التي تواجه الإنتاج العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس في كليات الشّمال التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية من وجهة نظرهم، ومن ثم تبني تصوّر مقترح للتغلب على هذه التحديات لدى أعضاء هيئة التدريس، وذلك من أجل توفير بيئة ومناخ أكاديمي داعم، يسهم في رفع الإنتاجية العلمية، والإبداع والتميز.

أسئلة الدراسة: تسعى الدراسة الحالية إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: ما درجة التحديات التي تواجه الإنتاج العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس في كليات الشّمال التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية من وجهة نظرهم؟

السؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في وجهات نظر أفراد عينة الدراسة حول التحديات التي تواجه الإنتاج العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس في كليات الشّمال التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية تعزى لمتغيرات (الكلية، والجنس، والتخصص)؟

السؤال الثالث: ما التصوّر المقترح للتغلب على التحديات التي تواجه الإنتاج العلمي لكليات الشّمال التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية؟

أهداف الدراسة: تسعى الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف التالية:

- التعرف إلى التحديات التي تواجه الإنتاج العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس في كليات الشّمال التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية.

- الكشف عن الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين وجهات نظر أفراد الدراسة حول التحديات التي تواجه الإنتاج العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس في كليات الشّمال التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية التي تعزى إلى اختلاف متغيرات (الكلية، والجنس، والتخصص).

- الخروج بتصوّر مقترح للتغلب على التحديات التي تواجه الإنتاج العلمي في كليات الشّمال التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية.

أهمية الدراسة: تتمثل أهمية الدراسة الحالية النظرية منها والعملية من خلال الآتي:

- تسعى الدراسة الحالية إلى الكشف عن التحديات التي تواجه الإنتاج العلمي، لدى أعضاء هيئة التدريس في كليات الشمال؛ التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية. فالإنتاج العلمي يعتبر ركيزة للتقدم الفكري والاقتصادي، وركنًا من أركان المعرفة الإنسانية، وبناء القدرات، وإيجاد الحلول للمشكلات التي تواجه المجتمع.

- تسعى الدراسة الحالية إلى وضع تصوّر مقترح للتغلب على التحديات التي تواجه الإنتاج العلمي في كليات الشمال التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية.

- يأمل الباحث أن تضيف هذه الدراسة شيئًا جديدًا للمعرفة النظرية المتوافرة حاليًا، ويكون إسهامًا مفيدًا، كي يبني عليه باحثون آخرون.

- قد تفيد المسؤولين في قطاعات خدمية أخرى، بكيفية التغلب على التحديات التي تواجه مؤسساتهم.

- كما تنبع أهمية الدراسة من كونها الأولى - حسب علم الباحث- التي تجرى على كليات الشمال التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية. وبالتالي فإن نتائجها يمكن أن توفر معلومات تسهم في لفت النظر إلى متغيرات الدراسة، والتحديات التي تقف أمام تقدم هذه الكليات، وكيفية التغلب عليها.

- أما من الناحية العملية، فيمكن لنتائج هذه الدراسة أن تساعد القادة الأكاديميين، والمخططين، وراسمي السياسات في جامعة البلقاء التطبيقية وكليات الشمال في وضع الحلول لهذه التحديات. وما تقدمه من تصوّر مقترح وتوصيات، قد تسهم في التغلب على التحديات التي تواجه الإنتاج العلمي في كليات الشمال.

مصطلحات الدراسة: اقتصرَت الدراسة على المصطلحات الآتية:

- تصوّر مقترح: تخطيط مستقبلي مبني على نتائج فعلية ميدانية من خلال أدوات منهجية كمية أو كيفية لبناء إطار فكري عام يتبناه فئات الباحثين أو التربويين.^(٩)

-التحديات: مجموعة المشكلات أو الصعوبات المتعلقة باستثمار مصادر المعرفة البحثية، أو معوقات نظام الربط بين مصادر المعرفة البحثية ومستخدميها، أو معوقات نظام المستخدمين للمعرفة البحثية، التي تعترض استخدام نتائج البحوث التريبية، وهي كل ما يحول دون تحقيق الأهداف أو تطويرها، ويحتاج التغلب عليها إلى بذل الجهد والمال.^(١٠)

وتعرف إجرائيًا في هذه الدراسة: بأنها المعوقات أو الصعوبات التي تمنع أو تحدّ من الإنتاج العلمي لأعضاء هيئة التدريس في كليات الشّمال التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية.

-الإنتاج العلمي: البحوث العلمية المنشورة، والكتب المؤلفة والمترجمة، وأوراق العمل المقدمة في المؤتمرات والندوات والمجلات العلمية، والإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه، التي ينتجها عضو هيئة التدريس^(١١).

ويعرف الإنتاج العلمي إجرائيًا في هذه الدراسة بأنه: جميع الأبحاث العلمية، وأوراق العمل، والكتب المؤلفة، أو المحققة، أو المترجمة، المحكمة والمنشورة التي ينتجها عضو هيئة التدريس في كليات الشمال التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية.

-أعضاء هيئة التدريس: وهم المدرسون الذين يحملون رتبة (أستاذ مساعد، أو أستاذ مشارك، أو أستاذ) ممن هم على رأس عملهم في الفصل الدراسي الثاني ٢٠١٨/٢٠١٩ ويعملون في إحدى كليات الشّمال التالية: (كلية عجلون الجامعية، وكلية إربد الجامعية، وكلية الحصن الجامعية).

-كليات الشّمال: وهي تلك الكليات الحكومية التي تتبع جامعة البلقاء التطبيقية، والتي تقع شمال الأردن وهي: كلية عجلون الجامعية، وكلية الحصن الجامعية، وكلية إربد الجامعية.

-جامعة البلقاء التطبيقية: مؤسسة تعليمية وطنية، رسمية تابعة للتعليم العالي، أنشئت عام ١٩٩٧ بموجب قانون خاص (رقم ٧٢، لسنة ١٩٩٧، وتعديلاته) ومركزها محافظة البلقاء، تمنح مختلف الدرجات العلمية حسب أنظمة وزارة التعليم العالي، ولها عدة فروع منتشرة في كافة محافظات المملكة.

حدود الدراسة: يمكن تعميم نتائج الدراسة في ضوء الحدود الآتية:

- **الحدود المكانية:** تم تطبيق الدراسة على عينة من أعضاء هيئة التدريس الذين يعملون في كليات (عجلون الجامعية، والحصن الجامعية، وإربد الجامعية) التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية، وممن يحملون درجة (أستاذ، أستاذ مشارك، أستاذ مساعد).
- **الحدود الزمانية:** تم تطبيق الدراسة خلال الفصل الدراسي الثاني، من العام الدراسي ٢٠١٨/٢٠١٩ م.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

أهمية البحث العلمي: تكمن أهمية البحث العلمي في كونه أحد أهم ركائز عملية التقدم والنمو في جميع مجالات الحياة، فالاكتشافات العلمية هي مقياس التقدم والرقى للمجتمعات، التي تقوم بالاستفادة منها، وتحويلها إلى واقع إنتاجي. فالعصر الحالي هو عصر الثورة المعلوماتية والتكنولوجية، فالمعرفة قوة، لذلك نجد الدول الصناعية تولي البحث العلمي جل اهتمامها، فهي تعلم أنه الدعامة الأساسية للاقتصاد والتطور، وذلك من خلال الوصول إلى المعرفة المتسارعة والمثمرة، والتي تكفل التقدم وتحقيق الرفاهية للإنسان.

ومن هنا فإن تحقيق التقدم والرخاء الاقتصادي لأي مجتمع، يتطلب نهجاً بحثياً متميزاً، واستفادة قصوى من الموارد البشرية، والمادية المتوافرة، من خلال الاعتماد على منهجية البحث العلمي، لتقديم الحلول الناجمة لمشاكل المجتمع الاقتصادية، والتعليمية، والصحية، والصناعية، والزراعية، والسياسية، لذلك على أي مجتمع يرغب في التقدم والرقى، أن يولي البحث العلمي جل اهتمامه، ومن ثم توظيف ما تنتجه مراكز الأبحاث في خدمة المجتمع ومؤسساته.^(١٢)

ويشتمل الإنتاج العلمي على الكثير من المفاهيم كالإنتاجية العلمية، والنتاج العلمي، والإسهام الفكري، والبحث العلمي، وجميعها لوصف المخرجات العلمية لعضو هيئة التدريس، وقد عرّف سمبس^(١٣) الإنتاج العلمي على أنه: مجمل الأعمال العلمية لعضو هيئة التدريس، والتي تتمثل في البحوث المنشورة، أو المقبولة للنشر، كذلك المؤلفات من كتب مترجمة أو محققة، وأوراق العمل المقدمة في المؤتمرات والندوات العلمية. وقد ذكر تراور^(١٤) أن مفهوم الإنتاج العلمي يشتمل على: النشر في المجلات العلمية المحكمة، والأوراق المقدمة في المؤتمرات

الدولية، ونشر المقالات، وتأليف الكتب، وكتابة المقالات، وتطوير المقررات والبرامج التدريبية، وتسجيل براءة الاختراع، وتطوير البرمجيات الحاسوبية وغيرها.

وقد عرّف عزب^(١٥) الإنتاجية العلمية على أنها: الكتب المنشورة، أو المترجمة، أو المحققة، وعلاقتها بالاختصاص، والرسائل العلمية المنجزة أو التي قيد الإنجاز والتي يشرف عليها عضو هيئة التدريس، والبحوث العلمية المنشورة أو المقبولة للنشر، أو الجاري إعدادها أو التي قوّمها أو شارك في تحكيمها عضو هيئة التدريس، والمقالات المنشورة ومستواها وعلاقتها بالاختصاص. ويرى جويلا^(١٦) أن الإنتاج العلمي هو: المخرجات البحثية الملاحظة، بينما العمل البحثي غير قابل للملاحظة المباشرة. وبالنظر إلى جوهر مهمات مؤسسات التعليم العالي كإجراء البحوث العلمية وتوليد المعرفة والتعليم والتدريب ونشر المعرفة، لأن هذه المؤسسات تقوم بنشاطات تتضمن توليد المعرفة ونشرها وتوظيفها.

وللإنتاجية العلمية مجالات نذكر منها: البحوث المنشورة أو المقبولة للنشر، وكذلك البحوث المنجزة أو الجاري إعدادها ولم تنشر أو تقبل للنشر بعد رسائل الدكتوراه أو الماجستير المنشورة أو غير المنشورة أو التي أنجزت والتي لم تنجز بعد. والكتب المنشورة أو المترجمة أو المحققة، والمقالات المنشورة. إن أي مجتمع يتطلع للتميز يجب أن يهتم بالتعليم بجميع مراحلها وخاصة التعليم العالي، لأن هذه المؤسسات تقوم على توليد المعرفة ونشرها وتوظيفها، والبحث العلمي بشقيه الأساسي والتطبيقي له أدوار منوطة به، كتشخيص مشكلات المجتمع، ووضع الحلول الناجعة لها، ووضع الخطط القريبة والبعيدة المدى، وإنتاج الطاقات البشرية المؤهلة، والمعدة الإعداد الجيد، واستغلال الموارد الطبيعية للتنمية المجتمعية، وتأطير القوانين والمبادئ والتعليمات في مختلف حقول المعرفة، والعمل على توفير مستلزمات المجتمع المادية والمعنوية.^(١٧)

وهذا الأمر يتطلب من قادة الفكر والإصلاح في المجتمع، وخاصة أعضاء هيئة التدريس في الجامعات، إعادة النظر في السياسات العامة للدولة والسياسات التربوية على وجه الخصوص، وترتيب أولوياتها، لما يحتله عضو هيئة التدريس من مكانة مرموقة، وبما يمثله من مورد معرفي مهم، وطاقات بشرية معدة لقيادة المجتمع، وتلبية طموحاته، من خلال قيادة الإصلاح المجتمعي، وتشجيع التفكير الإبداعي والخلاق، وإجراء البحوث العلمية في كافة المجالات، وإعداد الخطط الدراسية التي تواكب المستجدات وتلبي الطموحات، وتنفيذ

المشاريع المشتركة، سواء مع مؤسسات المجتمع المحلي العامة والخاصة، أم مع المؤسسات والجامعات الوطنية والعالمية.

تحديات الإنتاج العلمي التي تواجه عضوية هيئة التدريس: يواجه البحث العلمي والباحث تحدياً مجموعة من التحديات التي تقف عائقاً أمام الإنتاج العلمي المأمول، وقد تناولها الكثير من الباحثين كدراسة وكيان Wichian^(٦)، ودراسة جونكر Jounker^(٧)، ودراسة أوكيكي Okiki^(٨)، بالدراسة والتحليل، كونه أصبحت ظاهرة مؤثرة في الإنتاج العلمي، ويمكن إجمالها في عوامل ذاتية: تتعلق بالباحث نفسه ومنها: العمر، والتفاعل والإبداع، والاتصال، والقيمة المادية والمعنوية. وعوامل تنظيمية: تتعلق بالتسهيلات المقدمة، كالأجهزة، والمعدات، والمكافآت، والتحفيز، والدعم، وإشباع النواحي المادية والمعنوية، وكذلك طبيعة العمل. وأخيراً العلاقات المجتمعية: بما تتضمنه من عوامل اجتماعية، واقتصادية، وسياسية، وحرية شخصية، وما تحمله من تأثيرات مباشرة وغير مباشرة في إنتاجية الكفاءات العلمية.^(١٨)

ومن العوامل التي تعيق الإنتاجية العلمية لعضوية هيئة التدريس أيضاً: زيادة أنصبة أعضاء هيئة التدريس عن الحد المناسب، وكذلك محدودية الدعم المقدم لهم لحضور المؤتمرات الإقليمية والعالمية، وكثرة التزاماتهم الأسرية والاجتماعية، وتعدد مسؤولياته ومهامه، وقلة الحوافز المعنوية والمادية التي تقدمها الجامعة للباحثين، إضافة إلى قلة عدد المراكز البحثية المخصصة للبحث العلمي.^(١٢)

وقد جاء في دراسة عبد^(١٩) والتي تناولت واقع البحث العلمي في الوطن العربي، أن مشكلات البحث العلمي تكاد تكون واحدة منها: ضعف الدعم المقدم للباحثين؛ لإجراء أبحاثهم ودراساتهم، وأن البحوث في غالبيتها تطبيقية، مع قلة في البحوث الأساسية، وضعف الاهتمام باختيار أبحاث وطنية تعود بالفائدة على التنمية المحلية، وضعف دور القطاع الخاص في دعم وتمويل عمليات البحث والتطوير، وظروف العمل غير المناسبة، إضافة إلى مشكلات النشر والتوزيع، وعدم كفاية التدريب، وعدم تفرغ الباحث العربي للبحث العلمي، وعدم وجود ثقافة فريق العمل بين الباحثين.

وقد أشارت دراسة قمر^(٢٠) إلى معوقات البحث العلمي في دول مجلس التعاون الخليجي ومنها: معوقات بشرية، كقلة عدد الباحثين، وضعف كفاياتهم، ونقص في كوادرات الفنيين المساعدين، وضعف التعاون بين الباحثين. ومعوقات مالية منها: قلة الدعم المقدم لتمويل

البحوث والدراسات، ضعف الاستثمار لمخرجات البحث العلمي، ضعف المردود المادي للعاملين في مجال البحث العلمي، عدم كفاية المختبرات والتجهيزات اللازمة للبحث العلمي. ومعوقات إدارية وقانونية ومنها: غموض في النصوص القانونية والإدارية التي تحكم العملية البحثية، وتأخر في صدور القرارات المتعلقة بالبحث العلمي. ومعوقات في الرؤية الإستراتيجية لدى المسؤولين ومنها: غياب التنسيق بين مؤسسات البحث العلمي، عدم ربط مخرجات البحث العلمي بالمشكلات المجتمعية. ومعوقات تتعلق بالبحث العلمي كمادة علمية ومنها: عدم توفر المراجع والمصادر أو صعوبة الوصول إليها، وقلة المعلومات وصعوبة الوصول إليها.

ومن أبرز تحديات تفعيل البحث العلمي على المستوى المحلي: الاعتماد على البحوث الفردية أكثر من البحوث الجماعية، وضعف التعاون بين الباحثين، وعدم توافر قاعدة معلومات توضح الإسهامات البحثية لأعضاء هيئة التدريس، كي تتمكن القطاعات المجتمعية من الاستفادة من النتائج العلمي الذي تمّ التوصل إليه.^(٢١)

وفي مجال نشر الإنتاج العلمي، فهناك مجموعة من المعوقات التي تواجه عضو هيئة التدريس ومنها: معوقات ناتجة عن قلة امتلاك بعض المهارات، كمهارة استخدام قواعد البيانات، وإتقان اللغة الإنجليزية، واستخدام الحاسوب، وطول المدة الزمنية لتقييم البحوث ونشرها، والاعتماد على الجهود الفردية في النشر، وضعف خبرة العاملين في المجالات العلمية.^(٢٢)

من خلال عرض المعوقات التي تؤثر على الإنتاج العلمي يتضح أن هناك ضرورة ملحة لوضع الآليات المناسبة للحد منها، كي يرتقي الإنتاج العلمي في الجامعات أو الكليات إلى المكانة التي ينبغي أن يكون عليها.

الدراسات السابقة:

أجرى العتيبي^(٥) دراسة هدفت إلى التعرف إلى التحديات التي تواجه الإنتاج العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية، والكشف عن الفروق ذات الدلالة الإحصائية في وجهات نظر أفراد الدراسة، نحو هذه التحديات باختلاف متغيرات الجامعة والنوع، والتخصص، وبلغت عينة الدراسة (٣٠٢) من أعضاء هيئة التدريس، في ثلاث جامعات

سعودية، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها: أن التحديات التي تواجه الإنتاج العلمي في الجامعات السعودية جاءت بدرجة تقدير (مرتفعة)، حيث جاءت التحديات المرتبطة بالجامعة أولاً تليها التحديات المرتبطة بالمجتمع، ثم التحديات المرتبطة بنشر الإنتاج العلمي، وأخيراً التحديات المرتبطة بعضو هيئة التدريس. كما بينت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في وجهات نظر أفراد عينة الدراسة تعزى لمتغيرات: الجامعة، والنوع، والتخصص.

وهدفت دراسة أحمد^(١١) إلى تحديد العوامل المؤثرة على الإسهام الفكري لأعضاء هيئة التدريس بفروع جامعة الطائف، بلغت عينة الدراسة (١٧٦) عضو هيئة تدريس. أظهرت نتائج الدراسة ارتفاع المتوسط الحسابي لتأثير المتغيرات البيئية على الإسهام الفكري، كما بينت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية لعدد من المتغيرات منها: قلة الخبرة، عدم إجادته اللغات الأجنبية، وعدم توفر الوقت. كما توصلت الدراسة إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة في متوسط الإسهام الفكري تعزى لمتغيرات (النوع، والعمر، والحالة الاجتماعية، ومدة الخدمة).

وأجرى السّلامات^(٢٣) دراسة هدفت إلى تعرف المشكلات التي تواجه البحث العلمي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في جامعة الطائف، ومقترحات لمواجهة هذه المشكلات. تكونت عينة الدراسة من (٢٨٢) عضو هيئة تدريس في كليات الجامعة وأظهرت نتائج الدراسة: أن المجالات الستة التي شملت مشكلات تواجه البحث العلمي في الجامعة جاءت متفاوتة؛ حيث تراوحت بين مشكلات بدرجة قليلة إلى مشكلات بدرجة كبيرة وجاءت المشكلات المتعلقة بمجال الأجهزة، والتسهيلات، ومصادر المعلومات، في المرتبة الأولى، تليها المشكلات المتعلقة بمجال الفرق البحثية.

وهدفت دراسة المنيع^(٢٤) إلى تعرف الإنتاج العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن ومعوقاته، تكونت عينة الدراسة من (٩٠) عضو هيئة تدريس، أظهرت نتائج الدراسة انخفاض مستوى الإنتاج العلمي لدى أفراد عينة الدراسة، ولدى السعوديات أقل من غير السعوديات، ولدى الكليات الإنسانية أقل من الكليات العلمية، ولدى رتبة أستاذ مساعد أقل من الرتب الأخرى. وكانت المعوقات الإدارية الأكثر أهمية.

وكما هدفت دراسة الحراشة^(٢٥) التعرف إلى المشكلات التي تواجه الأستاذ الجامعي في مجال البحث العلمي، بلغت عينة الدراسة (٢٢٦) من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الحكومية والخاصة الأردنية. أظهرت نتائج الدراسة أن مشكلات البحث العلمي جاءت بتقدير متوسط. واحتل مجال كثرة الأعباء التدريسية، المرتبة الأولى، يليه مجال: قلة الدعم المالي، ثم مجال: بيروقراطية الإجراءات الإدارية. كما أظهرت نتائج الدراسة: وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث لصالح الذكور، ولدى أساتذة الجامعات الخاصة أكثر من الحكومية، ولدى أساتذة الكليات الإنسانية أكثر من العلمية، فيما لم تظهر فروق تبعاً لمتغير الرتبة الأكاديمية.

أما دراسة التل^(٢٦) فهدفت إلى تحليل واقع الإنتاج العلمي في كلية التربية بجامعة الملك عبد العزيز، وتحديد معوقاته. تكونت عينة الدراسة من (٩١) عضواً من أعضاء هيئة التدريس في الجامعة. أظهرت نتائج الدراسة أن واقع الإنتاج العلمي في كلية التربية بجامعة الملك عبد العزيز جاء بدرجة تقدير متوسطة. كما أظهرت الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الرتب الأكاديمية، لصالح رتبة أستاذ مشارك، وفي مجال الخبرة، لصالح من خبرتهم أكثر من (١٠) سنوات، كما أشارت نتائج الدراسة إلى أن: محور المعوقات جاء بدرجة تقدير كبيرة.

وهدف دراسة موسج Musiig⁽²⁷⁾ إلى الكشف عن مدى إدراك أعضاء هيئة التدريس للعوامل المؤثرة على إنتاجهم البحثي في جامعة "ماكيريري" بأوغندا Makerere University Kampal استخدمت الدراسة أداة المقابلة شبه المقتنة، وعلى عدة مراحل، مع (٩) أعضاء من هيئة التدريس. أظهرت النتائج أن: هناك عدداً من العوامل المؤثرة على الإنتاج العلمي هي: (عوامل ذاتية، وعوامل تنظيمية، وعامل التمويل، وعوامل ثقافة البحث). وقد جاء عامل التمويل في المرتبة الأولى.

وفي كندا أجرى جونكر Jonker⁽⁷⁾ دراسة للكشف عن أنماط التدريس والبحث لدى أعضاء هيئة التدريس والعلاقة بينهما. حيث شملت عينة الدراسة جميع أعضاء هيئة التدريس في ثلاثة أقسام: الاقتصاد والكيمياء، والفلسفة) في ثلاث كليات من (١٠) جامعات حكومية بمقاطعة أونتاريو. وتم تجميع البيانات من المواقع الإلكترونية للجامعات خلال العام الجامعي ٢٠١٢/٢٠١٣، وغطت الدراسة التحليلية أربعة أبعاد هي: (العبء التدريسي،

والنشاط البحثي، والرواتب، والرتب العلمية). أظهرت نتائج الدراسة أن (١٥%) من أعضاء هيئة التدريس في المقاطعة ليس لديهم نشاط بحثي، وأن متوسط العبء التدريسي للعضو الواحد بلغ أقل من ثلاثة مقررات في العام الدراسي. كما بينت نتائج الدراسة أنه لا يوجد فروق في العبء التدريسي بين الأعضاء الناشطين بحثيًا وغير الناشطين.

وأجرى أوكيكي Okiki^(٨) دراسة هدفت إلى تحديد مستوى الإنتاج البحثي لدى أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الفيدرالية النيجيرية والتحديات التي تواجهها؛ بلغت عينة الدراسة (١٠٥٧) عضو هيئة تدريس في (١٢) جامعة. أظهرت نتائج الدراسة: أن النشر في المجالات العلمية، احتل المرتبة الأولى في نوع الإنتاج البحثي لدى أفراد العينة، يليه الأوراق العلمية المقدمة للمؤتمرات. كما بينت نتائج الدراسة أن: من أهم التحديات التي تواجه عضو هيئة التدريس "ضعف كفاءة شبكة الإنترنت، ثم ضعف الموارد المالية".

كما قام ميلر Miller^(٢٨) بدراسة هدفت إلى تقييم أعضاء هيئة التدريس ذوي الأداء البحثي المرتفع، وتحديد العوامل التي تحفزهم، تم اختيار العينة من ثلاثة تخصصات في كلية الزراعة في عدد من الجامعات الأمريكية (الهندسة الزراعية، وعلم الأغذية، واقتصاديات الزراعة)، وتم حصر الأداء البحثي من خلال عدد الأوراق البحثية المنشورة في (ISI). توصلت الدراسة إلى أن: أعضاء هيئة التدريس الذين يحملون عبئًا تدريسيًا أكبر، أو مهامًا إضافية، هم الأقل إنتاجية. كذلك وجود تأثير إيجابي على الإنتاجية البحثية لكل من: المنح، والتمويل، والتعاون بين المؤسسات البحثية، والإشراف على الطلبة.

وأجرى إقبال Iqbal^(٢٩) دراسة هدفت إلى تحديد العوامل المؤدية إلى انخفاض الإنتاج العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد في الباكستان، بلغت عينة الدراسة (٢٠٧) عضو هيئة تدريس. أظهرت نتائج الدراسة مجموعة من العوامل التي أدت إلى انخفاض الإنتاج العلمي ومنها: زيادة العبء التدريسي، المهام الإدارية، المتطلبات الأكاديمية، المهارات البحثية، الإلمام بمنهجيات البحث والأساليب الإحصائية، نقص التمويل المادي.

وأجرى جو Ju^(١٦) دراسة للكشف عن تأثير الدعم المؤسسي ودعم الأقران على الإنتاجية البحثية لأعضاء هيئة التدريس في مؤسسات التعليم العالي بالولايات المتحدة الأمريكية، استخدم الباحث استبانة تم توزيعها على أعضاء هيئة التدريس في (٨٠) مؤسسة تعليم عالي؛

حيث بلغت العينة (١٤٤٠) عضو هيئة تدريس. أظهرت النتائج: وجود تأثير إيجابي قوي للتعاون بين الزملاء الدوليين والمحليين على الإنتاجية البحثية، وأن الميول الشخصية لأعضاء هيئة التدريس تؤدي إلى إنتاجية بحثية عالية في الجامعات البحثية، بينما لم تكن ذات تأثير في الجامعات غير البحثية، وأنه لا يوجد تأثير للعوامل الإدارية على تحسين الإنتاجية البحثية بشكل عام.

من خلال استعراض نتائج الدراسات السابقة، يمكن استخلاص ما يلي: صنفت بعض الدراسات المشكلات والصعوبات إلى عدة مجالات، اختلفت في درجة تأثيرها وحدتها. أشارت بعض الدراسات إلى وجود عدة معوقات تواجه الإنتاج العلمي، استخدمت معظم الدراسات أداة الاستبانة، تم تطبيقها على عينات من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات، حذرة الدراسات السابقة، وتنوعها، وتطبيقها في عدة دول مختلفة، مما يشير إلى أهمية هذا الموضوع، ومدى الحاجة إلى دراسته، اتفقت معظم الدراسات السابقة مع الدراسة الحالية في موضوع البحث، واستخدام المنهج الوصفي، وأداة الاستبانة، التي تم تطبيقها على أعضاء هيئة التدريس، إلا أن هذه الدراسة طبقت على كليات الشمال، التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية، بينما اختلفت هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في تركيزها على المعوقات التي تواجه الإنتاج العلمي في كليات الشمال التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية في الأردن، وسعها لوضع تصوّر مقترح للتغلب على هذه التحديات. وقد استفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في تحديد مشكلة الدراسة وإثراء إطارها النظري، بالإضافة إلى بناء أداة الدراسة، ومناقشة النتائج وتحليلها.

إجراءات الدراسة:

مجتمع الدراسة وعينتها: تكوّن مجتمع الدراسة من جميع أعضاء هيئة التدريس الذين يعملون في كليات الشمال (كلية عجلون الجامعية (٩٢)، وكلية الحصن الجامعية (١٤٠)، وكلية إربد الجامعية (١١٨)) وكان العدد الإجمالي لأعضاء هيئة التدريس في الكليات الثلاث (٣٥٠) عضوًا، للفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ٢٠١٨ / ٢٠١٩. وقام الباحث باختيار عينة عشوائية طبقية، تتناسب وعدد أعضاء هيئة التدريس في كليات الشمال التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية، وبلغ حجم العينة (٨٠) عضوًا أكاديميًا، والجدول (١) يبين توزيعهم حسب المتغيرات التصنيفية.

الجدول (١) توزيع أفراد مجتمع الدراسة وفقاً للمتغيرات التصنيفية			
المتغير	المستوى	التكرار	النسبة المئوية
الكلية	عجلون الجامعية	31	38.8
	الحصن الجامعية	25	31.3
	إربد الجامعية	24	30.0
	المجموع	80	100.0
التخصص	كليات علمية	41	51.3
	كليات انسانية	39	48.8
	المجموع	80	100.0
عدد سنوات الخبرة	ذكر	32	40.0
	أنثى	48	60.0
	المجموع	80	100.0

منهج الدراسة: اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التطويري، وقد اعتمد الباحث على الاستبانة كأداة لجمع البيانات من عينة الدراسة.

أداة الدراسة: تم بناء أداة الدراسة وتمثلت باستبانة، وذلك استناداً لمراجعة الأدب النظري والدراسات السابقة ذات الصلة، كدراسة العتيبي^(٥) ودراسة أحمد^(١١) ودراسة السّلامات^(٢٣)، وقد تم التحقق من صدقها بعد عرضها على عدد من المختصين، بلغ عددهم (١٥) محكّماً، حيث كانت فقراتها (٤٨) فقرة، وبعد الأخذ بملاحظات المحكّمين الخاصة بتعديل بعض الفقرات، وإضافة أو حذف بعضها الآخر، تم حذف (٧) فقرات، وقد اشتملت الصورة النهائية للاستبانة، على (٤١) فقرة، وزعت على أربعة مجالات هي: التحديات المرتبطة بعضو هيئة التدريس، (الفقرات من ١-١٠)، التحديات المرتبطة بالجامعة (الفقرات من ١١-٢١)، التحديات المرتبطة بنشر الإنتاج العلمي، (الفقرات من ٢٢-٣١)، التحديات المرتبطة بالمجتمع، (الفقرات من ٣٢-٤١).

ثبات الأداة: للتأكد من ثبات أداة الدراسة تم تطبيق معادلة كرونباخ ألفا (Chronbach Alpha) على جميع فقرات مجالات الدراسة والأداة ككل، كما هو مبين في جدول (٢) الذي يوضح معاملات الثبات.

جدول (٢) معاملات الثبات (كرونباخ ألفا) لمجالات الدراسة	
المجال	معامل الثبات
التحديات المرتبطة بعضو هيئة التدريس	٠,٨٦
التحديات المرتبطة بالجامعة	٠,٨١
التحديات المرتبطة بنشر الإنتاج العلمي	٠,٨٥
التحديات المرتبطة بالمجتمع	٠,٧٥
الأداة ككل	٠,٨٦

يظهر من الجدول (٢) جميع قيم معاملات الثبات بطريقة (كرونباخ ألفا) كانت مقبولة لأغراض التطبيق، حيث إنها تراوحت بين (٠,٧٥-٠,٨٦)، ثم بطريقة الاختبار وإعادة الاختبار، على عينة بلغت (١٥) قائدًا أكاديميًا، من مختلف كليات الشمال، ومن خارج عينة الدراسة، بفارق زمني مقداره أسبوعان، وكانت قيمة الثبات للاستبانة (٠,٨٦) وقد اعتبر الباحث ما تحقق للمقياس بصورته النهائية من دلالات صدق وثبات كافيًا لأغراض الدراسة الحالية.

إجراءات الدراسة: قام الباحث بإعداد أداة الدراسة بصورتها النهائية. والتحقق من صدقها وثباتها، وكان يسبق عملية التوزيع لقاءات مع القادة الأكاديميين في الكليات، وحسب أوقات فراغهم؛ لتوضيح أهمية هذه الدراسة، وضرورة التعاون بشأنها، وأن المعلومات التي سيحصل عليها الباحث ستعامل بسرية تامة. وهي لأغراض البحث العلمي فقط. واستخدم الباحث أسلوب الاتصال المباشر بتسليم كل مستجيب نسخة بيده، وتم جمعها بالطريقة نفسها. وبذلك أصبحت العينة الخاضعة للتحليل الإحصائي (٨٠) استبانة. تم تحليل البيانات عن طريق استخدام الحاسوب SPSS .

المعالجات الإحصائية: استخدم الباحث الأساليب الإحصائية التالية: التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، لإجابة السؤال الأول، ومعامل ثبات كرونباخ ألفا، لقياس الثبات، والاختبار وإعادة الاختبار، وتحليل التباين الأحادي (ANOVA)، واختبار (ت) لدلالة الفروق بين عينتين مستقلتين لإجابة السؤال الثاني. أما فيما يتعلق بالحدود التي اعتمدها هذه الدراسة عند التعليق على المتوسط الحسابي للمتغيرات الواردة في

نموذجها لتحديد درجة الموافقة، فقد حدد الباحث ثلاث مستويات هي (مرتفع، ومتوسط، ومنخفض) بناءً على المعادلة الآتية:

طول الفترة = (الحد الأعلى للبديل - الحد الأدنى للبديل) / عدد المستويات

$3/(1-0) = 3/4 = 0.75$ وبذلك تكون المستويات كالتالي:

درجة موافقة منخفضة من 1 - 2,33 .

درجة موافقة متوسطة من 2,34 - 3,67 .

درجة موافقة مرتفعة من 3,68 - 5 .

جدول(3): مقياس تحديد مستوى الملائمة للوسط الحسابي	
الوسط الحسابي	درجة التقييم
1 - 2,33	منخفضة
2,34 - 3,67	متوسطة
3,68 - 5	مرتفعة

مناقشة نتائج الدراسة:

مناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الأول: ما درجة التحديات التي تواجه الإنتاج العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس في كليات الشمال التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية من وجهة نظرهم؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد العينة عن مجالات الدراسة والأداة ككل، الجدول (4) يوضح ذلك.

جدول(4) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد العينة عن مجالات الدراسة والأداة ككل مرتبة تنازلياً.					
الرتبة	الرقم	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة التقييم
1	4	التحديات المرتبطة بالمجتمع	3.70	0.46	مرتفعة
2	1	التحديات المرتبطة بعضو هيئة التدريس	3.52	0.69	متوسطة
3	2	التحديات المرتبطة بالكلية	3.43	0.50	متوسطة
4	3	التحديات المرتبطة بنشر الإنتاج العلمي	3.34	0.45	متوسطة
الأداة ككل			3.49	0.43	متوسطة

يتبين من الجدول (4) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد العينة عن مجالات أداة الدراسة قد تراوحت بين (3,34 - 3,70)، جاء في المرتبة الأولى مجال "التحديات المرتبطة

بالمجتمع" بمتوسط حسابي (٣,٧٠) بدرجة تقييم مرتفعة، وفي المرتبة الثانية، جاء مجال "التحديات المرتبطة بعضو هيئة التدريس" بمتوسط حسابي (٣,٥٢) بدرجة تقييم متوسطة، وجاء في المرتبة الثالثة، مجال "التحديات المرتبطة بالجامعة" بمتوسط حسابي (٣,٤٣) بدرجة تقييم متوسطة، وفي المرتبة الرابعة والأخيرة، جاء مجال "التحديات المرتبطة بنشر الإنتاج العلمي" بدرجة تقييم متوسطة، وبلغ المتوسط الحسابي للأداة ككل (٣,٤٩) بدرجة تقييم متوسطة.

وقد يعزو الباحث وقوع مجال "التحديات المرتبطة بالمجتمع بدرجة تقييم مرتفعة، ربما إلى أن ثقة مؤسسات المجتمع المحلي بما تقدمه الأبحاث من نتائج وتوصيات ما زالت دون المتوقع. وربما إلى عدم وجود جهة تعمل على تجسير الهوة بين أصحاب المؤسسات المجتمعية (أرباب العمل) ومراكز البحث أو أعضاء هيئة التدريس، وربما لعدم ثقة أرباب العمل بنتائج هذه البحوث. وقد اتفقت هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة العتيبي^(٥).

وأما وقوع مجال "التحديات المرتبطة بعضو هيئة التدريس" بدرجة تقييم متوسطة، فقد يعزو الباحث ذلك ربما إلى نقص الخبرة والتدريب في مجال البحث العلمي، وربما إلى تدني مهارات البحث العلمي، وربما إلى عدم التمكن من اللغة الإنجليزية التي أصبحت مهمة في نشر الإنتاج العلمي. وربما لقلة الدعم المقدم لعضو هيئة التدريس في مجال البحث العلمي، وقد اتفقت هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة أحمد^(١١) واختلفت مع ما توصلت إليه دراسة العتيبي^(٥).

وأما وقوع مجال "التحديات المرتبطة بالكلية" بدرجة تقييم متوسطة، فقد يعزى ربما إلى قلة وجود المراكز البحثية المتخصصة في الإنتاج العلمي، وربما للتكلفة العالية لإنشاء مثل هذه المراكز، وربما لحاجة هذه المراكز لفنيين وإداريين من أصحاب الخبرة. وربما لعدم وضوح اللوائح والتعليمات المتعلقة بالإنتاج العلمي. وربما لضعف الدعم المقدم للبحث العلمي في هذه الكليات، وقد اختلفت هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة كل من أوكيكي⁽⁸⁾ ودراسة موسج⁽²⁷⁾ Musiige.

وأما وقوع مجال "التحديات المرتبطة بنشر الإنتاج العلمي" بدرجة تقييم متوسطة، فقد يعزو الباحث ذلك ربما إلى التكلفة المادية المرتفعة لنشر الإنتاج العلمي، وربما إلى الافتقار إلى معايير موحدة للنشر العلمي، وربما إلى صعوبة إجراءات النشر في المجالات العلمية المرموقة.

وربما لضعف التحفيز المقدم لأعضاء هيئة التدريس لزيادة مجهودهم في النشر العلمي لأبحاثهم. وقد اختلفت هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة السلامة^(٢٣)، ودراسة المنيع^(٢٤).

وقد تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات كل مجال من مجالات الدراسة على حدة، جداول (٥-٨) توضح ذلك.

جدول (٥) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد العينة عن فقرات مجال "التحديات المرتبطة بالمجتمع مرتبة تنازليا".					
الرتبة	الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة تقييم
١	٥	ضعف اهتمام سوق العمل بالمشاريع البحثية والتطويرية.	3.76	0.83	مرتفعة
١	٨	عدم وجود معايير دقيقة تقيس مدى رضا المؤسسات المجتمعية عن الإنتاج العلمي.	3.76	0.73	مرتفعة
٣	١	لا يوجد تقدير كاف للأبحاث العلمية من قبل المجتمع.	3.74	0.85	مرتفعة
٣	٤	محدودية العوائد الاقتصادية للإنتاج العلمي على المجتمع.	3.74	0.84	مرتفعة
٥	٣	حساسية بعض المؤسسات المجتمعية من الأبحاث العلمية ذات الطابع النقدي.	3.70	0.77	مرتفعة
٥	٧	تدنى إسهام الإنتاج العلمي في حل مشكلات المجتمع وتلبية احتياجاته.	3.70	0.75	مرتفعة
٦	٩	ضعف التواصل بين مؤسسات المجتمع والجامعة للاستفادة من إنتاجها العلمي.	3.68	0.78	مرتفعة
٧	٢	قلة الطلب الاجتماعي على الإنتاج العلمي.	3.66	0.75	متوسطة
٨	٦	الافتقار إلى آليات تحدد احتياجات المجتمع وألوياته من الإنتاج العلمي.	3.63	0.77	متوسطة
٩	١٠	قلة إقبال أفراد المجتمع على اقتناء الكتب الأكاديمية العلمية.	3.61	0.67	متوسطة
مجال "التحديات المرتبطة بالمجتمع" ككل			3.70	0.46	مرتفعة

يتبين من الجدول (٥) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد العينة عن فقرات مجال "التحديات المرتبطة بالمجتمع" تراوحت بين (٣,٦١ - ٣,٧٦)، جاءت في المرتبة الأولى الفقرتين (٨,٥) "ضعف اهتمام سوق العمل بالمشاريع البحثية والتطويرية"، و"عدم وجود معايير دقيقة تقيس مدى رضا المؤسسات المجتمعية عن الإنتاج العلمي" بمتوسط حسابي (٣,٧٦)، وبدرجة تقييم مرتفعة، وبينما جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة (١٠) "قلة إقبال أفراد

المجتمع على اقتناء الكتب الأكاديمية العلمية" بمتوسط حسابي (٣,٦١) ودرجة تقييم متوسطة، وبلغ المتوسط الحسابي للمجال ككل (٣,٧٠) بدرجة تقييم مرتفعة.

ويعزو الباحث وقوع الفقرتين (٨,٥)، بدرجة تقييم مرتفعة، ربما إلى أن ذلك سيكلف أصحاب العمل المساهمة في تكاليف هذه الدراسات، المرتفعة غالباً، وهذا ما لا يرغبون به، وربما لعدم ثقة أصحاب المؤسسات المجتمعية بالمعايير المتبعة لقياس مدى رضاهم عن الإنتاج العلمي، وربما لأن غالبية المقاييس المستخدمة هي عبارة عن استبانات لا تمس جوهر مشكلاتهم، وربما لعدم جودة الأساليب المتبعة في توزيع وجمع المقاييس على أصحاب العمل، مما أفقدهم الثقة بها وبن نتائجها. وأما وقوع الفقرة (١٠) في المرتبة الأخيرة وبدرجة تقييم متوسطة، فربما لارتفاع أثمان الكتب، مما اضطر الطلبة إلى اللجوء إلى ظاهرة التصوير (النسخ)، وربما لانتشار الكتاب الإلكتروني وسهولة الحصول عليه. وربما لضعف ثقافة اقتناء الكتب عند أفراد المجتمع.

جدول (٦) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد العينة عن فقرات مجال "التحديات المرتبطة بعضو هيئة التدريس" مرتبة تنازلياً.					
الرتبة	الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة تقييم
١	٣	الافتقار إلى الخبرة في مجال النشر العلمي.	3.70	1.26	مرتفعة
٢	٦	العزوف عن الالتحاق بالدورات التدريبية في مجال البحث والنشر العلمي.	3.69	1.14	مرتفعة
٣	١	قلة الاهتمام بإجراء البحوث العلمية ونشرها.	3.60	1.07	متوسطة
٣	٢	تدني مهارات البحث والإنتاج العلمي لدى عضو هيئة التدريس.	3.60	1.07	متوسطة
٥	٨	الحاجة إلى التمكن من استخدام اللغة الانجليزية.	3.58	0.90	متوسطة
٦	٧	قلة التواصل العلمي مع المراكز البحثية محلياً أو عالمياً.	3.56	1.27	متوسطة
٧	٥	ضعف اهتمام عضو هيئة التدريس بالمشاركة في المؤتمرات والندوات العلمية.	3.51	1.35	متوسطة
٨	٩	الحاجة إلى التدريب على مهارات التعامل مع الحاسوب.	3.39	0.61	متوسطة
٩	٤	غياب ثقافة النشر الإلكتروني لدى عضو هيئة التدريس.	3.34	1.56	متوسطة
١٠	١٠	عدم وضوح آفاق الاستثمار المادي للإنتاج العلمي لدى عضو هيئة التدريس.	3.24	0.60	متوسطة
مجال "التحديات المرتبطة بعضو هيئة التدريس" ككل			3.52	0.69	متوسطة

يتبين من الجدول (٦) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد العينة عن فقرات مجال "التحديات المرتبطة بعضو هيئة التدريس" تراوحت بين (٣,٢٤ - ٣,٧٠)، جاءت في المرتبة الأولى الفقرة (٣) "الافتقار إلى الخبرة في مجال النشر العلمي" بمتوسط حسابي (٣,٧٠) بدرجة تقييم مرتفعة. وبينما جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة (١٠) "عدم وضوح آفاق الاستثمار المادي

للإنتاج العلمي لدى عضو هيئة التدريس " بمتوسط حسابي (٣,٢٤) بدرجة تقييم متوسطة، وبلغ المتوسط الحسابي للمجال ككل (٣,٥٢) بدرجة تقييم متوسطة.

ويعزو الباحث وقوع الفقرة (٣) في المرتبة الأولى "الافتقاد إلى الخبرة في مجال النشر العلمي" بدرجة تقييم مرتفعة، ربما إلى زيادة عدد أعضاء هيئة التدريس ممن يحملون رتبة أستاذ مساعد وهؤلاء خبرتهم قد تكون قليلة في مجال النشر العلمي لحدثة تعيينهم. وربما لضعف في لغة النشر وخاصة اللغة الإنجليزية. وأما وقوع الفقرة (١٠) في المرتبة الأخيرة "عدم وضوح آفاق الاستثمار المادي للإنتاج العلمي لدى عضو هيئة التدريس" بدرجة تقييم متوسطة، ربما إلى أن ثقافة الاستثمار المادي للإنتاج العلمي ما زالت حديثة الاستخدام وغير واضحة في أذهانهم. وربما لقلة التعزيز المقدم من الجامعات أو من أصحاب المؤسسات الخاصة، وقد اختلفت هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة العتيبي^(٥) والتي جاءت بدرجة تقييم مرتفعة.

الرتبة	الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة تقييم
١	٢	لا توجد مراكز بحثية متخصصة تعنى بالإنتاج العلمي في الكلية.	3.46	0.79	متوسطة
٢	٧	إشغال عضو هيئة التدريس بكثرة الأعباء التدريسية على حساب الإنتاج العلمي.	3.45	0.74	متوسطة
٢	١١	صعوبة حصول عضو هيئة التدريس على التفرغ العلمي.	3.45	0.84	متوسطة
٤	٣	اللوائح والضوابط المتعلقة بالإنتاج العلمي غير واضحة.	3.44	0.71	متوسطة
٤	٥	قلة الدورات التدريبية المطروحة في مجال البحث والنشر العلمي.	3.44	0.74	متوسطة
5	٩	قلة الفرص التي تتيحها الكلية لمشاركة عضو هيئة التدريس في المؤتمرات والندوات العلمية.	3.43	0.84	متوسطة
5	١٠	ضعف التجهيزات والإمكانات اللازمة لتنفيذ المشاريع البحثية في الكلية.	3.43	0.90	متوسطة
٨	٤	لا يسمح لأعضاء هيئة التدريس بالمشاركة في تحديد إستراتيجيات وأولويات البحث العلمي بالكلية.	3.42	0.73	متوسطة
٩	٦	طول الإجراءات الإدارية المتعلقة بتمويل البحث العلمي.	3.41	0.72	متوسطة
١٠	١	نقص الموارد البشرية المؤهلة في الكلية من مساعدي باحثين ومترجمين ومحررين .	3.38	0.60	متوسطة
١٠	٨	ضعف التمويل المالي المخصص لدعم الإنتاج العلمي.	3.38	0.77	متوسطة
مجال "التحديات المرتبطة بالكلية" ككل			3.43	0.50	متوسطة

يتبين من الجدول (٧) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد العينة عن فقرات مجال "التحديات المرتبطة بالجامعة"، تراوحت بين (٣,٣٨ - ٣,٤٦) بدرجة تقييم متوسطة وللجميع الفقرات، جاءت في المرتبة الأولى الفقرة (٢) "لا توجد مراكز بحثية متخصصة تعنى بالإنتاج

العلمي في الكلية" بمتوسط حسابي (٣,٤٦) وبدرجة تقييم متوسطة، بينما جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة (٨) "ضعف التمويل المالي المخصص لدعم الإنتاج العلمي" بمتوسط حسابي (٣,٣٨)، وبدرجة تقييم متوسطة، وبلغ المتوسط الحسابي للمجال ككل (٣,٤٣) بدرجة تقييم متوسطة.

ويعزو الباحث وقوع الفقرة (٢) "لا توجد مراكز بحثية متخصصة تعنى بالإنتاج العلمي في الكلية" في المرتبة الأولى وبدرجة تقييم متوسطة، ربما إلى رغبة الكليات بنشر الإنتاج العلمي لأعضاء هيئة التدريس في مجالات وطنية وإقليمية وعالمية، وربما إلى الرغبة في التنوع في مراكز النشر مما يكسب عضو هيئة التدريس مزيداً من الخبرات. وتختلف هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة موسج Musiig⁽²⁷⁾ كما يعزو الباحث وقوع الفقرة^(٨) "ضعف التمويل المالي المخصص لدعم الإنتاج العلمي" في المرتبة الأخيرة، وبدرجة تقييم متوسطة، ربما إلى تعقد إجراءات الحصول على الدعم المالي من الكليات، وربما لاعتماد أعضاء هيئة التدريس على جهودهم الذاتية في تمويل أبحاثهم، وربما لما تعانيه الجامعات الأردنية بشكل عام، من ضعف التمويل المقدم لها من الدولة، أو مؤسسات المجتمع المحلي.

جدول (٨) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد العينة عن فقرات مجال "التحديات المرتبطة بنشر الإنتاج العلمي مرتبة تنازلياً".				
الرتبة	الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	١	صعوبة إجراءات النشر في المجالات العلمية المرموقة.	3.58	1.00
٢	٥	ضعف المردود المادي للإنتاج العلمي.	3.44	0.90
٣	٣	محدودية أوعية النشر العلمي المتاحة.	3.43	0.88
٤	٢	الافتقار إلى معايير موحدة للنشر العلمي لدى منافذ النشر.	3.39	0.91
٥	٦	تأخر نشر الأبحاث العلمية في الدوريات العلمية المحكمة.	3.31	0.88
٦	٤	اعتماد النشر في بعض الأحيان على العلاقات الشخصية للباحث مع جهات النشر بغض النظر عن جودة الإنتاج العلمي المقدم للنشر.	3.30	0.70
٧	١٠	قلة دور النشر المتخصصة في نشر وتوزيع الكتب العلمية الأكاديمية.	3.29	0.81
٨	٩	تضائل أدوار الناشرين في الارتقاء بالإنتاج العلمي.	3.28	0.75
٩	٧	ارتفاع التكاليف المادية لنشر الإنتاج العلمي.	3.25	0.70
١٠	٨	احتكار بعض جهات النشر لحقوق النشر مما يحد من انتشار الإنتاج العلمي.	3.13	0.64
		مجال "التحديات المرتبطة بنشر الإنتاج العلمي" ككل	3.34	0.45

يتبين من الجدول (٨) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد العينة عن فقرات مجال "التحديات المرتبطة بنشر الإنتاج العلمي" تراوحت بين (٣,١٣ - ٣,٥٨) بدرجة تقييم متوسطة للجميع الفقرات، جاءت في المرتبة الأولى الفقرة (١) "صعوبة إجراءات النشر في المجلات العلمية المرموقة" بمتوسط حسابي (٣,٥٨)، وبينما جاءت في المرتبة الأخيرة، الفقرة (٨) "احتكار بعض جهات النشر لحقوق النشر مما يحد من انتشار الإنتاج العلمي" بمتوسط حسابي (٣,١٣) وبدرجة تقييم متوسطة، وبلغ المتوسط الحسابي للمجال ككل (٣,٣٤) بدرجة تقييم متوسطة.

ويعزو الباحث وقوع الفقرة (١) "صعوبة إجراءات النشر في المجلات العلمية المرموقة" في المرتبة الأولى، وبدرجة تقييم متوسطة، ربما إلى توافر مجلات وطنية وإقليمية عديدة، يمكن لعضو هيئة التدريس النشر من خلالها، وربما لعدم اشتراط الكليات على أعضاء هيئة التدريس بأن يكون جزء من إنتاجهم العلمي في مجلات مرموقة. وربما للرسوم التي تفرضها تلك المجلات كرسوم للنشر.

ويعزو الباحث وقوع الفقرة (٨) "احتكار بعض جهات النشر لحقوق النشر مما يحد من انتشار الإنتاج العلمي" في المرتبة الأخيرة، وبدرجة تقييم متوسطة، ربما لتوافر جهات نشر أخرى عديدة، يمكن للباحث اللجوء إليها.

النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية، عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في وجهات نظر أفراد عينة الدراسة، حول التحديات التي تواجه الإنتاج العلمي؛ لدى أعضاء هيئة التدريس في كليات الشمال التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية تعزى لمتغيرات (التخصص، والكلية، والجنس)؟

للإجابة عن هذا السؤال تم تطبيق اختبار (Independent Samples T-Test) على مجالات الدراسة تبعاً لمتغيرات (التخصص، والكلية، والجنس)، والجدول (٩-١١) توضح ذلك.

جدول (٩) نتائج تطبيق اختبار (Independent Samples T-Test) على مجالات الدراسة والأداة ككل وتبعاً لمتغير التخصص.					
مجال	التخصص	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	T	الدلالة الإحصائية
التحديات المرتبطة بعضو هيئة كليات علمية التدريس.	كليات إنسانية	3.45	0.64	0.93	0.36
	كليات علمية	3.59	0.74		
التحديات المرتبطة بالكلية.	كليات إنسانية	3.40	0.48	0.40	0.69
	كليات علمية	3.45	0.52		
التحديات المرتبطة بنشر الإنتاج العلمي.	كليات إنسانية	3.31	0.41	0.62	0.54
	كليات علمية	3.37	0.50		
التحديات المرتبطة بالمجتمع.	كليات إنسانية	3.69	0.49	0.19	0.85
	كليات علمية	3.71	0.43		

الأداة ككل	كليات علمية	3.53	0.46	0.70	0.49
	كليات إنسانية	3.46	0.40		

يظهر من الجدول (٩) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين آراء أفراد العينة حول مجالات الدراسة والأداة ككل، تبعاً لمتغير التخصص، حيث كانت قيمة (T) غير دالة إحصائياً. وربما يعزى ذلك إلى أن جميع أعضاء هيئة التدريس سواء في الكليات العلمية أم الإنسانية تتشابه حاجاتهم، ومشكلاتهم وظروفهم. وربما إلى أن جميع أعضاء هيئة التدريس في التخصصات العلمية أو الإنسانية، مطالبون من قبل كلياتهم بإنتاج علمي كل حسب تخصصه، وأن المعوقات التي تواجه التخصصات الإنسانية هي نفسها التي تواجه التخصصات العلمية، وقد تشابهت هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة العتيبي^(٥).

الجدول (١٠) نتائج تطبيق تحليل التباين الأحادي (ANOVA) على إجابات أفراد العينة عن مجالات الدراسة والأداة ككل تبعاً لمتغير (الكلية).					
المجال	المستوى	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	F	الدلالة الإحصائية
التحديات المرتبطة بعضو هيئة التدريس.	عجلون الجامعية	3.49	0.73	0.93	0.07
	الحصن الجامعية	3.56	0.69		
	إربد الجامعية	3.52	0.68		
التحديات المرتبطة بالكلية.	عجلون الجامعية	3.38	0.48	0.50	0.70
	الحصن الجامعية	3.39	0.51		
	إربد الجامعية	3.53	0.51		
التحديات المرتبطة بنشر الإنتاج العلمي.	عجلون الجامعية	3.39	0.48	0.52	0.65
	الحصن الجامعية	3.36	0.48		
	إربد الجامعية	3.25	0.39		
التحديات المرتبطة بالمجتمع.	عجلون الجامعية	3.75	0.45	0.75	0.28
	الحصن الجامعية	3.66	0.46		
	إربد الجامعية	3.68	0.49		
الأداة ككل	عجلون الجامعية	3.50	0.43	1.00	0.98
	الحصن الجامعية	3.49	0.45		
	إربد الجامعية	3.49	0.42		

يظهر من الجدول (١٠) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في آراء أفراد العينة حول مجالات الدراسة والأداة ككل تبعاً لمتغير (الكلية)،

حيث كانت قيم (F) غير دالة إحصائياً. ويعزو الباحث ذلك ربما لتشابه الظروف البيئية، والاجتماعية، والديمقراطية بين هذه الكليات، فجميعها تقع في شمال الأردن، وربما لعدم وجود وحدة متخصصة لمتابعة الإنتاج العلمي في هذه الكليات الثلاث، وقد تشابهت هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة العتيبي^(٥).

جدول (١١) نتائج تطبيق اختبار (Independent Samples T-Test) على مجالات الدراسة والأداة ككل وتبعاً لمتغير (الجنس).				
الدالة الإحصائية	T	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الجنس
0.62	0.50-	0.71	3.47	ذكر
		0.69	3.55	أنثى
0.87	0.17-	0.52	3.41	ذكر
		0.49	3.43	أنثى
0.69	0.40-	0.48	3.31	ذكر
		0.44	3.35	أنثى
0.04	2.09-	0.41	3.57	ذكر
		0.47	3.78	أنثى
0.38	0.88-	0.45	3.44	ذكر
		0.42	3.53	أنثى

يظهر من الجدول (١١) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين آراء أفراد العينة حول مجالات الدراسة والأداة ككل، تبعاً لمتغير الجنس، حيث كانت قيم (T) غير دالة إحصائياً. ويعزو الباحث ذلك ربما لكون الإنتاج العلمي لعضو هيئة التدريس مطلوب من الجميع بغض النظر عن جنسهم، وربما لكون التحديات تواجه الجميع، ذكوراً وإناثاً، وقد تشابهت هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة العتيبي^(٥).

السؤال الثالث: ما التصوّر المقترح للتغلب على التحديات التي تواجه الإنتاج العلمي في كليات الشمال التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية؟

للإجابة عن هذا السؤال قام الباحث ببناء هذا التصوّر بناءً على ما توصلت إليه الدراسة الحالية من نتائج، وخبرة الباحث وعمله كعضو هيئة تدريس في كليات الشمال، واحتكاكه بأعضاء هيئة التدريس في هذه الكليات، وفي الجامعات العامة والخاصة، وما توصلت إليه الدراسات السابقة، كدراسة العتيبي^(٥)، ودراسة أحمد^(١١)، ودراسة السّلامات^(٢٣)، دراسة موسج Musiig⁽²⁷⁾.

مرتكزات التصوّر المقترح: هناك عدة مرتكزات يقوم عليها هذا التصوّر وهي:

- كليات الشّمال الثلاث (إربد الجامعية، وعجلون الجامعية، والحصن الجامعية)، وهي بحاجة إلى تأسيس بنيتها على الوجه الأكمل.
- البحث العلمي وظيفة رئيسة من وظائف الكليات، ومن خلاله يظهر دور الكليات في بناء المجتمع وتطوير مؤسساته.
- التحوّلات والتغيرات المتسارعة تفرض على الجامعات والكليات قيادة المجتمعات لتحقيق التنمية المستدامة.
- من أحد معايير تميز الكليات، وارتفاع تصنيفها العالمي والوطني، ونوعية إنتاجها العلمي، لذلك لا بدّ من الارتقاء بالبحث العلمي في هذه الكليات.

مبررات تصوّر المقترح:

إظهار الإنتاج العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس بكليات الشّمال: التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية، والوقوف على التحديات التي تعترضه، ودعمه كي يتجاوز هذه التحديات، خاصة التحديات التي اشارت إليها هذه الدراسة والتي تمثلت بـ:

أ- التحديات المرتبطة بالمجتمع ومن أهمها:

- ضعف اهتمام سوق العمل بالمشاريع البحثية والتطويرية.
 - عدم وجود معايير دقيقة تقيس مدى رضا المؤسسات المجتمعية عن الإنتاج العلمي.
 - هناك ضعف تقدير للأبحاث العلمية من قبل المجتمع.
 - محدودية العوائد للإنتاج العلمي على المجتمع.
- ب- التحديات المرتبطة بعضو هيئة التدريس ومن أهمها:
- الافتقار إلى الخبرة في مجال النشر العلمي.

- العزوف عن الالتحاق بالدورات التدريبية في مجال البحث والنشر العلمي.

- قلة الاهتمام بإجراء البحوث العلمية ونشرها.
- تدني مهارات البحث والإنتاج العلمي لدى عضو هيئة التدريس.
- ج- التحديات المرتبطة بالكليات ومن أهمها:
 - لا توجد مراكز بحثية متخصصة تعنى بالإنتاج العلمي في الكليات .
 - إشغال عضو هيئة التدريس بكثرة الأعباء التدريسية على حساب الإنتاج العلمي.
 - صعوبة حصول عضو هيئة التدريس على التفرغ العلمي.
 - التشريعات المتعلقة بالإنتاج العلمي غير واضحة.
- د- التحديات المرتبطة بنشر الإنتاج العلمي ومن أهمها:
 - صعوبة إجراءات النشر في المجلات العلمية المرموقة.
 - ضعف المردود المادي للإنتاج العلمي.
 - محدودية أوعية النشر العلمي المتاحة.
 - الافتقار إلى معايير موحدة للنشر العلمي لدى أوعية النشر.
- أهداف التصور المقترح: يهدف التصوّر المقترح إلى ما يلي:
 - تحفيز أعضاء هيئة التدريس على مزيد من الإنتاج العلمي المميز.
 - توفير كل سبل الدعم لأعضاء هيئة التدريس لدعم وتطوير إنتاجهم العلمي وتجويده.
 - التعرف إلى معوقات الإنتاج العلمي في كليات الشّمال، والحد من تأثيرها، من خلال وضع الخطط اللازمة.
 - تحسين مستوى الإنتاج العلمي في كليات الشّمال، من الناحيتين النوعية والكمية.

إجراءات التنفيذ: لتنفيذ التصوّر المقترح على كليات الشّمال، إيجاد عمادة للبحث العلمي خاصة بهذه الكليات، أو وحدة لمتابعة خدمات الإنتاج العلمي، تعمل على تحقيق الأهداف التالية:

- إنشاء قاعدة بيانات خاصة بأعضاء هيئة التدريس في كليات الشّمال، وبإنتاجهم العلمي.
- التنسيق مع مؤسسات المجتمع المحلي ضمن جغرافية كليات الشّمال (إربد، وعجلون، وجرش، والأغوار الشمالية، والرمثا) والتعرف إلى حاجاتها والمعيقات التي تواجهها، وكذلك على الإنتاج العلمي لوحدة خدمات الإنتاج العلمي، ودورها في تنمية المجتمع.
- إعداد وسائل التقييم المناسبة لقياس مدى رضى مؤسسات المجتمع المحلي عما تقدمه وحدة خدمات الإنتاج العلمي، وكيفية تطويرها.
- تهيئة الإمكانيات المختلفة (المادية، والبشرية، والتنظيمية) لوحدة خدمة الإنتاج العلمي، وعلى النحو التالي:

أ- الإمكانيات المادية:

- إنشاء قاعدة بيانات في وحدة خدمات الإنتاج العلمي وتعميمها على مختلف الكليات.
- إنشاء مجلات متخصصة لنشر الإنتاج العلمي كلّ حسب اختصاصه، خدمة لأعضاء هيئة التدريس، وتسهيلاً عليهم.
- دعم مكاتب الكليات، بما تحتاجه من مراجع، ودوريات متخصصة، وكتب حديثة، والاشتراك بقواعد البيانات الإلكترونية المختلفة، المحلية منها والعالمية، وتهيئة سبل استخدامها.
- توفير التجهيزات والتقنيات اللازمة لوحدة خدمات الإنتاج العلمي.
- وأهم هذه العوامل هو: الدعم المالي، وزيادة المخصصات لدعم الإنتاج العلمي وتشجيعه، سواء من المصادر الداخلية للكليات أم الجامعة الأم أم من خلال الهبات والتبرعات من الشركات والمؤسسات ذات العلاقة.

ب- الإمكانيات البشرية:

- الحصول على دعم وتأييد جامعة البلقاء التطبيقية (المركز) لتفعيل وحدة دعم الإنتاج العلمي الخاصة بكليات الشّمال وتطويرها.
- تقديم البرامج التدريبية المختلفة (دورات، مشاغل، ندوات، مؤتمرات، لقاءات) لأعضاء هيئة التدريس في كل مجالات البحث العلمي.
- إشراك أعضاء هيئة التدريس في كليات الشّمال في التخطيط الإستراتيجي لهذه الكليات.
- تشجيع أعضاء هيئة التدريس على المشاركة بالمؤتمرات، والندوات العلمية المتخصصة، سواء ما يعقد منها داخل الجامعة أم خارجها.
- عقد اللقاءات بين أعضاء هيئة التدريس وأصحاب المؤسسات في المجتمع المحلي، لتنسيق الجهود وتبادل الأفكار وعرض المعوقات.
- دعم وحدة خدمات الإنتاج العلمي بالكوادر الإدارية والفنية المؤهلة والمدربة، لضمان الأداء المتقن.

ج- الإمكانيات التنظيمية:

- التخطيط السليم أساس النّجاح، لذلك لا بدّ من خطة إستراتيجية، تتضمن الأولويات في مجال الإنتاج العلمي، وتقديم الحوافز المادية والمعنوية للمتميزين من أعضاء هيئة التدريس.
- ربط الإنتاج العلمي بحاجات السوق المحلي، ومشكلات المجتمع، وتطلعاته المستقبلية.
- التنسيق مع مؤسسات المجتمع المحلي العامة والخاصة، لتحديد احتياجاتهم، والتعرف إلى المعوقات التي تقف عائقاً أمام النمو والتطور، والعمل على تذليلها.
- إنشاء فرق بحثية علمية متخصصة، وعقد الاتفاقيات والشراكات مع الجامعات المتميزة كجامعة اليرموك والتكنولوجيا، ولوقوعهما شّمال الأردن لنقل وتبادل الخبرات، وإثراء وتجويد الإنتاج العلمي لكليات الشّمال.

المعوقات التي قد تواجه هذا التصوّر وكيفية التخلص منها؟

- عدم قناعة إدارة جامعة البلقاء التطبيقية (المركز) بجدوى إيجاد وحدة خدمات الإنتاج العلمي خاصة بكليات الشّمال.

- طول وتعقد الإجراءات اللازمة لتفعيل وحدة خدمات الإنتاج العلمي.

- عدم قناعة بعض مؤسسات المجتمع المحلي، بجدوى الإنتاج العلمي، وأثرة على تنمية مؤسساتهم.

- انخفاض الدعم المالي المخصص من جامعة البلقاء التطبيقية (المركز) لدعم وحدة خدمات الإنتاج العلمي.

- نقص الكوادر البشرية المؤهلة والمدربة، اللازمة لتشغيل وحدة خدمات الإنتاج العلمي.

ويمكن التغلب على هذه المعوقات من خلال ما يلي:

- تنظيم لقاءات بين عمداء كليات الشّمال وبعض أفراد المجتمع المحلي من أصحاب المؤسسات من جهة، وبين رئيس جامعة البلقاء التطبيقية ومجلس أمنائها من جهة أخرى؛ لشرح مدى حاجة كليات الشّمال ومؤسساتها العامة والخاصة على حدٍ سواء لخدمات وحدة خدمات الإنتاج العلمي.

- البحث العلمي هو جزء من حياتنا، وهو جزء من أمن الشعوب وسيادتها، وبدونه سنبقى دولا نامية، لذلك لابدّ من إصدار التشريعات اللازمة لتفعيل وحدة خدمات الإنتاج العلمي.

- تعيين أو نقل كوادر بشرية مدربة أو تدريبها بعناية، لتقديم الدّعم الفني والإداري لوحدة خدمات الإنتاج العلمي.

- فتح المجال أمام مؤسسات المجتمع المحلي، من خلال تقديم التسهيلات والإعفاءات الضريبية للشركات الخاصة لتقديم الدعم المادي والمعنوي لوحدة خدمات الإنتاج العلمي، إضافة لما تقدمه جامعة البلقاء (المركز) من مخصصات.

التوصيات:

- أن تتبنى جامعة البلقاء التطبيقية (المركز)، هذا التصوّر المقترح، من أجل التغلب على التحديات التي تواجه الإنتاج العلمي في كليات الشّمال التابعة لها.

- العمل على تطوير قدرات أعضاء الهيئة التدريسية في كليات الشّمال التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية، من خلال إشراكهم بالدورات التدريبية كلّ حسب حاجته، وكذلك حضور المؤتمرات وغيرها.

- تذليل العقبات، وتسهيل الإجراءات المتعلقة بالإنتاج العلمي ونشره، وسن القوانين وتحديث اللوائح التي تخدم ذلك.

- إنشاء عمادة للإنتاج العلمي في كليات الشّمال، تتولى وضع إستراتيجيات البحث العلمي لأعضاء الهيئة التدريسية، ورصد الميزانيات اللازمة للبحث العلمي في هذه الكليات، وإيجاد آلية خاصة تضمن توظيف نتائج البحوث العلمية لأغراض التنمية المختلفة، وخدمة المجتمع ومؤسساته.

المراجع:

- (١)- الصقر، عبد الله محمد . واقع البحث العلمي في الجامعات السعودية ومقترحات للتطوير (دراسة تحليلية)، جامعة قناة السويس، مجلة كلية التربية بالسويس، المجلد (٥)، العدد (١)، (٢٠١٢)، ١٥٤ - ١٧٣.
- (٢)- السكران، عبد الله . التحولات الأكاديمية المطلوبة في التعليم الجامعي بالمملكة العربية السعودية، رسالة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، العدد (١٢٨)، (٢٠١٣)، ١٨٥ - ٢٠١٩.
- (٣)- الخليفة، عبد العزيز بن علي. صيغة مقترحة لتفعيل الشراكة المجتمعية للجامعات السعودية في ضوء فلسفة الجامعات المنتجة: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أنموذجاً. مجلة رسالة التربية وعلم النفس، الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، جامعة الملك سعود، الرياض، العدد (٤٦)، أيلول، (٢٠١٤)، ٩٧-١٢٣.
- (٤)- تقرير المعرفة العربي . الشباب وتوطين المعرفة، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، المكتب الإقليمي للدول العربية، دبي، (٢٠١٤)، دار الغرير.
- (٥)- العتيبي، عبد المجيد بن سلى الروقي . تصور مقترح على تحديات الإنتاج العلمي في الجامعات السعودية الناشئة، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد (٣٣)، (٢٠١٧)، ٢٥٦ - ٢٨٥.
- (6) Wichian, Sageemas; Wongwanich, Suwimon & Bowarnkitiwong, Suchada. Universities: Listel and Neural Network Analyses. *Kasetsart J. (Soc. Sei)*, (30), (2009)67-78.
- (7) Jonker, Linda, & Hichs, Martin. Teaching Loads and Research Outputs of Ontario University Faculty Members: Implication for Productivity and Differentiation. *Higher Education Quality Council of Ontario (HEQCO)*, Toronto, Canada, (2014), march 11.
- (8) Okiki, Olatokunbo Christopher. Research productivity of teaching faculty members in Nigerian federal university: An investing study. *Chinese Librarianship: An International Electronic Journal*.36. (2013), URL: <http://www.lclcl.us/cliej/c136okiki.pdf>.
- (٩) زين الدين، محمد مجاهد. أساليب بناء التصور المقترح في الرسائل العلمية. جامعة أم القرى، كلية التربية، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٣.
- (١٠)- حمادات، محمد حسن. معوقات البحوث التربوية وصياغة القرارات (بين الأعمال والاهمال). المجلة التربوية، العدد (٦٦)، أكتوبر، (٢٠١٩)، ٩٤٢-٩٧٦.
- (١١) أحمد، أحمد عثمان إبراهيم، وإدريس، جعفر موسى، وعبد الله، محمد الحاج، وزكي، منيرة محمد أحمد. أثر المتغيرات الشخصية والبيئية على الإسهام الفكري لأعضاء هيئة التدريس بفروع جامعة الطائف. المجلة الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا (اماراباك)، الولايات المتحدة الأمريكية، ٤(٩)، (٢٠١٣)، ١٢٥-١٤٢.

- (١٢) حوالة، سهير محمد. الإنتاجية العلمية لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات في ضوء مقومات الرضا الوظيفي: دراسة ميدانية على جامعة طيبة. مجلة كلية التربية، جامعة الإسكندرية (١٩)، (٣)، (١)، (٢٠٠٩)، ٢٦٦-١٤٨.
- (١٣) سمبس، أميرة زبير رفاعي. واقع الإنتاج العلمي لأعضاء هيئة التدريس السعوديات بجامعة أم القرى: كلية الآداب والعلوم الإدارية. مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة. جامعة الأزهر، القاهرة، العدد (٣٠)، ج (٢)، (٢٠١١)، ٥٠٤ - ٤٤١.
- (١٤) تراور، كاثي. سياسات تعيين أعضاء هيئة التدريس، المواصفات والتطبيقات. مكتبة العبيكان، (٢٠٠٦)، الرياض.
- (١٥) عزب، محمد علي. التعليم الجامعي وقضايا التنمية. القاهرة، (٢٠١١)، مكتبة الأنجلو المصرية.
- (16) Ju, Ming. The Impact of Institutional and Peer Support on Faculty Research Productivity: A Comparative Analysis of Research Vs. Non-Research Institutions. Seton Hall University Dissertations and Theses (ETDs). (2010), Paper 1608.
- (١٧) - عبد الحفيظ، رمزي أحمد. مستقبل التعليم العالي في الوطن العربي في ظل التحديات العالمية. عمان، (٢٠١١)، مؤسسة الوراق.
- (١٨) - العزاوي، سامي فياض. الاغتراب الوظيفي وأثره في الإنتاج العلمي: دراسة حالة في الجامعات الأردنية. المؤتمر العربي الثاني: (تنمية الموارد البشرية وتعزيز الاقتصاد الوطني)، المنظمة العربية للتنمية الإدارية مسقط، عمان، ٢١-٢٣ فبراير، (٢٠١٠)، ٣٧٦ - ٤٣٢.
- (١٩) - عبد، إيمان رسي؛ وأبو عواد، فريال محمد. دراسة تحليلية لواقع البحث العلمي في الوطن العربي وتوجهات التطوير فيه. مجلة اتحاد الجامعات العربية، عمان، الأردن، ع (٦٠)، (٢٠١٢)، ١٩٣ - ٢١٥.
- (٢٠) - قمر، عصام توفيق. البحث العلمي في الوطن العربي إشكاليات وآليات للمواجهة. الإسكندرية، (٢٠٠٨)، المكتب الجامعي الحديث.
- (٢١) - كعكي، سهام محمد صالح. "تحديات تفعيل البحث العلمي بمؤسسات التعليم العالي". المؤتمر العربي الأول: (الرؤيا المستقبلية للنهوض بالبحث العلمي في الوطن العربي)، المنظمة العربية للتنمية الإدارية إربد، الأردن ٢٨-٣٠ مارس، (٢٠١١)، ٩٩-١٢٠.
- (٢٢) - حفيظي، نور الدين؛ وتبين، راوية. النشر بين الأهمية العلمية والصعوبات الواقعية. الملتقى العلمي المشترك الأول مع المكتبة الوطنية الجزائرية: (تمتين أدبيات البحث العلمي)، مركز جيل للبحث العلمي، الجزائر، ٢٩ ديسمبر، (٢٠١٥)، ١٥٣ - ١٦٧.
- (٢٣) - السلامات، محمد خير؛ والزبون، حابس سعد. مشكلات البحث العلمي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في جامعة الطائف. مجلة كلية التربية، أسوان مصر، ع (٢٦)، (٢٠١٢)، ٩٤-١٣٢.
- (٢٤) - المنيع، الجوهرة بنت عبدالرحمن. الإنتاج البحثي لدى أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأميرة نورة. مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، (٤)، (٢٠١٢)، ٣٦٤-٣٩٤.

(٢٥)- الحراحشة، محمد عبود. المشكلات التي تواجه الأستاذ الجامعي في مجال البحث العلمي. مؤتمر (الرؤيا المستقبلية للنهوض بالبحث العلمي في الوطن العربي)، المنظمة العربية للتنمية الإدارية إربد، الأردن ٢٨-٣٠ مارس، (٢٠١١)، ١٦٥-٢٠٤.

(٢٦)- التل، وائل عبد الرحمن. تحليل واقع الإنتاج العلمي في كلية التربية بجامعة الملك عبد العزيز وتحديد معوقاته من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في الكلية. مجلة دراسات، العلوم التربوية، الجامعة الأردنية الأردن، ٣٨(٣)، (٢٠١١)، ٨٨٣-٩٠٠.

(27) Musiige, Gordon. Faculty perception towards the factors that influence research productivity. Master of philosophy in higher education. Faculty of educational sciences. University of OSLO. October. (2014).

(28) Miller, J, Corey; Coble, Keith; Lusk, Jayson. Evaluating top faculty researchers and the incentives that motivate them. Scientometrics, December, 97 (3), (2013), 519-533.

(29) Iqbal, Muhammad & Mahmood, Azhar. Factors Related to Low Research Productivity at Higher Education Level. Asian social science, vol. 7, No.2, February. (2011), 188-193.

المرض في الشعر الجاهلي

د. شمس الاسلام حالو*

تاريخ القبول: ٢٠٢١/٢/١٦م

تاريخ الوصول: ٢٠٢٠/١٢/٢٠م

الملخص

يتناول هذا البحث المرض في الشعر الجاهلي، من خلال الأشعار الجاهلية التي تعرضت لذكر المرض، واقفاً عند ما ذكرته تلك الأشعار عن تفسير الجاهليين للمرض واعتقاداتهم به، وعند أساليبهم في الوقاية منه، وطرقهم في علاجه، وكذلك وضّح أهم الأمراض المذكورة في الشعر الجاهلي من خلال تتبعها في الأغراض الشعرية المختلفة، محاولاً لَمَّ شتات هذه المادة المبعثرة في كثير من المصادر ودراساتها دراسة وافية، وخلص إلى أن الشعراء الجاهليين استطاعوا أن ينقلوا لنا صورة جلية عن المرض وما يتعلق به في تلك الفترة من خلال توظيفهم أموراً تتعلق بالمرض وأسماء الأمراض في موضوعاتهم الشعرية المتنوعة حافظين بذلك جانباً مهماً من جوانب حياة العرب في العصر الجاهلي.

الكلمات المفتاحية: المرض، الشعر، الجاهلي.

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، الجامعة القاسمية.

Illness in pre-Islamic poetry

This research deals with disease in pre-Islamic poetry, through pre-Islamic poetry that was subjected to mention of disease, and standing at what those poems mentioned about the ignorant interpretation of disease and their beliefs in it, their methods of preventing it, and their methods of treating and curing it, as well as explaining the most important diseases mentioned in pre-Islamic poetry by tracking it in the various poetic purposes, trying to gather the dispersal of this material scattered in many sources and studying it thoroughly, and the study concluded that the pre-Islamic poets were able to convey to us a clear picture of the disease and what is related to it in that period by employing matters related to disease and the names of diseases in the various poetic themes, and that preserved an important aspect of Arab life in the pre-Islamic era.

Key words: disease, poetry, pre-Islamic.

المقدمة:

لا نعدو الحقَّ إذا قلنا إنَّ الشَّعر فنُّ العرب الخالد، الذي حفظ حياتهم بوجوهها المختلفة، وتفاصيلها اليومية، وأتته خازن عاداتها وتقاليدها وأعرافها ومعتقداتها، وقد أدرك الشعراء الجاهليون خاصَّة العرب عامَّة رسالة الشعر وأثره في كافة مناحي الحياة، فنقل الشعراء الجاهليون من خلاله عالمهم الداخلي، ووصفوا لنا كذلك عالمهم الخارجي، وكان الشعر أداة طيعة لتوصيل كل ما يتعلق بالحياة الجاهلية في صورها المختلفة، في سرائها وضرائها، وفيما حواه الشعر الجاهلي بين طبائعه أشعارٌ تتعلق بالأمراض والأسقام والأوجاع التي تصيب الإنسان آنذاك، سواء أكان ذلك بشكل مباشر أم غير مباشر، فالمرض كان وما زال من الظواهر الطبيعية التي تصيب المخلوقات الحيَّة، وفي الشعر الجاهلي أشعار كثيرة توضح الأمراض والآلام والأسقام التي تصيب الإنسان، ويعاني أوجاعها، ونستفيد من تلك الأشعار في تحديد مدلولات تلك الأمراض، وفي تكوين رؤية واضحة عن الأمراض التي كانت منتشرة في تلك الحقبة، وفي توضيح فهم الجاهليين للمرض واعتقاداتهم حوله، وأساليبهم في علاجه والوقاية منه في ذلك العهد.

ولدراسة البحث دراسة شاملة وافية اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي إلى جانب المنهج الاستقصائي، وقد رسم الباحث خطةً تحيط بالبحث من جوانبه المختلفة، وتكشف عن أمور كثيرة في هذا الجانب من حياة الإنسان في العصر الجاهلي، فسوف يبدأ البحث بمقدمة نظرية تبين معنى المرض وأبرز مرادفاته في الشعر الجاهلي، ثم يوضح اعتقادات الجاهليين بالمرض وتفسيرهم له، ثم أساليبهم في الوقاية من المرض وطرقهم في علاجه، مستفيداً في ذلك كلِّه مما جاء في الشعر الجاهلي وبعض أشعار المخضرمين الذين عاشوا شطراً كبيراً من حياتهم في الجاهلية وحافظوا بشعرهم على كثير من ألفاظ العرب فيها، ثم يقف البحث عند أهمِّ الأمراض المذكورة في الشعر الجاهلي؛ ليصل في النهاية إلى أهم نتائجه، ومنها أن الشعر الجاهلي حمل مادة خصبة وغزيرة عن موضوع المرض، ونقل صورة جلية عنه تؤكد ثراء هذا الشعر وغناه وإحاطته بحياة العرب، وانفتاحه على دراسات كثيرة.

وتنبثق أهمية هذا البحث في استقصائه لهذه المادة المتناثرة في الشعر الجاهلي عامة، والتي لم يجد لها الباحث فيما استقصاه بحثاً سابقاً شاملاً يقف عند تفاصيل هذا الموضوع ويجمع شتاته.

أولاً- معنى المرض ومرادفاته:

أ. معنى المرض وأصله:

الْمَرَضُ من الألفاظ المعروفة عند العرب، ونجد هذه الكلمة في كتب اللغة بمعناها المشهور، إذ قال ابن دريد: "والمَرَضُ: ضدّ الصَّحَّةِ، مَرَضَ يَمْرَضُ مَرَضًا وَمَرَضًا فَهُوَ مَرِيضٌ وَمَارِضٌ"^(١) وذكر أصل المرض فقال: "أصلُ المَرَضِ الضَّعْفُ، وكلّ ما ضَعُفَ فقد مَرِضَ، ومنه قولهم: امرأةٌ مَرِيضَةٌ الأُلْحَاطُ ومَرِيضَةُ النَّظَرِ، أي ضَعِيفَةُ النَّظَرِ. ومَرَضَ الرجلُ في كَلَامِهِ، إذا ضَعُفَ"^(٢) وذكر الأزهري عن ثعلب عن ابن الأعرابي أصل المرض أيضًا، فقال: "أصلُ المَرَضِ التَّقْصَانُ؛ بَدَنٌ مَرِيضٌ: ناقِصُ القُوَّةِ. وقلْبٌ مَرِيضٌ: ناقِصُ الدِّينِ"^(٣) ومن معاني المرض الحزن والغم والظُّلْمَةُ والتَّيْفَاقُ؛ قال أبو بكر الأنباري: "وقولهم: قد مَرِضَ قلبُ فلانٍ معناه: قد حزن واغتمَّ، فاعتَلَّ قلبُه لذلك، فأشبهه علَّةُ الأجسامِ ومَرَضُهَا. ويقال أيضًا: قد مرض قلبُه، معناه: قد أَظْلَمَ قلبه. قال أبو بكر: سمعت أبا العباس يقول: يكون المرض عند العرب: الظُّلْمَةُ. وأنشدنا:

وليلةٍ مَرَضَتْ من كلِّ ناحيةٍ فما يضيءُ لها نَجْمٌ ولا قَمَرٌ

ويقال أيضًا في غير هذا المعنى: قد مَرِضَ قلبُ هذا الرجل: إذا شكَّ وناققَ. قال الله ﷻ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠] وقال الأزهري: "وأخبرني المنذري عن بعض أصحابه أنه قال: المَرَضُ: إظْلَامُ الطَّبِيعَةِ واضطرابُها بعد صفائها واعتدالها"^(٤)

ووردت الكلمة ومشتقاتها في الشعر الجاهلي، فمن ذلك قول سَعِيَّة بن غَرِيضٍ اليهودي:^(٥)

أَرْمِيهِمْ بِالْأَذَى حَتَّى تَخَالَهُمْ مَرَضَى سُلَالٍ وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ
وقول أوس بن حجر:^(٦)

تَرَى الْأَرْضَ مَنًّا بِالْفَضَاءِ مَرِيضَةً مُعْضِلَةً مَنًّا بِجَيْشٍ عَرْمَرَمٍ

وحقيقة المرض هنا النقصان، فكأنَّ استطاعة الأرض عجزت، وقواها قصرت وتناقصت عن الاستقلال بما حمَّلوها إيَّاه، فاستعارته للأرض المرضَ مبالغة في وصف كثرة عددهم ووقع حوافر خيلهم. فكأنَّ الأرض حملت منهم ثقلًا لا تنهض به، فأكسبها ذلك مرضًا.^(٧) وكذلك في قول عدي بن زيد العبادي:^(٨)

وصحيحٌ أضحى يعودُ مريضاً وهو أدنى للموتِ ممَّن يعودُ
فالمرض هنا يعني تراجع الصحة ونقصانها وضعف الجسم أيضاً.

ب. الألفاظ المرادفة للمرض:

جاءت ألفاظ كثيرة في لغة العرب بمعنى المرض، واستخدمت للتعبير عنه، وذكرت المعاجم العربية كثيراً منها، ووردت عند كثير من الشعراء الجاهليين، ومن أهم تلك الألفاظ:

١- الداء: وهو اسمٌ جامعٌ لكلِّ مرضٍ وعَيْبٍ في الرِّجَالِ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ. ورد في شعر امرئ القيس: (١٠)

تَأْوَيْتَنِي دَائِي الْقَدِيمُ فَعَلَّسَا أُحَاذِرُ أَنْ يَرْتَدَّ دَائِي فَأُنْكَسَا

٢- الوجع: اسمٌ جامعٌ لكلِّ مرضٍ مؤلم. وقال ابن سيده: "الْوَجَعُ: اسْمٌ لِكُلِّ مَرَضٍ، وَالْجَمْعُ أَوْجَاعٌ" (١١)، وقد ردت في الشعر الجاهلي كما في قول مالك بن حريم الهمداني: (١٢)

كِي يَجِدُوا مِثْلَ مَا وَجَدْتُ فَقَدْ أَصْبَحْتُ نِضْوًا وَمَسْنِي الْوَجَعِ

لَا أَسْمَعُ اللَّهْوَ فِي الْحَدِيثِ وَلَا يَنْفَعُنِي فِي الْفِرَاشِ مُضْطَجَعٌ

٣- السقم: جاء في اللسان: "سقم: السَقَامُ والسَّقْمُ والسَّقَمُ: الْمَرَضُ، لُغَاتٌ مِثْلُ حُزْنٍ وَحَزْنٍ، وَقَدْ سَقِمَ وَسَقِمَ سَقَمًا وَسَقَمًا وَسَقَامًا وَسَقَامَةً يَسْقُمُ، فَهُوَ سَقِيمٌ وَسَقِيمٌ؛ قَالَ سَيَبَوَيْه: وَالْجَمْعُ سِقَامٌ" (١٤) جاءت في الشعر الجاهلي أيضاً، كما في قول طرفة: (١٥)

أَلَا رَبِّ يَوْمٍ، لَوْ سَقِمْتُ لَعَادَنِي نِسَاءُ كِرَامٍ مِنْ حَيٍّ وَمَالِكٍ

وقول الأعشى: (١٦)

أُمُّ كَمَا قَالُوا سَقِيمٌ، فَلَيْتَ نَفَضَ الْأَسْقَامَ عَنْهُ، وَاسْتَصَحَّ

٤- الضَّئِي: هو المرض المُدْنِفُ الَّذِي يُلْزِمُ صَاحِبَهُ الْفِرَاشَ وَيُضْنِيهِ حَتَّى يَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ. (١٧) قال ابن فارس: "ضني يضني ضنى شديداً، إذا كان به داءٌ مخامرٌ كلما ظنَّ أنه برأ نكس، وأضناه المرض" (١٨) قال النابغة الجعدي: (١٩)

مَا كُنْتُ أَعْرَجٌ أَوْ أَعْمَى فَيَعْدِرْنِي أَوْ ضَارِعًا مِنْ ضَنْئٍ لَمْ يَسْتَطِعْ حَوْلًا

٥- الوَصَبُ: الوَصَبُ، محرَّكةً: المَرَضُ، وَقِيلَ: الأَلَمُ الشَّدِيدُ، وَقِيلَ: الأَلَمُ الدَّائِمُ. وَقِيلَ: الوَصَبُ: المَرَضُ، والنَّصَبُ: التَّعَبُ والمشَقَّةُ، كَمَا تَقَدَّمَ. والوَصَبُ: دَوَامُ الْوَجَعِ وَلُزُومُهُ. وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: الوَصَبُ: نُحُولُ الْجِسْمِ مِنْ تَعَبٍ أَوْ مَرَضٍ. ^(٢٠) قَالَ أَبُو الْعِيَالِ الْهَذَلِيُّ: ^(٢١)

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوَدَنِي صُدَاغُ الرَّأْسِ وَالْوَصَبُ

الدَّنَفُ: المَرَضُ اللَّازِمُ الْمُخَايَرُ، وَقِيلَ: هُوَ المَرَضُ مَا كَانَ. وَرَجُلٌ دَنَفٌ وَدَنَفٌ وَمُدْنَفٌ وَمُدْنَفٌ: بَرَأَ المَرَضُ حَتَّى أَشْفَى عَلَى المَوْتِ. ^(٢٢) جَاءَ فِي قَوْلِ المَتَلَمِّسِ يَصِفُ جَارِيَةً: ^(٢٣)

فَلَوْ أَنَّ مَحْمُومًا بِخَيْرٍ مُدْنَفًا تَنَشَّقُ رَيَّاهَا لِأَقْلَعِ صَالِبِهِ ^(٢٤)

فتلك هي أهم الألفاظ المرادفة للمرض التي كثير استخدام الشعراء لها في شعرهم للدلالة على المرض وأحواله.

ثانيًا. اعتقادات الجاهليين بالمرض:

لاشك أن اعتقادات الجاهليين عن المرض وتفسيرهم له متعلِّقٌ باعتقاداتهم وتفكيرهم بشكل عام، وهو تفكيرٌ يعكس حياتهم البسيطة في الصحراء، والمعتقدات الكثيرة التي آمنوا بها وكانت بعيدة عن التفكير المنطقي والعقلي، ولا غرابة في ذلك فلم يكن الطبُّ متطورًا آنذاك، ولم يكن الجاهليون يمتلكون تفسيراتٍ علمية دقيقة للمرض وأسبابه وعلاجه، وإنما اكتسبوا خبرتهم من التجربة التي امتلكوها عبر الأيام، من خلال ما كانوا يمرون به من أمراض وضعف يعتري الإنسان والحيوان، محاولين علاجها بما تيسر لهم في بيئتهم من مواد ونباتات وأعشاب وأغذية.

وكان أكثر العرب في جاهليتهم بدوًا، والبدواة طور اجتماعي طبيعي تمرُّ به الأمم أثناء سيرها إلى الحضارة، وأهم ما يميّز المظاهر العقلية الطبيعية عندهم ضعف التعليل، وعدم القدرة على فهم الارتباط بين العلة والمعلول والسبب والمسبب فهمًا تامًّا؛ ولذلك اعتقدوا بعض الاعتقادات غير العلمية وغير المنطقية في المرض، فقد ظنُّوا أنَّ سبب المرض روحٌ شريرةٌ تحلُّفي المريض فيداوونه بما يطرد هذه الأرواح، فمن ذلك كانوا إذا خافوا على الرجل الجنون نجَّسوه بتعليق الأقدار وعظام الموتى؛ وهذا لأنهم فقدوا النظرة العلمية والربط بين الأسباب والعوارض. ومن أهم معتقداتهم التي تبدو واضحة في الشعر خاصة اعتقادهم أنَّ دماء الملوك

والرؤساء تشفي من عضه الكلب والجنون.^(٢٥) وهذا الاعتقاد يتضح في كثير من الشعر الجاهلي، كما في قول المتلمس:^(٢٦)

مَنْ الدَّارِمِينَ الَّذِينَ دَمَاؤُهُمْ شَفَاءٌ مِنَ الدَّاءِ الْمَجَنَّةِ وَالْخَبْلِ

فدماء الدارميين باعتقاد المتلمس تشفي من داء الجنون وفساد العقل والقلب.

ومثله عوف بن الأحوص العامري الذي يعتقد أن دماء هذا السيد الملقب بالعنقاء لطول عنقه، وهو من ملوك غسان، تشفي من الكلب:^(٢٧)

أَوِ الْعَنْقَاءِ ثَلْبَةً بَنِ عَمْرٍو دَمَاءُ الْقَوْمِ لِلْكَلْبَى شَفَاءُ

كما اعتقدوا بالرقى والتمايم، وأنها تصرف المرض والعين وتشفي المريض، وكثيراً ما ذكروها في شعرهم، فمن ذلك قول صخر الغي الهذلي يرثي أخاه الذي سبقت منيته ما جمع من الرقى والأطباء لعلاجها، وكان قد نهشته حية فمات:^(٢٨)

أَخِي لَا أَخَا لِي بَعْدَهُ سَبَقَتْ بِهِ مَنِيَّتُهُ جَمَعَ الرُّقَى وَالطَّبَّابِ

وقول سلمة بن الخرشب الأنماري يوضح تعولهم على الرقى والتمايم للوقاية من الإصابة بالعين أيضاً:^(٢٩)

تُعَوِّذُ بِالرُّقَى مِنْ غَيْرِ خَبْلٍ وَتُعَقِّدُ فِي قَلَانْدِهَا التَّمِيمَ^(٣٠)

فالشاعر يذكر اعتماد القوم على الرقى والتمايم حتى من غير مرض، وهذا يعني اعتمادهم عليها في المرض فذلك أهم وأولى. وكانوا يزعمون أيضاً أن الطاعن قد يشفي المطعون من الطعنة إذا رقاها، وأنه يبرأ من الطعنة ولا يموت بسببها، يقول المرزوقي: "كان من رموزهم أن الواحد إذا رمى بسهم وأراد سلامة الرمية منه رقى سهمه بعوده ونفث فيه، ثم رمى به، وإذا أراد هلاكه لم يفعل ذلك"^(٣١) ويظهر هذا الاعتقاد في قول زهير بن مسعود الضبي:^(٣٢)

عَشِيَّةً غَادَرْتُ الْخُلَيْسَ كَأَنَّمَا عَلَى النَّحْرِ مِنْهُ لَوْنُ بُرْدٍ مُحَبَّرٍ

فَلَمْ أَزِقْهُ إِنْ يَنْجُ مِنْهَا وَإِنْ يَمُتْ فَطَعْنَةُ لَا غُسِّي وَلَا بِمُغَمَّرٍ^(٣٣)

وهو معنى قول حاتم الطائي أيضاً:^(٣٤)

سِلَاحُكَ مَرِقِيٌّ وَلَا أَنْتَ ضَائِرٌ عَدُوًّا وَلَكِنْ وَجْهَ مَوْلَاكَ تَخْمِشُ

وكذلك في قول ثعلبة بن عمرو العبدى مفتخرًا: (٣٥)

فأتبعته طعنة ثرةً يسيلُ على الوجه منها صبيبُ

فإن قتلته فلم أرقه وإن ينح منها فجرح رغب (٣٦)

وهذا المقصود من قول عنتره أيضًا: (٣٧)

فإن يبرأ فلم أنفث عليه وإن يُفقد فحق له المُقود

يوضح أنه إن شفي وبرئ المطعون من الطعنة فالسبب ليست الرقية لأنه لم يرق من طعنه.

ومن أوابدهم أيضًا تعليق الحلي والجلجل على اللديغ، يرون أنه يفيق بذلك، ويقال إنه إنما يُعلق عليه لأنهم يرون أنه إن نام يسري السم فيه فهلك، فشغلوه بالحلي والجلجل وأصواتها عن النوم. وذهب بعضهم إلى أنه إذا علق عليه حلي الذهب برأ، وإن علق الرصاص أو حلي الرصاص مات. (٣٨) وإلى هذه العقيدة أشار النابغة الذبياني بقوله: (٣٩)

فبت كائي ساورتني ضئيلة من الرقش، في أنياها السم نافع

يسهد من نوم العشاء سليمها لخلي النساء في يديه قعاعع

ومن عاداتهم إذا فقد الغلام سنّه، وضعوه له بين السبابة والإبهام، وجعلوه يستقبل الشمس، ويقذف السنّ في عينها، ويقولون في ذلك: أبدلني أحسن منها، فيأمن على أسنانه العوج، والفلج، وزيادتها وتراكبها، ولا تزال هذه العادة معروفة عند بعض العرب إلى الآن، وإلها يشير قول طرفة: (٤٠)

بدلته الشمس من منبته بردًا أبيض مصقول الأشر

ومن اعتقاداتهم في دفع المرض والوباء عنهم أنهم كانوا إذا أراد أحدهم دخول قرية، وخاف وباءها، أو جئها، فله سبيل سهل يحميه ويقبه، وهو أن يقف على باب القرية والموضع الذي يريد دخوله، ثم ينهق نهيق الحمار، ثم يعلق عليه كعب أرنب، فيدخل عندئذ الموضع دون خوف، فقد فعل ما يتقي به الأذى والسوء، ويسمون ذلك التعشير. (٤١) وهو المقصود من قول عروة ابن الورد: (٤٢)

وَإِنِّي وَإِنْ عَشَرْتُ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى نُهَاقَ حِمَارٍ، إِنِّي لَجَزُوعٌ

وإذا أرادت المرأة المقلات، وهي المرأة التي لا يعيش لها ولد، أن يعيش ولدها المريض ويُصرف عنه الموت، ففي إمكانها ذلك إذا تخطت القتل الشريف سبع مرات، وعندئذ يعيش ولدها.^(٤٣) وفي ذلك يقول بشر بن أبي خازم:^(٤٤)

تَظَلُّ مَقَالِيْتُ النِّسَاءِ يَطَّأَنَهُ يَقْلُنْ: أَلَا يُلْقَى عَلَى الْمَرْءِ مِزْرُ

فتلك أهم اعتقاداتهم حول المرض التي حفظها الشعر الجاهلي ووضح جانباً كبيراً منها، ومن تفسيرهم لها، وإيمانهم بها.

ثالثاً. الوقاية من المرض:

أدرك العرب الجاهليون من خلال تجاربهم الحياتية اليومية والمعاينة الواقعية أن هناك أموراً يمكن أن يفعلها الإنسان للوقاية من المرض وأعراضه قبل الإصابة به، ووجدوا أن في اتباعها سلامةً للجسم ومحافظةً على صحته، وهي أمور كثيرة، لعل من أهمها توحيهم الأصل الكريم والسلالة الجيدة في الزواج، فقد تبين لهم أن هناك أمراضاً تنتقل من الآباء إلى الأبناء بالوراثة، وأن نجابة الأزواج وأصالتهم لها أثر في صحة المولود وسلامته، يقول الدكتور جواد علي:

"ويقدمُ العربُ البيتَ على الجمال؛ فللبيتِ أثرٌ في أخلاق المرأة وفي نجابة الأولاد، وهو أثر دائم، والجمال صورة زائلة. فكانوا يهتمون بالبيت المنجب، ليكون النسلُ نجيباً صحيحَ البنية والعقل، لقد علمتهم الطبيعة، وتبين من تجارب الحياة أن لبنتِ البنتِ أثراً كبيراً في مستقبل الأسرة وفي نجابة الأولاد وصحة أجسامهم وسلامتهم من المرض؛ لذلك فضّلوا أصالة البيت على جمال المرأة. لما للأصالة من أثر في الوراثة التي تنتقل من الأبوين إلى الأولاد"^(٤٥) وفي ذلك يقول الشاعر بغثر بن لقيط الأسدي:^(٤٦)

وَأَوَّلُ خُبْتُ الْمَاءِ خُبْتُ تَرَابِهِ وَأَوَّلُ خُبْتُ الْقَوْمِ خُبْتُ الْمَنَاحِ

كما أدركوا أهمية لبن الأم في طبيعة الولد ونموه؛ ولذلك كانوا يرون أن ترضع الأم ولدها، فإذا تعذر ذلك لسبب، فترضعه مرضعة من المرضعات السليمات من المرض، ومن ذوات العرق الطيب؛ لأن اللبن دسّاس يؤثر في شاربِه؛ جاء في شعر أبي كبير الهذلي في المدح:^(٤٧)

ومبراً من كلِّ غُبرِ حَيْضَةٍ وقَسَادِ مُرْضِعَةٍ وداءٍ مُغِيلٍ^(٤٨)

فممدوخُ الشاعر نجيبٌ سليم الجسم، فأُمُّه لم تحمل به في بقية الحيض، ولا حملت عليه في حالة رضاعة فيفسد حليبه، كما لم ترضعه وهي حامل، وهذا كله يؤكد معرفتهم باللبن السليم للرضيع، وأهميته في بناء الجسم السليم، وقد عرفوا ذلك بالتجربة الواقعية، دون أن يقفوا على ذلك طبيًّا أو علميًّا.

كما أدركوا انتقال بعض الأمراض بالعدوى؛ ولذلك كانوا يتَّقونها ويعزلون المصاب بمرض معدٍ، وذكروا من ذلك عزلهم البعير المصاب بالجرب عن القطيع خشية العدوى، والشعر الجاهلي عامرٌ بهذا الجانب، فمن ذلك قول طرفة بن العبد مشمِّهاً نفسه عندما تجنبته قبيلته بالبعير الأجرب المطلي بالقطران الذي أبعد عن الإبل كي لا يهديها:^(٤٩)

إلى أن تحامطني العشيرة كُلُّها وأُفَرِدْتُ إفرادَ البعيرِ المعبدِ

وكذلك في شعر ذؤيب بن كعب التميمي في قوله:^(٥٠)

جانيك من يجني عليك وقد يعدي الصِّحاحَ مباركُ الجُرْبِ

فمبارك الجرب قد تعدي الصِّحاح إذا ما بركوا فيها. وفي هذا المعنى نجد بيتاً لشماس بن أسود الطهوي:^(٥١)

أغرَّكَ يوماً أن يُقالَ ابنُ دارمٍ وتُقصى كما يُقصى منَ البرِّكِ أجربُ

فالشاعر يقول للمهجو لا يغرنك يوماً أن قيل لك إنك ابن دارم فإنك تعرف نقصك وتأخرك عن الشرف بل أنت تقصى ممَّا تزعم وتدعي كمَّا يقصى الأجرب من جماعة الإبل خشية أن يهديها.

فهذه الأبيات ومثيلاتها توضِّح جوانب من فهم الجاهليين لمسألة الوقاية من المرض، وقيامهم ببعض السلوكات والإجراءات التي تبعد المرض، وتصرفه قبل أن يقع.

رابعاً. علاج المرض:

عرف العربُ في الجاهلية الطبَّ بشكل عام واهتموا به، شأنهم شأن سائر الأمم في كلِّ زمان ومكان؛ لاتصاله الوثيق بحياة الإنسان والحيوان الذي يعتمدون عليه في حياتهم أيضاً، وقد قدَّروا مكانة الأطباء بينهم؛ كما يبدو مثلاً من قول أبي حاتم السجستاني في حديثه عن

زهير بن جناب الكلبي: "وكان سيداً مطاعاً شريفاً في قومه... كان سيد قومه، وخطيبهم وشاعرهم، ووافدهم إلى الملوك، وطبيبهم -والطب في ذلك الزمان شرف- وحازي قومه، والحزاة الكهان"^(٥٢) واشتهر بين العرب بعض الأطباء مثل الحارث بن كلدة الثقفي والنضر بن الحارث، وابن أبي رمثة التميمي، وضمد بن ثعلبة الأزدي، ومن الأطباء المذكورين ابن حذيم من تيم الرباب، ذكره أوس بن حجر في شعره، فقال:^(٥٣)

فهل لكم فيها إليّ فإنني طبيبٌ بما أعيّا النّطاسيّ حذيمًا

وكان ابن حذيم بارعاً في الكي، وقد ضرب المثل به، فقل: "أطبُّ من ابنِ حذيمٍ"^(٥٤) ومعظم هؤلاء الأطباء نشؤوا في المدن وأقاموا في الحضر، وتعلموا من أطباء محترفين من بلاد فارس أو بلاد الشام، وكلهم أدركوا النبي ﷺ^(٥٥) وأما الطبُّ في البادية خاصة فهو طب بدوي متوارث يقوم على مداواة بالفراسة والملاحظة والتجريب، وكثيراً ما يلجأ البدوي إلى السحرة والكهان للعلاج بأدويتهم وسحرهم، فقد كان الساحر طبيباً يداوي المرضى بسحره وكذلك الكاهن، حتى أهل اللغة ذكروا أنّ السّحرَ من المعاني المجازية للطب، فقد وجدوا أن هناك صلةً بين الطبِّ والسّحر، واستشهدوا بقول ابن الأَسلَت:^(٥٦)

ألا من مبلغ حسان عني أطف كان سحرُك أم جنون

وكثيراً ما كانوا يعتمدون على النباتات والأعشاب في طبّهم من بيئتهم أو مما يحضرونه من بلدان أخرى كالهند وما وراءها، ومن أهم النباتات المستخدمة في العلاج عندهم المرّ والقرفة والقرنفل والكافور واللّبان، وكذلك تداووا بالمسك والعنبر والكرّم والعسل.^(٥٧)

ومن العلاجات الشائعة عند الجاهليين (الكيّ) عالجوا فيه أمراضاً عدة، ولكن لم يكونوا يلجؤون إليه إلا للضرورة، يقول الدكتور جواد علي: "ويكون الشفاء عند العرب في ثلاثة: شربة عسل وشرطة محجم وكية نار. وإذا عجز الطبيب من إشفاء مريضه بما عنده من وسائل لجأ إلى "الكي"، ولذلك جاء: "آخر الدواء الكي". وكان أهل الجاهلية يرون أنه يحسم الداء بطبعه فيبادرون إليه قبل حصول الاضطراب إليه ويعالجون به أكثر الأمراض"^(٥٨) وقد يتسبب بعيوب جسمية كالوَضَح وهو البرص، فممن اكتوى فبرص المكشوح المرادي، ولُقب بذلك لأنّه كُشِح بالنّار، وهو الكيّ بالنّار في موضع الكشح، واسمه هبيرة بن عبد يغوث، يقول في ذلك:^(٥٩)

فما وضحي مِنْ داءٍ سوءٍ علمتُهُ ولكنَّ كَيَّ النَّارِ في الجِلْدِ يُوضِحُ

ويبدو من خلال الأخبار أنَّ الكَيَّ لم يكن دواءً ناجعاً في بعض الأحوال، وأنَّه قد يكون سبباً في الموت، كما حصل لمسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، وكان قد أصابه وَضَحٌ، وهو عند النعمان بن المنذر، فقيل للنعمان: ليس له دواء إلا الكَيَّ، فكواه فمات، فرثاه أبو طالب في شعر طويل منه قوله: ^(٦٠)

لَيْتَ شِعْرِي مُسَافِرَ بْنَ أَبِي عَمْرٍو وَلَيْتُ يَقُولُهَا الْمُحْزُونُ

وكانوا يتَّبَعون أساليب خاطئة فيه ظانين أنَّ الشفاء فيها، فكان بعضهم إذا وقع العُرُّ وهو الجرب في إبلهم، اعترضوا بعيراً صحيحاً من تلك الإبل، فكواه مشفره وعضده وفخذه، يرون أنهم إذا فعلوا ذلك ذهب العُرُّ عن إبلهم، ويقولون: تؤمن معه العدوى وقول النابغة يوضح ذلك: ^(٦١)

حَمَلْتُ عَلَيَّ ذَنْبَهُ وَتَرَكْتُهُ كَذِي العُرِّ يُكْوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعُ

ومن العلاجات المذكورة في الشعر (الفريقة) وهي التمر والحلبة تطبخ للنفساء، يقول أبو كبير الهذلي: ^(٦٢)

وَلَقَدْ وَرَدْتُ المَاءَ فَوْقَ جَمَامِهِ مِثْلُ الفَرِيقَةِ صُقِّيتُ لِلْمُدْنَفِ

ومن أساليب العلاج المذكورة بالشعر أيضاً الحجّ، وهو أن يُقدح في العظم بالحديد إذا كان قد هُشِمَ حَتَّى تُقْلَعَ التي قد جَفَّتْ، ثم يعالج ذاك، قال أبو ذؤيب: ^(٦٣)

وَصَبَّ عَلَيْهَا الطَّيِّبُ حَتَّى كَانَتْهَا أَسِيٌّ عَلَى أَمِّ الدِّمَاغِ حَجِيجُ

ومن ذلك قول الشاعر عياض بن درّة الطائي في وصف طبيب يصلح مأمومة شجّة بعيدة القعر بلغت أَمَّ الرَّأْسِ حَتَّى يَتَقَاطِرَ العِرْقُ مِنْ مِيلِهِ مِنْ شِدَّةِ هَوْلِهَا: ^(٦٤)

يَحْجُ مَأْمُومَةً فِي قَعْرِهَا لَجَفْتُ فَاسْتُ الطَّيِّبِ قَذَاهَا كَالْمَغَارِيدِ ^(٦٥)

ومن الأدوية الشائعة المستخدمة في علاج الجرب القار، ذكره النابغة الذبياني في قوله: ^(٦٦)

فَلَا تَتْرَكْنِي بِالْوَعِيدِ كَأَنَّنِي إِلَى النَّاسِ مَطْلِي بِهِ الْقَارُ أَجْرُبُ

وكذلك القطران، يقول علقمة الفحل: ^(٦٧)

قَدْ أَدْبَرَ الْعُرْ عَنْهَا وَهِيَ شَامِلُهَا مِنْ نَاصِعِ الْقَطِرَانِ الصِّزْفِ تَدْسِيمُ^(٦٨)

ويطلق على القطران الهناء أيضاً، قال زهير بن أبي سلمى:^(٦٩)

فَأُبرِئُ مُوضِحَاتِ الرَّأْسِ مِنْهُ وَقَدْ يَشْفِي مِنَ الْجَرَبِ الْهِنَاءُ

وقد يوضع الملح مع القار للعلاج أيضاً كما يبدو من شعر عوف بن الخرع:^(٧٠)

فَكُلُّ قَبَائِلِهِمْ أُتْبِعَتْ كَمَا أُتْبِعَ الْعُرْمَلُحًا وَقَارًا

وكانوا يستخدمون بعض الأدوية عن طريق الأنف، ويسمون بها السَّعُوط، يقول أبو المثلث الهذلي:^(٧١)

جَهَلْتُ سَعُوطَكَ حَتَّى تَخَا لَ أَنْ قَدْ أَرْضَتْ وَلَمْ تُؤْرَضِ

وذكروا اللدود، وهو الدواء الذي يصب في أحد شقي الفم، يقول عدي بن زيد العبادي ذاكرًا السَّعُوط واللدود:^(٧٢)

وَالْأَطْبَاءُ بَعْدَهُمْ لِحَقُوقِهِمْ ضَلَّ عَنْهُمْ سَعُوطُهُمْ وَاللَّدُودُ

ومن العلاجات المتبعة والمفيدة آنذاك والمعروفة الحِجَامَة، قال زهير بن أبي سلمى:^(٧٣)

يَنْجِمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً وَلَمْ يُهْرِيقُوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مِخْجَمٍ

وقال إياس بن سهم الهذلي:^(٧٤)

نَسَبْنَا بَلِيلِي فَأَنْبَعَثَتْ نُعَيْبُهَا أَضْلُ مِنَ الْحَجَّامِ أَوْ سَاقِ مِغْزَلٍ

كما عالجوا أمراض العين بالكحل، ومن أنواعه المذكورة في الشعر الإثمد، وهو حجر أسود يكتحل به، قال لبيد يرثي الطفيل عمه:^(٧٥)

كَمِيشُ الْإِزَارِ يَكْحَلُ الْعَيْنَ إِثْمَدًا سُرَاهُ، وَيُضْحِي مُسْفِرًا غَيْرَ وَاجِمٍ^(٧٦)

ومن أسمائه أيضا الجَلَا، وهو الكحل الذي يخلو البَصَر. قَالَ أَبُو الْمَثَلَمِ الْهَذَلِيُّ:^(٧٧)

وَأَكْحَلُكَ بِالصَّابِ أَوْ بِالْجَلَا فَفَقِّحْ لِكُحْلِكَ أَوْ غَمِّضِ^(٧٨)

ويصف علقمة بن عبدة لون الإثمد الأسود وقد اختلط بدمع عين المحبوبة:^(٧٩)

بِعَيْنِي مَهَاةٌ تَحْدُرُ الدَّمَاعَ مِنْهُمَا بَرِيمَيْنِ شَتَّى مِنْ دُمُوعٍ وَإِثْمِدٍ

فقد عبّر عن الإثمد بالدمع بلفظ (بريمين) وهما النوعان من كُلِّ ذِي خِلْطَيْنِ، مثلُ سَوَادِ اللَّيْلِ مُخْتَلِطًا بَبَيَاضِ النَّهَارِ، وكذلك الدَّمَعُ مَعَ الإثمد بَرِيمٌ.

خامسًا. أشهر الأمراض المذكورة في الشعر الجاهلي:

الأمراض التي تعرض لها الإنسان في العصر الجاهلي كثيرة، فالمرض والشفاء من سنن الخالق في خلقه، ولا غرابة أن تصيبهم بعض الأمراض في جزيرة العرب ذات الأجواء الحارة الجافة، والأمطار القليلة التي قد تنحبس في بعض السنين انحباسًا تامًا، فيسبب انحباسها هذا كارثة ومصيبة، يجفُّ في أثنائها العشب، ويبس كلُّ أخضر، فلا تجد الأنعام لها طعامًا، وقد ينفق العربي ماله للحصول على الطعام، فيصاب بخسائر كبيرة، وقد يهلك عددٌ من الناس قبل بلوغهم موضع ماء، إمّا من شدة الحر والعطش والجوع، وإمّا من السيف الذي لا بد لهم من استعماله لإجبار أهل الماء على السماح لهم بمشاركتهم لهم إياه، أو بالاستحواذ عليه ونزولهم به، وطردهم أصحابه عنه إلى أماكن أخرى، أو بهروبهم من هذا الموضع لقوة أصحابه ولتتمكنهم من ردّ الطامعين عنه، فأينما ترحل القبائل لا تجد أمامها إلا القحط والمحنة، وقلة الماء والغذاء، فيتأذى الناس، ويقلّ الطعام وترتفع أسعاره. ويعيشون في شدة وضنك كبيرين.^(٨٠)

وهذا كلّهُ سواء جو الصحراء القاسي أو الحروب المستمرة يؤثر في صحة الإنسان ويصيبه بمجموعة من الأمراض كالحمى والصداع والزكام، والجروح والقروح، إلى جانب بعض الأمراض المزمنة والعاهات كالبرص والجنون.

ونجد في الشعر الجاهلي ذكرًا لكثير من هذه الأمراض، بعض منها جاء في معرض الشكوى من المرض أو الشيخوخة، وبعضها الآخر جاء في الأغراض الشعرية المختلفة في الشعر الجاهلي، ومن خلال استقصاء الشعر الجاهلي يتبين أنّ الحمى من أكثر الأمراض ذكرًا في الشعر الجاهلي، فالحمى من الأمراض الشائعة عند الإنسان، وتسبب بالشعور بالتعب والإرهاق وارتفاع الحرارة خاصة؛ ولذلك نجد الشعراء يذكرون حرارتها، وما تصيب به من السخونة والرعدة، كما يتبين معنا من قول الأخنس بن شهاب التغلبي:^(٨١)

ظَلَلْتُ بِهَا أُعْرَى وَأُشْعِرُ سُخْنَةً كما اعتادَ محمومًا بِخَيْرِ صَالِبٍ^(٨٢)

فالشاعر يشبه ما حلَّ به من الوجد والتذكر عند مروره بأطلال المحبوبة وما حل به من شعور بالألم وحرارة الجسم والقلب بمحموم خبير الذي تنتابه السخونة والرعدة، وقد اشتهرت خبير بأنها كانت موطنًا من مواطن الحمى، لكثرة ظهور العيون فيها فاشتهر أمرها في الحجاز حتى قيل: "حمى خبير"^(٨٣).

وذكروا (القَعْقَاع) من أسماء الحمى أيضًا، وهي الحمى النافض تقعقع الأضراس، و(الوَرْد) وهي التي تأخذ الإنسان كلَّ يوم، قال مزرد بن ضرار الذبياني:^(٨٤)

إذا ذُكرْتُ سلمى على النَّأيِ عادني نوائِبُ قَعْقَاعٍ من الوَرْدِ مُرْدِمٍ^(٨٥)

ويشبه أبو خراش الهذلي اهتزاز ثوبه البالي في أثناء عدوه بانتفاضة الحمى، مستخدمًا لفظ الوَرْد أيضًا والموم والمُردم، وكلها أسماء للحمى:^(٨٦)

فَعَدَيْتُ شَيْئًا والدَّرِيسُ كأنَّمَا يزعزعه وَرْدٌ من الموم مُرْدِمٍ^(٨٧)

وهي صورة معبرة دقيقة في اختيار المشبه به، للقرب بينه وبين المشبه، فاهتزاز الثوب وقد أخذت بصاحبه حمى العدو من انتفاضته قريب جدًا من انتفاضة المحموم وقد أخذت به حمى المرض.

و(المَلِكِيَّة) من الأسماء التي تدلُّ على حرارة الحمى وتوهجها، ونراها في شعر المزنق الطائي مادحًا آل عتاب الذين شبه كرمهم وإعانتهم له بنضح الماء البارد على حرارة الحمى:^(٨٨)

وَقَدْ نَضَحْتَ مَلِيلَتِي فتميثتُ عَنْ آلِ عَتَابٍ بِمَاءٍ بَارِدٍ^(٨٩)

ومن الأمراض المذكورة بكثرة أيضًا في الشعر الجاهلي (الجَرَب) وهو مرض جلدي معروف يصيب الإنسان والحيوان، وهو بثور صغار تبتدئ حمراء ومعها حكة شديدة وربما تقطعت. ومن أسمائه أيضًا العُر^(٩٠) وهو مرض مُعْدٍ جدًا؛ لذلك كانوا يبعدون المصاب بالجرب عن غيره حتى لا يصيب الآخرين بالعدوى، وكثير ذكرهم له في الحيوان خاصة، قال ذؤيب بن كعب التميمي:^(٩١)

جَانِيكَ مَنْ يَجْنِي عَلَيْكَ وَقَدْ تَعْدِي الصِّحَاخَ مَبَارِكُ الْجُرْبِ

وكانوا يعزلون البعير المصاب كي لا يصيب القطيع كله، قال شماس بن أسود الطهوي لحري ابن ضمرة النهشلي:^(٩٢)

أَعْرَكَ يَوْمًا أَنْ يُقَالَ ابْنُ دَارِمٍ وَتُقَصَى كَمَا يُقَصَى مِنَ الْبَرْكِ أَجْرَبُ
ويقول لبيد ذاكراً سوء جلد الأجرب مشبهاً به الناس السيئين الذين يعيش بينهم بعد أن
ذهب الصالحون: (٩٣)

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ
وورد ذكر القروح التي يسببها الجرب في قول ابن مقبل: (٩٤)
زَجَرْنَا بَنِي كَعْبٍ فَأَمَّا خِيَارُهُمْ فَصَدُّوا وَلِلْمَعْرُوفِ فِي النَّاسِ أَعْرَفُ
وَأَمَّا أَنَاسٌ فَاسْتَعَارُوا بَعِيرَنَا فَقَيَّدَ لَهُمْ بَادٍ بِهِ الْعُرُّ أَسْعَفُ
قال الأصمعي: "هذا مثل يقول طلبوا شرباً فوقع في أيديهم منه بغير أجرب. ووصفه بأنه
أسعف وهو الذي به قروح في وجهه ومشافره وهو السَّعْف". (٩٥)
وذكر عن ترة بن شداد لونَ الجرب مهدداً زوجته أنه سيضرها ضرباً أليماً فيكون لونها من
الضرب كالأجرب: (٩٦)

لَا تُنْكِرِي فَرَسِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ فَيَكُونُ لَوْنُكَ مِثْلَ لَوْنِ الْأَجْرَبِ
ويشبه الأبيرد الرياحي الناس الذين تحاملوا عليه بجلد الأجرب المؤلّع وهو الذي فيه
خطوط سوداء وبيضاء، فهم أناس متلونون كاذبون لا وجه واحد لهم: (٩٧)
وَذَكَّرْنِيكَ النَّاسُ حِينَ تَحَامَلُوا عَلَيَّ وَأَضْحَحُوا جِلْدَ أَجْرَبٍ مُؤْلَعًا
ومن أسماء الجرب المعروفة والمذكورة في الشعر الجاهلي أيضاً العَرَّ، يقول علقمة الفحل
واصفاً الناقة التي ذهب عنها الجرب، وبقي أثر طلائه يشملها: (٩٨)
قَدْ أَذْبَرَ الْعُرَّ عَنْهَا وَهِيَ شَامِلُهَا مِنْ نَاصِعِ الْقَطِرَانِ الصِّرْفِ تَدْسِيمُ
وكانوا يعالجونه بالقار أو القطران أو الهناء، يقول طرفة بن العبد مشبهاً نفسه بالبعير
المطلي بالقطران: (٩٩)

إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا وَأَفْرَدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمُعَبَّدِ

وهي صورة معبرة عن حاله في ابتعاد القبيلة عنه وهجرها لها من خلال تشبيه نفسه بالبعير الأجرب الذي يبعدونه خشية انتقال العدوى منه. ويقول امرؤ القيس مشبهاً حاله بالناقة المهنوءة: (١٠٠)

أَتَقْتُلْنِي أَتِي شَغَفْتُ فؤَادَهَا كَمَا قَطَرَ الْمَهْنُوءَةُ الرَّجُلُ الطَّالِي!

فقد بَلَغَ حُبَّ الشاعر من محبوبته شِغافَ قَلْبِهَا كَمَا بَلَغَ الْقَطِرَانُ شِغافَ النَّاقَةِ الْمَهْنُوءَةِ؛ فكيف تَقْتُلُهُ وقد بَلَغَ مِنْ حُبِّهَا لَهُ ما ذكره، إذ لو أَقْدَمْتَ عَلَى قَتْلِهِ لَفَسَدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، وَكَانَ ذَلِكَ دَاعِيًا إِلَى الْفُرْقَةِ وَالْقَطِيعَةِ مِنْهَا. (١٠١) وفي وصف مشهد علاج الجرب نجد شعراً لدريد بن الصَّمَّةِ وكان قد خطب الخنساء، وقد رآها قد هَنَأَتْ ذَوْدًا لَهَا جَرَبِي، ثُمَّ نَضَّتْ عَنْهَا ثِيَابَهَا واغتسلت، ودريد يراها ولا تراه، فقال دريد أبياتاً منها: (١٠٢)

أَخْنَأَسُ قَدْ هَامَ الْفؤَادُ بِكُمْ وَأَصَابَهُ تَبَلٌّ مِنَ الْحَبِّ

ما إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ كَالْيَوْمِ طَالِي أَيْنَقِي جَرَبِ

مَتَبَدَّلًا تَبْدُو مُحَاسِنُهُ يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ

فمن خلال وصفه وغزله بالخنساء يتبين كيف رآها تضع الهناء على النَّقَبِ وهو مواضع الجرب.

ويذكر النابغة الجعدي المقيّر وهو البعير المهنوء الذي طَلِيَ بالقار، ويذكر النَّسْفُ، وهو أشد الجرب: (١٠٣)

إِذَا فَعْدَمْتَ الْمَالَ إِلَّا مَقِيْرًا بِأَقْرَابِهِ نَسْفٌ مِنَ الْعَرِ جَالِبُ

ومن الأمراض شائعة الذكر في الشعر الجاهلي أمراض العين، ومن أبرزها الرَّمَد، وهو مرض كثير لكن ضرره ليس كبيراً، فمن الشعراء الذين ورد في شعرهم امرؤ القيس، يقول مشبهاً حاله في الليل وهو مهموم لا يستطيع النوم بالمرضى المصاب بالرَّمَد والقذى في العين: (١٠٤)

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالْأَثْمِدِ وَنَامَ الْخَلِيُّ، وَلَمْ تَرْقُدِ (١٠٥)

وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ كَلَيْلَةِ ذِي الْعَائِرِ، الْأَرْمَدِ (١٠٦)

وأبو ذؤيب الهذلي يصف حمارًا وحشيًا قد أطبق جفنيه على حدقته كما أزعى طرفه
ونكسه المستأخذ الرمد، أي المطأطى رأسه من شدة وجع عينه من الرمد: ^(١٠٧)

يُزِمِي الغيوب بعينه ومطرفه مُغْضٍ كما كَسَفَ المُسْتَأْخِذُ الرَّمْدُ

والخنساء تقول في بكائها على أخيها صخر كأن عينها اكتحلت بالرمد الشديد، مستخدمة
لفظة العوار وهو قذى يجده الإنسان من شدة الرمد، ^(١٠٨) ومعروف أنها أصيبت برمد شديد
لكثرة بكائها عليه: ^(١٠٩)

يا عَيْنِ جُودِي بدمعٍ منك مِغْزَارٍ وَأَبْكِ لَصَخْرٍ بَدَمْعٍ مِنْكَ مِذْرَارٍ
إِنِّي أَرَقْتُ فَبِتُّ اللَّيْلَ سَاهِرَةً كَأَنَّمَا كُجِلْتُ عَيْنِي بَعُورًا
ومن ذلك قولها أيضًا: ^(١١٠)

قَدَى بَعِينِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارٌ أُمُّ ذَرَفَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
كَأَنَّ عَيْنِي لَذِكْرُهُ إِذَا خَطَرْتُ فَيَضُّ يَسِيلُ عَلَى الْخَدَيْنِ مِذْرَارُ
وقال طرفة بن العبد في وصف قوة عين ناقته وصحتها من الرمد: ^(١١١)

طَحُورَانِ عَوَّارَ الْقَدَى فَتَرَاهُمَا كَمَكُحُولَتِي مَذْعُورَةٍ أَمَّ فَرَقْدِ

فعينا ناقته صحيحتان، لا قذى فيهما، كأنهما قد طحرتاه أي دفعتهما وألقتهما عنهما، وهي
مذعورة كعيني بقرة مذعورة لفقدائها ولدها، وإذا كانت مذعورة مطلقاً كان ذلك أحد
لنظرها. ^(١١٢)

وقد يصبح مرض العين عورًا دائمًا، وكثيرًا ما كان يحصل ذلك بسبب الحروب والوقائع
المستمرة التي كانت تخلف عاهات مستديمة، ومن أبرزها العور، كما عند عامر بن الطفيل
العامري، وكان فارس قيس، وكان أعور عقيمًا لا يُولد له، ولم يعقب. وهو القائل: ^(١١٣)

لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَيَّ بِهَيَّيْنِ لَقَدْ شَانَ حُرَّ الْوَجْهِ طَعْنَةً مُسْهِرٍ ^(١١٤)

فَبِئْسَ الْقَتَى إِنْ كُنْتُ أَعُورَ عَاقِرًا جَبَانًا فَمَا عُذْرِي لَدَى كُلِّ مَحْضَرٍ

والأعور الضَّيِّي يذكر عوره في شعره: ^(١١٥)

لَا خَيْرَ فِي أَعُورٍ لَا يَأْتِي الْفَرْعُ إِذَا اسْتَقْلَ حَرْدُ الشَّيْخِ يَفْعُ

كما ذكروا من أمراض العين (الطَّبْطَاب) وهو البثرة التي تخرج في أصول أشفار العين التي يقال لها (الجدجد)، قال النمر بن تولب يصف ناقتة: ^(١١٦)

راحت مؤمّلة الغدو صجيحةً ملساء من عررٍ ومن ظَبْطَابٍ ^(١١٧)

ومن الأمراض المذكورة في الشعر الجاهلي أيضاً (الصداع) وهو وجع معروف في الرأس، يقول أبو العيال الهذلي في رثاء أخيه: ^(١١٨)

ذكرتُ أخي فعادوني صداعُ الرأسِ والوصبُ

وانتقد كثير من علماء العربية هذا البيت، إذ عدوا أن ذكر الرأس مع الصداع فضل؛ لأن صداع الرأس من أدواء الرأس خاصة، فليس لذكر الرأس معه معنى. ^(١١٩)

ومن علامات آلام الصداع إمالة الرأس من الألم، ونجد هذه الصورة في قول مضر بن زرارة ابن لقيط الأسدي، في وصف الظباء في الحر: ^(١٢٠)

ويومٍ من الشَّعْرى كأنَّ ظبَاءَها كواعبُ مقصورٍ عليها ستورها

تدلّت عليها الشَّمْسُ حَتَّى كأنَّما من الحرِّ يرمى بالسكينة نورها

سجوداً لدى الأرضي كأنَّ رؤوسها علاها صداعٌ أو فوالٍ تصورها ^(١٢١)

فقد شبّه الشاعر الظباء الكانسة من شدّة الحر بعذارى أرخي علّمن السَّتر لئلا يراهن أحد، وشبه شكلهن وهنّ يحتمين من الحرّ في شجر الأرضي وقد أملن رؤوسهن بمن أصابه الصداع فأمال رأسه من الألم أو بمن يميل رأسه للقالية.

كما ذكروا الصداع في حديثهم عن الخمر، فقد زعموا أنها تشفي من الصداع، يقول علقمة واصفاً الخمر الجيدة بأنها الخمر التي تشفي الصداع ولا تؤذي ولا تسبب دواراً في الرأس: ^(١٢٢)

تشفي الصداعَ ولا يُؤْذِيكَ صالها ولا يُخالِطُها في الرأسِ تدويمٌ ^(١٢٣)

ومن الأمراض المذكورة في الشعر أيضاً (التَّقْرِس)، وهو داء معروف يصيب الرّجلين، يسبب ورماً وجعاً في مفاصل الكعبين وأصابع الرّجلين. ^(١٢٤) ورد في قول امرئ القيس: ^(١٢٥)

فإمّا تريني بي عرّةً كأني تكيب من التّقْرِسِ

ونجده كذلك في شعر المتلمس في قوله ناصحاً طرفه أن يلقي صحيفته: ^(١٢٦)

أَلْقِ الصَّحِيفَةَ لَا أَبَا لَكَ إِنَّهُ يُخْنَى عَلَيْكَ مِنَ الْجَبَاءِ النَّفْسُ

ومن الأمراض المعروفة عند الجاهليين (البرص)، وهو مرض يصيب الجلد، ويطلقون عليه "الوضح" كذلك، لبياض يظهر في ظاهر البدن، ومنه قيل لجذيمة الأبرش: جذيمة الوضح. وكان الناس يكرهون مجالسة البُرص خشية العدوى، فكان الملك عمرو بن هند يتجنب مؤكلة البُرص، ويأمر بنضج الأمكنة التي يجلسون عليها حذر العدوى. وممن أصيب به من شعراء العصر الجاهلي المشهورين الحارث بن حلزة اليشكري، يقول مفتخراً ببرصه وموضحاً أنه لا يشعر بالعار منه لما فيه من صفات حميدة لا قيمة للبرص أمامها: ^(١٢٧)

يَا أُمَّ عَمْرٍو لَا تَعْرِي بِالرَّوْقِ لَيْسَ يَضِيرُ الطَّرْفَ تَوَلِيْعُ الْبَلَقِ

إذا حوى الحلبة في يوم السَّبَقِ ومن هؤلاء الشعراء أيضاً سويد بن أبي كاهل، وهو الذي يقول: ^(١٢٨)

نَفَرْتُ سَوْدَةً مَتَّى أَنْ رَأْتُ صَلَعَ الرَّأْسِ وَفِي الْجِلْدِ وَضَحٌ

ومن الأمراض المهمة المذكورة أيضاً في الشعر الجاهلي (السِّل)، وهو مرض شديد يصيب الرِّئَةَ، مع زُكام، ونَوَازِل، أو سَعَال طَوِيل، وَخَمَّى هَادِيَةً، وهو دَاءٌ يَهْزِلُ، وَيُضْنِي، وَيَقْتُلُ. ^(١٢٩) واليَّاس هو السِّل. وَقَالَ ثَعْلَبٌ: دَاءُ الْيَّاسِ يَغْنِي الْيَّاسَ بَنَ مُضَرٍّ، كَانَ أَصَابَهُ السِّلُ فَكَانَتْ الْعَرَبُ تُسَمِّي السِّلَ دَاءَ الْيَّاسِ. ^(١٣٠) جاء في شعر سَعْبَةَ بِنْتِ غَرِيضٍ الْيَهُودِيَّ مفتخراً بشجاعته وقوته، وجاء عنده بلفظ (سُلَال) وهو السِّل نفسه: ^(١٣١)

أَزْمِيهِمْ بِالْأَذَى حَتَّى تَخَالَهُمْ مَرَضَى سُلَالٍ وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ

ونجد السِّل أيضاً في شعر جرّان العود النميري، متغزلاً بمحبوبته، ذاكراً أنها تشفى من السِّل ومرض آخر اسمه (البرسام) وهو علة يهذي بها الإنسان، وقيل هو أشد الجذري: ^(١٣٢)

تشفى من السِّل والبرسام ريقُها سَقَمٌ لَمَنْ أَسْقَمْتُ دَاءُ عَقَابِيلِ

وذكر في شعر امرئ القيس (المُوم) وهو البرسام أيضاً: ^(١٣٣)

وَكأنَّ شَارِبَهَا أَصَابَ لِسَانَهُ مُومٌ يَخَالِطُ جِسْمَهُ بِسَقَامِ

وهو تشبيه دقيق يصف فيه امرؤ القيس شارب الخمر إذا سكر يذهب عقله ويخلط في كلامه، ولا ينطلق لسانه، كأنَّ به مُومًا.

كما ذكروا مرض (الصَّفَر) أيضًا استسقاء البطن بالماء، ويقال: هو حَيَّة في البطن تصيب الماشية والناس، وهي عند العرب أَعْدَى من الجَرَب، ويشتد بالإنسان إذا كان جائعًا، قال أَعشى باهلة: (١٣٤)

لَا يَتَأَرَى لِمَا فِي الْقِدْرِ يَرْقُبُهُ وَلَا يَعْضُ عَلَى شُرْشُوفِهِ الصَّفَرُ

وهناك أمراض أخرى ذكرت في الشعر الجاهلي أيضًا كالزُّكام وهو مرض معروف، وعرفه الفيروز آبادي بأنه: "تَحَلُّبُ فُضُولِ رَطْبَةٍ مِنْ بَطْنِي الدِّمَاغِ الْمُقَدَّمِينَ إِلَى الْمُنْخَرَيْنِ" (١٣٥) وقد ورد في قول الشاعر علقمة بن عبدة: (١٣٦)

كَأَنَّ فَازَةً مِسْكِ فِي مَفَارِقِهَا لِلْبَاسِطِ الْمُتَعَاطِي وَهُوَ مَزْكُومٌ

وهو مذكور أيضًا في شعر الأَعشى في قوله واصفًا الخمر بأنها معتقة رائحتها تسلُّ الزُّكام: (١٣٧)

مَنْ خَمَرَ عَانَةً قَدْ أَتَى لَخْتَامِهِ حَوْلُ تَسْلَ غَمَامَةِ الْمَزْكُومِ

كما ذكروا القروح التي يصابون بها في شعرهم، لاسيما تلك التي تتسبب بالألم والوجع، كقروح امرئ القيس الشديدة التي أصابته بسبب الحلة المسمومة التي أهداها له القيصر، فَلَمَّا لَبَسَهَا تَقَرَّحَ جُلْدُهُ وَتَسَاقَطَ لَحْمُهُ وَاشْتَدَّ سَقَمُهُ، وقال في ذلك: (١٣٨)

وَبَدَّلْتُ قَرَحًا دَامِيًا بَعْدَ صِحَّةٍ لَعَلَّ مَنَايِنَا تَحُولُنَّ أَبْوَسًا

وقد سمي كما هو معروف ذَا الْقُرُوحِ لِهَذِهِ الْقِصَّةِ. والقَرِيحُ يعني أيضًا المجروح، وقد قَرَحْتُهُ: جرحته. قال المُنَجِّلُ الهُدلي: (١٣٩)

لَا يُسَلِمُونَ قَرِيحًا حَلَّ وَسَطَهُمْ يَوْمَ الْلِقَاءِ وَلَا يَشَوْنُ مَنْ قَرَحُوا

وكذلك قال عمرو بن شأس: (١٤٠)

وَأَسِيفُنَا آثَارُهُنَّ كَأَنَّهَا مَشَافِرُ قَرَحَى فِي مَبَارِكِهَا هُدُلُ

وذكروا من أنواع الجروح المُنْقَلَة، وهي التي يخرج منها فَرَأْشُ الْعِظَامِ، وهي قشور تكون على العظام دون اللحم، ومنه قولُ النَّابِغَةِ: ^(١٤١)

يَطِيرُ فَضاضًا بينها كُلُّ قَوْنَسٍ وَيَتْبَعُهَا مِنْهُمْ فَرَأْشُ الْحَوَاجِبِ

وذكروا من الأمراض الجنون أيضًا؛ فالجنون وسائر الأمراض العصبية معروفة بين الجاهليين، ويعدونها من الأمراض التي تحدث للإنسان بسبب دخول الجنون والشياطين في جسد الإنسان فتتملكه، ولا يمكن شفاء من أصابه مَسٌّ من الجنون أو لوثَةٌ في العقل، إلا بإخراج الأرواح المسيطرة على المريض من جسده؛ ولذلك كان علاج هذه الأمراض من واجب الكهان والسحرة في الغالب، ^(١٤٢) ونجد الجنون مثلاً في قول طرفة: ^(١٤٣)

أَصْحَوْتُ الْيَوْمَ أَمْ شَاقَكَ هِرٌّ وَمَنْ الْحَبِّ جَنُونٌ مُسْتَعِرٌّ

وقول الأعشى مستخدمًا لفظة (أولق) وتعني الجنون: ^(١٤٤)

وَتُصْبِحُ مِنْ غَيْبِ السُّرَى وَكَأَنَّمَا أَلَمَ بِهَا مِنْ طَائِفِ الْجِنِّ أَوْلَقُ

يصف سرعة نأقته، فتبدو من سرعتها كَأَنَّهَا مَجْنُونَةٌ.

وَقَوْلُ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ يَهْجُو وَلَدَ يَعْصُرٍ، ومنهم باهلة: ^(١٤٥)

أَبَاهِلُ، مَا أَذْرِي أَمِنْ لَوْمٍ مَنْصِبِي أُحِبُّكُمْ، أَمْ بِي جُنُونٌ وَأَوْلَقُ؟

فهذه أبرز الأمراض التي ذكرت في الشعر الجاهلي، والتي استطعنا من خلالها أن نتبين أكثر الأمراض التي كانت شائعة آنذاك، إلى جانب ما ذكره طبعًا من أمراض الشيخوخة المعروفة من الضعف والوهن العام وقلة السمع وتراجع البصر، مما نجد له دراسات في كتب عدة ^(١٤٦)

الخاتمة:

في ختام هذا البحث يتّضح لنا بجلاء كيف حمل الشعر الجاهلي صورةً تكاد تكون شاملةً عن المرض في العصر الجاهلي من خلال ما ذكره شعراؤه عن معتقدات الجاهليين حول المرض وتفسيرهم له الذي طغت الخرافة على جوانب كثيرة منه، وتميّز بالبعد عن التفسير العلمي والمنطقي، كاعتقادهم أنّ دماء الملوك تشفي من عَضَّةِ الْكَلْبِ والجنون، واعتقادهم بأنّ الرِّقَّ والتمايم في الوقاية من المرض، وأن الطاعن قد يشفي المطعون إذا رَقَّاه، وكذلك اعتقادهم بالتعشير، وكان ذلك منبثقًا من بساطة حياة العرب التي كانت ما تزال في طور البداوة ولم

تنتقل إلى طور الحضارة بعد، وكان هذا الأمر طبيعياً عند الأمم القديمة بشكل عام. كما توضح من خلال الشعر الجاهلي بعض أساليبهم المتبعة في الوقاية من المرض وعلاجه، والتي كانت نتيجة التجربة والخبرة والمشاهدة ولم تكن نتيجة العلم أو تطوّر الطب، ومن أبرزها الحرص على الأصل النجيب السليم من الأمراض في الزواج، والاهتمام برضاعة الأم لوليدها وصحة لبنها، وعزل المصابين ببعض الأمراض المعدية. وتبين أنهم عالجوا المرض بأساليب مختلفة كالكمهانة والسحر، وبعض النباتات والأعشاب والمواد المتوفرة في بيئتهم كالمُرّ والقرفة والقرنفل واللّبان والكرّك والعرسل والمسك والعنبر والقطران والقار وغيرها، وعالجوا بالكي أيضاً، واتبعوا فيه أحياناً أساليب غير منطقية وغير صحيحة. كما أن الشعراء الجاهليين ضمّنوا شعرهم أسماء أهم الأمراض التي كانت منتشرة في ذلك الزمن، ومن أبرزها الحمّى والجرب والبسل والزكام والرّمّد والجروح والبزّص والبقّرس والجنون، إلى جانب أمراض الشيخوخة الكثيرة التي تناولتها دراسات أخرى تمت الإشارة إلى بعضها، وهذا كلّ يؤكّد أنّ الشعر الجاهليّ أحاط إحاطة كبيرة بموضوع المرض وما يتعلق به، وأنه حقّاً سجّل العرب الذي حفظ جوانب حياتهم المختلفة وكان صورة صادقة عنها بكل المظاهر التي فيها.

الهوامش:

- (١)- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ): **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط ١، دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٨٧م، ٧٥٢/٢.
- (٢) ابن دريد، المصدر السابق، ٧٥٢/٢.
- (٣) الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ): **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط ١، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ٢٠٠١م، ٢٦/١٢.
- (٤) الأزهري، **تهذيب اللغة**، ٢٦/١٢.
- (٥) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١) **الوحشيات**، علق عليه وحققه: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزاد في حواشيه: محمود محمد شاكر، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، ص ١١١. وينظر المرتضى الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥م) **تاج العروس من جواهر القاموس**، مجموعة من المحققين، مطابع حكومة الكويت - الكويت، ١٩٦٥م وما بعدها. (سلل).
- (٦) أوس بن حجر، (نحو ٢ ق. هـ، ٦٢٠م) **ديوان أوس بن حجر**، تحقيق: د. محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ١٢١.
- (٧) ينظر الحاتمي، أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر (ت: ٣٨٨هـ)، **الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي و ساقط شعره**، تحقيق: د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، ص ٢١.
- (٨) عدي بن زيد العبادي (ت ٦٠٠م)، **ديوان عدي بن زيد العبادي**، حققه وجمعه: محمد جبار المعبيد، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، ص ١٢٢.
- (٩) ينظر ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الإفريقي (ت ٧١١هـ) **لسان العرب**، ط ٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، (دو).
- (١٠) امرؤ القيس (ت ٨٠ ق هـ ٥٤٥م) **ديوان امرئ القيس**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٤، دار المعارف - القاهرة، ١٩٨٤م، ص ١٠٦.
- (١١) الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) **العين**، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٨٦٠/٢ وابن منظور، **اللسان (وجع)**.
- (١٢) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت: ٤٥٨هـ) **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ٢٨٥/٢.
- (١٣) مالك بن حريم الهمداني، ديوانه ضمن ثلاثة شعراء مقلون، جمع وتحقيق ودراسة: د. شريف راغب علاونة، ط ١، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م، ص ٤٨، وينظر أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ) **الأملالي**، عُني به محمد عبد الجواد الأصمعي، ط ٢، دار الكتب المصرية، مصر، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م، ١٢٣/٢.
- (١٤) ابن منظور، **اللسان: (سقم)**
- (١٥) طرفة بن العبد (ت ٦٠ ق. هـ ٥٣٨م) **ديوان طرفة بن العبد**، شرح الأعلام الشنتمري، تحقيق: دية الخطيب ولطفي الصقال، ط ٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ٢٠٠٠، ص ٩٥.

- (١٦) الأعشى، ميمون بن قيس (ت ٣ ق. هـ ٦٢٤م) ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق، د. محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة، ١٩٥٠م. ص ٢٣٩.
- (١٧) ينظر أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، (ت ٣٢٨ هـ) الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط ١، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م، ٣٧/١.
- (١٨) ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥ هـ) مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط ٢، مؤسسة الرسالة. بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م. ٥٦٧/١.
- (١٩) النابغة الجعدي، قيس بن عبدالله (نحو ٥٠ هـ - ٦٧ م)، ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه وشرحه: د. واضح الصمد، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٣٨ والضايع، النحل الضامر الجسم، والضئى: المرض، ينظر ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ - ٢٨٤/١.
- (٢٠) المرتضى الزبيدي، تاج العروس: (وصب)
- (٢١) شعراء هذيل، ديوان الهذليين، ترتيب وتعليق: محمد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م، ٢٤٢/٢.
- (٢٢) ينظر ابن منظور، اللسان: (دنف)
- (٢٣) المتلمس الضبيعي (ت ٥٨٠ م) ديوان المتلمس الضبيعي، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية. القاهرة، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م، ص ٢٧٤.
- (٢٤) الصالِبُ مِنَ الْحُمَى الْحَارَّةِ غَيْرُ النَّافِضِ، ابن منظور، لسان العرب (صلب).
- (٢٥) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط ٤، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ٢٦٨/١، وينظر أمين، أحمد، فجر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، القاهرة، ٢٠١٢ م، ٤٩/١.
- (٢٦) المتلمس الضبيعي، ديوان المتلمس الضبيعي، ص ٣٠٩. ونسب لغيره.
- (٢٧) يعقوب، د. عبد الكريم، أشعار العامريين الجاهليين، ط ١، دار الحوار. سوريا، ١٩٨٢ م. ص ٤٧.
- (٢٨) السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين (ت ٢٧٥ هـ) شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، وراجعه محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة. القاهرة، ٢٤٦/١. وشعراء هذيل، ديوان الهذليين، ٥٢/٢. وصخر بن عبد الله الخيثي بن هذيل شاعر جاهلي، قال الأصفهاني: "لقب بصخر الغي لخلاعه وشدة بأسه وكثرة شره" ينظر الأصفهاني، أبو الفرج (ت ٣٥٦)، الأغاني: ط ٣، تحقيق: د. إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ٢٣/٥. والزركلي، خير الدين (ت ١٣٩٦ هـ) الأعلام، ط ١٥، دار العلم للملايين - بيروت، ٢٠٠٢ م، ٢٠١/٣.
- (٢٩) المفصل الضبي، محمد بن يعلى بن سالم (ت نحو ١٦٨ هـ) المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط ٦، دار المعارف. القاهرة، ص ٤٠.
- (٣٠) التميم جمع تميمية. ابن منظور، لسان العرب: (تمم) والخبل: الجنون والفساد بشكل عام وفساد الأعضاء. ابن منظور، اللسان (خبل).
- (٣١) المرزوقي، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن الأصفهاني (ت ٤٢١ هـ) شرح ديوان الحماسة، ط ١، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية. بيروت، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م. ٣٠٨/١.
- (٣٢) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط ١، دار الجيل - بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ص ٢٥٥، وأبو عبيد البكري (ت ٤٨٧ هـ)، سمط

- اللائي في شرح أمالي القالي. تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ١٥٥/١، وينظر أبو ياسين، د. حسن بن عيسى، شعر ضبية وأخبارها في الجاهلية والإسلام، ط ١، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٦هـ.
- ١٩٦٥م، ص ١٠٣. وزهير بن مسعود الضبي شاعر جاهلي مقل وفارس شجاع من بني ضبة، كان معاصراً لزيد الفوارس، ينظر ترجمته في بابي، عزيزة فوال، معجم الشعراء الجاهليين، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٥٧.
- (٣٣) الغس: الضعيف اللثيم، اللسان، (غسس)، المغمر: لا تجرية له يحرب ولا أمر ولم تحيكه التجارب. ابن منظور، اللسان، (غمر).
- (٣٤) البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ) التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ٢٤.
- (٣٥) البكري، التنبيه على أوهام أبي علي القالي، ٢٣، ولأبيات رواية أخرى في المفضليات: ٢٥٤ - ٢٥٥.
- (٣٦) الثرة: الواسعة مخرج الدم، الرغيب، الواسع، اللسان، (رغب)
- (٣٧) عنتر بن شداد العبسي (ت نحو ٦٠٠ م) ديوان عنتر، تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٩٧٠م، ص ٢٨٣.
- (٣٨) علي، جواد، المفصل: ٣٨٨/١٢
- (٣٩) النابغة الذبياني (ت ١٨ ق. هـ ٦٠٤ م) ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت، تحقيق: د. شكري فيصل، دار الفكر - دمشق، ١٩٦٨م، ص ٤٦. والضئيلة: الحية قليلة اللحم شديدة السم. الرقش: جمع رقشاء وهي التي فيها نقط سود وبيض. والسليم: الملدوغ، قالوا عنه ذلك تفاؤلاً بسلامته. القعاقع: الأصوات الشديدة.
- (٤٠) طرفة بن العبد، ديوانه، ص ٦٦، وينظر الألوسي، السيد محمود شكري (ت ١٩٢٤ هـ)، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه: محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٣١٨/٢، وعلي، جواد، المفصل: ٣٨٦/١٢.
- (٤١) ينظر علي، جواد، المفصل: ٤٥/١٦
- (٤٢) عروة بن الورد (ت نحو ٣٠ ق. هـ ٥٩٤ م) ديوان عروة بن الورد، شرح ابن السكيت، حققه: عبد المعين الملوحي، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق، ١٩٦٦م، ٩٥. وعشر الجماء: تابع التهيق عشر تهقات ووالى بين عشر تزجيات في تهيقه، فهو معشّر، وتهيقه يقال له التّعشّر. ينظر ابن منظور، اللسان (عشر).
- (٤٣) علي، جواد، المفصل، ٤٥/١٦. وابن منظور، اللسان (قلت).
- (٤٤) بشر بن أبي خازم الأسدي (نحو ٢٢ ق هـ ٥٩٨ م) ديوان بشر بن أبي خازم، عني بتحقيقه: د. عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، وزارة الثقافة، دمشق، ١٣٧٩ هـ ٢٩٦٠ م، ص ٨٨.
- (٤٥) علي، جواد، المفصل: ٢٣١/٨.
- (٤٦) الزمخشري، جارا لله (ت ٥٨٣ هـ) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ط ١، مؤسسة الأعلمي - بيروت، ١٤١٢ هـ، ٢٥٥/٥.
- وفيا بن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) عيون الأخبار، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٨ هـ، ٤/٤ لبعض شعراء بني أسد.
- وهو شاعر جاهلي اسمه بغثر بن لقيط بن خالد بن نضلة، نسبه ابن الأعرابي، ينظر المرتضى الزبيدي، تاج العروس و الفيروز آبادي، القاموس المحيط (بغثر).
- (٤٧) شعراء هذيل، ديوان الهذليين: ٩٣/٢، وينظر ابن منظور، اللسان (غبر، غيل)

- (٤٨) الغُبَر: البقيّة. وقوله: وفساد مرضعة، يقول: لم تحمِل عليه فتسقيه الغُيْل وليس به داءٌ شديد قد أعْضَلَ. الخِيْضَة: المرّة من الحيض. وقد تمثلت السيدة عائشة رضي الله عنها. بهذا البيت في وصف الرسول ﷺ قائلة لزوجها: " لوراك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره". فُسِّرَ منها وقال: " جزاك الله يا عائشة خيراً، ما سررت مني كسروري منك" ينظر أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ) حلية الأولياء، دار الفكر - بيروت، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م، ٤٦/٢. والبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨ هـ) السنن الكبرى، تحقيق: د. عبد الله التركي، ط ١، دار هجر. القاهرة، ١٤٣٢ هـ ٢٠١١ م، ٥١٥/١٥-٥١٦.
- (٤٩) طرفة بن العبد، ديوانه، مصدر سابق، ص ٤٤.
- (٥٠) الرّمخشري، أبو القاسم جبار الله محمود (ت ٥٣٨ هـ) المستقصى في أمثال العرب، ط ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن. الهند، ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ م، ٤٩/٢. وفي البيت إقواء لأن قصيدته مضمومة الروي.
- (٥١) المعيني، عبد الحميد محمود، شعري تميم في العصر الجاهلي، منشورات نادي القصيم الأدبي - السعودية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ص ١٤، وينظر: شرح الحماسة للمرزوقي، ٣٦٢/١، والخطيب التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيباني، أبو زكريا (ت ٥٠٢ هـ) شرح ديوان الحماسة، ٣٦٦/١.
- (٥٢) السجستاني، أبو حاتم، (ت ٢٥٥ هـ)، المعمرن والوصايا، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١، ص ٣١.
- (٥٣) أوس بن حجر، ديوانه، ص ١١١.
- (٥٤) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٥١٨ هـ) مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة. بيروت، ٤٤١/١.
- (٥٥) علي، جواد، المفصل، ٢٣-١٥/١٦.
- (٥٦) أبو قيس صيفي بن الأسلت (ت ٦٢٢ م) ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت، دراسة وجمع وتحقيق: د. حسن محمد باجوده، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٣ م، ٩١. وينظر أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥ هـ) جمهرة الأمثال، دار الفكر - بيروت، ٤٢٤/٢، وابن سيده الأندلسي، المحكم، ١٣/٩، جواد علي، المفصل، ١٥/١٦.
- (٥٧) جواد علي، المفصل، ٢٣٨/١٣ و ٢٢٢/١٤.
- (٥٨) جواد، علي، السابق، ٢٤/١٦.
- (٥٩) الجاحظ، البرصان والعرجان، ص ٨٩.
- (٦٠) أبو طالب بن عبد المطلب (ت ٣ ق هـ ٦١٩ م) ديوان أبي طالب بن عبد المطلب، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، ط ١، منشورات دار ومكتبة الهلال. بيروت، ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م، ص ١٠٤ و ٢٦٣. والجاحظ، البرصان والعرجان، ٨٧ م.
- (٦١) ديوان النابغة الذبياني، ديوانه، ٤٨. وينظر النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ) نهاية الأرب، مجموعة من المحققين، دار الكتب العلمية. بيروت، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٤ م، ١١٨/٣، وعلي، جواد، المفصل: ٥٠/١٦.
- (٦٢) السكري، شرح ديوان الهذليين، ١٠٨٦/٣، وينظر ابن منظور، اللسان (فرق).
- (٦٣) أبو ذؤيب الهذلي (ت ٢٨٨ هـ ٦٤٩ م) ديوان أبي ذؤيب الهذلي، تحقيق وشرح: د. أنطونيوس بطرس، ط ١، دار صادر - بيروت، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م، ص ٥١. وينظر الأزهري، تهذيب اللغة، ٢٥١/٣. وشعراء هذيل، ديوان الهذليين، مصدر سابق ٥٨/١.
- (٦٤) ابن سيده الأندلسي، المحكم، ٤٣٢/٧ وابن منظور، اللسان (حجج) وحالو، د. أحمد عبد المنعم، شعريّ في الجاهلية والإسلام، أخبارهم وأشعارهم، ط ١، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبوظبي ١٤٣٤ هـ ٢٠١٢ م، ص ٧٩٨ م.

- (٦٥) اللجف: حفز في جانب البئر، الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط ٤، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م، (لجف) والمغاريد: ضرب من الكمأة، ابن منظور، اللسان، (غرد).
- (٦٦) النابغة الذبياني، ديوانه، مصدر سابق، ص ٧٨.
- (٦٧) علقمة الفحل (ت ٢٠ ق هـ - ٦٠٣ م) ديوان علقمة الفحل، شرح الأعلام الشنتمري، حققه: لطفي الصقال ودربة الخطيب، ط ١، دار الكتاب العرب، حلب، ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م، ص ٥٥، المفضل الضبي، المفضليات، مصدر سابق، ٣٩٨.
- (٦٨) دَسَمَ البعيرَ يَدْسِمُهُ: طَلَاهُ بالِهِنَاءِ. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، ط ٨، تحقيق: بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (دسم).
- (٦٩) زهير بن أبي سلمى (ت ١٣ ق هـ - ٦٠٩ م) ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح أبو العباس ثعلب، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط ٣، مكتبة هارون الرشيد - دمشق، ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٨ م، ص ٧٢. وينظر المعاني بن زكريا، أبو الفرج بن يحيى النهرواني (ت ٣٩٠هـ) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٤٧٥.
- (٧٠) المفضل الضبي، المفضليات، ٤١٧.
- (٧١) أبو سعيد السكري، شرح أشعار الهذليين، ٣٠٧/١. أراد جهلت ما صنعت بك حتى ظننت أن بك زكمة وإنما ذا مما وضعت برأسك.
- (٧٢) عدي بن زيد العبادي، ديوانه، ص ١٢٢، وابن قتيبة، عيون الأخبار، ٣٤١/٢.
- (٧٣) زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير، مصدر سابق، ٢٦، وابن منظور، اللسان (حجم) والمحجم: آلة الحجام وهراق الماء يُهْرِيقُهُ، يَفْتَحُ الْهَاءُ، هِرَاقَةُ أَي صَبَّهِ. ابن منظور، لسان العرب (هرق).
- (٧٤) السكري، أبو سعيد، شرح أشعار الهذليين، مصدر سابق ٥٢٨/٢؛ والزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود ابن عمرو بن أحمد، (ت ٥٣٨هـ) أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م (غزل).
- (٧٥) لبيد بن ربيعة العامري، ديوانه، ص ٢٩٦.
- (٧٦) كميث الإزار: أي مشمر، كناية عن الاستعداد والتصميم ومضاء العزيمة. الإثم: نوع من أنواع الكحول أسود كثيراً. مسفراً: أي ذو وجه مشرق. الواجم: من علا وجهه بؤس وعبوس. ينظر المصدر السابق: ٢٩٦.
- (٧٧) السكري، شرح أشعار الهذليين، ٣٠٧/١، وابن منظور، اللسان (جلا).
- (٧٨) الصَّابُ: عُصَاةٌ شَجَرٌ مَرٌّ، وَقِيلَ: هُوَ عُصَاةُ الصَّيْرِ، وَقِيلَ: هُوَ شَجَرٌ إِذَا اغْتَصِرَ خَرَجَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ اللَّبَنِ فَرُبَّمَا نَزَتْ قَطْرَةٌ فَتَقَعَ فِي الْعَيْنِ فَكَأَنَّهَا شَهَابٌ نَارٍ، وَرُبَّمَا أَضْعَفَ الْبَصَرَ. المرتضى الزبيدي، تاج العروس (صبر)، فقح: فتح عينيه من المرض، ينظر الأصبعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦هـ) الإبل، تحقيق: د. حاتم الضامن، ط ١، دار البشائر، سوريا، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ٨٥، وأراد الشاعر أنكر إن شئت أو تغافل فإني لا أجيئك إلا بما تعرف. ينظر ابن قتيبة، المعاني الكبير، ٧٩٤/٢.
- (٧٩) علقمة الفحل، ديوانه، ص ١٠٥. وابن فارس، مقاييس اللغة، ٢٣١/٢.
- (٨٠) ينظر علي، جواد، المفصل: ٧/١٣.
- (٨١) المفضل الضبي، المفضليات ٢٠٤. وأبو زيد، د. علي، شعراء تغلب في الجاهلية أخبارهم وأشعارهم، ط ١، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبوظبي، ١٤٣٣ هـ ٢٠١٢ م، ص ٣٤٠.

- (٨٢) "أعزى: تأخذني عرواء. وهو حسٌ من حى. والصالب الحمى التي معها صداع، اللسان (عرا وصلب)
- (٨٣) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ٥١٢/٢، وينظر التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ٣٠٠/١، وابن قتيبة، عيون الأخبار: ٣١٩/١.
- (٨٤) ابن منظور، اللسان والمرتضى الزبيدي، تاج العروس: (قفع).
- (٨٥) واللوزد: إثيان الماء، تم صَارَ إثيان كل شيء وزداً، وكثر حتى سَمَوَا المحموم موروداً لأن الحمى تأتيه في أوقات اللوزد. جمهرة اللغة، ١٢٥٦/٣. أردمت عليه الحمى، إذا دامت عليه. جمهرة اللغة، ٦٣٩/٢.
- (٨٦) شعراء هذيل، ديوان الهذليين، ١٤٤/٢. والسكري، شرح أشعار الهذليين، ١٢١٧/٣.
- (٨٧) عَدَيْتْ: صُرِفَتْ عنهم، وهم أصحابه، أي انحرفت قليلاً ولم آخذ على وجهي. والدريس: الثوب الخلق. والمزدم: الملازم، يقال: أردمت عليه الحمى إذا لازمته. الورد: يوم الحمى، الموم: الحمى، وقيل الحمى مع الجدي ينظر ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ)، الألفاظ، ١، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ناشرون، ١٩٩٨م، ٨٧. ينظر ابن منظور، اللسان، والمرتضى الزبيدي، تاج العروس، (موم).
- (٨٨) وأبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، (ت ٢٣١هـ)، الحماسة، تحقيق: د. عبد الله عبد الرحيم عسيان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠١هـ-٢٠٠٠م، ٢٦٥/٢. وحالو، د. أحمد عبد المنعم، شعراء قبيلة طيء، ٨٢٠.
- (٨٩) تميّنت: تذوّبت وبردت.
- (٩٠) التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد الفاروقي الحنفي (ت بعد ١١٥٨هـ) موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، تحقيق: د. علي دحروج، ١، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ١٩٩٦م، ٥٥٦/١.
- (٩١) الرمخشري، المستقصى في أمثال العرب، ٤٩/٢.
- (٩٢) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ص ٣٦٢، والتبريزي، شرح ديوان الحماسة، ٣٦٦/١. والمعيني، عبد الحميد محمود، شعري تميم في العصر الجاهلي، ص ١٤.
- (٩٣) لبيد بن ربيعة العامري (ت ٤١هـ ٦٦١م) شرح ديوان لبيد، ١٥٣ حققه وقدم له: د. إحسان عباس، سلسلة التراث العربي في الكويت. الكويت، ١٩٦٢م، ص ١٥٣.
- (٩٤) ابن مقبل (ت ٣٧هـ ٦٥٧م) ديوان ابن مقبل، عني بتحقيقه: د. عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، وزارة الثقافة. دمشق، ١٣٨١ هـ ١٩٦٢م، ص ١٩٠.
- (٩٥) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري، (ت ٢٧٦هـ)، المعاني الكبير في أبيات المعاني، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، ٨٦٤/٢. واللسان، (سعف).
- (٩٦) عنبرة، ديوانه، ص ٢٧٢، براوية مختلفة قليلاً، وهذه رواية الجاحظ في البرصان والعميان، ٢٦٩، ونسب البيت فيه وفي اللسان والتاج (عق) لخز بن لوزان شاعر جاهلي قديم ذكره البغدادي في الخزنة، ١١/٣.
- (٩٧) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين (٣٥٦هـ) الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، صورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، ١٣٨/١٣. والقيسي، د. نوري حمودي، شعراء أمويون، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ص ٢٦٩.
- (٩٨) علقمة الفحل، ديوانه، ص ٥٥، والمفضل، المفضليات، ٣٩٨.
- (٩٩) طرفة بن العبد، ديوانه، ٤٥. والمعبد المطلي بالقطران.
- (١٠٠) امرؤ القيس، ديوانه، ٣٣، وينظر ابن منظور، اللسان (قطر).
- (١٠١) ابن منظور، اللسان (قطر).

- (١٠٢) دريد بن الصمة (٨هـ ٦٣٠م). ديوان دريد بن الصمة، تحقيق: د. عمر عبد الرسول، دار المعارف - القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٤٣. ٤٤. وينظر ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٣٣١/١ والنقبة، بضم النون: القطع المتفرقة من الجرب، الواحدة نُقْبَة، وقيل: هي أول ما يبدأ من الجرب. وقيل النُقْب الجرب عامة. اللسان (نقبة).
- (١٠٣) النابغة الجعدي (ت ٦٥هـ ٦٨٤م) ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه وشرحه: د. واضح الصمد، ط ١، دار صادر - بيروت، ١٩٩٨م، ص ٢٢، وابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، المعاني الكبير في أبيات المعاني، ٨٣٦/٥. والأقرب: الخواصر، والجالب، ذو الجلب، أي القشور التي تعلق جروح البعير الأجرب.
- (١٠٤) امرؤ القيس، ديوانه، ص ١٨٥.
- (١٠٥) الإثمد: اسم موضع. الخلي: الخالي من الهموم.
- (١٠٦) العائر: الوجع في العين. الأرمذ: المصاب بالرمذ.
- (١٠٧) السكري، شرح أشعار الهذليين، ٥٨/١.
- (١٠٨) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ) الجرائيم، حققه: محمد جاسم الحميدي، وزارة الثقافة - دمشق، ١٩٩٧م، ١٦٦/١.
- (١٠٩) الخنساء (ت ٢٤هـ ٦٦٢م) ديوان الخنساء بشرح أبي العباس ثعلب، حققه: د. أنور أبو سويلم، ط ١، دار عمار - الأردن، عمان، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م، ص ٢٩٠.
- (١١٠) الخنساء، ديوانها، ص ٣٧٨.
- (١١١) طرفة بن العبد، ديوانه، ص ٣٧.
- (١١٢) ينظر أبو عمر الشيباني، اسحاق بن مرار، (ت ٢٠٦هـ)، شرح المعلقات التسع، ط ١، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ٥٣.
- (١١٣) عامر بن الطفيل (ت ١٠هـ ٦٣١م)، ديوان عامر بن الطفيل، رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس ثعلب، دار صادر - بيروت، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، ص ٦٤. وينظر ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٣٢٢/١.
- (١١٤) هو مسهر بن يزيد بن عبد يغوث الحارثي، وهو الذي غدر بعامر بن الطفيل وطعنه بالرمح في وجهه، ففلق وجنته وشق عينه، وهو فارس مشهور، له خبر في الأغاني ٣١/١، مع دريد بن الصمة.
- (١١٥) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ) الشعور بالعمور، تحقيق: د. عبد الرزاق حسين، دار عمار - الأردن، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، ص ٢٦٣. وينظر أيضا أبو ياسين، د. حسن بن عيسى، شعر ضبة وأخبارها في الجاهلية والإسلام، ص ١٥٤. ويفع: علا وارتفع. وشاب يافع، مترعر بالغ سن البلوغ. ابن منظور، اللسان (يفع) والشاعر هو مغرؤف بن أبي هند من بني عبد مناة بن بكر بن سعد ابن ضبة يعرف بالأعور الضبي.
- (١١٦) النمر بن تولب (١٤هـ ٦٣٥م) ديوان النمر بن تولب، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريقي، ط ١، دار صادر - بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٤٩. والزمخشري، المستقصى، ٣٨١/٢.
- (١١٧) العرر، الجرب. ابن منظور، اللسان، (عرر). وقيل عن الظبظاب داء يصيب الإبل من العطش. ابن منظور، اللسان (ظبظب)
- (١١٨) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ) كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - بيروت، ١٤١٩هـ، ٣٥. السكري، شرح ديوان الهذليين، ٤٢٤/١. ورواية البيت عنده فيها اختلاف يسير.

- (١١٩) ينظر مثلاً أبو هلال العسكري، الصنائع، ٣٥، وابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣ هـ) العمدة في محاسن الشعر وأدابه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٥، دار الجيل — بيروت، ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م، ٧٢/٢.
- (١٢٠) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى الليثي، أبو عثمان (ت ٢٥٥ هـ) الحيوان، ط ٢، بتحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م، ٧٨/٥، والبصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن، (ت ٦٥٦ هـ)، الحماسة البصرية، ط ١، تحقيق وشرح ودراسة: د. عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٠ م، ١٣٠٨/٣. وذكر اختلافاً في نسبة الأبيات. ودقة، د. محمد علي، ديوان بني أسد أشعار الجاهليين والمخضرمين، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩ م، ٢٨٤/٢. ٢٨٥.
- (١٢١) الشَّعْرَى: الكَوْكَب الَّذِي يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر. والكواكب: جمع كاعب وهي الجارية التي يندو ثديها للنهود. وقصرت السَّتر: أرخته، الأرطى: شجرة تتخذ الظباء في أصوله كنسها. الفوالي: جمع فالية، وهي التي تفلي الرأس. يصورها: يميلها. ينظر البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ هـ) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط ٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ٢١/٥، والبصري، علي بن أبي الفرج، صدر الدين، أبو الحسن (ت ٦٥٩ هـ) الحماسة البصرية، ١٣٠٨/٣.
- (١٢٢) علقمة الفحل، ديوانه، ص ٦٩، والمفضل الضبي، المفضليات: ص ٤٠٢.
- (١٢٣) صالها: ما صلب منها وقوي، وقيل الصالب: الصداق، والتدويم: الدوار. علقمة الفحل، الديوان، ط ١ تحقيق د. حنا نصرحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ص ٤٥.
- (١٢٤) تاج العروس (نقرس).
- (١٢٥) امرؤ القيس، ديوانه، ص ٣٩٩.
- (١٢٦) المتلمس الضبي (ت ٥٨٠ م) ديوان المتلمس، ص ١٨٦.
- (١٢٧) الحارث بن حلزة اليشكري (ت نحو ٤٣ ق هـ ٥٨٠ م) ديوان الحارث بن حلزة، صناعة: مروان العطية، ط ١، دار الإمام النووي ودار الهجرة - دمشق، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، ص ١٢٨. وينظر الجاحظ، البرصان والعرجان، ٥٢/١. عزه: سبه. الروق: الجمال المعجب. الطرف: الجواد الكريم العتيق. التوليع: التلميع من البرص. والبلق: استطالة البياض وتفرقه. والمعنى: لا بأسرك الجمال المعجب فإن الفرس الكريم لا يضربه ما به من وضح إذا أتى يوم الحلبة سابقاً.
- (١٢٨) ينظر الجاحظ، البرصان والعرجان: ٦٣/١.
- (١٢٩) المرتضى الزبيدي، تاج العروس (سلل).
- (١٣٠) ابن منظور، اللسان (يأس).
- (١٣١) أبو تمام، الوحشيات، ١١١. وينظر المرتضى الزبيدي، تاج العروس (سلل).
- (١٣٢) جران العود النميري (ت ٨ هـ) ديوان جران العود النميري، رواية أبي سعيد السكري، ط ١، دار الكتب المصرية. القاهرة، ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م، ص ٣٨.
- (١٣٣) امرؤ القيس، ديوانه، ص ١١٥.
- (١٣٤) الأنباري، محمد بن القاسم (ت ٣٢٧ هـ) الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية. بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ص ٣٢٤.
- (١٣٥) الفيروزآبادي، القاموس المحيط (زكم).
- (١٣٦) علقمة الفحل، ديوانه، ص ٥٣، والمفضل الضبي، المفضليات، ص ٣٩٧.

- (١٣٧) المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٤٨هـ) الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، تحقيق وتقديم: محمد حسين شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م، ص ١٧٢. والبيت ليس في ديوان الأعشى.
- (١٣٨) امرؤ القيس، ديوانه، ص ١٠٧.
- (١٣٩) السكري، شرح أشعار الهذليين، ١٢٧٩/٣.
- (١٤٠) عمرو بن شأس الأسدي (نحو ٢٠ هـ - ٦٤٠ م) شعر عمرو بن شأس الأسدي، د. يحيى الجبوري، ط ٢، دار القلم الكويت، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م، ص ٦٩.
- (١٤١) النابغة الذبياني، ديوانه ص ١٨؛ وابن منظور، لسان العرب (فرش).
- (١٤٢) جواد، علي، المفصل، ٤٤/١٦.
- (١٤٣) طرفة بن العبد، ديوانه، ص ٦٠.
- (١٤٤) الأعشى، ديوانه، ص ٢١١، وينظر ابن منظور، اللسان (ألق).
- (١٤٥) ابن منظور، اللسان (ألق).
- (١٤٦) ينظر مثلاً حالي، دة. شمس الإسلام، ديوان الشعراء المعمرين من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي، ط ١، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث- أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة ٢٠١٠، م. قسم الدراسة ص ١٢٣-١٤٠.
- وينظر منصور، حمدي محمود، والمقابلة، محمد علي، الهرم وشكوى الدهر (الشيب والشيوخ في الشعر الجاهلي) مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، العدد ٣، المجلد ٣٩، ٧٣٦-٧٥١. وكذلك الشهري، ظافر عبد الله علي، الشكوى في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، ١٩٩٠ م، ١٣١ - ١٥٠.

مضامين القصة القصيرة وقضاياها لدى خليل قنديل

د. عواد أحمد الدندن*

تاريخ قبول البحث: ٢٠٢١/٨/١٥ م

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢١/٦/٣ م

ملخص

تطورت الأنماط القصصية في العصر الحديث، وطرق الكتاب موضوعات جديدة مستمدة من الواقع المعيش، وفي الأردن لم تعش القصة القصيرة بمعزل عن القصة العربية، فقد تطورت الأساليب وتنوعت المضامين وتعددت الرؤى وتجددت الفلسفة في الطرح والتشكيل والبناء، ولهذا جاء هذا البحث ليتناول مضمون القصة القصيرة وقضاياها في نتاج الكاتب الأردني خليل قنديل (١٩٥١-٢٠١٧)، فقد حملت موضوعاته القصصية مضامين جديدة بطرح جديد، حيث الاهتمام بالقضايا الاجتماعية وتبسيط الضوء على قضايا متعددة، وقد اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الاجتماعي لكونه تتبع المضامين الاجتماعية، ولهذا سيتناول هذا البحث دراسة هذه المضامين القصصية من خلال مجموعاته القصصية. الكلمات المفتاحية: خليل قنديل، القصة القصيرة، المضمون القصصي.

* باحث، وزارة التربية والتعليم- الأردن.

The Implications of the Short Story and its Issues for Khalil

Qandil

Abstract

Fictional styles have evolved in the modern era, the book touched on new topics drawn from the lived reality. In Jordan, the short story has not lived in isolation from the Arab story. The methods have evolved, the contents diversified, the visions varied, and philosophy renewed in proposing, forming and constructing, and for this this research came to deal with the content of the short story issues in the work of the writer, Khalil Qandil (1951-2017).

His narrative themes carried new implications with a new proposition, as interest in social issues and shedding light on multiple issues, and the researcher in this study followed the social approach because it follows the social implications, and this research will address the study of these narrative contents through his anecdotal collections.

Keywords: Khalil Qandil, short story, the fictional content.

مقدمة:

كان للأحداث السياسية والاجتماعية أثر كبير في تطوير المضامين القصصية عند الكتّاب العرب، خاصة بعد حرب حزيران التي كان لها آثارها المادية والنفسية، حيث أدى ذلك إلى تعقيد الحياة الاجتماعية والفكرية والاقتصادية، فكان القلق والتوتر والضياع وخاصة بعد اتفاقية (كامب ديفد) وما أعقبها من هزات سياسية وإنسانية، ومن خلخلة في البنى الاقتصادية وتفسح في الرؤية والمواقف، وتمزق المثقف العربي بين مختلف الاتجاهات الفكرية والسياسية والحزبية، واستلاب الهوية العربية والإسلامية.

كان لهذه الأحداث مجتمعة حضورها في التجارب القصصية الجديدة شكلاً ومضموناً، وما يتبعها من أحداث سياسية أخرى، أدت إلى الشعور بالعبث والتبعثر والفوضى واللاجدوى من مثل حرب الخليج عام ١٩٩٠-١٩٩٢، إضافة إلى ما تبعها في القرن الحادي والعشرين من حرب على العراق، كل هذه الأمور كان لها الدور الرئيس في تكوين المضامين القصصية عند خليل قنديل، الذي ركز بشكل كبير في نتاجه القصصي على الموضوعات الاجتماعية، فالقارئ لأعماله يلحظ بشكل جلي تركيزه على موضوعات معينة خاصة المتعلقة بالتراث وقصص الآباء والأجداد، فالموضوع الذي يطرحه الكاتب في القصة "ليس كل شيء إذ إنّ الموضوعات ملقاة على قارعة الطريق، يلتقطها الكاتب المبتدئ، والكاتب الذي استحصدت ملكته وإنما المهم طريقة الكاتب في علاج موضوعه وتجليته".^(١)

المبدع من أكثر الكائنات حساسية تجاه الموقف وإيقاعاته السرية والعميقة في التقاط أدق التفاصيل، ولهذا فالعوامل الفكرية والثقافية التي تدفع المبدع إلى العودة إلى التراث، أمرٌ طبيعيّ فالمبدع يرى التراث مصدراً أساسياً من مصادر الإبداع والنشاط الفكري والحضاري في الحياة الإنسانية، وعليه فإن أي انقطاع أو انبثات أو انسلاخ عن تراثنا لن يُقبل، والتراث بعيد في بعض جوانبه عن شخصية الأمة ووجدانها وعواطفها، ويفصح عن مواقفها إزاء القضايا الإنسانية. بناءً على ما تقدم: فإن "ثقافة المبدع التي تشكل وعي التراث جانباً منها هي الرافد الحقيقي لإبداعه وابتكاره، وتعبير عن تجربته الحياتية، فليس من إبداع جديد إلا ويقوم على جهد سابق وعليه فإن التراث يمكن أن يسهم في تجسيد ثقافة خاصة، وفكر عربي له سماته المميزة وقصة قصيرة-على سبيل المثال- لها خصائصها المنفردة".^(٢)

وبالنظر إلى تجربة خليل قنديل (١٩٥١-٢٠١٧) القصصية من حيث المضمون نستطيع أن نلاحظ أنّ مضامين مجموعاته القصصية ركزت على مضامين متعددة، من مثل قضية الفقر والطبقات والحرمان والجوع والكبت والبطالة والقمع وغيرها من المضامين التي يشترك فيها الرجل والمرأة، والتي تعكس واقع طبقة اجتماعية وشريحة واسعة من المجتمع، وقبل البدء في تفصيل تلك المضامين ينبغي الإشارة إلى أن خليل قنديل ينتمي لجيل المعاصرة ولعدد من الكتاب الذين أسهموا في دفع عجلة التطور القصصي، حيث صدرت له أول مجموعة قصصية بعنوان (وشم الحذاء الثقيل) عام ١٩٨٠، والمجموعة الثانية بعنوان (الصمت) عام ١٩٩١، والمجموعة الثالثة بعنوان (حالات النهار) عام ١٩٩٥، ثمّ مجموعة (عين تموز) عام ٢٠٠٢، وآخر مجموعة قصصية صدرت له بعنوان (سيدة الأعشاب) عام ٢٠٠٨، التي تميزت باعتماد قنديل على التقاط التفاصيل الدقيقة وتوظيف المقولات الشعبية والحكايات الخارقة والأساطير التي نمر عليها دونما توقف وإنما تستوقف عين القاص الدقيقة.

وينبغي الإشارة أيضا إلى الدراسات التي تناولت هذا النتاج، والتي يمكن حصرها في دراستين هما: دراسة عواد الدندن بعنوان تجربة خليل قنديل القصصية، ودراسة علي عبدالله وأماني سليمان بعنوان الظواهر الفنية والجمالية في قصص خليل قنديل، فقد كان لهاتين الدراستين أهمية في البحث تتمثل في الولوج إلى دراسة جديدة.

القصة القصيرة في الأردن (لمحة تاريخية):

تطوّرت القصة الأردنية لتساير مستجدات العصر وتطوراتها في الميادين المختلفة، ليميز جيل الستينيات باستخدام الأشكال القصصية الحديثة والخروج بها- القصة القصيرة- من دور الحكاية إلى دور القصة الحديثة، حيث أسهموا في إعادة بناء القصة كشكل فني متميز في الساحة الأردنية ومن أعلام هذا الجيل محمود شقير، وخليل السواحري، وجمال أبو حمدان، وفخري قعوار وغيرهم، وفي مرحلة السبعينيات تزايد عدد الكُتاب في مجال القصة وأخذت المجموعات القصصية تتوالى في الصدور وظهرت أسماء جديدة لعدد من الكتاب منهم إبراهيم العبسي وسالم النحاس وإلياس فركوح وأحمد عودة وهند أبو الشعر وخليل قنديل وسواهم.

وفي عقد الثمانينيات تطورت القصة وازدهرت وأصبحت أكثر التزامًا بقضايا المجتمع وهمومه، حيث شهدت الساحة الأدبية في مستوى القصة زخمًا في النتاج القصصي، كما تنوّعت المضامين، وتعدّدت الاتجاهات والهواجس، وأخذ الكُتاب يعبرون عن هذا المجتمع وما

يعانيه أفرادُهُ من مشكلات، وبدا ذلك واضحاً في نتاج عدد كبير من الكُتّاب من أبرزهم خليل قنديل في مجموعاته القصصية الخمس، وفي مرحلة التسعينيات وما بعدها، أخذت القصة القصيرة تدخل طور الازدهار، حيثُ تنوّعت اتجاهات القاصّين والقاصّات، فظهر تبعاً لذلك الاتجاه الحدائي والتجريبي الذي ساد على الاتجاهات الأخرى، وظهر عدد من الكُتّاب الذين ينتمون لهذا الاتجاه من أمثال مفلح العدوان ونايف النوايسة ويوسف ضمرة وجواهر الرفايعة وجهاد الرحي وبسمة النصور وغيرهم^(٣).

وفي الحديث عن القصة الأردنية وما ارتكزت عليه من الجذور القديمة، يبدو للدارس في القصة القصيرة الأردنية كفنّ ينتمي إلى بنية حكاية أنه ارتكز على موروث حكاوي وشفاهي، شأنه شأن فن القصص العربي عموماً وخاصة عند الرّواد^(٤).

لقد أشادَ عدد من النُّقاد للدور الذي قام به كُتّاب القصة القصيرة في الأردن، والذين أسهموا في دفع عجلة التطور في هذا الفنّ، لاسيما الجهود التي ما قام بها محمود سيف الدين الإيراني في تأسيس العمل القصصي في الأردن، "فالريادة في مرحلة ما لا تعني في أحد الوجوه مجرّد السّبق الزمني؛ بل هي تأسيس يقوم عليه وينهض به بناء شامخ، بمعنى أنّ الإيراني لم يكن أول من شاد- بهذا الفن- ذلك البنيان الكامل الذي خرجت منه بيوت أخرى كثيرة، استندت إليه واستمدت منه أسباب النهوض^(٥).

وفي معرض الحديث عن القصة القصيرة في فلسطين والأردن، يؤكّد ناصر الدين الأسد في نشأة القصة بقوله: "لها تاريخ طويل يكاد - في نشأته- يواكب نشأة هذا الفن في لبنان ومصر أو بعدهما قليلاً وإن كان في تطوره ونضجه وحتى شهادة أعلامه، لم يبلغ الذي بلغه في القطرين الشقيقين^(٦)". أما الجيل الثاني الذي ظهر بعد جيل الرّواد فهو جيل الشّباب، الذين أسهم نتائجهم في تطور فن القصة الأردنية ودفعها للأمام، فبعد جيل الرّواد أثّرت الحروب على مسار القصة الأردنية، حيثُ كان لها آثارها الاجتماعية والنفسية التي انعكست على أبناء هذا الجيل، فأعطتهم دفعة قوية وتصوّراً جديداً ورؤية فكرية لما يجري من صراع بين العرب والمهود ووضعتهم في مسار الالتزام بالواقع، ولذلك نجد أنّ دائرة الأفق قد توسعت من الرومانسي السلبي الضيق إلى الإيجابي الرحيب كل هذه الأمور وما تبعها من تقلّبات سياسيّة أخرى، أثّرت في مسار القصة القصيرة في الأردن، ليس على الجانب السياسي في القصة بل على الجوانب الأخرى سواءً أكانت اجتماعية أم نفسية أم اقتصادية أم فكرية، "ومن الكُتّاب

الذين مثّلوا لهذا الجيل منهم: صالح أبو أصبع وفخري قعوار وجمال أبو حمدان وغالب هلسا وسالم النحاس ومحمود شقير وخليل قنديل وغيرهم.^(٧)

وفي نهاية الحديث عن تاريخ القصة القصيرة في الأردن، نستطيع أن نلمح البدايات التي شكّلت نشأة القصة الأردنية الجديدة، وهي مرحلة السبعينيات " إذ دخلت - القصة القصيرة - إلى عالم التجريب وارتكزت في معظم الكتابات القصصية على الجهود التي بذلت في الكتابات القصصية الأولى: لأن التجريب جاء من تراكم الإبداع القصصي عبر ثمانية عقود، وإذا ما تحدثنا عن الجذور الأولية للقصة الأردنية، فإن ذلك يحتم علينا الرجوع إلى البدايات لكن القصة تطورت شكلاً ومضموناً بعد نكسة حزيران، إذ أفرزت منظومات ترتبط بالوعي واللاوعي والمصير والوحدة والضّياع والتشرد... إلخ.^(٨)

هذه هي بداية القصة القصيرة في الأردن، فقد بدأت في طور الطفولة الصعبة حتّى وصلت إلى طور الحداثة والتجريب والتطور. " فليس الأدب على وجه عام والقصة على وجه خاص إلا مرآة للمجتمع وصورة تفصح عن جوانبه ونفسيات أهله، وقد شهدنا بعد الحرب العالمية الأولى ما لحق من تطور قوي طوعاً لما لحق الحياة الاجتماعية كلّها من تطور، فلو لا تلك الحرب، لكان التغيير في مذاهب القصة وأساليبها الفنية بطيء الخطأ يستغرق مديداً من الوقت.^(٩) والقصة الأردنية في هذا الجانب لم تعيش بمعزل عن هذه الترتيلة وهذا النسق في جل الفنون، فقد عاشت ما عاشته الأجناس الأدبية وممرت بما مرت به، غير أن ما يحسب لها انفتاحها على العالم بزيادة حركة ترجمة القصص الأردني لنتاج العديد من الكتاب الأردنيين الذين تمركزوا في مراتب متقدمة من سلم الكتابة القصصية.

مضامين القصة القصيرة وقضاياها لدى خليل قنديل:

للبيئة والتكوين الثقافي الذي يعيشه الكاتب دور بارز ورئيس في تشكيل مضامين قصصية، وخاصة المضامين الاجتماعية، وخليل قنديل ابن طبقة فقيرة وقد حاول من خلال نتاجه القصصي الإشارة إلى وجود هذه الطبقة، وبيان الفروق بينها وبين الطبقة الأخرى، ويبدو أن القضايا الاجتماعية تمثل " الاتجاه الأول بين اتجاهات القصة الموضوعية، بما قدّمه كتابنا فيه من نتاج غزير، يعالج كثيراً من القضايا الاجتماعية، ويحاول القضاء على ما فسد من عادات المجتمع وتقاليد البالية.^(١٠)

إنّ الدارس لمجموعات قنديل القصصية، يجد أن القضايا الاجتماعية تمثل مرتكزا أساسيا من نتاجه، فقد عالج قضية الفقر والطبقات الاجتماعية والحرمان والبطالة والقمع والظلم وغيرها من الموضوعات الاجتماعية، فالإطار الاجتماعي يعد الأوسع، إذ يجمع بين الأطر كافة ويتمثلها، ويكون الحافز الرئيس لها. وفيما يلي بيان لتلك الموضوعات:

الفقر:

أخذت مشكلة الفقر النصيب الأكبر في مضامين قصص خليل قنديل، فقد تحدث فيها في جل قصصه، ولعلّ السبب في ذلك لكونه من أبرز الكتاب الذين تبناوا مذهب الواقعية النقدية، والذين ينتمون لتلك الفئة المهمشة، فهو ابن طبقة فقيرة عاش فيها وعانى ما يعاني أفرادها من الفقر والجوع، فالدارس لمجموعاته يجد اهتمامه في تصوير تلك الطبقة وشخصياتها وبيوتها وكل ما يحيط بها، إضافة لمحاولته معالجته قضية الفقر والجوع والطبقات الاجتماعية والقهر والظلم والحرمان وغيرها.

ففي قصة (عين تموز) التي حملت اسم المجموعة القصصية، بدأ المشهد بوصف للمكان وهو مجمع (الحافلات)، وهو مكان عام ومن ثمّ حدد الزمان، وهو وقت الظهيرة في شهر تموز حيث الحرارة المرتفعة الملهبة، وبعدها بدأ الراوي بوصف للمرأة والبنات اللتين خرجتا لزيارة أختها التي تسكن في الضواحي النائية والبعيدة عن العاصمة، ففي هذه القصة تصوير لصراع الفرد مع نفسه بحيث يكون أو لا يكون، وقد بدأ المشهد واضحا من خلال حديث الراوي الذي صوّر الموقف والمعاناة التي عاشتها المرأة وابنتها للوصول إلى أختها، ومن الإشارات الدالة على الفقر حديث الراوي، حيث قال: "وأسرعت نحو الباص وهي تلعن في سرها أختها التي تسكن في الضواحي النائية البعيدة عن العاصمة، وتلعن هذه الزيارة وهي تتحسس القروش القليلة في جيبيها والتي تكاد لا تكفي للذهاب والإياب." (١١) وورد أيضا قوله: "دخلت وابنتها في الازدحام المتناسل عند بوابة الباص، متحاشية سطوة السخونة في الملامسة والاحتكاك، وهي تحاول أن تبحث عن طريقة تجعلها تقاسم البنات مقعدها، بحيث تدفع هي والبنات أجرة مقعد واحد." (١٢).

في قصة (الجوع) إشارة واضحة إلى مشكلة الفقر وما يعانيه الفرد من الجوع، وقد بين ذلك من خلال شخصية تقمصها الكاتب من طبقة كادحة تعمل بكل ما أوتيت من جهد لكسب العيش والسعي لإيجاد قوت يومها، فقد بدأ بالمكان هو سوق الخضار، وهو مكان عام

يتجمع فيه حشد كبير وازدحام وصراخ في الوجوه، في هذا الجو العام ظهرت شخصية صوّرها الراوي وأعطى ملامحها لتشير إلى طبقة معينة تعاني من الفقر والحرمان، شخصية تسعى لسد الجوع الذي التهم معدته، والذي سرد فيها قوله: "تلفت حوله، تأكد بأن لا أحد يراه، وبحركة تلقائية من رأسه أخذ يراقب الحركة أمامه، تصلبت نظراته أمام حبة برتقال كانت ترقد بعفوية أخاذة بجانب قدم أحد الباعة، كان لونها يأخذ طعم العطش في حنجرتة، وهي تتوهج تحت أشعة الشمس، وعندما فكّر بالبرودة البرتقالية في داخلها أفرزت حنجرتة لعابًا مائعًا ومتعطشًا"^(١٩).

أما قصة (الرّهان) التي بطلها نعمان الذي يعمل حمّالًا في الأسواق يوصل الأمتعة إلى البيوت والأماكن المخصصة، فهي تعكس واقعًا صعبًا ومريّرًا، من خلال ذلك الوصف الذي بدأ به الراوي للسوق وحالة نعمان، حيث كان ممددًا وغارقًا في قيلولة الظهيرة ونعلاه تحت رأسه، وتبدأ القصة أحداثها عندما دخل نعمان بوابة السوق وتذكره كلام الطبيب الحكومي حين قال له: عليك أن ترتاح يا نعمان، وبعد حوار طويل في نفسه تذكر فيه زوجته العجوز التي لا تقوى على العمل، حرّك رأسه في الهواء متحاشيًا تلك الأفكار، وعندها شاهد رجلًا أمامه ثلاثة أكياس كبيرة فتوجه إليه ليحملها، ولكنه كان مترددًا في ذلك خشية عدم قدرته على حملها، ولكن ضحك صاحب الدكان المجاورة أجبره على ذلك، رد نعمان بسرعة على كلامه بل استطيع عندما أحسّ بتورطه لأن الأمر أصبح أشبه بتحد في نفسه؛ علمًا بأن هناك شخصا آخر يعمل حمّالًا اسمه عاشور، وكان على تحدٍ دائم مع نعمان، فعاشور كان صاحب قامة طويلة وعضلات مفتولة وهذا ما أجبر نعمان على حمل الأكياس الثلاثة ووضعها في السيارة، ولكنه بعد ذلك أحس بالضعف؛ لأن قوته لم تعد كما كانت، فتوجه إلى البيت في رغبة قوية للبكاء.

فهذه القصة تعكس واقع طبقة الفقراء الذين يعملون لكسب العيش، وإذا قعدوا عن العمل لعلّة ما، فإنهم لن يجدوا قوت يومهم، فنعمان شخصية التقطها الكاتب من واقع اجتماعي معيش، ومن طبقة اجتماعية كادحة، لا تقوى على العيش إلا بالعمل الشاق، وما يدل على هذه الطبقة قول الراوي: "هزّ رأسه موافقًا الطبيب متحاشيًا شرح أوضاعه، لأنه أدرك بفعل التقادم لأحواله المتدنية بأن طلب الشفقة والمعونة لم يعد يجدي في زمن تحول فيه الناس إلى وحوش، وأنه سيظل يأتي إلى السوق ويعمل حتى ينهار وينام نومته الأبدية."^(١٣).

وفي قصة (حالات النهار) التي تشترك مع القصص السابقة، والتي تعكس واقع طبقة الفقراء التي تعمل من أجل العيش، وذلك من خلال وصف يوم من أيامها، حيث بدأ هذا اليوم من الصباح الباكر في يوم ماطر، وقد بدأت القصة بوصف للمكان ومن ثم بدأت لعرض سكانها، ومن أولهم حسن الطحان الذي يعمل في الطاحونة مع حمارة الذي يطلق نهيقاً مبالغاً وغلبيظاً كل صباح، ومن ثم يصف لنا زينب وطالب الثانوية اللذين وقع بينهما حب عذري من خلال النافذة، وهي علاقة تدل على بساطة هذه الطبقة، ثم يصف لنا محمد الفوال الذي لبس قميصه مقلوباً وزوجته التي منشغل فكرها بمشاهدة التلفزيون وماذا سيحصل لعنايات، وهل ستزوج من سيدها، وفي الخارج فتح أبو تامر دكانه طلباً للرزق، ويبدأ بالبسملة والتهليل ويطلب من ربه أن يرزقه ولد ليحمل عنه هذا العناء، ومحمود الذي يعمل سائقاً على شاحنة، تمنى أن المطر يبقى منهمراً كما كان البارحة ليحفل بعطلة تمتد طوال هذا اليوم، ليرى أطفاله الذين لا يراهم إلا في الليل نائمين.

هكذا بدأ الصباح عند هذا الحي الفقير ومن ثم بدأت القصة بتصوير حال الظهيرة، ولكن بإيجاز قصير وسريع، وانتهت أحداث القصة بتصوير الغروب، حين عاد كل شخص لبيته متعباً منهكاً من العمل ليبدأ يوم من جديد بالطريقة نفسها التي مرت بها أيام سابقة، فعاد حسن الطحان غارقاً في لونه بالطحين يسوق حمارة وهو يغني بصوت يشير إلى انتهاء النهار، وكذلك يعود طالب الثانوية ليرى زينب على النافذة، ويعود محمد الفوال إلى بيته أيضاً وأبو تامر الذي يغلق دكانه كإشارة منه إلى انتهاء النهار، ومحمود سائق الشاحنة يعود كذلك ويوقف شاحنته ويسرع إلى بيته ليرى أطفاله الصغار قبل نومهم، وتغشى العتمة المكان، ويسيطر الهدوء حتى ساعات الصباح الأولى من طلوع الفجر، ليبدأ يوم جديد وكأنه يعد بضجة غير متوقعة.

هذا هو حال هذا الحي الفقير، الذي يصف حال ساكنه حين يبدأون العمل من الساعات الأولى للنهار حتى نهايته، ومن ثم العودة إلى البيت والخلود للنوم بتعب ومشقة، فقد استطاع الكاتب أن يصور واقع طبقة بسيطة تعمل من أجل العيش دون تعقيد أو شوائب فاختار شخصياتها من الواقع المعيش، وكأنك تراهم كل يوم في الشوارع والأماكن العامة، فالبطولة مشتركة لشخصيات توزعت عليها، ويؤكد قنديل من خلال هذه القصة تأثير الكاتب بالفصول من خلال رصده بعض الأحياء الشعبية بقاطنيتها، ابتداءً من ذلك العصفور الفجري، مروراً

بوقت الضحى ثم الظهيرة والمساء وبعدها تغلق الدائرة الزمنية لذلك اليوم بالعودة إلى العصفور الفجري من جديد، فقد تأثر قنديل بتلك الغيمة النهارية التي ولدها الشتاء، وبتلك اليقظة التي أثارها فصل الصيف، وبذلك اللون الأصفر، يطبقه فصل الخريف على الأوراق ودحرجتها في الحقول والحدائق المنزلية.

الإعاقة:

لم يغفل قنديل في نتاجه القصصي فئة الأشخاص ذوي الإعاقة وما تعانيه هذه الفئة من ظلم واستبعاد، إضافة لصعوبة العيش والسعي لإيجاد العمل، ولعل قصة (حمامة بيضاء) تمثل أنموذجاً لتلك الفئة من الأشخاص حيث الحديث عن معاناة جديدة وهي الإعاقة، فقد عكست هذه القصة واقع أسري معيش، من خلال بطلها عوني الأعرج الذي يعمل في إحدى الشركات سائقاً على (باص)، إلا أنه استاء من العمل لأنه أحسّ بالقيود التي تلزمه وتحد من حريته، ففي كل يوم يزيد استياءً من العمل لكن كسب العيش هو الذي يجبره على النهوض باكراً والسير إلى العمل، وقد كان لامرأته زكية الدور الكبير في دفعه للاستمرار في العمل، حين كانت تقول له "لست ابن نعمة ألا ترى الراتب الشهري الذي نتقاضاه، والملابس النظيفة، قميصك الأبيض وبنطالك الأسود والحذاء اللامع وحلاقة الذقن وتلك الشارة التي تضعها على كتفيك، إنك لا تختلف عن أي موظف حكومي، إنها شركة محترمة، أنسيت سحنتك أيام زمان الثياب البالية المبللة بالزيوت والشحوم ويديك المسودتين دائماً يرغب عوني الأعرج أن يحدثها عن الباص الذي أخذ منه كل شئ حتى قدرته على أن يجوب شوارع عمان ومقاهيها وازدحامها، الذي يظل يحبه لكنه يتراجع عن ذلك فجأة ويرفعها بكوعه قائلاً: ستظلين بهيمة، نامي".^(١٤)

إن حرص عوني الأعرج على العيش وكسب الرزق هو الذي جعله يتحمل هذا العناء الطويل والأمراض التي نجمت من (الباص) اللعين، فعندما خرج ذات يوم من الصباح الباكر تذكر قول الطبيب: أنت لست أعرج، مجرد تشوه في الخلق عندك ساق أطول من ساق، كل ما تحتاجه زيادة سماكة في كعب الحذاء وبعدها ستتزن خطواتك. فيجيب عوني قائلاً: "أنا أعاني من الأنفلونزا ومن القهر إن شئت؛ ثانياً نحن في بلد تتحول فيه العاهة إلى اسم للعائلة، فأنا سأنجب جيلاً كاملاً يبني اسمه بالأعرج".^(١٥) فالقصة تعكس واقع طبقة الفقراء، التي تعمل وتكسب في عملها وينتهي بها الأمر إلى الإصابة بإعاقة أو تشوه جسدي، وفي ذلك يقول

الراوي" وفي الصباح، تستهضه زكية بتلك الحركة التي يحكمها زعر الفقراء في الحفاظ على الرزق يود أن يعتذر لها عن قسوة البارحة، لكن رغبته في الدخان والشاي، تقمع ذلك ويتبدد في حركات مترددة بين الحلاقة والملابس النظيفة.^(١٦)

تشارك قصص قنديل في كونها تصور حال طبقة فقيرة، فتراه يعيد سرد الحادثة في أكثر من قصة، ولكنها جميعها تنتهي نهايات متشابهة وهي تحاول أن تعبر عن إنسان هذا العصر هذا الإنسان المشتت والممزق، الذي طحنت روحه الحضارة وتكاد تطل كينونته، فليس من الممكن أن تستطيع أدوات أو وسائل العصر الماضي التعبير بدقة وأمانة عن الإنسان المعاصر، فالظروف التي يعيشها حالياً هي غير تلك الظروف وأحلامه وآماله وإشكالاته ومخاوفه وقلقه وطموحاته. وتشارك قصصه أيضاً بأنها متشابهة إلى حد كبير، ويمتاز بأن أدبه من الحياة الشعبية بكل واقعية صرفة، فهو ينقل التفاصيل والأمكنة، والشخصيات، والموروث والأسطوري، والخرافي بكل دقة ليصور نمط عيش الناس ومعاناتهم، وهو أجسهم ورغباتهم وأسلوب تفكيرهم، كما تمتاز شخصياته بأنها من النوع الذي تراه كل يوم في شوارع وأزقة ومحلات الأمكنة الشعبية والبيوت القديمة، وهو بهذا يسعى إلى تلمس أوجاع الفقراء والمهمشين وأثر المكان عليهم. كما يقوم سرده على الغوص في العالم الباطن لحياة الشخصية المنتمية لشريحة الفقراء، ليصل بعد ذلك لصدق وعمق تلك العوالم وتحليلها ليخترق كل مسكوت عنه.

توصف قصص قنديل بأنها واقعية نقدية، حيث تقوم على أساس من اختيار الصورة وتلوينها، وفق أطر من الالتزام الكامل الواعي ويقدر المتتبع لهذا اللون أن يلمس توجهاته في نتاج بعض الأدباء والشباب مثل أنور أبو مغلي، ويوسف الغزو، وخليل قنديل، ولكن توجهاتهم هذه لا تأخذ شكلاً متكاملًا ملتزمًا، كالذي نجده عند فخري قعوار^(١٧). فخليل قنديل يوصف نتاجه بأنه واقعي، وهذه الواقعية تندرج تحت ما يعرف بالواقعية النقدية والسبب أنه اهتم في مجموعاته القصصية جميعها على مادة الحياة اليومية والتفاصيل الصغيرة للناس في الأسواق والشوارع والأزقة، ويعتمد أيضاً على الملاحظة الدقيقة لحركة هؤلاء الأفراد، فيلتقط هذه التفاصيل والمقولات، ليعيد سردها على شكل قصص يصور من خلاله جوانب الحياة صغيرها وكبيرها.

الطبقية والشعور بالغبرة:

من المضامين القصصية التي ظهرت في نتاج قنديل الطبقية والشعور بالغبرة، ولعلّ من الصعب الفصل بينهما -الطبقية والشعور بالغبرة- لحميمية العلاقة وتشابكها وما يترتب عليها من تداخل وعواقب معاً، فقد حملت معظم شخصيات القصص ذلك الشعور نتيجة الفجوة الفاصلة بينها وبين شريحة الأغنياء، ومن القصص التي مثلت لهذه المشكلة قصة (ميمي) التي صوّرت العلاقة بين شخصين، من خلال حوار جرى على شكل مونولوج داخلي، صوّر فيه علاقته مع (ميمي) التي تنتمي للطبقة العالية الفارحة، ولكن هذه العلاقة باءت بالفشل في النهاية نتيجة الهوة التي تفصل بينهما، وأما المكان فهو المطعم الذي لا يدخله إلا أصحاب المرتبة المرتفعة ممن يملكون الأموال والأموال الكبيرة فعندما دخل إلى المطعم شعر بالغبرة وأنه في مكان لا ينبغي له أن يكون فيه، يقول الراوي على شكل مونولوج داخلي في نفسه "بزغ على نحو مباغت شعور بالغبرة تجاه اسمها كيف لجبلي مثلي يحمل هذا الإرث الثقيل لرائحة الرجال ولأصواتهم الغليظة، وللشعر الكثيف الذي يغطي سواعدهم المعروفة ولصدورهم المتسعة لشجاراتهم العابرة وقهوتهم والثروات، كيف له أن يحب واحدة اسمها ميمي، واحدٌ مثلي جدير بزینب، سلمى، رقية، خديجة.... أسماء لنساء متينات البنية، لبونات، باهضات الملامح، لديهنّ الاستعداد الفاحش لإنجاب الأطفال وتوقع ضربات العمر."^(١٨)

تمثل هذه القصة معاناة جديدة لشريحة كبيرة من المجتمع، فقد عكست واقع قضية مهمة، وهي قضية الشعور بالغبرة، إضافة للتمايز الطبقي والهوة الفاصلة بين طبقة الغنى الفاحش، وطبقة الفقر الشديد التي لا يمكن إيجاد علاقة إيجابية بينهما، وكل توسط بينهما سيكون نتاجه الفشل، وكان للمكان دوره الواضح والبارز فيما يتعلق بتصوير تلك الطبقة الفقيرة، فقد ظل المكان من الروافد الظاهرة والداعمة لرؤية قنديل القصصية، من خلال انتقائه لتلك الأماكن العامة التي تخص أكبر شريحة ممكنة من المجتمع.

لعل من الصعب فصل مضامين قصص قنديل عن بعضها، فالقارئ لمجموعاته القصصية يجد أنها تشترك في تصويرها لأكثر من جانب، فكلها تصب في الجوانب الاجتماعية وتصويرها لواقع طبقة اجتماعية تعاني الكثير من الصعوبات، غير أننا نستطيع إيجاد تفرد بسيط في كل قصة.

ففي قصة (مقهى عصري) والتي تعد من أكثر القصص التي صورت قضية الطبقات والفروق الاجتماعية، لما عكسته من واقع هذه الطبقة المحرومة حتى من المشاعر الجميلة، فعبد القادر شخصية تجرأت ودخلت المقهى رغم الالتزامات العائلية والديون المتراكمة التي ينبغي عليه تسديدها، لكن ما قام به عبد القادر يعد خطوة جريئة يعكس من خلالها قوة هذه الطبقة ومسعاها للوصول إلى مبتغاها، إلا أن القصة في نهايتها قد رسمت لحقيقة الواقع، وأن الفقير مهما حاول الاقتراب من الطبقة العالية لن يستطع بلوغها، سوزان ابنة الطبقة العالية، لعبت بمشاعر عبد القادر الفقير، عندما أعطته الأمل لمقابلته في اليوم التالي الساعة الرابعة ولكنها لم تأت، والسبب أنها علمت أن عبد القادر فقير، فشخصية سوزان تعكس واقع الطبقة العالية التي لا تهتم بمشاعر الآخرين ولا بوجودهم وصدق مشاعرهم، ومما يدل على الطبقية في هذه القصة تصوير الراوي حالة عبد القادر عندما وصل إلى المقهى فقال: "حينما دلف إلى عتبة المقهى أحسن بالتقلص وبأن محتويات جيبه النقدية لا توائم هذا الترف، مسح العرق الذي تكون فوق جبينه، فكَرَّ كالعادة بأنه يقتحم عوالم مخبأة، وأنه لديه عشق غريب لرائحة الأثرياء، وأن وضعه الوظيفي في النهاية لا يخدم هذا العشق، وأن اختياره الجلوس في مقهى يختلف عن باقي المقاهي الموزعة وسط المدينة، إن هو إلا رغبة أكيدة للتخلص من وسخ الأحياء العتيقة، وعفن الشوارع الخلفية، وفي الانتهاء من ذلك التبدل الذي تمنحه إياه وظيفته".^(٢٠)

الحرمان:

من المضامين القصصية التي اهتم بها قنديل في نتاحه الحرمان والعَوَز، ففي قصة (الرغبة) التي تدور أحداثها في سوق الخضار وفي جو حار جداً جو تموزي الموسم، كان بطلها يبحث عن مكان ظلٍ ليستلقي فيه عن هذا الحر الشديد، وعندما وجد ذلك المكان، اتكأ على سلته الكبيرة المتأكلة وراح في سبات طويل، عاش من خلاله لحظات جميلة لم ينعم بها في حياته الحقيقية، عاش حياة حب وعشق رغم تلك الهيئة المتسخة والوجه الممسوخ والأسنان الصدئة، كل هذه الأمور عاشتها شخصية فقيرة محرومة حتى من العواطف الجميلة والسبب في ذلك هو الفقر، فهذه القصة تدور أحداثها في حلم جميل أشارت من خلاله إلى هذه الطبقة الفقيرة التي لا تسعد إلا بالأحلام؛ لأنها لا تستطيع تحقيق ما تتمناه في الحقيقة فتلجأ للحلم لتحقيق مبتغاها.

لقد ركزت قصص قنديل وبشكل كبير على قضايا اجتماعية مهمة تمس واقع الفرد ومعاناته، ومن أبرزها قضية الحرمان والشعور بالغربة، وقضية التمايز الطبقي، التي لا تولد إلا البغضاء والحقد بين فئات المجتمع، وكل ما ورد ذكره سابقاً من تحليل للقصص عكس واقع هذه الطبقة، وهو ما سعى إليه قنديل في نتاجه القصصي، مؤكداً ذلك ومشيراً إلى حقيقة وجود هذه الطبقة في واقعنا المعيش.

البطالة:

تعد البطالة من المضامين التي اهتم بها قنديل في نتاجه من خلال تصويره لمعاناة شخصياته القصصية، ففي قصة (المرأة والرجل الأخير) التي روت لنا حادثة ذلك الشخص الذي يعمل مدرساً واسمهُ عبدالله، حين وقع في حب امرأة فأصابه الهاجس، تلك المرأة التي شاركته في معاناته من زوجها واسمها (زهرة)، عبدالله الذي طُرد من وظيفته لأنه- كما قال المدير- يطرح أفكاراً وقحة ويكثر من تدريس التأمل، فعبداً ابن طبقة فقيرة، وبعد طرده من وزارة التربية أصبح يبحث عن عمل آخر فقدم طلبه ليعمل حارساً في إحدى الشركات، وبعد أحداث طويلة في سرد القصة يستعيد فيه عبد الله ذكرياته مع أهله وأصحابه وزملائه في العمل وزهرة التي كانت سبباً في هاجسه، عندها قرر وبعد كل هذه المعاناة أن يعيد تشكيل حياته من جديد.

فهذه القصة تصور لنا واقع شخصية عانت في حياتها، وهذه الشخصية تنتمي لتلك الطبقة الفقيرة الكادحة التي تعمل لكسب العيش وتجنب البطالة، يقول الراوي الذي يتقمص دور البطل على شكل مونولوج داخلي: "عبدالله أنت فقير، والفقير عليه أن ينتظر بزوغ الشمس كي يقفز من فراشه كالمدعور، وأن يذهب إلى عمله ناسياً أن هناك شمساً صباحية مشرقة وأن هناك أفقاً صباحياً جديراً بالمشاهدة والتوقف، وعليه أن يعمل كساعة معبأة لا ترن إلا بأمر سيدها وأن تكون لحظة الفرح الوحيدة هو ذلك اليوم الذي يتربع عند نهاية الشهر حين يقبض الراتب ويوزعه حسب الالتزامات، أما هذا التأمل، تلك الترهات، وذلك الثقل في الرأس في شيم أناس يتربعون الحياة"^(٢١).

فهذه القصة تضاف إلى مجموع القصص السابقة التي تصوّر واقع معاناة الفرد من تلك الطبقة الفقيرة، التي تعمل كالساعة لكسب العيش ودون توقف أو اعتراض، وعندما تُخطئ في أمرها، يطرد صاحبها من العمل، وحينها تزداد معاناته أكثر فأكثر، تؤكد هذه القصة

اشتراكها مع القصص السابقة في تصوير حالة الظلم والفقر والحرمان والبطالة والطبقية والشعور بالغربة، وهي سمة القصص عامة وعدم انفرادها في مضمون معين دون سواه، غير أن ما يميز هذه القصة تناولها مشكلة البطالة الناتجة عن الظلم والقمع.

بعد دراسة ما تقدم من قصص تصوّر في مضمونها واقع الفرد ومعاناته يمكن القول: إنّ خليل قنديل- كما ذكرت سابقاً- من أبرز ممثلي الواقعية النقدية لما يقوم به من وصف لحياة الناس في الأماكن المتنوعة، إلا أن "وصف الواقع اليومي بجميع تفاصيله، لا يمكن أن يقدمنا خطوة واحدة في تصوير التناقضات الاجتماعية الكبرى، ولا في اكتساب وعي شعري بالحياة، خاصة إذا تذكرنا أن هذه التناقضات الاجتماعية تتفتت عادة وتفقد حدتها في الواقع اليومي، ولا تبدو إلا نادراً بأشكالها المتعددة الثرية، بل لا تبدو أبداً بكل نموها وصفاتها والنتيجة الحتمية الطبيعية أنها تجعل الحياة اليومية نفسها أشد ضيقاً وفقراً، مما هي عليه إذ لا تبرز تناقضات الحقيقة، ولا ترتفع على ما فيها من أوساط مبتذلة عن طريق الاستقطاب النمذجي العميق".^(٢٢) "ونحن نعلم، أن الفن أحد أشكال الوعي الاجتماعي، وأن الفن يشبه مشكلة بقية أشكال الوعي الاجتماعي، وانعكاس لعلاقات اجتماعية واقتصادية محددة لا تشير إلى انعكاس آلي كالمراة مثلاً، وإنما هو علاقة متبادلة، فبالقدر الذي تولد العلاقات الاجتماعية صورة تعود إلى انعكاسها مرة ثانية".^(٢٣)

يشير "الأزرعي أن الكاتب يلجأ إلى الفن للتعبير عن وجهة نظره وموقفه تجاه الواقع، فكان الأقدّر على الإيجاد وعلى تقديم خلاصة تفاعلاته ومجموع إحساساته بشكل ممتع أخاذ، والإبداع الفني كما يراه الأزرعي ترجمة متطورة متقدمة راقية معبرة عن الأحاسيس الإنسانية تجاه الخارج، فما هو الخارج؟ يقول المقصود بالخارج هنا: كل ما يحيط بذات الفنان من ظروف، وعندني إن خارج الفنان لا شيء غير الواقع المادي المحسوس".^(٢٤) وهذا ما وجد عند خليل قنديل عندما يقوم بوصف للواقع اليومي المعيش، إذ يركز بشكل قوي على كل ما يحيط بذاته ليخرجه بقلب فني جميل، يعبر من خلاله عن الأحاسيس الإنسانية لطبقة فقيرة كادحة تعمل لكسب العيش.

إن من أهم المميزات التي انفرد بها قنديل في سرديته وصفه للمكان؛ فقد ركز بشكل كبير على الأمكنة؛ لتعطي لهذا الموضوع بعداً واضحاً وكيئونة متكاملة. فالأمكنة التي اختارها قنديل تحاول أن تجسد هذا الموضوع وتلتصق به، فمعظمها أماكن لأحياء فقيرة محرومة، والجزء

الأخر أماكن عامة، يتواجد فيها أكبر شريحة من المجتمع، والذي بدوره يعكس واقع هذه الطبقة.

لا شك أنّ للمكان في القصة القصيرة وطريقة اختياره دلالة على وعي الكاتب بموضوعه والأهمية الكبرى التي تنعكس من خلاله، فالأمكنة التي اختارها قنديل جاءت منسجمة مع ما يصبو إليه في مضامينه القصصية، كما أنه وفق في اختياره لتلك الأماكن لتناسقها مع شخصيات القصص، فالسوق والحافلة ومجمع الباصات والمقاهي كلها أماكن ذات دلالات تعبر عن شخصياتها وما تصبو إليه، ومن المميزات أيضًا محاولة الكاتب تجسيد ما جرى من حوار داخلي في نفس الشخصية من أحلام وآمال وتطلعات؛ فمعظم ما يدور بداخل الشخصيات دليل على فقرها وحرمانها. ويمكن أن نضيف ميزة أخرى لهذا الموضوع وهو وصف الشخصيات؛ فقد عمّد الراوي في بداية كل قصة وصف الشخصية، لتكون ألصق بموضوع القصة وبمضمونها، ولتكون الشخصية قريبة من موضوعيتها وحياتها.

المرأة ومشاركتها الرجل همومه ومعاناته:

نظرًا لأهمية الحديث عن المرأة، وأنها تمثل نصف المجتمع وشريكة الرجل في الحياة، كان حضورها في القصة القصيرة الأردنية واضحًا بشكل كبير، فالقارئ للمجموعات القصصية في الأدب الحديث والأدب الأردني (القصة القصيرة) خاصة، يلحظ حضورها بشكل واضح، وقنديل كسائر الكتاب الأردنيين الذين اهتموا بهذا الجانب- إبراز المرأة في القصة القصيرة- حيث لاقت قضية المرأة اهتمامًا كبيرًا من جميع القاصين والكتاب الأردنيين، وتناولوا بشكل رئيس الكثير من قضايا المرأة: مثل صراع المرأة والمجتمع ومعاناتها من مشكلتي الحرمان والكبت الجنسي، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى النظرة الذكورية في المجتمع، لذا نجد المرأة قد تمردت على الواقع، وهذا التمرد ناتج من خيبة الأمل في هذه الحياة.

إن حضور المرأة في قصص قنديل جاء في شكلين: الأول معاناتها من الفقر ومشاركة الرجل همومه ومعاناته المادية والنفسية والجنسية، والثاني: معاناتها من الكبت والحرمان الجنسي والانعقاد من قيود المجتمع "فالمجموعات القصصية زاخرة بمعالجة قضية المرأة المتعلقة بكل ما يحيط بالمرأة من نواحي الحب والزواج والصدقة والطموح في وسط طريق الحياة المتشابكة، وإن قام كتاب القصة بتصوير المرأة، فإنهم يرسمونها كرمز جامد في الأغلب لا فاعلية لها واقعيًا، ويتعاملون مع المرأة على أنها أنثى فقط."^(٢٥)

أما قنديل، فقد رسم للمرأة صورة لها حضورها الواقعي، من خلال مشاركة الفرد (الرجل) همومه ومعاناته المادية والنفسية، فكثيراً ما كانت أبطال قصصه نساء يعكسْنَ واقع الفرد ومشكلاته على شكل حوار داخلي، وانطلاقاً من إيمانه بدور المرأة وفاعليتها، نجده قد وظفها في قصصه فعالم المرأة واسع جداً، وتحتاج إلى تجليات كبيرة، كي يستطيع الكاتب أن يكشفه أو يكشف بعضاً منه يقول نزيه أبو نضال: "إن الكاتب في ظل واقعنا الاجتماعي بعيد عن العالم الحقيقي ولو أعطى للمرأة، فهو معزول أو مفصول عنها سواء في مناخ الأسرة والمجتمع، أو في المدرسة والعمل، إن غياب العلاقات الطبيعية بين الرجل والمرأة في المجتمع، يؤدي بالضرورة إلى غياب وضعف المعرفة الحقيقية بالعالم الداخلي للمرأة ومكوناتها العقلية، فتحل الصورة الذهنية مكان الشخصية الحية".^(٢٦) وبعد قراءة المجموعات القصصية الخمس لخليل قنديل، واعتماد منهج التحليل فقد بلغت القصص التي تحدثت عن هذا الجانب -المرأة- ست قصص وهي: العانس/ امرأة النافذة/ امرأة الدرويش/ الروائع/ المعطف/ الأسرار الصغيرة.

في قصة (العا نس) التي تدور أحداثها حول امرأة تعاني من العنوسة والكبت الجنسي، لدرجة أنها أصبحت ترى في جارها الأرملة الذي جاء يحذرهما من المياه التي فاضت فوق سطح المنزل جرّاء ثقب في الخزان، كأنه جاء ليخطبها ويتزوجها، ولكن سرعان ما تبخر هذا الحلم والأمل، حين فتحت له الباب، فالبطولة في هذه القصة جاءت لتلك المرأة التي عكست صورة تصف المجتمع الذي يعاني من الحرمان والكبت الجنسي، أما شخصية الجار الأرملة الذي لم يبادلها أي شعور فينم عن شؤم دائم غير متفائل، فالقصة جرت على شكل مونولوج داخلي، وكأن الراوي يعلم كل ما يجول في خاطرك تلك المرأة حين قال: "سارعت بارتداء قميصها وبنطالها، لكنها حين همت بالخروج من الحمام سمعت جرس الباب، وهنا قفزت بتسارع باتجاه النافذة الملاصقة لباب البيت، أزاحت الستارة بأصابعها ورأته، كان جارها الأرملة يقف وهو يبعد بين ساقيه ويمد ذراعاً سمراء عارية مشعرة ذات عروق نافرة، أدركت أن شمساً صباحية جسوراً أتاحت لها رؤية اليد وشاهدت تلك السبابة السمينة، وهي تضغط على جرس الباب، وكان عليها الآن أن تستعيد حديث الجارات لها بالأمس بالغمز واللمز وإمكانية توفيق رأسين بالحلال"^(٢٧).

تكشف قصة العانس عن المعاناة الداخلية لفتاة بلغت سن اليأس، دون أن تحظى بزواج، وذلك عبر الانفعالات التي تجتاحها حين يرن جاراها الأمل الذي تظنه قادماً لخطبتها؛ ولكن سرعان ما تنتهي هذه الآمال وتتحطم "حين تكتشف أنه لم يأت ليطلب يدها للزواج وإنما جاء ليخبرها أن منزله امتلأ بالماء الذي فاض من الخزان الخاص بمنزلها".^(٢٨)

ومن قصة العانس إلى قصة (امرأة النافذة)، التي كان لها دور كبير في شخصية البطل، والتي جاءت (بضمير الأنثى) فالراوي يسرد لنا حادثة المرأة التي كانت تطل من النافذة في المساء التمثوزي، وكان يراقبها ويتابع حركاتها ذلك الشخص الشغوف بحب النساء، فدور المرأة في هذه القصة يتمثل بما تركته من شعور في نفس ذلك الشخص حين أطل من النافذة فأفاض ذلك في نفسه عنصر الذكورية، وأصبح يتذكر تلك الأيام الجميلة التي قضاه، علماً بأنه ممن تؤثر بهم إطلالة امرأة من النافذة، لأنه قد بلغ من العمر الكثير يقول: "المرأة التي مزقت وحدتها الليلة بالوقوف في منتصف النافذة، والتي أزاحت سحب شعرها الفاحم على حواف النافذة لم تكن تدري أنها تعجلتها البتة مع النافذة قد أيقظت ذاكرة النوافذ في الأربعين، وأنها بامتداد ذراعها البيض، استلت برغم شيب الفودين جبيناً كان يخلع جسده البني في المساءات الثقيلة المبكرة من اكتئاب الأم وضجة الأخوة".^(٢٩)

إن حضور المرأة في هذه القصة جاء ليؤكد مشاركتها للرجل في همومه النفسية والجنسية فالبطل شخصية مهمة، يلتقي مع الراوي في هذه القصة ليسرد لنا قصة على شكل حوار داخلي يعاني من الكبت والحرمان الجنسي فليست المرأة وحدها تعاني من هذه القضية، بل الرجل كذلك، وفي ذلك يقول الراوي: "تلك المرأة التي أطلت من النافذة، أنهضت في نساء غيب كثيرًا وذكرتي بعلاقات طبقية مع نساء الطائرات، وصالات الزائرين والزيارات العابرة".^(٣٠)

وفي قصة (امرأة الدرويش) التي تشير إلى شخص كان يتمتع بالكرامات، إلا أنه كان يحمل عقدة في نفسه وهي عقدة النساء وسوء المعاشرة، لدرجة أنه جعل من المرأة نذير شؤم وكانت سبباً في هلاكه، فالمرأة في هذه القصة كانت نذير شؤم والسبب المعاناة التي عاشها ذلك الشخص وعدم مجامعته النساء، فقد عكست هذه القصة صورة سيئة للمرأة إلا أن المعنى أعمق من ذلك بكثير، فالمرأة في هذه القصة تحمل معنى بعيداً وعميقاً جداً، فقد تحمل على الخصب والتقدم، لأنها كانت سبباً في غذاء الأشجار وتغذية التربة، كما أشارت القصة في نهايتها "المرأة بقيت وحدها تحت تراب قبرها، تغذي جذور شجرة وحيدة، غامضة بنموها

المتسارع وباستقامتها، وتقطر الندى المكتوبة على أوراقها المدببة التي توجي بمطر قادم يشبه الفيضان".^(٣١)

وظف الكاتب المرأة في هذه القصة في جانبين: الأول سلبي بدليل أنها كانت نذير شؤم فقد تزوجت من ثلاثة أشخاص وكلهم ماتوا، وعندما جاء الرجل الأخير فرّ هارباً ووجدَ هو الآخر ميتاً تنهش جثته الوحوش، والثاني: استعمال إيجابي، فقد كانت مصدر تفاؤل وسعادة، بدليل أنها تغذي جذور الشجر وإحياءها بمطر قادم يدر الخير على أهل القرية.

أما قصة (الروائح) التي صورت لنا المعاناة والفقر من خلال شخصيات استمدها الكاتب من الطبقة الفقيرة، وركز بشكل واضح على دور المرأة والممارسات العنيفة التي تعاني منها سواء من الزوج أم من المجتمع وخاصة الطبقة العالية، فالمرأة في هذه القصة شاركت الرجل في معاناته سواء من الناحية المادية أم من الناحية الجنسية، فالقصة تدور أحداثها في أسرة فقيرة مكونة من الزوج والمرأة وأولادها، الذين يسكنون في بيت من الأحياء الفقيرة، تخرج الزوجة كل يوم نتيجة ضغط الزوج عليها من أجل العمل وسد حاجات الأولاد، ولكنها في ليلة من الليالي تتأخر حين تركب مع سيارة فاخرة لونها أحمر، تعكس صورة تلك الطبقة العالية التي لا تأبه لشعور ولا حياة الآخرين (الطبقة الفقيرة)، ويسير بها إلى مكان بعيد ومعتم، في الوقت الذي كان عبد الموجود (زوجها) ينتظر عودتها جالس مع الأولاد في البيت، يكلمهم ويقول لهم: في صوت حزين: "لقد تأخرت أمكم يا أولاد، المجنونة ألا تعرف طبعي".^(٣٢)

فالقصة إذن تعكس صورة الظلم الممارس على المرأة، سواء من الزوج أم من المجتمع، وكانت النتيجة أن المرأة هي التي دفعت الثمن، وكان الثمن باهظاً وكبيراً، ومن الإشارات الدالة على العنف في هذه القصة قول الزوج لزوجته: "اذهي وليبتلعك الشيطان أنا ما عدت قادراً على أن أسد رمق نفسي، وهؤلاء: (يقول ذلك وهو يشير ناحية الأولاد الذين تيبسوا خوفاً في أماكنهم)، خذهم وليرزقهم الله خارج هذا البيت، أنا لا أريد أحداً منكم هنا".^(٤٣). ومن الإشارات الدالة على وجود الفروق الطبقيّة، والتي تترك في النفس الأثر قول الزوجة في نفسها: "كيف تدخل أحلام العز والمال نوم الفقراء، وقد أجابت ببساطة أليس لنا رؤوس مشابهة لرؤوس الأثرياء".^(٣٣)

وفي قصتي (المعطف والأسرار الصغيرة): يتجلى حضور المرأة بشكل واضح في قصص قنديل، والدور الذي أدّته في هذا النتاج الأدبي: ففي قصة (المعطف) تُرسم البطلة في القصة

مهمة غير واضحة المعالم، صوّرت لنا حادثة معها وهي صغيرة في جو بارد وماطر، حين التقت بذلك الصغير الذي يقارنها في العمر، فعرض عليها أن تأخذ المعطف وترتيده فقبلت ذلك شريطة أن يلتف به كلاهما وعندما التفا به شعرت ذلك الشعور الذي يوحى بسن البلوغ، عندها انتفض كلاهما من تحت المعطف فخرج وذهب في الأزقة مختفياً تاركاً المعطف عليها، فالقصة صوّرت شعور تلك الفتاة التي فقدت الحنان سواء من الوالد أم من الرجل، وما تركه اللحظات الجميلة من سن البلوغ، فالفتاة محرومة من عطف الوالدين، وهذه إشارات للأبعاد النفسية التي تتركها الأسرة في نفس ابنتها فتقول: "التصقت بالجدار، تلمست ثيابي المتهدلة على جسدي، فكرت لحظتها بالحاجة الملحة إلى أبوة نادرة حضن أبوي يحتوييني." (٣٤).

فالمعاناة والحرمان والفقر كل هذه الأمور عانت منها تلك الفتاة، وهي بهذا تشارك الرجل في همومه ومعاناته المادية والنفسية والجنسية.

أما قصة (الأسرار الصغيرة) التي توحى من خلال عنوانها إلى مضمون القصة، فتدور أحداثها عن قصة طفل أعجب بامرأة، وهي أم العبد التي رأى فيها ما يختلف عن الجارات الأخريات، حيث "كان شكلها يبدو غريباً بين الجارات، امرأة شقراء سمينة ودون إيشارب، وذراعاها عاريتان وتدخن، يذكر إيقاع صوتها المبحوح في نفسه وطار فرحاً وهو يفكر بالذهاب عندها يجلس بجانبها يسمع قصصها اللذيذة، وامتزاج كل ذلك بمداعبة أناملها لشعره المنفوش" (٣٥). كانت أم العبد تعاني من الوحدة في هذه القصة؛ لعدم زواجها وإنجاب أطفال يملؤون عليها تلك الوحدة فشخصية أم العبد عبرت عن صورة المرأة التي تعاني من العنوسة وشعورها بحنان الأم الذي وجدته مع ذلك الطفل الذي نام عندها ليلة، وعندما كشف سرّها خاف منها وركض هارباً خارج الزقاق وهو يحس برعب شديد.

لقد كان حضور المرأة في قصص قنديل واضحاً، إذ تعاني من مشكلات متعددة كما يعاني الرجل، ولكن يمكن حصر حضورها في قضيتين رئيسيتين هما: الفقر ومشاركة الرجل همومه المادية والنفسية والجنسية، وقضية الكبت والحرمان الجنسي والعاطفي، وقد استطاع قنديل من خلال ما قدّمه من قصص أن يبرز هذه القضية بشكل واضح، ويبين المشكلات التي عانت منها المرأة الأردنية وخاصة تلك المرأة المنتمية للطبقة الفقيرة، وهي بهذا تشارك الرجل من هذه الطبقة همومه ومعاناته المادية والنفسية والجنسية. لعلّ نظرية فرويد (s.frued) في النفس البشرية، والتي تعرف بنظرية التحليل النفسي هي أشهر نظريات علم النفس قاطبةً، ورأيه أنّ دوافع الشخصية يعود إلى "غريزتين هما: غريزة الحب، وغريزة العدوان، فكل سلوك البشر إما

أن يرجع إلى دوافع العدوان، أو إلى دوافع الحب، أو إلى مزيج منهما. ولقد توسعت نظريته في مفهوم العدوان ليشمل أي نزعة تهدف إلى التدمير، أو الإضرار بالذات أو بالآخر أو بالأشياء، مهما كان لون الضرر أو درجة العدوان^(٣٦).

الخاتمة:

لقد استطاع خليل قنديل أن يصور هموم ومعاناة شريحة كبيرة من المجتمع لقضايا اجتماعية متعددة، وقد مازج في البطولة بين الرجل والمرأة، وقد جاءت مضامين قصصه موفقة مع اختياره للشخصيات والأماكن، فعلى مستوى الشخصية كان رسمه دقيقاً بتناوله جميع أطرافها المادية والمعنوية فقد غاص في أعماقها ووصل لخفاياها وما تحمله من أفكار، وأما الأماكن فقد رسمها بطريقة موحية ودالة على تلك الشريحة المجتمعية التي عانت الكثير من المشكلات المادية والنفسية، أما مضامين قصصه فقد كانت واضحة في نتاجه، والتي عكست وبشكل واضح ما يدور من هواجس وأفكار ومعتقدات في نفس الكاتب، فهو ابن طبقة فقيرة، وابن الطبقة أكثر ما يشغل هاجسه الفكري مثل هذه القضايا، لأنه يجد في الكتابة متنفساً يتحدث من خلاله، ويعكس عما يجول في نفسه، وبدا ذلك واضحاً عند خليل قنديل وغيره من الكتاب العرب والأردنيين، فعلى مستوى المضامين فقد تركزت على الجوانب الاجتماعية وحاولت أن تبين تلك التشوهات الطبقية في معالجتها لموضوعات الفقر، والإعاقة، والطبقية والشعور بالغرابة، والجوع، والحرمان، البطالة، والمرأة ومشاركتها الرجل همومه ومعاناته، ولعل القاسم المشترك بين هذه الموضوعات هو اندراجها تحت الموضوع الاجتماعي، فقد تداخلت تلك الموضوعات في القصة الواحدة، فالدارس يتمعن يجد أن لكل قصة رؤية لا تنفصل عن الرؤية الكلية لمضمون القصص، فهي رافدة إليها وداعمة لها.

الهوامش:

١. عليان وآخرون، حسن ، القصة القصيرة في الأردن، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٤، ص ٥٥-٥٦.
٢. المرجع نفسه، ص ١٢٨.
٣. انظر المجالي، محمد أحمد، دراسات في الأدب الأردني المعاصر، ص ١٩-٢٥ وانظر خليل، إبراهيم فصول في الأدب الأردني ونقده، ص ١٠-١٣
٤. عاصي، جاسم، نظرة شاملة في المشهد القصصي في الأردن، مجلة أفكار، العدد ١٤٤، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٠م، ص ١٢٤.
٥. حداد وآخرون، نبيل، محمود سيف الدين الإيراني (سيرته وأدبه)، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٠م، ص ١١.
٦. الأسد، ناصر الدين، الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، معهد الدراسات العربية بالقاهرة، ١٩٥٧م، ص ٩٣.
٧. انظر المجالي، محمد أحمد، دراسات في الأدب الأردني المعاصر، ص ١٩-٢٥ وانظر خليل، إبراهيم فصول في الأدب الأردني ونقده، ص ١٠-١٣.
٨. المومني، علي، الحداثة والتجريب في القصة القصيرة الأردنية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩م، ص ٤٥.
٩. الحديدي، عبد اللطيف محمد، الفن القصصي في ضوء النقد الأدبي النظرية والتطبيق، دار المعرفة للطباعة، القاهرة، عام ١٩٩٦، ص ٢٦٠.
١٠. قنديل، قصة عين تموز، عين تموز (مجموعة قصصية)، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٢م، ص ٨٣.
١١. المصدر نفسه، ص ٨٣.
١٢. قنديل، قصة الزهانة، الصمت (مجموعة قصصية)، اتحاد كتاب الإمارات، أبو ظبي، ١٩٩٠م، ص ١٠٤.
١٣. المصدر نفسه، ص ٢١٨.
١٤. قنديل، قصة حمامة بيضاء، حالات النهار (مجموعة قصصية)، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٩٥، ص ٢١٩-٢٢٠.
١٥. المصدر نفسه، ص ٢١٩.
١٦. يوسف، أسامة فوزي، آراء نقدية، عمان، ١٩٧٥ ص ١٣١
١٧. قنديل، قصة ميمي، حالات النهار (مجموعة قصصية) ص ٢٨٧.
١٨. قنديل، قصة الجوع، وشم الحذاء الثقيل (مجموعة قصصية) رابطة الكتاب الأردنيين، عمان ١٩٨٠ ص ٣٥٢-٣٥٣.
١٩. قنديل، قصة وشم الحذاء الثقيل، وشم الحذاء الثقيل (مجموعة قصصية) ص ٣٧٣.
٢٠. قنديل، قصة المرأة والرجل الأخير، حالات النهار (مجموعة قصصية) ص ٢٩٦.
٢١. فضل، صلاح، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، مجلد ٣، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٩٥.

٢٢. نقلاً عن أبولين، زياد، في قضايا النقد والأدب، دارورد للنشر، عمان، ط١، ٢٠٠١، ص١٢٦.
٢٣. نقلاً عن أبولين، زياد، في قضايا النقد والأدب، مرجع سابق، ص١٢٦.
٢٤. خصاونة، علي، التطور الفني في قصص هاشم غرابية، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ٢٠٠٤، ص ٦٣.
٢٥. المومني، علي، فن القصة القصيرة عند رجاء أبوغزالة، دار الينابيع للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١م، ص٢١٨.
٢٦. قنديل، قصة العانس، عين تموز (مجموعة قصصية) ص ٣١-٣٢.
٢٧. صالح، هيا، الخروج إلى الذات، مرجع سابق، ص١٣٢.
٢٨. قنديل، قصة امرأة النافذة، عين تموز (مجموعة قصصية) ص ٥٧.
٢٩. قنديل، قصة امرأة النافذة، عين تموز (مجموعة قصصية) ص ٥٨-٥٩.
٣٠. قنديل، قصة امرأة الدرويش، عين تموز (مجموعة قصصية) ص ٧٨.
٣١. قنديل، قصة الروائح، الصمت (مجموعة قصصية) ص ٢١٠.
٣٢. المصدر نفسه، ٢١٢.
٣٣. المصدر نفسه، ص ٢١٢.
٣٤. قنديل، قصة الاسرار الصغيرة، وشم الحذاء الثقيل (مجموعة قصصية) ص ٣٩٥.
٣٥. المصدر نفسه، ص ٣٩٥.
٣٦. نقلاً عن طه، فرج عبدالقادر، أصول علم النفس الحديث، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤، ص ٢٠٧.

المصادر والمراجع:

المجموعات القصصية للكاتب خليل قنديل وهي:

١. وشم الحذاء الثقيل (مجموعة قصصية) رابطة الكتاب الأردنيين، عمان ١٩٨٠.
٢. الصمت (مجموعة قصصية)، اتحاد كتاب الإمارات، أبو ظبي، ١٩٩٠.
٣. حالات النهار (مجموعة قصصية)، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٩٥.
٤. عين تموز (مجموعة قصصية)، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٢.
٥. الأعمال القصصية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، ٢٠٠٦.
٦. سيّدة الأعشاب (مجموعة قصصية)، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٨.
٧. أبولين، زياد، في قضايا النقد والأدب، دارورد للنشر، عمان، ط١، ٢٠٠١.
٨. الأسد، ناصر الدين، الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٥٧م.
٩. حداد، نبيل وآخرون، محمود سيف الدين الإيراني: سيرته وأدبه، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٠م.
١٠. الحديدي، عبداللطيف، الفن القصصي في ضوء النقد الأدبي النظرية والتطبيق، [دار المعرفة للطباعة](#)، القاهرة، ط١، ١٩٩٦.

١١. خصاونة، علي، التطور الفني في قصص هاشم غرابية، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، ٢٠٠٤.
١٢. خليل، إبراهيم، فصول في الأدب الأردني ونقده، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩١.
١٣. صالح، هيا، الخروج إلى الذات (مقالات في القصة الأردنية المعاصرة)، دار نارة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٦.
١٤. طه، فرج عبد القادر، أصول علم النفس الحديث، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤.
١٥. طه، فرج، أصول علم النفس الحديث، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤.
١٦. عاصي، جاسم، نظرة شاملة في المشهد القصصي في الأردن، مجلة أفكار، العدد ١٤٤، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٠م.
١٧. عليان وآخرون، حسن، القصة القصيرة في الأردن، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٤.
١٨. فضل، صلاح، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، مجلد ٣، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٦.
١٩. المجالي، محمد أحمد، دراسات في الأدب الأردني المعاصر، دار يافا العلمية، عمان، ٢٠٠٨.
٢٠. المومني، علي، الحداثة والتجريب في القصة القصيرة الأردنية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩م.
٢١. المومني، علي، فن القصة القصيرة عند رجاء أبو غزالة، دار الينابيع للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١م.
٢٢. يوسف، أسامة فوزي، آراء نقدية، المطبعة الاقتصادية، عمان، ط١، ١٩٧٥.

الألفاظ الرُّباعيّة بين أصالة البنية وتداعيات التّطوُّر

"دراسة صرفيّة دلاليّة"

د. عثمان سالم بخيت قواقزة*

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢٠ / ١١ / ١ م تاريخ قبول البحث: ٢٠٢١ / ٣ / ٣ م

المُلخَص

يسعى البحث للوقوف على الألفاظ الرُّباعيّة وبيان أصولها وما طرأ عليها من تغييرات بفعل الظواهر اللُّغويّة المختلفة. وتبعاً لذلك جاء البحث في مقدّمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، إذ عرض في المبحث الأوّل للفعل الرُّباعيّ الذي له ثلاثي يتفق معه لفظاً ودلالة؛ فعالج فيه الألفاظ الرُّباعيّة التي زيد حرف في أوّلها أو جوفها أو آخرها. وأصل في المبحث الثاني للألفاظ الرُّباعيّة التي طرأ عليها تغييرات بفعل الظواهر الصرفيّة المختلفة، فطرق الألفاظ الرُّباعيّة المنحوتة، والدخيلة والمعرّبة، والتي وقع فيها التّصحيف والتّحريف. وحلّل في المبحث الثالث التغييرات الصوتيّة التي طرأت على اللفظ الرُّباعيّ، فدرس فيه الألفاظ الرُّباعيّة التي طرأ عليها إبدال، والألفاظ التي طرأ عليها قلب مكانيّ. وعرض في المبحث الرابع للألفاظ الرُّباعيّة الأصيلة بالوضع التي لم يطرأ عليها تغييرات وتمثّلت في الأعلام المرتجلة. واقتضت طبيعة البحث الجمع بين المنهج الاستقرائي والوصفي والتحليلي؛ لتتبع الألفاظ الرُّباعيّة واستقرائها وتحليلها.

الكلمات المفتاحية: الألفاظ، أصالة، التغيير، الرُّباعيّ.

* محاضر غير متفرغ، الجامعة الأردنيّة.

Quaternary Words between the Originality of the Composition and the Reflections of Change "A Semantic Morphological Study"

The research seeks to find out the quadrilaterals and their origins and the changes that have occurred to them due to the different linguistic phenomena. Accordingly, the research came in an introduction.

four sections and a conclusion, as it was presented in the first section of the quadruple verb that has a trio that agrees with a word and connotation. So it was dealt with the four-part vocabulary in which a letter was added at the beginning or end of it. In the second topic, I originate in the quadrilateral expressions that have undergone changes due to the various morphological phenomena, as the methods of the carved, extraneous and Arabized expressions of the quadruple, in which the correction and distortion occurred. In the third section, I analyzed the phonological changes that occurred to the fourth-word pronunciation, and studied the quadruple expressions that were transposed by substitution, and the expressions that occurred to them in the heart of Makani. In the fourth section, I presented the authentic quadruple expressions of the situation that had not undergone changes and were represented by the improvised flags. The nature of the research necessitated the combination of an inductive, descriptive and analytical approach. To track, extrapolate and analyze the quadrilaterals.

Key words: Expressions - originality - change, quadrant.

مقدمة:

انمازت اللغة العربية بسعتها ومرونتها؛ فجاءت أصول كلماتها ثروة غنيّة، وفاقته غيرها من اللغات من ناحية الجذور اللغوية التي اشتقت منها ملايين الألفاظ، واتسعت معانيها حتى غدت كالبحر الذي يحوي في طياته الجديد والبديع والطريف.

وانبرى علماء اللغة يؤلفون في علوم اللغة المختلفة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، وكان من أبرز مؤلفاتهم المعاجم اللغوية التي تعدّ بحق إرثاً تاريخياً ثميناً ساهم في خدمة اللغة العربية وأهلها؛ لأنها كانت تعالج إلى جانب المعاني المعجمية وتطوراتها الدلالية العديد من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية، وهذه العلوم تضافت فيما بينها، ونهل بعضها من بعض ضمن رحيّ لغوية تدور حول المعنى وتسعى لخدمته. وهنا يأتي البحث ليربط بين علمين مهمين من علوم اللغة هما العلوم المعجمية والصرفية؛ ليكشف اللثام عن ظاهرة مهمة تتعلق بالألفاظ الرباعية؛ إذ تبين بعد القراءة الفاحصة للألفاظ الرباعية أنّ ثمة قضايا هامة تخصّها وسيسعى البحث إلى الكشف عنها.

وإن نظرة عجلية في الألفاظ الرباعية في معاجم اللغة العربية المختلفة لتقف بالقارئ على مدى الاضطراب في إثبات أصول كثير من الألفاظ الرباعية، وتعيين عدد أحرفها وتمييز الأصل من المزيد؛ ذلك أنّك تجد اللفظة تتكرر مرتين في المعجم نفسه، مرة تحت باب الثلاثي، ومرة تحت باب الرباعي، علاوة على ذلك نجد أنّ الكلمة الواحدة التي تعرضت لتغير لغويّ كالإبدال والقلب المكانيّ قد ترد في أكثر من موضع من المعجم، وهذا التكرار في ورود الألفاظ في أكثر من موضع أدى إلى تضخيم حجم المعاجم دون جدوى.

وسيعالج البحث الألفاظ الرباعية الأصيلة التي جاءت كذلك في أصل الوضع، وتمايز بينها وبين الألفاظ الرباعية غير الأصيلة، وذلك ببيان التغير اللغويّ الذي طرأ عليها، وكشف الأصل الثلاثي الذي أخذ منه اللفظ الرباعي، ووضع كلّ لفظ في مكانه المناسب وفق الجذر اللغويّ الذي اشتقّ منه، وهذا التغير اللغويّ قد يكون صوتياً أو صرفياً، بفعل بعض الظواهر الصرفية واللغوية مثل: القلب المكاني، والإبدال وغيرهما.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من كونه يتناول ظاهرة لغوية هي محلّ خلاف في الدراسات اللغوية لاسيّما الصرفية والمعجمية منها، ألا وهي الألفاظ الرباعية ومدى أصالتها، فثمة اضطراب واضح في تحديد أصل الرباعي، أهو ثنائي الأصل أم ثلاثيّه أم رباعيّه، فكان البحث ليخرج بتصوّر عام حول أصل الفعل الرباعي بعد البحث في تداعيات هذه الظاهرة ومجرباتها.

أهداف البحث:

- ١: الوقوف على أسباب الاختلاف في تأصيل الألفاظ الرباعية وبيان جذورها.
- ٢: بيان الظواهر اللغوية التي تؤثر في تكوين الألفاظ الرباعية كالنحت والتصحيف والتحريف والقلب والإبدال.
- ٣: التمييز بين الألفاظ الرباعية الأصلية بالوضع، والألفاظ الرباعية المزيدة بحرف أو حشواً أو طرفاً، وتحت أي باب يجب أن تدرس.
- ٤: بيان مدى تأثير الظواهر الصرفية على دلالة اللفظ الرباعي وشكله وبنيته.
- ٥: دراسة أثر الإبدال، والقلب المكاني، والتصحيف وغيرها في زيادة مواد الرباعي في المعجم.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: هل الألفاظ الرباعية أصلية بالوضع؟ ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

- ١: ما أسباب الاختلاف في تأصيل الألفاظ الرباعية؟
- ٢: ما أبرز الظواهر الصرفية التي أثرت في تشكيل بنية اللفظ الرباعي؟
- ٣: كيف نميز بين اللفظ الرباعي الأصلي بالوضع، واللفظ الثلاثي المزيد بحرف؟ وما الباب الذي يجب أن تدرس تحته؟
- ٤: هل الظواهر الصرفية تؤثر في بنية الفعل الرباعي على البنية والشكل فقط، أم على الدلالة والمعنى فقط، أم على كليهما؟
- ٥: ما أثر الإبدال، والقلب المكاني، والتصحيف في زيادة مواد الرباعي في المعجم؟

الدراسات السابقة:

● الألفاظ الرباعية التي تبدأ بالهاء في اللغة العربية دراسة في اشتقاقها وصرفها، عباس بافقيه، رسالة ماجستير، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٧٣م. حيث تتبع الباحث فيها الألفاظ الرباعية المبدوءة بحرف الهاء والألفاظ الرباعية المبدوءة بحرف العين ويفصلها عن الهاء حرف أو حرفان، وقسمها إلى ألفاظ مزيدة بالهاء فقط، وأخرى مزيدة بالهاء أو حرف آخر، وأخرى الهاء فيها أصلية، وأخرى وضعها أصحاب المعاجم في

الثلاثي، وأخرى مشروطة بالزيادة إذا اقترنت وجودها ببدء اللفظ بالعين. معللاً زيادة الهاء في بعض هذه الألفاظ أنها جاءت على وزن هفعل على اعتبار أن الهاء أداة تعريف في بعض الصفات والأسماء في بعض اللغات السامية.

● الفعل الرباعي في لسان العرب دراسة تأصيلية (١٩٨٨م)، عمريوسف حسن -رسالة ماجستير- قسم اللغة العربية، في كلية الآداب، الجامعة الأردنية، عمان - الأردن. يتمحور موضوع هذه الرسالة في دراسة الأفعال الرباعية دون الأسماء دراسة معجمية دلالية في معجم لسان العرب. وقد عني الباحث فيها بالجانب الصوتي والدلالي للأفعال وقصر دراسته على الأفعال التي جاءت في معجم لسان العرب.

● الفعل الرباعي في معجم الصحاح للجوهري، محمود جابر محمود الزواهرة، رسالة ماجستير، الجامعة الهاشمية، الزرقاء - الأردن، ٢٠١٠م. حيث تناولت الدراسة الفعل الرباعي في معجم الصحاح للجوهري من حيث البنية والدلالة وتحدثت عن الأصول اللغوية بشكل عام وآراء العلماء فيها، وبينت طرق نشوء الفعل الرباعي ذات الأصل الثلاثي بزيادة حرف في الصدر والحشو والكسح بتكرار حرفين أو بإقحام همزة في وزن "افعال"، أو عن طريق بعض الظواهر اللغوية الأخرى كالقلب والنحت.

● الأفعال الرباعية نشوؤها واستعمالها، ظافريوسف، بحث محكم منشور في مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق- سوريا، العدد ٤، المجلد ٨٥، ٣١ كانون الأول ٢٠١٠م. عرض فيه الباحث لأبنية الأفعال الرباعية والأبنية الفعلية الملحق بها، وطرق فيه آراء الباحثين في أصل نشأة الألفاظ الرباعية وعرض لدلالاتها ومجالات استعمالها في التعبير القديم والحديث.

● منهج ابن فارس في تأصيل ما زاد على ثلاثة أحرف، دراسة نقدية في معجم مقاييس اللغة، سامر زهير بحرة، ٢٠١٣م، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة جرش، الأردن، العدد الرابع عشر. يطرق هذا البحث منهج ابن فارس في تأصيله للكلمات الرباعية والخماسية، إذ عالج فيه ما زاد عن ثلاثة حروف في معجم مقاييس اللغة، واعتمد في تحليله هذا على العوامل الصوتية كالمخالفة الصوتية والإبدال والقلب المكاني.

● رد الرباعي المبذوء بالعين إلى أصله الثلاثي دراسة تأصيلية، إسماعيل عمارة، وصلاح سعيد، ٢٠١٥م، بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية، جامعة البحرين - البحرين، وفيه أصل الباحثان للألفاظ الرباعية المبذوء بحرف العين محاولة منهما إلى بيان الأصل من الزائد في الألفاظ الرباعية المبذوء بحرف العين

دون غيرها من حروف اللغة الأخرى. وبذلك يكونان قد قصرا دراستهما على الألفاظ المزينة بالحرف الأول بحرف العين دون تحديد معجم معين من معاجم اللغة.

● اختلاف اللغويين المتأخرين في أصل الجندر الرباعي، عبد الله بن علي القيسي، بحث محكم منشور في المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات، العدد الثاني والعشرون، شهر ٣، ٢٠٢٠ م. وتناول فيه الباحث الجذور الرباعية متقصياً طريقة نشأتها عند اللغويين المتأخرين، مستطلعاً آراءهم فيه بهدف مناقشتها وتحليلها وبيان الراجح منها، ويبيّن أنّ أكثر الآراء تعود أصولها إلى الكوفيين.

والمأمل في عناوين الدراسات السابقة يجد أنها اختصّت بالألفاظ الرباعية، ووقفت على أبرز خصائصها، فبحثت في أصولها، والزيادات التي طرأت عليه، وآلية تشكّلها، إلا أنّ بعضها حصر حدود دراسته في معجم دون آخر، فعمريوسف حصّره دراسته في معجم لسان العرب، والزواهرة حصّره في معجم الصحاح، وزهير بحرة حصّره في معجم مقاييس اللغة. وبعضها الآخر خصّص دراسته لطرق جزئية معينة في الفعل الرباعي كزيادة العين في أوله، وبعضها اقتصر على الحديث عن آراء اللغويين المحدثين - دون القدماء - في أصله ونشأته. وبعضها درس الألفاظ الرباعية دراسة صوتية دلالية. وبحقّ أن هذه الدراسات في جملها دراسات قيمة وذات فائدة فيما يخصّ الألفاظ الرباعية، وقد أفادت هذه الدراسة منها، إلا أنّ ما يميز هذه الدراسة عن سابقتها أنها لم تحصر موضوع دراستها "الألفاظ الرباعية" في معجم معين، كما أنها تناولت الظواهر اللغوية التي أثّرت في تكوين اللفظ الرباعي ونشأته على نحو شمولي ولم تقتصر على ظاهرة معينة، إذ طرقت ظاهرة الزيادة أولاً وحشواً وآخرها وظاهرة النحت وظاهرتي التصحيف والتحريف وظاهرتي المعرب والدخيل، وظاهرتي القلب والإبدال، وقامت ببيان أصالة اللفظ الرباعي من عدمها عبر دراسته تحت منظور هذه الظواهر اللغوية التي أدت دوراً كبيراً في تكوينه وتشكيله.

منهج البحث:

وظّف البحث غير واحد من المناهج اللغوية بغية خدمة الدراسة والخروج بنتائج علمية دقيقة، إذ وظّف المنهج الوصفي لاستقراء الألفاظ الرباعية من معاجم اللغة استقراء ناقصاً، ووظّف المنهج التحليلي من أجل تحليل الألفاظ الرباعية وفقاً للظواهر الصرفية التي عولجت تحتها، علاوة على ذلك وظّف المنهج الاستنباطي الذي أطلّت من خلاله على بعض الأحكام النحوية الثابتة وخرجت ببعض النتائج العلمية الجديدة التي ستغدو - إن شاء الله - تتمّة للدراسات اللغوية السابقة.

التمهيد:

موقف العلماء من أصول الكلمات:

أفادت المعاجم اللغوية بعضها من بعض لا سيما في جمع المادة اللغوية ورصد التطور الدلالي الذي طرأ على الألفاظ، ويعد معجم العين من أقدم المعاجم اللغوية التي مثلت حجر الأساس للدراسة المعجمية العربية، وجرت عادة المعجميين في معالجتهم للكلمات بيراد المادة في المعجم، وشرحها، ثم الاستدراك على سابقهم، ثم إضافة ما نقص من معلومات وشروحات من كتب اللغة والفنون، ناسبا التغيير اللغوي إلى قائله.

وقد أصّل هؤلاء العلماء للألفاظ على اختلاف أنماطها وأنواعها. فالأصل كما ورد في تهذيب اللغة هو ما بينى عليه غيره^(١). وفي الاصطلاح ما يثبت حكمه بنفسه ويبنى على غيره^(٢). وشغلت قضية أصول الكلمات اهتمام اللغويين القدماء والمحدثين، وتباينت آراؤهم حول ذلك في اتجاهات ثلاث:

الاتجاه الأول: يرى أصحابه أنّ الأصول ثلاثية ورباعية وخماسية، قال به البصريون، إذ ذهبوا إلى "أنّ بنات الأربعة والخمسة ضربان غير بنات الثلاثة، وأنهما من نحو جعفر وسفرجل، لا زائدة فهما ألبتة"^(٣)، ونصّ سيبويه على ذلك في كتابه قائلا: "فأما جعفر فمن بنات الأربعة لا زيادة فيه؛ لأنّه ليس شيء من أمهات الزوائد فيه، ولا حروف الزوائد التي تجعلها زوائد بثبت، وإنما بنات الأربعة صنف لا زيادة فيه كما أنّ بنات الثلاثة صنف لا زيادة فيه، وأما سفرجل فمن بنات الخمسة وهو صنف من الكلام وهو الثالث وقصته كقصه جعفر، فالكلام لا زيادة فيه ولا حذف على هذه الأصناف الثلاثة"^(٤)، وقال بذلك ابن جني في المنصف "اعلم أنّ الأسماء التي لا زيادة فيها تكون على ثلاثة أصول: أصل ثلاثي، وأصل رباعي، وأصل خماسي، والأفعال التي لا زيادة فيها تكون على أصلين: أصل ثلاثي، وأصل رباعي"^(٥). ويؤكد ظافريوسف هذا الرأي بقوله: "الأفعال الرباعية نوع قائم بذاته، ولها استعمالاتها الخاصة، ووظائفها الدلالية، ومعانيها المعجمية، وحضورها المستقل في اللغة"^(٦).

الاتجاه الثاني: يرى أصحابه أنّ الأصول ثلاثية فقط، قال به الكوفيون، إذ يرون أنّ كل اسم زادت حروفه على ثلاثة أحرف فيه زيادة، وهو مردود إلى الثلاثي، فإن كان على أربعة أحرف نحو جعفر ففيه زيادة حرف واحد، واختلفوا فذهب أبو الحسن عليّ بن حمزة الكسائي إلى أنّ الزائد فيما كان على أربعة أحرف هو الحرف الذي قبل آخره، وذهب أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء إلى أنّ الزائد فيما كان على أربعة أحرف هو الحرف الأخير، وإن كان على خمسة أحرف نحو "سَفَرَجَل" - ففيه زيادة حرفين^(٧).

-الأصل الثلاثي هو أعدل الأصول اللغوية استخدامًا، وأكثرها حضورًا؛ ذلك أنه يتكوّن من حرف يبتدأ به وهذا يتناسب مع خصائص العربية وبنيتها المقطعية التي تقتضي الابتداء بحرف، وحرف يوقف عليه، وحرف يتوسطها يتمّ به الانتقال من الحرف الأوّل إلى الأخير.

وهنا يأتي البحث ليحدّد حقيقة الألفاظ الرباعية هل جميعها أصيلة بالوضع، أم أنّها تشكّلت إثر تغييرات لغوية صوتية وصرفية ومعجمية، وهذا ما ستعالجه في المباحث اللاحقة.

المبحث الأوّل

الألفاظ الرباعية التي تشترك مع الأصول الثلاثية:

إنّ المتنبّع للألفاظ الرباعية في معاجم اللغة بقطع النظر عن جنسها اسمًا كانت أو فعلًا يجد أنّ كثيرًا منها قد زيد فيها بعض الحروف إذا ما قورنت بأصولها؛ لأنّ الناظر فيها سيجد اتفاقًا بين ثلاثتها ورباعيتها من ناحية اللفظ بتكرر نفس الحروف والأصوات، ومن ناحية المعنى والدلالة تشتركان في المعنى نفسه وتشيران إلى الدلالة نفسها.

ومن الثابت عند اللغويين أنّ الزيادة في ألفاظ اللغة العربية حاصلة لا محالة، وهذه الزيادة على نوعين زيادة في المبنى من أجل زيادة المعنى، وهي مختصة بأحرف الزيادة المحصورة في (سألتمونها) ويمكن أن نطلق عليها اسم الزيادة الحقيقية. وأمّا النوع الثاني فهو ما زيد في أصوله أحد الأحرف الأصلية التي امتزجت بالكلمة حتى أصبحت كأحد الحروف الأصول التي لا يمكن الاستغناء عنها، وأدت دورًا في تشكيل المعنى. وما يهمنا في البحث هو النوع الثاني من الزيادة؛ لأنّ النوع الأوّل مجمع عليه عند أهل اللغة وثابت، أمّا النوع الثاني فهو محل خلاف، وسيظهر بعد تقديم مجموعة من النماذج أنّ الزيادة تكون أوّلًا أو حشوًا أو آخرًا (طريقًا).

فلو أخذنا كلمة (الرّتب) نجد أنّها عولجت تحت مادة ترتّب الرباعية، وتعني الأمر الثّابت والشيء الثّابت^(١٢). وأمر ترتّب على تفعّل بضمّ التاء وفتح العين أي ثابت. قال الصّرفيّون: تاء ترتّب الأولى رائدة، لأنّه ليس في الأصول مثل جعفر، والاشتقاق يشهد به، لأنّه من الشيء الرّاتب^(١٣). وتبعًا لذلك فإنّ أصل هذه الكلمة هو من الثلاثي: رتب، ومنه: رتب الشيء؛ بمعنى ثبت ودّام^(١٤)، فقد اشتركت معها في الحروف نفسها، وأفادت المعنى نفسه فكلا الكلمتين تدلان على معنى الثبات والدوام. قال ابن عصفور: وعلى تفعّل ويكون فهما، فالاسم نحو: تُدرُّ وترتب، والصفة نحو تحلبه وترتب، قال بعضهم: أمر ترتّب فجعله وصفًا^(١٥)، وقال: ترتّب "تفعّل": من الشيء الراتب^(١٦)، وفي ذلك يقول ابن القطاع "وعلى (تفعّل) نحو تتفل، وفلان ذوتدرا، أي دفع، وأمر ترتب أي دائم"^(١٧)، وبذلك تكون تاء ترتّب زائدة للإلحاق بتفعّل وليست أصلية.

والناظر في آراء علماء اللغة السابقين يجد أنّ دلالة ترتب هي الأمر الثابت، ونظراً لقلّة استخدام هذه المادة بهذه الصياغة وبهذه الدلالة، يُظنّ أنّ حرف التاء فيها أصيلٌ قياساً على جعفر، ولكن بعد تتبع آراء العلماء في المسألة تبين أنّ التاء زائدة في بناء الرباعيّ بقصد الإلحاق ببناء تُفعل، وتكون هذه المادة بذلك تابعة للأصل الثلاثيّ رتب.

ويلاحظ من التحليل السابق أنّ لفظة (الترتب) كانت تعامل معاملة الرباعيّ، ولكن بعد تحليلها والنظر في معناها وتقليب أصولها وُجد أنّها تشترك مع أصل ثلاثيّ في الحروف نفسها وفي المعنى ذاته، وهذا ما كان ينادي به ابن جني عندما كان يقول إنّ بعض الألفاظ نستطيع أنّ نردّها بلطف المعنى إلى أصل واحد. وهنا نتحصّل الفائدة في أنّها تمثّل ضرباً من الاقتصاد اللغويّ، ناهيك عن أنّها تبعدها عن التكرار الذي من شأنه أن يضخم مادة المعاجم دونما فائدة.

وهنا بدت الزيادة واضحة إذ وقعت في أوّل الكلمة، وكانت الزيادة في حرف التاء، وهي من أحرف الزيادة المجموعة في سألتمونها، وهنا يأتي السؤال هل الزيادة مقصورة على حروف سألتمونها؟ أم أنّها تأتي في غيرها من حروف اللغة؟

إنّ الناظر في كلمة الطَّرْعَبُ يجد أنّ الزيادة فيها وقعت في حرف الطاء، وهو ليس من حروف الزيادة، فقد جاء في جمهرة اللغة أنّ الطَّرْعَبُ: هو الطَّوِيلُ القَبِيحُ في الطُّول^(١٨)، ودرسها المعجميون تحت مادة طرعب، مع أنّ أصلها من الثلاثيّ رَعَب، فالمرأة الرُّعْبُوبَةُ: هي الطَّوِيلَةُ^(١٩)، وبناء على ذلك فإنّ الطاء هنا زائدة في بناء الرباعيّ وليست أصيلة. ويدعم ذلك أنّ اشتراك الأصلين بالحروف نفسها والمعنى ذاته، مع أنّ الطاء ليست من حروف الزيادة.

وهذا الأمر يوصلنا إلى أنّ حروف العربيّة الأخرى قد تأتي زيادة، لكنها قد لا تؤدي معنى كما هو الحال في حروف سألتمونها، بل إنّها تزداد في الأصل حتى تصبح كالجزء منه لكنها ليست بأصل؛ فهي شبيهة بالزيادة لكنها ليست أصلاً، كشبه الجملة ليست بكلمة مفردة وليست بجملة تامّة، وهذه الحروف المازدة ليست بحروف زيادة تفيد معنى واضحاً وليست بحروف أصول تشكّل بنية الكلمة، فهي أشباه زوائد.

فالكلمات - الكَهْدَبُ^(٢٠)، النُّخْرُوبُ^(٢١)، هِرْجَبُ^(٢٢)، الِيرْزَا^(٢٣)، وَبَحَلَقُ^(٢٤)، وَالحَفَلَقُ^(٢٥)، وغيرها من الكلمات التي عاملها المعجميون على أنّها ألفاظ رباعية ودرسوها تحت المواد الآتية على الترتيب: كهذب، ونخرب، وهرجب، ويرنأ، وبحلق، وحفلق - بعد تدقيق النظر فيها وإعادة التأمل والبحث في جنورها الثلاثية وربطها بمعناها سنجد أنّ أصولها ثلاثية وهي على الترتيب: (هذب، وخرّب، ورجب، ورنأ، وحلق، وفلق) فهي تشترك معها في المعنى والحروف، وبذلك تكون الحروف: (ك، ن، ه، ي، ب، ح) زائدة على الترتيب، وقس عليها بقيّة

حروف اللغة العربية، ومعنى هذا الكلام أنّ حروف العربية جميعها قد تأتي زائدة، وقس على هذه الكلمات العديد من الألفاظ الرباعية التي قد تكون بعض حروفها زائدة إن وجد لها أصل ثلاثي يتفق معها في المعنى، وتبعاً لذلك فإنه بات من الضروري إعادة النظر في الأصول الرباعية وإعادة تأصيلها وترتيبها في معاجم اللغة العربية لا سيما الموسوعية منها.

ويلاحظ من الأمثلة السابقة أنّ الزيادة في الألفاظ الرباعية جاءت أولاً، ولا تقتصر الزيادة على الأول فحسب، بل إنها قد تأتي حشواً وآخرًا والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر بعض الأمثلة ومنها: لفظة الكَرْتَةُ مادتها (كرثا). جاء في لسان العرب وفي التكملة وفي الجوهرة أنّ الكَرْتَةُ: رُعْوَةُ الْمُحْضِ إِذَا جُلِبَ عَلَيْهِ لَبَنٌ شَاةٍ فَارْتَفَعَ^(٢٦)، وأصلها من الثلاثي: كَثَأَ، وَكَثَأَ اللَّبَنُ يَكْثَأُ كَثْأًا إِذَا ارْتَفَعَ فَوْقَ الْمَاءِ وَصَفَا الْمَاءُ مِنْ تَحْتِهِ^(٢٧)، وهنا اشتركت (كرثا) مع (كثأ) في الحروف والمعنى، وبناء على ذلك فإنّ الراء في كلمة الكَرْتَةُ زائدة، والأصل أن تدرس تحت مادة كَثَأَ.

ولفظة شَعَصَبَ مادتها (شعصب)، جاء في الجوهرة ولسان العرب، أنّ شَعَصَبَ بِمَعْنَى كَبُرَ وَشَاخَ الرَّجُلُ وَيَبَسَتْ أَعْضَاؤُهُ. وأصلها من الثلاثي: شَصَبَ. "وَالشَّصْبُ: الْيُبْسُ"^(٢٨)، لذا فإنّ الأصل في كلمة شَعَصَبَ أن تعالج تحت مادة شَصَبَ؛ لأنّ العين فيه زائدة وليست أصلية، علاوة على أنّ هذه الكلمة تشترك في معناها مع معنى الأصل الثلاثي ويدل كلاهما على اليبس.

ولفظة الْقُلُوبُ مادتها (قلوب)، جاء في العين وفي لسان العرب أنّ الْقُلُوبُ هُوَ الرَّجُلُ الْقَدِيمُ^(٢٩)، وأصلها من الثلاثي: قَهَبَ وهو المَسْنُ^(٣٠)، وبناء على ذلك فإنّ الأصل في كلمة الْقُلُوبُ أن تدرس تحت مادة قَهَبَ فهي بنفس دلالة الأصل إذ يدل كل منهما على الرجل المسن، وفي الوقت ذاته اللام زائدة في الكلمة للإلحاق وليست أصلية.

الْعُنْدُوبُ مادتها (غندب)، ذكرت هذه الكلمة في معاجم عدّة وأجمعت على أنّ الْعُنْدُوبُ: لَحْمَةٌ صُلْبَةٌ حَوَالِي الْحُلُقُومِ^(٣١)، وجاء في المخصص ما نصه "الْعُنْدُوبُ لَحْمَةٌ غَلِيظَةٌ فِي أَصْلِ اللِّسَانِ وَالْعُنْدُوبَتَانِ، لَحْمَتَانِ بَاقِيَتَانِ هُنَالِكَ أَيْضًا"^(٣٢)، وأصلها من الثلاثي: غَدَبَ وهي لَحْمَةٌ غَلِيظَةٌ شَبِيهَةٌ بِالْغَدَّةِ تَكُونُ فِي لَهَازِمِ الْإِنْسَانِ^(٣٣). وبذلك يتضح أنّ النون التي جاءت حشواً زائدة، وأصل الكلمة ثلاثي من غَدَبَ، والأولى أن تدرس هذه الكلمة تحت مادة الثلاثي.

يلاحظ أنّ الزيادة في الكلمات (شعصب، وقلوب، وغندب)، جاءت حشواً في وسط الكلمة، والحروف التي زيدت على الترتيب هي: (ع، ل، ن)، وتبعاً لذلك فإنّ الأصول الثلاثية لهذه الألفاظ بعد تجريدتها من الزيادة على الترتيب هي: (شعصب، وقهب، وغدب) فهي متفقة مع الألفاظ الرباعية في الحروف نفسها والمعنى ذاته، لذا

تكون مشتقة منها وإلها عائدة. وتبين أنّ حروف الزيادة لم تقتصر على الحروف المحصورة في (سألتمونها)، ومعنى هذا الكلام أنّ حروف الزيادة قد تنسحب على حروف العربية كلها.

وقد تأتي الزيادة آخرًا (طريقًا) في بعض الألفاظ الرباعية، ومن الأمثلة على ذلك: لفظة الغرقى مادتها (غرقًا)، ذكرت بعض معاجم اللغة أنّ الغرقى: القشرة الملتفة بياض البيض^(٣٤)، وأصلها من الثلاثي: غرق ومنها غرقأت البيضة: خرجت وعليها قشرة رقيقة^(٣٥). وقال الفراء: همزته زائدة لأنّه من الغرق. وقال أبو منصور: واتفقوا على همزة الغرق وأنّ همزته ليست بأصلية^(٣٦)، وقال الفراء: ومما همزوه ولا حظّ له في الهمزة "غرقىء البيض" وأصله من الغرق^(٣٧)، وكذلك وافقهم أبو حيان^(٣٨).

ولفظة ثغرب مادتها (ثغرب)، والثغرب الأسنان الصّفُر^(٣٩)، وأصله من الثلاثي ثغر: وهو اسم الأسنان كلها^(٤٠)، وثمة اتفاق بين الكلمتين في المعنى فالثلاثية (ثغر) تشير إلى الأسنان بشكل عام، والرباعية (ثغرب) تشير إلى صفة متعلقة بالأسنان وهي صفارها، وتبعًا لذلك فإنّ الكلمة الرباعية مشتقة من الثلاثية فهي تشترك معها بالحروف نفسها وتشير إلى أحد متعلقات المعنى العام، وقامت الزيادة (زيادة الباء في آخر الكلمة) بإضافة المعنى وتخصيصه.

ولفظة الجحرب مادتها (جحرب)، والجحرب هو القصير الجسم^(٤١)، وأصلها من الثلاثي: جحر، فهو كل شيء يُحتفر في الأرض إذا لم يكن لعظام الخلق^(٤٢). فالشيء الذي يحتفر الأرض عادة ما يكون صغير الحجم والقصير أحد سماته، من هنا نجد أنّ اللفظتين اشتركتا في جانب القصير من المعنى، واشتركتا بالحروف (ج ح ر)، وهذا يشير إشارة واضحة إلى أنّ الكلمة الرباعية مشتقة من الثلاثية.

ولفظة جسرب مادتها (جسرب) تشير كلمة الجسرب إلى معنى الطويل القامة^(٤٣)، وأصلها من الثلاثي: (جسر) الجسر: الرجل الطويل الضخم^(٤٤)، وكلا الكلمتين اشتركتا في الحروف والمعنى، وهذا دليل على اشتقاق الأكثر من الأقل وزيادة حرف الباء في آخر الكلمة.

وتتشعب هذه الظاهرة في اللغة العربية لتتسع إلى شيء مما يقرب من مفهوم الترادف؛ فبعض الألفاظ تزداد فيها حروف وتشترك بالمعنى نفسة "كالسقعطري: الطويل الضخم الشديد البطش، والسفقطري: المفرط الطول أيضًا، والشقحطي: الكبش الذي له أربعة قرون والشمرطي: الطويل، والسبعطري: الضخم الشديد البطش"^(٤٥). فهذه الأسماء تتشابه في الأصول وتختلف في صوت، ثم تتحد في الدلالة.

المبحث الثاني:

الألفاظ الرباعية التي طرأ عليها تغيير بأثر التطور اللغوي

عصف باللغة العربية العديد من الظواهر اللغوية كالقلب والإبدال والإعلال والنحت والتصحيف والتحريف، بعضها كان له أثر إيجابي كالنحت الذي يعد نوعاً من التوسع الدلالي، وبعضها الآخر نحاً سلبياً كاللتصحيف الذي خالف بين الصورة الحقيقية للكلمة وبين الصورة التي وصلت إلينا.

وهذه الظواهر مجتمعة أثرت في تشكيل الألفاظ في اللغة العربية، وتكوين بنية الكلمة: لتصبح مع الزمن وكثرة الاستعمال وكأنها ألفاظ أصيلة. وما الألفاظ الرباعية إلا أحد أنواع الكلمة التي أثرت هذه الظواهر في تشكيلها وتكوين بنيتها. وسيسلط البحث الضوء على هذه الظواهر ويبين أثرها في تشكيل الرباعي سواء أكان بالزيادة أم بالتغيير الدلالي أم في إبقائها على أصالتها مع تسهيل لفظها ونطقها، ومن أهم هذه الظواهر: ظاهرة النحت، وظاهرة التصحيف والتحريف.

المطلب الأول: ظاهرة النحت

شاعت ظاهرة النحت عند علماء العربية قدماء ومحدثين وباتت طريقة معلومة معروفة، وشكلت بدورها ظاهرة لغوية عرض لها كثير من العلماء في كتبهم، وفي ذلك يقول الفراهيدي: "الهاء والحاء لا تأتلفان في كلمة واحدة أصلية الحروف، لقرب مخرجيهما في الحلق، ولكتهما يجتمعان من كلمتين، لكل واحدة منهما معنى على حدة، كقول لبيد^(٤٦):

يَمَارَى فِي الَّذِي قُلْتُ لَهُ... وَلَقَدْ يَسْمَعُ قَوْلِي حَمَلٌ^(٤٧)

ويقول الثعالبي: العرب تنحّت من كلمتين وثلاث كلمات كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار^(٤٨)، وتبعاً لذلك فإن بعض الأفعال الرباعية قد لا تكون أصيلة من حيث الوضع، بل تكونت بفعل عملية النحت، يقول ابن فارس "اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس، يستنبطه النظر الدقيق. وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت. ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتُنحّت منهما كلمة تكون أخذت منهما جميعاً بحظ"^(٤٩).

وللنحت صور متعددة: كنحت كلمة من جملة تتكون من ثلاث كلمات أو أكثر كبسمل المأخوذة من بسم الله الرحمن الرحيم، وحيل المأخوذة من حي على الصلاة، حي على الفلاح. ونحت كلمة من كلمتين كتأليف كلمة من المضاف والمضاف إليه، عند قصبة النسبة إلى المركب الإضافي إذا كان علماً؛ كعبشي في النسبة إلى عبد شمس، وعبدري في النسبة إلى عبد الدار. ونحت كلمة من كلمتين مستقلتين كتأليف كلمة من كلمتين أو أكثر "تستقل كل كلمة عن الأخرى في إفادة معناها تمام الاستقلال: لتفيد معنى جديداً بصورة مختصرة"^(٥٠).

وقد برع ابن فارس في هذا المجال وأشار في كتابه مقاييس اللغة إلى عدد من الكلمات المنحوتة، واقتبسها معاجم اللغة الأخرى وتناقلتها عنه، وفي هذه الجزئية سيعرض البحث لبعض الكلمات الرباعية التي تشكّلت بفعل النحت، ومن هذه الأمثلة:

لفظة ثعلب التي نحتت من كلمتين، وفيها وجهان: الوجه الأول: من ثعب بمعنى مسيل الوادي، ومن علب العلب: الأثر والحز، يقال: علب الشيء يعلبه بالضم علباً وعلوباً: أثر فيه ووسمه أو خدشه. والوجه الثاني: من العلب وهو الرمح الخوار، ومن الثلب وهو ذلك الطرف دقيق فهو ثلب^(٥١).

ولفظة بخذع، وبخذه بالسيف: قطع. نحتت هذه الكلمة من كلمتين: من خذع خذعه بالسيف تخذيعاً، إذا قطعه، وقيل الخذع قطع في اللحم، أو في شيء رطب لا صلابه له، مثل القرعة تخذع بالسكين، ولا يكون قطعاً في عظم أو في شيء صلب، ومن بدع يقال: بدعوا فابذعوا أي فزعوا ففترقوا^(٥٢).

ولفظة جسرب، والجسرب هو الطويل. وهذه الكلمة نحتت من كلمتين: من الجسر الرجل الطويل الضخم، ومن سرب إذا امتد^(٥٣).

ولفظة جرعب نحتت من كلمتين: من الجعب: وهو التجمع والتقبض والجرع: التواء في قوى الحبل^(٥٤).

ولفظة جخدب، جمل جخدب، وهو العظيم الجسم عريض الصدر. نحتت هذه الكلمة من كلمتين: من الخدب هو شديد صلب ضخيم قوي، ومن جحب الثقيل اللجيم، أي كثير اللحم^(٥٥).

ولفظة الرغب، الرغب الشعر إذا نبت بعد الحلق، والرغب الفرخ: طلع ريشه. نحتت هذه الكلمة من كلمتين: من زغب والرغب: ما يعلو ريش الفرخ أو أول ما ينمو منهما أي من شعر الصبي والمهروريش الفرخ، ومن لغب واللغب: الريش الفاسد^(٥٦).

ولفظة عصلب بالضم وبالفتح، والعصلي: الشديد الباقي القوة^(٥٧)، نحتت هذه الكلمة من ثلاث كلمات وهي: صلب الصلابة من الأرض: ما غلظ واشتد فهو صلب، ومن عصب لحم عصب: صلب كثير العصب، ومن عصل ومنه العصلة: الشجرة العوجاء التي لا يُقدّر على إقامتها بعدما صلبت^(٥٨).

وهنا نسوق كلام العفوري في دراسته التي أجراها على الألفاظ الرباعية المنحوتة إذ يؤكد أن الألفاظ المنحوتة تكشف عن معان جديدة بعد ردها إلى أصولها الثلاثية، فهي منحوتات تركيبية تشكل قيما كبرى، وفيها منحوتات مستقلة تشكل قيماً صغرى في اللفظ الواحد^(٥٩).

المطلب الثاني: التصحيف والتحريف

أولى العلماء ظاهرتي التصحيف والتحريف جلّ اهتمامهم؛ ذلك أنهما يدخلان على العلوم المتناقلة بقطع النظر عن نوعها؛ ولهما أثر كبير في التحقق من صحة المعلومات التي تصل إلينا من تراث الأجداد وعلومهم وعاداتهم وتقاليدهم.

ويعدّ التصحيف والتحريف "من صور الخلل أو الفساد الذي يلحق بالنص، وهما من أخطر القضايا التي تواجه الباحث ولا يصح التهاون أو التقصير فيها بحال من الأحوال؛ لأنها تتصل بجوهر التحقيق، وهو سلامة النص وتأديته على الوجه الذي تركه عليه صاحبه. ومما يزيد من خطورة التصحيف والتحريف أنه قد يبنى على اللفظ المصحّف أو المحرّف رأي في العقيدة أو اللغة أو الأدب"^(٦٠).

ويعرف التصحيف بأنه الخطأ في الصّحيفة^(٦١). وفي الاصطلاح: يطلق على ما لا تشتهه حروفه بغيره، وإنّما أخطأ فيه راويه، أو سقط بعض حروفه من غير اشتباه^(٦٢). وفي التعريفات التّصحيف: أن يقرأ الشيء على خلاف ما أراد كاتبه، أو على ما اصطالحوا عليه^(٦٣). والتّصحيف هو تغيير في نقط الحروف أو حركاتها مع بقاء صورة الخط كالذي يحدث في كلمات مثل: عباس وعياش، العيب العتب، نمت نمت، العدل العذل، حمزة حمرة وغيرها مما هو على هذه الشّكلة^(٦٤).

أمّا التحريف في اللغة فهو "تغيير الكلمة عن معناها، وتحريف فلان عن فلانٍ وانحرف واحرورف: أي مال"^(٦٥). وجاء في لسان العرب: تحريفُ الكَلِم عن مواضعه: تغييره، والتّحريف في القرآن تغيير الحرف عن معناه، والكلمة عن معناها^(٦٦). وفي الاصطلاح: هو العدول بالشيء عن جهته، والتّحريف قد يكون بالزيادة في الكلام، أو النقص منه، وقد يكون بتبديل بعض كلماته، وقد يكون بحمله على غير المراد منه^(٦٧). وعرفه الشريف الجرجاني بقوله: التّحريف بأنه تغيير في اللفظ من غير المعنى^(٦٨). "قال الله تعالى: ﴿مَنْ الّذِينَ هَانُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]، وهو خاص بتغيير شكل الحروف ورسمها، كالبدال والراء أو الدال واللام أو النون والزاي أو الميم والقاف أو اللام والعين، إلى آخر هذه الصور التي تتصل بتغيير شكل الحروف أو رسم الحروف"^(٦٩).

وثمة فرق بين التّصحيف والتّحريف فالّتّصحيف يكون عند الخطأ في النقط والرسم أو فهمهما معاً، أو الخطأ في الرسم والشكل معاً، والتّحريف للدلالة على الخطأ في بناء الكلمة أو شكلها^(٧٠). فلا علاقة للتحريف بهيئة الكلمة، وإنّما هو تغيير يتناول دلالتها فحسب. وهو بخلاف التّصحيف الذي هو تغيير في هيئة الكلمة.

بيد أن عبد السلام هارون جمع بين مصطلحي التّصحيف والتّحريف فيما يخص تحقيق النصوص، فقال: "وقد يعتري التّحريف والتّصحيف أسماء المؤلفين المثبتة في الكتب، فالنصرى قد يصحف بالبصري، والحسن بالحسين، والخرّاز بالخرار، وكل أولئك يحتاج إلى تحقيق لا يكتفي فيه بمراجع واحد، فقد يكون ذلك المرجع فيه عين ذلك التّصحيف أو تصحيف آخر أفسى منه، فليس هناك بد من اجتلاب الطمأنينة في ذلك البحث العلمي الواسع. وما قيل في تزيف العناوين يقال أيضاً في تزيف أسماء المؤلفين، لذلك لم يكن بد من أن يتنبه المحقق لهذا الأمر الدقيق"^(٧١). والمهم في هذا المقام بيان الألفاظ الرباعية التي وقع فيها تصحيف أو تحريف. ومن الأمثلة على الألفاظ الرباعية التي وقع فيها تصحيف ما يأتي:

لفظة الرُّخْبُ، وقع التّصحيف في حرف الحاء الذي تشابه مع حرف الخاء، فأصل الكلمة الرُّخْبُ وصحفت إلى رُخْبُ. "الرُّخْبُ والرُّخْبُ: الحاء عندنا تصحيف، وبزائين مُشَدَّدَتَيْن، وتَشْدِيدُ الباء: الغليظ من أولاد الإبل الذي قد غُلِظَ جِسْمُهُ واشتدَّ لَحْمُهُ، وقيل: القويُّ الشديداً اللحم. يُقال: صَارَ وَلَدُ النَّاقِ رُخْبًا، إذا غُلِظَ جِسْمُهُ واشتدَّ"^(٧٢)، وأصلها من الثلاثي: زخب والزخباء: هي الناقة الصُّلْبَةُ عَلَى السَّيْرِ^(٧٣)، والزاي هنا زائدة.

ولفظة جَعْنَب، التي وقع التّصحيف فيها في حرف النون الذي تشابه مع حرف الثاء، فأصل الكلمة جعنب وصحفت إلى جعنّب. (الجَعْنَبُ والجُعْنَب، قال ابن دريد: هو القصير)^(٧٤)، ويقال: الجَعْنَبَةُ: الجِرْصُ عَلَى الشَّيْءِ، وهو تَصْحِيفُ الجَعْنَبَةِ^(٧٥) ذكرها ابن منظور، وأصله من الثلاثي: جعن، وجعن مأخوذ من فِعْلٌ مُمَاتٌ وهو التَّقْبُضُ، وَرَجُلٌ جَعُونَةٌ: سَمِينٌ قَصِيرٌ، من الجَعْنِ^(٧٦).

ولفظة عَسَنَب، التي وقع التّصحيف فيها في حرف الغين الذي تشابه مع حرف العين، فأصل الكلمة عسنب وصحفت إلى غسنب. وعَسَنَبُ الْمَاءِ وَغَسَنَبُ: نَوَّرَهُ وَهَيَّجَهُ^(٧٧)، ذَكَرَهُمَا ابْنُ الْقَطَّاعِ، أَي: فِي حَرْفِ الْعَيْنِ الْمُهِمْلَةِ^(٧٨)، وأصلها من الثلاثي: عسن، ومنها أعسان الشيء: أثاره ومكانه. وتعسن فلان أباه، أي: نزع إليه في الشبه، وتعسنت الشيء: تطلبت أثره ومكانه^(٧٩)، والباء هنا زائدة.

ولفظة عَطْرَب، التي وقع التّصحيف فيها في حرفي الغين والطاء اللذين تشابهتا مع حرفي العين والظاء على الترتيب، فأصل الكلمة عطرب وصحفت إلى غطرب. و(الْغَطْرَبُ)، بِالْعَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَالطَّاءِ الْمُهِمْلَةِ، وَتُكْسَرُ عَيْنُهُ: (الْأَفْعَى) رَوَى ذَلِكَ (عَنْ كُرَاعٍ) تَصْحِيفٌ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَيْنِ الْمُهِمْلَةِ وَالطَّاءِ الْمُعْجَمَةِ^(٨٠). وأصلها من الثلاثي عطرباب العين والظاء مع الراء، اسْتَعْمَلَ مِنْهُ: عَطَرَ، رَعِظَ. وَالْعِظَارُ: الْإِمْتَلَاءُ مِنَ الشَّرَابِ. وَقَالَ شَمْرٌ: الْعِظَارِيُّ: ذُكُورُ الْجَرَادِ. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: الْعِظِيرُ: الْقَصِيرُ مِنَ الرِّجَالِ. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْعِظِيرُ: الْقَوِيُّ الْغَلِيظُ، وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: الْعِظِيرُ: الْكَزُّ الْغَلِيظُ^(٨١). وتبعاً لذلك فإنّ الباء زائدة في بناء عطرب.

ولفظة فِرْتَب، التي وقع التصحيف في حرف الميم الذي تشابه مع حرف الفاء، فأصل الكلمة فرنَب وصحفت إلى مرنب. والمزنبُ: جُرْدٌ في عِظَمِ اللَّيْثِ، قَصِيرُ الذَّنْبِ. قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ: وَهَذَا خَطَأٌ، وَالصَّوَابُ الْفِرْتَبُ بِالْفَاءِ مَكْسُورَةً، وَهُوَ الْفَارُ، وَمَنْ قَالَ: مَرْتَبٌ، فَقَدْ صَحَّفَ^(٨٢). وَأَصْلُهَا مِنَ الثَّلَاثِيَّ، فَرَنْ: تَعْلَبُ، عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ: الْفَارِنَةُ: خَبَازَةُ الْفُرْنِيِّ. وَقَالَ اللَّيْثُ: الْفُرْنِيُّ: طَعَامُ الْوَاحِدَةِ: فُرْنِيَّةٌ، وَهِيَ خُبْزَةٌ مُسَلَّكَةٌ مُصَعَّبَةٌ تُشْوَى ثُمَّ تُرْوَى لَبَنًا وَسَمْنًا وَسُكَّرًا. وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْمُخْتَبَرُ: فُرْنًا^(٨٣)، وَالْبَاءُ هُنَا زَائِدَةٌ.

ولفظة عَشْرَبُ، التي وقع التصحيف في حرف الراء الذي تشابه مع حرف الزاي، فأصل الكلمة عَشْرَبُ وصحفت إلى عَشْرَب. الْعَشْرَبُ، أَهْمَلُهُ الْجَوْهَرِيُّ، وَالْعَشْرَبُ: الْحَشْنُ، وَأَسَدٌ عَشْرَبٌ كَعَشْرَبٍ، وَرَجُلٌ عَشْرَبٌ: جَرِيءٌ مَاضٍ^(٨٤)، وَ(الْعَشْرَبُ وَالْعَشْرَبُ): بِمَعْنَى (الشَّدِيد) وَزَادَ أَبُو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ (الْغَلِيظَ)، كَمَا نَقَلَهُ شَيْخُنَا، (مَنْ الْأَسْوَدُ). يُقَالُ: أَسَدٌ عَشْرَبٌ أَيْ شَدِيدٌ^(٨٥). وَأَصْلُهَا مِنَ الثَّلَاثِيَّ عَشْرَ: الْعَشْوَرُ مِنَ الْأَرْضِ وَالْمَوَاضِعِ: مَا صَلَبَ مَسْلُكُهُ، وَخَشَنَ مِنْ طَرِيقٍ^(٨٦). وَالْبَاءُ فِي بِنَاءِ عَشْرَبٍ زَائِدَةٌ لِلإِلْحَاقِ بِبِنَاءِ فَعْلَل.

ولفظة الشَّخْرَبُ، التي وقع التصحيف فيها في حرف الراء الذي تشابه مع حرف الزاي، فأصل الكلمة الشَّخْرَبُ وصحفت إلى الشَّخْرَبُ. وَالشَّخْرَبُ: الشَّخْرَبُ بِالزَّيِّ: الْغَلِيظُ الشَّدِيدُ هَكَذَا هُوَ فِي التَّكْمِلَةِ بِالزَّيِّ مُصَحَّحًا مَضْبُوطًا^(٨٧). وَأَصْلُهَا مِنَ الثَّلَاثِيَّ شَجَرَ الشَّخْرُ، كَالْمَنْعِ، أَهْمَلُهُ الْجَوْهَرِيُّ، وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: كَلِمَةٌ مَرْغُوبٌ عَنْهَا يُكْفَى بِهَا عَنْ النِّكَاحِ^(٨٨). وَالْبَاءُ زَائِدَةٌ لِلإِلْحَاقِ (بِدَخْرِجٍ) عَلَى وَزْنِ (فَعْلَل).

ومن الألفاظ التي وقع فيها تحريف - وهي قليلة الحدوث إذا ما قورنت بالمصحفة - ولعل السبب في ذلك أن حدوث التَّحْرِيفِ نادر ما يكون؛ لأنه يكون متعمداً من قبل الناقل؛ لأهداف معينة، منها ما هو ديني أو شخصي أو من أجل النقد. ولكن هذا الأمر لا يمنع حدوث ما كان منه حقيقياً عن غير قصد لكن على نحو قليل - لفظة (اجْلَعْدَ واجْلَعَبَ)، التي وقع التَّحْرِيفُ فِي حَرْفِ الدَّالِ الَّتِي حُرِفَ عَنْ حَرْفِ الْبَاءِ، فَأَصْلُ الْكَلِمَةِ اجْلَعَبَ وَحُرِفَتْ إِلَى اجْلَعْدَ. وَالْجَلْعَبُ: هُوَ الرَّجُلُ الْجَائِفِي الشَّرِيرُ أَيْ الْكَثِيرُ الشَّرِّ، قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ وَهِيَ مِنَ الْإِبِلِ: مَا طَالَ فِي هَوَجٍ مُحَرَّكَةً وَعَجْرَفَةٍ، وَالْجَلْعَبَاءُ: النَّاقَةُ الشَّدِيدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ قَالَهُ ابْنُ سَيِّدِهِ^(٨٩). وَذَكَرَ عَكَاشَةُ أَنَّ الدَّالَ فِي اجْلَعْدَ مُحَرَفَةٌ: فَأَصْلُهَا: اجْلَعَبَ. وَيَعْنِيَانِ: صَرَعَ الرَّجُلَ وَامْتَدَّاهُ عَلَى الْأَرْضِ^(٩٠).

المطلب الثالث: الألفاظ الرباعية الدخيلة والمعرّبة:

يرتبط مفهوم الدخيل والمعرّب ارتباطاً وثيقاً بمفهوم العربي والأعجمي، وله دور كبير في المعجمية العربية، إذ يعدّ من أهم العوامل التي أسهمت في إثراء اللغة العربية؛ فالتعريب كان يمثل المصدر الثاني للمفردات التي تحتاج إليها العربية، أما اليوم فيبدو أنه غدا المصدر الأوّل لسد حاجة العربية من المفردات^(٩١). ولما كانت الكلمات الدخيلة والمعرّبة عرضة للتغيير على صعيد النطق؛ من أجل مناسبة القوانين الصوتية والأوزان

العربية؛ فإنَّ حروفها ليست أصيلة بالوضع؛ لذا فإنَّ الألفاظ الرباعية على اختلاف أجناسها لا بدَّ من إعادة النظر فيها، وإعادة تأصيلها. ومن هذا المنطلق يتراءى للباحث أنَّ تردَّ جميع الكلمات الدخيلة والمعرَّبة إلى أصول عربية ثلاثية بحكم أنَّها أعدل الأصول وأكثرها شيوعاً— كما ذكرنا ذلك سابقاً، واعتباراً ما زاد على ذلك حروفاً زائدة لا أصولاً.

فالكلمة الدخيلة هي كل كلمة أُدخِلت في كَلَامِ الْعَرَبِ وَلَيْسَتْ مِنْهُ^(٩٢). وهي اللَّفْظُ الْغَرِيبُ عَنِ الْعَرَبِيَّةِ، اقترضته العرب من اللُّغات الأخرى، فعَرَّبْتَهُ أو تركته على حاله، فكل معرب دخيل^(٩٣). واللَّفْظُ الْمَعْرَبُ هُوَ مَا يَتَقَوَّى بِهِ الْعَرَبُ عَلَى مَنَاجِهَا وَأَسْلُوبِهَا^(٩٤)، وقد تحدَّث سيبويه (١٨٠هـ) عن التعريب بقوله: هذا باب ما أعرب من الأعجمية، اعلم أنَّهم مما يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم ألبته فربما ألحقوه ببناء كلامهم، وربما لم يلحقوه^(٩٥). وذكر الزمخشري (٥٣٨هـ) أنَّ التعريب يكون بالتصرف في اللَّفْظِ فَقَالَ: "هُوَ أَنَّ يَجْعَلَ عَرَبِيًّا بِالتَّصَرُّفِ فِيهِ، وَتَغْيِيرِهِ عَنْ مَنَاجِهَا، وَاجْرَائِهِ عَلَى أَوْجِهِ الْإِعْرَابِ"^(٩٦). فالعرب إذا عربوا الكلمة أفرغوها في قوالب كلماتهم العربية وردوها إلى صيغها وأوزانها إلا ما ندر^(٩٧). ومن الأمثلة على الألفاظ الرباعية الدخيلة والمعرَّبة في العربية ما يأتي:

لفظة الكبريت، هي عَيْنٌ تَجْرِي فَإِذَا جَمَدَ مَأْوَاهَا صَارَ كِبْرِيئًا أَبْيَضَ وَأَصْفَرَ وَأَكْثَرَ، والكبريتُ الأَحْمَرُ يُقَالُ: هُوَ مِنَ الْجَوْهَرِ، وَمَعْدِنُهُ خَلْفَ بِلَادِ التُّبَّتِ فِي وَادِي النَّمْلِ الَّذِي مَرَبَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٩٨)، يقول ابنُ دُرَيْدٍ: لَا أَحْسَبُهُ عَرَبِيًّا صَحِيحًا^(٩٩)، وذكر ذلك أيضًا ابنُ الْخَفَّاجِ فِي شِفَاءِ الْغَلِيلِ^(١٠٠). ووردت كلمة الكبريت في كتاب الألفاظ العالمية بأنَّها من الألفاظ المتفق على عجمتها بلا خلاف. وقيل: الكبريت: عربيته عند المتقدمين مرجوحة، إذ ورد ذكره في (كبرت) بناء على أصالة التاء، وهو من الحجارة الموقد بها، و(الكبريت) عند بعض علماء اللغة مُحْتَمَلٌ لِلْسَّرْيَانِيَّةِ "Kehrit" أو العبرية. وورد في المصادر المسمارية الأكادية (البابلية والآشورية) بلفظ كبريتو Kupritu وأثره في العربية القديمة (السامية والآرامية): Guliuta، وفي العبرانية: كفريت Gofiet ووردت كلمة أخرى مضاهية: هي (برو) وتعني: القار أو القير Pitch^(١٠١).

ولفظه خُجْسْتُهُ، يقال: خُجْسْتُهُ؛ وهو اسم نساء أَصْفَهَانِيَّاتٍ، من رُؤَاةِ الْحَدِيثِ، وهي لفظه أعجمية معناها المباركة^(١٠٢)، ومنها خجستان: قرية بجبال هراة^(١٠٣)، وفي قاموس الفارسية خُجْسْتُهُ: معناها الميمون، المبارك^(١٠٤).

ولفظه الكَيْمُخْتُ، وهي فارسية^(١٠٥)، وعند ابن سيده: "الكَيْمُخْتُ - ضَرْبٌ مِنَ الْجُلُودِ دَخِيلٌ، هُوَ الرُّزْغَبُ"^(١٠٦)، وفي قاموس الفارسية، الكَيْمُخْتُ: هو جلد الحيوان الذي يدبغ^(١٠٧).

ومن الأمثلة على الألفاظ المُعرَّبة: لفظة لَوْلَب: الفارسيَّة والسريانيَّة والكردية والتركيَّة^(١٠٨) اللَوْلَب، يُقال: للماء الكثير يحمل منه المُفْتَح ما يَسْعُه، فيضيق صُنْبُورُه عنه من كثرتِه، فيستدير الماء عند فمه، ويصير كأنَّه بُلْبُل، وقال الأزهري: لا أدري أعربي أم معرَّب؟ غير أنَّ أهل العراق أُلْعُوا باستعماله^(١٠٩)، وجاء في الألفاظ الفارسيَّة المُعرَّبة بأنَّه تعريب (لَوْلَه) بالتركيَّة والكردية^(١١٠). وقد لحقت هذه الكلمة من الأوزان العربيَّة ما جاء من الرُّباعيِّ على وزن (فَعْلَل) نحو (جَعْفَر).

ولفظة الجردبان - بالدال غير المعجمة - فارسي معرب، أصله: (كرده بان)، أي: حافظ الرغبة، وهو الذي يضع شماله على شيء يكون على الخوان كي لا يتناوله غيره^(١١١)، وفي شفاء الغليل بمعنى الحريص^(١١٢). هذه الكلمة لحقت من الأوزان العربيَّة ما جاء من الرُّباعيِّ على وزن (فَعْلَلان) نحو (زَعْفَران).

ولفظة الكَهْرَبَا، وهي كلمة فارسيَّة^(١١٣)، وأصلها (كاه ربا)، أي: جاذِبُ التَّيْنِ^(١١٤)، وجاء في الألفاظ الفارسيَّة: بأنَّه صمغ شجرة إذا حك جذب التين، وقيل: إنَّ الكهرياء صمغ الحولر الرومي، وهو في بلاد البلغار^(١١٥). وفي تفسير الألفاظ الدخيلة: كهرياء، فارسي، مركب من (كاه) أي: تين، و(ربا) أي: جاذِب، ويطلق في زماننا على خواص الأجسام التي إذا حكت جذبت الأجسام الخفيفة وبعثت النور وحركت الأعصاب^(١١٦). هذه الكلمة لحقت من الأوزان العربيَّة ما جاء من الرُّباعيِّ على وزن (فَعْلَلِي) نحو (جَحْجَجِي) الملحق بخوزلي^(١١٧).

ولفظة السَرْدَابُ، جاءت في الفارسيَّة والكردية والتركيَّة^(١١٨)، ومعناها: (بِنَاءٌ تَحْتَ الْأَرْضِ لِلصَّيْفِ)، وهو (مُعَرَّبٌ) عَنْ سَرْدَاب^(١١٩)، وهو بناء يجعل فيه الماء في الصيف ليبرد^(١٢٠). وفي كتاب المعرب والدخيل: ورد في مادة سردب: أنَّها معرب عن سردآب؛ مركبة من مقطعين سرد بمعنى: الماء البارد، وآب: لفظ عالي^(١٢١). وفي قاموس الفارسيَّة: سرداب وسردابة، الحفرة التي يحفرونها تحت الأرض لدفن الأموات^(١٢٢).

ولفظة سَجِسْتَانُ الفارسيَّة^(١٢٣) يَكْسُرُ أَوَّلُه وثانيه، وَقَدْ يُفْتَحُ أَوَّلُه، وهو المعروف على أَلْسِنَةِ الْعَجَم: كُورَةُ معروفة بالمَشْرِقِ، وهي فارسيَّة، وقال الجَوَالِيقِي فِي الْمُعَرَّبِ: اسم مدينة من مُدُن خُرَّاسَانَ^(١٢٤)، وهذه الكلمة من القسم الذي قبلته العرب على حاله وألحقته بكلامها^(١٢٥).

المبحث الثالث:

الألفاظ الرباعية التي طرأ عليها تغيير على صعيد النطق دون الأصل:

تؤدي بعض الظواهر الصرفية إلى تغيير في بنية الكلمة على صعيد النطق دون المعنى؛ من أجل تحقيق التجانس الصوتي فيها، ولعل من أشهر هذه الظواهر ظاهرتي الإبدال والقلب المكاني؛ فهما من المباحث التي تؤدي إلى تغيير في بنية اللفظ، لكن هذا التغيير ليس تغييراً جذرياً كما هو الحال في التصحيف والتحريف

والنحت بل هو تغيير على صعيد النطق لا المعنى، ولما كانت هذه الظواهر متعلقة بالنطق وتؤدي إلى التغيير الشكلي في الألفاظ جاءت على أنها حالة وسط بين الألفاظ الرباعية الأصيلة بالوضع والألفاظ الرباعية المزينة بفعل بعض الظواهر الصرفية، فلا هي مزينة بحرف ولا هي أصيلة الحروف. ولوحظ أنّ هاتين الظاهرتين حاضرتان في الألفاظ الرباعية بشكل واضح كما سيأتي، ومن هذا المنطلق جاء البحث ليطلق مبحث الإبدال ومبحث القلب المكاني في الألفاظ الرباعية.

المطلب الأول: الألفاظ الرباعية التي طرأ عليها إبدال:

يشكل الإبدال دورًا كبيرًا في تشكيل بنية الكلمة التي تعد المحور الرئيس للدراسات الصرفية؛ فهويتكى على أساس إبدال حرف مكان حرف، وهذا الإبدال سيؤدي إلى المغايرة في صيغ الكلمات وأوزانها ثم المعاني الصرفية، وبالتالي سيسهم في تشكيل البنية الصرفية للكلمات الرباعية. وفي ذلك يقول ابن فارس: "الباء والبدال واللام أصل واحد، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب"^(١٢٦). وجاء في شرح الشافية، الإبدال: هو جعل حرف مكان غيره^(١٢٧). أو هو اتفاق كلمتين في معنيهما وحروفهما عدا حرف واحد^(١٢٨).

إنّ من أهم الخصائص الصوتية للكلمة العربية ثبات أصواتها على مدى العصور، ولا شكّ في أنّ القرآن الكريم حفظ أصوات اللغة العربية كما لفظها العرب^(١٢٩). ولكن بفعل بعض الظواهر اللغوية المختلفة تطور النطق اللفظي لبعض الكلمات، ويرى كمال رجي أنّ الإبدال ضرب من التطور الصوتي الذي خضعت له اللغة العربية، استمرّ استمرارًا طبيعيًا في الجاهلية بتأثير أسواق العرب، وفي الإسلام بفضل القرآن الكريم الذي حفظ لغتنا العربية ووحد لهجاتها^(١٣٠). ومن هنا تنشأ الكلمات المتقاربة في اللفظ والمعنى، ويرجع كمال رجي ظاهرة التقارب إلى اختلاف القبائل في النطق بأصوات الكلمة، فمادة كشط كانت تنطقها قريش بالكاف، على حين أنّ أسدًا وتميمًا كانت تنطقها بالقاف قشط^(١٣١).

واشترط علماء اللغة في الإبدال عدة شروط، هي: أن يكون بين اللفظين تقارب في مخارج الحروف المبدلة (التقارب الصوتي) وصفاتها، فأصل القلب في الحروف إنّما هو فيما تقارب منها كالبدال والطاء، والميم والباء^(١٣٢). وأن يكون أحد اللفظين أكثر تصرفًا من الآخر بحيث يكون هو الأصل كما أورد ابن جني: وقرأت على أبي علي عن أبي بكر عن بعض أصحاب يعقوب عنه قال: يقال: تركته وقيّدًا ووقيظًا والوجه عندي والقياس أن تكون الظاء بدلًا من الذال، لقوله- عز اسمه: (المَوْقُودَةُ) بالذال، ولقولهم وقذه يقذه ولم أسمع وقظه ولا موقوطة، فالذال إذن أعم تصرفًا فلذلك قضينا بأنّها هي الأصل^(١٣٣). وأن يكون اللفظان متفقين في المعنى وإن اختلفا في اللفظ كقرشب وكرشب وهو المسنّ^(١٣٤). ومن الأمثلة على الألفاظ الرباعية التي طرأ عليها إبدال ما يأتي:

تُرْقُب/ فُرْقُب: ثِيَابٌ بِيضٌ مِنْ كَتَّانٍ^(١٣٥)، وقد وقع الإبدال في حرفي الفاء والثاء؛ نظرًا لتقارب الحرفين في المخرج.

كنعت/ كَنَعْتُ: هُوَ ضَرْبٌ مِنَ السَّمَكِ^(١٣٦)، الحرفان المبدلان هما التاء والذال، وقد وقع الإبدال في كلمة كنعت التي أبدلت تأؤها ذالًا فأصبحت كنعد؛ نظرًا لتقارب الحرفين في المخرج. أو العكس كما أوضح ذلك الزبيدي؛ إذ يقول: "الْكَنَعْدُ: سَمَكٌ بَحْرِيٌّ كَالْكَنْعَتِ، وَأُرَى تَأْءَهُ بَدَلًا"^(١٣٧).

عِسْكَب/ عَسَقِب: عُنَيْنَقِدٌ صَغِيرٌ مُنْقَرِدٌ مُلْتَرِقٌ بِأَصْلِ الْعُنُقُودِ الْكَبِيرِ الضَّخْمِ^(١٣٨)، الحرفان المبدلان هما القاف والكاف، وقد وقع الإبدال في كلمة العسكب التي أبدلت كافها قافًا فأصبحت عَسَقَب؛ نظرًا لتقارب الحرفين في المخرج. وذكر صاحب تاج العروس أن "الكَفُ في كلمة الْعِسْكَبَةِ لُغَةٌ فِي الْقَافِ هِيَ (الْعِسْكَبَةُ)"^(١٣٩).

حَضْرَب/ حَظْرَب: شَدَّ قَتْلَ الْجَبَلِ، وَكُلُّ مَمْلُوءٍ مُحْضَرَبٍ وَالظَّادُ أَعْلَى^(١٤٠)، الحرفان المبدلان هما الضاد والظاء، وقد وقع الإبدال في كلمة حَضْرَب التي أبدلت ضاها ظاءً فأصبحت حَظْرَب؛ نظرًا لتقارب الحرفين في المخرج.

كعسب/ كَعَسَمَ: الْهَرُوبُ وَالْمَشْيُ سَرِيعًا^(١٤١)، الحرفان المبدلان هما الميم والباء، وقد وقع الإبدال في كلمة كعسم التي أبدلت ميمها باءً فأصبحت كَعَسَمَ؛ نظرًا لتقارب الحرفين في المخرج.

الْكِرْثِيُّ/ الْكِرْفِيُّ: السَّحَابُ الْمُتَرَاكِمُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ^(١٤٢)، الحرفان المبدلان هما الثاء والفاء، وقد وقع الإبدال في كلمة الْكِرْثِيُّ التي أبدلت ثاؤها فاءً فأصبحت الْكِرْفِيُّ؛ نظرًا لتقارب الحرفين في المخرج.

اِذْرَعَبَتِ/ اِذْرَعَفَتِ: مَضَتْ الْإِبِلَ عَلَى وُجُوهِهَا^(١٤٣)، الحرفان المبدلان هما الباء والفاء، وقد وقع الإبدال في كلمة اِذْرَعَبَتِ التي أبدلت دالها ذالًا فأصبحت اِذْرَعَفَتِ؛ نظرًا لتقارب الحرفين في المخرج.

قَحْطَبَه/ قَعْطَبَه: ضَرْبٌ مِنْ طَعْنِهِ وَطَعْنُهُ صَرَعَهُ، وَبِالسَّيْفِ: عَلَاةٌ^(١٤٤)، الحرفان المبدلان هما الحاء والعين، وقد وقع الإبدال في كلمة قَحْطَبَه التي أبدلت حاؤها عينا فأصبحت قَعْطَبَه؛ نظرًا لتقارب الحرفين في المخرج.

زَرْدَمَ/ زَرْدَب: زَرْدَبُهُ: أَيَّ خَنْقِهِ، وَزَرْدَمَهُ كَذَلِكَ^(١٤٥)، الحرفان المبدلان هما الباء والميم، وقد وقع الإبدال في كلمة زَرْدَمَ التي أبدلت ميمها باءً فأصبحت زَرْدَب؛ نظرًا لتقارب الحرفين في المخرج.

السَّلَهَبُ/ صَلَهَبُ: الرَّجُلُ الطَّوِيلُ^(١٤٦)، الحرفان المبدلان هما السين والصاد، وقد وقع الإبدال في كلمة السَّلَهَبُ التي أبدلت صاها سينا فأصبحت صَلَهَبُ؛ نظرًا لتقارب الحرفين في المخرج. ويؤيد ذلك ما ذكره ابن

منظور "السَّلَهْبُ: الطويل، عامَّةً؛ وَقِيلَ: هُوَ الطويلُ مِنَ الرِّجَالِ؛ وَقِيلَ: هُوَ الطويلُ مِنَ الخيلِ وَالنَّاسِ. الْجَوْهَرِيُّ: السَّلَهْبُ مِنَ الخيلِ: الطويلُ عَلَى وَجهِ الرُّض، وَرُبَّمَا جَاءَ بِالصَّادِ، وَالْجَمْعُ السَّلَاهِبَةُ^(١٤٧).

دَعْرِب/ دِعْرِمُ: الناقة الضئيلة الجسم^(١٤٨)، الحرفان المبدلان هما الباء والميم، وقد وقع الإبدال في كلمة دِعْرِمُ التي أبدلت ميمها باء فأصبحت دِعْرِب: نظراً لتقارب الحرفين في المخرج. والأصل هو كلمة دَعْرِب.

كَهَكَب/ كَهَكَم: المُسِنَّ الكَبِير^(١٤٩)، الحرفان المبدلان هما الباء والميم، وقد وقع الإبدال في كلمة كَهَكَب التي أبدلت باؤها ميمًا فأصبحت كَهَكَم: نظراً لتقارب الحرفين في المخرج.

قُسْنُقُب/ قُسْحُب: الضخم^(١٥٠)، الحرفان المبدلان هما الحاء والقاف، وقد وقع الإبدال في الكلمتين قُسْنُقُب وقُسْحُب: نظراً لتقارب الحرفين في المخرج.

الْقَرْبُوتُ/ قَرْبُوس: رجلا السَّرَج^(١٥١)، الحرفان المبدلان هما التاء والسين، وقد وقع الإبدال في الكلمتين الْقَرْبُوتُ قَرْبُوس: نظراً لتقارب الحرفين في المخرج.

يلاحظ من الأمثلة السابقة أنَّ الإبدال أمر متعلق بالنطق لا المعنى، وتغير لفظ الكلمات الرباعية ليس تغيراً في الحروف الأصول، بل هو إبدال في نطقها، نظراً لتقاربها في الصفة أو المخرج. وتبعاً لذلك فإنَّ الألفاظ الرباعية التي وقع فيها إبدال ليست ألفاظاً رباعية مزيّدة، بل هي أقرب إلى الألفاظ الرباعية أصيلة الحروف.

المطلب الثاني: ما طرأ عليه قلب مكاني

يعد القلب المكاني ظاهرة لغوية حاضرة عند اللغويين، وقد أثارت كثيراً من الجدل والنقاش في دوائر البحث اللغوي عند العرب وغيرهم. واهتمت بها معاجم العربية، وأفرد لها علماء اللغة أبواباً في مصنفاتهم^(١٥٢)، وهي مكان اهتمام الباحثين منذ القدم إلى عصرنا الحديث.

والقلب لغة، هو تحويل الشيء عن وجهه وقلبه^(١٥٣). أمّا اصطلاحاً، ففي النحو يراد به التقديم والتأخير بين أجزاء الكلام، كتقديم المسند على المسند إليه، وغير ذلك، لدواع بلاغية مذكورة في كتب النحو والبلاغة. وفي الصرف يراد به أمران: أولهما القلب الصرفي وهو ما يجري بين أحرف العلة والهمزة، كقلب الباء واوًا أو العكس وغير ذلك، وهذا باب واسع في الصرف لا يخلو منه كتاب صرفي، وهو ما يدعى الإعلال بالقلب. وثانيهما: تقديم بعض أحرف الكلمة على بعض، وهو ما يسمى بالقلب المكاني^(١٥٤). وفي شرح الشافية للرضي القلب تقديم بعض حروف الكلمة على بعض^(١٥٥). وفي معجم المصطلحات الألسنية: هو التغير الذي يصيب كلمة ما في كتابتها وذلك بإبدال مواقع بعض حروفها، مثل: كتب وكبت وكبت^(١٥٦)، وهو تغير فونولوجي يؤثر على ترتيب الأصوات داخل الكلمة^(١٥٧)، وهو ظاهرة في كل اللغات السامية^(١٥٨).

إن فكرة القلب عند العلماء تقوم على نظرية الاشتقاق الأكبر، فهو يعتمد على وجود لفظتين أو أكثر مشتقة من جذر لغوي واحد، ومعناهما قريب أو متساو، وترتيب الحروف مختلف على التقديم والتأخير، لكن الغريب هو اتفاق الكلمتين في المعنى وفي الحروف واختلافهما في الترتيب. "وقد ميز البصريون تمييزاً يدل على نظرة لغوية عميقة بين تعدد اللفظ الناشئ عن تبدل مواقع الحروف في الكلمة فتكون إحدى الكلمتين هي الأصل والثانية متولدة عنها، وهذه هي حالة القلب، وبين التعدد الناشئ عن اختلاف اللغات من الأصل وعلى هذا يكون رأي البصريين أن الاشتقاق الكبير موجود في اللغة وهو غير القلب^(١٥٩)."

وتبعاً لذلك فإن القلب مصطلح مترادف في لفظه مع كثير من مصطلحات العلماء وخصوصاً في باب (الإعلال)، ولكن القلب هنا يراد به تغيير الحروف في الترتيب داخل بنية الكلمة، فقد نقل سيويه عن أستاذه الخليل قوله: وأما جذبت وجبذت ونحوه فليس فيه قلب وكل واحدٍ منهما على حدته؛ لأن ذلك يطرد فهما في كل معنى ويتصرف الفعل فيه وليس هذا بمنزلة ما لا يطرد^(١٦٠). ويقول ابن جني: اعلم أن كل لفظين وجد فهما تقديم وتأخير فأمكن أن يكونا جميعاً أصليين ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه فهو القياس الذي لا يجوز غيره، وإن لم يمكن ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه، ثم أريت أيهما الأصل وأيها الفرع^(١٦١). فهم يرون أن ما كان من باب (جذب وجبذ) لا قلب فهما؛ لأنهما يتصرفان تصرفاً واحداً. وإذا كان هناك لفظان أحدهما أقل تصرفاً من صاحبه فهو يعد مقلوباً عن الآخر^(١٦٢).

وقد أورد ابن عصفور أربعة أشياء يتوصل بها إلى معرفة القلب^(١٦٣): أحدها: أن يكون أحد النظمين أكثر استعمالاً من الآخر، فيكون الأكثر استعمالاً هو الأصل، والآخر مقلوباً منه، نحو لَعَمْرِي وَرَعْمَلِي. فإن لعمرى أكثر استعمالاً؛ فلذلك ادّعينا أنه الأصل. والثاني: أن يكون أكثر التصريف على النظم الواحد، ويكون النظم الآخر أقل تصرفاً، فيعلم أن الأصل هو الأكثر تصرفاً، والآخر مقلوب منه. وذلك نحو: شوانع، فإنه أكثر تصرفاً من شواعي. والثالث: أن يكون أحد النظمين لا يوجد إلا مع حروف زوائد تكون في الكلمة، والآخر يوجد للكلمة مجرداً من الزوائد وذلك نحو: اطمأن وطأمن^(١٦٤). والرابع: أن يكون في أحد النظمين ما يشهد له أنه مقلوب من الآخر، نحو: أيس ويئس. الأصل عندنا يئس، وأيس مقلوب منه.

وبناء على التأصيل السابق لمبحث القلب المكاني، فإن معطياته تنسحب على الألفاظ الرباعية، وقد تعرضت حروفها للتغير المكاني دون الحذف أو الزيادة؛ لذا فإن حروفها من قبيل الحروف الأصول لا الزوائد، ومن الأمثلة عليها، ما يأتي:

تَرَعَبُ/تَبَرَعُ: أسماء موضع^(١٦٥)، وقع القلب المكاني في كلمة تَرَعَبُ التي اشتقت منها كلمة تَبَرَعُ، وتشكلت صورة القلب بتقديم الرابع (الباء) مكان الثاني (الراء) في تبرع.

دَرْجَب/دَرْجَج: رَمَتْ النَّاقَةُ وَلَدَهَا، دَرْجَبَتْ وَهُوَ قَلْبُ دَرْجَبَتْ^(١٦٦). وقد وقع القلب المكاني في كلمة دَرْجَب التي اشتقت منها كلمة دَرْجَج، وتشكّلت صورة القلب بتقديم الرابع (الباء) على الثالث (الجيم) في (درجج).
 زَهْلَبُ/الرَّهْبُ: هو الخفيفُ اللّحيّةُ هذا هو الصَّوَابُ، وقد أوردَه المصنّف في زَهْبٍ وَهُوَ مَقْلُوبٌ عَنْهُ^(١٦٧)، وقال الصّاغانيّ: الرَّهْبُ هو الخفيفُ اللّحم^(١٦٨). وقد وقع القلب المكاني في كلمة زَهْلَبُ التي اشتقت منها كلمة الرَّهْبُ، وتشكّلت صورة القلب بتقديم الثالث (اللام) على الثاني (الهاء) في (زلهب).
 السُّلْحُوتُ/سلحوت: الماحِنةُ^(١٦٩)، وقع القلب المكاني في كلمة السُّلْحُوتُ التي اشتقت منها كلمة والسلحوت، وتشكّلت صورة القلب بتقديم الثالث (اللام) على الثاني (الحاء) في (سلحوت).
 صَرَّخَبُ/صَرَّجَ الخفة^(١٧٠) وقع القلب المكاني في كلمة صَرَّخَبُ التي اشتقت منها كلمة صَرَّجَ، وتشكّلت صورة القلب بتقديم الرابع (الباء) على الثالث (الخاء) في (صرخج).
 الصُّعْرُوبُ/الصُّعْبُور: الصَّغِيرُ الرَّاسِ^(١٧١)، وقع القلب المكاني في كلمة الصُّعْرُوبُ التي اشتقت منها كلمة الصُّعْبُور، وتشكّلت صورة القلب بتقديم الرابع (الباء) على الثالث (الراء) في (صعبور).
 الطَّهْلَبَةُ/الطَّهْلَبَةُ: الطهيلة هو الذهاب في الأرض، وهو مقلوب الطهيلة، بهذا المعنى^(١٧٢). وقد وقع القلب المكاني في كلمة الطَّهْلَبَةُ التي اشتقت منها كلمة الطَّهْلَبَةُ، وتشكّلت صورة القلب بتقديم الرابع (الباء) على الثالث (اللام) في (طهبل).
 قَرَعَبُ/قريع: تَقْبِضُ من بَرْدٍ^(١٧٣)، وقع القلب المكاني في كلمة قَرَعَبُ التي اشتقت منها كلمة قريع، وتشكّلت صورة القلب بتقديم الرابع (الباء) على الثالث (العين) في (قريع).
 كَنْتَبُ/كَنْتَبُ: الصُّلْبُ الشَّدِيدُ^(١٧٤)، وقع القلب المكاني في كلمة كَنْتَبُ التي اشتقت منها كلمة كَنْتَبُ، وتشكّلت صورة القلب بتقديم الثاء على النون في (كنتب).

المبحث الرابع

الألفاظ الرباعية الأصلية التي لم يقع فيها تغيير ولا تبديل ولا زيادة

مما لا شك فيه أنّ بعض الألفاظ الرباعية حافظت على أصالتها من التغيير والتبديل وبقيت على حالها دون زيادة أو نقصان، ولعل الطائفة الأكثر حضوراً هي الأعلام المرتجلة، وقد ضمت هذه الأعلام أسماء الأشياء والأشخاص والأماكن والبلدان والحيوانات، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

أسماء الأشخاص: ومن الأمثلة على ذلك، جذرب بالكسر، أبو قبيلة من كبراء سواكن وملوكها، والنسبة: جذربي، والجفع: حذابة، وقد انقرضت دولتهم بعد البستين وتسعمائة، ذكره شيخنا والمقريري^(١٧٥). سُبخت: (سبخت) هو جد أبي بكر محمد بن يوسف الدينوري، حدث عن أحمد بن محمد بن سليمان البردي، وعنه عيسى بن أحمد بن زيد الدينوري^(١٧٦). وقَعَب من قعب: وهو اسم رجل^(١٧٧). والدَهَلَب من دهل: وهو اسم شاعر^(١٧٨). وطَعَشَب من طعش: وهو اسم رجل^(١٧٩).

أسماء الحيوانات: ومن الأمثلة على ذلك، سُرْعوب، من سرعب: "وهو اسم ابن عرس"^(١٨٠). والسُنْعُبَة: من سنعب: "وهو ابن عرس في بعض اللغات"^(١٨١). والعَطْرِب، بالغين المعجمة والطاء المهملة، وتكسر غينه: (الأفعى)، روي ذلك (عن كراع) صاحب المجرد وغيره^(١٨٢). والخَنْطَبَة: هو (دويبة)، وقد فسرها أبو حيان فقال: وهي القملة الضخمة. ويوجد في بعض النسخ بالطاء المهملة^(١٨٣). والسُرخاب: وهو طائر في حجم الإوز أحمر الريش^(١٨٤). والشُخْدُب: هي (دويبة من أحناش الأرض) نقله الصاغاني^(١٨٥). والشَوْشَب: العقرب، والقمل^(١٨٦). والسُلْكُوت من سلكت: وهو طائر^(١٨٧). والسُرْفُوت من سرفت: وهو دويبة كسام أبرص، تتولد في كور الرجاجين، لا تزال حية ما دامت النار مضطربة، فإذا خمدت ماتت^(١٨٨). وعنظ من عنظ: وهو الدكر من الجراد^(١٨٩).

أسماء النباتات: ومن الأمثلة على ذلك، القُشْلُب: اسم نبت^(١٩٠). والخَيْبَة: وهو اسم شجر، ومنه يبيع الخبجة كما يقولون: يبيع الغزقي بالمدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام^(١٩١). الخَرْبُوب: شجر ينبت بالشام له حب كحب الينبوت يسميه أهل العراق القيثاء الشامي وهو يابس أسود^(١٩٢). والعُزْبُوب: وهو شجر كشجر الرمان في القدر. وورقه أحمر مثل ورق الحمّاض، ترق عليه بطون الماشية أول شيء، ثم تعفد عليه الشحم بعد ذلك^(١٩٣). والعُزْبُوب: وهو نبات، قال ابن الأعرابي: هو السماق^(١٩٤). والعُزْبُوب من عبري: وهو السماق^(١٩٥). والبِلْحَتَة من بلخت: وهو نبات ينبسط على الأرض ولا يغلو^(١٩٦). والينبوت من ينبت: وهي شجرة شاكة، وليس من العضاة^(١٩٧).

أسماء الأماكن والبلدان: ومن الأمثلة على ذلك، بَرْشُوب: وهي قرية من قرى مصر من إقليم المنوفية^(١٩٨). وبرشوب: وهي قرية من قرى مصر من إقليم الغربية، ذكرهما ابن الجيعان في كتاب القوانين^(١٩٩). وتَدْرِب بالفتح ثم السكون، وفتح الراء، وباء موحدة: اسم مكان^(٢٠٠)، تَدْرِب بالفتح ثم السكون، وفتح الراء، وباء موحدة: اسم مكان. تَدْرِب: موضع، وإنما قضينا بأن التاء أصل، لأن سيبويه قال: التاء لا تزداد إلا بنبت^(٢٠١). وجَرْتَب - يروى بفتحين وضمين - اسم موضع^(٢٠٢). وجَرْتَب كجَعْفَر أو هو جَرْتَب مثل (قُنْفِذ) وهو موضع^(٢٠٣). وأخسبته: بلد بالأندلس مشهور عظيم كثير الخيرات^(٢٠٤). ودَعْتَب: وهو موضع^(٢٠٥). وزُنْقَب: هو ماء لعيس^(٢٠٦). وشَقْحَب

وَهُوَ: موضع قُرْبَ دِمَشْقَ ^(٢٠٧). وإشْكُرب: وهو بلد في شَرْقِي الأَنْدَلُس، يُنسَبُ إِلَيْهِ أَبُو الْعَبَّاسِ يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ بن فارو الإِسْكُربِي ^(٢٠٨). وَصَلَحَب، وهو اسم، وفي معجم البلدان هو جبل ^(٢٠٩). وَقُرْتُب، بلد بِزَيْدَ وَمِنْهَا المَحْدِثُ الْمَشْهُورُ عَبْدُ الْعَلِيمِ بْنُ عَيْسَى بْنِ إِقْبَالِ الْقُرْتُبِيِّ، من المتأخِرِينَ ^(٢١٠). وَنَخْشَب: هي مَدِينَةٌ معروفة ببِلَادِ ما وراء النَّهْرَيْنِ جَيْحُونَ وَسَمَرْقَنْدَ ^(٢١١). وَشَرْهَب: وهو وادٍ من أودية اليمَن ذُو أَشْجَارٍ وَأَنْهَارٍ ^(٢١٢). وَخَشْرَتَا: قرية بُيْخَارِي ^(٢١٣). وَشُرُوبٌ من شَرَب: وهي قرية من قُرَى مِصْرَ بِإِقْلِيمِ الْبَحْيَرَةِ ^(٢١٤). وَسَلْفِيَت من سَلَفَت: وهي قَرْيَةٌ من أَعْمَالِ نَائِلُسَ مِنْهَا السَّمْسُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بن عبد الله المَقْدِسِيِّ السَّلْفِيَّ الشَّافِعِي ^(٢١٥). وَشُبْرَتُ شُبْرَتَا: وهي قَلْعَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ من قِلَاعِ السَّاحِلِ ^(٢١٦).

أَسْمَاءُ الْأَشْيَاءِ: ومن الأمثلة على ذلك، الْعَرْطَبَةُ: وهي الْعُودُ، عُوْدُ اللَّهْوِ، ويقال: الطبل أو طبل الجبشة خاصة ويقال: الطنبور ^(٢١٧).

الخاتمة:

سلَّطَ البحثُ الضوءَ على الألفاظ الرباعية من حيث أصالتها والتغيرات التي طرأت عليها كالزيادة، أو النحت، أو الدخيل والمعرب، أو ما وقع فيه تصحيف أو تحريف، أو ما طرأ عليه إبدال أو قلب مكاني. وخلص إلى النتائج الآتية:

- أن كثيراً من الألفاظ الرباعية قد زيد فيها بعض الحروف إذا ما قورنت بأصولها؛ لأنَّ الناظر فيها سيجد اتفاقاً بين ثلاثتها ورباعيتها من ناحية اللفظ بتكرر نفس الحروف والأصوات، ومن ناحية المعنى والدلالة، فكلّمتي رتب، وتُرْتَبُ تشتركان في الحروف الأصول رت ب، وتشتركان في معنى الثبوت.

- تباينت أنماط الزيادة في الألفاظ الرباعية من حيث الموقع فبعضها زيد أولاً وبعضها زيد حشواً وبعضها الآخر زيد آخرًا، وامتزجت هذه الزيادات بغيرها من الحروف الأصول حتى غدت كالأصل وأدت دوراً في تشكيل المعنى، ككلمة الجلحاب التي أصلها جَلَبَ والجيم فيها زيادة في أول الكلمة.

- تشكَّلت بعض الألفاظ الرباعية بطريقة النحت، وتبعاً لذلك فإنها ليست أصيلة من حيث الوضع، بل تكونت بفعل عملية النحت، وثبت أنَّ النحت يقترب كثيراً من الاشتقاق ويحمل شيئاً من خصائصه، ولكن النحت له خاصية التوليد. وهذه الكلمات منها ما نحت من كلمتين كتغلب التي نحتت من (تعب) و(علب) وهي الأكثر على الإطلاق، ومنها ما نحت من ثلاث كلمات كعصلب التي نحتت من (صلب، وعصب، وعصل).

-أدت الظواهر اللغوية كالدخل والمعرب دوراً مهماً في تشكيل بنية اللفظ الرباعي، إذ تبين أن كثيراً منها تعرضت بنيتها للتعديل والتقويم؛ من أجل مناسبة قوانين اللغة العربية وأوزانها، كالكلمات المعربة: (لولب، وجردبان، والكهربا، والسرذاب).

-لم تسلم الألفاظ الرباعية من التصحيف والتحريف، بل كانت ظاهرة حاضرة في كثير من الكلمات، وكان لها أكبر الأثر في تغيير بنية الألفاظ الرباعية.

-أوضح البحث أن مبحثي الإبدال والقلب المكاني يسهمان في إحداث تغييرات في الألفاظ الرباعية على صعيد النطق من أجل تحقيق التجانس الصوتي؛ الأمر الذي يجعلنا نحكم بأنها أقرب إلى الألفاظ الرباعية الأصلية بالوضع.

-ثبت أن ثمة ألفاظاً رباعية أصيلة بالوضع، وغالباً ما تكون في الأعلام المرتجلة التي تحوي أسماء الأشخاص والنبات والحيوانات والأماكن ومسميات الأشياء.

قائمة المصادر والمراجع:

- ١- ابن الأثير، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضايعي (٦٥٨هـ/١٢٦٠م): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- ٢- أحمد عبد المجيد هريري: نشوء الفعل الرباعي في اللغة العربية عرض تحليلي لآراء القدماء ودراسات المحدثين، ط١، القاهرة، مكتبة الزهراء، ١٩٨٨م.
- ٣- أحمد فارس الشدياق: سرّ الليال في القلب والإبدال، المطبعة السلطانية - الأستانة، ١٨٦٨م.
- ٤- أحمد مطر العطية: "القلب المكاني في الموروث اللغوي"، مجلة علوم اللغة: دراسات علمية محكمة تصدر أربع مرات بالسنة - دار غريب للطباعة والنشر - القاهرة، المجلد الثاني، العدد الأول، ١٩٩١م.
- ٥- آدى شير: الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧-١٩٨٨م.
- ٦- الأزهري، محمد بن أحمد (٣٧٠هـ/٩٨١م): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- ٧- أسامة رشيد الصفار: المعرب والدخيل والألفاظ العالمية: دراسة نقدية تأصيلية في تاج العروس، تقديم: نعمة رحيم العزاوي، راجعه: ضرغام محمود، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٨- إسماعيل بن حماد الحموز: ظاهرة القلب المكاني في العربية، ط١، مؤسسة الرسالة، دار عمار، جامعة مؤتة، ١٩٨٦م.
- ٩- الأثيري، أبو البركات (٥٧٧هـ/١١٨١م): الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ط١، المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ١٠- الأندلسي، عبد الله بن عبد العزيز البكري (٤٨٧هـ/١٠٩٤م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط١، عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ١١- الثعالبي، أبو منصور (٤٢٩هـ/١٠٣٨م): فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- ١٢- الجرجاني، التعريفات، ت: جماعة من المحققين بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ١٣- ابن جني، أبو الفتح عثمان (٣٩٩هـ/١٠٠٢م): الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية.
- ١٤- ابن جني (٣٩٩هـ/١٠٠٢م): سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- ١٥- ابن جني، أبو الفتح عثمان (٣٩٩هـ/١٠٠٢م): المنصف، ط١، دار إحياء التراث القديم، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م.
- ١٦- الجواليقي، موهوب بن أحمد البغدادي (٥٤٠هـ/١١٤٤م): المعرب من الكلام الأعجبي على حروف المعجم، تحقيق: عبد الرحيم، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- ١٧- الجوهري، إسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ/١٠٠٢م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي، كريب جابر أحمد، ط١، دار الحديث بالقاهرة ١٤٣٠-٢٠٠٩م.

- الحموي، ياقوت (١٢٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، ط٢، دارصادر - بيروت ١٩٩٢م.
- أبو حيان الأندلسي (١٠١٩هـ/١٣٤٤م): ارتشاف الضرب من لسان العرب، ت: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- الخفاجي، شهاب الدين (٧٤٥هـ/١٦٥٩م): شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تحقيق: محمد عبد المنعم، ط١، مكتبة الحرم الحسيني، مصر، ١٩٩٥م.
- ابن دريد، أبوبكر محمد بن الحسن الأزد (٣٢١هـ/٩٣٣م): الجمهرة في اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
- الدميري، أبو البقاء كمال الدين الشافعي: حياة الحيوان الكبرى، ط٢، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- الرضي الاستيازي، محمد بن الحسن (٦٦٨هـ/١٢٨٧م): شرح شافية ابن الحاجب، شرحه: عبد القادر البغدادي، تحقيق: محمد الحسن، محمد الزفزاف، محمد معي الدين، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- الزبيدي، مرتضى (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٥٨هـ - ١٩٦٥م.
- الرمخشري (١١٤٤هـ/١٨٠٠م): الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٧هـ.
- الرمخشري (١١٤٤هـ/١٨٠٠م): أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- سيوييه، عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ/٧٩٦م): الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤٢٢هـ - ١٩٨٢م.
- ابن سيدة أبو الحسن علي بن إسماعيل (٤٥٨هـ/١٠٦٦م): المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- السيوطي، جلال الدين (٩١١هـ/١٥٠٥م): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هندواي، المكتبة التوفيقية - مصر.
- الشريف الجرجاني، علي بن محمد (٧٨٩هـ/١٤١٣م): التعريفات، تحقيق: جماعة من المحققين بإشراف الناشر، ط١، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- شريف عسكري، محمد صالح: "العلاقات اللغوية بين العربية والفارسية، عوامل التأثير وطرق التعريب"، مقال منشور في مجلة آفاق الحضارة، ٢٠١٠م.
- الصاعدي، عبد الرزاق: تداخل الأصول اللغوية وأثرها في بناء المعجم، ط١، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ.
- صبيحي الصالح: دراسات في فقه اللغة العربية، ط١، دار العلم للملايين - لبنان - بيروت، ٢٠٠٩م.

- الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مع محاضرة عن التصحيف والتحريف، ط ١، مكتبة الخانجي، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- طوبيا العنيسي الحلبي اللبناني: تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، ت: يوسف توما البستاني، ط ٢، مكتبة العرب- مصر، ١٩٣٢م.
- ظافر يوسف: "الأفعال الرباعية نشوؤها واستعمالها"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٨٥، ع ٤٤، ٢٠١٠م.
- عبد السلام هارون (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م): تحقيق النصوص ونشرها، ط ٢، مؤسسة الحلبي وشركته للنشر والتوزيع، ١٩٦٥م، ص ٤٢.
- عبد القادر المغربي: الاشتقاق والتعريب، مطبعة الهلال، مصر، ١٩٨٠م.
- عبد النعيم محمد حسين: قاموس الفارسية فارسي/عربي، ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.
- ابن عصفور (٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م): الممتع الكبير في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباقبة، ط ١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦م.
- العراقي أبو الفضل زين الدين بن الحسين (٨٠٦هـ): شرح التبصرة والتذكرة، تحقيق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- العفوري، حسام: "ظاهرة النحت التركيبي في مقاييس اللغة بين التشكيل الصوتي والدلالة المعجمية"، مجلة دراسات عربية وإسلامية، السنة السادسة، العدد ١٣، أبريل، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م.
- عمر عكاشة: الفعل الرباعي في لسان العرب - دراسة تأصيلية، أطروحة دكتوراه بإشراف إسماعيل عمارة، الجامعة الأردنية، ١٩٩١م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني (٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- فتحي إبراهيم خضر: "تراجع الأداء اللغوي في وسائل الإعلام العربية"، مجلة المشكاة - جامعة العلوم الإسلامية، الأردن، المجلد الأول، العدد ٢، ٢٠١٤م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٧٠هـ/ ٧٩١م): كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م - ١٣٢٤هـ.
- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، ط ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (٢٧٦هـ/ ٨٨٩م): أدب الكاتب، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.
- ابن القطاع (٥١٥هـ/ ١١٢١م): أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، تحقيق: أحمد محمد عبد الدايم، دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة، ١٩٩٩م.
- ابن القطاع (٥١٥هـ/ ١١٢١م): تهذيب الأفعال، ط ١، عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- كمال ربيعي، الإبدال في ضوء اللغات السامية دراسة مقارنة، جامعة بيروت العربية، ١٩٨٠م.
- لبيد العامري (٤١هـ/ ٦٦١م): ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق: حملاطاس دار المعرفة ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- ١- ابن مالك، محمد بن عبدالله (٦٧٢هـ/١٢٤٧م): شرح الكافية الشافية، تحقيق: عبد المنعم هريدي، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- ٢- مأمون وجيه: "القلب المكاني في البنية العربية دراسة تحليلية"، مجلة كلية دارالعلوم - جامعة الفيوم، العدد الرابع والعشرون، ٢٠١٠م.
- ٣- مبارك مبارك: معجم المصطلحات الألسنية، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٥م.
- ٤- محمد أسعد النادري: فقه اللغة - مناهله ومسائله، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ٥- محمد بن عبد الله، ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ت: عبد المنعم هريدي، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- ٦- محمد مبارك: فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٧- مناهج جامعة المدينة العالمية: أصول البحث الأدبي ومصادره، الناشر: جامعة المدينة العالمية.
- ٨- ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، ط٣، ١٤١٤هـ، دار صادر - بيروت.
- الهوامش:**

- (١) الأزهري، محمد بن أحمد (٣٧٠هـ/٩٨١م): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ١٦٨/١٢.
- (٢) الشريف الجرجاني، علي بن محمد (٧٨٩هـ/١٤١٣م): التعريفات، تحقيق: جماعة من المحققين بإشراف الناشر، ط١، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ٢٨/١.
- (٣) الأنباري، أبو البركات (٥٧٧هـ/١١٨١م): الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ط١، المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ٦٥٤/٢.
- (٤) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ/٧٩٦م): الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤٢٢هـ - ١٩٨٢م، ٣٢٨/٤.
- (٥) ابن جني، أبو الفتح عثمان (٣٩٩هـ/١٠٠٢م): المنصف، ط١، دار إحياء التراث القديم، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، ١٨/١.
- (٦) ظافر يوسف: "الأفعال الرباعية نشوؤها واستعمالها"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٨٥، ٤٤، ٢٠١٠م، ص ١٦.
- (٧) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ٦٥٤/٢.
- (٨) أحمد عبد المجيد هريدي: نشوء الفعل الرباعي في اللغة العربية عرض تحليلي لأراء القدماء ودراسات المحدثين، ط١، القاهرة، مكتبة الزهراء، ١٩٨٨م، ٦٠.
- (٩) الصاعدي، عبد الرزاق: تداخل الأصول اللغوية وأثرها في بناء المعجم، ط١، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ، ١٥٨/١.

- (١٠) العفوري، حسام: "ظاهرة النحت التركيبي في مقاييس اللغة بين التشكيل الصوتي والدلالة المعجمية"، مجلة دراسات عربية وإسلامية، السنة السادسة، العدد ١٣، أبريل، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م، ٣٠٢.
- (١١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٧٠هـ/٧٩١م): كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م-١٣٢٤هـ، ٣٥-٣٦.
- (١٢) الأزهرى، تهذيب اللغة، ٢٧٣/١٤. الجوهرى، إسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ/١٠٠٢م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي، كريا جابر أحمد، ط١، دار الحديث بالقاهرة ١٤٣٠-٢٠٠٩م، ١٣١/٣. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني (٣٩٥هـ/١٠٠٤م): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٤٨٦/٢. ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، ط٣، ١٤١٤هـ، دار صادر - بيروت، ٤١٠/١.
- (١٣) الزبيدي، مرتضى (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٥٨هـ-١٩٦٥م، ٤٨١/٢.
- (١٤) الأزهرى، تهذيب اللغة ٢٧٨/١٤. ابن منظور، لسان العرب ٤٠٩/١.
- (١٥) ابن عصفور (٦٦٩هـ/١٢٧٠م): الممتع الكبير في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦م، ١٨٢/١. السيوطي، جلال الدين (٩١١هـ/١٥٠٥م): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداي، المكتبة التوفيقية - مصر، ٤٥٥/٣.
- (١٦) ابن عصفور، الممتع الكبير في التصريف، ١٨٢/١.
- (١٧) ابن القطاع (ت ٥١٥هـ/١١٢١م): أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، تحقيق: أحمد محمد عبد الدايم، دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة، ١٩٩٩م، ١٥٩/١.
- (١٨) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (٣٢١هـ/٩٣٣م): الجمهرة في اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، ١٢١١/٢.
- (١٩) الفراهيدي، العين، ١٢٥/٢، ابن دريد، جمهرة اللغة، ٣١٨/١، الزبيدي، تاج العروس، ٥٠٦-٥٠٥/٢.
- (٢٠) ابن منظور، لسان العرب، ٧٢٩/١، الزبيدي، تاج العروس، ١٨٣/٤.
- (٢١) الزبيدي، تاج العروس، ٢٥٠/٤.
- (٢٢) الفراهيدي، العين ٣٠٢/٤، ابن دريد، تهذيب اللغة ٢٧٠/٦، ابن منظور، لسان العرب ٧٨٣/١، الزبيدي، تاج العروس ٣٩١/٤.
- (٢٣) ابن جني، أبو الفتح عثمان (٣٩٩هـ/١٠٠٢م): الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ٢٢١/٣، ابن عصفور، الممتع الكبير في التصريف ٧١/١، ابن منظور، لسان العرب ٨٩/١، الزبيدي، تاج العروس ٥٢٢/١.
- (٢٤) الزبيدي، تاج العروس ٣٣/٢٥ - ٣٤.

- (٢٥) ابن دريد، جمهرة اللُّغة، ١١٤٣/٢، الزبيدي، تاج العروس ١٦٦/٢٥.
- (٢٦) ابن دريد، الجمهرة ١٢٢٨/٣، ابن منظور، لسان العرب ١٣٧/١، الزبيدي، تاج العروس ٣٨٥/١.
- (٢٧) ابن دريد، الجمهرة ٤٣١/١، ابن منظور، لسان العرب ١٣٦/١، الزبيدي، تاج العروس ٣٨٣/١.
- (٢٨) ابن دريد، الجمهرة ٣٤٢/١.
- (٢٩) الفراهيدي، العين ٤٢٦/٣، ابن منظور، لسان العرب ٦٩٠/١.
- (٣٠) الفراهيدي، العين ٤٣٨/٣، ابن منظور، لسان العرب ٦٩١/١، الزبيدي، تاج العروس ٨٩/٤.
- (٣١) الفراهيدي، العين ٢٩٣/٣، ابن دريد، الجمهرة ١١١٨/٢، ابن منظور، لسان العرب ٦٥٣/١، الزبيدي، تاج العروس ٤٩٥/٣.
- (٣٢) ابن سيدة أبو الحسن علي بن إسماعيل (٤٥٨هـ/١٠٦٦م): المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ١٣٢/١.
- (٣٣) ابن دريد، الجمهرة ٣٠٠/١، ابن منظور، لسان العرب ٦٣٧/١، الزبيدي، تاج العروس ٤٥٦/٣.
- (٣٤) الفراهيدي، العين ٢٧٦/٣، لسان العرب ١١٩/١، الزبيدي، تاج العروس ٤٣١/١.
- (٣٥) ابن منظور، لسان العرب ٢٨٣/١٠، الزبيدي، تاج العروس، ٢٦/٢٣٨.
- (٣٦) الأزهري، تهذيب اللُّغة ٣٣/٨.
- (٣٧) ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (٢٧٦هـ/٨٨٩م): أدب الكاتب، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ٦١٠/١.
- (٣٨) أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ت: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ٦٩/١.
- (٣٩) ابن منظور، لسان العرب ٢٣٩/١، الزبيدي، تاج العروس ٩٦/٢.
- (٤٠) الأزهري، تهذيب اللُّغة ١٠١/٨، ابن منظور، لسان العرب ١٠٣/٤، الزبيدي، تاج العروس ٣٢١/١٠.
- (٤١) ابن دريد، الجمهرة في اللُّغة، ١١١٢/٢، ابن منظور، لسان العرب ٢٥٣/١، الزبيدي، تاج العروس ٢/١٣٢/.
- (٤٢) ابن منظور، لسان العرب ١١٧/٤، الزبيدي، تاج العروس ٣٧٤/١٠.
- (٤٣) الفراهيدي، العين ٢٤١/١، ابن منظور، لسان العرب ١٣٦/٣.
- (٤٤) ابن منظور، لسان العرب ١٣٦/٤، الزبيدي، تاج العروس، ١/٤٢٥.
- (٤٥) ابن القطاع، أبنية الأفعال والأسماء والمصادر، ١/١٣٠.
- (٤٦) البيت في ديوانه: لبيد العامري (٤١هـ/٦٦١م): ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق: حمدو طمّاس دار المعرفة ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ٩٢/١.
- (٤٧) الفراهيدي، العين ٣٨٠/١.
- (٤٨) الثعالبي، أبو منصور (٤٢٩هـ/١٠٣٨م): فقه اللُّغة وسر العربية، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ٢٩٦/١.

- (٤٩) ابن فارس، مقاييس اللغة ٣٢٨/١. صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة العربية، ط١، دار العلم للملايين-لبنان-بيروت، ٢٠٠٩م، ٢٤٤.
- (٥٠) ينظر: محمد أسعد النادري: فقه اللغة- مناهله ومسائله، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م، ١٨٦-١٨٩.
- (٥١) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة ٤٠٣/١.
- (٥٢) ابن فارس، مقاييس اللغة ٣٣٠/١.
- (٥٣) ابن فارس، مقاييس اللغة ٥٠٧/١.
- (٥٤) ابن فارس، مقاييس اللغة ٥١٠/١.
- (٥٥) ابن فارس، مقاييس اللغة ٥١٢/١.
- (٥٦) ابن فارس، مقاييس اللغة ٥٣/٣.
- (٥٧) الفراهيدي، العين ١٧٣/٣، الأزهري، تهذيب اللغة ٢١٥/٣، ابن دريد، جمهرة اللغة ١١٢٦/٢، الزبيدي، تاج العروس ١٨٩/٣، ابن فارس، مقاييس اللغة ٣٧٠/٥.
- (٥٨) ابن فارس، مقاييس اللغة ٣٧٠/٤.
- (٥٩) ينظر: العفوري، حسام: "ظاهرة النحت التركيبي في مقاييس اللغة بين التشكيل الصوتي والدلالة المعجمية"، مجلة دراسات عربية وإسلامية، السنة السادسة، العدد ١٣، أبريل، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م ٣٢٠.
- (٦٠) مناهج جامعة المدينة العالمية: أصول البحث الأدبي ومصادره، الناشر: جامعة المدينة العالمية، ٣٣٨.
- (٦١) ابن منظور، لسان العرب ١٨٦/٩.
- (٦٢) العراقي أبو الفضل زين الدين بن الحسين (٨٠٦هـ): شرح التبصرة والتذكرة، تحقيق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ١٠٤/٢.
- (٦٣) الشريف الجرجاني، التعريفات، ٥٩/١.
- (٦٤) مناهج جامعة المدينة العالمية، أصول البحث الأدبي ومصادره، ٣٣٨.
- (٦٥) الفراهيدي، العين ٢١٠/٤.
- (٦٦) ابن منظور، لسان العرب ٤١/٩.
- (٦٧)-الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مع محاضرة عن التصحيف والتحريف، ط١، مكتبة الخانجي، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م، ص ٢٨٧.
- (٦٨) الجرجاني، كتاب التعريفات، ٦٠.
- (٦٩) مناهج جامعة المدينة العالمية، أصول البحث الأدبي ومصادره، ٣٣٨.
- (٧٠) مناهج جامعة المدينة العالمية، أصول البحث الأدبي ومصادره، ٣٣٧.

- (٧١) عبد السلام هارون (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م): تحقيق النصوص ونشرها، ط٢، مؤسسة الحلبي وشركائه للنشر والتوزيع، ١٩٦٥م، ص ٤٢.
- (٧٢) الفراهيدي، العين ١٧٧/٢، ابن دريد، الجمهرة ١١٦٣/٢، ابن منظور، لسان العرب ٤٤٧/١، الزبيدي، تاج العروس ١٠/٣.
- (٧٣) الفراهيدي، العين ١٧٧/٢، ابن دريد، الجمهرة ٢٨٩/١، ابن منظور، لسان العرب ٤٤٦/١، الزبيدي، تاج العروس ٩/٣.
- (٧٤) ابن دريد، الجمهرة ١١١٣/٢، ابن منظور، لسان العرب ٢٦٨/١، الزبيدي، تاج العروس ١٦٦/٢.
- (٧٥) ابن منظور، لسان العرب ٢٦٨/١.
- (٧٦) ابن منظور، لسان العرب ٨٨/١٣، الزبيدي، تاج العروس ٣٥٧/٣٤.
- (٧٧) الزبيدي، تاج العروس ٤٨٣/٣.
- (٧٨) ابن القطاع (١١٢١هـ/١١٢١م): تهذيب الأفعال، ط١، عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ١٦٣/٢.
- (٧٩) الفراهيدي، العين ١٥٧/٣، ابن منظور، لسان العرب ٢٨٥/١٣، الزبيدي، تاج العروس ٣٩٨/٣٥.
- (٨٠) ابن منظور، لسان العرب ٦٥١/١، الزبيدي، تاج العروس ٤٨٩/٣.
- (٨١) الأزهري، تهذيب اللغة ١٧٧/٢.
- (٨٢) الفراهيدي، العين ٣١٩/٣، الأزهري، تهذيب اللغة ٢٣٨/١٥، ابن منظور، لسان العرب ٦٥٧/١، الزبيدي، تاج العروس ٥٠٥/٣.
- (٨٣) الأزهري، تهذيب اللغة ١٥١/١٥.
- (٨٤) الأزهري، تهذيب اللغة ٢١٠/٣، ابن منظور، لسان العرب ٦٠٢/١، الزبيدي، تاج العروس ٣٧٤/٣.
- (٨٥) الزبيدي، تاج العروس ٣٧٥/٣.
- (٨٦) الفراهيدي، العين، ٢٤٣/١.
- (٨٧) ابن دريد، جمهرة اللغة ١١١٧/٢، ابن منظور، لسان العرب ٤٨٦/١، الزبيدي، تاج العروس ١٠٦/٣.
- (٨٨) ابن دريد، جمهرة اللغة ٥٢٦/١، ابن منظور، لسان العرب ٣٦١/٥، الزبيدي، تاج العروس ١٧٥/١٥.
- (٨٩) الزبيدي، تاج العروس ١٨٢/٢.
- (٩٠) ينظر: عمر عكاشة: الفعل الرباعي في لسان العرب - دراسة تأصيلية، أطروحة دكتوراه بإشراف إسماعيل عمارة، الجامعة الأردنية، ١٩٩١م، ١٦١.
- (٩١) ينظر: صبيح الصالح، دراسات في فقه اللغة، ٣٤٨.
- (٩٢) ابن منظور، لسان العرب ١٣٩/١١، الزبيدي، تاج العروس ٤٨٠/٢٨.
- (٩٣) أسامة رشيد الصفار، المعرب والدخيل والألفاظ العالمية: دراسة نقدية تأصيلية في تاج العروس، تقديم: نعمة رحيم العزاوي، راجعه: ضرغام محمود، دار الكتب العلمية - بيروت، ٤٦/١.
- (٩٤) ينظر: صبيح الصالح، دراسات في فقه اللغة ٣٤٨.
- (٩٥) ينظر: سيوييه، الكتاب ٣٠٣/٤.

- (٩٦) ينظر: الزمخشري (١١٤٤هـ/١١٤٤م): الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ط ٣، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٧هـ، ٢٨٢/٤.
- (٩٧) انظر: عبد القادر المغربي: الاشتقاق والتعريب، مطبعة الهلال، مصر، ١٩٨٠م، ٦٣-٦٤.
- (٩٨) الفراهيدي، العين ٦/٤، الأزهرى، تهذيب اللغة ١٠/٢٣٥، ابن منظور، لسان العرب ٢/٧٥، الزبيدي، تاج العروس ٥/٥٤.
- (٩٩) ابن دريد، جمهرة اللغة ٢/١١١١.
- (١٠٠) الخفاجي، شهاب الدين (١٠١٩هـ/١٦٥٩م): شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تحقيق: محمد عبد المنعم، ط ١، مكتبة الحرم الحسيني، مصر، ١٩٩٥م، ١٩٣.
- (١٠١) ينظر: أسامة رشيد الصفار، المعرب والدخيل والألفاظ العالمية، ٧١.
- (١٠٢) الزبيدي، تاج العروس ٤/٥٠٦.
- (١٠٣) الحموي، ياقوت (١٢٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، ط ٢، دار صادر - بيروت، ١٩٩٢م، ٣٤٧/٢. تاج العروس ٣/٤٨٣.
- (١٠٤) عبد النعيم محمد حسنين: قاموس الفارسية فارسي/عربي، ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ١٩٧.
- (١٠٥) الفراهيدي، العين ٢/١٨٠، الأزهرى، تهذيب اللغة ٨/١٩٧، ابن منظور، لسان العرب ١/٤٤٨، الزبيدي، تاج العروس ٣/١٤.
- (١٠٦) ابن سيده، المخصص ١/٤٠٤.
- (١٠٧) عبد النعيم محمد حسنين، قاموس الفارسية ٥١٩.
- (١٠٨) أدى شير: الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب، القاهرة، ط ١٩٨٧-٢، ١٩٨٨م، ١٤٢.
- (١٠٩) الأزهرى، تهذيب اللغة ١٥/٢٤٤، ابن منظور، لسان العرب ١/٧٤٦، الزبيدي، تاج العروس ٤/١٩٥.
- (١١٠) أدى شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ١٤٢.
- (١١١) الأزهرى، تهذيب اللغة ١١/١٦٩، ابن منظور، لسان العرب ١/٢٦٤، الزبيدي، تاج العروس ٢/١٥٨، أدى شير، الألفاظ الفارسية المعربة ٣٩.
- (١١٢) الخفاجي، شفاء الغليل ٦٨.
- (١١٣) أدى شير، الألفاظ الفارسية المعربة ٣٨.
- (١١٤) الزبيدي، تاج العروس ٤/١٨٣.
- (١١٥) أدى شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ١٣٨-١٣٩.
- (١١٦) طوبيا العنيسي الحلبي اللبناني: تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، ت: يوسف توما البستاني، ط ٢، مكتبة العرب- مصر، ١٩٣٢م، ٦٩.
- (١١٧) ينظر: السيوطي، المزهري في علوم اللغة ٢/٤٢.
- (١١٨) عبد النعيم محمد حسنين، قاموس الفارسية، ٨٩.

- (١١٩) ابن منظور، لسان العرب ٤٦٧/١. الزبيدي، تاج العروس ٥٦/٣.
- (١٢٠) أدى شير، الألفاظ الفارسية ٨٩. الخفاجي، شفاء الغليل ١٣٠.
- (١٢١) أسامة رشيد الصفار، المعرب والدخيل والألفاظ العالمية ١١٧.
- (١٢٢) ينظر: أدى شير، قاموس الفارسية ٣٦٤.
- (١٢٣) الجواليقي، موهوب بن أحمد البغدادي (١١٤٤هـ/١٥٤٠م): المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق: عبد الرحيم، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ٣٩٣.
- (١٢٤) ابن منظور، لسان العرب ٤١/٢، الزبيدي، تاج العروس ٥٤/٤، ياقوت الحموي، معجم البلدان ١٩٠/٣.
- (١٢٥) شريف عسكري، محمد صالح: العلاقات اللغوية بين العربية والفارسية، عوامل التأثير وطرق التعريب، مقال منشور في مجلة آفاق الحضارة، ٢٠١٠م، ص٥.
- (١٢٦) ابن فارس، مقاييس اللغة ٢١٠/١.
- (١٢٧) ابن مالك، محمد بن عبد الله (٦٧٢هـ/١٢٤٧م): شرح الكافية الشافية، تحقيق: عبد المنعم هريدي، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ١٠٩/١.
- (١٢٨) الرضي الاستريادي، محمد بن الحسن (٦٦٨هـ/١٢٨٧م): شرح شافية ابن الحاجب، شرحه: عبد القادر البغدادي، تحقيق: محمد الحسن، محمد الزفزاف، محمد محي الدين، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ١٩٧/٣.
- (١٢٩) فتحي إبراهيم خضر: "تراجع الأداء اللغوي في وسائل الإعلام العربية"، مجلة المشكاة - جامعة العلوم الإسلامية، الأردن، المجلد الأول، العدد ٢، ٢٠١٤م، ص٣٤٧.
- (١٣٠) كمال ربيعي، الإبدال في ضوء اللغات السامية دراسة مقارنة، جامعة بيروت العربية، ١٩٨٠م، ٩٩.
- (١٣١) المرجع السابق ١٠٢.
- (١٣٢) ينظر: أبو الطيب اللغوي، الإبدال اللغوي ٩/١.
- (١٣٣) ابن جني (٣٩٩هـ/١٠٠٢م): سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ٢٣٩/١.
- (١٣٤) أحمد فارس الشدياق: سر الليال في القلب والإبدال، المطبعة السلطانية - الأستانة، ١٨٦٨م، ٥.
- (١٣٥) الفراهيدي، العين ٣/٣١٨، الأزهري، تهذيب اللغة ٩/٣١١، ابن منظور، لسان العرب ١/٦٥٧، الزبيدي، تاج العروس ٣/٥٠٤.
- (١٣٦) الفراهيدي، العين ٢/٣٠٦، الأزهري، تهذيب اللغة ٣/١٩٥.
- (١٣٧) الزبيدي، تاج العروس، ١١٧/٩.
- (١٣٨) الفراهيدي، العين ٣/١٥٤، ابن منظور، لسان العرب ١/٦٠١، الزبيدي، تاج العروس ٣/٣٧١.
- (١٣٩) الزبيدي، تاج العروس، ٣٧١/٣.
- (١٤٠) الأزهري، تهذيب اللغة ٥/٢١٦، ابن منظور، لسان العرب ١/٣٢١، ٣٢٣، الزبيدي، تاج العروس ٢/٢٩٦.
- (١٤١) الأزهري، تهذيب اللغة ٣/١٤٩، ابن منظور، لسان العرب ١٢/٥٢٢، الزبيدي، تاج العروس ٣٣/٣٦٩.

- (١٤٢) ابن دريد، الجوهرة ١٢٢٨/٣، ابن منظور، لسان العرب ١/١٣٦، الزبيدي، تاج العروس ١/٣٨٦.
- (١٤٣) ابن منظور، لسان العرب ١/٣٥٧، ٩/١٠٩، الزبيدي، تاج العروس ٢/٤٠٧.
- (١٤٤) الفراهيدي، العين ٣/٣٦١، ابن منظور، لسان العرب ١/٦٦٢، ٦٨٤، الزبيدي، تاج العروس ٣/٥٢٠، ٦٦/٤.
- (١٤٥) الزبيدي، تاج العروس ٣/١٤.
- (١٤٦) الفراهيدي، العين ٢/٢٧٠، ابن منظور، لسان العرب ١/٤٧٤، الزبيدي، تاج العروس ٣/٧٤.
- (١٤٧) ابن منظور، لسان العرب ١/٤٧٤.
- (١٤٨) ابن منظور، لسان العرب ١/٣٧٧، الزبيدي، تاج العروس ٢/٤٠٩.
- (١٤٩) الأزهري، تهذيب اللغة ٦/٢٢، ابن منظور، لسان العرب ١/٧٢٩، الزبيدي، تاج العروس ٤/١٨٤.
- (١٥٠) ابن منظور، لسان العرب ١/٦٧٢، الزبيدي، تاج العروس ٤/٣٣.
- (١٥١) الأزهري، تهذيب اللغة ٩/٣٠٧، ابن منظور، لسان العرب ٢/٧١، الزبيدي، تاج العروس ٥/٤١.
- (١٥٢) اهتم بها على سبيل الذكر لا الحصر: ابن جني في الخصائص: ٢/٧١-٨٢، وابن فارس في الصحاح: ١٥٣، والثعالبي في فقه اللغة: ١/٢٦٣، والرضي في شرح الشافية ١/٢١-٣٢، وأبو حيان في الارتشاف: ١/٣٣٤، والسيوطي في المزمهر: ١/٣٦٧-٣٧٠ /
- (١٥٣) ينظر: الفراهيدي، العين: ٣/٤٢٢، الأزهري، تهذيب اللغة: ٩/١٤٣، الزمخشري (٥٣٨هـ/١١٤٤م): أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٢/٩٤، الزبيدي، تاج العروس ٤/٦٨.
- (١٥٤) ينظر: أحمد مطر العطية: "القلب المكاني في الموروث اللغوي"، مجلة علوم اللغة: دراسات علمية محكمة تصدر أربع مرات بالسنة - دار غريب للطباعة والنشر- القاهرة، المجلد الثاني، العدد: الأول، ١٩٩١م، ١٨١.
- (١٥٥) الرضي، شرح الشافية ١/٢١.
- (١٥٦) مبارك مبارك: معجم المصطلحات الألسنية، ط ١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٥م، ٢٥.
- (١٥٧) مأمون وجيه: "القلب المكاني في البنية العربية دراسة تحليلية"، مجلة كلية دار العلوم - جامعة الفيوم، العدد الرابع والعشرون، ٢٠١٠م، ٣.
- (١٥٨) المرجع السابق، ٤.
- (١٥٩) محمد مبارك: فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٠٧.
- (١٦٠) ينظر: سيبويه، الكتاب ٤/٣٨٤.
- (١٦١) ابن جني، الخصائص ٢/٧١.
- (١٦٢) ينظر: إسماعيل بن حماد الحموز: ظاهرة القلب المكاني في العربية، ط ١، مؤسسة الرسالة، دار عمار، جامعة مؤتة، ١٩٨٦م، ٢٦.
- (١٦٣) ينظر: ابن عصفور، الممتع الكبير في التصريف ١/٣٩٣.

- (١٦٤) ينظر: سيبويه، الكتاب: ٣٨١/٤، الرضي، شرح الشافية: ٣٢-٢١/١
- (١٦٥) الحموي، معجم البلدان ٢٢/٢، ابن منظور، لسان العرب ٢٣١/١، الزبيدي، تاج العروس ٧٣/٢.
- (١٦٦) الزبيدي، تاج العروس ٤٠٦/٢.
- (١٦٧) ابن دريد، جمهرة اللغة ١١٢٤/٢، الزبيدي، تاج العروس ٢٦/٢
- (١٦٨) ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضايعي (١٢٦٠هـ/١٢٦٠م): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ١٥٢/١.
- (١٦٩) ابن منظور، لسان العرب ٤٦/٢، الزبيدي، تاج العروس ٥٦٥/٤.
- (١٧٠) الزبيدي، تاج العروس ١٩٤/٣، ٢٩٢/٧.
- (١٧١) ابن منظور، لسان العرب ٥٢٤/١، ٤٥٧/٤، الزبيدي، تاج العروس ١٩٦/٣، ١٢٠/١٢.
- (١٧٢) الزبيدي، تاج العروس ٤٠٠/٢٩.
- (١٧٣) العين ٣٧٩/٣، لسان العرب ٦٧١/١، ٢٧٠/٨، تاج العروس ٩٢/٤.
- (١٧٤) الزبيدي، تاج العروس ١١٢/٤.
- (١٧٥) الزبيدي، تاج العروس ٢٤٨/٢.
- (١٧٦) ابن منظور، لسان العرب ٣٩/٢، الزبيدي، تاج العروس ٥٤٤/٤.
- (١٧٧) الأزهري، تهذيب اللغة ١٢٩/٣، ابن منظور، لسان العرب ٦٨٤/١، الزبيدي، تاج العروس ٦٦/٤.
- (١٧٨) ابن منظور، لسان العرب ٣٧٧/١، الزبيدي، تاج العروس ٤١١/٢.
- (١٧٩) ابن منظور، لسان العرب ٥٥٩/١، الزبيدي، تاج العروس ٢٧٤/٣.
- (١٨٠) الفراهيدي، العين ٢٣٩/٢، الأزهري، تهذيب اللغة ٢١٩/٣، ابن منظور، لسان العرب ٤٦٧/١، الزبيدي، تاج العروس ٥٧/٣.
- (١٨١) الزبيدي، تاج العروس ٧٦/٣.
- (١٨٢) ابن منظور، لسان العرب ٦٥١/١، تاج العروس ٤٨٩/٣، الدمي، أبو البقاء كمال الدين الشافعي: حياة الحيوان الكبرى، ط ٢، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ، ٢٥٤/٢.
- (١٨٣) ابن منظور، لسان العرب ٣٦٧/١، الزبيدي، تاج العروس ٣٨٦/٢.
- (١٨٤) الزبيدي، تاج العروس ٥٦/٣.
- (١٨٥) ابن دريد، جمهرة اللغة ١١١٦/٢، ابن منظور، لسان العرب ٤٨٥/١، الزبيدي، تاج العروس ١٠٥/٣.
- (١٨٦) ابن منظور، لسان العرب ٥١٢/١، الزبيدي، تاج العروس ١٢٧/٣.
- (١٨٧) ابن منظور، لسان العرب ٤٦/٢، الزبيدي، تاج العروس ٥٦٦/٤.
- (١٨٨) الزبيدي، تاج العروس ٥٥٧/٤.
- (١٨٩) الفراهيدي، العين ٢٣٩/٣، الأزهري، تهذيب اللغة ٢٢٩/٣، ابن منظور، لسان العرب ٣٣٦/١، الزبيدي، تاج العروس ٢٩٦/٢.
- (١٩٠) ابن منظور، لسان العرب ٦٧٤/١، الزبيدي، تاج العروس ٣٨/٤.

- (١٩١) الزبيدي، تاج العروس ٢/ ٣٣٥.
- (١٩٢) الأزهري، تهذيب اللغة ٧/ ٢٧٧، ابن منظور، لسان العرب ١/ ٣٥١، تاج العروس ٢/ ٣٥١.
- (١٩٣) ابن منظور، لسان العرب ١/ ٥٨٠، الزبيدي، تاج العروس ٣/ ٣١٦.
- (١٩٤) الأزهري، تهذيب اللغة ٣/ ٢٢٢، الزبيدي، تاج العروس ٣/ ٣١٦.
- (١٩٥) ابن منظور، لسان العرب ١/ ٥٧٥، الزبيدي، تاج العروس ٣/ ٣٠٦.
- (١٩٦) الزبيدي، تاج العروس ٤/ ٤٥٠.
- (١٩٧) ابن منظور، لسان العرب ٢/ ١٠٩، الزبيدي، تاج العروس ٥/ ١٥١.
- (١٩٨) الزبيدي، تاج العروس ٢/ ٤٦.
- (١٩٩) الزبيدي، تاج العروس ٢/ ٢٦.
- (٢٠٠) الحموي، معجم البلدان ٢/ ٢٠.
- (٢٠١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم ٩/ ٥٥١، ابن منظور، لسان العرب ١/ ٢٢٧، الزبيدي، تاج العروس ٢/ ٦١.
- (٢٠٢) الحموي، معجم البلدان ٢/ ١١٨.
- (٢٠٣) الأندلسي، عبد الله بن عبد العزيز البكري (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط١، عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٣هـ، ٢/ ٣٧٥، الزبيدي، تاج العروس ٢/ ١٥٨.
- (٢٠٤) الحموي، معجم البلدان ١/ ١٢٣، تاج العروس ٢/ ٣٦٢.
- (٢٠٥) الحموي، معجم البلدان ٢/ ٤٥٧، ابن منظور، لسان العرب ١/ ٣٧٧، الزبيدي، تاج العروس ٢/ ٤٠٨.
- (٢٠٦) ابن منظور، لسان العرب ١/ ٤٥٣، الزبيدي، تاج العروس ٣/ ٢٨.
- (٢٠٧) الزبيدي، تاج العروس ٣/ ١٥٤.
- (٢٠٨) الزبيدي، تاج العروس ٣/ ١٥٦.
- (٢٠٩) الزبيدي، تاج العروس ٣/ ٢١٠.
- (٢١٠) الزبيدي، تاج العروس، ٤/ ٣٤.
- (٢١١) الحموي، معجم البلدان ٥/ ٢٧٦، الزبيدي، تاج العروس، ٤/ ٢٦١.
- (٢١٢) الزبيدي، تاج العروس، ٣/ ١٢٦.
- (٢١٣) الزبيدي، تاج العروس ٤/ ٥١١.
- (٢١٤) الزبيدي، تاج العروس ٣/ ١٢٥.
- (٢١٥) الزبيدي، تاج العروس ٤/ ٥٦٦.
- (٢١٦) الحموي، معجم البلدان ٣/ ٣٢١، الزبيدي، تاج العروس ٤/ ٥٧٢.
- (٢١٧) الأزهري، تهذيب اللغة ٣/ ٢٢٣، ابن منظور، لسان العرب ١/ ٥٩٤، الزبيدي، تاج العروس ٣/ ٣٥٦.

ثورة الغضب والمعارضة الرمزية ضد الانصياع الاعمى والوحشية

في قصة شيرلي جاكسون اليانصيب

د. ليلى فاروق عابدين*

تاريخ الوصول: ٢٠٢١/٣/١٠ م

تاريخ القبول: ٢٠٢١/٥/٢ م

الملخص:

استخدم العديد من كتاب الأدب الرمزية لاقتراح معاني مختلفة عميقة الدلالة بالإضافة إلى المعنى المباشر المقترح. فاستخدمت الرمزية لتخطي المعنى الحرفي بالعمل الأدبي وذلك لاقتراح مدلولات حساسة تتعلق مثلاً بالسياسة، أو الدين، أو الجندرية، أو المنظومة الاجتماعية لمجتمع معين. وبالتالي يلجأ العديد من كتاب الأدب للرمزية لاقتراح معنى أعم بأسلوب آمن. الهدف من هذا المقال اقتراح قراءة رمزية لقصة شيرلي جاكسون اليانصيب كثورة غضب ومعارضة ضد الانصياع الاعمى من أعضاء مجتمع معين تجاه طقوس قديمة تحمل بتفاصيلها أفعال بقمة الوحشية وتنتهي بازهاق أرواح بريئة. سيتم ذلك من خلال التركيز على الزمان والمكان، ممارسة طقوس اليانصيب، الفائز، أسماء الشخصيات البارزة، النهاية، والفكرة الأساسية بالعمل. عند التمعن بهذه العناصر عن طريق الرمزية، تتجلى عدة معاني لقصة اليانصيب والتي تتخطى العهد القديم الذي تم ممارسة طقوس اليانصيب به. فيستطيع القراء المعاصرون من خلال الرمزية استيعاب اليانصيب كعمل أدبي ذو طبيعة شمولية.

الكلمات المفتاحية: المعنى غير المباشر، جاكسون، الرمزية، اليانصيب، القراء.

* أستاذ مشارك، قسم اللغة الانجليزية-كلية الآداب-جامعة العلوم الاسلامية العالمية.

A Symbolic Revolt of Anger and Protest against Blind Obedience and Brutality in Shirley Jackson's Short Story "The Lottery"

DR. Layla Abdeen

Abstrac

Symbolism is employed by literary writers to suggest implicit meaning of a profound sense besides the offered explicit one. Symbolism is utilized to trespass the literal meaning in a literary work as it may suggest sensitive implications in relation to, for instance: Politics, religion, gender, or the social structure of a particular community. Thus, many literary writers resort to symbolism to suggest a wider sense of meaning in a safe manner. The intention of this article is to suggest a symbolic reading of Shirley Jackson's "**The Lottery**" by showing how it is rather a revolt of anger and protest against blind obedience towards an ancient ritual that is extremely brutal as it ends with the execution of innocent lives. This will be conducted by focusing on the setting, the practice of the ritual of the lottery, the winner, the names of prominent characters, the ending, and the motif. Once these elements are viewed symbolically, "**The Lottery**" starts to acquire a carnival of meanings that transcend the ancient times of the practice of the lottery, which the story is based upon. Through symbolism, the readership of contemporary times can relate to "**The Lottery**" acknowledging by that its comprehensive nature.

Keywords: Implicit meaning, Jackson, symbolism, "**The Lottery**", the readership.

1. Introduction:

Shirley Jackson's short story "The Lottery" has become a classic of American short fiction due to its rapid popularity. With the course of time, it has been anthologized, dramatized, televised, and even turned into a ballet. As soon as it was first published in *The New Yorker* in 1948, a lot of subscribers terminated their subscriptions due to the enormous effect of resentment it was received with. This is a strong indication that the readership of "The Lottery" found its ending to be troublesome indeed. In this respect, Bloom (2001) states that Jackson hit a universal nerve of a general fear towards such sanctioned violence by a society against one of its own members (9). The irony lies in the fact that these simple and ordinary villagers are accomplices in this offence by thinking that they are doing this sacrificial act for a higher good cause of general benefit to the entire society. They consider this as an essential sacrifice for the increment of their crops.

Nonetheless, the short story could be read through symbolism at a more profound level as symbolism is useful in deriving meaning beyond the literal sense. Writers of short stories recognized symbolism to be a convenient means to bridge the gap between the author of the literary work and the reader by implying a much wider range of meaning than the explicit offered one in the literary work itself. As a result, symbolism requires the reader to be observant of particular implications, tendencies, and connections in the story.

2. Problem of the Study:

"The Lottery" presents the idea of the survival of the fittest in society. In the village, it becomes apparent that death is a habitual action that is practiced by all. Even nowadays "The Lottery" is still an outstanding short story as its ending does not cease to disturb its readership because it focuses on actions of animalization and dehumanization practiced by Man, who is fed with false beliefs. Moreover, "The Lottery" shows how the vast majority of members of a society can become blindly

obedient towards the implementation of so called ancient rituals and how this leads them to killing one another.

So once "The Lottery" is read in a symbolic sense, this act of killing is no longer viewed as a means of sacrifice; but rather as an ugly offence of killing; especially that all the villagers are compelled to take part in it so as to evade the accusation of one person slaughtering *the winner* of the lottery. This blind cultural conformity to ancient rituals is actually both alarming and disturbing especially when it comes to terminating an innocent person's life without logical justification. In this respect, the title of "The Lottery" becomes extremely ironic as what is offered does not engage any sense of winning at all, but rather the catastrophic loss of one's precious life.

3. Objective of the Study:

The purpose of this article is to investigate how "The Lottery" is indeed a symbolic revolt of anger and protest against blind obedience and brutality. This will be conducted by focusing on the setting, the practice of the ritual of the lottery, the names of prominent characters, *the winner*, the motif, and the ending. All of these facets will be discussed in order to attempt presenting a comprehensive reading of the short story, where the reader plays a significantly major role in defining implicit meaning. The story is an interesting one even if it is read in the literal sense, yet a multiplicity of meanings is offered once it is conceived symbolically. Through symbolism sensitive issues as human hypocrisy, ignorance, blind obedience, and brutality could be traced in "The Lottery".

4. Review of Related Literature:

The Routledge Dictionary of Literary Terms (2006) states that "symbolism" stands for the elaboration of a language of signs that leads to an unseen reality comprehended by the consciousness (232-233). According to *Encyclopedia Britannica*, symbolism stands for an element of communication that is intended to

simply represent a more profound meaning related to a person, an object, or an idea. This implies that the derived meaning is not only related to the literal meaning of the language, but also to the implicit meaning that could be created through symbolism. In *A Handbook of Literary Terms*, Mikics (2007) is of the opinion that symbolism evades from the clear and objective description of the world by heading towards suggestive incarnation that is independent of that world (293). Accordingly, the literary work starts to acquire more than the direct or straightforward reading originally offered through the literal comprehension of the work itself.

It is stated in Perrine (1974) that the reader is encouraged to explore new horizons of meaning by detecting how the work itself may furnish details of clues that could be pondered of beyond the offered literal meaning. It is stressed that this symbolic meaning must remain intact by the given events throughout the story suggesting a variety of meaning (214). Bevan (1962) says that our minds are able to derive meaning through an innumerable number of impressions of an unseen reality primarily through symbols (304). Miller, Jr. (1972) explains that one's structure of thought is formed by a fluctuating process that is not merely reflected through the structure of speech as it is constantly governed by evolvment (42). In this sense, reading a literary work in light of symbolism paves the way to the rebirth of meaning.

5. Discussion:

5.1. The Setting:

"The Lottery" presents several readings besides the literal one. To begin with, the story unfolds with the time of the setting. It seems that the date of June 27th is of grave importance as it marks a momentous event that is looked forward to by the villagers, who are preoccupied gathering themselves at the specified time and place. The general atmosphere is an inviting one as the visionary imagery offers a lot of positivity with its warm and sunny weather, fresh air, blossoming flowers, and green grass. This vivid description illustrates the most perfect full-summer morning

associated with a sense of serenity and peace. All of these details work very well in the construction of situational irony; that is when one thing is expected, but a totally different other thing takes place though mounting excitement and suspense.

The venue, where the story takes place, is a village adjacent to other villages. There is no clear indication of the true identity of this village other than its population is approximately three hundred villagers, who are keen on performing the two-hour event of the lottery as soon as possible so that they could all go back to their daily chores and regular routine. In other terms, this village may have been existent somewhere once upon a time.

5.2. The Practice of the Ritual of the Lottery:

According to Frye, rituals are associated with primitive societies and are practiced on outstanding occasions as harvest (32). Apparently, the village is an agricultural one that depends on crops, most likely corn, for its survival. Frye believes that rituals are associated with the basic rhythms of life particularly birth and death, and that they are symbolic in nature. To explain, the village believes that such an offering, which marks the death of a villager, will eventually lead to a birth and abundance of crops. Simply put, one thing is to be offered for the gain of another.

Upon careful reading of the short story, it is evident that the entire village is anticipating the event of the lottery. The vast majority of the villagers are excited while gathering stones and are observant of being punctually present at the agreed upon location for the commencement of the ritual. In spite the fact that the nearby north village is abandoning this ritual, this particular village refuses even thinking about it as the village depends heavily on harvest. To illustrate, Old Man Warner, who is the eldest of the village and who has survived seventy-seven lotteries already, rejects the thought of abandoning the lottery as has been done by the nearby northern villagers, whom he describes as a "[p]ack of crazy fools.... Used to be a saying about 'Lottery in June, corn be heavy soon.'... There's always been a lottery"

(77). This, in its turn, highlights the village's primitiveness being so tenacious of this ancient secular ritual for presumably the betterment of their harvest.

Griffin (1999) states that:

Many ancient cultures believed that growing crops represented the life cycle, beginning with what one associates with the end – death. Seeds buried, apparently without hope of germination, represent death. But with the life forces of water and sun, the seed grows, representing rebirth. Consequently, ancient peoples began sacrificial rituals to emulate this resurrection cycle. What began as a vegetation ritual developed into a cathartic cleansing of an entire tribe or village. By transferring one's sins to persons or animals and then sacrificing them, people believed that their sins would be eliminated, a process which has been termed the "scapegoat" archetype.(44)

Friedman (1975) says that archetypes offer a lot of symbolic affiliations that have certain meanings derived from universal human experience (304). It is evident that Tessie functions in this sacrificial act as an offering that was anciently thought to please a presumably higher entity in return of the blessing of the village with the abundancy of crops. This underscores two ideas. The first is that the village is ideologically primitive while the second is that Tessie is no longer regarded as a free-willed individual, who happens to be a wife and a mother, but rather as a mere offering. In fact, as soon as Tessie is declared to be *the winner*, her constant pleads and even objections had no influence on the village's deaf ear as she does embody the archetype of the scapegoat. Tessie is associated with the symbol of a scapegoat as she is in fact innocent of wrongdoing, yet condemned to die. She is deprived of willpower to change the village's opinion. She is one against a whole. She is unfortunately extremely helpless just like a goat driven to be butchered against its will with no ability to implement change.

Evans and Finestone (1971) state that the scapegoat archetype stands for an individual that is blamed for whatever is wrong in society and is eventually sacrificed as a means to purify that society. This is clear when no one backs Tessie up as soon as she states that her husband Ben was not given sufficient time to pick his choice of paper. No one relates to her or even asks for another draw. On the contrary, some start to tell her to be a “good sport” implying that she got carried away and that her reaction is both emotionally exaggerated and unjustified.

What is striking is the idea that this practice turns even people of the same bloodline against each other without any kind of reluctance or resistance. Whittier (1991) argues that an ugly aspect of the lottery lies in the fact that it turns relatives in nuclear families into competing individuals, whose ultimate goal is to survive at the expense of others (353). No wonder then why Bill takes it for granted when Tessie receives the paper slip with the black dot that Mr. Summers made with a heavy pencil the night before. Bill actually commands Tessie to “shut up” in order to repress her justified objections. Furthermore, towards the end of the story, Tessie’s little son, Davy, is given a few pebbles to help others in stoning his own mother and putting her to death! This is done in order to normalize the consecration of this secular ritual.

Shields (2004) states that the act of savagely stoning Tessie symbolizes an instance of social cleansing and sanctioned violence (411). By eliminating Tessie from the village in such a savagely violent and brutal manner, it seems that the village will no longer have anyone, who will be able to speak up anymore as all what Tessie was asking for was a fair execution of the ritual. She stood up for what she thought was right. She defended what she thought was just, and these characteristics made her a strong character posing a threat to even Mr. Summers, who is seen as the master of the lottery in specific and the spearhead of the village in general.

5.3. *The Winner:*

Adji (2020) says that the idea of unfairness in the sense that one has to lose while the others have to win has been detected in several short stories like "The Lottery" (4). What is sad about "The Lottery" is that Tessie is an innocent victim. But was choosing her a mere random act of bad luck after all? Paying meticulous attention to minute details seems to suggest otherwise. Italie (2020) states that Jackson captures in her work the uncomfortable truths about a woman's oppressed role in a certain culture. As Tessie does not abide to the expected social norms of oppression, obedience, and inferiority, she is unable to "shut up" like all the others. She is seen to be different from the socially prescribed pattern of how a female is expected to be. Consequently, through this act of the ritual of the lottery, it seems that the procedures that take place in the story to determine *the winner* are somewhat premediated in order to frame Tessie's death so as to achieve social purification in the village.

Tessie may resemble the contemporary Eve and Eve, according to Knibb (1997), is viewed to be evil and devilish (19). But why is Tessie considered to be evil in the eyes of the decision maker of the society: Mr. Summers in the first place? To begin with, she is the last to arrive as she forgot all about the lottery by saying to Mrs. Delacroix: "Clean forgot what day it was". This is a clear statement that this ritual of the lottery does not really preoccupy her thinking like the rest of the villagers. She actually perceives this ritual of the lottery lightly as she comes in haste, having thrown a sweater over her shoulder and drying her hands with her apron. She then tells Mr. Summers that she was washing the dishes when she remembered what day it was, nonetheless, she could not leave the dishes behind. The villagers laugh, thus it is evident to the entire village including Mr. Summers that in this regard, Tessie prioritizes her domestic chores over the attendance of the lottery on time as the rest of the villagers.

Another significant characteristic about Tessie is her strong character. When the Hutchinson's family is called upon, Tessie mentions her daughter and asks Mr. Summers to put her name with her father's family. But once Mr. Summers explains that that is not the rule, Tessie starts to voice her disapproval of the procedures of the ritual of the lottery by saying "It wasn't fair". Then again, as soon as she realizes that her husband was not given the same amount of time, like the others, to make his pick; she immediately speaks out her piece of mind directly to Mr. Summers once more before all the other villagers by saying: "You didn't give him time enough to take any paper he wanted. I saw you. It wasn't fair!" (77).

It is interesting here how the others start to hush her up by telling her to "[b]e a good sport" about her family being chosen. Even her husband also tells her harshly to "[s]hut up" as a means of repression. Nevertheless, she is not stoppable. She tries to rationalize again with Mr. Summers by saying "I think we ought to start over" ... "I tell you it wasn't fair. You didn't give him time enough to choose. Everybody saw that." (78). It seems that Tessie is an independent thinker, who is trying to expose the fraud behind the ritual of the lottery; yet no one backs her up indicating that all of this may have been prefabricated after all. Here she represents the catalyst of change asking the procedures to be conducted again, but obviously such a backward society does not feel comfortable towards new introductions or changes at all.

5.4. The names of Prominent Characters:

Names of prominent characters in literary works are not chosen haphazardly. They are symbolic in nature as they are supposed to be indicative of particular traits in the characters' personas or of certain functions that they are expected to fulfill. Names provide insight pertaining to innate features within characters or offer clues regarding particular roles that they have to perform. The names of prominent characters in "The Lottery" seem to be shrouded with a sense of formality as they are most of the time referred to as Mr. and Mrs.

Mr. Summers is presented at the beginning of the story as the official of the lottery; making him its most essential conductor. He is young, healthy and fit. His depiction in "The Lottery" correlates with his surname, which suggests that he is at the height of power and authority in that society. He is placed at the very top of the social patriarchal hierarchy of the village. Mr. Graves, whose name is unfavorable, is his assistant. It is as if Mr. Summers issues the verdict of whom is to be killed while Mr. Graves implements that verdict by influencing the other villagers to endorse it by eventually putting the scapegoat to his / her grave.

Old Man Warner stands for the institute of tradition as he declares: "Listening to the young folks, nothing's good enough for them. Next thing you know, they'll be wanting to go back living in caves, nobody work anymore, live that way for a while [sic]" (77). As if the young have no sense of righteousness. Most importantly, Tessie Hutchinson's name is symbolic as well. Yarmove (1994) explains that historically there was a New England lady called Annie Hutchinson, who was exiled from Massachusetts Bay Colony in 1638 because of her religious beliefs, which she openly advocated. Connection between the two young ladies is made as they are strong, outspoken, and independent thinkers. They have become eventually undesired in their societies and, therefore, terminated.

5.5. The Ending:

The ending is shocking and deeply saddening. The kill was conducted in a very cruel manner that involved a lot of physical torture as well as psychological and emotional torment. The reason why the kill is conducted through stoning is because the vast majority of the villagers take part in that act of execution. It is as if all the villagers have agreed to unanimously kill *the winner*. It is as if they have comprehensively agreed to rid the village of that *winner*, who is viewed symbolically as a scapegoat on one hand and a sinner of some sort on the other. The idea of stoning symbolizes several meanings by indicating that the stoned person is a sinful

person, who must be taken down. It is as if the villagers find enjoyment in inflicting slow death on *the winner* as a means of punishment since the whole act of murder was shrouded with unexplainable excitement by all even the closest to Tessie like her husband.

From the very beginning of the exposition, boys are seen to be very excited about gathering stones as there is a lot of suspense involved. Some actually stored stones in their pockets while others collected stones of particular sizes in accordance with their level of strength. The readership later recognizes that the stones are gathered as tools for killing *the winner*. Towards the very end of the story, stones of various sizes were thrown at Tessie by the vast majority of the villagers, who do not stop until they make sure that *the winner* is pretty much dead.

The villagers, who were a while ago socializing with Tessie, turn out to be her own killers. This closing image that is depicted at the end shows how the villagers were all closing in on the kill while Tessie was still saying "[i]t isn't fair, it isn't right" until they were upon her. Tessie's life is a wasted life. She was useful for her family, being a wife and a mother, but sadly enough, even her own family members join in the consecration of the ritual. Thus Tessie was perceived to be a threat to the norms of the village, so Mr. Summers decides to terminate her life in this act of social cleansing in the name of the ancient ritual of the lottery, which is viewed to be a stark violation of human rights.

In light of the general disapproval of "The Lottery" ever since it was published, it is evident that the readership had not been comfortable with the idea of blind obedience to old traditions that lack logical justification. Consequently, Jackson was shrewd enough to present this sensitive matter of human sacrifice in the name of a primitive and secular ritual in such a symbolic manner. Through symbolism, the readership of "The Lottery" is able to transcend the literal meaning of the short story

by focusing on crucial and demanding issues that require immediate intervention in order to deter such life threatening savageries.

5.6. The Motif:

The most recurring theme or motif in the short story is the idea of *the lottery* itself that is projected even in the title. Any lottery engages a sense of gamble, suspense, chance, luck, expectation, and above all: Risk. In this regard, our lives at large may be symbolically viewed as a sort of lottery for one cannot foretell the future and, consequently, cannot evade fate from taking its toll. But action must be taken to stop such an aggressive atrocity and, therefore, justice must prevail especially that at one point of time any of us may be a different shade of Tessie as one may become a scapegoat in a particular situation. In actuality, the thought of victimizing an innocent member of society without reasonable and concrete proof of wrongdoing is a dangerous violation of human rights that no sane person must accept or at least normalize.

6. Conclusion:

Apparently the village in the story is a closed society that does not welcome any change inflicted on its routine. The village is observant of a primitive and secular ritual of the lottery, whose *winner* seems to be picked randomly. But with careful observation, it becomes clear that the village enforces the idea that the survival is for the fittest as the villagers kill one another in cold blood based on that ritual. In other words, with the careful observation of minute details in the story, it becomes quite clear that the choice of *the winner* is not purely accidental. It rather becomes apparent that it is an organized and premeditated scheme to get rid of those, who may unintentionally disturb the social pattern of that backward village.

It seems that *the winner* of the lottery does not confine to the stereotypical image of those villagers, who are submissive and passive as well as blindly obedient to that

ancient ritual. Therefore, this annual ritual of the lottery is seen as a means of violent and savage punishment imposed on those, who are considered to be evil just because they are different like poor Tessie. "The Lottery", consequently, stands for the consecration of social cleansing through a secular ritual that shows the villagers as the herd following its master, while *the winner* is the scapegoat that is to be offered to purify that backward society in a most brutal practice; illustrating the animalization and the dehumanization of Man against his fellow brethren.

References:

1. Adj, Alberta. (2020). Scapegoats and tragic heroes: Using archetypal patterns in short stories. *Cinder*. 3, 1–10.
https://www.researchgate.net/publication/343700106_Scapegoats_and_Tragic_Heroes_Using_Archetypal_Patterns_in_Short_Stories
2. Bevan, E. (1962). *Symbolism and belief*. London: Fontana Library.
3. Bloom, H. (Ed.). (2001). Shirley Jackson. In *Bloom's major short story writers*. Broomall, PA: Chelsea House Publishers.
4. *Encyclopedia Britannica*. (2009). Retrieved November 11, from <http://www.britannica.com/eb/article-9070715/symbol>
5. Evans, O. & Finestone, H. (1971). *The world of the short story: Archetypes in action* (edited with Introductions by Oliver Evans and Harry Finestone). New York: Alfred A Knopf.
6. Friedman, N. (1975). *Form and meaning in fiction*. Athens: The University of Georgia Press.
7. Frye, N. (1957). *Fables of identity: Studies in poetic mythology*. Princeton: Princeton University Press.
8. Griffin, A. (1999). Jackson's "The Lottery". *Explicator*, 58, 48.
9. Italie, H. (2020). "Rarely seen Shirley Jackson story is finally published". *US News and World Report*.
<https://www.usnews.com/news/entertainment/articles/2020-12-17/rarely-seen-shirley-jackson-story-is-finally-published>
10. Jackson, S. (1999). "The Lottery". In E. McMahan, S. Day, & R. Funk (Eds.), *Literature and the writing process*, (pp. 74-79). Upper Saddle River, NJ: Prentice-Hall. (Original Work published in 1948.)
11. Knibb, M. (1997). *The life of Adam and Eve and related literature: Guides to apocrypha and pseudepigrapha*. Sheffield: Academic Press Ltd.
<https://core.ac.uk/download/pdf/15598942.pdf>
12. Mikics, D. (Ed.). (2007). *A new handbook of literary terms*. New Haven & London: Yale

University Press.

13. Miller, JR., J. (1972). *Word, self, reality: The rhetoric of imagination*. New York: Dodd, Mead & Company.
14. Perrine L. (1974). *Literature 1*. New York: Harcourt Brace Jovanovich, Inc.
15. Shields, P.J. (2004). Arbitrary condemnation and sanctioned violence in Shirley Jackson's "The Lottery". *Contemporary Justice Review*, 7, 411 – 419.
16. Lottery". *Contemporary Justice Review*, 7, 411 – 419.
17. *The Routledge Dictionary of Literary Terms* (2006). Symbolism. In *The Routledge Dictionary of Literary Terms*. Retrieved February 15th, 2021, from:
https://www.uv.es/fores/The_Routledge_Dictionary_of_Literary_Terms.pdf
18. Whittier, G. (1991). "The Lottery" as a misogynist parable. *Women's Studies*. 18, 353-366.
19. Yarmove, J. (1994). Jackson's "The Lottery". *Explicator*, 52, 242-245



The World Islamic Sciences and
Education University (W.I.S.E)

Al-Mishkat

For Humanities & Social Studies

An International Research and Refereed Journal

The views and ideas expressed in the articles published in this journal are of their own authors and do not reflect the views of the editorial board or the World Islamic science and Education University or the policies of the Ministry of Higher Education and Scientific Research.

ISSN 2311-0538

E-ISSN 2789-6579



All Correspondence Concerning this Journal should be addressed to:

Editor in Chief
Deanship of Academic Research
The World Islamic Sciences and Education University (W.I.S.E)
Amman- Jordan
P.O. Box: (1101), Post Code (11947)

Tel: 00962 6 5600230, Ext. 2013, Fax: 00962 6 5600237

Email: al_mishkat.journal@wise.edu.jo

Website: www.wise.edu.jo

Al- Mishkat

For Humanities & Social Studies

An International Research and Refereed Journal

Volume (9), Number (3), Jumada Al-Awal 1444, December 2022

Editor in Chief

Prof. Ahmad Ghaleb AL khresheh

Editorial Staff

Professor Hamdi Soliman ALqubilat	The World Islamic Science & Education University
Professor Alia mohammed AL-Oweidi	The World Islamic Science & Education University
Professor Abdullah AL-Anbar	The University OF Jordan
Professor Rada Al-Mawadeh	Zarqa University
Professor Mohammed Saleem Al-Shura	The World Islamic Science & Education University
Professor Omer Al-Momani	The World Islamic Science & Education University
Dr. Adnan Abdulla Obeidat	The World Islamic Science & Education University
Dr. Mohammed Khalil ALnwihi	The World Islamic Science & Education University
Dr. Ibtehaj Radi Ahmad	The World Islamic Science & Education University
Dr. Ishraq Bassam Al-Omoush	The World Islamic Science & Education University

Advisory Editorial Board

Prof. Fawaz Abd al-Haq	President of the Hashemite University
Prof. Abd AL-Salam AL-Masdi	Minister of Higher Education- Tunisia
Prof. Mohammed AL-Qurashi	Tikrit University- Iraq
Prof.Suliman AL-Qadree	Al al-Bayt University
Prof.Hasan AL-Malkh	Al Qasimia University
Prof.Abd AlQader Rabaie	Yarmouk University
Prof.Naser Al-KHawaldeh	The University OF Jordan

English Language Editor
Dr.Sanaa Jara



Arabic Language Editor
Dr.Ahmed Al-Onezat

Designer: Shaimaa khasawneh